تفسير علماء الدعوة

في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الأول

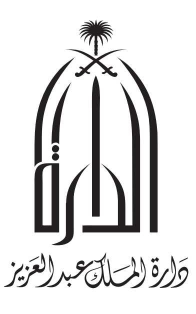
تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

أ. د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

الجزء الأول



فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

السريع، محمد بن سريع

تفسير علماء الدعوة في نجد إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري جمع ودراسة. / محمد بن سريع السريع. ـ الرياض، ١٤٣٨هـ ٢مج

٣٩٤ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة).

١ - ٢٠ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

١ - القرآن - التفسير الحديث ٢- نجد - تراجم أ. العنوان

ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٧/١٩٨

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١٩٨

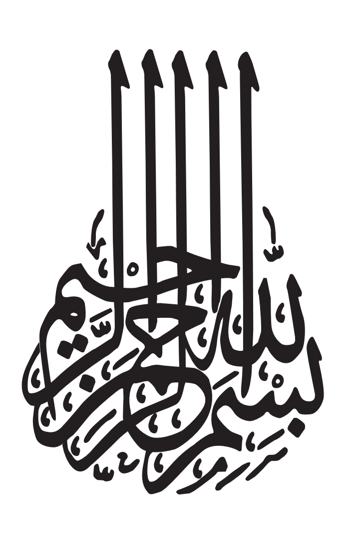
ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)

١ - ٢٠ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)

المؤلف: أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- كلية أصول الدين

ص. ب: ٢٩٤٥ ـ الرياض ١١٤٦١ ـ المملكة العربية السعودية ـ هاتف ٤٠١١٩٩٩ فاكس ٤٠١٣٥٩٧
P.O. Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A - Tel: 4011999 Fax: 4013597
البريد الإلكتروني: E-Mail: info@darah.org.sa ـ موقع الإنترنت www.darah.org.sa


بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسـلام على الهـادي الأمين، نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن تبع هداه إلى يوم الدين، أما بعد:

فإن اللـه -تعالى- قد أنعـم على هذه البـلاد الطيبة بانطـلاق الدعوة الإسـلامية من أفيائها الطاهرة لتعم العالم كله بالضياء والنـور، بما تحمله تعاليمها الربانية من أنوار هادية وخيرات عامة، فحظيت بالقبول والانتشـار، وعم ضياؤها بقاع الأرض قاطبة.

ويشاء الله -تعالى- أن تظهر في هذه البلاد الطاهرة أيضاً دعوة إصلاحية تسـتمد قيمها ومبادئها من تعاليم الإسـلام، وهدي القرآن وسنة خير الأنام محمد بن عبدالله عليه أفضل الصلاة والسـلام، وذلك عندما سـاند الإمام محمد بن سعود الشـيخ محمد بن عبدالوهاب - رحمهما الله تعالى - لنشر هذه الدعوة وذلك ليعم خيرها البلاد والعباد، وليتحقق الهدف من الرسـالة الإسلامية السـامية، وهي سعادة الإنسـان وفلاحه ونشـر المحبة والسلام والتآلف من أجل عمارة هذا الكون.

وقد نشط علماء هذه الدعوة في دعم الحركة العلمية والتأليف والتدريس ونشر العلم الشـرعي الذي يوضح عقيدة السلف الصالح للناس وما فيها من خير عميم ونفع عظيم، ويحث الناس على التمسـك بها وتـرك ما يخالفها

وذلك لتحقيق الهدف الأسمى الذي أرسل الله من أجله رسله عليهم أفضل الصلاة والسلام وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

وقد كان لعلماء هذه الدعوة عناية فائقة بتفسير القرآن الكريم؛ وذلك لكونه عماد الدعوة ومنطلق الهداية ومرجع المعرفة وأصل الإيمان، وهو الصراط المستقيم والنور المبين والهدي القويم، لذا كان علماء الدعوة حريصين كل الحرص على الاستدلال به على كل حكم يرشدون الناس إليه، وكل خير يدلون عليه، كما حرصوا على تفسير معانيه وإيضاح دلالاته وذلك لحث الناس على التمسك به والرجوع إليه.

ويدرس هذا الكتاب الذي نقدم له جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهور الدعوة إلى مطلع القرن الرابع عشر الهجري، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح، مشيراً إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم، والتي ركزت في بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، مقدماً عرضاً لتلك التفاسير مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف.

ويسر دارة الملك عبدالعزيز أن تنشر هذا الكتاب لكونه يوثق ويجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في خدمة القرآن الكريم الذي هو عماد تلك الدعوة ومنهاجها الرشيد الذي منه تنطلق وبه تعتصم، راجين أن يكون في هذا الكتاب النفع والفائدة للباحثين والدارسين والمهتمين.

دارة الملك عبدالعزيز

المحتويات

المقدمة(*)

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصحبه أجمعين . أما بعد:

فإن دعوة الإصلاح التي قامت في نجد من أعظم دعوات الإصلاح المعاصرة ، ليس على المحيط النجدي أو حتى الجزيرة العربية، بل تعدى أثرها ونفعها إلى أنحاء العالم الإسلامي.

لقد امتازت هذه الدعوة بميزات عدة:

١- خلفيتها السلفية الأثرية، ليس في جانب الاعتقاد فحسب -وهو الجانب الأهم- وإنما في جوانب أخرى تظهر في مثل تعظيم النص ووجوب الرد إليه وتوقير سلف الأمة والعناية بتراثهم.

٢- عمق الأثر الذي خلفته هذه الدعوة في كل الجوانب، العقدية والعلمية والسياسية والاجتماعية وغيرها.

٣- أنها اتصلت بمشروع سياسي آمن بها ونافح عنها، بل ربط مصيره بها، يظهر هذا من خلال اتفاق الإمامين محمد بن عبدالوهاب ومحمد بن سعود رحمهما الله عام ١١٥٧هـ.

لقد أتاح هذا الاتصال لهذه الدعوة مزيداً من الرسوخ والدعم

---

(١) أصل هذا الكتاب رسالة علمية نال بها المؤلف درجة الماجستير في القرآن وعلومه من كلية أصول الدين في جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض بإشراف الدكتور إبراهيم بن سليمان الهويمل، سنة ١٤١٧هـ.

والثبات والانتشار والامتداد، وتعاقبت الدول السعودية حاملة هذا اللواء، مؤسسة منهجها عليه. وفي مواد النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية: المادة الأولى: (المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله ﷺ).

٤- لم يكن المشروع الذي جاءت به هذه المدرسة نخبوياً بل كان واسع الامتداد في المجتمع، عظيم الاتصال به، إذ ظهر أثر هذه المدرسة في طبقات المجتمع كافة رجالاً ونساءً، صغاراً وكباراً، متعلمين وعامة. فكانت علوم الدعوة هي مادة المدرسة والحلقة والدرس والمسجد بلا استثناء.

٥- وإذا كانت الدعوة قد امتازت بعمق أثرها في مناحي الحياة، وامتازت باستيعابها لكل شرائح المجتمع، فإنها امتازت أيضاً بامتداد أثرها عبر الزمن، فخلال ثلاثة قرون لا تزال الدعوة ومخرجاتها وتراثها وأثرها وتأثيرها حاضراً بوضوح وواضحاً بجلاء، تصطبغ به كثير من مناحي الحياة العلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

وإذا كان هذا حال هذه الدعوة وأثرها، فإنها لم تسلم من المعارضين والمسيئين، بقصد أو دون قصد.

لقد أساء إلى هذه الدعوة أقوام تبنوا أقوالاً شاطحة ومواقف غالية ثم حمّلوها هذه الدعوة ونسبوها إلى علمائها.

وأساء إليها أقوام جعلوا من أخطاء أفرادها وآحاد المنتسبين إليها سبيلاً للنيل منها عبر نسبة هذه المواقف والأخطاء إلى الدعوة لا إلى أعيان المنتسبين

إليها، والحـــق الذي يقود إليـــه النَصَف أن تحاكم هذه الدعـــوة إلى منهجها وأصولها لا إلى آحاد المواقف واجتهادات الآحاد.

وأساء إليها -بعد ذلك- أقوام متحمسون لها جعلوا من كل نتاجها وتراث علمائها حق يحاكـــم إليه ويوزن النـــاس به، مخالفين بذلك مـــا أصلته هذه الدعوة وصدح بـــه علماؤها من أن لا معصـــوم إلا المؤيد بالوحي ﷺ، وأن الرد عند التنازع إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

وأخيراً أســـاء إليها أقوامٌ أهلُ فضلٍ وعلمٍ أسلموها في بعض المواقف، وخلوا بينها وبين المغرضين والشانئين.

وهذا الكتاب يهدف إلى:

- خدمة كتاب الله تعالى من خلال نشر تفسيره.

- الوفاء بحق هذه الدعوة وعلمائها من خلال نشر تراثهم.

وقد جاءت خطة البحث في مقدمة وقسمين وخاتمة، على النحو الآتي:

مقدمة بينت فيها أهمية البحث وأسباب اختياره، وخطة البحث والمنهج في كتابته.

والقسم الأول خصصته للدراسة وقسمته إلى أربعة فصول:

الفصل الأول: وفيه مبحثان:

المبحث الأول وفيه:

- لمحة موجزة عن الحالة السياسية والعلمية والاجتماعية.

- تراجم موجزة لعلماء الدعوة الذين نتناول تفسيرهم في البحث.

المبحث الثاني: آثار دعوة التجديد:

١- في إصلاح العقيدة.

٢- في بعث الحركة العلمية.

٣- في إصلاح الجوانب السياسية.

٤- في إصلاح الجوانب الاجتماعية.

الفصل الثاني: منهج علماء الدعوة في التفسير وخصائصه، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهجهم في التفسير:

أولاً: التفسير بالأثر:

أ- تفسير القرآن بالقرآن .

ب- تفسير القرآن بالسنة .

ت- تفسير القرآن بأقوال الصحابة.

ث- تفسير القرآن بأقوال التابعين.

ثانياً: التفسير بالرأي الممدوح:

أ- اللغة

ب- النحو

ت-الجمع بين الأقوال.

المبحث الثاني: من خصائص منهجهم، وفيه أربعة مطالب:

الأول: بيان العقيدة، وعرض آياتها بأسلوب صحيح.

الثاني: بيان الآيات للواقع.

الثالث: سهولة التناول ووضوح الأسلوب.

الرابع: الاعتماد على منهج السلف في تفسير الآيات وفهمها.

الفصل الثالث: مصادرهم:

أولاً: من كتب التفسير.

ثانياً: من كتب الحديث.

ثالثاً: من اللغة.

رابعاً: كتب عامة.

الفصل الرابع: أبرز الموضوعات التي تناولوها:

أولاً: بيان أنواع التوحيد.

ثانياً: الولاء والبراء.

ثالثاً: الحكم والتحاكم.

رابعاً: الردود على المخالفين.

القسم الثاني: جمع التفسير.

وقد رتبت النقول فيه حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، ورتبت النقول عن الأئمة في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.

وأخيراً جعلت خاتمة البحث ثم الفهارس اللازمة للبحث وهي:

- فهرس الآيات.
- فهرس الأحاديث.

- فهرس الآثار.
- فهرس الأعلام المترجمين.
- فهرس الشعر.
- فهرس المصطلحات.
- فهرس القبائل.
- فهرس الأماكن.
- فهرس الفرق.
- فهرس المراجع.
- فهرس الموضوعات.

وأما المنهج الذي سرت فهو على النحو الآتي:

١- قمت بجرد كتب الأئمة المطبوعة واستخلصت منها كلامهم في التفسير، دون ما يعتمدون فيه على النقل المجرد أو ما يكون الكلام فيه مختصراً، وكذا إن كان الكلام متشابهاً والمعنى واحداً في تفسير آية فإني أكتفي بأوفاها بالمقصود.

٢- صدرت المقطع بكتابة الآية أو الآيات التي يتناولها الأئمة بالتفسير بخط مميز، ثم ذكرت أقوال الأئمة فيها.

٣- وفي ختام المقطع أشير إلى المصدر الذي نقلت منه مع بيان الجزء والصفحة.

٤- لم أتعرض لكلام الأئمة بشيء من التغيير إلا إذا كان الأمر يحتاج إلى ذلك، كأن يكون خطأ في الآية، أو تكون المصادر التي نقل عنها

الأئمة على خلاف ذلك، فإني أعدل الأصل وأشير إلى هذا التعديل في الحاشية، وأما إذا كان الأمر محتملاً، فإني أشير في الحاشية دون تغيير في الأصل.

٥- عزوت الآيات إلى سورها مبيناً أرقامها.

٦- خرجت الأحاديث الواردة في النص، وإذا كان الحديث في الصحيحين أو أحدهما اكتفيت بتخريجه منهما، وإلا فإني أجتهد في تخريجه من كتب السنة ذاكراً ما تيسر من حكم الأئمة عليه سواء من المتقدمين أو المتأخرين.

٧- عزوت الآثار إلى من نقلها، ووثقت النقول والأقوال.

٨- عرفت بالأعلام غير المشهورين، ولم أترجم للمشاهير من الصحابة والأئمة الأربعة وأصحاب الكتب الستة لشهرتهم عند عامة الناس طلباً للاختصار.

٩- عرفت بالفِرَق الواردة في البحث.

١٠- عرفت بالمصطلحات العلمية التي تحتاج إلى تعريف.

١١- شرحت بعض الألفاظ الغريبة وبينت معانيها، وضبطت المشكل بالشكل.

١٢- عرفت بالأماكن والقبائل والبلدان التي تحتاج إلى تعريف.

١٣- اجتهدت في عزو الأبيات الشعرية إلى قائليها مع بيان المصدر.

١٤- علقت على بعض المسائل التي رأيت أهمية التعليق عليها ببيانٍ أو إيضاحٍ أو زيادة دليلٍ أو قولٍ أو نحو ذلك.

١٥- أذكر بعض المراجع عند بعض المسائل والأحكام في النص، ليسهل الرجوع إليها لمن أراد الاستزادة.

١٦- ذكرت المراجع التي نقل منها الأئمة إما تصريحاً أو بغير تصريح.

١٧- أخرت ذكر بيانات المراجع إلى فهرس المراجع طلباً للاختصار.

١٨- ذيلت البحث بمجموعة من الفهارس العامة.

وفي الختام فإن الحمد كله أوله وآخره لله جل في علاه ﴿ وَمَا بِكُم مِّن نِّعۡمَةٖ فَمِنَ ٱللَّهِۖ ﴾ فله الحمد على ما وفق وأعان وسدد ويسر.

ثم الشكر لدارة الملك عبدالعزيز التي تفضلت مشكورة بطباعة هذا الكتاب وإخراجه. والشكر موصول لكل من أعانني بحل إشكال أو بيان مسألة أو دلالة على مرجع. اللهم اجعل عملنا صالحاً ولوجهك خالصاً، واغفر لنا ولوالدينا ولعلمائنا ومَنْ ولاه الله أمرنا ولجميع المسلمين الأحياء منهم والميتين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين. وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

أ.د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

القسمُ الأوّل

الدِراسة

الفَصْلُ الأَوَّلُ

تَرَاجِمُ عُلَمَاءِ الدَّعْوَةِ وَآثَارُ دَعْوَتِهِمْ

وفيه مبحثان:

الأول: تراجم موجزة لعلماء الدعوة

الثاني: آثار دعوة التجديد

المبحث الأول

- لمحة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية

- تراجم موجزة لعلماء الدعوة -رحمهم اللّه تعالى- وهم:

الشيخ: حمد بن معمر رحمه الله

الشيخ: حسين بن غنام رحمه الله

الشيخ: سليمان بن عبدالله رحمه الله

الشيخ: عبدالله بن محمد رحمه الله

الشيخ: عبدالعزيز بن حمد رحمه الله

الشيخ: عبدالله أبابطين رحمه الله

الشيخ: عبدالرحمن بن حسن رحمه الله

الشيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله

الشيخ: حمد بن عتيق رحمه الله

لمحة موجزة عن الحالة السياسية والاجتماعية والعلمية

عاش الأئمة -رحمهم الله- في الدولتين السعوديتين الأولى والثانية، أما الأولى[١] فقد أدركوا النصف الثاني منها، والذي يُعَدُّ عصر ازدهار وانبعاث في كثير من الجوانب، وقد عاصر كثير منهم الإمام عبدالعزيز بن محمد[٢]، والإمام سعود بن عبدالعزيز[٣]، والإمام عبدالله بن سعود[٤] في هذه المرحلة، وهي حقبة تعدُّ حقبة قوة ونشاط خصوصًا من الناحية السياسية، إذ قد بسطت الدولة سيادتها على أكثر الجزيرة، ومن الناحية الاقتصادية إذ كانت مرحلة انتعاش اقتصادي بسبب الأمن الذي ضرب بجرانه في كثير من المناطق، ومن الناحية العلمية إذ تعدُّ الدرعية في تلك الحقبة موئلاً للعلماء وطلاب العلم، يفدون إليها من أرجاء الجزيرة، وكانت حلق العلم قائمة في كثير من الفنون.

انتهى حكم الدولة السعودية الأولى بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ ثم قامت الدولة السعودية الثانية على يد الإمام تركي بن عبدالله، وحينها قدم الشيخ عبدالرحمن بن حسن من مصر[٥]، ثم تبعه بعد مدة ابنه الشيخ عبداللطيف[٦]، وفي هذه الحقبة من حكم الدولة السعودية الثانية عاد الأمن

(١) الدولة السعودية الأولى عام ١١٥٧هـ باتفاق الإمامين محمد بن سعود ومحمد بن عبدالوهاب على نشر الدعوة الإسلامية. انظر: عنوان المجد (١/ ٢٥).

(٢) ولد عام ١١٣٣هـ، وتوفي عام ١٢١٨هـ، حيث طعنه رافضي في صلاة العصر. انظر: عنوان المجد (١/ ٢٦٤)، الدرر السنية (١٢/ ٣٠-٣٦).

(٣) توفي عام ١٢٢٩هـ. انظر: عنوان المجد (١/ ٣٤٠).

(٤) نقل إلى عاصمة الخلافة بعد سقوط الدرعية عام ١٢٣٣هـ حيث قتل هناك. انظر: عنوان المجد (١/ ٤٢١).

(٥) وكان ذلك عام ١٢٤١هـ. انظر: عنوان المجد (٢/ ٤٢).

(٦) وكان ذلك عام ١٢٦٤هـ. انظر: علماء نجد (١/ ٦٥).

والاستقرار والانبعاث الاقتصادي إلى المنطقة ونشطت الحركة العلمية، وكثر طلبة العلم والراغبون في تحصيله.

وقد تولى قيادة الدولة في هذه الحقبة الإمام تركي بن عبدالله ثم من بعده ابنه الإمام فيصل بن تركي. وبعد وفاة الإمام فيصل[١] انتقل الحكم إلى ابنه عبدالله ثم لم يلبث أن نازعه أخوه سعود الحكم واستمر النزاع بينهما إلى أن انتهى باستيلاء آل رشيد على الحكم[٢].

وقد عاش في هذه الحقبة -حقبة النزاع بين أبناء فيصل- الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن والشيخ حمد بن عتيق -رحمهم الله- فقاما بأمر الله أحسن قيام، وكانا مثلين لعلماء السلف[٣].

هذه لمحة موجزة عن العصر الذي عاشه الأئمة -رحمهم الله- وسيأتي لذلك مزيد بيان في آثار الدعوة.

---

(١) كانت وفاة فيصل بن تركي في الرياض عام ١٢٨٢هـ. انظر: الدرر السنية (١٢/ ٥٩). وأما والده تركي بن عبدالله فقد قتل عام ١٢٤٩هـ في الرياض. انظر: عنوان المجد (٢/ ٩٧)، الدرر السنية (١٢/ ٥٣).

(٢) انظر: تاريخ المملكة العربية السعودية (١/ ٢٨٧).

(٣) انظر: دور الإمامين وموقفهما في هذا النزاع في المجلد السابع من الدرر السنية.

تراجم موجزة لعلماء الدعوة

الشيخ: حمد بن معمر رحمه الله[(١)]:

هو العالم العلامة الأصولي المفسر المتضلع حمد بن ناصر بن عثمان بن معمر العنقري التميمي، ولد في العيينة عام ١١٦٠هـ ونشأ بها وطلب العلم.

ثم انتقل إلى الدرعية وكانت مقر الدعوة، فأخذ عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب التوحيد والتفسير والفقه ولازمه ملازمة تامة، وأخذ عن الشيخ سليمان بن عبدالوهاب. ودرس على الشيخ حسين بن غنام العربية وغيرها. ثابر على التحصيل والتعلم بجد واجتهاد حتى بلغ مبلغًا عظيمًا وصار من كبار علماء نجد، وانتهت إليه الرئاسة في العلم والفتوى، وقد كان مسددًا في أجوبته محيطًا بأقوال السلف، جلس للتدريس وتخرج على يديه كثير من الطلبة في أنواع الفنون.

ومن أبرز تلاميذه:

ابنه الشيخ عبدالعزيز قاضي الدرعية.

والشيخ سليمان بن عبدالله.

والشيخ عبدالرحمن بن حسن.

والشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين مفتي الديار النجدية في وقته.

والشيخ عبدالعزيز بن حمد بن مشرف.

والشيخ عثمان بن عبدالجبار.

---

(١) راجع ترجمته في: عنوان المجد (١/ ٣١٦)، الدرر السنية (١٢/ ٤٧)، مشاهير علماء نجد (٢٠٢)، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٢٣٨)، روضة الناظرين (١/ ٨٣)، الأعلام (٢/ ٢٧٣)، تاريخ اليمامة (٥/ ٦٩).

والشيخ جمعان بن ناصر[١].

قال في الروضة: «كان ذا مكانة مرموقة وله شهرة بلغت الآفاق، ولكلمته نفوذ، وكان واعظ زمانه، ولمواعظه وقع في القلوب، غزير الدمعة، لا تفارق خده»[٢].

بعثه الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود عام ١٢١١هـ لمناظرة علماء مكة بطلب من الشريف غالب[٣]، وحصلت المناظرة في مجالس عدة حضرها كثيرٌ من العلماء والجمع الغفير من عامة الناس، وقد أبان الشيخ فيها وجه الحق ودحض الشبهات على التوحيد[٤].

قال الشوكاني عن هذه المناظرة: «وبلغنا أنه وصل إلى مكة بعض علماء نجد لقصد المناظرة، فناظر علماء مكة بحضرة الشريف في مسائل تدل على ثبات قدمه وقدم صاحبه في الدين»[٥].

وقد تولى ﵀ قضاء الدرعية في عهد الإمام سعود بن عبدالعزيز، ثم انتقل إلى مكة مشرفًا على أحكام القضاة فيها. ومن مؤلفاته:

---

(١) راجع علماء نجد (١/ ٢٤٠).

(٢) روضة الناظرين (١/ ٨٤).

(٣) ذكر التفصيلات ابن غنام في تاريخه (ص ١٩٧)، بتحقيق الأسد.

(٤) وكان الشيخ قد سألهم أسئلة ثلاثة: الأول: ما قولكم فيمن دعا نبيًا أو وليًا أو استغاث به في تفريج الكربات، كقوله: يا رسول الله أو يا بن عباس أو يا محجوب أو غيرهم من الأولياء والصالحين؟ الثاني: من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله ولم يصلّ ولم يزكّ هل يكون مؤمنًا؟ الثالث: هل يجوز البناء على القبور؟
فعكس علماء الحرم هذه الأسئلة على الشيخ وطلبوا منه الإجابة، فأجاب الشيخ ﵀ إجابة شافية مدعمة بالدليل ثم جمعها الشيخ في رسالة مطبوعة بعنوان: «الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكّم السنة والكتاب» وهي مطبوعة ضمن مجموعة ابن سحمان «الهدية السنية والتحفة الوهابية النجدية».

(٥) البدر الطالع (٢/ ٧).

١- الفواكه العذاب في معتقد الشيخ محمد بن عبدالوهاب[١].

٢- رسالة في الاجتهاد والتقليد[٢].

٣- الفواكه العذاب في الرد على من لم يحكم السنة والكتاب، الذي سبق ذكره، مع جملة وافرة من الفتاوى والأجوبة والردود[٣].

توفي رحمه الله في مكة عام ١٢٢٥هـ، وصُلي عليه في المسجد الحرام ثم دفن بمقبرة البياضية، وقد خلف من الأبناء الشيخ عبدالعزيز، رحم الله الجميع رحمة واسعة.

الشيخ حسين بن غنام رحمه الله[٤]:

هو الشيخ الجليل المؤرخ الأديب حسين بن أبي بكر بن غنام التميمي المالكي مذهبًا، الأحسائي مولدًا، النجدي وفاة وإقامة، ولد في الأحساء منتصف القرن الثاني عشر تقريبًا، نشأ فيها وحفظ القرآن، وقرأ على علماء الأحساء ثم انتقل إلى البحرين فقرأ على علمائها، ثم رحل إلى الدرعية فنزل على الإمام عبدالعزيز بن محمد بن سعود، فأكرم نزله، واتصل بالشيخ محمد بن عبدالوهاب وقرأ عليه في التوحيد والتفسير والحديث ولازمه ملازمة تامة[٥].

---

(١) طبع بتحقيق: عبدالرحمن بن عبدالله التركي عام ١٤١٥هـ بالعنوان أعلاه، وكان قد طبع في دار العاصمة بالرياض عام ١٤١٣هـ بتحقيق: عبدالسلام آل عبدالكريم بعنوان: «التحفة المدنية في العقيدة السلفية».

(٢) انظر: الدرر السنية (٤/ ٢٧).

(٣) راجع: مجموعة الرسائل والمسائل والدرر السنية.

(٤) راجع ترجمته في: روضة الناظرين (١/ ٧٨)، مشاهير علماء نجد (١٨٥)، تاريخ اليمامة (٥/ ٥٥)، المستدرك على معجم المؤلفين (٢١٤).

(٥) انظر: روضة الناظرين (١/ ٧٨).

ثم جلس للطلاب، فتتلمذ عليه جمع من أعيان الدرعية، ومنهم:

الشيخ: حمد بن معمر وابنه عبدالعزيز.

والشيخ: سليمان بن عبدالله.

والشيخ: عبدالرحمن بن حسن.

والشيخ: عبدالعزيز بن حصين.

وكان يـــدرس للطلاب الفرائض وعلوم العربيـــة، فانتفع الطلاب به نفعًا عظيمًا[(١)]، ألف كتابه المشـــهور في التاريخ «روضة الأفكار والأفهام لمرتاد حال الإمام وتعداد غزوات ذوي الإســـلام»[(٢)]، وله (كتاب العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين)[(٣)].

وكان ﷺ شاعرًا أديبًا، مجالسه ممتعة وأحاديثه شائقـة. ردّ على محمد بن فيروز[(٤)] بطائية مطلعها:

على وجهها الموسوم بالشؤم قد خطـا   عروس هوى ممقوتة زارت الشـــطا

وله الهائية التي تبلغ ستة وثلاثين بيتًا يقول في مطلعها:

نفوسُ الـــورى إلا القليـــل ركونها   إلـــى الغـــيّ لا يلفى لديـــنٍ حنينُها

---

(١) انظر: مشاهير علماء نجد (١٨٥)، الروضة (١/ ٧٨).

(٢) وقد طبع الكتاب طبعات متعددة، ثم طبع بتحقيق: د. ناصر الدين الأسد، وقد جرد في هذه الطبعة من السجع وقد تصرف فيه المحقق بالحذف.

(٣) وهو مطبوع بتحقيق: إبراهيم الماس من إصدار وزارة الأوقاف بقطر عام ١٤١٤هـ.

(٤) هو محمد بن عبدالله بن فيروز، والد عبدالوهاب بن فيروز، صاحب الحاشية على الروض المربع، توفي في الزبير عام ١٢١٦هـ ومطلع قصيدته:

أنـامـل كـف السعد قـد أثبتت خطا   بـأقـلام أشـيـاخ لـنـا حـررت ضبطا

وتبلغ قصيدة الشيخ حسين ستة وسبعين بيتًا.

وقد رثى الشيخ محمد بقصيدته المشهورة ومطلعها:

إلى الله في كشف الشدائد نفزع وليس إلى غيرِ المهيمنِ مفزعُ[1]

إلى آخر ما قال، وهذه القصيدة تبلغ تسعة وثلاثين بيتًا.

توفي الشيخ رحمه الله في الدرعية عام ١٢٢٥هـ وليس له عقب.

الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

هو الشيخ الحافظ المفسر المحدث الفقيه سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب بن سليمان بن علي بن محمد بن أحمد، من الوهبة من تميم، ولد في الدرعية سنة ١٢٠٠هـ.

نشأ رحمه الله وسط أسرة تعتني بالعلم وتحث أبناءها على تحصيله، فوالده هو الشيخ عبدالله بن محمد قاضي الدرعية وعالمها الأول بعد وفاة أبيه، وجده هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب رائد الدعوة والمجدد في البلاد النجدية[2]، فكان لهذا البيت الصالح أثره الكبير في نشأته، فتوجه بكليته للعلم وشغل جميع أوقاته به وأعرض عن الدنيا وما فيها[3].

ثم إن هذا الإقبال وافق منه ذهنًا وقادًا وقدرة عجيبة على الحفظ، وصبرًا نادرًا على القراءة والاطلاع، فقرأ على علماء الدرعية والوافدين إليها في الأصول والفروع، فبرع في الأصول والفروع والتفسير واللغة

---

(١) مشاهير علماء نجد (١٨٦).

(٢) وقد أدرك الشيخ سليمان جده لكنه لم يقرأ عليه، كما ذكر ذلك الشيخ البسام (٢/ ٢٩٣).

(٣) ذكر في علماء نجد عن الشيخ محمد بن إبراهيم رحمه الله قال: «خرج الشيخ سليمان بن عبدالله مع بعض أصحابه إلى أحد بساتين الدرعية فامتحنوه في تمييز شجرة البطيخ من شجرة الدباء فلم يعرف هذا من ذاك».

والفقه والحديث حتى قال رحمه الله: «أنا برجال الحديث أعرف مني برجال الدرعية»(١).

قرأ على جمع من العلماء منهم:

١- والده الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

٢- عمه الشيخ حسين بن محمد.

٣- عمه الشيخ علي بن محمد.

٤- الشيخ حمد بن ناصر بن معمر.

٥- الشيخ حسين بن غنام.

٦- الشيخ عبدالله بن فاضل.

٧- الشيخ عبدالرحمن بن خميس.

٨- الشيخ محمد بن علي بن غريب.

٩- وقد أجازه الشيخ محمد بن علي الشوكاني.

امتاز رحمه الله بحسن الخط حتى إنه لا يكاد يوجد في نجد من هو مثله في حسن الخط(٢). وقد جلس للطلبة في الدرعية، وكان رحمه الله حسن التعليم فالتف على حلقته طلاب كثيرون، منهم: الشيخ محمد بن سلطان، وأخوه الشيخ عبدالرحمن بن عبدالله، وغيرهم، تلقوا عنه الأصول والفروع والحديث. وكان رحمه الله يجلس للتدريس بعد صلاة المغرب فيشرح صحيح

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٤٨)، علماء نجد (١/ ٢٩٣).

(٢) عنوان المجد (١/ ٤١٥)، علماء نجد (١/ ٢٩٤).

البخـــاري ويحضر الـــدرس ســـعود بن عبدالعزيز وأبنـــاؤه وكثير من أهل الدرعية.

قال ابن بشـــر في وصف ذلك الدرس: «وكان العالـــم الجالس للتدريس سليمان بن عبدالله بن الشـــيخ، فيا له من عالم نحرير وحافظ متقن خبير، إذا شرع يتكلم على الأســـانيد والرجال والأحاديث وطرقها ورواياتها فكأنه لم يعرف غيرها مع إتقانه وحفظه»[١].

تولى القضاء بمكة في عهد ســـعود بن عبدالعزيز ثم عاد مرة أخرى إلى الدرعية وتولى القضاء بها مع والده في عهد عبدالله بن سعود.

كان ﵀ «آمرًا بالمعروف ناهيًا عن المنكر لا تأخـــذه في الله لومة لائم، فلا يتعاظم رئيسًا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا يتصاغر ضعيفًا أتى إليه يطلب فائدة أو يستنصر»[٢]. وقد خلَّف ﵀ جملة من المؤلفات:

١- تيسير العزيز الحميد شرح كتاب التوحيد[٣]، وهو من أعظم الشروح لهذا الكتاب العظيم وأكثرها نفعًا، قال ابن قاسم: «صنف شرح كتاب التوحيد لجده فمن بعده عيال عليه»[٤].

٢- حاشية على شرحه لكتاب التوحيد[٥].

٣- منسك لطيف[٦].

---

(١) عنوان المجد (١/ ٣٥٠)

(٢) عنوان المجد (١/ ٤٢٥).

(٣) ولم يكمله، وقف على باب ما جاء في المصورين، وحينما طُبع أُكمل من فتح المجيد، وكانت طبعته الأولى في بيروت عام ١٣٨٢هـ.

(٤) الدرر السنية (١٢/ ٤٨).

(٥) طبعتها دارة الملك عبدالعزيز بتحقيق د. خالد الدبيان.

(٦) وقد طبع قديمًا، وطبع عام ١٤١٦هـ بتحقيق: الوليد بن فريان.

٤- الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك[١].

٥- أوثق عرى الإيمان[٢].

٦- رسالة في عدد الجمعة[٣]، قال عنها ابن قاسم: «لم ينسج على منوالها»[٤].

٧- حاشية نفيسة على المقنع، شكك بعضهم في نسبتها إليه، وكانت طبعتها الأولى في مطبعة المنار ولم تنسب لأحد، ثم نشرها محب الدين الخطيب ونسبها مترددًا إلى الشيخ سليمان[٥]. والصحيح نسبتها إليه، قال في الروضة حين ذكر أنها من تأليفه: «وكذا قاله شيخنا عبدالرحمن بن سعدي وشيخنا سليمان بن إبراهيم البسام -رحمهم الله- برحمته الواسعة»[٦].

وقد قال سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم: «لا نشك أنها للشيخ سليمان بن عبدالله»[٧]. وقد ذكر الشيخ ابن بسام ما يدل على تأكيد نسبتها إليه رحمه الله[٨].

وقد نُسب إليه كتاب «التوضيح عن توحيد الخلاق في أجوبة أهل

(١) وقد طبع في عام ١٤٠٨هـ بتحقيق: الوليد بن فريان.
(٢) طبع عام ١٤٠٩هـ بتحقيق: الوليد بن فريان.
(٣) وقال ابن بسام: رسالة في بيان تعدد الجمعة (١/ ٢٩٥).
(٤) الدرر (١٢/ ٤٨).
(٥) الدلائل في حكم موالاة أهل الإشراك، من مقدمة الوليد بن فريان (ص ١٨).
(٦) الروضة (١/ ١٢٣).
(٧) علماء نجد (١/ ٢٩٦).
(٨) المرجع السابق، الموضع نفسه.

العراق»[١]. وقد نفى هذه النسبة الشيخ ابن بسام[٢]. وأبطلها الوليد بن فريان من عدة أوجه في مقدمة التحقيق لكتابه الدلائل[٣].

ثم قد قيل: إن هذا الكتاب من تأليف الشيخ عبدالله بن محمد وحمد بن معمر ومحمد بن غريب[٤]. وقيل: إنه من تأليف محمد بن علي بن غريب[٥].

وإضافةً لذلك فإن له عددًا من المنظومات الفقهية[٦]. وقال في مدح جده وكتابه «كشف الشبهات»:

كشفتَ بالكشفِ عنا كلَّ مشكلةٍ ... ظل الذكيُّ بها في الكونِ حيرانا
نصرتَ فيه طريقًا للنبي غدتْ ... لا تستطيعُ لها الأفهامُ عرفانا
جزاك ربّك عنا كلَّ صالحةٍ ... أمنًا ورحمًا وتسليمًا ورضوانًا[٧]

توفي رحمه الله مقتولاً في الدرعية عام ١٢٣٣هـ على أيدي جنود إبراهيم باشا، وذلك أن إبراهيم باشا لما دخل الدرعية صلحًا بعد طول الحصار وشى بعض الناس بالشيخ إليه فأحضره وتهدده وأمر بآلات اللهو فضرب بها عنده،

(١) طبع بمصر عام ١٣١٩هـ، وأعيد طبعه في الرياض عام ١٤٠٤هـ في دار طيبة.
(٢) علماء نجد (١/ ٢٩٦).
(٣) راجع المقدمة (ص ١٩). وممن نفى هذه النسبة أيضًا د. صالح العبود. انظر: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص ٥١٦).
(٤) ذهب إلى هذه النسبة د. عبدالعزيز بن عبداللطيف في كتابه «دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقد» (ص ٦٠) وأورد أدلته على ذلك.
(٥) وإلى هذا ذهب الشيخ ابن بسام، يراجع: علماء نجد (١/ ٢٩٦)، والعبود. يراجع: دعوة الشيخ محمد (ص ٥١٦).
(٦) المرجع السابق (١/ ٢٩٨).
(٧) المرجع السابق، الموضع نفسه.

ثم أخرج إلى المقبرة وأطلق عليه الجنود البنادق فخر قتيلاً رحمه الله وجزاه خير ما يجزي عباده الصالحين[١].

وقد توفي وليس له عقب رحمه الله.

الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله[٢]:

هو أبو سليمان عبدالله بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية عام ١١٦٥هـ، ونشأ في بيت والده فاتجه منذ الصغر لطلب العلم، فحفظ القرآن ثم شرع في القراءة على والده في الأصول والفروع، وقرأ على علماء الدرعية والوافدين إليها.

وقرأ على الشيخ حمد بن معمر، ثم رحل إلى الحج فقرأ على علماء مكة، وحصلت له الإجازة برواية متصلة السند، ثم زار المدينة وقرأ على علماء الحديث بها زمنًا[٣].

كان رحمه الله يتمتع بفهم جيد وحافظة قوية وقلم سيال وقريحة وقادة، برع في أصول الدين والفقه والحديث وعلوم العربية.

وأجمع كل من ترجم له على تقدمه في التفسير وإتقانه له[٤]، بزغ نجمه وذاع صيته في حياة والده رحمه الله ثم أسندت إليه الأمور من بعده في عهد الإمام عبدالعزيز وابنه سعود ثم عبدالله بن سعود، وكان مرجع القضاة والعلماء في وقته.

---

(١) عنوان المجد (١/ ٤٢٤).

(٢) للاستزادة راجع: الدرر السنية (١٢/ ٤٥)، علماء نجد (١/ ٤٨)، مشاهير علماء نجد (٤٨)، الأعلام (٤/ ١٣١)، المستدرك على معجم المؤلفين (٤٣٥)، الروضة (١/ ٣٢٩).

(٣) انظر: روضة الناظرين (١/ ٣٢٧).

(٤) وقد كان يقرأ عليه تفسير الطبري وابن كثير في درس يحضره الإمام سعود بن عبدالعزيز وكثير من أهل الدرعية. انظر: عنوان المجد (١/ ٣٤٨).

دخل مع الأمير سعود بن عبدالعزيز مكة يوم السبت الثامن من شهر المحرم عام ١٢١٨هـ، وكتب رسالة جوابًا على سؤال وجه إليه أبان فيها عقيدتهم وما يدعون إليه، وردَّ كثيرًا من الشبهات التي ألصقت بالدعوة[١].

كان ﵀ زاهدًا ورعًا ذا تهجد وقيام وقراءة للقرآن.

تتلمذ عليه جملة من العلماء من أبرزهم أبناؤه الثلاثة: سليمان وعبدالرحمن وعلي، والشيخ عبدالرحمن بن حسن والشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر وعلي بن حسين ومحمد بن سلطان وعثمان بن عبدالجبار وأحمد الوهيبي وسعد الحجي وغيرهم.

وله من المصنفات:

١- جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية، وهو مطبوع ضمن مجموعة الرسائل والمسائل.

٢- مختصر السيرة النبوية[٢].

٣- الكلمات النافعة في المكفرات الواقعة، وهو مطبوع.

٤- منسك لطيف[٣]. إضافةً إلى جمع من الرسائل والأجوبة المفرقة في مجموعة الرسائل والدرر.

---

(١) انظر: الرسالة في الدرر (١/ ٢٢٢).

(٢) وقد أثنى الشيخ البسام على الكتاب فقال: لم يسبقه إليه أحد إلا ما كان من ابن القيم ﵀ في زاد المعاد، بل مختصر الشيخ عبدالله في السيرة أنفع منه؛ لأن ابن القيم عني بالناحية الفقهية أكثر من عنايته بالناحية التاريخية، أما الشيخ عبدالله فأوفى الموضوعين حقهما من البحث والتحقيق. انظر: علماء نجد (١/ ٥٢).

(٣) انظر: الدرر السنية (١٢/ ٤٤).

كان رحمه الله إلى جانب سـيرته العلمية وحياته الدعوية شجاعًا مقدامًا وقف بباب «البجيري» بالدرعية -حين غزاها إبراهيم باشا- وشهر سيفه وقاتل قتال الأبطال، وكان يقول: «بطن الأرض على عز خير من ظاهرها على ذل». وبعد أن اسـتولى إبراهيم باشـا على الدرعية اعتقل ونقل إلى مصر عام ١٢٣٣هـ ونقل معه ابنه عبدالرحمن وبقي بها إلى أن توفي سنة ١٢٤٢هـ[١]، وقيل: سنة ثلاث[٢]، وقيل: سنة أربع وأربعين[٣]، رحمه الله رحمة واسعة.

الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله[٤]:

هو الشـيخ العالم الفقيه الأديب عبدالعزيز بن حمد بـن معمر، ولد في الدرعية عام ١٢٠٣هـ، نشـأ في بيت والده الشـيخ حمد بن معمر، وكانت الدرعية يوم ذاك حاضرة علم وفقه، وإليهـا يفد الراغبون في طلب العلم من أرجاء الجزيرة.

أقبل على العلم فحفظ القرآن ثم المتون في الأصول والفروع، كان مثابرًا مع ما منحه الله تعالـى من قوة الحفظ وحدة الذكاء، فنـال بفضل الله علمًا عظيمًا.

قرأ على والده الشـيخ حمد، وعلى عبدالله وعلي وحسـين أبناء الشيخ محمد، وعلى الشيخ حسـين بن غنام وأحمد بن رشـيد الحنبلي. فبرع في

---

(١) انظر: الدرر السنية (١٢/ ٤٥)، روضة الناظرين (١/ ٣٢٩)، الأعلام (٤/ ١٣١).

(٢) انظر: عنوان المجد (١/ ٤٣٣).، من حاشية بقلم: عبدالرحمن بن عبداللطيف بن عبدالله آل الشيخ.

(٣) انظر: علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٥٤).

(٤) راجع ترجمته في: عنوان المجد (٢/ ٦٦)، الدرر السنية (١٢/ ٥٠)، روضة الناظرين (١/ ٢٥٣)، علماء نجد (٢/ ٤٤٥)، تاريخ اليمامة (٥/ ١١٨)، معجم المؤلفين (٥/ ٢٤٥)، الأعلام (٤/ ١٧).

التفسير والحديث والفقه والأصول والعربية. قال ابن بشر: «كان فقيهًا أديبًا ومتواضعًا حسن السمت والسيرة ذا شهرة في العلم والديانة، وله أشعار رائعة ولا سيما في أهل الدرعية»[١].

جمع بين التدريس والقضاء فقد كان على قضاء الدرعية قبل سقوطها، وجلس لتدريس الطلبة في كثير من العلوم. وكان صداعًا بالحق آمرًا بالمعروف وناهياً عن المنكر ذا خلق عالٍ، له مكانة عند الناس ومحبة في قلوبهم[٢].

ولما سقطت الدرعية في يد إبراهيم باشا وتفرق أهلها كان الشيخ عبدالعزيز فيمن خرج متجهًا إلى البحرين، فكانت له هناك آثار طيبة ومآثر حسنة.

ومن مؤلفاته: اختصار لنظم ابن عبدالقوي مع زيادات مفيدة بأسلوب عذب[٣]، وكتاب: منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب[٤].

وذلك أنه قدم البحرين منصِّر إنجليزي، ومعه كتاب ينصر فيه دينه ويورد بعض الشبهات على دين الإسلام، فدفعه إلى الشيخ عبدالله بن خليفة حاكم البحرين، وطلب منه أن يعرضه على العلماء؛ ليجيبوا عنه أو يقروا بما فيه، فعرضه على علماء البحرين فقالوا:

لا نستطيع الرد، وكذا قال علماء الأحساء، فاغتم الشيخ عبدالله لذلك غمًّا شديدًا فأشار عليه أحد خواصه أن يعرضه على أحد طلبة العلم بالبحرين

(١) عنوان المجد (٢/ ٦٧).
(٢) الروضة (١/ ٢٥٤).
(٣) علماء نجد (٢/ ٤٤٥).
(٤) وهو مطبوع متداول.

من أهل نجد ألا هو الشيخ عبدالعزيز بن حمد، فدفع الكتاب إلى الشيخ فوعدهم شهرًا، وبعد شهر جاء الرد من الشيخ ففرح به حاكم البحرين، ودفعه إلى القسّ المنصِّر، فدهش لقوة الجواب وسداد الرد، وقال: لا يخرج هذا الرد من علماء هذه البلاد، ولابد أن يكون من نجد فأخبره حاكم البحرين أنه من جواب أحد طلبة العلم النجديين[(١)].

وقد كان الشيخ شاعرًا عذب الشعر، اشتهر عنه قصيدته التي تسمى «الطنَّانة» فيما وقع للدرعية، يقول فيها:

إليك إلـهَ العرشِ أشكو تضرعًا … وأدعوكَ في الضراءِ ربي لتسمعا

فكم دمَّروا من مربعٍ كان آهلاً … فقد تركوا الدارَ الأنيسةَ بلقعا

وكم قتلوا من عصبةٍ للحق فتية … هداة وضاة ساجدين وركعا[(٢)]

ولما هدأت الأحوال في نجد مرة أخرى عاد إليها وتجرد لعبادة ربه، ونفع خلقه، فاستدعاه أمير البحرين مرة أخرى وألح عليه، فغادر الدرعية إلى البحرين واستقر فيها ملازمًا للعبادة والتعليم[(٣)].

توفي ﵀ في البحرين عام ١٢٤٤هـ فبكته العيون وحزنت عليه القلوب وصلى عليه المسلمون في نجد صلاة الغائب.

وقد رُثي بمراثٍ عديدة منها مرثية أحمد بن مشرف الأحسائي ومطلعها:

أشمسُ الهدى غابت أم البدرُ آفل … أم النجمُ أمسى لونه وهو حائلُ

أم الدين هدَّ الخطبُ جانبَ طودِهِ … أم العلم قد أوهت بناه الزلازلُ

---

(١) انظر: علماء نجد (٢/ ٤٤٦).

(٢) عنوان المجد (٢/ ٦٧)، علماء نجد (٢/ ٤٤٧).

(٣) روضة الناظرين (١/ ٢٥٦)، تاريخ اليمامة (٥/ ١١٩).

نعم أفلت شـمسُ العلـومِ وبدرُها لدن غيبت حبرَ الزمـانِ الجنادلُ
إمامُ الهـدى عبدُ العزيز بـنُ ناصر فكم نصرَ الإسلامَ، منه رسائلُ[١]

إلى آخر ما قال، فرحم الله الجميع رحمة واسعة.

الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله[٢]:

هو الشـيخ العلامة الفقيه مفتي نجد في وقته عبدالله بن عبدالرحمن بن عبدالعزيز بـن عبدالرحمن بـن عبدالله بن سـلطان بن خميـس، الملقب كأسـلافه أبابطين، ولد رحمه الله عام ١١٩٤هـ في روضة سـدير، ونشأ بها وقرأ القرآن وحفظه.

أخذ العلم في الروضـة عن والده[٣] وعن الشـيخ محمد بن عبدالله بن طراد الدوسري، ثم انتقل إلى شقراء، وقرأ على قاضيها الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله الحصين تلميذ الشيخ محمد بن عبدالوهاب.

وانتقل إلى الدرعية فقرأ على الشـيخ عبدالله والشـيخ حمد بن معمر، وممن أخذ عنهم أيضًا: الشـيخ أحمد بن حسن بن رشـيد الحنبلي والشيخ حسين الجعفري.

كان رحمه الله إمامًا في التوحيد والتفسـير والحديث، وأما الفقه فإليه المنتهى فقد كان عارفًا بالمذاهب والاختـلاف، بل ألفاظ المتون والكتب وعباراتها، قال في السحب:

---

(١) الدرر السنية (١٢/ ٥١).

(٢) راجع ترجمته في: الدرر السنية (١٢/ ٧٥)، روضة الناظرين (١/ ٣٣٨)، علماء نجد (٢/ ٥٦٧)، مشاهير علماء نجد (٢٣٥)، السحب الوابلة (٢/ ٦٢٦)، الأعلام (٤/ ٩٧)، تاريخ اليمامة (٥/ ١٥٦)، معجم المؤلفين (٦/ ٧٢).

(٣) كان والد جده من العلماء، وله مجموع في الفقه. انظر: السحب الوابلة (٢/ ٦٢٦).

«وأما اطلاعه على خلاف الأئمة الأربعة بل وغيرهم من السلف والروايات والأقوال المذهبية فأمر عجيب، ما أعلم أني رأيت في خصوص هذا من يضاهيه بل ولا يقاربه»[١].

هذا مع ما منحه الله تعالى من قوة الحفظ وسداد الرأي.

ولي القضاء في عهد سعود بن عبدالعزيز عام ١٢٢٠هـ في الطائف لمدة عامين شغلها أيضًا بالتدريس للطلاب في التفسير والحديث والفروع والتوحيد ثم عاد إلى شقراء وتولى قضاءها. ثم انتقل إلى قضاء عمان.

وفي عهد الإمام تركي بن عبدالله تولى قضاء الوشم وسدير، وفي عام ١٢٤٨هـ، انتقل إلى قضاء عنيزة بطلب من أهلها، فمكث فيها قاضيًا لمدة اثنين وعشرين عامًا، وفي عام ١٢٧٠هـ ترك القضاء وعاد إلى شقراء وتفرغ للتدريس[٢]، فقصده الطلاب من كل مكان وانتفعوا بمجالسته، وممن تخرج على يديه:

الشيخ علي بن محمد آل راشد.

والشيخ محمد بن إبراهيم السناني.

والشيخ محمد بن عبدالله بن مانع[٣].

والشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع[٤].

---

(١) السحب الوابلة (ص ٢٥٦).

(٢) راجع: روضة الناظرين (١/ ٣٣٦)، مشاهير علماء نجد (ص ٢٣٦).

(٣) وقد تزوج ابنة الشيخ عبدالله.

(٤) وهو سبط الشيخ عبدالله، ابن الذي قبله.

والشيخ محمد بن عبدالله بن حميد صاحب السحب الوابلة[١].

والشيخ صالح بن عيسى بن زيد.

والشيخ محمد بن عمر بن سليم.

والشيخ محمد بن عبدالله بن سليم.

والشيخ عثمان بن بشر.

وغيرهم كثير من أعيان نجد وقضاتها[٢].

صنَّف كثيراً من المصنفات، منها:

١- رده المطول على داود بن جرجيس المسمى: «تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس»[٣].

٢- رد آخر مختصر بعنوان: «الانتصار لحزب الله الموحدين والرد على المجادل من المشركين»[٤].

٣- حاشية نفيسة على شرح المنتهى.

٤- حاشية على الروض المربع[٥].

---

(١) المعروف أن صاحب السحب الوابلة كان له موقف من أئمة الدعوة، ولذا لم يترجم للشيخ محمد ولا لأولاده أو تلاميذه بل تعرض لهم بالنيل أحيانًا مع الثناء على الذين حاربوا الدعوة وردوا عليها، ما عدا الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين فإنه ترجم له وأثنى عليه. السحب الوابلة (٢/ ٦٢٦).

(٢) انظر: علماء نجد (٢/ ٥٧٣)، روضة الناظرين (١/ ٣٣٨).

(٣) وهو مطبوع، ومسودته بخط المؤلف في عنيزة، ذكر ابن بسام أنه رآها بنفسه. علماء نجد (٢/ ٥٧٤).

(٤) وهو مطبوع أيضًا.

(٥) وهو مطبوع في جزأين.

٥- مختصر بدائع الفوائد لابن القيم[١].

٦- مختصر إغاثة اللهفان[٢].

وله جمع من الرسائل والأجوبة والردود والفتاوى[٣].

وقد أحبه الناس بقلوبهم لما يرونه منه من قيام بحوائجهم وسلامة نيته وعدله وإعراضه عن الدنيا وإقباله على الآخرة، فقد كان دمث الأخلاق لا يحب الشهرة، وقورًا له حزب من الليل لا يتركه، كثير التلاوة، ويصدع بكلمة الحق لا يخاف في الله لومة لائم[٤].

وقد توفي رحمه الله عام ١٢٨٢هـ، وخلف من الأبناء عبدالعزيز وعبدالرحمن[٥]، رحمه الله رحمة واسعة.

الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله[٦].

هو الإمام العالم العلامة عبدالرحمن بن حسن بن محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية عام ١١٩٣هـ، تربى في حجر جده شيخ الإسلام حيث توفي والده وهو صغير في معركة غرابة[٧]، فنشأ نشأة علمية، فقرأ على جده في كتاب التوحيد ولم يكمله، وقرأ عليه في الفقه، واستمع إلى قراءة الكبار عليه.

---

(١) ذكر ابن بسام أنه رآه بخط المؤلف في مكتبة آل مانع بعنيزة. علماء نجد (٢/ ٥٧٤).

(٢) وهو مطبوع عام ١٣٩٢هـ.

(٣) راجع: مجموعة الرسائل والمسائل، والدرر السنية.

(٤) انظر: روضة الناظرين (١/ ٣٣٩).

(٥) انظر: علماء نجد (٢/ ٥٧٥)، الروضة (١/ ٣٤٠). وقال صاحب المشاهير: ولا أعرف له أبناء إلا ابنه عبدالعزيز (ص ٢٣٨).

(٦) راجع ترجمته في: عنوان المجد (٢/ ٤٢)، الدرر السنية (١٢/ ٦١)، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٥٦)، مشاهير علماء نجد (ص ٧٨)، روضة الناظرين (١/ ٢٠١)، الأعلام (٣٠٤)، معجم المؤلفين (٥/ ١٣٥)، تاريخ اليمامة (٥/ ١٠٠).

(٧) علماء نجد (١/ ٥٦)، ولم أجد أخبارًا تفصيلية عن هذه المعركة.

توفي جده وله من العمر ثلاث عشرة سـنة، فأقبل على علماء الدرعية، وتلقى عنهم، وأشرب قلبه حب العلم ومدارسـته ومطالعة الكتب والقراءة فيها.

قرأ على عمه الشـيخ عبدالله بن محمد، وعلى الشـيخ حمد بن معمر، وقرأ على الشيخ حسين بن غنام شرح الفاكهي على المتممة في النحو، وقرأ على الشيخ عبدالرحمن بن خميس في الفرائض، وقرأ على الشيخ أحمد بن حسن الحنبلي في الجزرية[٨].

تولى مع عمه قضاء الدرعية ثم تولى قضاء مكة[٩].

وحين سقطت الدرعية في يد إبراهيم باشـا انتقل إلى مصر ومعه أبناؤه فأقبل على العلم وتلقى عن علماء الأزهر فقرأ على الشـيخ إبراهيم العبيدي شـيخ مصر في القراءات، وعلى الشـيخ أحمد سـلمونه كثيرًا من الشاطبية وشرح الجزرية، وقرأ على الشيخ يوسف الصاوي والشيخ إبراهيم البيجوري شرح الخلاصة، وقرأ على الشـيخ المؤرخ عبدالرحمن الجبرتي. وأخذ عن مفتي الجزائر محمد بن محمود الجزائري وغيرهم من علماء الأزهر[١٠]. وقد أجازه كثير منهم[١١].

ولما أعاد تركي بن عبدالله بن محمد بن سـعود الدولة السـعودية مرة أخرى في نجد كتب إلى الشـيخ عبدالرحمن يسـتحثه على الرجوع، فخرج

(٨) راجع: الدرر السنية (١٢/ ٦١).
(٩) علماء نجد (١/ ٥٧).
(١٠) انظر: الدرر (١٢/ ٦١).
(١١) ذكر صاحب مشاهير علماء نجد نص الرسالة التي بعثها الشيخ عبدالرحمن لبعض تلاميذه حين سأله عن مشايخه في نجد ومصر ص٨٧. وانظر: مجموعة الرسائل (٢/ ٢٠).

الشـيخ رحمه الله من مصر متجهًا إلى نجد، ولما وصل إلى الريـاض تلقاه الأمير تركي بن عبدالله وسـائر أهل الرياض بالإكرام والتبجيـل وفرحوا بمقدمه فرحًا عظيمًا(١).

فكان الشـيخ عبدالرحمن مع الإمام تركي كما كان جده مع جده ثم كان كذلك مع ابنه فيصل بن تركي، فكان رحمه الله على قضاء الرياض مع إدارته لكثير من أمور المسلمين، وجلوسـه لتعليم الطلاب في كثير من الأوقات، هذا مع تصنيف الكتب وردوده علـى المناوئين للدعوة السـلفية والمثيرين حولها الشبهات، فكان رحمه الله مثال العالم الرباني الذي بذل وقته وجهده وفكره لخدمة الإسلام والمسـلمين والذب عن عقيدة التوحيد والدفاع عنها أَمام هجمات المشركين والمبتدعين(٢).

كل ما سـبق مع ما وهبـه الله تعالى مـن زهد في الدنيـا وإعراض عن حطامها، مع حسـن في الخلق والخلق، وكان رحمه الله حسـن السـمت، شديد التثبت، هينًا لينًا شجاعًا مهيبًا، متواضعًا محبًّا للطلبة والمساكين، جوادًا سخيًّا كثير العبادة والتضرع والدعاء كأن النور يخرج من وجهه(٣).

وقد تخرج على يديه كثير من الطلبة، ومن أبرزهم:

١- ابنه الشيخ عبداللطيف.

---

(١) قال فلبي في تاريخ نجد (ص ١٧٨): «ثم وصل من مصر شخص آخر بارز هو الشيخ عبدالرحمن بن حسن حفيد محمد بن عبدالوهاب، فاحتل منصب قاضي الرياض، ذلك المنصب الذي قدر للشيخ أن يشغله سنوات عديدة يشاركه ابنه وتلميذه الشيخ عبداللطيف، وقد لعب الوالد وابنه دورًا مهمًّا في جعل الدين عاملاً له أثره في حياة العرب». نقلاً عن «مشاهير علماء نجد» (ص ٨١).

(٢) انظر: الدرر السنية (١٢/ ٦١).

(٣) انظر: الدرر السنية (١٢/ ٦١).

٢- الشيخ عبدالرحمن بن حسين بن محمد.

٣- الشيخ حسين بن حمد آل الشيخ.

٤- الشيخ حمد بن عتيق.

٥- الشيخ عبدالعزيز بن عبدالجبار.

٦- الشيخ عبدالرحمن الثميري.

٧- الشيخ عبدالرحمن بن مانع.

٨- الشيخ حسن بن حسين بن محمد.

وكثير من العلماء وطلبة العلم، فقد كان مرجع نجد والجزيرة في وقته.

وقد ترك جملة من المؤلفات النافعة، منها:

١- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد لجده[1].

٢- قرة عيون الموحدين، وهو حاشية على كتاب التوحيد، وقد طبع مرارًا.

٣- القول الفصل النفيس في الرد على داود بن جرجيس[2].

---

(١) قال عنه الشيخ البسام: «وهو تهذيب وإكمال لتيسير العزيز الحميد لابن عمه الشيخ سليمان بن عبدالله». علماء نجد (١/ ٦٠).

(٢) طبع هذا الكتاب في مطبعة أنصار السنة عام ١٣٦٥هـ بتحقيق: الفقي، وهذه الطبعة فيها كثير من الأخطاء، وطبع مرة أخرى بدار الهداية بالرياض طبعة مطابقة للطبعة الأولى بالاسم أعلاه، ثم أعيد طبعه بتحقيق: عبدالعزيز آل حمد عام ١٤١٥هـ باسم «كشف ما ألقاه إبليس من البهرج والتلبيس على قلب داود بن جرجيس». وقد أورد المحقق تعليلات وجيهة جدًّا لاختياره هذا الاسم. راجع: مقدمة الكتاب (ص ١٣).
وسماه الشيخ ابن قاسم في الدرر (١٢/ ٦٣) تأسيس التقديس.

وله مجموعة من الردود على عثمان بن منصـــور[١]، وعلى ابن حميد[٢] وغيرهما.

إضافة إلى جملة من الفتاوى والرســائل والأجوبة المفرقة في مجموعة الرسائل والدرر السنية.

وقد توفي رحمه الله في ذي القعدة عام ١٢٨٥هـ. وقد ولد للشيخ خمسة أولاد، أكبرهم محمد الذي قتل في حرب الدرعية وليس له عقب، وإسماعيل وليس له عقب أيضًا، وعبداللطيف وإسحاق وعبدالله وقد أعقب هؤلاء الثلاثة.

وقد رثاه تلميذه الشيخ عبدالرحمن بن محمد بن مانع بقصيدة قال فيها:

ألا رد رِداءَ الصبرِ في حادثِ الأمرِ ... وفوّض بتسليمٍ مع الحمدِ والشكر

لقد ظلَّ أهلُ الحقِّ مــن بعد موتِه ... حيارى كأيتامٍ أصيبــوا على صغر

فيــا مهجتــي حقًّــا عليــه تفتتي ... ويا عبرتي خلي دموعَ الأسى تجري

مضى عابدُ الرحمــنِ نجلُ محمدٍ ... مجددُ دينِ اللهِ عن وصمة الكفر[٣]

الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله[٤].

هو الشــيخ العالم العلامــة عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حســن بن

---

(١) عثمان بن عبدالعزيز بن منصور الناصري، ولد في بلدة الفرعة بالوشم في أوائل القرن الثالث عشر، وطلب العلم في العراق، وكان قد شرح كتاب التوحيد أول حياته بكتاب سماه «فتح الحميد» وله مؤلفات أخرى، توفي في حوطة سدير من بلاد نجد. انظر: علماء نجد (٣/ ٦٩٣).

(٢) محمد بن عبدالله بن حميد، ولد في عنيزة سنة ١٢٣٢هـ، كان إمام المقام الحنبلي في مكة، تتلمذ على جمع من العلماء منهم الشيخ أبابطين، توفي في مكة عام ١٢٩٥هـ.
انظر: علماء نجد (٣/ ٨٦٢).

(٣) روضة الناظرين (١/ ٢٠٥).

(٤) راجع ترجمته في: الدرر السنية (١٢/ ٦٦)، علماء نجد خلال ستة قرون (١/ ٦٣)، مشاهير علماء نجد (ص ٩٣)، معجم المؤلفين (٦/ ١١)، روضة الناظرين (١/ ٣٠٨)، تاريخ اليمامة (١/ ١٣٦).

محمد بن عبدالوهاب، ولد في الدرعية عـــام ١٢٢٥هـ وعاش أيامه الأولى فيها، وبعد أن ســقطت الدرعية عام ١٢٣٣هـ في يد إبراهيم باشـــا انتقل مع والده إلى مصر وهناك نشأ وترعرع وتزوج فيها وأقبل على العلم بكليته فأخذ عن جملة من علماء نجد الذين انتقلوا إلى مصر، وفي مقدمتهم:

جده لأمه الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب.

وخاله عبدالرحمن بن عبدالله.

ووالده عبدالرحمن بن حسن.

والشيخ أحمد بن حسن بن رشيد الحنبلي.

وأخذ أيضًا عن علماء مصر والوافدين إليها من أمثال:

الشيخ محمد بن محمود الجزائري.

الشيخ إبراهيم الباجوري شيخ الأزهر.

والشيخ مصطفى الأزهري.

والشيخ أحمد الصعيدي[1].

فأتقن الفـــروع والأصول وبرع فـــي الحديث ومصطلحه وفي التفســير وعلوم العربية، قال عنه علامة العراق محمود شكري الألوسي:

«العلامة الأوحد الكبير علامــة المعقول والمنقول حاوي علمي الفروع والأصول»[2].

---

(١) علماء نجد (١/ ٣).

(٢) نقلًا عن مشاهير علماء نجد (ص٩٣).

وقد مدحه كثير من العلماء والشعراء في قصائدهم، فمن ذلك قول ابن سحمان: =

وفي عام ١٢٦٤هـ انتقل من مصر إلى الرياض فالتقى هو ووالده هناك، ثم تولى قضاء الأحساء، ثم عاد مرة أخرى إلى الرياض فكان على قضائها مع والده، وكانت دروسه في تلك الحقبة عامرة بالعلم والفوائد في كثير من الفنون، وقد أفاد منها كثير من الطلاب، وقد عاصر في تلك الحقبة الإمام فيصل بن تركي رحمه الله، وكان الإمام يستشيره فيما يعرض له من أمور الدولة.

وقد عاش الشيخ عبداللطيف الفتنة التي حصلت بين أبناء فيصل بن تركي؛ عبدالله وسعود[1]، فكانت مواقفه رحمه الله تشهد بإدراكه مناهج السلف في أيام الفتن والمحن، فقد كان رحمه الله حريصًا على حقن الدماء وعلى جمع الشمل وتوحيد الكلمة، باذلاً في ذلك ما يستطيع[2].

وقد تخرج على يديه كثير من الطلبة، ومنهم:

ابنه الشيخ عبدالله.

وأخوه الشيخ إسحاق.

والشيخ حسن بن حسين.

والشيخ محمد بن فارس، أخذ عنه النحو.

والشيخ سليمان بن إبراهيم بن محمود.

= فعبداللطيف الحبر أوحد عصره ... إمام هدى قد كان لله داعيا

لقد كان فخرًا للأنام وحجة ... وثقلاً على الأعداء عضبًا يمانيا

راجع: الدرر السنية (١٢/ ٧٠).

(١) بدأت الفتنة بعد وفاة فيصل بن تركي حيث تولى ابنه عبدالله فنازعه سعود واستمر القتال بينهما حتى استولى أخيرًا ابن رشيد.

(٢) راجع القصة مع بيان موقف الشيخ رحمه الله في هذه الواقعة في: مجموعة الرسائل (١/ ٤١٠)، الدرر السنية (٧/ ١٧٢)، وما بعدها، (٧/ ١٨٣) وما بعدها (٧/ ١٤٢) وما بعدها، تاريخ المملكة العربية السعودية (١/ ٢٨٥).

والشيخ صعب التويجري.

والشيخ عبدالرحمن بن مانع. وغيرهم كثير[١].

وله رحمه الله كثيرٌ من المؤلفات، منها:

١- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس[٢].

٢- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، وهو رد على عثمان بن منصور[٣].

٣- البراهين الإسلامية في الرد على الشبهات الفارسية[٤].

٤- رد آخر مختصر على داود بن جرجيس بعنوان: «دلائل الرسوخ في الرد على المنفوخ»[٥].

٥- الإتحاف في الرد على الصحاف[٦].

---

(١) راجع: مشاهير علماء نجد (ص ٩٦).

(٢) وهو مطبوع بهذا الاسم، وكذا في معجم المؤلفين (٦/ ١١)، وسماه ابن قاسم في الدرر السنية (١٢/ ٧١)، منهاج التأسيس في كشف شبهات داود بن جرجيس، وذكره في الروضة ومشاهير علماء نجد باسم: تأسيس التقديس في الرد على داود بن جرجيس. وقد توفي الشيخ عبداللطيف قبل إتمام الكتاب فأتمه الشيخ محمود شكري الألوسي وسماه فتح المنان في الرد على صلح الإخوان تتمة لمنهاج التأسيس.
وقد طبع هذا الكتاب أولاً في مطبعة أنصار السنة بمصر بإشراف الشيخ الفقي عام ١٣٦٦هـ، ثم الطبعة الثانية في دار الهداية بالرياض بإشراف إسماعيل بن سعد بن عتيق عام ١٤٠٧هـ.

(٣) وقد طبع هذا الكتاب في الهند وفي مصر ثم طبع في دار الهداية بالرياض بإشراف إسماعيل بن عتيق وهو رد على كتاب عثمان بن منصور «كشف الغمة».

(٤) وهو مطبوع في الرياض بتحقيق: الأستاذ محمد العارف بن عثمان الهرري عام ١٤١٠هـ.

(٥) بهذا الاسم في طبعته الأولى والثانية. وقد حققه: عبدالسلام بن برجس آل عبدالكريم، وطبع بعنوان: تحفة الطالب والجليس عام ١٤٠٨هـ، وقد ذكر في المقدمة المرجحات لهذه التسمية ص ١٣، وهو بهذا الاسم عند ابن قاسم في الدرر (١٢/ ٧١).

(٦) مطبوع في دار العاصمة بالرياض عام ١٤١٦هـ بتحقيق: عبدالعزيز الزير.

٦- وقد شرع رحمه الله في شرح النونية إلا أن المنية وافته قبل إتمامه، وله مع ذلك كثيرٌ من الرسائل والردود والأجوبة[١].

وقد كان له رحمه الله كثيرٌ من القصائد، فقد كان شاعرًا كما كان ناثرًا، فمنها رده على البولاقي الذي عارض قصيدة الأمير محمد بن إسماعيل الصنعاني في مدحه للشيخ محمد بن عبدالوهاب، يقول في مطلعها:

تبسمَ وجهُ النصرِ في طالعِ السعدِ وأشرقَ نورُ الحقِّ في كوكب الرشدِ

وأيدَ نظمٌ للأمير محمدٍ فأدبرَ نحسٌ للطوالعِ بالسعدِ

وهي طويلة تبلغ ثلاثة وتسعين بيتًا[٢].

وله قصيدة رائية في الرد على عثمان بن منصور حين هجا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ومدح داود بن جرجيس، يقول في مطلعها:

على وجهها الموسوم بالشؤمِ والغدرِ شمائلُ زيغٍ لا تزالُ مدى الدهر

لئن سودتها كفُّ باغٍ وغادرٍ فأقلامُنا بالردِّ أنهارُها تجري

إلى آخر ما قال رحمه الله[٣].

وبالجملة فقد وهبه الله تعالى قلمًا سيالاً نظمًا ونثرًا، فجمع الله له حسن العبارة مع دقيق الإشارة وجمال المباني مع جودة المعاني.

وقد خلف من الأبناء الشيخ عبدالله والشيخ إبراهيم والشيخ محمداً

---

(١) راجع: مجموعة الرسائل والمسائل والدرر السنية.

(٢) راجع: القصيدة في الدرر السنية (٩/ ٣٧٤).

(٣) راجع: القصيدة في الدرر السنية (٩/ ٣٤٩).

وله أيضًا من القصائد القصيدة التي بعث بها إلى ابن طوق وصور فيها تلك الفتنة التي جرت بين أبناء فيصل بن تركي. راجع: مشاهير علماء نجد (ص١١٥).

والشيخ عمر والشيخ عبدالرحمن والشيخ عبدالعزيز والشيخ صالحاً، وكلهم ولدوا في نجد ولهم عقب.

وأما أكبرهم فأحمد، وقد ولد في مصر، ولما أراد الشيخ الخروج من مصر عرض عليه مرافقته فامتنع، ولا يعرف له ذرية.

وقد كانت وفاته عام ١٢٩٣هـ[١].

ورثاه كثير من العلماء والشعراء، منهم ابنه الشيخ عبدالله وابن طوق وابن سحمان في يائية يقول في مطلعها:

تذكرتُ والذكرى تهيجُ البواكيا   وتُظهر مكنونًا من الحزنِ ثاويا
معاهد كانت بالهدى مستنيرة   وبالعلم يزهو ربعُ تلك الروابيا[٢]

رحم الله الشيخ رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته.

الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله[٣]:

هو العلامة الأصولي المفسر الفقيه حمد بن علي بن محمد بن عتيق بن راشد بن حميضة، ينسب إلى جده الثاني «عتيق» وتعرف أسرتهم بآل عتيق، ولد في الزلفي عام ١٢٢٧هـ وقرأ القرآن وحفظه.

انتقل إلى الرياض وقرأ على علمائها وخصوصًا:

---

(١) انفرد الشيخ ابن قاسم بتاريخ وفاته عام ١٢٩٢هـ فلا أدري أهو خطأ في الطباعة أم أنه هكذا جاء في الأصل؟
راجع: الدرر (١٢/ ٧٣).

(٢) راجع: الدرر السنية (١٢/ ٧٤).

(٣) راجع ترجمته في: الدرر السنية (١٢/ ٧٧)، روضة الناظرين (١/ ٨٧)، مشاهير علماء نجد (ص ٢٤٤)، علماء نجد (١/ ٢٢٨)، الأعلام (٢/ ٢٧٢)، تاريخ اليمامة (٥/ ٦٥)، المستدرك على معجم المؤلفين (ص ٢٢٠).

الشيخ عبدالرحمن بن حسن وابنه عبداللطيف، والشيخ علي بن حسين، والقاضي عبدالرحمن بن عدوان.

تولى قضاء الخرج ثم انتقل إلى الحلوة ومنها إلى الأفلاج فاستقر بها، ووفد إليه الطلاب فتخرج عليه أبناؤه الثلاثة سعد وعبدالعزيز وعبداللطيف، وعبدالله وإبراهيم ومحمد أبناء الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن، والشيخ سليمان بن سحمان وغيرهم كثير[١].

وكان ﵀ يُدَرِّس الأصول والفروع والتفسير والحديث فانتفع به الطلاب.

كان شديدًا في الحق لا يخاف في الله لومة لائم، مثالاً في العدل والنزاهة وإيثار الآخرة.

له كثير من التآليف النافعة، منها:

١- إبطال التنديد في اختصار شرح كتاب التوحيد.

٢- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك.

٣- الفرقان المبين بين مذهب السلف وابن سبعين.

٤- الدفاع عن أهل السنة والاتباع[٢].

وله كثيرٌ من الرسائل والردود[٣].

---

(١) انظر: روضة الناظرين (١/ ٨٧)، علماء نجد (١/ ٢٢٨).

(٢) وكل هذه الكتب والرسائل مطبوعة بحمد الله.

(٣) كثير منها في مجموعة الرسائل والمسائل والدرر السنية، وقد جمع بعضها إسماعيل بن عتيق في مجموع بعنوان: «مجموعة رسائل الشيخ حمد بن عتيق، ومجموع آخر بعنوان: هداية الطريق من رسائل وفتاوى حمد بن عتيق» يحتوي الأول على ١٥ رسالة والثاني على ٢٠ رسالة، وكل ما في الأول مضمن في الثاني ما عدا رسالة: نظم الأسباب التي بها حياة القلب.

وكان الشيخ رحمه الله يراسل إخوانه في الله من العلماء وطلبة العلم مودة ومناصحة، فله الرسالة الشهيرة التي بعث بها إلى الشيخ صديق حسن خان وأثنى عليه فيها وطلب منه أن يرسل إليه بعض مؤلفاته القيمة، وقد أبدى له فيها بعض الملحوظات على تفسيره.

وهذه الرسالة تدل على رسوخ قدم الشيخ رحمه الله في التفسير وأصول الدين، وعلى أدبه وحسن التماسه المعاذير لإخوانه[١].

توفي الشيخ رحمه الله عام ١٣٠١هـ في الأفلاج. خلّف عشرة من الأولاد كلهم من العلماء.

ورثاه تلميذه الشيخ سليمان بن سحمان فقال:

على الحبرِ بحرِ العلمِ بدرِ المنابرِ وشمسِ الهدى فليبك أهلُ البصائر

وأيةُ عينٍ لا تثجُّ بمائِها عليه كثجِّ المعصراتِ المواطر

لقد كسفتْ للدينِ شمسٌ منيرةٌ يغطي سناها كلَّ باغٍ وكافر

يعزُّ علينا أن نرى اليومَ مثله لحلِّ عويصِ المشكلاتِ البوادر

فللهِ من حبرٍ تصعدَ للعلا فحلَّ على هامِ النجومِ الزواهر[٢]

رحمه الله رحمة واسعة.

---

(١) الرسالة كاملةً في مجموعة رسائل ابن عتيق (ص ٧٣)، وقد ساقها صاحب مشاهير علماء نجد (ص ٢٤٥).

(٢) راجع: الدرر السنية (١٢/ ٧٩).

المبحث الثاني

آثار دعوة التجديد

أ- في إصلاح العقيدة

ب- في بعث الحركة العلمية

ج- في إصلاح الجوانب السياسية

د- في إصلاح الجوانب الاجتماعية

أ- في إصلاح العقيدة:

إن أثر دعوة الإمام الشـيخ محمد بن عبدالوهاب ﷫ في البلاد النجدية أعظم بكثير من أن نتناوله في هــذه العجالة، ولعل أعظم ما يعين على تلمس الأثر الحاصل من تلك الدعوة الاطلاع على حال تلك البلاد قبل الدعوة وما كانت عليه في أمر الاعتقاد والدين.

لقد كانت جزيرة العرب -والبلاد النجدية منها بصفة خاصة- تظهر فيها بعض مظاهر الشـرك والبعد عن منهج الله تعالى، والعدول عن التحاكم إلى الكتاب والسـنة إلى التحاكم إلى أوضاع جاهلية ومصـادر طاغوتية. وكان يظهر فيها الزهد في الدين والعدول عن تعلم أحكامه، فقد كان الناس عندهم ما يشغلهم من أمر السـلب والنهب والانكباب على أمر المعاش، ولم يكن عندهم من الدوافع ما يحملهم على الإقبال على الشـرع والاستسـلام لأمر الدين.

لقد كان العالم الإسـلامي كله يعيش حالة من الفتـور في كل ناحية من نواحيه ومجالات نشاطه.

ونجد -والجزيرة العربية بصفة عامة- كانت تعيش جزءًا من هذا الواقع، يقول مسـعود الندوي واصفاً أهل نجد: «وكانت العقائـد الوثنية قد تمكنت من القلوب بمر القرون، حتـى إن كثيرًا من الناس كانوا يظنون هذه الخرافات أنموذجًا صحيحًا للدين، وما كان عندهم أي اسـتعداد للتزحزح عما وجدوا عليه آباءهم خطأً كان أو صوابًا»[١].

---

(١) محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه (ص ٢٩).

وقد فصَّل الشيخ حسين بن غنام رحمه الله مظاهر الانحراف عن الإسلام الصحيح في تاريخه: «روضة الأفكار والأفهام»[١]، وكذا الشيخ عبدالرحمن بن حسن[٢]، والشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن[٣] وغيرهم من أهل العلم.

لقد عدل بعض الناس إلى عبادة القبور والتبرك بها، فقد كانوا ينتابون قبر زيد بن الخطاب في الجبيلة، وقبر ضرار بن الأزور في شعيب غبيراء، وقبر ابن عباس في الطائف، وقبر خديجة في مكة وغيرها من القبور. كما كانوا يتبركون بالأشجار والأحجار ويطلبون منها ما لا يطلب إلا من الله تعالى، فقد كان معروفًا عندهم نخل «الفحّال» الذي يكثر في بعض المناطق، فكانت المرأة التي يتأخر نكاحها تأتي إليه وتضمه وتقول: يا فحل الفحول أريد زوجًا قبل الحول.

وكان أسفل الدرعية غار يقال له غار بنت الأمير، فكان الناس يرسلون إليه الخبز واللحم وأصناف الهدايا.

وكان عندهم من الطواغيت ممن يزعمون أنهم أولياء ترجى بركتهم ويتقرب إليهم بأصناف العبادات التي لا يجوز أن تصرف إلا لله تعالى[٤].
يقول المؤرخ الأمريكي لوثروب ستودارد مصورًا حالة العالم الإسلامي:

«وأما الدين فقد غشيته غاشية سوداء، فألبست الوحدانية التي علمها

---

(١) انظر: تاريخ نجد، ابن غنام، تحقيق: الأسد (ص ١٥).
(٢) انظر: الدرر السنية (٦/ ٤٢٢).
(٣) انظر: المرجع السابق (١/ ٣٧٨)، حيث أطال الشيخ في بيان حالة الأمة قبل قيام الدعوة. وانظر: الدرر (١/ ٢٧٩، ٥١٥)، عنوان المجد (١/ ٣٤)، مواد لتاريخ الوهابيين (ص ١٣)، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي (ص ٢٠).
(٤) انظر في كل ما سبق: تاريخ نجد (ص ١٥)، الدرر السنية (١/ ٣٧٨).

صاحب الرسالة الناس سجفًا من الخرافات وقشور الصوفية، وخلت المساجد من أرباب الصلوات وكثر عدد الأدعياء الجهلاء وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكان يحملون في أعناقهم التمائم والتعاويذ والسبحات، ويوهمون الناس بالباطل والشبهات ويرغبونهم في الحج إلى قبور الأولياء... إلى أن قال: وعلى الجملة فقد بدل المسلمون غير المسلمين، وهبطوا مهبطًا بعيد القرار، فلو عاد صاحب الرسالة إلى الأرض في ذلك العصر، ورأى ما كان يدهي الإسلام لغضب وأطلق اللعنة على من استحقها من المسلمين، كما يلعن المرتدون وعبدة الأوثان»[1].

وقال الشوكاني ﵀ عن البلاد النجدية: «وكانت تلك البلاد قد غلبت عليها أمور الجاهلية، وصار الإسلام فيها غريبًا»[2].

في مثل هذه الأوضاع التي شابها كثير من الفساد والبعد عن شرع الله ودينه خرج الشيخ محمد بن عبدالوهاب ﵀ بدعوته السلفية التجديدية، فأمر بالمعروف ونهى عن المنكر وجاهد في الله تعالى، فخاطب الناس ووعظهم وذكرهم وبيّن لهم التوحيد وحثهم عليه وأقام الأدلة الشاهدة له وحذّرهم من الشرك وبيّنه لهم، فأقبل الناس على العقيدة الصحيحة والتزموها، واطرحوا الشرك وما وجدوا عليه الآباء والأجداد، وبقيت بقية شرقت بالحق والخير إما جهلاً أو عنادًا، أو حرصًا على الجاه والمال والمنزلة، أو جمودًا على ما كان عليه الأسلاف والأجداد، فعارضوا دعوة التوحيد وعادَوها، فكان لابد من جهاد هم بالسيف والسنان وأطرهم على الحق أطرًا، وقصرهم على التوحيد قصرًا.

---

(١) حاضر العالم الإسلامي (١/ ٢٥٩-٢٦٠).

(٢) البدر الطالع (١/ ٢٦٢). وانظر: عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح العبود (ص ٢٩) وما بعدها، فقد جمع كثيرًا من النقول التي توضح جهل كثير من المسلمين بدينهم ووقوعهم في الشرك.

واستمرت حياة الشـيخ وأبنائه وتلاميذه على هذه السيرة، دعوة وجهادًا وتعليمًا وإرشـادًا، حتى تغيـرت معالم الجزيرة وانتشـر الهـدى والنور، وتعلم الناس العقيدة الصحيحة وعملوا بها، وانقشـعت ظلم الشرك والبدع والانحراف عن منهج الله تعالى.

يقول العلامة محمود شكري الآلوسي عن الشيخ محمد بن عبدالوهاب: «والحاصل أنه كان من العلماء الآمرين بالمعروف الناهين عن المنكر، وكان يعلم الناس الصلاة وأحكامها وسـائر أركان الدين، ويأمر بالجماعات، وقد جد في تعليم الناس وحثهـم على الطاعة، وأمرهم بتعليم أصول الإسـلام وشـرائطه وأحكام الصلاة وأركانها وواجباتها وسننها، وسائر أحكام الدين، وأمر جميع أهل البلاد بالمذاكرة في المساجد كل يوم بعد صلاة الصبح وبعد العشـاءين في معرفة الله تعالى ومعرفة دين الإسلام، ومعرفة أركانه وما ورد عليه من الأدلة، ومعرفة النبي محمد ﷺ ونسبه ومبعثه وهجرته، وأول ما دعا إليه من كلمة التوحيد وسـائر العبادات التي لا تنبغـي إلا لله تعالى كالدعاء والذبح والنذر والخوف والرجاء والخشـية والرغبـة والتوكل والإنابة وغير ذلك، فلم يبق أحد من عوام أهل نجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك إلى اليوم، بعد أن كانوا جاهليـن بها إلا الخواص منهم، وانتفع الناس به من هذه الجهة الحميدة»[١].

وقال الشـوكاني: «وصـاروا مقيمين لفرائـض الدين بعـد أن كانوا لا يعرفون من الإسلام شـيئًا ولا يقومون بشـيء من واجباته إلا مجرد التكلم بلفظ الشـهادتين على ما في لفظهم من عوج، وبالجملـة فكانوا في جاهلية

---

(١) تاريخ نجد للآلوسي (ص ١١٤).

جهلاء -كما تواترت بذلك الأخبـار إلينا- ثم صاروا الآن يصلون الصلوات لأوقاتها، ويأتون بسائر الأركان الإسلامية على أبلغ صفاتها»[١].

وإن ما يعيشه الناس اليوم في جزيرة العرب، وبلاد نجد من خير واستقامة في العقيدة، ووضوح في المنهج واتباع للشرع وتحاكم إليه فإن هذه الدعوة المباركـة - بعد توفيق الله - أعظم أسـبابه، فقد أصبحت العقيدة السـلفية الصحيحة ظاهرة والاتباع شائع محكم، وأضحت البدع مستترة والخرافات متوارية، وخزعبلات المشـعوذين من السـحرة والكهان وعبـاد الأوثان لا تجد لها رواجًا، إلا عند من طمس الله تعالى بصيرته فعشي عن إبصار الحق والاستنارة بنوره فلله الحمد والمنة.

ب- في بعث الحركة العلمية:

إذا كان ذلكم هو أثر الدعوة السلفية في تطهير الاعتقاد من مظاهر الشرك والبدع، فإن للدعوة آثارًا أخرى في غاية الأهميـة، لعل أبرزها بعث الحركة العلمية في أرض الجزيرة وما جاورها، وإن مما لا شك فيه أن وجود الإقبال على تعلم أحكام الشرع والحرص على ذلك دليل على وجود الحياة في تلك المنطقة، وهو مؤشر على مقدار اهتمامها بأمر الشرع والدين.

ولقد كان لهذه الحركة العلمية الفاعلة النشطة مظاهر، لعل من أبرزها:

أولاً: تلك الكوكبة مـن العلماء الأفذاذ الذين تخرجوا على يد الشـيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله أو أيدي تلاميذه وأبنائه، عبدالله وإبراهيم وحسين وعلي[٢]، فكانوا أعلامًا أحيا الله بهم ما انـدرس من الدين، وأوضح بهم ما

(١) البدر الطالع (٢/ ٥)، وانظر: دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (ص ٥٥١).

(٢) فائدة: أبناء الشيخ محمد رحمه الله ستة: الأربعة المذكورون، والشيخ حسن والد العلامة عبدالرحمن =

غاب من الملة، فهم منارات تربوية وجامعات علميــة، أثروا البلاد بحلقهم ودروســـهم[١] فأفاد منهم الخاص والعام، ولا تزال هذه البلاد -ولله الحمد والمنة- تحفل بكثيرٍ من العلماء الذين يمثلــون الامتداد الفكري والمنهجي لدعوة الشيخ محمد ﷾ المستمدة من الكتاب والسنة.

ثانيًا: المؤلفات العلمية النافعة القيمة التي ســطرها أئمة الدعوة، والتي تداولتها الأيدي وســارت بها الركبان، فانتفع بها العامــي والعالم والمبتدي والمنتهي لما فيها من علم غزير وصــدور عن الأصلين، فكانت بيانًا للمنهج وإيضاحًا للسبيل.

ثالثًا: الرسائل والأجوبة التي تصدر عن أئمة الدعوة لأبنائهم وتلاميذهم أو للولاة والعامة أو للمعترضين والمناوئين أو للمســتفهمين والسائلين عن حقيقة الدعوة، فقد كانت هذه الرســائل حصيلة علمية مباركة وجهداً شرعياً مؤصلاً، وقد جمعت بعض هذه الرســائل كما في كتاب «الرسائل والمسائل النجدية» وكتاب «الدرر السنية في الأجوبة النجدية».

رابعًا: من أبرز آثار هذه الحركة ومظاهرها حرص المجتمع بأســره على تعلم الدين والفقه في مســائل الشرع، حتى أضحى العوام يعرفون من أصول

= ابن حسن والشيخ عبدالعزيز، ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن فيمن كان يقرأ على الشيخ محمد بن عبدالوهاب في تفسير ابن كثير. انظر: مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ٢٠).
وزعم شكيب أرسلان أن للشيخ ١٨ ولدًا. حاضر العالم الإسلامي (٤/ ١٦٢)، ولعله -والله أعلم- قد استقى هذه المعلومة من مصدر غير دقيق. انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية (١/ ٣٤٦).

(١) انظر مثالًا لذلك ما ذكره ابن بشر (١/ ٣٤٨). ويقول الشيخ عبدالله بن محمد: فمن أراد تحقيق ما نحن عليه فليقدم علينا الدرعية فسيرى ما يسر خاطره، ويقر ناظره من الدروس في فنون العلم خصوصًا التفسير والحديث، ويرى ما يبهره -بحمد الله وعونه- من إقامة شعائر الدين، والرفق بالضعفاء والمساكين. ا.هـ.الدرر السنية (١/ ٢٤١).

الشرع وقواعد الدين ما يجهله كثير من غيرهم، وأصبح الوعي الشرعي ظاهرًا على الجميع قاصيهم ودانيهم قريبهم وبعيدهم.

يقول العلامة محمود شكري الآلوسي: «فلم يبق أحد من عوام نجد جاهلاً بأحكام دين الإسلام، بل كلهم تعلموا ذلك إلى اليوم بعد أن كانوا جاهلين بها إلا الخواص منهم»[(١)].

خامسًا: الحرص على اتباع الكتاب والسنة، والأخذ بالدليل، ونبذ التقليد الأعمى، ولو كان في ذلك مخالفة لأحد الأئمة الكبار، أو لمذهب الإمام أحمد أو قول شيخ الإسلام ابن تيمية أو ما اختاره الشيخ محمد بن عبدالوهاب مادام أن هذا الرأي هو ما تشهد له نصوص الوحي[(٢)].

ج- في إصلاح الجوانب السياسية:

لقد كانت بلاد الجزيرة ونجد بصفة خاصة تعيش حالة من الاضطراب والفوضى والتشتت، وكانت كل بلدة صغيرة تمثل حكومة قائمة بنفسها، وكانت العلاقة بين تلك البلاد قائمة على العداوة والغارات، ومع ذلك فلم تكن الأوضاع مستقرة بل كانت في تقلب دائم وتغير مستمر بسبب القتل والغارات، فكانت الولاية في كثير من البلدان في تغير بسبب المنافسات بين الأسر والوجهاء في كل بلدة.

وفي مثل هذه الأوضاع السياسية المشهورة كانت أوضاع الأمن أشد تدهورًا.

وحين نطالع في الكتب التي ترجمت لتلك الحقبة وأرخت أحداثها

---

(١) تاريخ نجد (ص ١١٤).

(٢) انظر ما يأتي في الاعتماد على منهج السلف في التفسير.

تواجهنا هذه الحقيقة «وهي أن القوم كانوا في عراك مستمر، ومرابطة دائمة، وثأر لا ينقطع، يتربص بعضهم ببعض الدوائر، ويتحين أهل كل قرية الفرصة للإيقاع بأهل القرية الأخرى، وقد ذهب في هذه الحروب -على صغر حجمها ولكن مع كثرة تكرارها- أعداد كبيرة، وليس من غير المتكرر أن تجد أن الجد قد قتل في عراك قتل فيه ابنه بعد عشرين عامًا، وحفيده بعد عشرين أخرى وهكذا، وأن تجد عائلة تخرج من الحكم ثم تعود وتخرج مُخرجَها مع خسائر في الأنفس في كلا الحالتين، هذا رغم أن هذه العائلات المتعادية قد تلتقي في نسبها في جد ليس بالبعيد كثيرًا»[١].

لقد كانت هذه الإمارات والقرى لا تعرف السكينة والأمن والحرية إلا قليلاً، ففي الحرب يقتل أبناؤها ويدمر بناؤها، ويحرق نخيلها ويتلف زرعها، وفي أوقات السلم يحبس الناس في بلدانهم فلا يستطيعون الابتعاد عنها إلا بمغامرة، فبداوة تسلب وتنهب وتقتل وتفرض على المدن المتفرقة الإتاوة، وتهدد سلامتها، وتقطع طرقها، فكانت إمارات نجد في تلك الحقبة تجسيدًا لقصة ملوك الطوائف في الأندلس[٢]، فكتب مؤرخي نجد تمتلئ بالشواهد على ذلك.

ومن أمثلة ذلك هذان المثلان اللذان يجسدان حالة نجد في تلك الحقبة:

الأول: يقول الشيخ أحمد المنقور: «وفيها -أي سنة ثمان وتسعين وألف للهجرة- قتل أحمد بن علي راعي المجمعة، ثم آل دهيش في المجمعة بعده،

---

(١) من مقدمة د. عبدالعزيز الخويطر لتاريخ ابن منقور (ص ٢٢)، وانظر: تاريخ المملكة العربية السعودية (١/ ٤٦).

(٢) انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية، منير العجلاني (١/ ٣٦)، بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب (٢/ ٢٦١)، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسلامي (ص ١٧).

ثم علي بن سليمان بعدهم، ثم علي بن محمد عندنا، ... وقتل فوزان بن زامل في الزلفي»[١].

الثاني: يقول عثمان بن بشر: «وفي سنة عشرين ومئة وألف قتل سلطان بن حمد بن القبس رئيس الدرعية، وتولى بعده أخوه عبدالله ثم قتل، وفيها قتل حسين بن مفيز صاحب التويم البلد المعروف في ناحية سدير؛ قتله ابن عمه فايز بن محمد وتولى بعده في التويم، ثم إن أهل حرمة ساروا إلى التويم وقتلوا فايز المذكور، وجعلوا في البلد فوزان ابن ..[٢]، ثم غدر ناصر بن حمد بفوزان فقتله، فتولى في التويم محمد بن فوزان فتمالأ عليه رجال وقتلوه، منهم المفرع وغيره من رؤساء البلد وهم أربعة رجال، فلم يستقم ولاية لأحدهم، فقسموا البلد أربعًا كل واحد شاخ في ربعها، فسموا المربوعة أكثر من سنة، وإنما ذكرت هذه الحكاية ليعرف من وقف عليها وعلى غيرها من السوابق نعمة الإسلام والجماعة والسمع والطاعة، ولا تعرف الأشياء إلا بأضدادها، فإن هذه قرية ضعيفة الرجال والمال، وصار فيها أربعة رجال كل منهم يدعي الولاية على ما هو فيه»[٣].

هذه هي الأحوال السياسية في نجد بصفة خاصة والجزيرة بصفة عامة، وحين بدأ الشيخ محمد -عليه رحمة الله- دعوته وتمكنت في الأرض تغيرت هذه الأوضاع فأصبحت كثير من هذه الإمارات إمارة واحدة، وأصبح الحكم بين الناس بالشرع المطهر لا بالعادات والأحكام الجاهلية، وانقطعت سلسلة الحروب والثارات والاعتداءات والغارات، وأصبح الأمن

---

(١) انظر: تاريخ ابن منقور (ص ٦٣).
(٢) بياض في الأصل.
(٣) عنوان المجد (٢/ ٣٥٦-٣٥٧).

يعم أرجاء الجزيرة، فكان أعظم الثمار قيام دولة تحكم أكثر الجزيرة تقوم في أساسها على الولاء لله تعالى ولرسوله ﷺ وتجاهد في سبيل نشر دعوة التوحيد وتنقيتها في قلوب كثير من الناس من الانحراف والضلال، يقول المؤرخ الأمريكي لوثروب: «فتكونت على التوالي وحدة دينية سياسية في جميع الصحراء العربية شبيهة بتلك الوحدة التي أنشأها صاحب الرسالة، وفي الواقع فإن المنهج الذي نهجه ابن عبدالوهاب ليشبه شبهًا كبيرًا ذلك الذي نهجه الخلفاء الراشدون كأبي بكر وعمر»[١].

وأما الأمن الذي تحقق في تلك الحقبة فقد تحدث عنه ابن بشر في تاريخه -وهو يتحدث عن الإمام عبدالعزيز بن محمد- فقال: «وكانت الأقطار والرعية في زمنه آمنة مطمئنة في عيشة هنيئة، وهو حقيق بأن يلقب مهدي زمانه؛ لأن الشخص الواحد يسافر بالأموال العظيمة أي وقت شاء شتاءً أو صيفًا، يمنًا أو شامًا، شرقًا أو غربًا في نجد والحجاز واليمن وتهامة وغير ذلك، لا يخشى أحدًا إلا الله لا سارقًا ولا مكابرًا، وكانت جميع بلدان نجد من العارض والخرج والقصيم والوشم والجنوب وغيرذلك من النواحي في أيام الربيع يسيبون جميع مواشيهم في البراري والمفالي[٢] من الإبل والخيل والجياد والبقر والأغنام وغير ذلك ليس لها راع ولا مراع، بل إذا عطشت وردت على البلدان ثم تصدر إلى مفاليها حتى ينقضي الربيع أو يحتاجون لها أهلها»[٣].

---

(١) حاضر العالم الإسلامي (١/ ٢٦١).

(٢) المفالي هي المراعي بلغة أهل نجد العامية. نقلًا عن محقق عنوان المجد، انظر: الموضع الآتي.

(٣) عنوان المجد (١/ ٢٦٦-٢٦٧)، وانظر ما ذكره هناك من القصص والوقائع والتفصيلات عن الأمن العظيم الذي عاشه الناس في تلك الأيام.

ويقول الشيخ محمود شكري الآلوسي: «وزالت الحروب التي كانت تقع بين قبائل نجد، وحصل الأمن والأمان في البادية والحضر، وكانت الإبل والخيل والأنعام ترعى في الصحاري وتلد وليس عندها سوى رجل واحد، لا يستطيع أحد من قبائل العرب أن يأخذ منها شيئًا»[١].

ويقول الرحالة بوركهارت: «ولذلك توقف تقريبًا كل النهب الفردي والجماعي بين كل من حاضرة الجزيرة العربية وباديتها، التي لم تكن في الماضي تبتهج بشيء أكثر من ابتهاجها بالسلب والنهب، ولعله لأول مرة منذ عهد محمد ﷺ أصبح التاجر يستطيع أن يخترق وحده صحراء الجزيرة العربية بأمان تام، وأصبح البدو ينامون دون خوف من أن تؤخذ دوابهم من قبل اللصوص الليليين»[٢].

وبالجملة فقد تغيرت الأوضاع السياسية تغيرًا جذريًا أَتاح للناس أن ينعموا بحياة هادئة وهذا أثمر ثمارًا يانعة في الجوانب الاقتصادية والاجتماعية والعلمية وغير ذلك.

د- في إصلاح الجوانب الاجتماعية:

لقد كان من آثار دعوة التجديد إصلاح الجوانب الاجتماعية في نجد والجزيرة، وكان هذا ثمرة طبيعية لصلاح المعتقد واستقامة الناس على الشرع، واستقرار الأوضاع السياسية، وانتشار العلم والهدي النبوي بين الناس.

---

(١) تاريخ نجد (ص ٩٤) بتصرف يسير جدًا.

(٢) مواد لتاريخ الوهابيين (ص ٤٦)، وانظر أيضًا: عنوان المجد (١/ ٢٧)، الوهابيون والحجاز (ص ٣٢، ٧٦)، ولقد شهد بهذه الحقائق حتى خصوم الدعوة. انظر: تاريخ البلاد العربية السعودية (١/ ق، ٣٦).

لقد كان من الطبيعي في مثــل هذه الأجواء أن تقــوى الأخوة الإيمانية والآصرة الإسلامية، وأن يتكافل الناس فيما بينهم، وأن يتعاونوا على أسباب النجاة في الدنيا والآخرة، وأن يســتبدلوا بولايات القبائل والعشائر والبلدان ولاية الإيمان والإســلام، وأن يتنادوا فيما بينهم في مخاطبتهم ورســائلهم بالأخوة الإسلامية .

لقد أثمرت هــذه الدعوة المباركة القضاء علــى المنازعات والخلافات والأخذ بالثأر، وعاش الناس أمنًا ورخاءً وراحة قلَّ أن يوجد لها مثيل، يقول الشيخ ابن بشر متحدثاً عن أحوال الناس في تلك الحقبة : «فلا يلقى بعضهم بعضاً في المفازات المخوفات إلا بالســلام عليكم وعليكم السلام والرجل يأكل ويجلس مع قاتل أبيه وأخيه كالأخوان، وزالت ســنن الجاهلية، وزال البغي والعدوان، وســيبت الإبل والخيل والجياد والبقر وجميع المواشــي في الفلوات، فكانت تلقح وتلد وهــي في مواضعها آمنات مطمئنات، وليس عندها من يرعاها ويحميها إلا من يأتيها غبًا ويسقيها»[١].

كل هذا -بعد فضــل الله تعالى- نتيجة ما أيقظتــه الدعوة في الناس من وازع الدين وإحياء الضمير من خلال ما نشرته من علم شرعي وفهم صحيح لمبادئ الإسلام.

وفي مثل هذا الاستقرار العام، والهدوء المنتشر في أرجاء البلاد انتعشت الحياة الاقتصادية، وانتشرت أســواق البيع والشــراء، وجلبت البضائع من الداخل والخارج، وأمن الناس على محصولاتهم ومزارعهم بعد الذي كانوا عليه من الفقر والجوع والعيلة، ويقول ابن بشــر واصفًــا الحالة الاقتصادية

(١) عنوان المجد (١/ ٢٨).

في الدرعية تلك الأيام: «ولقد رأينا الدرعية بعد ذلك زمن سعود بن عبدالعزيز بن محمد بن سعود -رحمهم الله تعالى- وما فيه أهلها من الأموال وكثرة الرجال والسلاح المحلى بالذهب والفضة، وعندهم الخيل الجياد والنجايب العمانيات، والملابس الفاخرة، والرفاهيات، ما يعجز عن عده اللسان، ويكل عن حصره الجنان والبنان، ولقد نظرت إلى موسمها يومًا وأنا في مكان مرتفع، وهو في الموضع المعروف بالباطن ... إلى أن قال: ورأيت موسم الرجال في جانب وموسم النساء في جانب وما فيه من الذهب والفضة والسلاح والإبل والأغنام، وكثرة ما يتعاطونه من صفقة البيع والشراء، والأخذ والعطاء وغير ذلك وهو مد البصر...»(١).

هذه بعض آثار دعوة التجديد في نجد، والموضوع يحتاج إلى بسط أكثر، والمقصود هنا الإشارة. والله الموفق.

---

(١) عنوان المجد (١/ ٤٤). وانظر أيضًا: (١/ ٤٣٤-٤٣٥)، دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية (ص ٥٣٩).

الفصل الثّاني

منهج علماء الدّعوة في التفسير وخصائصه

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهجهم في التفسير

المبحث الثاني: من خصائص منهجهم

المبحث الأول

منهجهم في التفسير

أولاً: التفسير بالأثر:

أ- تفسير القرآن بالقرآن

ب- تفسير القرآن بالسنة

ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم

د- تفسير القرآن بأقوال التابعين رحمهم الله

ثانيًا: التفسير بالرأي:

أ- اللغة

ب- النحو

ج- الجمع بين الأقوال

أولاً: التفسير بالأثر:

التفسير بالأثر هو الذي يعتمد على تفسير القرآن بالقرآن أو السنة أو أقوال الصحابة والتابعين.

أما القرآن «فلأن صاحب الكلام أدرى بمعاني كلامه، وأعرف به من غيره»[١].

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: «أصح الطرق في ذلك -التفسير- أن يفسر القرآن بالقرآن، فما أجمل في مكان فإنه قد فسر في موضع آخر، وما اختصر في مكان فقد بسط في موضع آخر»[٢]. ومن أمثلة تفسير القرآن بالقرآن قوله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ وَٱلطَّارِقِ ۝١ وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا ٱلطَّارِقُ ۝٢ ٱلنَّجۡمُ ٱلثَّاقِبُ ۝٣﴾[٣].

فقد بيّن الحق تبارك وتعالى المراد بالطارق في هذه الآية وأوضح بأنه النجم الثاقب. وتفسير القرآن بالقرآن أنواع كثيرة منها[٤]: أن يشرح ما جاء موجزًا في موضع بما جاء مفصلاً في موضع آخر، ومنها حمل المجمل على المبيَّن، والمطلق على المقيد، والعام على الخاص، ومنها بيان قراءة بقراءة أخرى ... إلى غير ذلك[٥].

وأما تفسير القرآن بالسنة فلأن السنة قد جاءت مبيّنة للقرآن، كما قال تعالى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[٦].

---

(١) التفسير والمفسرون (١/ ٣٧).
(٢) الفتاوى (١٣/ ٣٦٣).
(٣) الطارق: ١-٣.
(٤) يُعَدُّ تفسير «أضواء البيان» للشيخ الشنقيطي رحمه الله من أجود التفاسير في إيضاح القرآن بالقرآن. وقد أوضح في المقدمة أنواعًا كثيرة من بيان القرآن للقرآن، فليراجع.
(٥) راجع: التفسير والمفسرون (١/ ٣٨-٤٠).
(٦) النحل: ٤٤.

ولقد فسر النبي ﷺ جملة من آيات القرآن، إما ابتداءً أو بعد سؤال من الصحابة رضي الله عنهم والذي يرجع إلى كتب السنة يجد أنها أفردت أبوابًا خاصة لتفسير القرآن، ذكرت فيه كثيرًا من التفسير المنقول عن النبي ﷺ.

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «يجب أن يعلم أن النبي ﷺ بيّن لأصحابه معاني القرآن كما بيّن لهم ألفاظه»[(١)].

وأما تفسير القرآن بأقوال الصحابة رضي الله عنهم فلأن الصحابة هم الذين حضروا التنزيل وسمعوا التأويل، فهم أعرف بمعاني كتاب الله من غيرهم، هذا مع أنهم هم أهل اللسان الذي نزل به القرآن مع ما حباهم الله تعالى من سلامة المقصد وحسن الفهم.

لهذا ولغيره كانت أقوالهم رضي الله عنهم مرجعًا في فهم كتاب الله تعالى ومعرفة معانيه. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة فإنهم أدرى بذلك لما شاهدوه من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين»[(٢)].

---

(١) الفتاوى (١٣/ ٣٣١).

وقد اختلف العلماء -رحمهم الله- في هذه المسألة وهي: هل بيّن الرسول ﷺ للصحابة كل معاني القرآن، أو لم يبين لهم إلا القليل؟ على قولين. والذي يظهر -والله أعلم- أنه ليس المقصود أنه ﷺ قد شرح لهم كل آية وبين معنى كل عبارة في القرآن؛ لأنه لو وقع لنقل، وحيث لم ينقل دل على عدم وقوعه.

وإنما المقصود أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا عربًا، والقرآن نزل بلسان عربي، فكانوا يفهمون معانيه وما يراد به، وما أشكل عليهم فقد بيّنه لهم النبي ﷺ، فلم يلحق بالرفيق الأعلى حتى كانت جميع معاني القرآن معلومة للصحابة، وإن خفي بعضها على بعضهم، إلا أن المجموع كان معلومًا للمجموع.

(٢) الفتاوى (١٣/ ٣٦٤).

وأما تفسير القرآن بأقوال التابعين فلأنهم قد تلقوا -في الغالب- عن الصحابة مع ما لهم من الفهم وحسن القصد والقرب من عهد الرسالة. قال شيخ الإسلام رحمه الله: «إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين[١] كمجاهد بن جبر وسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم»[٢].

هذا هو معنى التفسير بالأثر، وهذا هو المراد به، وقد علمنا أهمية الأخذ به، ومنزلته بين طرق التفسير.

ولقد كان غالب تفسير أئمة الدعوة -رحمهم الله- سائرًا على هذه الطريقة مختطاً هذا المنهج، لا يعدوه إلى غيره ما وجد إلى ذلك سبيلاً، بل هو الأصل وغيره له تبع يُبين عن مقاصده ويشرح غوامضه؛ ولذا فهم يقررون «أن أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير الطبري، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير»[٣].

ويوضحون سبب هذا الاختيار فيقولون: «مصنفوها أئمة مشهورون أهل سنة ليسوا بجهمية، ولا معتزلة، ولا قدرية، ولا جبرية، ولا مرجئة -بحمد الله- وأكثر ما في هذه التفاسير الأحاديث الصحيحة، وآثار الصحابة وأقوال التابعين وأتباعهم»[٤].

---

(١) انظر -مثلًا- كتاب التفسير من صحيح البخاري تجده نقل كثيرًا من التفسير عن التابعين -رحمهم الله-.

(٢) الفتاوى (١٣/ ٣٦٨-٣٦٩) باختصار.

(٣) الدرر السنية (٩/ ٦٤)، من كلام للشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله.

(٤) المرجع السابق، الموضع نفسه.

إذًا فسبب جلالة هذه التفاسير هو: أن مؤلفيها ليسوا بمبتدعة ولا من أهل الكلام، وأنهم يعتمدون التفسير بالأثر، ويقدمونه على غيره.

والآن سنستعرض -بشيء من الإيجاز- أهم معالم هذا المنهج في تفسير أئمة الدعوة -رحمهم الله-.

أ- تفسير القرآن بالقرآن:

اعتمد أئمة الدعوة على القرآن في تفسير القرآن اعتمادًا واضحًا «فالقرآن -كما قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن- يبين بعضه بعضًا ويفسره»[(١)].

ولذا فقد كان من دأبهم الحث على تدبره وتفهم معانيه والإقبال عليه وتلقي العلم منه، والتحذير من الإعراض عنه أو تقديم غيره عليه. يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن متحدثًا عن حال الشيخ محمد -رحمهم الله- وما دعا إليه: «دعا مَنْ كان حوله إلى تدبر كتاب الله تعالى، ومعرفة التوحيد الذي خلقوا له، وبعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وضمنه أشرف كتبه وهو القرآن»[(٢)].

ويقول الشيخ حمد بن معمر رحمه الله: «فإذا أصغى الإنسان إلى كتاب الله وتدبره وجد فيه الهدى والشفاء ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥ﴾[(٣)]»[(٤)].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وأوصيكم بتدبر أنوار الكتاب التي هي أظهر من الشمس في نحر الظهيرة ليس دونها قتر ولا سحاب، ولا سيما دوال التوحيد، والتفكر في مدلولاته، ولوازمه وملزوماته، ومكملاته

---

(١) الدرر السنية (١/ ٢٤٨).
(٢) المرجع السابق (٩/ ١٥٠).
(٣) الأعراف: ١٨٦.
(٤) الدرر السنية (٩/ ٨).

ومقتضياته، ثم التفطن فيما يناقضه وينافيه مـن نواقضه ومبطلاته»[١]. ولهذا كثر إيرادهم الآيات من كتاب الله لبيان آيات أخرى وخصوصًا الآيات التي تتحدث عن التوحيد «والقرآن من أوله إلى آخره في بيان التوحيد»[٢].

انظر -على سبيل المثال- ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾... الآية[٣] حيث ساق الآيات من كتاب الله الدالة والمبينة والمفسرة لهذه الآية ولمعنى كلمة التوحيد، التي فيها الرد على المشركين والقبوريين والمبتدعين الذين فسروا هذه الكلمة بغير ما أراد الله منها، قال رحمه الله: «وقد بيّن الله تعالى في مواضع من القرآن معنى كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، ولم يكل عباده في فهم معناها إلى أحد سواه، وهو صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱعۡبُدُونِيۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ﴾[٤]...»، ثم ساق الآيات بعد ذلك في بيان معناها[٥].

ومن الأمثلة على بيان القرآن للقرآن في كلامهم:

١- بيان الآية كلها بآيات أخر:

ومثال ذلك ما ذكره الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[٦] حيث قال: «قال الله تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ

---

(١) من رسالة بعث بها الشيخ عبدالرحمن إلى صالح الشثري، وزيد بن محمد وإخوانهم. الدرر السنية (١/ ٢٧٤).

(٢) الدرر السنية (١/ ٢٧٠).

(٣) الأحقاف: ٢١.

(٤) يس: ٦١.

(٥) انظر: تفسير سورة الأحقاف/ ٢١ من هذا البحث.

(٦) الفاتحة: ٣.

لِلرَّحْمَٰنِ﴾[١] وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ﴾[٢] وقال: ﴿وَلَهُ ٱلْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى ٱلصُّورِ﴾[٣] وقال: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾[٤] وقال: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٥]»[٦].ا.هـ.

٢- بيان معنى أو حكم في الآية بآيات أخر:

ومثال ذلك بيان معنى النسبة في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾[٧] -على إحدى القراءتين- وأنه نسبة إلى السبب الذي خلقه الله.

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله في ذلك: «والله سبحانه وتعالى ينفذ أمره الكوني على يد من يشاء من ملائكته، وربما نسب الفعل إليهم كما قال تعالى:

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا﴾[٨]، وقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾[٩]...»[١٠]. ا.هـ.

وبالجملة فإنه لا تكاد تخلو صفحة من الصفحات في مؤلفاتهم من آية

---

(١) الفرقان: ٢٦.
(٢) غافر: ١٦.
(٣) الأنعام: ٧٣.
(٤) الانفطار: ١٩.
(٥) هود: ١٢٣.
(٦) ص: ١٦٨.
(٧) مريم: ١٩.
(٨) الزمر: ٤٢.
(٩) الأنعام: ٦١.
(١٠) ص: ٥١٥.

بل آيات يستدلون بها لتوضيح معاني كلام الله تعالى، ومن يطالع كتبهم يرى هذا واضحًا جليًا[١].

ب- تفسير القرآن بالسنة:

سبق لنا أن أئمة الدعوة لهم عناية خاصة بتفسير الطبري والبغوي وابن كثير وأن سبب ذلك أن أكثر ما فيها الأحاديث الصحيحة[٢]، ولذا فهم «يعتمدون تفاسير الأئمة المشهورين الذين يفسرون الآيات بالآثار المرفوعة والموقوفة»[٣].

وعند تناولهم لآية من الآيات يحشدون ما يتعلق بها من أحاديث، وما يشهد لمعناها من آثار، وإذا وجدوا النص عن رسول الله ﷺ في تفسير آية لم يتجاوزوه لغيره، بل يتجهون باللوم على من خالفه وتعداه إلى غيره؛ لأن هذا خلاف المنهج السليم في فهم كلام الله تعالى[٤].

وتناول السنة للقرآن بالتفسير في كلامهم على أوجه، منها:

١- تفسير معنى الآية كاملة.

ومثاله قول الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في قوله تعالى: ﴿ ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ..﴾ الآية[٥] قال: «هذه الآية فسرها النبي ﷺ لعدي بن حاتم رضي الله عنه، وذلك لما جاء مسلمًا دخل على النبي ﷺ وهو يقرأ هذه الآية، قال: «فقلت: إنهم لم

(١) انظر للاستزادة -على سبيل المثال-: ص ٥٢٢، ٥٨٢، ٥٨٤، ٦٠٣، ٦٠٦.

(٢) انظر: الدرر السنية (٩/ ٦٤).

(٣) الدرر السنية (٩/ ١٢٩-١٣٠).

(٤) انظر ما ذكره الشيخ سليمان رحمه الله في تفسير الآية (١٩٠) من سورة الأعراف، ص:٣٨٩، وانظر: الواقعة: ٨٢، ص: ٦٥٣.

(٥) التوبة: ٣١.

يعبدوهم فقال: إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم، فذلك عبادتهم» رواه أحمد والترمذي وحسنه، وعبد بن حميد وابن سعد وابن أبي حاتم والطبراني وغيرهم من طرق»[(١)].

٢- بيان معنى لفظة من الآية.

ومثال ذلك بيان المسجد الذي أسس على التقوى المذكور في قوله تعالى: ﴿ لَّمَسۡجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقۡوَىٰ مِنۡ أَوَّلِ يَوۡمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[(٢)].

ومثله بيان معنى التطهر في قوله تعالى: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلۡمُطَّهِّرِينَ ﴾[(٣)].

٣- ترجيح قول على قول آخر:

ومثاله ترجيح الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله أن المقصود بقوله: ﴿ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ﴾[(٤)] آدم وحواء لمرجحات عدة منها حديث سمرة عند الإمام أحمد[(٥)].

٤- بيان حكم من الأحكام المتعلقة بالآية:

ومثاله تخصيص طاعة ولاة الأمر في قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ﴾[(٦)] بالمعروف.

قال الشيخ حسين بن غنام: «وصرح الحديث على أن وجوب طاعتهم في

---

(١) راجع: تفسير سورة التوبة / ٣١.
(٢) التوبة: ١٠٨. انظر: ص: ٤١٥.
(٣) التوبة: ١٠٨. انظر: ص: ٤١٨.
(٤) الأعراف: ١٩٠.
(٥) انظر: ص: ٣٨٦، وانظر أيضًا: ص: ٣٧٣.
(٦) النساء: ٥٩.

غير المعصية فقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ﴾ أي: أطيعوا أولي الأمر فيما أمروكم به من طاعة الله تعالى لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الصحيح ... ثم ساق الأحاديث في ذلك»(١).

وإن مما تجدر ملاحظة اعتمادهم على ما صح من الأحاديث دون غيره(٢)؛ لأنه «لا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم، وأئمة التصحيح والترجيح»(٣)، ولذا فلم يعتمدوا على الإسرائيليات أو يسوقوها إلا مع التمحيص والتدقيق.

وقد كان الأئمة -رحمهم الله- يعتنون -في الأعم الأغلب- بعزو الأحاديث إلى من خرجها من الأئمة أصحاب المصنفات، معتمدين على نص الحديث كما ورد فيها(٤).

ج- تفسير القرآن بأقوال الصحابة:

يقرر الأئمة -رحمهم الله- أن «الحجة في التفسير فيما ثبت عن الصحابة والسلف والأئمة»(٥).

ويؤكدون أن منهجهم هو منهج «أهل الحديث الذين يعتمدون تفاسير

---

(١) ص: ٢٦٤، وانظر أيضًا ما ذكره الشيخ عبدالعزيز بن حمد ﷺ من الأحاديث في نزول عيسى عليه السلام عند قوله تعالى: ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا﴾ [النساء: ١٥٩]، ص ٢٩٥. وما ذكره الشيخ حمد بن معمر من الأحاديث الدالة على إثبات صفة اليد لله تعالى، ص: ٦٠٧ وما بعدها.

(٢) وقد جاء في كلامهم -رحمهم الله- بعض الأحاديث الضعيفة، ولكنها تعدُّ إلى جنب ما ذكروه من الصحيح، أو ما ذكر في كتب التفسير من الواهي والضعيف قليلة جدًّا.

(٣) ص: ١٧٧ من كلام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله.

(٤) وإن كانوا لا يلتزمون بهذا في بعض المواضع. كما أنهم قد يذكرون الراوي الأعلى وربّما لا يذكرونه.

(٥) ص ١٧٥-١٧٦ من كلام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله.

الأئمة المشهورين، الذين يفسرون الآيات بالآثار المرفوعة أو الموقوفة على الصحابة، وبتفسير الصحابة ومن أخذ عنهم من أئمة التفسير»[1]. ويضعون بينهم وبين خصومهم «تفاسير السلف كابن عباس رضي الله عنهما»[2] حكمًا عند التنازع في فهم كتاب الله تعالى.

ثم إن إيرادهم لأقوال الصحابة رضي الله عنهم على أوجه منها:

١- إما بيانًا لمعنى الآية كلها.

ومن ذلك أقوالهم في معنى قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾[3].

٢- بيانًا للفظة من الآية:

فمن ذلك أقوالهم في معنى الطاغوت[4]، ومنه أقوالهم في المراد بالكلمات[5] في قوله تعالى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ﴾[6].

٣- بيانًا لسبب النزول:

كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾[7]. قال الشيخ سليمان بن عبدالله: «روى الإمام أحمد عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: لما قدم كعب بن الأشرف مكة قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور المنتبر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج

(١) الدرر السنية (٩/ ١٣٠) من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله.
(٢) الدرر السنية (٩/ ٣٧) من كلام الشيخ حمد بن معمر رحمه الله.
(٣) البقرة: ٨٩. انظر: ص: ١٧٩.
(٤) انظر: ص: ٢٦١.
(٥) انظر: ص: ١٧٣.
(٦) البقرة: ٣٧.
(٧) النساء: ٥١.

وأهل السدانة وأهل السقاية، قال: أنتم خير. قال: فنزلت فيهم ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[1] ونزل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا﴾..[2] الآية»[3].

٤- بيانًا لحكم من الأحكام في الآية:

ومثاله ما نقله الشيخ حسين بن غنام في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾...[4] الآية، عن ابن عباس رضي الله عنهما أنها لم تنسخ، قال رحمه الله: «وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنها لم تنسخ، ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يجاهد في سبيله حق جهاده، ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم»[5].

٥- ترجيحًا لأحد المعنيين أو المعاني في الآية[6].

د- تفسير القرآن بأقوال التابعين:

كمجاهد وعكرمة وعطاء والشعبي وقتادة وأبي العالية وسعيد بن جبير وزيد بن أسلم وغيرهم. وقد كانت إفادة الأئمة من أقوالهم على أوجه، منها:

١- بيان سبب نزول.

ومثاله ما ساقه الشيخ سليمان في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟﴾... الآية[7] عن السدي[8].

---

(١) الكوثر: ٣.
(٢) النساء: ٥١.
(٣) انظر: تخريج الحديث ص: ٢٦٠، وانظر: النساء: ٩٤، ص ٢٨٣.
(٤) آل عمران: ١٠٢.
(٥) انظر: ص: ٢٣٦.
(٦) انظر: ص: ١٧٣، ١٧٦، ١٧٩، ٣٨٦، ٦١٧.
(٧) آل عمران: ١٦٨.
(٨) انظر: ص ٢٥٥.

وما ساقه الشيخ عبدالرحمن بن حسن في سبب نزول قوله تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾... الآية[١] عن محمد بن كعب القرظي وغيره[٢].

٢- بيان معنى الآية كلها.

ومثاله ما ذكره الشيخ سليمان عن ابن عباس في تفسير قوله تعالى: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا ﴾ ...الآية[٣].

٣- بيان لفظة من الآية.

ومثاله بيان معنى الطاغوت[٤] ومعنى القطمير[٥] وغير ذلك.

٤- بيان حكم متعلق بالآية.

ومثاله ما نقله الشيخ عبداللطيف رحمه الله عن ابن زيد وقتادة في قوله تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَىٰكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ ﴾... الآية[٦] أنها منسوخة[٧].

٥- ترجيح أحد المعنيين أو المعاني في الآية[٨].

ثانيًا: التفسير بالرأي الممدوح:

لقد كان للرأي[٩] مكان في تفسير أئمة الدعوة -رحمهم الله- فأفادوا

(١) التوبة: ٦٥.
(٢) انظر: ص ٤٠٧.
(٣) هود: ١٥. انظر: ص ٤٤١.
(٤) انظر: ص ٢٦١.
(٥) انظر: ص ٥٦٧.
(٦) الممتحنة: ٨.
(٧) انظر: ص ٦٧٨.
(٨) انظر: ص ١٧٦، ١٧٩، ٣٨٦.
(٩) التفسير بالرأي قسمان: مقبول ومردود. =

منه في كثير من صوره وجوانبه، وإن كان لم يبلغ درجة التفسير بالأثر؛ لأن التفسير بالأثر هو الأصل والتفسير بالرأي -في غالبه- متممٌ له، مبين عن غوامضه، شارحٌ لما سكت عنه السلف مما كان واضحًا عندهم، أو منزل الآيات على الواقع أو حالٌ لها على قوانين اللغة ونحو ذلك.

أ- اللغة:

لقد كانت المباحث اللغوية في تفسير الأئمة محدودة، فلم يكونوا يفيضون فيها إلا بقدر الحاجة وذلك -والله أعلم- عائد إلى أسباب منها:

١-انشغال الأئمة -رحمهم الله- بمسائل الأصول مثل تقرير التوحيد والألوهية والأسماء والصفات وإفراد الله تعالى بالحاكمية وغيرها من الأبواب التي استولت على كثير من كلام الأئمة فاشتغلوا بها عن غيرها[١].

٢-أنه لم يكن لأهل نجد إقبال كبير على هذه الفنون والمباحث، فقد جاء الأئمة وكان الطالب يتلقى من هذه العلوم ما يحتاج إليه من المقدمات دون إيغال في التفصيلات والتفريعات[٢].

هذا، ومن أمثلة هذا الباب البحث في لفظ الجلالة «الله» هل هو جامد أو مشتق، وإذا كان مشتقًا فمم اشتق[٣].

= فالمردود: ما كان صادرًا عن جهل بعلوم الشريعة، وأدوات التفسير وما يحتاج إليه المفسر، أو كان صادرًا عن هوى كالمبتدعة الذين يحملون معاني الآيات على مذاهبهم الباطلة ونحو ذلك.
والمقبول بخلاف ذلك، وقد وضع له العلماء شروطًا وضوابط كثيرة. انظر في ذلك: تفسير الطبري (١/ ٧٧)، الفتاوى (١٣/ ٣٥٤)، التفسير والمفسرون (١/ ٢٥٥).

(١) انظر: رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن، الدرر السنة (٣/ ٢١٢).

(٢) كان بروز الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في علوم الآلة ظاهراً -انظر على سبيل المثال كلامه في تفسير الممتحنة:٨-، ولعل من أسباب ذلك أنه أمضى جزءًا كبيرًا من حياته في أروقة الجامع الأزهر بمصر حيث كان العلماء لهم عناية كبيرة بهذه العلوم. وممن برز في علوم اللغة والنحو مؤرخ نجد الشيخ حسين بن غنام، وكان يدرس للطلبة علوم النحو واللغة.

(٣) انظر: ص ١٣٥، ١٥٠.

ومنه قول الشيخ عبداللطيف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا﴾... الآية[١]. قال: «الأرباب هنا هم الآلهة المعبودة، فإن الرب وضع للمعبود كما وضع للمالك والمربي والخالق، وليس هذا من المشترك ولا من المتواطئ، بل هو من استعمال اللفظ في حقيقته اللغوية والشرعية»[٢].

ب- النحو:

علم النحو أحد العلوم المهمة لطالب العلم، فهو مما لا يستغنى عنه لتقويم اللسان وسلامة النطق، وتزداد هذه الأهمية لمن يتناول كلام الله تعالى بالشرح والبيان؛ لأن كتاب الله نزل بلسان عربي مبين، فما لم يكن المرء ملمًا بقواعد العربية وإلا لم يفهم كلام الله حق فهمه.

ولقد ضرب الأئمة في هذه المباحث بسهم لا بأس به، وتناولوها بالشرح والإيضاح.

يقول الشيخ سليمان رحمه الله في قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾[٣]: «و﴿مَا﴾ مصدرية، وهي مبتدأ و﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدم.

ويجوز أن يكون ﴿مَا عَنِتُّمْ﴾ فاعلاً بـ﴿عَزِيزٌ﴾ صفة للرسول، وهذا أصوب»[٤].

وفي مثل هذه المباحث لم يقف الأئمة -رحمهم الله- موقف الناقل،

(١) آل عمران: ٨٠.
(٢) ص: ٢٣٥.
(٣) التوبة: ١٢٨.
(٤) انظر: ص ٤٢٢.

بل إنهم يرجحون ما يرونه راجحًا، ويردون ما يرونه مرجوحاً، يقول الشيخ عبداللطيف رحمه الله عند قوله تعالى: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ﴾... الآية[1]: «قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ قال بعض العلماء المعربين: إنه من الموصول بدل اشتمال، و﴿أَن﴾ وما دخلت عليه في تأويل مصدر، والتقدير: لا ينهاكم الله عن برّ من لم يقاتل في الدين.

ولو قال هذا البعض: إنه بدل بعض لكان أظهر، إذ لا يظهر الاشتمال بأنواعه، هذا، والأظهر عندي أن لا بدل مطلقًا وأن الموصول معمول للمصدر المتأخر المأخوذ من أن وما دخلت عليه ... إلخ»[2].

ج- الجمع بين الأقوال:

الخلاف في التفسير ينقسم قسمين:

١- اختلاف تنوع.

٢- اختلاف تضاد.

والخلاف بين السلف في تفسير الآيات -في كثير منه- من النوع الأول؛ ولذا فلم يزل العلماء الراسخون يجمعون بين هذه الأقوال ويؤلفون بينها ما استطاعوا إلى ذلك سبيلاً[3]، وعلى هذا المنهج سار أئمة الدعوة -رحمهم الله-.

---

(١) الممتحنة: ٨.

(٢) انظر: ص ٦٧٦.

(٣) يقول محمد بن نصر المروزي في كتاب السنة (٣-٤): سمعت إسحاق يقول في قوله تعالى: ﴿وَأُوْلِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾: قد يمكن أن يكون تفسير الآية على أولي العلم وعلى أمراء السرايا؛ لأن الآية الواحدة يفسرها العلماء على أوجه وليس ذلك باختلاف. وقد قال سفيان بن عيينة: ليس في تفسير القرآن اختلاف إذا صح القول في ذلك. وقال: أيكون شيء أظهر خلافًا في الظاهر من (الخنس)، قال عبدالله بن مسعود: هي بقر الوحش. وقال علي: هي النجوم. قال سفيان: وكلاهما واحد؛ لأن =

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن ﵀ **في قوله تعالى:** ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾[١]: «عن ابن عباس: يريد لا تحلفوا. وقال آخرون: ﴿وَٱحۡفَظُوٓاْ أَيۡمَٰنَكُمۡ﴾ عن الحنث فلا تحنثوا، والمعنى يعم القولين»[٢].

والأمثلة على ذلك كثيرة متعددة[٣].

= النجوم تخنس بالنهار وتظهر بالليل، والوحشية إذا رأت إنسيًّا خنست في الغيضان وغيرها، وإذا لم تر إنسيًّا ظهرت، قال سفيان: فكل خنس، ... إلى أن قال: قال إسحاق: وجهل قوم هذه المعاني، فإذا لم توافق الكلمة الكلمة قالوا: هذا اختلاف، وقد قال الحسن -وقد ذكر عنده الاختلاف في نحو ما وصفنا- فقال: إنما أتي القوم من قبل العجمة.ا.هـ.

(١) المائدة: ٨٩.

(٢) قرة عيون الموحدين (ص ٢٤٥).

(٣) انظر: ٢٦٥، ٢٨١، ٣٧٠، ٥٩٨، ٦٤٥، ٦٦١.

المبحث الثاني

من خصائص منهجهم

وفيه أربعة مطالب:

الأول: بيان العقيدة وعرض آياتها بأسلوب صحيح

الثاني: بيان الآيات للواقع

الثالث: سهولة التناول ووضوح الأسلوب

الرابع: الاعتماد على منهج السلف في تفسير الآيات وفهمها

المطلب الأول

بيان العقيدة وعرض آياتها بأسلوب صحيح

احتلت العقيدة الحيز الأكبر في اهتمامات أئمة الدعوة -رحمهم الله- وذلك عائد لسبب يبدو واضحًا، وهو ما جرى على معتقد الناس في زمانهم من خلل، وما اعتراه من نقص، هذا إضافة إلى أنها في الأصل أهم الموضوعات التي يجب أن تطرح في كل زمان ومكان إذ توحيد الله ومعرفته هو الغاية التي خلق الإنسان من أجلها، والعقيدة الصحيحة هي المحرك الدائم للإنسان، والدافع النافع له في تصرفاته وانفعالاته، وهي الأساس لجميع الأعمال صحة وفسادًا، قبولاً وردًا.

وإذا كان الأمر كذلك فلا غرو أن يكثر الحديث عنها في القرآن، وتكون هي قطب الرحى لكل حديث.

وقد حرص الأئمة -رحمهم الله- على بيان العقيدة، وعرضها صافية كما جاء عن الله تعالى وعن رسوله ﷺ خالية من الشوائب الشركية والبدع الكلامية.

وإن النصوص من كتاب الله تعالى التي جاءت لبيان المعتقد الصحيح في الألوهية والربوبية والأسماء والصفات والإيمان والقدر ونحو ذلك قد اعتراها شيء من التحريف لمعانيها، والتأويل لمقاصدها من قبل أهل الأهواء والبدع الذين أرادوا من القرآن الكريم أن يكون شاهدًا لبدعهم دالاً عليها بل آمرًا بها.

ومن المعلوم -أيضًا- أن بعض كتب التفسير قد حشيت بالبدع وحمل

أصحابُهـا كلامَ الله على محامل فاسـدة وتأويلات باطلـة، تبعًا لمذاهبهم الاعتقادية وأهوائهم المجانبة للصواب.

ولقد بَيَّنَ أئمة الإسـلام منذ الصدر الأول هذا الزيف وكشفوا عواره؛ إما ببيان الوجه الصحيح للآيات وما دلت عليـه وما أنزلت فيه، أو ببيان الأوجه الفاسدة التي ذكرها أهل الأهواء والبدع والرد عليها.

وجاء من بعدهم أئمة الدعوة في نجد فعرضوا الآيات التي تأمر بالتوحيد وتحض عليه فأبانوا معانيها الصحيحة وأوضحوا مـا يضادها وما يناقضها، مدعميـن أقوالهم وما ذهبـوا إليه بفهم السـلف الصالـح والرعيل الأول، فأشـاروا إلى أمر الله تعالى به -التوحيد- وأنه أول واجب على المكلف[١]، وأن الخصومة بين الرسل وأتباعهم وبين جميع الكفـار إنما هي في توحيد العبادة، وأن هؤلاء الكفار الذين قاتلهم الرسـول ﷺ كانـوا مقرين بتوحيد الأفعال[٢]، كما أوضحوا أن الله لا يقبل من عامل عملاً ما لم يحقق التوحيد ويجرده لله تعالى دون سواه، وأبانوا أنه لا يجوز صرف شيء من العبادة لغير الله كائنًا من كان، وأنه يستوي أن يكون هذا الآخر حجرًا أو شجرًا أو ملكًا أو نبيًا أو صالحًا أو وليًا[٣].

ومع بيان حقيقة التوحيـد أوضحوا ضده الذي هو الشـرك، وما المراد به وما حقيقته، ومتى يكون الإنسان مشـركًا كما دل القرآن على ذلك، وهم يؤكدون أن القرآن من أوله إلى آخره في بيان التوحيد[٤].

---

(١) انظر: ص: ٢٥٨.

(٢) انظر: ص٥٢٣.

(٣) انظر: ص ٥٠٤، ٥٠٨، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٥، ٥٧٦.

(٤) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢٧٠، ٢٧٤).

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ولا يعرف ما وقع في الأمة من أنواع الشرك الأكبر، وخفائه على الأكثر إلا من شرح الله صدره للإسلام وتدبر القرآن، بخلاف من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ واعتمد على ما في كتب المتكلمين، وتتلمذ بهم نعوذ بالله من عمى البصيرة»[١].

كما تناول الأئمة -رحمهم الله- بالبحث والإيضاح الآيات التي تناولت موضوعات العقيدة التي تنازع فيها أهل القبلة كالصفات والإيمان والقدر فأوضحوها أتم إيضاح، وعرضوا منهج السلف كما دل عليه كتاب الله تعالى، مبتعدين كل البعد عن بدع الخوارج والمعتزلة والرافضة القدرية والمرجئة والأشعرية وسائر أهل البدع[٢].

فكانت كتبهم -رحمهم الله- مرجعًا لفهم التوحيد الذي دل عليه كتاب الله تعالى، وامتدادًا لعقيدة السلف التي دان بها الصدر الأول من هذه الأمة.

المطلب الثاني

بيان الآيات للواقع

لقد نزل القرآن هداية للعالمين، ونورًا للخلق أجمعين من المتقدمين والمتأخرين فهو خطاب لكل من بلغه ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾[٣]، فليس خاصًا بأمة دون أمة، ولا بجيل دون جيل، ولا بقطر دون قطر، وإنما هو صلاح للبشرية حيث كانت ومتى كانت، يُداوى به جراحها، ويُقام عثارها، ويُسدد نقصها، وتُهدى به إلى صراط مستقيم.

---

(١) انظر: الدرر السنية (٩/ ١٤٩).

(٢) انظر: ص٢٠٤، ٢٠٦، ٢١٢، ٢١٧، ٤٦٠، ٤٦٢، ٥١٨، ٥١٩، ٦١٤، ٦٣٠، ٦٦٢.

(٣) الأنعام: ١٩.

ولم يزل أئمة الدين يعالجون قضايا الأمة بنصوص الكتاب، وينزلونها عليه، فيلتمسون منه الهدى، ويجدون فيه الشفاء، خصوصًا أولئك الذين أدركوا أن وراثة الرسول ﷺ لا تكمل دون سعي جاد لدعوة الخلق ونشر الخير في الأمة ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾[1]. يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن -رحمهما الله-: «وأسعد الناس بوراثة الرسول ﷺ في دعوة الخلق أكملهم في متابعته له في ذلك».

إذًا فلا بد من جهد جهيد وبذل دائب وعمل متواصل لا يكل ولا يمل في كل ما من شأنه إصلاح المجتمع، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولابد -أيضًا- من إدراك أن القرآن فيه الهدى والنور والدلالة لكل خير والتحذير من كل شر، وعلى هذا المنهج سار أئمة الدعوة -رحمهم الله تعالى-.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله في معرض رده على من زعم أن صدر سورة الممتحنة خاص بحاطب رضي الله عنه: «ولا ريب أنه يتعلق -الخطاب- بكل مؤمن بالله وكتابه ورسوله من الذين نزل فيهم القرآن ومن حضر نزوله ومن بعدهم إلى قيام الساعة، وليس من الجائز في عقل من له أدنى مسكة من عقل أن يقول: هذه الآيات نزلت في شأن حاطب لما كتب إلى قريش يخبرهم بمسير رسول الله ﷺ[2] فيقتصر حكم هذا الخطاب العام على من نزل هذا الحكم بسببه، فإذا كان لا يمكن أحدًا أن يقول ذلك فهذا أيضًا لا يختص بأوائل هذه الأمة دون أواخرها؛ لأن خطاب القرآن والسنة يتعلق بكل فرد من الأولين والآخرين بلا نزاع بين الأمة»[3].

---

(١) آل عمران: ١٠٤.

(٢) انظر تفصيل القصة في تفسير سورة الممتحنة.

(٣) الدرر السنية (٧/ ٩٠).

ولذا فلم يغرق الأئمة -رحمهم الله- في الجوانب النظرية، ولم يصرفوا جهدهم الأكبر للعلوم التي لا يستتبعها عمل، بل كان همهم معرفة مدى استقامة الأمة على الشرع الحنيف، ومن ثم تقويم ما قد يكون من اعوجاج عن أمر الله وخلاف لمنهجه بكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ.

فلم يأخذوا القرآن ألفاظًا مجردة، بل أخذوه واقعًا معاشًا، تُحكم به التصرفات وتُوزن به المواقف، وتُحدد من خلاله العلاقات، ولا غرو فلقد كانت دروسهم ورسائلهم خطابًا للأمة ولم يكونوا بمعزل عنها.

وحين نطالع تراث الأئمة نجده بهذه المنزلة، فهو إما رسائل موجهة إلى عامة الأمة أو إلى بعض خاصتها من العلماء والأمراء وطلاب العلم، أو تأليف للثناء على مظهر من مظاهر الاستقامة على أمر الله في المجتمع، أو تأليف للنهي والزجر عن بعض المخالفات، أو رد على بعض المناوئين والخصوم للدعوة.

المطلب الثالث

سهولة التناول ووضوح الأسلوب

لقد كانت اللغة التي تناول الأئمة بها تفسير القرآن لغة تتسم بالوضوح والسهولة، لغة لا يعسر فهمها على المبتدي ولا يملها المنتهي، مبتعدين فيها عن الألفاظ الوحشية والتراكيب الغريبة[١].

ولعل من أهم أسباب ذلك ما يأتي:

١- اعتمادهم على كلام السلف بما فيه من الوضوح والدقة[٢].

---

(١) انظر في المسألة: الدرر السنية (٣/ ٢٧٨).

(٢) انظر ما سبق في: التفسير بالمأثور (ص ٧٨) من الدراسة.

٢- أن كلام الأئمة وخطابهم كان موجهًا لكل الأمة، فلم يكن لطائفة دون طائفة أو فئة دون فئة[(١)].

٣- أن أغلب تواليفهم فيما تمس حاجة الناس إليه من بيان الدين بأصوله وفروعه والرد على الأعداء المناوئين.

٤- أنهم لم يخوضوا في علم الكلام ومصطلحاته الجافية، وألفاظه المغلقة، بل كانوا يذمونه ويعيبون من صرف جهده لطلبه[(٢)].

المطلب الرابع

الاعتماد على منهج السلف في تفسير الآيات وفهمها

أنزل الله تعالى كتابه نورًا وهدىً للناس، وجعل فيه الشفاء من كل داء، وأرشد عباده إلى تدبره وتفهم معانيه، فقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[(٣)]، وقال تعالى ذامًا الكفار؛ لأنهم لا يتدبرون القرآن ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ﴾[(٤)].

وعلى هذا الأمر سلف الأمة أئمة الدين أهل العلم والإيمان من تدبر أنوار القرآن «والالتفات إلى ما جاء به محمد ﷺ من عند الله تبارك وتعالى»[(٥)]، وذلك لأنه «جاء من عند الله بكل ما يحتاج إليه الناس، فلم يترك شيئًا يقربهم إلى الله وإلى جنته إلا أمرهم به، ولا شيئًا يبعدهم من الله، ويقربهم إلى عذابه

---

(١) المطالع لمجموعة الرسائل والدرر يتبين له هذا الأمر بوضوح.
(٢) انظر مثلًا: الدرر (٩/ ٦٥) وغير ذلك.
(٣) سورة ص: ١٦٧.
(٤) سورة محمد: ٢٤.
(٥) الدرر السنية (٢/ ٣٠) من كلام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

إلا نهاهم وحذرهم عنه»[١]، «فمن هداه الله إلى تدبر كتابه نجا، ومن أعرض عنه ضل»[٢]، ولذا كانت «أعلى الهمم وأشرفها إعظام الرغبة فيما أمر الله به من تدبر القرآن»[٣].

وقد كان لسلف هذه الأمة منهجهم الخاص في تفسير كلام الله تبارك وتعالى وأسلوبهم المميز الذي فارقوا فيه أهل البدع وشعب الضلال، ولذا كان منهجهم الذي أجمعوا عليه واجب الاتباع لا تجوز مخالفته ولا مجاوزته.

وقد جاء علماء الدعوة -رحمهم الله- في وقت اغتراب الدين، وبعد الناس عن الملة فكان الناس أحياناً يتلقون تفسير كتاب الله من أقوام خلطوه بعلم الكلام وحشوه بالبدع، وحملوه على محامل لم يعرفها السلف ولم يتكلموا بها، فكان الأئمة -رحمهم الله- يؤكدون أن «أهل نجد أهل الدعوة الإسلامية ومن أخذ عنهم إنما يعتمدون في معاني الكتاب والسنة على مصنفات أهل السنة والجماعة»[٤]، وأن «من صرف كلام الله عن حقيقته وظاهره لمجرد كلام بعض المولدين وترك تفاسير الصحابة وأهل العلم والإيمان فهو إما زائغ وإما جاهل في غاية الجهالة»[٥]، وكانوا يقررون أن «من كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم أو يعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر إليه والرغبة فيه»[٦].

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.
(٢) المرجع السابق (٩/ ١٥٤)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله، وانظر (٩/ ٨).
(٣) المرجع السابق (٩/ ١٧٣)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله، وانظر: (٩/ ٤٨).
(٤) المرجع السابق (٩/ ١٣٠)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله.
(٥) المرجع السابق (١/ ٥٠٥)، من كلام الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله.
(٦) المرجع السابق (٩/ ٦٥)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله.

وترسم الأئمة لمنهج السلف -في التفسير- في معالم واضحة وصور بينة، لعل أبرزها:

١- الأخذ بمنهج التفسير بالمأثور، والإعراض عن الرأي المذموم.

من أسباب نشوء الانحراف والضلال في الأمة هجر كلام السلف من الصحابة والتابعين واستبدال كلامهم بكلام هو كالضريع لا يسمن ولا يغني من جوع، ولم يوجد الخلاف المذموم في كتاب الله إلا حين تناوله أقوام على خلاف منهج السلف فضلوا وأضلوا.

وقد سبق لنا بيان هذه المسألة -منهج الأئمة في التفسير بالمأثور- بشيء من البسط والتمثيل، والمقصود هنا بيان أن هذه سمة من سماتهم.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله مبيناً أن منهجهم هو منهج «أهل الحديث الذين يعتمدون تفاسير الأئمة المشهورين الذين يفسرون الآيات بالآثار المرفوعة أو الموقوفة على الصحابة، وبتفسير الصحابة، ومن أخذ عنهم من أئمة التفسير»[(١)].

ويقول الشيخ عبداللطيف رحمه الله: «فالحجة فيما ثبت عن الصحابة وعن سلف الأمة وأئمتها»[(٢)]، وحين يوازن الأئمة بين كتب التفسير فإنهم يرجحون الكتب التي يعتمد مؤلفوها التفسير بالمأثور على غيره، يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «وبالجملة فمن كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم أو يعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر إليه والرغبة فيه»[(٣)]. وفي موازنة بين

(١) المرجع السابق (٩/ ١٢٩-١٣٠).
(٢) ص: ١٧٦.
(٣) الدرر السنية (٩/ ٦٥).

تفسـير أبي حيان وبين البيضاوي وأبي السعود يقرر ﵀ أن البحر لأبي حيان أحسن منهما وذلك؛ «لأنه كثيرًا ما ينقل في تفسيره عن السلف والأئمة»[١].

٢- الأخذ بمنهج السلف في الاعتقاد:

لم يعد الأئمة -رحمهم الله- ما عليه سـلف الأمة في أمر المعتقد ولم يجاوزوه إلى غيره، وقد جلَّى هذا الأمر أتم جلاء الشـيخ عبدالله ابن الشيخ محمد في رسـالته التي كتبها عام ١٢١٨هـ فقـال: «مذهبنا في أصول الدين مذهب أهل السـنة والجماعة، وطريقتنا طريقة السـلف التـي هي الطريق الأسلم، بل الأعلم والأحكم...»[٢].

وبالجملة فلقد كان معتقدهم في التوحيد والأسماء والصفات والإيمان والقدر وغير ذلك هو معتقد السلف أهل السـنة والجماعة، ونصوصهم في ذلك أكثر من أن تحصر[٣].

ومن المعلوم التـلازم الكبير بين المنهج في التفسـير وبيـن ما يعتقده المفسر.

وقد كان من أكبر أسباب وجود التفسير بالرأي المذموم أن أقوامًا اعتقدوا عقائد باطلة مخالفة لما عليه سـلف الأمة ثم حملوا كتاب الله تعالى عليها، وأرادوه أن يكون شاهدًا لبدعهم وضلالهم[٤].

---

(١) المرجع السابق، الموضع نفسه.

(٢) المرجع السابق (١/ ٢٢٦).

(٣) انظر: الدرر (١/ ٢٥٨، ٣٤٥، ٣٧٢، ٥٦٤، ٥٧٩)، (٣/ ٥٤).

(٤) انظر: الفتاوى (١٣/ ٣٥٥).

٣- تعظيم النصوص وتقديمها على آراء الرجال:

من خصائص أهل السنة والجماعة تقديم النصوص على آراء الرجال، وأنهم لا يجوزون الأخذ باجتهادات الرجال التي تخالف قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ.

«فالواجب فيما تنازع فيه العلماء رده إلى الله تعالى وإلى رسوله ﷺ كما قال: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[(١)]، وقوله: ﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾[(٢)]، فإذا وجدنا مسألة قد اختلف فيها العلماء وجب علينا الرد إلى النصوص، فما وافق النصوص وجب الأخذ به، وما خالفها وجب رده، وأما تركها -النصوص- لقول بعض العلماء، والتعليل بأنهم أعلم منا بمعانيها فلا يجوز، بل هذا عين التقليد المذموم»[(٣)].

كان أئمة الدعوة -رحمهم الله- ملتزمين بهذا الأصل العظيم مع القريب والبعيد، لا يخالفونه لقول أحد كائنًا من كان، يقول الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله: «هذا وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة، وكتبهم عندنا من أعز الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإن كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ، ومعلوم مخالفتنا لهما في عدة مسائل ... إلخ»[(٤)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله حين أفتى أن القبض والاستدامة

---

(١) الشورى: ١٠.
(٢) النساء: ٥٩.
(٣) الدرر السنة (٦/ ١٩٠) من كلام الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله.
(٤) المرجع السابق (١/ ٢٤٠)، وانظر -أيضًا- (٦/ ١٨٨).

شـرط للزوم الرهن، وبيّن أن هذا هو القول الصحيح الذي تشهد له الدلائل الشـرعية، وهو قول أكثر العلمـاء، قال رحمه الله: «وقد ادعى بعضهم أن شـيخنا الإمام شيخ الإسـلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله كان يفتي بلزوم الرهن وإن لم يقبض، فاسـتبعدت ذلك على شـيخنا رحمه الله، ولو فرضنا وقوع ذلك فنحن بحمد الله متمسـكون بأصل عظيم وهـو أنه لا يجوز لنـا العدول عن قول موافق لظاهر الكتاب والسنة لقول أحد كائنًا من كان، وأهل العلم معذورون، وهم أهل الاجتهاد، كما قال الإمام مالك رحمه الله: ما منا إلا رادٌّ ومردودٌ عليه إلا صاحب هذا القبر، يعني: رسول الله صلى الله عليه وسلم»[1].

٤- البعد عن الأحاديث الضعيفة والإسرائيليات:

من خلال النظر في تفسـير الأئمة -رحمهم الله- يتضح اعتمادهم على ما صح من الأحاديث -في الأغلب- وتجنبهم ما كان ضعيفًا أو موضوعًا أو كان من قبيل ما يروى من الإسـرائيليات عن أهل الكتاب، وإنما يتضح هذا الأمر بالنظر إلى مـا أوردوه من الأحاديث الصحيحـة، أو بالنظر إلى ما في كتب التفسير من الأحاديث الواهية والإسرائيليات.

يقول الشـيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «الحجة في التفسـير فيما يثبت عن الصحابة والسلف والأئمة، ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة»[2].

٥- الإعراض عن المباحث التي لا يستتبعها عمل ولا تعين على فهم كلام الله.

إن المرء إذا أدرك قصر هذه الدنيا وأنها عن قليل سـتنقضي، وعلم عظم

(١) المرجع السابق (٦/ ٢٣٢-٢٣٤).

(٢) ص: ١٧٦-١٧٧، وانظر: الدرر (٩/ ٦٤).

الواجبات التـي كلف بها من القيام بإصلاح نفسـه، والفهم عـن ربه تبارك وتعالى وعن نبيـه ﷺ وما كلف به مـن القيام بدعوة الخلـق وبذل الجهد والسعي في الإصلاح ونشـر الخير، إن المرء إذا كان بهذه المنزلة شح بوقته أن يضيعه فيما لا يجني منه ثمرة في أخراه.

وكان دأب الأئمة -رحمهم الله- السـعي الحثيث فيما ينفع، واسـتباق اللحظات في تحصيله، والإعراض عما هو دون ذلك.

ولذا فلم يخوضوا في التفسـير في مبهمات القـرآن ولا تتبعوا الغرائب والإسرائيليات ونحو ذلك.

وحتى علوم الآلة التي يحتاج إليها العالم وطالـب العلم كانوا يأخذون منها بقدر الحاجة[1].

(١) انظر على سبيل المثال: الدرر السنية (٢/ ٢٧٦)، (٣/ ٣٧٨).

الفصل الثالث

مصادرهم

أولاً: في التفسير

ثانيًا: في الحديث

ثالثًا: في اللغة

رابعًا: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله-

أولاً: في التفسير:

اعتنى الأئمة -رحمهم الله- بجمع من كتب التفسير واهتموا بها، ومنها:

١- (جامع البيان عن تأويل آي القرآن).

ومؤلفه الإمام أبو جعفر محمد بن جرير الطبري ﵀.

كان لهذا الكتاب منزلة عظيمة عند الأئمة -كما هي عند جميع المفسرين-، وكان اهتمامه بنقل أقاويل السلف من أكبر أسباب عنايتهم به وإقبالهم عليه؛ لأنه «من كان من المصنفين أبعد عن تقليد المتكلمين وذكر عباراتهم، ويعتمد أقوال السلف فهو الذي ينبغي النظر إليه الرغبة فيه»[١].

يقول الشيخ عبدالله بن محمد ﵀ في رسالته التي كتبها في بيان منهج أئمة الدعوة: «ثم إنا نستعين على فهم كتاب الله بالتفاسير المتداولة المعتبرة، ومن أجلها لدينا: تفسير ابن جرير»[٢].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن: «قال أبو جعفر بن جرير ﵀ في تفسيره الكبير الذي فاق كل التفاسير ...»[٣].

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٦٥)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن.
(٢) الدرر السنية (١/ ٢٢٨).
(٣) الدرر السنية (٩/ ٦٣).

وقد عظم إقبال الأئمة على هذا التفسير والنهل منه والنقل عنه[١]. ومع هذا الثناء على هذا التفسير فإنهم رُبّما لا يسلمون بكل ما يرد فيه مما يرونه مرجوحًا، بل يرجحون عليه غيره[٢].

٢- (معالم التنزيل)

ومؤلفه: أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي رحمه الله.

وهذا التفسير أحد التفاسير الثلاثة المعتمدة عند أئمة الدعوة، وقد عدَّه الشيخ عبدالله بن محمد في رسالته لأهل مكة بعد تفسير ابن جرير[٣].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله: «أفضل ما في أيدي الناس من التفاسير هذه الثلاثة: تفسير أبي جعفر محمد بن جرير، وتفسير الحسين بن مسعود البغوي، وتفسير العماد إسماعيل بن كثير، فهذه أجل التفاسير»[٤].

فلا غرو أن ينقلوا عنه وأن يكثروا، ومع هذا فقد يتتبعونه فيما يرون أنه قد خالف الصواب مبينين وجه الخطأ، مؤكدين -كما هو منهج السلف الصالح- أن هذا الخطأ لا ينقص من قيمة هذا الإمام ما دام أن مقصوده هو الحق وأصوله هي أصول أهل السنة والجماعة ولكنه أخطأ في مسألة أو مسألتين، فكل يؤخذ من كلامه ويترك إلا محمداً صلى الله عليه وسلم.

ومن ذلك ما ذكره البغوي رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ

(١) بل إنهم قد يكتفون بالنقل عنه دون زيادة إذا كان ما نقلوا مؤديًا للمقصود. انظر -مثلًا-: الدرر السنية (٩/ ١٦١، ١٩٤).

(٢) انظر: (ص ٦٣٤).

(٣) انظر: الدرر السنية (١/ ٢٢٨).

(٤) المرجع السابق (٩/ ٦٤).

﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[١]، قال رحمه الله: «قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به»[٢].

فتتبعه الشيخ عبداللطيف مبينًا أن هذا خلاف ما عليه أئمة المفسرين وأهل السنة وأن «التوسل في العرف الشرعي: فعل ما يُتوسل به إلى الله من الإيمان والعمل الصالح الذي يشرعه ويرضاه»[٣].

٣- (تفسير القرآن العظيم)

للحافظ إسماعيل بن كثير رحمه الله.

هو ثالث التفاسير المعتمدة عند الأئمة كما ذكر ذلك الشيخ عبدالرحمن بن حسن[٤]، وثناؤهم عليه معروف مشهور[٥]. وقد جاءت إفادتهم من هذا التفسير على صور شتى، من أمثلتها:

أ- نقل أقوال السلف من الصحابة والتابعين في الآية[٦].

ب- نقل المعنى الإجمالي للآية[٧].

ج- ترجيح قول على آخر، وبيان اختيار الحافظ ابن كثير رحمه الله[٨].

د- بيان حكم أو لفظة في الآية[٩].

---

(١) الإسراء: ٥٧.

(٢) معالم التنزيل (٥/ ١٠١).

(٣) انظر: ص٣٢٤.

(٤) انظر ما سبق ص: ١١٢.

(٥) انظر: الدرر (١/ ٢٢٨)، (٩/ ١٣٠) وغيرها.

(٦) انظر: ص: ١٧٩.

(٧) انظر: ص: ٢٣٠، ٥٧٨، ٥٩٨.

(٨) انظر: ص: ٢٩٥، وقد يختار ابن كثير الجمع بين الأقوال، انظر: ص ٢٦٥، ٣٧٠، ٤١٦.

(٩) انظر: ص: ٦٤٤، ٦٤٨، ٧١٥.

وقد ينقل الأئمة كلام ابن كثير ويكتفون به إذا كان وافيًا بالمقصود[١].

٤- (تفسير ابن أبي حاتم)

وقد أفاد الأئمة منه كثيرًا[٢]. والنقل عن ابن أبي حاتم كما يكون مباشرًا، فإنه قد يكون بواسطة.

٥- (المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)

ومؤلفه: ابن عطية الأندلسي.

وأكثر من أفاد من هذا التفسير الشيخ سليمان بن عبدالله في كتابه تيسير العزيز الحميد[٣]، كما أفاد منه بعض الأئمة أيضًا.

٦- (أنوار التنزيل وأسرار التأويل)

ومؤلفه: عبدالله بن عمر البيضاوي.

وقد أفاد من هذا التفسير كثيرًا الشيخ حسين بن غنام في كتابه: «العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين»[٤].

وهو ينقل عنه كثيرًا دون إشارة، بل يكاد يكون هو الكتاب الأول في التفسير الذي اعتمد عليه الشيخ حسين ومن بعده تفسير ابن كثير رحمه الله، ولعل هذا عائد -والله أعلم- إلى ما كان عليه الشيخ حسين من العناية بعلوم اللغة والبلاغة -كما سبق بيانه- فكان هذا التفسير مفيدًا في هذا الباب.

---

(١) انظر: الدرر (٩/ ١٩٠).

(٢) انظر: ص: ٣٦٩، ٣٧٧، ٣٨٢.

(٣) انظر: ص: ٤٢١، ٥٥٨، كما أن الشيخ سليمان قد يتتبع ابن عطية، انظر: ص ٥٥٨.

(٤) انظر: ص ٥٤٢، ٥٧٣، ٥٧٦، ٥٩١.

وأما إفادات بقية الأئمة من هذا التفسير فهي قليلة.

٧- (الكشاف)

ومؤلفه: أبو القاسم جار الله الزمخشري.

الزمخشـــري من أئمـــة المعتزلة، وقد ضمـــن كتابه كثيـــراً من عقائد المعتزلة ونافح عنهـــا، ولذا فلم يُقبل الأئمة على هذا التفســـير ولـم يولوه عناية كبيرة، إلا أن الشيخ ســـليمان ﷺ قد أفاد منه في بعض الجوانب في كتابه (تيســـير العزيز الحميد) فنقل عنه مرارًا دون تصريح باسمه، بل يكاد يكون كل ما قال فيه الشيخ سليمان: قال بعضهم أو قال غيره أن المقصود بذلك هو الزمخشـــري[1] -والمقصـــود بذلك ما يتعلق بالتفســـير- وهو ينقل لا ليتتبع أو يرد وإنما ينقل ما يستحســـنه، ولـــذا فإنه يثني على كلامه أحيانًا[2].

وقد أفاد بعض الأئمة أيضًا من الكشـــاف كالشـــيخ عبداللـــه أبابطين[3] ولكنها قليلة جدًا.

وأخيرًا فهذه أبرز التفاســـير التي أفاد منها الأئمة، وهناك تفاســـير أخرى ولكن كانت الإفادة منها قليلـــة كالجامع للقرطبي[4] والبحـــر لأبي حيان[5] والجلالين[6] وغير ذلك.

---

(١) انظر: ص ٤٤٢، ٤٧٢، ٦٤٨، ٧٧.

(٢) انظر: ص ٦٤٨.

(٣) انظر: ص ٦٩٥.

(٤) انظر: ص ٣٦٣، ٦٤٢.

(٥) انظر: ص ٥٥٨، ٥٥٩.

(٦) انظر: ص ١٨٣، ٣٢٥.

ثانيًا: في الحديث:

كانت عناية الأئمة بالحديث فائقة، وذلك لأنهم يعتمدون التفسير بالأثر[(١)]، وقد اعتمدوا على كثير من كتب السنة، ومنها:

١- الجامع الصحيح[(٢)] لأبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري ت ٢٥٦هـ.

٢- صحيح مسلم[(٣)] أبي الحسين مسلم بن حجاج النيسابوري ت ٢٦١هـ.

٣- سنن أبي داود[(٤)] سليمان بن الأشعث السجستاني ت ٢٧٥هـ.

٤- السنن[(٥)] لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ت ٣٠٣هـ.

٥- سنن الترمذي[(٦)] لأبي عيسى محمد بن عيسى بن سورة الترمذي ت ٢٧٩هـ.

٦- سنن[(٧)] الحافظ أبي عبدالله محمد بن يزيد بن ماجه ت ٢٧٥هـ.

٧- المسند[(٨)] للإمام أحمد بن محمد بن حنبل ت ٢٤١هـ.

٨- المستدرك على الصحيحين[(٩)] لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري.

---

(١) وقد سبق عند الحديث عن تفسير القرآن بالسنة أن بيّنا أن أغلب ما يستدل به الأئمة هو الأحاديث الصحيحة أو الحسنة.

(٢) انظر: ص ٢٦٣، ٣١٩، ٣٢١، ٣٢٣، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٧٣.

(٣) انظر: ص ٢٤٠، ٢٦٣، ٢٦٤، ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٧٣.

(٤) انظر: ص ٣٩١، ٤٠٦، ٤١٧.

(٥) انظر: ص ٢٣٨، ٣٦٥.

(٦) انظر: ص ٢٣٨، ٢٤٠، ٤٠٠، ٤٠٤.

(٧) انظر: ص ٤٠٦، ٤١٥، ٤١٨.

(٨) انظر: ص ٢٣٨، ٢٦٤، ٣٥٠، ٤٠٠، ٤١٨.

(٩) انظر: ص ٣٥٠، ٤٠٠، ٤١٥.

ثالثًا: في اللغة:

اعتنى الأئمة -رحمهم الله- باللغة إذ هي وعاء الدين، وبها نزل الكتاب المبين، ولا يتسنى للمرء أن يُجلّي إعجاز القرآن الكريم ما لم يكن ذا إلمام بعلوم اللغة وإقبال عليها.

وقد تناول الأئمة المسائل اللغوية في كثير من الأحيان عن طريق كتب التفسير، كما تناولوها من خلال كتب المعاني مثل كتاب معاني القرآن للزجاج[1]، والذي أفاد منه الشيخ سليمان بن عبدالله في تيسير العزيز الحميد، وكتاب إعراب القرآن للعكبري[2]، وغيرها من كتب اللغة.

رابعًا: كتب شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم رحمهما الله:

كان تأثر أئمة الدعوة بهذين الإمامين -رحمهم الله- عميقاً، وإقبالهم على تراثهما شديداً، وهذا أمر ملحوظ لا يحتاج إلى بيان أو دليل، يدركه كل من يطالع كتب أئمة الدعوة، وقد كانت كتب هذين الإمامين من أكثر المصادر التي أفادوا منها في جميع الفنون.

يقول الشيخ عبدالله بن محمد -رحمهما الله-: «هذا، وعندنا أن الإمام ابن القيم وشيخه إماما حق من أهل السنة وكتبهم عندنا من أعزِّ الكتب، إلا أنا غير مقلدين لهم في كل مسألة، فإنَّ كل أحد يؤخذ من قوله ويترك إلا نبينا محمد ﷺ»[3].

ويقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن عن ابن تيمية وكتبه: «فرحم الله

---

(١) انظر: ص ٣٤٨.
(٢) انظر: ص ٣٢٤، ٤٤٧.
(٣) الدرر السنية (١/ ٢٤٠).

ذلك الشيخ -ابن تيمية- فلقد صارت كتبه سلاحًا للموحدين، وحجة في كل زمان على جميع المبطلين»[١].

وقد كان تأثر الأئمة بأقوال هذين الإمامين في التفسير كبيرًا، وكانت آراؤهما واختياراتهما محل عنايتهم، يقول الشيخ عبداللطيف في وصية لأحد إخوانه: «فعليك بالتمسك بكتاب الله الذي هو النور والهدى، وهو الدواء النافع للقلوب والشفاء، وخذ معاني ذلك من كتب علماء الإسلام ومصابيح الظلام من سلف هذه الأمة وأئمتها أهل القرون المفضلة ومن بعدهم كالشيخ ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ومن هو على منهاجهم»[٢].

وإفادة الأئمة من هذين العلمين على صور شتى، منها:

١- نقل اختيارهما في معنى الآية.

قال الشيخ سليمان: «قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾[٣] أي: يساوونهم بالله في المحبة والتعظيم ...، وهذا القول رجحه شيخ الإسلام»[٤].

٢- نقل عرضهما لأقوال أهل القبلة في معنى الآية، أو آرائهم في مسألة تتعلق بالآية مع بيان مذهب السلف في هذا.

---

(١) القول الفصل النفيس (١٦٩).

(٢) الدرر السنية (١١/ ٨١-٨٢)، وانظر أيضًا: رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب (ص ٥٤) الوهابيون والحجاز (ص ٦).
ومع هذا التأثر العظيم بكتب الشيخين إلا أنهم يؤكدون أنها شارحة للنصوص مبينة لها، وإذا عارض اجتهادهما شيئاً من النصوص لم يجز الأخذ به، يقول الشيخ عبدالله بن محمد: «فلا يجوز لنا أن نتركها -النصوص- تقليدًا للشيخ رحمه الله (ابن تيمية) ولا غيره، بل يجب اتباع النص». الدرر السنية (٦/ ١٨٩).

(٣) البقرة: ١٦٥.

(٤) (ص ١٩٤)، وانظر: (ص ٦٥٧).

ومثاله ما نقله الشيخ عبداللطيف عن شيخ الإسلام في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[1].

٣- الإفادة من ردودهما على شبهات بعض المنحرفين في تأويل بعض الآيات.

٤- وقد تكون الإفادة أحيانًا بنقل كلامهما على الآية بما فيه من تحرير وتوجيه وترجيح، وما فيه من لفتات تربوية وإشارات إيمانية.

ومثاله ما نقله الشيخ سليمان عن ابن القيم في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ ...الآية[2].

٥- وقد تكون الإفادة بنقل كلامهما في بيان معنى أو حكم يتعلق بالآية.

ومن أمثلته: ما نقله الشيخ سليمان عنهما في معنى التوكل وبعض أحكامه عند قوله تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمَا ٱدْخُلُوا۟ عَلَيْهِمُ ٱلْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَٰلِبُونَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[3].

٦- وقد تكون الإفادة عن طريق نقل المعنى والفكرة دون اللفظ، ومثاله ما نقله الشيخ سليمان عن شيخ الإسلام في الوكالة الجائزة[4].

وكتب الشيخين التي أفاد منها الأئمة كثيرة، فمن كتب شيخ الإسلام:

(١) الذاريات: ٥٦، انظر: ص ٦٣٥ حيث ذكر شيخ الإسلام رحمه الله ستة أقوال في معنى العبادة في الآية.

(٢) آل عمران: ١٥٤، انظر: ص ٢٥٠.

(٣) المائدة: ٢٣، وانظر: ص ٣١٥.

(٤) انظر: ص ٣١٨.

الإيمان، والرد على البكري، ومنهاج السنة النبوية، واقتضاء الصراط المستقيم، ورسائل كثيرة مبثوثة في الفتاوى وجامع الرسائل.

ومن كتب ابن القيم: مدارج السالكين، وزاد المعاد، وأعلام الموقعين، ومفتاح دار السعادة، والصواعق المرسلة وغير ذلك.

الفصل الرابع

أبرز الموضوعات التي تناولوها

أولاً: بيان أنواع التوحيد

ثانيًا: الولاء والبراء

ثالثًا: الحكم والتحاكم

رابعًا: الردود على المخالفين

أولاً: بيان أنواع التوحيد:

كان الحديث عن التوحيد من خلال بيان أهميته، وأن نجاة العبد متوقفة على القيام به، وبيان أقسامه، ودلائل القرآن عليه من أكبر الموضوعات التي استولت على اهتمام الأئمة، فأفاضوا فيها أيما إفاضة، وبينوها أتم بيان، وذلك لأسباب كثيرة سبق الإشارة إلى بعضها، وسيأتي لها مزيد بيان[1].

وقد قسم العلماء التوحيد إلى أقسام لمزيد البيان والإيضاح، ولأن أعداء الرسل قد أقروا ببعضها وأنكروا بعضها الآخر[2].

وقد تحدث الأئمة -رحمهم الله- عن هذه الأنواع، كلها كما جاءت في النصوص، وبيانه كما يأتي:

أ- توحيد الربوبية:

بيّن الأئمة -رحمهم الله- حدود هذا التوحيد وحقيقته ومعناه، وأوضحوا أنه يستلزم توحيد الألوهية، كما أوضحوا أن هذا التوحيد لم يخالف فيه أحد، بل الإقرار به مركوز في الفطر، ولذا جاء الاستشهاد به في القرآن على وجوب إفراد الله تعالى بالعبادة دون ما سواه، وأن هذا مقتضى الإقرار بالربوبية. يقول الشيخ عبداللطيف رحمه الله في قوله تعالى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ

---

(١) انظر الحديث عن توحيد الألوهية.

(٢) انظر: الدرر السنية (٩/ ٢٣٦)، دعاوى المناوئين (٣٢٨).

ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً ﴾... الآيات[1]: «تأمل هذه الآيات الكريمة وما تضمنته من تقرير أفعال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات، واعرف ما سيقت له وما دلت عليه من وجوب محبته تعالى وعبادته وحده لا شريك له، وترك عبادة ما عُبِد من دونه من الأنداد والآلهة، والبراءة من ذلك ...»[2].

ب- توحيد الألوهية:

أفاض الأئمة -رحمهم الله تعالى- في الحديث عن توحيد الألوهية وبيانه من خلال القرآن، ومن يطالع كتبهم ورسائلهم يدرك هذا الأمر لأول وهلة، وهذا عائد لأمور، منها:

١- أن النزاع بين الرسل وأقوامهم كان في هذا النوع من التوحيد.

٢- ما يوجد في المجتمع من جهل أو انحراف عن جادة الصواب في هذا الباب.

٣- أن القرآن كله قد جاء لبيان هذا النوع من التوحيد والدلالة عليه، وإرشاد الخلق إلى ما يترتب على القيام به، فالقرآن من أوله إلى آخره في بيان التوحيد[3].

يقول الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله: «القرآن دال على التوحيد آمر به مشير إليه مستلزم له مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد

(١) النمل: ٦٠-٦٤.

(٢) ص: ٥٢٧، وانظر: ص ٥٢٩.

(٣) انظر: الدرر السنية (٢/ ٢٧٠، ٢٧٤).

ومبين لأحوال من تركه ولم يرفع به رأسًا أو أشرك في عبادته وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والإهانة في الدار الآخرة»[١].

فلا غرو بعد ذلك أن يكثر حديثهم عنه وهم يفسرون القرآن؛ لأنه هو حديث القرآن وأعظم مقاصده وأشرف مطالبه.

وقال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «القرآن كله يدل على وجوب إخلاص العبادة لله والبراءة من عبادة ما سواه وإسلام الوجوه له على اختلاف أنواع الدلالات مطابقة وتضمنًا والتزامًا وقياسًا صحيحًا»[٢].

وكان حديثهم عن هذا النوع من التوحيد على أشكال شتى، منها:

١- بيان حقيقته ومعناه، وأنه إفراد الله بجميع العبادة دون ما سواه «وأن الإخلاص هو حق الله الذي بعث به رسوله ودعا أمته إليه، وهو في الآيات المحكمات أكثر من أن يحصر طلبًا وخبرًا»[٣].

٢- بيان ضده وهو الشرك في العبادة، وأن «القرآن من أوله إلى آخره يبين أن الشرك تشبيه المخلوق بالخالق في العبادة على أي وجه كان»[٤]. مؤكدين أنه «لا يعرف ما وقع في الأمة من أنواع الشرك الأكبر وخفائه على الأكثر إلا من شرح الله صدره للإسلام وتدبر القرآن، بخلاف من أعرض عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ»[٥].

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس (ص ١١٤).
(٢) المرجع السابق (ص ١٠٧).
(٣) الدرر السنية (٩/ ٨٤)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن.
(٤) المرجع السابق (٩/ ٨٩)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن.
(٥) المرجع السابق (٩/ ١٤٩)، من كلام الشيخ عبدالرحمن بن حسن. وانظر: ٥٨١.

٣- بيان معنى كلمة الإخلاص «لا إلـه إلا الله» كما دل على ذلك القرآن في مثل قوله تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[١]، وقوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ٢٦ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي ٢٧﴾[٢]، وقوله: ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[٣] وأنها إفراد الله تعالى بالعبادة دون غيره، فهذا هو معناها الحقيقي الذي يتضمن أن يفرد بالربوبية وينعت بنعوت الجلال والكمال، وليس معناها -كما زعم المتكلمون- إفراد الله تعالى بالخلق والرزق فقط، أو قدرته على الاختراع ونحوذلك، فإن هذا معلوم مركوز في الفطر لم يقع النزاع عليه، ولو كان المشركون يعلمون أن هذا هو معناها لم يرفضوا الإقرار بها، وكيف يرفضون الإقرار بما هم مقرون به، والقرآن شاهد لهم بذلك، ومع ذلك لم يدخلهم هذا في الإسلام ولم يعصم دماءهم وأموالهم[٤].

٤- أكد الأئمة -رحمهم الله- وجوب تجريد العبادة لله والنهي عن صرف ذلك لغيره تعالى، وأن هذا عام في جميع الخلق ليس خاصًا في الأصنام والأحجار والأشجار، بل من صرف شيئًا من العبادة فهو مشرك سواء صرفها لشجر أو حجر أو صرفها لنبي أو ولي لا فرق بين هذا وهذا، وقد وسم الله تعالى من صرف شيئًا من العبادة لغير الله بالشرك مع أن بعضهم صرفها للملائكة أو للأنبياء أو للأولياء[٥].

يقول الشيخ سليمان في قوله تعالى: ﴿أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ١٩١ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ١٩٢﴾[٦]: «وجميع الأنبياء والملائكة

(١) الإسراء: ٢٣.
(٢) الزخرف: ٢٦-٢٧.
(٣) الأحقاف: ٢١.
(٤) انظر: ص ٦٠٠.
(٥) انظر: منهاج التأسيس (١١٦).
(٦) الأعراف: ١٩١-١٩٢.

والصالحين وغيرهم داخلون في هذه الأوصاف، فــلا يقدر أحد منهم أن يخلق شيئًا ولا يســتطيعون لمن عبدهم نصرًا، ولا ينصرون أنفســهم، وإذا كان كذلك بطلت دعوتهم من دون الله»[١].

وقال الشيخ عبداللطيف رحمه الله في مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[٢]: «هذه الموصولات في كلام الله وكلام رســوله واقعة على كل مدعو ومعبود نبيًا أو ملكًا أو صالحًا، إنسيًا أو جنيًا، حجرًا أو شجرًا متناولة لذلك بأصل الوضع»[٣].

ج- توحيد الأسماء والصفات:

أوضح الأئمــة -رحمهم اللــه- مذهب أهل الســنة والجماعة في باب الأســماء والصفات وأنه: إثبات ما أثبته الله لنفســه في كتابه أو على لســان رســوله ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييــف ولا تمثيل، فوقفوا عند نصوص الصفات كما وقف الســلف مثبتين لمعانيهــا دون أن يخوضوا فيما قصرت عنه عقولهم من الكيفية[٤].

ثانيًا: الولاء والبراء:

لا يكاد يخلو زمن مــن الأزمان من أهل الباطل ودعاة الشــرك والبدع، ومن أعظم شعائر الدين وقواعد الملة الولاء والبراء.

الولاء لأنصار الحق ودعاته والقائمين به، والبراء من الشرك والمشركين والملحدين والمبتدعين.

---

(١) ص: ٢٤٧.

(٢) يونس: ١٠٦.

(٣) ص: ٤٢٦.

(٤) انظر: ص ٦٦، ٧٥، ٣٢٢، ٣٢٤، ٦١٤، ٦٣٠، ٦٦٢.

وقد كثر حديث الأئمة عن هــذا الأصل العظيم والركن الركين، بل ألفوا فيه مؤلفات مســتقلة مثل: الدلائل على تحريم موالاة المشــركين للشــيخ سليمان بن عبدالله، وسبيل النجاة والفكاك للشيخ حمد بن عتيق.

وبيّن الأئمة أن الولاء والبراء من مقتضى شهادة أن لا إله إلا الله، فإن من لوازمها مــوالاة أولياء الله ومعاداة أعدائه كما شــهد بذلك القرآن، كما بينوا ضد هذا الأصل وهو مــوالاة الكفار، فبينوا حدودهــا وصورها وأمثلتها مع بيان حكم هذه الصور كلها[١].

وعرج الأئمة على جملة من القضايا ذات الصلة بهذا الموضوع كمسألة الهجرة وحكم الإقامة بين الكفار، ومســألة إظهار الدين بين المخالفين من الكفار والملحدين ونحو ذلك[٢].

وكان الاعتمــاد في هذا كلــه على الدليل مــن كتاب الله تعالى وســنة رسوله ﷺ من خلال فهم السلف الصالح لهذه النصوص.

ثالثًا: الحكم والتحاكم:

إن مسألة الحكم بشــرع الله مســألة ذات صلة بتوحيد الله تعالى وإفراده بالربوبية والألوهية، ولقد بوّب الشيخ محمد بن عبدالوهاب في كتاب التوحيد أبوابًــا ذات صلة وثيقة بهذه المســألة[٣]؛ لأنها من صميــم التوحيد، وتناولها الأئمة من بعده بالشــرح والبيــان، وعرضوها في كثير من رســائلهم وكتبهم وردودهم، فبينوا وجوبها وعلاقتها بالتوحيد، وأوضحوا أن عدم الالتزام بشرع

---

(١) انظر: ص ٢٥٠، ٣٢٧، ٣٣٧، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٩، ٦٧٠.

(٢) انظر: ص ٢٧٧، ٢٨٦، ٧١٠.

(٣) مثل باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرمه فقد اتخذهم أربابًا من دون الله ص ١٢٩. وباب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ﴾ ... الآية، ص: ١٣٥.

الله والتحاكم إليه إعراض عن أمره وصدّ عن سبيله، وأنه مراتب قد تصل بالإنسان إلى الكفر والخروج عن الملة، ومنه مراتب دون ذلك.

يقول الشيخ عبدالرحمن بن حسن في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ﴾ ... الآية، «قال الإمام مالك: «الطاغوت ما عُبد من دون الله» وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه، وجعل له شريكًا في الطاعة، وخالف ما جاء به رسوله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿وَأَنِ ٱحْكُم بَيْنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَٱحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنۢ بَعْضِ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾[2].

فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حَكَمَ بين الناس بغير ما أنزل الله أو طلب ذلك اتباعًا لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن»[3].

وإذا كان الأئمة قد عرضوا هذه المسألة في صورتها الكبرى وهي مسألة الحكم والتشريع فإنهم قد بحثوا ما يقاربها من المسائل، مثل مسألة الرجوع إلى قول الله تعالى وقول رسوله ﷺ وعدم تقديم قول أحد -كائنًا من كان- على قولهما في جميع المسائل العلمية والعملية، يقول الشيخ حمد بن معمر عند قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ ۖ فَإِن

(١) المائدة: ٤٩.
(٢) النساء: ٦٥.
(٣) ص: ٢٧٤.

تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾[١]: «هـذا دليل على أنه يجب الرد في موارد النزاع في كل ما تنازع فيه الناس من الدين كله أصوله وفروعه إلى الله ورسوله لا إلى غير الله ورسوله، فمن أحال في الرد على غيرهما لقول فلان أو نص كتابه أو عمل فلان وطريقة أصحابه فقد ضاد الله في أمره، فلا يدخل العبد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله»[٢].

رابعًا: الردود على المخالفين:

لقد كان الخلاف بين أنصار الدعوة وأئمتها وبين المخالفين والمناوئين شديداً، فمنذ بدأ الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله بالدعوة إلى تجريد التوحيد وإبطال التنديد والعودة إلى هدي السلف الصالح جرد أنصار البدعة أقلامهم وسيوفهم للرد على هذه الدعوة والوقوف أمامها، واستمرت المعركة لا يهدأ أوارها ولا تخبو نارها بين الحزبين، إلى وقتنا الحاضر.

وفي مثل هذا الواقع المشحون بالمعادين والمعارضين الذين يقومون على الباطل ويجادلون عنه خاض الأئمة معركة البيان[٣].

فصنفوا المصنفات الكثيرة في الرد على أعداء الدعوة على كل صعيد من القبوريين الواقعين في أصناف الشرك[٤] أو من الجهمية المعطلين صفات

---

(١) النساء: ٥٩.

(٢) ص: ٢٦٧.

(٣) انظر ما ذكره عبدالعزيز آل عبداللطيف في كتابه: «دعاوى المناوئين من دراسة استقرائية مجملة لمؤلفات المناوئين وموقف علماء الدعوة من ذلك (ص ٣٠-٧٦).

(٤) راجع: الدرر السنية، الجزء التاسع «مختصرات الردود» ففيه عدد كبير من هذه الردود.

الرب، أو من المعتزلة والقدرية[(١)] أو من الرافضة والزيدية[(٢)] وغيرهم من أهل البدع والضلال. والمتتبع لتراث الأئمة -رحمهم الله- يلحظ كثرة الردود التي ألفوها في هذا الباب دون ما ألفوه ابتداءً، وذلك عائد -والله أعلم- إلى كثرة أعداء الدعوة وخصومها في داخل الجزيرة وخارجها الذين أرادوا رمي الدعوة عن قوس واحدة فلفقوا لها الأكاذيب وكالوا لها التهم.

وهناك سبب آخر وهو ما كان يعانيه الأئمة -ويتخذونه منهجًا- من معالجة أمر الناس والعيش معهم وتلمس حاجاتهم، ولذا لم يتفرغوا للتأليف، فقد كان الواحد منهم يشغل منصب الإمامة والخطابة والقضاء والإفتاء والتدريس لخاصة الطلاب والتعليم لعامة الأمة وغير ذلك من المهات الجسام التي لا تترك من وقته شيئًا ليتفرغ لابتداء التأليف، واحتاجوا للرد على المخالفين؛ لأن هذا من صميم معايشة المجتمع الذي قد يتأثر بمثل هذه السموم خصوصًا إذا علم أن بعض الناس قد يسهل انخداعه بها لسبب أو لآخر.

ولقد كانت ردود الأئمة على المخالفين من خلال الآيات من كتاب الله تعالى على بابين:

الأول: أن يؤتى بالآية في معرض الرد على هذا المخالف، وهذا كثير، وأمثلته وافرة، والمجلد التاسع من كتاب الدرر السنية «مختصرات الردود» يحفل بكثير من هذا النوع.

الثاني: أن تساق الآية لأمر من الأمور أو في باب من الأبواب، ثم

(١) انظر على سبيل المثال: رسالة الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن إلى علي بن حمد بن سلمان، الدرر السنية (٩/ ٣٦٦).

(٢) انظر: جواب أهل السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والزيدية، للشيخ: عبدالله بن محمد، مجموعة الرسائل (٤/ ٤٧).

يكون من فوائدها أو مسـائلها المسـتنبطة الرد على المخالف كقول الشيخ سـليمان بن عبدالله في قوله تعالى: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ ﴾... الآيـة[١]. «وفي الآية رد على المرجئة والكرامية»[٢].

(١) العنكبوت: ١٠.

(٢) انظر ص: ٥٣٢.

القسم الثاني

جمع التفسير

سورة الفاتحة

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾ الفاتحة: ١ – ٧

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

معنى ﴿أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾ أي أستجير بجناب الله من الشيطان أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أُمرت به أو يحثني على فعل ما نهيت عنه.

والاستعاذة هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر.

والعياذ يكون لدفع الشر، واللياذ لطلب الخير[1] و﴿ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ في لغة العرب مشتق من شطن إذا بعد[2]، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر وبعيد بفسقه عن كل خير.

﴿ٱلرَّجِيمِ﴾ فَعِيل بمعنى مَفْعُول أي: بَعُد عن الخير كله.

---

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٥)، (٢/ ٢٧٨).

(٢) قال ابن فارس في المعجم (٣/ ١٨٣): «الشين والطاء والنون أصل مطرد صحيح يدل على البعد» ا.هـ.

انظر: لسان العرب (١٣/ ٢٣٨).

وقال في المفردات (٤٥٤) (شطن): «وقيل بل النون فيه زائدة، من: شاط يشيط: احترق غضباً، فالشيطان مخلوق من النار كما دل عليه قوله تعالى: ﴿وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن: ١٥]...إلخ».

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ فالمشروع ذكر اسم الله تبركاً وتيمناً واستعانة على الإتمام والتقبل.

﴿اللَّهِ﴾ علم على الرب تبارك وتعالى، ويقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصفات[١].

قال العلامة ابن القيم[٢] جواباً لقول من قال: الله غير مشتق[٣]: «إن

(١) اختلف العلماء -رحمهم الله- في الاسم الأعظم، وقد ذكر الحافظ في فتح الباري (١١/ ٢٢٤) أربعة عشر قولاً، منها: ما ذكره الشيخ.
ومنها: الحي القيوم.
ومنها: أنه مخفي في الأسماء الحسنى.
وغير ذلك. انظر في المسألة: الحاوي للسيوطي (٢/ ١٣٥)، الأسماء الحسنى، عبدالله الغصن (ص ٩٠).

(٢) أبو عبدالله محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي الدمشقي، ولد سنة ٦٩١هـ بدمشق، تتلمذ لشيخ الإسلام ابن تيمية، وقال بكثير من أقواله، وسجن معه في قلعة دمشق، وكان حسن الخلق محبوباً عند الناس، له مؤلفات كثيرة منها: أعلام الموقعين، الصواعق المرسلة، مدارج السالكين، وغيرها، توفي عام ٧٥١هـ بدمشق.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ٢٣٤)، الرد الوافر (١٢٤).

(٣) قال ابن القيم -رحمه الله-: «زعم السهيلي وشيخه ابن العربي ...» إلخ.
بدائع الفوائد (١/ ٢٢).
والاشتقاق: هو نزع لفظ من آخر بشرط مناسبتهما معنى وتركيباً ومغايرتهما في الصفة، وهو أنواع.
انظر: التعريفات (٢٧).
وقد اختلف أهل العلم في اسمه تعالى «الله».
فقيل: هو جامد، ذهب إليه الشافعي وأبو المعالي والخطابي، ورُوي عن الخليل وسيبويه.
وقيل: هو مشتق، وهو الذي اختاره الطبري والخليل وسيبويه والمبرد والنضر والكسائي والفراء وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم وابن كثير وعبدالرحمن بن حسن وغيرهم كثير، وهو الراجح.
وقد اختلف هؤلاء مم اشتق على أقوال كثيرة، والله أعلم.
انظر: الطبري (١/ ١٢٢)، القرطبي (١/ ١٠٢)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٩)، البحر المحيط (١/ ١٢٤).

أريد بالاشتقاق أنه مشتق من أصل آخر فهو باطل، وإنما أرادوا أنه دال على صفة له تعالى وهي الإلهية كسائر أسمائه الحسنى كالعليم والقدير، فإن هذه الأسماء مشتقة من مصادرها، فما كان جوابكم عن هذه الأسماء فهو جواب القائلين باشتقاق اسم الله.

ثم الجواب عن الجميع أنه لا نعني أسماء الاشتقاق إلا أنها ملاقية لمصادرها في اللفظ والمعنى لا أنها متولدة منها تولد الفرع من أصله، ولا محذور في اشتقاق أسماء الله تعالى بهذا المعنى»[١].

وقال الكسائي[٢]، والفراء[٣]: أصله الإله حذفوا الهمزة وأدغموا اللام في اللام فصارتا في اللفظ لاماً واحدة مشددة مفخمة[٤].

---

(١) بدائع الفوائد (١/ ٣٣) بتصرف.

(٢) الإمام شيخ القراء أبو الحسن علي بن حمزة بن عبدالله بن بهمن الأسدي مولاهم الكوفي النحوي، لقب بالكسائي لكساء أحرم فيه، وهو أحد القراء السبعة، قرأ على ابن أبي ليلى وحمزة، قال الشافعي: من أراد أن يتبحر في النحو فهو عيال على الكسائي، توفي عام ١٨٩هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٩/ ١٣١)، غاية النهاية في طبقات القراء (١/ ٥٣٥).

(٣) يحيى بن زياد بن عبدالله بن منظور الديلمي، مولى بني أسد، ولد عام ١٤٤هـ بالكوفة وهو إمام الكوفيين وأعلمهم بالنحو واللغة وفنون الأدب، اشتهر بالفراء ولم يعمل في صناعة الفراء، قيل: لأنه كان يفري الكلام، من مؤلفاته: معاني القرآن، الجمع والتثنية، مشكل اللغة وغيرها، توفي في طريق مكة عام ٢٠٧هـ.
انظر: السير (١٠/ ١١٨)، بغية الوعاة (٢/ ٣٣٣).

(٤) لم أجده فيما بين يدي من مراجع، وقد ذكره القرطبي في الجامع (١/ ١٠٢).

وهذا هو الذي ذكره أبو جعفر ابن جرير[١] في تفسيره[٢]، وهو قول سيبويه[٣] وأكثر أصحابه.

وذكر ابن جرير قول ابن عباس في معنى هذا الاسم: «الله ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين»، فإن قال لنا قائل[٤]: «وما دل على أن الإلهية هي العبادة وأن الإله هو المعبود وأن له أصلاً في فَعَلَ ويَفْعَلُ، وذكر بيت رؤبة بن العَجّاج[٥]:

لله درُّ الغانيات المُدَّهِ   سبَّحنَ واسترجعن من تألُّهي[٦]

يعني: من تعبدي وطلبي الله بالعمل.

ولا شك أن التأله التفعل من: أَلِه يأْلَه، وجاء منه مصدر يدل على أن

---

(١) أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، شيخ المفسرين، ولد عام ٢٢٤هـ، وأكثر الترحال، جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه غيره، من أعظم كتبه: التفسير، وتاريخ الأمم والملوك، توفي ببغداد عام ٣١٠هـ.
انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٤٥)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٢٦٧).

(٢) تفسير الطبري (١/ ١٢٢).

(٣) أبو بشر عمرو بن قنبر الفارسي، إمام النحو، طلب الفقه والحديث مدة ثم أقبل على العربية، أخذ النحو عن الخليل وغيره، له «الكتاب» في النحو لم يصنف مثله، توفي عام ١٨٠هـ.
انظر: السير (٨/ ٣٥١)، بغية الوعاة (٢/ ٢٢٩).
وانظر في المسألة كتاب سيبويه (٢/ ١٩٥).

(٤) هذا من تمام كلام ابن جرير رحمه الله.

(٥) رؤبة بن العجّاج التميمي الراجز، كان رأساً في اللغة، له رواية، توفي عام ١٤٥هـ.
انظر: الشعر والشعراء (٣٩٤)، معجم الأدباء (١١/ ١٤٩).

(٦) انظر: البيت في ديوان رؤبة (١٦٥).
ومعنى المده: جمع ماده فلاناً يمدهه، مدهاً: نعت جماله ومدحه.
استرجعن: قلن: إنا لله وإنا إليه راجعون، يقلنها حسرة عليه كيف تنسك وهجر الدنيا بعد الذي كان عليه من شبابه وجماله وصبوته.
انظر: تحقيق شاكر لتفسير الطبري (١/ ١٣٢).

العرب قد نطقت منه بـ «فَعِل يَفْعَل» بغير زيادة، وذلك ما حدثنا به سفيان[١] عن[٢] وكيع[٣] ساق السند إلى ابن عباس أنه قرأ: (ويذركَ وإِلاهَتَكَ)[٤] قال: «عبادتك ويقول: إنه كان يُعبد ولا يَعبد»[٥].

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمان أشد مبالغة من رحيم، وفي الأثر عن عيسى أنه قال: «الرحمن رحمن الدنيا والرحيم رحيم الآخرة»[٦]، وقال ابن القيم: «الرحمن دال على الصفة القائمة به والرحيم دال على تعلقها بالمرحوم، فإذا أردت فهم هذا فتأمل قوله: ﴿وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا﴾[٧]، ﴿إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[٨]، ولم يجئ رحمن بهم، فالرحمن اسمه ووصفه، فمن حيث هو صفة جرى تابعاً لاسم

(١) سفيان بن وكيع بن الجراح، أبو محمد الكوفي، روى عن أبيه وابن عيينة وغيرهما، وعنه الترمذي وابن جرير وغيرهما، قال ابن حبان: صدوق إلا أنه ابتلي بوراق له، وضعفه بعضهم، مات سنة ٢٤٧هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ١٢٣).

(٢) الذي في تفسير الطبري (١/ ١٢٣): وذلك ما حدثنا به سفيان بن وكيع عن أبيه ... إلخ.

(٣) وكيع بن الجراح بن مليح بن عدي، الإمام الحافظ، ولد عام ١٢٩هـ، سمع من هشام بن عروة والأعمش وغيرهما، وعنه ابن مهدي وابن معين وابنه وغيرهم، قال الإمام أحمد: ما رأيت أوعى للعلم، ولا أحفظ من وكيع، توفي عام ١٩٧هـ.
انظر: الطبقات لابن سعد (٦/ ٣٩٤)، تذكرة الحفاظ (١/ ٣٠٦).

(٤) الأعراف: ١٢٧.

(٥) تفسير الطبري (١/ ١٢٣).
وقد قرأ بهذه القراءة أيضاً: ابن مسعود وأنس وعلقمة والجحدري والتيمي، وأبو طالوت وأبو رجاء. انظر: المحتسب (١/ ٢٥٦)، ومن المعلوم أن هذه القراءة من الشواذ.

(٦) الأثر عن عيسى بن مريم عليه السلام، رواه ابن جرير مرفوعاً بإسنادين عن ابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث موضوع لا أصل له (١/ ١٢١-١٢٢).

(٧) الأحزاب: ٤٣.

(٨) التوبة: ١١٧.

الله، ومن حيث هو اسم ورد في القرآن غير تابع، بل ورود الاسم العلم كقوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[1]»[2] انتهى ملخصاً.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ومعناه الثناء بالكلام على الجميل على وجه التعظيم، فمورده اللسان والقلب.

والشكر يكون باللسان والجنان والأركان، فهو أعم من الحمد متعلقاً وأخص سبباً؛ لأنه يكون في مقابلة النعمة وغيرها، فبينهما عموم وخصوص وجهيٌّ يجتمعان في مادة[3]، ويتفرد كل واحد عن الآخر في مادة.

والألف واللام في الحمد لاستغراق أجناس الحمد وأفراده لله تعالى، فلا يصلح منه شيء لغير الله كما قال تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾[4].

والرب هو المالك المتصرف، ويطلق على السيد وعلى المعبود[5]، كما قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾[6]، وكل ذلك صحيح.

﴿ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ جمع عالم وهو كل موجود سوى الله تعالى، والعوالم

---

(١) طه: ٥.

(٢) بدائع الفوائد (١/ ٢٤).

(٣) راجع: المحرر الوجيز (١/ ٦٦)، الكشاف (١/ ٧).
وقد مال الطبري -رحمه الله- (١/ ١٣٨) إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد، واستدل لذلك بصحة قول القائل: الحمد لله شكراً.
وقد رد هذا ابن عطية (١/ ٦٦)، وابن كثير (١/ ٢٢) وغيرهما.

(٤) النحل: ٥٢.

(٥) انظر: البحر المحيط (١/ ١٣٠).

(٦) التوبة: ٣١.

أصناف المخلوقات في السموات، وفي البر والبحر، وكل قرن وجيل يسمى عالماً أيضاً[(١)].

والعالم مشتق من العلامة أنه علم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته[(٢)]، قال ابن المعتز[(٣)]:

فيا عجباً كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد[(٤)]

﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ تقدم الكلام عليه في البسملة[(٥)].

﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ قرأ بعض القراء (مَلِكِ) وقرأ آخرون ﴿مَٰلِكِ﴾[(٦)]، وكلاهما صحيح متواتر في السبع، وتخصيص الملك بيوم الدين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين؛ وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين؛ لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً[(٧)]، فلا يتكلم أحد

---

(١) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٤٣)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٦).

(٢) انظر: مفردات غريب القرآن (٥٨١-٥٨٢)، مادة: علم.

(٣) عبدالله بن محمد المعتز بالله بن المتوكل بن المعتصم بن الرشيد العباسي الشاعر المبدع، ولد عام ٢٤٧هـ، كان مقبلاً على الشعر واللغة، له مؤلفات منها: البديع، وطبقات الشعراء وديوان شعر مطبوع في جزأين.
انظر: فوات الوفيات (٢/ ٢٣٩)، الأعلام (٤/ ١١٨).

(٤) لم أجد الأبيات في ديوان ابن المعتز.

(٥) راجع: (ص ٤).

(٦) قرأ: ابن عامر وأبو عمرو ونافع المدني وابن كثير وحمزة بالقصر بدون ألف ﴿**ملك**﴾.
وقرأ عاصم والكسائي بالمد ﴿مَٰلِكِ﴾.
انظر: النشر (١/ ٢٧١).

(٧) راجع: ما ذكره الشيخ عبدالله أبابطين عند قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ [الانفطار: ١٧-١٨]، (ص ٥٤٠).

إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ الآية[١].

ويوم الدين «يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر إلا من عفا عنه» قاله ابن عباس[٢] وغيره من الصحابة والتابعين والسلف[٣]، والملك في الحقيقة هو لله تعالى قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ۝١٠٦ أَلَمۡ تَعۡلَمۡ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ۝١٠٧﴾[٤].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ﴾ العبادة في الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة، وكمال الخضوع والخوف، قال شيخ الإسلام[٥] رحمه الله: «العبادة أن يوافق العبد ربه فيما يحبه ويرضاه، ويحب في الله ويبغض في الله»[٦].

---

(١) النبأ: ٣٨.
وراجع: معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٧).

(٢) رواه ابن جرير (١/ ١٥٦)، وابن أبي حاتم (١/ ١٩).

(٣) روى ابن جرير ذلك عن ابن مسعود وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، وعن قتادة وابن جريج كلهم بمعناه.
انظر: تفسير الطبري (١/ ١٥٦-١٦٠).

(٤) البقرة: ١٠٦-١٠٧.

(٥) هو أبو العباس أحمد بن عبدالحليم بن عبدالسلام بن تيمية الحراني، ولد سنة (٦٦١هـ)، وقدم مع والده وأهله إلى دمشق وهو صغير، وقلّ أن سمع شيئاً إلا حفظه وما تكلم معه أحد في فن إلا ظن أن ذلك الفن فنّه، له التصانيف الكثيرة في الأصول والفروع، رد على الفلاسفة والجهمية والمعتزلة والرافضة وغيرهم من أهل البدع، كان شجاً في حلوق المبتدعين وسيفاً على المخالفين، صنف في ترجمته جماعة منهم ابن ناصر الدين، والبزار وغيرهما، توفي بدمشق عام ٧٢٨هـ وكانت جنازته مشهودة.
انظر: البداية والنهاية (١٤/ ١٣٢)، معجم الشيوخ للذهبي (١/ ٥٦).

(٦) لم أقف على هذا القول بحروفه، وهو بمعناه في كثير من كتبه، انظر: رسالة العبودية، وقد عرّف شيخ الإسلام العبادة فيها: بأنها اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأفعال الظاهرة والباطنة. ا.هـ (ص ٣٨).

قال العماد ابن كثير[(١)]: «وقدم المفعول وهو إياك وكرر للاهتمام والحصر أي لا نعبد إلا إياك ولا نتوكل إلا عليك وهذا كمال الطاعة، والدين كله يرجع إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السلف: «الفاتحة سر القرآن وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[(٢)]، فالأول تبرؤ من الشرك[(٣)].

والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، وهذا في غير آية من القرآن كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾[(٤)].

---

(١) إسماعيل بن عمر بن كثير بن ضوء بن درع القرشي، أبو الفداء، ولد عام ٧٠١هـ، تتلمذ على الحافظ المزي وابن تيمية وغيرهما، برع في الأصول والفروع والتفسير والتاريخ، شرح البخاري ولم يكمله، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية في التاريخ، توفي عام ٧٧٤هـ.

انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ١١١)، الأعلام (١/ ٣٥).

(٢) ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية عن الحسن البصري بمعناه مطولًا. الفتاوى (١٤/ ٧).

(٣) الشرك مصدر: أشرك يشرك شركاً.

وفي الاصطلاح: مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله، وينقسم إلى قسمين:

القسم الأول: أكبر، وصاحبه مخلد في النار، حابط العمل وهو أقسام ثلاثة:

أ-في الاعتقاد: مثل أن يعتقد أنه يجوز السجود عبادة وتقرباً لغير الله، أو أن للعالم خالقين.

ب-في القول: مثل أن يدعو غير الله.

ج-في العمل: كأن يسجد للصنم أو يذبح لغير الله أو غير ذلك.

القسم الثاني: الأصغر، وهو ما أطلق عليه في النصوص أنه شرك ولم يصل إلى درجة الشرك الأكبر.

أو: ما كان ذريعة إلى الشرك الأكبر، وهو قسمان:

الأول: جلي وهو نوعان: أ-عملي كتعليق الخيوط والتمائم ونحوها معتقداً أنها سبب في رفع البلاء أو دفعه.

أما إذا اعتقد أنها تؤثر بذاتها فهو شرك أكبر.

ب-قولي: كالحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، ونحو ذلك.

والثاني: خفي كيسير الرياء. والله أعلم.

انظر: الدرر السنية (٢/ ٦٩)، الحق الواضح المبين للسعدي (١١٦)، القول المفيد شرح كتاب التوحيد، لابن عثيمين (١/ ٢٠٦)، كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان (١١).

(٤) هود: ١٢٣.

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو (مناسبة[١] لأنه لما أثنى على الله تعالى فكأنه قرب وحضر بين يدي الله تعالى، فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾ لما تقدم الثناء على المسؤول تبارك وتعالى ناسب أن يعقب بالسؤال، كما قال: «فنصفها لي ونصفها لعبدي ولعبدي ما سأل»[٢])[٣].

وهذا أكمل أحوال السائل أن يمدح مسؤوله ثم يسأله حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين بقوله: ﴿ ٱهْدِنَا ﴾ لأنه أنجح وأجمع للإجابة، ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل، والهداية هاهنا الإرشاد والتوفيق.

قال العلامة ابن القيم[٤]: «وكذلك اشتدت حاجة العبد بل ضرورته إلى أن يسأل الله أن يهديه الصراط المستقيم فليس العبد أحوج منه إلى هذه الدعوة وليس شيء أنفع له منها، فإن الصراط المستقيم يتضمن علوماً وإرادات وأعمالاً، ومدارك ظاهرة وباطنة تجري عليه كل وقت، فتفاصيل الصراط المستقيم قد يعلمها العبد وقد لا يعلمها، وقد يكون ما لا يعلمه أكثر مما يعلمه، وما يعلمه قد يقدر عليه وقد لا يقدر عليه، وهو من الصراط المستقيم وإن عجز عنه، وما يقدر عليه قد تريده نفسه وقد لا تريده كسلاً وتهاوناً لقيام مانع وغير ذلك، وما يريده قد يفعله، وقد لا يفعله وما يفعله قد يقوم فيه بشروط الإخلاص وقد لا يقوم فيه، وما يقوم فيه بشروط الإخلاص قد يقوم فيه بكمال المتابعة وقد لا يقوم، وما يقوم فيه بالمتابعة قد يثبت عليه وقد

(١) كذا في تفسير ابن كثير، وفي الأصل: مناسب.
(٢) جزء من حديث طويل رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب وجوب قراءة الفاتحة (٤/ ٧٨).
(٣) تفسير القرآن العظيم مختصراً (١/ ٢٥-٢٦).
(٤) راجع الكلام بمعناه في مواضع.
انظر: مدارج السالكين (١/ ٩-١٠)، بدائع الفوائد (٢/ ٣٨).

يصـــــرف قلبه عنه، وهذا كله واقعٌ سارٍ في الخلق فمستقل ومستكثر، ليس في طباع الخلق الهداية إلى ذلك، بل متى نظر إلى طباعه حيل بينه وبين ذلك كله.

فالرب تبارك وتعالى على صراط مستقيم في قضائه وقدره ونهيه وأمره، ونصب لعباده من أمره صراطاً مستقيماً، ودعاهم جميعاً إليه حجة منه وعدلاً، وهدى من شـــاء منهم إلى ســـلوكه نعمة منه وفضلاً، ولم يخرج بهذا العدل وهذا الفضل عن صراطه المستقيم الذي هو عليه، فإذا كان يوم القيامة نصب لخلقه صراطاً مســـتقيماً يوصلهم إلى جنته، ثم صرف عنه في الدنيا[1]، وأقام عليه من أقامه في الدنيا، وجعل نور المؤمنين به وبرســـوله وما جاء به الذي كان في قلوبهم في الدنيا نوراً يسعى بين أيديهم وبأيمانهم في ظلمة الحشر، وحفظ عليهم الإيمان حتى لقوه، وأطفأ نور المنافقين أحوج ما كانوا إليه في الدنيا، وأقام أعمال العصاة بجنبتي الصراط كلاليب وحسكاً[2] تخطفهم كما خطفتهم في الدنيا عن الاســـتقامة عليه، وجعل قوة ســـيرهم وسرعتهم على قدر قوة سيرهم وسرعتهم إليه في الدنيا.

﴿ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ المنعم عليهم هم كل من عرف الحق وتبعه فهو منعم عليه، ومن لم يعرفه فهو ضال، ومن عرفه وآثر غيره فهو مغضوب عليه، ولهذا كان النصارى أخص بالضلال لأنهم أمة جهل، واليهود أخـــص بالغضب لأنهم أمة عناد، ومؤمنو هذه الأمة

---

(١) كذا في الأصل، وكأن الصواب والله أعلم: ثم صرف عنه من صرفه عنه في الدنيا.

(٢) الكلاليب: الحديد معوج الرأس.
انظر :لسان العرب (كلب) (١/ ٧٢٥).
والحسك: الشوك الصلب.
انظر: النهاية في غريب الحديث (حسك) (١/ ٣٨٦).

هم المنعم عليهم، وفي المسند والترمذي من حديث عدي بن حاتم عن النبي ﷺ قال: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»[١].

وقال سفيان بن عيينة[٢]: «من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عبادنا ففيه شبه من النصارى»[٣].

وأما حقيقة الصراط المستقيم فقال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه بحسب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شيء واحد وهو طريق الله الذي نصبه لعباده موصلاً إليه ولا طريق لهم إليه سواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسن رسله، وجعله موصلاً لعباده إليه، وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسوله بالطاعة فلا يشرك به أحداً في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحداً في طاعته، فيجرد التوحيد لله، ويجرد متابعة الرسول ﷺ، وهذا مضمون شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأي شيء فسر به الصراط المستقيم فهو داخل في هذين الأصلين.

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٧٨) رقم (١٩٤٠٠)، والترمذي في التفسير (٨/ ٢٨٦) «تحفة». وقال: حسن غريب. ا.هـ. وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا الحرف اختلافاً. ا.هـ. (١/ ٢٣).
وليس المقصود حصرها بهم، ولكنها تشمل كل من شاركهم في الصفة كما ذكر الشيخ -رحمه الله-. والحديث صححه الألباني. انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٢٠).

(٢) سفيان بن عيينة بن ميمون، مولى محمد بن مزاحم أخي الضحاك، الإمام العلامة الحافظ، أبو محمد الهلالي الكوفي، ولد سنة ١٠٧هـ، وطلب العلم في صغره، ولقي الكبار وحمل عنهم علماً جماً، عمّر دهراً، وازدحم عليه الخلق، وانتهى إليه علو الإسناد ورُحل إليه من البلاد، ولقد كان خلقٌ من طلبة الحديث يتكلفون الحج وما المحرك لهم سوى لقي سفيان لإمامته، وعلو إسناده، توفي عام ١٩٨هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٢٦٢)، تهذيب التهذيب (٤/ ١١٧).

(٣) لم أجده في كثير من مظانه. وذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١/ ١٩٧).

ونكتة ذلـــك أن تحبه بقلبك، وترضيه بجهدك كلـــه، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا يكون له إرادة إلا متعلقة بمرضاته.

فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمداً رسول الله.

وهذا هو الهدى ودين الحق، وهو معرفة الحــق والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسله والقيام به. وقل ما شئت من العبارات التي هذا أَخِيَّتها[١] وقطب رحاها»[٢].[٣] انتهى.

وأما آمين فهي طابع الدعاء، ومعناها: اللهم اســتجب[٤]، وليســت من الفاتحة والله أعلم.

وقد اشتملت هذه الســورة الكريمة، وهي ســبع[٥] آيات على حمد الله وتمجيده، والثناء عليه بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العلى، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلى إرشــاد عباده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبري من

---

(١) الأخية: واحدة الأواخي، وهي: الوتد الذي تشد إليه الدابة.
انظر: الصحاح ٦/ ٢٢٦٥.

(٢) قطب الرحى: الحديدة المركبة في وسط حجر الرحى السفلى التي تدور حولها العليا.
انظر: النهاية ٤/ ٧٩.

(٣) بدائع الفوائد ٢/ ٤٠ باختصار يسير.

(٤) هذا هو الراجح في معنى «آمين»، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير ١/ ١٧ قولين آخرين هما:
الأول: أنا بمعنى كذلك يكون.
الثاني: أنها اسم من أسماء الله تعالى.

(٥) قال القرطبي -رحمه الله- في الجامع ١/ ١١٤: أجمعت الأمة على أن فاتحة الكتاب سبع آيات إلا ما روي عن حسين الجعفي أنها ست، وهذا شاذ.
وإلا ما روي عن عمرو بن عبيد أنه جعل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ آية، وهي على عده ثماني آيات، وهذا شاذ، وقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ الحجر ٨٧، وقوله: «قسمت الصلاة... الحديث» يرد هذين القولين. ا.هـ.

حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالإلهية، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إياه الهداية إلى الصراط المستقيم، وهو الدين القويم وتثبيتهم عليه حتى يفضي بهم ذلك إلى جواز الصراط الحسي يوم القيامة المفضي بهم إلى جنات النعيم، في جوار النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، واشتملت على الترغيب في الأعمال الصالحة؛ ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة وهم المغضوب عليهم والضالون[١]»، والله أعلم[٢].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن -رحمه الله- في بيان بعض دلالات الفاتحة على توحيد الله تعالى:

من ذلك: قول العلماء في باء ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ﴾: إن معناها الاستعانة[٣]، ورجحوا هذا القول، لوجوه مقررة في محلها وقالوا:

قد جاءت السنة بأن «كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أبتر أو أجذم أو أقطع»[٤]، وذكروا فيه روايات.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٠).
وانظر: ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- في المدارج (١/ ٧) وما بعدها فإنه نفيس جداً.

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٣٥-٣٩).

(٣) راجع: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٨)، أنوار التنزيل (١/ ٥).

(٤) رواه الخطيب البغدادي في الجامع (٢/ ٦٩)، وعبدالقادر الرهاوي في الأربعين كما في الدر المنثور (١/ ٢٦)، ومن طريقه السبكي في طبقات الشافعية الكبرى (١/ ٦) بلفظ «أقطع» وقد حسَّنه السيوطي في الموضع السابق، وضعَّفه في الجامع الصغير (٥/ ١٣) «فيض القدير» وقال الألباني: ضعيف جداً. إرواء الغليل (١/ ٢٩).
وقد روي الحديث من وجوه أخرى بلفظ: «لا يبدأ فيه بحمد الله».
انظر: فيض القدير (٥/ ١٣-١٤)، إرواء الغليل (١/ ٢٩-٣١)، النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (١٢).
وقد حسّنه السيوطي وغيره بهذا اللفظ.

والمعنى: أنـه لا يكمل أمر، ولا يحصل تمامـه إلا بذكر الله، ولا يكون أصله ولا يوجد منه شيء إلا بمعونته تعالى.

قالوا: وقد قالت طائفة من أهل العلم: إن البسـملة من الفاتحة. وقالت طائفة أخرى: هي آية من القرآن فاصلة بين السور(١).

---

(١) اختلف العلماء في عد البسملة على أقوال أربعة:
الأول: أنها بعض آية من سورة النمل فقط، وبه قال أبو حنيفة ومالك وقراء الشام والبصرة والمدينة، وهو رواية عن أحمد واستدلوا بما يأتي:
١- وقوع الاختلاف فيها والقرآن يثبت بالتواتر.
٢- أنه لا يكفر من أنكرها.
٣- حديث: «قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين.. الحديث» وإنما تصدق القسمة دون عدها.
٤- حديث عائشة رضي الله عنها قالت: «كان صلى الله عليه وسلم يفتتح الصلاة بالتكبير، والقراءة بالحمد لله رب العالمين».
الثاني: أنها آية تامة من الفاتحة فقط، وبه قال قراء مكة والكوفة وكثير من الفقهاء وأحمد في رواية، واستدلوا بما يأتي:
١- حديث أم سلمة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقطع القراءة آية آية ثم قرأت: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ .. الحديث.
٢- أنها مثبتة في المصاحف.
الثالث: أنها آية من كل سورة ما عدا براءة.
وبه قال الشافعي وابن المبارك وأحمد في رواية، واستدلوا بما يأتي:
١- كتابتها في المصاحف مع أن الصحابة رضي الله عنهم جردوه مما عدا القرآن.
٢- حديث أنس عند مسلم مرفوعاً: «أنزلت عليّ آنفاً سورة ثم قرأ: (بسم الله الرحمن الرحيم، إنا أعطيناك الكوثر .. السورة).
الرابع: أنها آية من القرآن للفصل بين السور.
وهو رواية عن أحمد واختيار جمع من المحققين كابن قدامة وشيخ الإسلام وغيرهما، وبه تجتمع الأدلة السابقة كلها، ومن أهم أدلة هذا القول ما يأتي:
١- حديث «قسمت الصلاة» وإنما يتحقق التنصيف دون عدها.
٢- قوله صلى الله عليه وسلم: سورة ثلاثون آية شفعت لقارئها ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ وهي ثلاثون آية دون البسملة.
٣- حديث عائشة السابق في افتتاح القراءة. =

وعلى القــول الأول: فالإتيان بها من العبادات الواجبة والاســتعانة هي مضمونها، فتكون الاستعانة واجبة به تعالى.

وعلى القول الآخر: يكون الإتيان بها مستحباً والاستعانة بالله واجبة، لا بخصوص هذا اللفظ.

ثم قالوا: إن المتعلق يتعين أن يقدر مؤخراً، لإفادة الحصر والاختصاص وهذا يدل على القول بوجوب الاســتعانة؛ لأن ما اختص به تعالى واستحقه دون ما ســواه لا يصرف لغيره. والقاعــدة العربية تفيــد أن تقديم المتأخر، وتأخير المتقدم يقتضي الحصر[١].

فهذان موضعان[٢]، يدلان على وجوب الاستعانة به وحده في أول حرف في كتاب الله، مع متعلقه.

الموضع الثالث من الأبحاث في الباء وتأخير متعلقها قولهم: إن الحصر هنا حصر إفراد، لا حصر قلب[٣].

= فهذه الأدلة تدل على أنها ليست من السور.
ومما يدل على أنها من القرآن:
١- حديث أنس السابق.
٢- ما رواه أبو داود والحاكم بسند صحيح عن ابن عباس قال: «كان رسول الله ﷺ لا يعرف فصل السورة حتى ينزل عليه: ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾».
٣- أن الصحابة أثبتوها في المصاحف مع أنهم جردوها مما عدا القرآن. والله أعلم.
راجع: تفسير البغوي (١/ ٥١)، الجامع للقرطبي (١/ ٩٣)، المحرر الوجيز (١/ ٦٠)، المغني (٢/ ١٥١)، الفتاوى (٢٢/ ٤٠٦)، تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦).

(١) انظر: الكشاف (١/ ٤)، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة (٢/ ١٥).
وانظر ما يأتي في معنى الحصر.

(٢) الأول: أن الباء للاستعانة. الثاني: أن المتعلق يتعين أن يقدر مؤخراً.

(٣) الحصر هو تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص.
والحصر ينقسم -بالنظر إلى الحقيقة والإضافة- إلى قسمين: =

ورجحه أساطينهم بأن المشركين إنما اعتقدوا الشركة لآلهتهم، لا الاستقلال. فالحصر باعتبار معتقدهم خص أفراداً.

قالوا: وأكثر الكفار اعتقدوا الشركة، لا الاستقلال، فمعنى التسمية عند الموحد: إفراده سبحانه بالاستعانة عما عُبد معه من الآلهة، وعلى القول بأن الاختصاص والحصر للقلب: إنما يتجه باعتبار معتقد من يدعي الاستقلال لمعبوده، كمعطلة الصانع[1].

البحث الرابع في اسم الله، قولهم: إنه من أله إلهة وألوهية[2]، فهو إله فِعَال، بمعنى مفعول، بمعنى: عُبِد يُعبد عبادة والمستعين بغير الله متأله عابد، لا سيما فيما لا يقدر عليه إلا الله. وإذا ثبت أن الاستعانة تأله وأن التأله عبادة، فالبرهان قائم على أن العبادة لا يستحقها غيره تعالى.

= الأول: الحقيقي: وهو أن يختص المقصور بالمقصور عليه بحسب الحقيقة، كقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [الرعد: ١٩]، فالتذكر صفة لا تتجاوز إلى غيرهم في الحقيقة.
الثاني: الإضافي: وذلك بأن يكون القصر فيه بالإضافة إلى شيء مخصوص مثل: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، والإضافي ينقسم بحسب حال المخاطب إلى ثلاثة أقسام:
١-قصر إفراد، ويخاطب به من يعتقد الشركة نحو ﴿إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ [النساء: ١٧١].
٢-قصر قلب، ويخاطب به من يعتقد الحكم لغير من أثبته المتكلم له مثل: ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨] خوطب به نمرود الذي زعم أنه هو الذي يحيي ويميت دون الله.
٣-قصر تعيين، ويخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه.
راجع: تهذيب وترتيب الإتقان (٣٩٤).
بغية الإيضاح (٢/ ٥).
المعجم المفصل في علوم البلاغة (٥٤٣).

(١) معطلة الصانع: هم كل من أنكر وجود الله تعالى أو ربوبيته من كفار العرب أو غيرهم.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٤٩٠).
وانظر: في معنى التعطيل بشيء من التفصيل ما يأتي عند قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي﴾ الآية [البقرة: ١٨٦].

(٢) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٢٣).

الخامس: قول ابن عباس في تفسـيره للاسم الشريف الأقدس: بأنه «ذو الألوهية والعبودية، على خلقه أجمعين»[١]، وقد أخذه المفسـرون وقرروه، واستحسـنوه. فإذا كان تعالى هو صاحب ذلك ومسـتحقه فصرفه إلى غيره شـرك، ووضع للحق في غير موضعه، وهذا يدخل فيه جميع العبادات التي يصدق عليها التأله والألوهية، والعبادة والعبودية، لا سـيما الدعاء، فإنه من أجل أنواعه. قال البخاري في كتـاب الإيمان «باب دعاؤكـم إيمانكم»[٢]، وسـاق حديث ابن عمر[٣]. وكثيراً ما يترجم بما صح عنده وإن لم يكن على شرطه[٤].

السادس: قولهم في اسمه ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ﴾ إنه الموصوف بغاية الرحمة ومنتهاها وأنه وصف ذات، لا ينفك عنه كسائر أوصافه المقدسـة الذاتية[٥]، ودعاء غير

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البخاري (١/ ٨).
وهذا التفسير من قول ابن عباس رضي الله عنهما كما ذكر ذلك ابن حجر في الفتح (١/ ٥٩)، وقد رواه عنه ابن جرير في التفسير (١٩/ ٣٥).

(٣) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «بني الإسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة، والحج، وصوم رمضان».

(٤) انظر: ما ذكره الحافظ ابن حجر -رحمه الله- في هدي الساري مقدمة فتح الباري في الفصل الرابع: في بيان السبب في إيراده للأحاديث المعلقة: مرفوعة وموقوفة، وشرح أحكام ذلك (١٧-١٩).

(٥) صفات الله تنقسم إلى قسمين:
الأول: ذاتية، وهي التي لم يزل ولا يزال متصفاً بها كالعلم والقدرة والسمع والبصر والرحمة، ومنها الصفات الخبرية كالوجه واليدين.
الثاني: الفعلية: وهي التي تتعلق بمشيئته إن شاء فعلها وإن شاء لم يفعلها كالاستواء والنزول.
وقد تكون الصفة ذاتية فعلية باعتبارين، كالكلام فإنه باعتبار أصله صفة ذات وباعتبار آحاده صفة فعل.
انظر: القواعد المثلى للشيخ ابن عثيمين (٢٥).

الموصوف بهذا الوصف وقصد من دونه، والتعرض للوسائط والشفعاء، سوء ظن بصفات كماله، ونعوت جلاله، وإنما دعا إلى عبادته ودعائه والاستعانة به ما اتصف به من الصفات المقدسة، والنعوت الكاملة الجميلة.

واستدلوا على ذلك بقول الخليل عليه السلام لقومه: ﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾[1]، قالوا[2]: «أي فما ظنكم به أن يجازيكم وقد عبدتم معه غيره؟ وما الذي ظننتم به حتى جعلتم له شركاء؟ أظننتم أنه محتاج إلى الشركاء والأعوان؟ أم ظننتم أنه يخفى عليه أحوال عباده، حتى يحتاج إلى شركاء يعرفونه بها كالملوك؟ أم لا يقدر وحده على الاستقلال بتدبيرهم وقضاء حوائجهم؟ أم هو قاسٍ، فيحتاج إلى شفعاء يستعطفونه على عباده؟ أم ذليل فيحتاج إلى ولي يتكثر به من القلة، ويتعزز به من الذلة؟ أم محتاج إلى ولد فيتخذ صاحبة يكون الولد منه ومنها؟ تعالى الله عن ذلك كله علواً كبيراً». ولو قدره المشركون حق قدره لما أشركوا به.

وكذلك اسمه تعالى: ﴿ٱلرَّحِيمِ﴾ فإنه يدل على أنه بالغ في الرحمة غايتها، وأن رحمته عمت عباده ووسعت خلقه، فما بهم من النعم والإحسان والعطايا الباطنة والظاهرة فآثار رأفته ورحمته.

ومَنْ هذا فعله وهذا وصفه كيف يعدل المضطرُ إلى غيره في ضروراته وحاجاته وملماته؟ وفي الحديث القدسي[3]: «يا عبادي كلكم ضال إلا من

---

(١) الصافات: ٨٧.

(٢) راجع: البغوي (٤٧)، ابن كثير (٤/ ١٨)، روح المعاني (١٣/ ١٤٩).
والعبارة أعلاه من كلام ابن القيم رحمه الله. مدارج السالكين (٣/ ٣٤٨).

(٣) الحديث القدسي: من القدس وهو الطهر.
وفي الاصطلاح: ما نقل إلينا عن النبي ﷺ، مع إسناده إياه إلى الله عز وجل.
انظر: تيسير مصطلح الحديث، محمود الطحان (١٢٦).

هديته فاستهدوني أهدكم، يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعموني أطعمكم، يا عبادي كلكم عارٍ إلا من كسوته فاستكسوني أكسكم»[١] الحديث بطوله. ومن رحمته وتودده إلى عباده: أنه ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فينادي: «هل من سائل فأعطيه؟ هل من داع فأستجيب له؟ هل من تائب فأتوب عليه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟»[٢] الحديث معروف مشهور. وفي بعض الإسرائيليات[٣]: أن الله يقول: «ابن آدم، اطلبني تجدني، فإن وجدتني وجدت كل شيء، وإن فُتُّك فاتك كل شيء» وهذا قرروه بهذا المعنى في التفسير وفي الكلام على شرح الأسماء الحسنى وفي الكلام على أحوال القلوب وسيرها، وتوجهاتها إلى الملك العلي الأعلى[٤].

---

(١) رواه مسلم، كتاب البر والصلة، باب تحريم الظلم (١٦/ ١٠٢).

(٢) رواه البخاري، كتاب التهجد، باب الدعاء والصلاة من آخر الليل (٢/ ٤٧)، مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب صلاة الليل والوتر (٦/ ٣٧٦).
وقد شرح هذا الحديث شيخ الإسلام ابن تيمية وبين معناه على مقتضى أصول أهل السنة والجماعة في مصنف مستقل، والكتاب مطبوع.

(٣) الإسرائيليات: جمع إسرائيلية، نسبة إلى بني إسرائيل، وإسرائيل هو: يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام. ويقصد بالإسرائيليات: «ما نقل إلينا من التوراة أو شروحها أو التلمود أو من أساطير اليهود ونحو ذلك»، ويلحق بعض العلماء بها ما نقل عن النصارى.
وأخبار أهل الكتاب على ثلاثة أقسام:
الأول: ما علمنا صحته بما قام عليه الدليل من الكتاب أو السنة فهذا مقبول.
الثاني: ما علمنا كذبه لمخالفته النصوص أو الأصول فهذا مردود.
الثالث: ما لم نعلم صحته ولا بطلانه فلا يصدق ولايكذب.
انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٥)، التفسير والمفسرون (١/ ١٦٥)، الإسرائيليات والموضوعات لأبي شهبة (١٢)، والأثر ذكره ابن كثير في التفسير (٢/ ٣٠١)، وقال الشيخ ابن باز -رحمه الله- في تعليقه على التفسير في (١٧/ ٦/ ١٤١٧هـ): «هذا أثر إسرائيلي، ومعناه صحيح».

(٤) راجع: الطبري (١/ ١٢٦).
المحرر الوجيز (١/ ٦٣).
البغوي (١/ ٥١).
مدارج السالكين (١/ ٣٣) وما بعدها، شرح النونية لهراس (١/ ٦٦-٦٧).

وعبارة البيضـــاوي[1] في الكلام على أول فاتحـــة الكتاب: «وإنما خص التسمية بهذه الأسماء؛ ليعلم العارف أن المستحق لأن يستعـان به في مجامع الأمور هـــو المعبود الحقيقي الذي هـــو مولى النعم كلهـــا، عاجلها وآجلها جليلها وحقيرها، فيتوجه بشراشـــره[2] إلى جانب القدس، ويتمســـك بحبل التوفيق، ويشغل سره بذكره والاستمداد به عن غيره[3].

قـــال البيضاوي: «وإجـــراء هذه الأوصـــاف على الله تعالـــى: من كونه موجداً للعالمين، رباً لهم، منعماً عليهم بالنعم كلها ظاهرها وباطنها، عاجلها وآجلها، مالـــكاً لأمورهم يوم الثـــواب والعقاب: للدلالة علـــى أنه الحقيق بالحمد لا أحد أحق به منه، بل لا يســـتحقه على الحقيقة ســـواه. فإن ترتب الحكم على الوصف يشعر بعليته له، وللإشـــعار من طريق المفهوم على أن من لم يتصف بتلك الصفات لا يتأهـــل لأن يحمد فضلاً عن أن يعبد؛ ليكون دليلاً على ما بعده.

فالوصف الأول[4]: لبيان ما هو الموجب للحمد، وهو الإيجاد والتربية.

والثاني، والثالث[5]: للدلالة على أنه متفضل بذلـــك مختار فيه، ليس

---

(١) عبدالله بن عمر بن محمد بن علي بن ناصر الدين البيضاوي الشافعي، من قرية يقال لها: البيضا من عمل شيراز، برع في التفسير والفقه والعربية والمنطق، كان آية في الذكاء، من مؤلفاته: تفسير «أنوار التنزيل» ويسمى «مختصر الكشاف»، والمنهاج في الأصول وشرحه وغير ذلك، توفي عام ٦٨٥هـ.
انظر: طبقات الشافعية للأسنوي (١/ ٢٨٣)، طبقات المفسرين (١/ ٢٤٨).

(٢) قال في القاموس (٥٣٢): «الشراشر: النفس والأثقال والمحبة وجميع الجسد». ا.هـ.

(٣) أنوار التنزيل (١/ ٧).

(٤) هو ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

(٥) الوصف الثاني والثالث: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ .

يصدر منه لإيجاب بالـذات[١] أو وجوب عليه قضت به سـوابق الأعمال[٢] حتى يستحق به الحمد.

والرابع[٣]: لتحقيق الاختصاص. فإنه لا يقبل الشركة فيه. وتضمين الوعد للحامدين والوعيد للمعرضين[٤]. انتهى.

وإن شئت المزيد على هذا، ولم تكتف بما ذكرناه من التمثيل بالبسملة، وما فيها من الأبحاث فنتكلم على فاتحة الكتاب بما قاله أهل العلم والتأويل؛ لينتفع بذلك من وقف على كتابنا.

فاعلم أن الحمد على ما أفاده بعض المحققين[٥]: ذكر محاسن المحمود على وجه الثناء عليه بها، مع محبته والرضا عنه والخضوع له، فلا يحمده من أعرض عن محبته والخضوع له، أو جعل له شريكاً في ذلك، ولا يرضى عنه من أعد غيره لحاجته وفاقته واستغاث به في شدته وضرورته.

وهذا الحد أتم وأكمل من تعريف بعضهم لـه بأنه اصطلاحاً: «فعل

---

(١) هذا قول الفلاسفة وغلاة الجهمية الذين يقولون: إن الله تعالى ليس فاعلًا مختاراً وإنما هو موجب بذاته دون اختيار ولا مشيئة.
انظر: كيف تضمنت الفاتحة الرد على هؤلاء في مدارج السالكين (١/ ٦٦).

(٢) وهذا قول المعتزلة الذين يقولون: إن العباد يستحقون الجزاء استحقاق الأجرة على المستأجر فهو محض حقهم.
انظر: مدارج السالكين (١/ ٦٣).

(٣) الوصف الرابع: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾.

(٤) أنوار التنزيل (١/ ٨-٩).

(٥) الظاهر -والله أعلم- أنه يقصد ابن القيم -رحمه الله- فإنه قال في المدارج (١/ ٢٥): «الحمد يتضمن مدح المحمود بصفات كماله، ونعوت جلاله مع محبته، والرضا عنه والخضوع له فلا يكون حامداً من جحد صفات المحمود، ولا من أعرض عن محبته والخضوع له».ا.هـ.
وانظر أيضاً: بدائع الفوائد (٢/ ٩٢-٩٦).

ينبئ عن تعظيم المنعم»[١]، لوجوه لا تخفى على الذكي، فلا نطيل بذكرها.

وإذا كانت ﴿أل﴾ فيه للاستغراق وعموم الأفراد -كما هو الراجح[٢]- فجميع أوصاف الكمال ونعوت الجلال والجمال التي يحمد من قامت به ثابت لله أكملها لكمال صفاته وكثرتها.

ولهذا لا يحصي أحد من خلقه ثناء عليه، وبها يُستدل على إلهيته وأنه الإله الحق.

ولذلك يستدل الله تعالى على بطلان إلهية ما سواه بفقد صفات الكمال التي يستحق بها أن يعبد ويعظم ويقصد وحده، كما قال عن خليله في مخاطبته لأبيه: ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ﴾[٣]، وقال في عباد العجل: ﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمۡ وَلَا يَهۡدِيهِمۡ سَبِيلًا ﴾[٤]، فجعل نفي صفات الكمال موجباً لبطلان إلهيته وعبادته، وهذا يعرف بالفطر والعقول.

فهذه ثلاثة مواضع في أول كلمة من كتاب الله دلت على بطلان دعاء غيره وعبادته والاستعانة بسواه، والعبد وإن علت درجته وارتفعت رتبته فهو فقير إلى بارئه وفاطره، لا نسبة لقدرته وعلمه وحكمته وفضله وكرمه وحياته إلى ما اتصف به خالقه وإلهه الحق من صفات الكمال ونعوت الجلال، قال شيخ الإسلام:

---

(١) ذكر في التعريفات (٩٣) قريباً من هذا فقال: الحمد العرفي: فعل يشعر بتعظيم المنعم بسبب كونه منعماً، أعم من أن يكون فعل اللسان أو الأركان. ا.هـ.
(٢) راجع: مفاتيح الغيب (١/ ١٨١)، القرطبي (١/ ١٣٣).
(٣) مريم: ٤٣.
(٤) الأعراف: ٤٣.

والفقر لي وصف ذات لازم أبداً   كما الغنى أبداً وصف له ذاتي[١]

وأما اسمه ﴿ٱللَّهِ﴾ فهو دال على الإلهية المتضمنة لسائر صفات الإلهية والكمال، مستلزم لجميع معاني الأسماء الحسنى[٢]، دال بالوضع والمطابقة[٣] على كونه مألوهاً معبوداً، تألهه الخلائق محبة وتعظيماً وخضوعاً ومفزعاً إليه في الحوائج والنوائب، بخلاف من أله سواه ممن لا يستحق الإلهية، ولم يخرج عن رتبة العبودية، وصار مفزعه في الحوائج والنوائب إليه، واعتماده في المهمات والملمات عليه، فمن كان هكذا كعباد الملائكة والأنبياء والصالحين، فلم يعط هذا الاسم الشريف حقه من العبودية، وإفراد الله بالإلهية.

وأما ﴿الرب﴾ فهو دال على ربوبيته لجميع مخلوقاته، وكمال الربوبية هو بما اتصف به من صفات الكمال، كقدرته وعلمه ورحمته وقيوميته، وهو يربي عباده بالخلق والتدبير والملك وهو من أكبر الأدلة وأوضحها وأجلاها على وجوب عبادته تعالى[٤]، وأن إلهية ما سواه وعبادة غيره أبطل

---

(١) انظر: العقود الدرية (٣٧٥)، الكواكب الدرية (٢٢٩)، تعليق (٣).

(٢) لأنه لما كان تعالى هو الإله المعبود فهذا يستدعي أن يكون متصفاً بجميع صفات الكمال ونعوت الجلال التي تدل عليها الأسماء الحسنى.

(٣) الوضع في اللغة: جعل اللفظ بإزاء المعنى.
وفي الاصطلاح: تخصيص شيء بشيء متى أطلق أو أحس الشيء الأول فهم منه الشيء الثاني.
التعريفات (٢٥٢).
والمطابقة: دلالة الشيء على كل معناه.

(٤) لا شك أن توحيد الربوبية مستلزم لتوحيد الألوهية، وتوحيد الألوهية متضمن لتوحيد الربوبية. والكفار الأوائل كانوا مقرين بتوحيد الربوبية، ولذا جاء الاستدلال في القرآن الكريم بتوحيد الربوبية الذي يقرون به على توحيد الألوهية الذي ينكرونه. والله أعلم.

الباطل وأضل الضلال. ولهذا يستدل على إلهيته تعالى ووجوب توحيده بأفعاله الصادرة عن ربوبيته، كخلقه وقيوميته، قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[١]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ﴾[٢]، وقال: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ﴾[٣]، وهذا كثير في القرآن. ولكن يحول بين عباد القبور والصالحين وفهمه ما على قلوبهم من رين الشرك وطابعه، فلا جرم قال العراقي[٤]: «لم يذكر هذا أحد من العلماء والمفسرين»[٥].

وأما اسمه ﴿الرَّحْمَٰنِ﴾ فهو كما تقدم دال على أن الرحمة وصفه وصف ذات لا ينفك عنه، ولهذا لا يطلق على غيره.

و﴿الرَّحِيمِ﴾ هو الراحم لعباده البالغ[٦] في إيصال الرحمة؛ لأن فعيل من صيغ المبالغة، لكن فعلان أبلغ، فسعة الرحمة وكثرتها وإحاطتها من أدلة عظمة الموصوف وكمال صفاته، ووجوب عبادته وإلهيته، وإنابة القلوب إليه.

---

(١) النحل: ١٧.

(٢) الرعد: ٣٣.

(٣) الأحقاف: ٤.

(٤) داود بن سليمان بن جرجيس البغدادي العراقي النقشبندي، ولد عام ١٢٣١هـ في بغداد، رحل إلى الحجاز ونجد، والتقى بالشيخ أبابطين وطلب منه الإجازة، ورد عليه الشيخ بعض ضلالاته فأظهر الرجوع ثم تبين أنه مقيم على ضلاله، من مؤلفاته: صلح الإخوان، وتشطير البردة، رد عليه جمع من أئمة الدعوة في نجد وغيرهم منهم الشيخ عبداللطيف في كتابه هذا: منهاج التأسيس والتقديس. توفي ببغداد عام ١٢٩٩هـ.
انظر: تأسيس التقديس للشيخ أبابطين (٢)، الأعلام (٢/ ٣٣٢)، معجم المؤلفين (٤/ ١٣٦).

(٥) زعم داود بن جرجيس أن النذر للقبور والأولياء ودعاءهم ليس بشرك وأن المفسرين لم يذكروه في كتب التفسير، ولو كان شركاً لذكروه.
انظر: منهاج التأسيس (١٠٦).

(٦) هكذا في الأصل، والله أعلم.

فالمستغيث بغيره الراغب إلى سواه فيما لا يقدر عليه غيره من الأمور المهمة العظام، وما ليس من جنس الأسباب العادية، كمن يستغيث بالأنبياء والصالحين والملائكة، ويرجع إليهم في حاجاته وملماته -ما أعطى هذا الاسم حقه، ولا آمن به حق الإيمان الواجب، ولو استشعر شيئاً من كمال مدلوله وسعته وإحاطته لما عدل بربه سواه، ولا التفت إلى غير رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما. ومشهد الأسماء الحسنى والصفات العلا[1] مشهد عظيم لا يعرفه ويسير به إلا الصديقون العارفون بالله، وما يجب له وما يستحيل عليه.

وأما من تعلق بغيره والتفت إلى سواه، وصار مبلغ علمه وغاية حذقه وفهمه تعلقه بالأولياء والصالحين ورجاء رحمتهم وإحسانهم وعطفهم فهو محجوب عن هذا غير عارف بربه، جاهل بصفات كماله ونعوت جلاله، قال تعالى: ﴿ قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّيٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَٰهِلُونَ ﴾[2]، فسجل على من أمر بدعاء الصالحين والاستغاثة بهم بالجهالة، سواء سمي ذلك توسلاً وتشفعاً واستظهاراً وكرامة أو لم يسمه.

وأما ﴿ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴾ فهو وصف كمال ومجد، يقتضي وجوب معاملته وحده لا شريك له، وإسلام الوجه له، لأن الاختصاص والانفراد بالملك يوجب خوفه ورجاءه وطاعته، والتعلق بالمملوك المقهور الذي لا شركة له ولا ملك بوجه من الوجوه، وقصده في طلب الإعطاء والمنع، والخفض والرفع والنجاة من النار، والفوز بدار الأبرار سفهٌ وضلالٌ مبين، قال تعالى: ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾[3].

---

(١) انظر في ذلك -مثلًا-: ما كتبه الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية في المدارج (١/ ٤١٧).

(٢) الزمر: ٦٤.

(٣) البقرة: ١٣٠.

وقد تمدح سبحانه باختصاصه بملك هذا اليوم في مواضع من كتابه مع أنه الملك المالك في الدنيا والآخرة لسرٍ اقتضى ذلك، وحكمة أوجبته، وهي انقطاع كل العلائق والأسباب والمؤاخاة والوصل التي يتعامل بها أهل الدنيا في دنياهم، قال تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾[١]، فاعرف ما في هذا الخطاب من العموم[٢]، وما دل عليه التنكير من الشمول المتناول لكل معبود مع الله، ولو نبياً أو ملكاً، وما يجري على يد الشفعاء ذلك اليوم لا يرد على الآية ولا ينفي العموم، لأنه لا يقع إلا بإذنه تعالى فيمن يرضى قوله وعمله. فعاد الأمر له جل ذكره بدءاً وعوداً أولاً وآخراً[٣].

و﴿ٱلدِّينِ﴾ هو الجزاء والمكافأة على الأعمال حسنها وقبيحها.

وما لم ينزل به سلطان ولم ترد به حجة من الأعمال والديانات، يجازى فاعله، ويعاقب إن لم يمنع مانع كتوحيد الله والإيمان به وبرسله، وأي توحيد يبقى وينفع مع عبادة الأولياء والصالحين والاستغاثة بهم، وصرف الوجوه إليهم.

قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾ عَمَّا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾[٤]، قال جمع من العلماء: عن شهادة أن لا إله إلا الله[٥].

---

(١) البقرة: ١٢٣.

(٢) العام: الكلام المستغرق لجميع ما يصلح له.
انظر: التمهيد لأبي الخطاب (٢/ ٥)، روضة الناظر (٢/ ٦٦٢)، المسودة (٥٧٤).
وقد ذكروا أن من صيغ العموم: النكرة في سياق النفي، وهي الصيغة التي أشار إليها الشيخ هنا.
انظر: الأحكام للآمدي (٢/ ١٩٧)، الروضة (٢/ ٦٦٧)، المسودة (١٠٠).

(٣) يأتي لهذا مزيد بيان من كلام الشيخ أبابطين -رحمه الله- في سورة الانفطار (ص ٦٩٤).

(٤) الحجر: ٩٢-٩٣.

(٥) رواه ابن جرير عن أنس مرفوعاً وموقوفاً. ورواه عن ابن عمر ومجاهد رضي الله عنهم جميعاً.
الطبري (١٤/ ٤٦).

وأما قولـه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ ففيها اختصاصه وانفراده بالعبادة والاستعانة وأن ذلك حق لا يشـركه فيه نبي مرسل ولا ملك مقرب. والعبادة هي الغاية المقصودة من العباد المكلفين، والاستعانة وسيلة إلى هذه الغاية المقصودة من العباد المكلفين.

والمؤمنون بالرسل أخلصوا له العبادة وأفردوه بالاستعانة، فهو معبودهم ومستعانهم وجميع الأعمال داخلة في هاتين الكلمتين الشريفتين. وقد دلت صيغة الحصر والاختصاص[١] فيهما على التوحيد.

والعبد همام حارث[٢]، لابد له من ذلك، وهمه وحرثه غاية ووسيلة، فيجب أن يكون غاية قصده ومراده وجه الله، والتماس طاعته ومرضاته، ويجب أن تكون الوسيلة إلى ذلك استعانته بالله وحده، والاستغاثة به.

وهذا حال أهل الكمال جمعوا بين عبادة الله واستعانته، بخلاف من عبد غيره واستعان بسواه، أو من عبده لكن قصر وأضاع ما يحصل به مقصوده من الاستعانة، أو من استعان به ولكن على ما لا يحبه وما لم يشرعه من الأعمال الصالحة أو وسائلها[٣].

---

(١) سبق معنى الحصر (ص ١٤٩).
والحصر والاختصاص بمعنى واحد، وبعضهم يفرق فيقول:
الحصر: نفي غير المذكور وإثبات المذكور.
والاختصاص: قصر الخاص من جهة خصوصه.
وصيغة الحصر هنا هي: تقديم المعمول.
راجع: الإتقان (٤٠٣).

(٢) قال ﷺ: «خير الأسماء عبدالله وعبدالرحمن، وأصدق الأسماء همام وحارث، وشر الأسماء حرب ومرة».
رواه ابن وهب في الجامع (ص٧)، نقلاً عن السلسلة الصحيحة للألباني (٣/ ٣٣) رقم (١٠٤٠).

(٣) الناس في العبادة والاستعانة على أقسام أربعة كما ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله-: =

ويدخل في النوع الثاني: من تعلق بالأنبياء والصالحين عبادة واستغاثة واستعانة كعباد القبور، فإنهم لم يعرفوا ما دلت عليه هاتان الكلمتان من وجوب العبادة والاستعانة، وفي حديث ابن عباس: «ألا أعلمك كلمات ينفعك الله بهن؟ إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله» الحديث[١].

وكتب الحسن[٢] إلى عمر بن عبدالعزيز[٣]:

«إياك أن تستعين بغير الله فيكلك الله إليه»[٤]، وقال أبو عبدالله القرشي:

= الأول: مَنْ جمع بين العبادة والاستعانة.
الثاني: المعرضون عن العبادة والاستعانة.
الثالث: مَنْ له نوع عبادة بلا استعانة كالقدرية القائلين بأن الله لا يخلق أفعال العباد- ونحوهم.
الرابع: مَنْ له نوع استعانة، ولكنه لم يطلب ما يحبه الله ويرضاه.
انظر في ذلك: الفتاوى (١٣/ ٣٢٣)، مدارج السالكين (١/ ٧٨).

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠٧)، رقم (٢٨٠٤-٢٦٦٩-٢٧٦٣)، ورواه الترمذي (٣/ ٣٢١)، وقال حديث حسن صحيح، وحسنه ابن رجب في جامع العلوم والحكم (ص ٢٢٣)، وصححه الشيخ أحمد شاكر، والألباني. صحيح الجامع الصغير (٦/ ٣٠٠).

(٢) أبو سعيد الحسن بن يسار البصري، ولد سنة ٢١هـ بالمدينة ونشأ بها، ولازم الجهاد والعلم والعمل، من أعلام التابعين وكبارهم، ثقة حجة عابد، له أقوال في العلم والعمل والسلوك مشهورة، توفي سنة ١١٠هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٧١)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٦٤).

(٣) عمر بن عبدالعزيز بن مروان بن الحكم الخليفة الأموي العادل، ولد عام ٦١هـ بالمدينة، وبها نشأ ثم ولي إمرتها للوليد بن عبدالملك، ثم أصبح وزيراً لسليمان، ثم ولي الخلافة بعده عام ٩٩هـ، أقام العدل وأنصف الناس، ونشر العلم ورد المظالم، كان يقال له أشج بني أمية، صنف في ترجمته جماعة منهم ابن الجوزي وابن عبدالحكم والمناوي وغيرهم كانت مدة خلافته سنتين ونصف سنة، مات سنة ١٠١هـ.
انظر: الحلية (٥/ ٢٥٣)، سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم.

(٤) بحثت عنه في جملة من مظانه مثل: سيرة عمر بن عبدالعزيز لابن عبدالحكم ولابن الجوزي، وترجمته في البداية والنهاية وترجمة الحسن البصري في البداية والنهاية. فلم أقف على هذا النص.

«اســتغاثة المخلوق بالمخلــوق كاســتغاثة الغريق بالغريــق»، وقال غيره: «استغاثة المخلوق بالمخلوق كاســتغاثة المسجون بالمسجون»[١]، والكلام هنا يطول.

وغرضنا التنبيه علــى أن القرآن كله دال على التوحيد، آمر به مشــير إليه مستلزم له، مقرر لوصف أهله وما لهم من الكرامة في المعاد ومبين لأحوال من تركه، ولم يرفع به رأساً أو أشرك في عبادته، وما لهذا الصنف من الجزاء والعقاب والإهانة في الدار الآخرة[٢].

وأمــا قولــه: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ ﴾ فهذا فيه توحيد الطريق وأن من سلك ســواه وأراد الوصول من غيره فالسبل والطرق عليه مسدودة قاطعة غير موصلة.

وفي حديث ابن مســعود: «خط لنا رســول الله ﷺ خطاً، ثم قال: هذا ســبيل الله، ثم خط خطوطاً عن يمينه وعن شــماله، وقال: هذه سبلٌ، على كل ســبيل منها شــيطان يدعو إليه، ثم قرأ قوله تعالــى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم

---

(١) ذكر شيخ الإسلام المقولتين في الفتاوى (١/ ١١٢)، وعزا الثانية لأبي يزيد البسطامي (ت ٢٦١هـ) وفيها: «كاستغاثة الغريق بالغريق»، وفي كلام أبي عبدالله القرشي: «كاستغاثة المسجون بالمسجون».
انظر أيضاً: الفتاوى (١٤/ ٢٩).
وأبو عبدالله القرشي هو محمد بن أحمد بن إبراهيم الهاشمي الزاهد، من أهل الأندلس ثم انتقل إلى مصر، توفي بالقدس عام ٥٩٩هـ. انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٠٥)، الأعلام (٥/ ٣١٧).

(٢) انظر: شرح العقيدة الطحاوية، لابن أبي العز (٨٨-٨٩)، شرح الفقه الأكبر لملا علي قاري (٨).

بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴾[(١)]»[(٢)]، إذا عـرف هذا فالصراط المسـتقيم ما كان عليه النبي ﷺ والصحابة والتابعون لهم بإحسـان من أئمة الهدى، ودعاء الأنبياء والصالحين والاسـتغاثة بهـم والتوجه إليهـم كل هذا ليس ممـا كان عليه النبي ﷺ ولا أصحابه ولا التابعون له بإحسـان، بل ليس عليه أحد من رسل الله ولا أوليائه، وقد توافرت النصوص وتظاهرت على المنع منه.

فإذا كان خارجاً عن الصراط المسـتقيم ناهياً عنه سالكيه ومؤتميه، فهو سبيل يفضي بسـالكه إلى النيران والدخول في طاعة الشـيطان، وأهل هذا الصراط المستقيم دأبهم وشـأنهم إفراد الله بالعبادة والاستعانة والاستغاثة والإنابـة والخوف والرجاء والتـوكل والاعتماد، ومباينتهـم في الأوصاف خروج عن صراطهم وطريقهم، قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى:

فلواحـدٍ كُـنْ واحداً فـي واحدٍ ... أعني سبيلَ الحقِ والإيمانِ[(٣)]

فسبيل الله واحد لا متعدد، ولا يمكن أن يأتي أحد بحجة وسلطان على أن دعاء الأولياء والصالحين من أهل القبور أو غيرهم مشـروع مسـنون أو مباح، ولا يمكن أن تأتي شـريعة بهذا، وما يقوله الجاهلون من الشبه الواهية لا يعتد به؛ ولا يلتفت إليه، بل هـي قاطعة عن الطريق حائلة بين أربابها وبين

---

(١) الأنعام: ١٥٣.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٤٣٥)، رقم (٤١٤٢).
والنسائي في الكبرى، كما ذكر ذلك المزي في تحفة الأشراف (٧/ ٤٩).
والدارمي في سننه، باب كراهية أخذ الرأي (١/ ٧٨).
وابن جرير في التفسير (١٢/ ٢٣٠)، وصححه الشيخ أحمد شاكر.
وصححه الحاكم في المستدرك ووافقه الذهبي (٢/ ٣١٨).
ورواه البغوي في التفسير (٣/ ٢٠٥)، وفي شرح السنة (١/ ١٩٦).
وانظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٩٠)، والدر المنثور (٣/ ٣٨٥).

(٣) الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية، المسماة بالنونية مع شرحها لهراس (٢/ ١٣٣).

الصراط المستقيم وما كان عليه النبي ﷺ وما جاء به من عند الله، وإن زعموا أنها أدلة وبينات، فهي جهالات وخيالات وضلالات.

وقوله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فغير: صفة ونعت لما قبلها من الاسم الموصول، على ما وجهه بعض المفسرين[1].

والمعنى: أن الذين أنعم الله عليهم خالفوا وباينوا المغضوب عليهم والضالين في صفاتهم الشنيعة، وأفعالهم القبيحة.

فالأولون[2] عرفوا الحق ولم يتبعوه ولم يريدوه، بل آثروا أغراضهم الفاسدة وشهواتهم القاطعة، واستمتعوا بخلاقهم، ولم يعبؤوا بما عداه مما فيه صلاح العبد وهداه.

والآخرون[3] غلبت عليهم الشبهات، وتاهوا في أودية الجهالات والضلالات، ولم يهتدوا إلى ما نصبه الله تعالى من الآيات الواضحات والأدلة الظاهرات على وجوب توحيده وإلهيته وصمديته وتنزهه عن الصاحبة والولد.

وأحق الناس بالوصف الأول: اليهود، وبالوصف الثاني: النصارى، لغلبة الوصف الأول على اليهود، وغلبة الثاني على النصارى، ولذلك جاء في حديث عدي بن حاتم: «اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون»[4].

ولكن هذا الوصف لا يختص بهم، بل كل منحرف عن الصراط المستقيم

---

(١) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٥٣)، إعراب القرآن للعكبري (١/ ٩)، المحرر الوجيز (١/ ٧٦-٧٧)، البحر المحيط (١/ ١٤٨).

(٢) المغضوب عليهم.

(٣) هم: الضالون.

(٤) سبق تخريجه (ص ١٤٥).

إيثاراً لهواه ورأيه فله نصيب من الوصف الأول، ومن انحرف لجهله وعدم فقهه فله نصيب من الوصف الثاني، وهذا الانحراف إن بقي معه أصل الدين الذي لا يقوم الإيمان والتوحيد إلا به فهو من أهل الذنوب من المسلمين وأمره إلى الله، وإن كان الانحراف يخل بأصل الدين والإيمان، ويمنع التوحيد، كحال من يدعو الملائكة والأنبياء والصالحين مع الله في مهماته وملماته ويعتمد عليهم، ويستغيث بهم في شدائده فهذا له حظ وافر ونصيب كامل من الضلال، قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ﴾(١)، انظر هذا الاستفهام وحسن موقعه بعدما تقدم من الاستفهامات(٢) التي هي حجج وآيات على ما بعدها تعرف به فحش ما جاء به عباد القبور من دعاء آلهتهم والاستغاثة بهم في الملمات والشدائد المدلهمات وأن أهل الجاهلية كانوا يخلصون في الشدائد، ويعترفون بأنه المختص بإجابة المضطر وكشف السوء وهؤلاء يشتد شركهم عند الضر ونزول الشدائد(٣).

ثم من المعلوم أن أخص أوصاف النصارى -الضالين- عبادة الأنبياء والصالحين وجعلهم شركاء لله فيما يختص به ويستحقه، وطاعة علمائهم

---

(١) النمل: ٦٢.

(٢) من قوله تعالى في [النمل: ٥٩]: ﴿قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ وما بعدها من الآيات.

(٣) ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في كشف الشبهات (٣٥): أن مشركي زماننا أشد شركاً من المشركين الأولين من وجهين:
الأول: أن الأولين لا يشركون إلا في الرخاء وأما في الشدة فيخلصون الدعاء لله.
الثاني: أن الأولين يدعون مع الله أناساً مقربين عند الله إما أنبياء أو ملائكة، أو يدعون أحجاراً وأشجاراً مطيعة لله ليست عاصية، وأهل زماننا يدعون مع الله أناساً من أفسق الناس، والذي يعتقد في الصالح أو الذي لا يعصي مثل الخشب والحجر أهون ممن يعتقد فيمن يشاهد فسقه وفساده.

وأخبارهم في التحليل والتحريم، المخالف لما عهد إليهم في الكتب السماوية على ألسنة أنبيائهم.

وعباد القبور ضربوا في هذا بسهم وافر، وحصلوا على نصيب من عبادة الأنبياء والصالحين ودعائهم مع الله استحقوا به إطلاق وصف الضلال عليهم، فيما أتوا به وابتدعوه من طاعة الدعاة إلى عبادة القبور من المنتسبين إلى العبادة أو العلم.

وهذا إشارة تطلعك على ما وراءها.

وفي فاتحة الكتاب والسبع المثاني[1] من العلوم والتوحيد والرد على أصناف الضالين وشيع المبطلين[2]، ما لا يمكن حصره واستقصاؤه وإنما أردنا بيان كذب العراقي[3] بقوله: لم يذكر المفسرون هذا. والتسجيل على جهله في ذلك. وليس لنا فيما مر إلا تقريبه في عبارة يفهمها الذكي والبليد، وإبرازه في قالب معناه على الطالب غير متعسر ولا بعيد، والفضل للمتقدم، ولولا الحاجة والضرورة لما تصديت لمثل هذه المباحث خوفاً من زلة

---

(١) تسمى فاتحة الكتاب؛ لأنه افتتح بها القرآن الكريم.
وتسمى السبع المثاني لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧].
قال ﷺ: «هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».
رواه البخاري كتاب التفسير، باب ما جاء في فاتحة الكتاب (٥/ ١٤٦).
وسميت مثاني؛ لأنها تثنى قراءتها أي تعاد مرة بعد مرة في الصلاة وغيرها.

(٢) ذكر الإمام ابن القيم في المدارج (١/ ٥٨) وما بعدها قال:
فصل: في اشتمال الفاتحة على الرد على جميع المبطلين من أهل الملل والنحل والرد على أهل البدع والضلال من هذه الأمة.
ثم بين فيه ﷺ كيف أن الفاتحة ردت على المنكرين للخالق والمشركين به وعلى الجبرية والجهمية وغيرهم.

(٣) يقصد به داود بن سليمان بن جرجيس الذي رد على أئمة الدعوة وألف في ذلك كتباً افترى فيها عليهم ما هم منه براء.

القدم، وهفوة القلم، ومعرفة الندم. وأستغفر الله العظيم من التقصير في فهم كتابه، وعدم الاشتغال بمعرفة ما يراد من حكمه وخطابه[١].

قال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله:

قال تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء والحساب، وتخصيصه الملك بذلك اليوم لا ينفيه عما عداه لأنه تقدم أول السورة أنه رب العالمين، والرب هو المالك المتصرف، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدين لأنه لا يدعي أحد هناك شيئاً، ولا يتكلم أحد إلا بإذنه كما قال تعالى: ﴿يَوۡمَ يَأۡتِ لَا تَكَلَّمُ نَفۡسٌ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦ﴾[٢]، ﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ صَفّٗاۖ لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنۡ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحۡمَٰنُ وَقَالَ صَوَابٗا﴾[٣].

قال ابن عباس رضي الله عنهما ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ يقول: «لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكماً كملكهم في الدنيا»[٤].

وقال تعالى: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾[٥]، وقال: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَۖ لِلَّهِ ٱلۡوَٰحِدِ ٱلۡقَهَّارِ﴾[٦]، وقال: ﴿وَلَهُ ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ﴾[٧]، وقال: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾[٨]، وقال: ﴿وَإِلَيۡهِ يُرۡجَعُ

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس (ص ١٠٧-١١٧).
(٢) هود: ١٠٥.
(٣) النبأ: ٣٨.
(٤) روه ابن جرير (١/ ١٤٩)، وابن أبي حاتم (١/ ١٩).
(٥) الفرقان: ٢٦.
(٦) غافر: ١٦.
(٧) الأنعام: ٧٣.
(٨) الانفطار: ١٩.

ﱡٱلۡأَمۡرُ كُلُّهُۥﱠ[١]، أي ليس لأحد مــن الخلق أمر معه في ذلــك اليوم، مع أن الأمر كله له سبحانه في الدنيا والآخرة كما قال: ﱡقُلۡ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِﱠ[٢].

واختصاصه ســبحانه بالتفرد بالأمر في ذلك اليوم قال المفسرون معناه: «أنه لا يملك أحد في ذلك اليوم شيئاً كما ملكهم في الدنيا»[٣].

وقال تعالــى: ﱡوَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗاﱠ[٤]، وقال: ﱡيَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤١ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُﱠ[٥]،[٦].

---

(١) هود: ١٢٣.

(٢) آل عمران: ١٥٤.

(٣) سبق معنى هذا في الأثر عن ابن عباس رضي الله عنهما وانظر: الطبري (١/ ١٤٩)، ابن كثير (١/ ٢٥).

(٤) البقرة: ١٢٣.

(٥) الدخان: ٤١-٤٢.

(٦) الدرر السنية (٩/ ٢٧٩، ٢٨٠).



قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣﴾ [البقرة: ٣].

قال الشيخ حسن بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ الإيمان في اللغة يطلق على التصديق[١]، أما الإيمان الشرعي المطلوب فهو قول واعتقاد وعمل، وأكثر السلف على ذلك[٢].

وقال أبو العالية[٣]: «﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ أي: بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وجنته وناره ولقائه»[٤].

---

(١) لسان العرب (١٣/ ٢٣)، والذي عليه المحققون أن الإيمان في اللغة هو الإقرار، لا مجرد التصديق؛ لأن الإقرار يتضمن تصديق القلب وانقياد الجوارح. انظر: مجموع الفتاوى (٧/ ٥٢٩- ٥٣١) (١٠/ ٢٦٩- ٢٧٦) شرح الطحاوية (٢/ ٤٧١).

(٢) اختلفت الأمة في الإيمان على أقوال أربعة:

الأول: قول السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم أنه قول واعتقاد وعمل. الثاني: قول المرجئة أنه إقرار باللسان وتصديق بالقلب. الثالث: قول الكرامية أنه الإقرار باللسان. الرابع: قول الجهمية وهو شرها أنه مجرد التصديق بالقلب.

وقد نقل اللالكائي وشيخ الإسلام ابن تيمية وغيرهما إجماع الصحابة والتابعين على أن الإيمان قول واعتقاد وعمل.

راجع: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٤/ ٨٣٠). كتاب الإيمان لابن تيمية (١٥١) وما بعدها و(٢٦٤) وما بعدها. شرح العقيدة الطحاوية (٣٧٣)، الدرر السنية (١/ ١٨٧).

(٣) رفيع بن مهران، أبو العالية الرياحي، مولى لامرأة من بني رياح بن يربوع ثم من بني تميم، الإمام المقرئ الحافظ المفسر، أدرك زمن النبي ﷺ وهو شاب، وأسلم في خلافة أبي بكر ودخل عليه، حفظ القرآن وقرأه على أبي بن كعب، وتصدر لإفادة العلم وبعد صيته، توفي سنة ٩٣هـ. انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٦١)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٧٨).

(٤) ذكره ابن كثير (١/ ٤١)، عن أبي العالية، وكذا ذكره السيوطي في الدر عن ابن جرير (١/ ٦٨) وفي تفسير الطبري (١/ ٢٣٧) عن الربيع بن أنس. قال المحقق: أخشى أن يكون ذكر أبي العالية سقط من الإسناد في نسخ الطبري لثبوته عند هذين الناقلين عنه. ا.هـ.

ورواه ابن أبي حاتم عن أبي العالية أيضاً (١/ ٣٥).

وفسره بعض السلف بما غاب عن العباد من أمر الجنة والنار[١].

وقال ابن عباس: «بما جاء منه» أي من الله[٢].

وقيل الغيب: القرآن[٣]، وقيل: القدر[٤].

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ قال ابن عباس: «أي يقيمون الصلاة بفروضها، بإتمام الركوع والسجود والتلاوة والخشوع»[٥].

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ اختار بعض العلماء عموم الآية في الزكاة والنفقات[٦]، أي أنهم يؤدون اللازم لهم في أموالهم كالزكاة والنفقة وكل ذلك ممدوح به محمود عليه.

«وإنما قرن الله بين الصلاة والزكاة، لأن الصلاة حق الله تعالى وعبادته، وهي مشتملة على توحيده والثناء عليه، وتمجيده والابتهال إليه، ودعائه والتوكل عليه.

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس وابن مسعود وغيرهما من الصحابة (١/ ٢٣٦).

(٢) رواه ابن جرير (١/ ٢٣٦).

(٣) رواه ابن جرير عن زر بن حبيش (١/ ٢٣٦)، وكذا ابن أبي حاتم (١/ ٣٥)، ولعل من أوجه كونه غيباً الإيمان بأنه من عند الله حقاً، والإيمان بما فيه من أمور الغيب التي لم يطلع عليها المكلف ونحو ذلك.

(٤) رواه ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم (١/ ٣٦).
وذكره البغوي عن ابن كيسان (١/ ٦٢).

(٥) رواه ابن جرير (١/ ٢٤١)، وراجع: ابن كثير (١/ ٤٢)، والدر المنثور (١/ ٦٨).

(٦) للعلماء في النفقة المذكورة هنا أقوال:
الأول: أنها الزكاة المفروضة.
الثاني: أنها نفقة الرجل على أهله.
الثالث: أنها صدقة التطوع.
الرابع: أنها النفقات الواجبة عدا الزكاة.
وقد رجح جمع من المحققين كالطبري وابن عطية والقرطبي عمومها لهذا كله.
انظر: الطبري (٢/ ٢٤٤)، المحرر الوجيز (١/ ٥٨)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ١٠)، الجامع لأحكام القرآن (١/ ١٧٩)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢).

والإنفاق هو الإحسان إلى المخلوقين بالنفع المتعدي إليهم، وأولى الناس بذلك القرابات والأهل والمماليك ثم الأجانب»[(١)(٢)].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١١].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال أبو العالية في الآية: يعني «لا تعصوا في الأرض؛ لأن من عصى الله في الأرض أو أمر بمعصية فقد أفسد في الأرض؛ لأن صلاح الأرض والسماء إنما هو بطاعة الله ورسوله»[(٣)].

وقد أخبر تعالى عن إخوة يوسف عليه السلام في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ﴾ إلى قوله: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ لَقَدْ عَلِمْتُم مَّا جِئْنَا لِنُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ﴾[(٤)]، فدلت الآية على أن كل معصية فساد في الأرض.

ومناسبة الآية للترجمة[(٥)] أن التحاكم إلى غير الله ورسوله من أعمال المنافقين وهو من الفساد في الأرض.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢) بتصرف يسير.
ولعل من أسباب قرن الصلاة بالنفقة: أن الصلاة هي أم العبادات البدنية والزكاة هي أم العبادات المالية، والله أعلم.

(٢) العقد الثمين (ص ١١٨-١١٩).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٥٠)، ورواه ابن جرير عن الربيع بن أنس (١/ ٢٨٨).
وانظر: ابن كثير (١/ ٤٩).

(٤) يوسف: ٧٠-٧٣.

(٥) الترجمة من كتاب التوحيد.
باب قول الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ =

وفي الآية: التنبيه على عدم الاغترار بأقــوال أهل الأهواء وإن زخرفوها بالدعوى.

وفيها: التحذير من الاغترار بالرأي ما لم يقم على صحته دليل من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فما أكثر من يصدق بالكذب ويكذب بالصدق إذا جاءه، وهذا من الفســاد في الأرض ويترتب عليه من الفســاد أمــور كثيرة، تُخرج صاحبها عن الحق وتُدخله في الباطل. نســأل الله العفــو والعافية والمعافاة الدائمة في الدين والدنيا والآخرة.

فتدبر تجد ذلك في حال الأكثر إلا من عصم اللــه ومنَّ عليه بقوة داعي الإيمان وأعطاه عقــلاً كاملاً عند ورود الشــهوات وبصراً نافــذاً عند ورود الشبهات، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم[1].

قــال تعالــى: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٖ فَتَابَ عَلَيۡهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة: ٣٧].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

المشهور عند أهل العلم والمفسرين أن هذه الكلمات هي المفسرة بقوله تعالــى: ﴿رَبَّنَا ظَلَمۡنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمۡ تَغۡفِرۡ لَنَا وَتَرۡحَمۡنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾[2]،

= يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدۡ أُمِرُوٓاْ أَن يَكۡفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمۡ ضَلَٰلَۢا بَعِيدٗا﴾ [النساء: ٦٠].

(١) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد (ص ٢٤٦، ٢٤٧).

(٢) الأعراف: ٢٣.

وراجع: الطبري (١/ ٥٤١)، وابن كثير ١/ ٨١)، البغوي (١/ ٨٥)، القرطبي (١/ ٣٢٤)، الدر (١/ ١٤٢)، ابن أبي حاتم (١/ ١٣٥).

وهذا مروي عن سعيد بن جبير[١]، ومجاهد[٢]، وأبي العالية والربيع بن أنس[٣]، والحسن وقتادة[٤]، ومحمد بن كعب القرظي[٥]، وخالد بن معدان[٦]، وعطاء الخرساني[٧]، وعبدالرحمن بن زيد[٨].

(١) سعيد بن جبير بن هشام الإمام المقرئ المفسر الحافظ أبو محمد الأسدي الوالبي مولاهم الكوفي روى عن ابن عباس فأكثر وجوّد، قتله الحجاج وقصته مشهورة سنة ٩٥هـ قال الحسن: قتل سعيد وما على وجه الأرض أحد إلا وهو محتاج إلى علمه. ا.هـ.
انظر: السير (٤/ ٣٢١)، الطبقات الكبرى (٦/ ٢٥٦).

(٢) مجاهد بن جبر أبو الحجاج المخزومي المقرئ رأس المفسرين ولد سنة ٢١هـ، أخذ التفسير عن ابن عباس غير مرة، قال الثوري: إذا جاءك التفسير من مجاهد فحسبك به. ا.هـ. قال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد والاحتجاج به. ا.هـ. توفي سنة ١٠٣هـ.
انظر: السير (٤/ ٤٤٩)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٠٥).

(٣) الربيع بن أنس البكري روى عن أنس وأبي العالية وعنه الأعمش وابن المبارك وغيرهما كان عالم مرو في زمانه وسجن فيها طويلاً، تحيّل ابن المبارك حتى دخل عليه السجن وسمع منه توفي عام ١٣٩هـ.
انظر: السير (٦/ ١٦٩)، تهذيب التهذيب (٣/ ٢٣٨).

(٤) قتادة بن دعامة السدوسي البصري الضرير حافظ عصره وإمام المفسرين ولد سنة ٦٠ قال الذهبي: كان يرى القدر نسأل الله العفو، ومع هذا فما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه، قال سعيد بن المسيب له: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك. ا.هـ.
انظر: السير (٥/ ٢٦٩)، وفيات الأعيان (٤/ ٨٥).

(٥) محمد بن كعب بن سليم أبو عبدالله القرظي المدني كان أبوه من سبي قريظة، ولد بعد موت النبي ﷺ، حدث عن جمع من الصحابة وكان عالماً عابداً تقياً، كان جالساً في المسجد في حلقة فسقط عليهم السقف فماتوا جميعاً سنة ١١٧هـ، وقيل غير ذلك. انظر السير (٥/ ٦٥)، التهذيب (٩/ ٤٢٠).

(٦) خالد بن معدان بن أبي كرب الإمام شيخ أهل الشام أبو عبدالله الكلاعي الحمصي، أدرك سبعين من أصحاب النبي ﷺ كان عالماً عابداً توفي سنة ١٠٣هـ.
انظر: حلية الأولياء (٥/ ٢٠١)، تذكرة الحفاظ (١/ ٩٣).

(٧) عطاء بن أبي مسلم المحدث الواعظ، ولد سنة ٥٠هـ، ثقة إمام مجاهد، رحل وطوّف وسكن الشام كان يقول: مجالس الذكر هي مجالس الحلال والحرام، توفي سنة ١٣٥هـ.
انظر: السير (٦/ ١٤٠)، ميزان الاعتدال (٣/ ٧٣).

(٨) عبدالرحمن بن زيد بن أسلم العدوي، مولاهم المدني، روى عن أبيه وابن المنكدر، وعنه أصبغ وقتيبة وغيرهم ضعفوه وقد روى له الترمذي وابن ماجه، مات سنة ١٨٢هـ.
انظر: ميزان الاعتدال (٢/ ٥٦٤)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٧١).

وعن ابن عباس قال: «علم شأن الحج»[١].

وعن عبيد بن عمير[٢] أنه قال: قال آدم: «يارب خطيئتي التي أخطأت شيء كتبته عليّ قبل أن تخلقني، أو شيء ابتدعته من قبل نفسي؟ قال: بل كتبته عليك، قبل أن أخلقك. قال: فكما كتبته عليّ فاغفره لي. قال فذلك: قوله: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾»[٣].

وعن ابن عباس قال آدم عليه السلام: «ألم تخلقني بيدك؟ قيل له: بلى. ونفخت فيّ من روحك؟ قيل له: بلى. وعطست فقلت: يرحمك الله، وسبقت رحمتك غضبك؟ قيل له: بلى. وكتبت عليّ أن أعمل هذا. قيل له: بلى. قال: أفرأيت إن تبت هل أنت راجعي إلى الجنة؟ قال: نعم»[٤].

وكذا رواه العوفي[٥]، وسعيد بن جبير وسعيد بن معبد[٦]، ورواه الحاكم في

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/ ١٣٧)، وعزاه في الدر المنثور إلى عبد بن حميد وابن المنذر (١/ ١٤٥). وراجع: ابن كثير (١/ ٨١).

(٢) عبيد بن عمير بن قتادة الليثي المكي الواعظ المفسر، ولد في حياة الرسول ﷺ، حدث عن أبيه وعمر وعلي وعنه ابنه عبدالله وعطاء، قيل: إن أول من قص عبيد بن عمير في عهد عمر بن الخطاب، توفي عام ٧٤هـ.
انظر: السير (٤/ ١٥٦)، الحلية (٣/ ٢٦٦).

(٣) رواه ابن جرير (١/ ٥٤٤)، وراجع: الدر (١/ ١٤٤).

(٤) رواه ابن أبي حاتم. وهو دون «وعطست فقلت: يرحمك الله» في الطبري (١/ ٥٤٣). راجع: ابن كثير (١/ ٨١)، والدر (١/ ١٤٣).

(٥) عطية بن سعد بن جنادة العوفي الكوفي، روى عن ابن عباس وأبي سعيد وابن عمر وعنه ابنه الحسن والحجاج بن أرطأة، من مشاهير التابعين وهو ضعيف الحديث، وكان شيعياً توفي سنة ١١١هـ.
انظر: الطبقات الكبرى (٦/ ٣٠٤)، ميزان الاعتدال (٣/ ٧٩)، السير (٥/ ٣٢٥)، وانظر: الأثر في الطبري (١/ ٥٤٣).

(٦) سعيد بن معبد، روى عن ابن عباس، وروى عنه القاسم بن أبي بزة، ذكره البخاري ولم يذكر فيه جرحاً.
انظر: التاريخ الكبير (٣/ ٥١٢) رقم (١٦٩٩)، الجرح والتعديل (٤/ ٦٣)، وانظر: ابن كثير (١/ ٨١).

مستدركه إلى ابن عباس[١]، وروى ابن أبي حاتم[٢] حديثاً مرفوعاً شبيهاً بهذا[٣].

وعن مجاهد قال: «الكلمات: اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك، رب إني ظلمت نفسي، فاغفر لي إنك خير الغافرين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك رب إني ظلمت نفسي فارحمني إنك خير الراحمين. اللهم لا إله إلا أنت سبحانك وبحمدك. رب إني ظلمت نفسي، فتب علي إنك أنت التواب الرحيم»[٤].

هذا ما عليه المفسرون، لا ما قاله هذا الأحمق[٥]، فإن كان بعض من لا بصيرة له قد ذكره[٦]، فالحجة فيما ثبت عن الصحابة وعن سلف الأمة

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك في كتاب التاريخ (٢/ ٥٤٥)، وقال: هذا صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي.

(٢) ابن أبي حاتم أبو محمد عبدالرحمن بن الحافظ الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، سمع مع أبيه أبا زرعة وخلائق بالأقاليم، وروى عنه أبو الشيخ ابن حبان وعلي بن مدرك وأبو أحمد الحاكم وغيرهم، كان حافظاً ناقداً إماماً مشهوراً عالماً بالتفسير. مات في سنة ٣٢٧هـ في المحرم.
انظر: تذكرة الحفاظ (٣/ ٨٢٩)، طبقات المفسرين (١/ ٢٨٥).

(٣) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣٦-١٣٧).
وانظر: ابن كثير (١/ ٨١).

(٤) رواه ابن جرير (١/ ٥٥٤)، وابن أبي حاتم (١/ ١٣٧)، وراجع: ابن كثير (١/ ٨١).
وفي الأصل: «فاغفر لي إنك خير الراحمين». والصواب المثبت أعلاه من الطبري.

(٥) يقصد داود بن جرجيس الذي قال في هذه الآية: ذكر المفسرون أن آدم لما اقترف الخطيئة قال: اللهم بحق النبي الذي قرنت اسمه مع اسمك إلا ما غفرت لي. فغفر له.
انظر: منهاج التأسيس (٣٩١)، المنحة الوهبية (٣٢).
وانظر: رد الشيخ حمد بن معمر لهذه الرواية في الدرر السنية (٢/ ١٦٤).

(٦) ذكر السيوطي -رحمه الله- في الدر المنثور (١/ ١٤٢-١٤٧) بعض ذلك وفي بعضها: بحق محمد، وفي بعضها: بحق محمد وعلي وفاطمة والحسن والحسين. وكلها روايات لا تقوم بمثلها الحجة. والله أعلم.

وأئمتها. ولا يجوز تفسير القرآن بأقوال شاذة أو موضوعة لا تثبت عند أهل العلم والحديث وأئمة التصحيح والترجيح.

ولما روى ابن حُمَيْد الرازي[١] الحكاية المنسوبة إلى مالك رحمه الله مع أبي جعفر المنصور[٢]، وفيها: أنه سأل مالكاً فقال: «يا أبا عبدالله أستقبل القبلة وأدعو أم أستقبل الرسول ﷺ؟ فقال: ولم تصرف وجهك عنه، وهو وسيلتك ووسيلة أبيك آدم عليه السلام إلى الله يوم القيامة؟ بل استقبله واستشفع به»[٣].

فرد الحفاظ على ابن حميد هذه الحكاية وذكروا أن إسنادها مظلم منقطع، مشتمل على من يتهم بالكذب.

وقالوا: ابن حميد كثير المناكير ولم يسمع من مالك شيئاً، بل روايته عنه منقطعة[٤].

ومحمد بن حميد الرازي هذا تكلم فيه غير واحد من الأئمة. ونسبه بعضهم إلى الكذب.

---

(١) محمد بن حميد بن حيان الرازي، ولد سنة ١٦٠هـ تقريباً، من بحور العلم، روى عن ابن المبارك وسلمة بن الفضل وغيرهما، وعنه الترمذي وأبو داود وابن ماجه وغيرهم، وهو مع إمامته منكر الحديث يأتي بالعجائب، واتهمه بعضهم بالكذب، توفي عام ٢٤٨هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٢)، ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠).

(٢) عبدالله بن محمد بن علي بن عبدالله بن العباس أبو جعفر أمير المؤمنين، ولد سنة ٩٥هـ، يقال له قبل الخلافة: «عبدالله الطويل» عهد إليه أخوه السفاح بالخلافة، وكان أسمر طويلاً نحيفاً خفيف العارضين يخضب بالسواد، وكان شجاعاً مهيباً تاركاً للهو واللعب، فيه عدل وله حظ من صلاة وعلم وفقه، توفي محرماً على باب مكة سنة ١٥٨هـ. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ١٢١)، فوات الوفيات (٢/ ٢١٦).

(٣) راجع: الفتاوى (١/ ٢٢٧)، وقد رد شيخ الإسلام القصة من أصلها وبين كذبها لمخالفتها أصول مالك رحمه الله والمنصوص عنه.

(٤) الفتاوى الموضع السابق.

فقال يعقوب بن شيبة الدوسي[(١)]: «محمد بن حميد الرازي كثير المناكير»[(٢)].

وقال البخاري: «حديثه فيه نظر»[(٣)].

وقال النسائي: «ليس بثقة»[(٤)].

وقال الجَوْزَجَاني[(٥)]: «رديء المذهب غير ثقة»[(٦)].

وقال فَضْلَك الرازي[(٧)]: «عندي عنه خمسون ألف حديث لا أحدث عنه بحرف»[(٨)].

وقال ابن الأزهر[(٩)]: «سمعت إسـحاق بن منصور[(١٠)] يقول: «أشهد

---

(١) يعقوب بن شيبة بن الصلت بن عصفور الحافظ العلامة البصري نزيل بغداد ولد سنة ١٨٠هـ، صاحب المسند الكبير لم يصنف مثله لكنه لم يتمه، وكان يقف في القرآن، عين لقضاء العراق ثم لم يول، قال عنه أحمد: مبتدع ضال صاحب هوى، توفي سنة ٢٦٢هـ.انظر: السير (١٢/ ٤٧٦)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٧٧).

(٢) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠).

(٣) التاريخ الكبير (١/ ٦٩) رقم (١٦٧). وانظر: السير (١١/ ٥٠٤).

(٤) انظر: ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠).

(٥) أبو عبدالله أحمد بن علي بن العلاء الجوزجاني المحدث الثقة، ولد سنة ٢٣٥هـ، روى عنه الدارقطني وابن شاهين وغيرهم، كان صالحاً بكاءً خاشعاً، توفي سنة ٣٢٨هـ.
انظر: السير (١٥/ ٢٤٨).

(٦) الشجرة في أحوال الرجال للجوزجاني (٣٥٠).

(٧) أبو بكر الفضل بن عباس الرازي الإمام الحافظ المحقق الناقد صاحب التصانيف، توفي عام ٢٧٠هـ. انظر: السير (١٢/ ٦٣٠)، تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٠٠).

(٨) ميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٢٩).

(٩) أحمد بن الأزهر بن منيع بن سليط الإمام الثقة الحافظ الرحال أبو الأزهر النيسابوري، ولد بعد السبعين ومئة، قال الذهبي: وهو ثقة بلا تردد وغاية ما نقموا عليه ذلك الحديث في فضل علي رضي الله عنه ولا ذنب له فيه.ا.هـ.، توفي سنة ٢٦٣هـ.
انظر: السير (١٢/ ٣٦٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١١).

(١٠) أبو يعقوب إسحاق بن منصور بن بهرام المروزي الإمام الحافظ الفقيه الحجة، ولد بمرو بعد السبعين ومئة، كان عالماً فقيهاً، وهو الذي دوّن عن الإمام أحمد المسائل في الفقه، توفي سنة ٢٥١هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٥٢٤)، والمنهج الأحمد (١/ ١٩١).

على محمد بن حميد وعبيد بن إسحاق العطار[1] بين يدي الله أنهما كذابان».

وتكلم فيه غير هؤلاء من الحفاظ[2][3].

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٨٩].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن تعليقاً على قول بعضهم:

ذكر المفسرون أن اليهود كانوا يحاربون جيرانهم من مشركي العرب فيقولون: «اللهم بحرمة هذا النبي الذي بعث في آخر الزمان إلا ما نصرتنا عليهم» فينصرون[4].

---

(١) عبيد بن إسحاق العطار، روى عن شريك وقيس وغيرهما، ضعفه يحيى بن معين والبخاري والدارقطني، وذكره العقيلي وابن شاهين في الضعفاء.
انظر: لسان الميزان (٤/ ١١٨)، الضعفاء والمتروكين للنسائي (١٧٠)، الضعفاء الكبير للعقيلي (٣/ ١١٥).

(٢) ممن تكلم فيه: أبو زرعة وصالح جزرة وابن خراش وابن خزيمة والذهبي وغيرهم.
راجع: الجرح والتعديل (٧/ ٢٣٢)، وميزان الاعتدال (٣/ ٥٣٠)، وتهذيب التهذيب (٩/ ١٢٧)، والفتاوى (١/ ٢٢٧)، وغير ذلك. وراجع لمناقشة القصة وردها: الفتاوى الموضع السابق و(١/ ٣٥٣).

(٣) منهاج التأسيس والتقديس (ص ٣٩١ - ٣٩٢).

(٤) ذكر ذلك داود بن جرجيس، والذي رد عليه الشيخ عبداللطيف في كتابه القيم «منهاج التأسيس والتقديس».
انظر: المنحة الوهبية لداود بن جرجيس(٣١).
وأما النقل الذي ذكره فلم أجده بهذا اللفظ، ولكن ذكر السيوطي ألفاظاً مقاربة الدر المنثور (١/ ٢١٦)، وراجع: أيضاً الفتاوى (١/ ٢٩٦) فقد ذكر شيخ الإسلام هذه الشبهة وأفاض في الرد عليها وبين ضعف هذه الروايات.

قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إن هذا العراقي حثيث السير إلى كل مكذوب أو ضعيف، والآية قد تكلم عليها أهل العلم سلفاً وخلفاً، ولم يذكر هذا القول أحد يعتد به ويرجع إليه في هذا العلم، أو في غيره من العلوم.

وعبارة ابن كثير يقول: «﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ يقول تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ يعني اليهود: ﴿كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ وهو القرآن الذي أنزل على محمد ﷺ ﴿مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ يعني من التوراة.

وقوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي وقد كانوا من قبل مجيء هذا الرسول بهذا الكتاب يستنصرون بمجيئه على أعدائهم من المشركين إذا قاتلوهم، يقولون: إنه سيبعث نبي في آخر الزمان نقتلكم معه قتل عَادٍ وإرَم[(١)]، كما قال محمد بن إسحاق[(٢)] عن عاصم بن عمر بن قتادة الأنصاري[(٣)] عن أشياخ منهم قال: فينا والله وفيهم

(١) عاد: هم قبيلة عاد، وهم أبناء عاد بن إرم بن عوص بن سام بن نوح.
وإرم قال ابن كثير في قوله تعالى: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧]: عطف بيان زيادة تعريف بهم، قال مجاهد: إرم أمة قديمة. يعني عاداً الأولى. وأراد بقتل عاد وإرم استئصالهم بالهلاك، لأن هؤلاء الأقوام لم يقتلوا ولكن استؤصلوا بالهلاك. انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٠٧)، عون المعبود شرح سنن أبي داود (١٤/ ١١٠-١١١).

(٢) محمد بن إسحاق بن يسار أبو بكر المدني أحد الأعلام، وجده يسار من سبي عين التمر، روى عن الأعرج ونافع وغيرهما، وعنه الحمادان وغيرهما، إمام فاضل وهو صاحب السيرة، وكان مدلساً، مات سنة ١٥١هـ.
انظر: لسان الميزان (٣/ ٤٦٨)، التهذيب (٩/ ٣٨).

(٣) عاصم بن عمر بن قتادة بن النعمان الأوسي الأنصاري أبو عمر المدني، ثقة عالم بالمغازي، =

-يعني في الأنصار وفي اليهود، الذين كانوا جيرانهم- نزلت هذه القصة: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ﴾ قال: «كنا قد علوناهم دهراً في الجاهلية، ونحن أهل شرك، وهم أهل كتاب، فكانوا يقولون: إن نبياً يبعث الآن نتبعه قد أظل زمانه فنقتلكم معه قتل عَاد وإرَم، فلما بعث الله رسوله من قريش واتبعناه، كفروا به يقول الله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾»[1]، وقال الضحاك[2] عن ابن عباس في قوله: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ «يستظهرون، يقولون: نحن نعين محمداً عليهم، وليسوا كذلك، يكذبون»[3].

وقال محمد بن إسحاق: أخبرني محمد بن أبي محمد[4] أخبرني عكرمة[5] أو سعيد بن جبير عن ابن عباس «أن يهوداً كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج بالرسول ﷺ قبل مبعثه؛ فلما بعثه

= مات سنة ١٢٠هـ.
انظر: التقريب (٢٨٦)، الكاشف (٢/ ٤٦-٤٧).

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٥٥).

(٢) الضحاك بن مزاحم الهلالي أبو القاسم الخراساني، المفسر من أوعية العلم، روى عن ابن عمر وأنس، وعنه جويبر بن سعيد ومقاتل، واختلفوا في سماعه من ابن عباس، ورجح الشيخ شاكر الاتصال (المسند رقم ٢٢٦٢)، توفي ١٠٢هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٢٢)، البداية والنهاية (٩/ ٢٢٣)، السير (٤/ ٥٩٨).

(٣) رواه ابن جرير (٢/ ٣٣٦)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٥).

(٤) محمد بن أبي محمد المدني، عن سعيد بن جبير وعكرمة وعنه ابن إسحاق، وقال الذهبي في الكاشف: وثق. وقال في الميزان: لا يعرف. وقال ابن حجر: مجهول.
انظر: الكاشف (٣/ ٨٣)، ميزان الاعتدال (٤/ ٢٦)، تقريب التهذيب (٥٠٥) رقم (٦٢٧٦).

(٥) عكرمة أبو عبدالله مولى ابن عباس ، أصله بربري، ثقة ثبت، عالم بالتفسير لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر ولا تثبت عنه بدعة، أخرج له البخاري، ومات سنة ١٠٤هـ وقيل: بعد ذلك.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٩٥)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٨٦).

الله من العـرب كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيـه، فقال لهم معاذ بن جبل، وبشر بن البراء بن معرور[١]، وداود بن سـلمة[٢]: يا معشر يهود، اتقوا الله وأسـلموا فقد كنتم تسـتفتحون علينـا بمحمد ﷺ ونحن أهل شـرك وتخبرونا بأنه مبعوث، وتصفونه بصفته. فقال سـلام بن مِشْكَم[٣]، أخو بني النضير[٤]: ما جاءنا بشـيء نعرفه وما هو بالذي كنا نذكر لكم. فأنزل الله في ذلك مـن قولهـم: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾[٥].

وقال العوفي عن ابن عباس ﴿وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾

---

(١) بشر بن براء بن معرور شهد العقبة مع أبيه وشهد بدراً وما بعدها، ومات بعد خيبر من أكلة أكلها مع النبي ﷺ من الشاة التي سمّ فيها، قاله ابن إسحاق. انظر: الإصابة (١/ ١٥٥).

(٢) داود بن سلمة الأنصاري، قال ابن حجر في الإصابة: له ذكر فروى ابن أبي حاتم وساق الإسناد بمثل الحديث ثم قال: كذا رأيته في نسخة ووقع في نسخة أخرى، «فقال لهم معاذ وبشر بن براء أخو بني سلمة» كذا ذكره الطبري من هذا الوجه فلعل الأول تصحيف.ا.هـ. الإصابة (٢/ ١٦١).
وهو في المحققة كما قال ابن حجر رحمه الله (٢/ ٣٣٣)، وكذا في السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٠).

(٣) سلام بن مشكم: سيد بني النضير في زمانه وصاحب كنزهم، نهى قومه عن إلقاء الحجر على رسول الله ﷺ وقال: هو يعلم. وهو زوج زينب بنت الحارث التي أطعمت النبي ﷺ الشاة المسمومة في خيبر.
انظر: الكامل (٢/ ٦٥، ١٠٢).

(٤) بنو النضير: إحدى قبائل اليهود في الحجاز، كانوا حلفاء الخزرج، يسكنون خارج المدينة إلى جوارها، وقد عاهدهم الرسول ﷺ لما قدم المدينة، ونقضوا عهدهم بعد أحد عام أربع للهجرة، فغزاهم النبي ﷺ وافتتح حصونهم وأخذ أموالهم، فكانت مما أفاء الله على رسوله لأنها مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب.
انظر: معجم البلدان (٦/ ٢٩٠).

(٥) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٠)، ورواه الطبري (٢/ ٣٣٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٢٧٦) كلهم من طريق إسحاق.
وانظر: أسباب النزول للواحدي (٣١).

يقول: «يستنصرون بخروج محمد ﷺ على مشـركي العرب، يعني بذلك أهل الكتاب، فلما بعث الله محمداً ورأوه من غيرهم كفروا به وحسدوه»[١].

وقال أبو العالية: «كانت اليهود تستنصر بمحمد على مشـركي العرب يقولـون: «اللهـم ابعث هذا النبـي الذي نجـد مكتوباً عندنـا حتى نعذب المشـركين ونقتلهم، فلما بعث الله محمـداً ﷺ ورأوا أنه من غيرهم كفروا به حسـداً للعرب، وهم يعلمون أنه رسـول الله. فقال الله: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾»[٢]، وقـال قتـادة: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ وكانوا يقولون: «إنه سيأتي نبي فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به»[٣].

وقـال مجاهـد: «﴿فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ هم اليهود»[٤].

وقال في الجلاليـن: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٞ لِّمَا مَعَهُمۡ﴾ من التوراة هو القرآن: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ﴾ مجيئه ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ يستنصرون ﴿عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يقولون: «اللهم انصرنا عليهم بالنبي المبعوث في آخر الزمان»[٥].

وقـال البيضـاوي: «﴿وَلَمَّا جَآءَهُمۡ كِتَٰبٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِ﴾ يعنـي القـرآن ﴿مُصَدِّقٞ﴾ لمـا معهم من كتابهـم، وقـرئ بالنصب[٦] علـى الحال من

---

(١) رواه ابن جرير (٢/ ٣٣٤).
(٢) رواه ابن جرير (٢/ ٣٣٥).
(٣) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٢٧٥).
(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٢٤-١٢٥).
والأثر رواه ابن جرير بمعناه (٢/ ٣٣٦).
(٥) تفسير الجلالين (ص ١٣).
(٦) كذا في مصحف أبي بن كعب وقرأ به ابن أبي عبلة، وعزاه ابن خالويه لابن مسعود. يُنظر: مختصر في شواذ القرآن لابن خالويه (٨)، البحر المحيط (١/ ٤٧١)، المحرر الوجيز (١/ ١٧٧).

كتاب لتخصيصه بالوصفية، وجواب (لما) محذوف دل عليه جواب (لما) الثانية ﴿وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أي يستنصرون على المشركين ويقولون: اللهم انصرنا بنبي آخر الزمان المنعوت في التوراة، أو يفتحون عليهم ويعرفونهم أن نبياً يبعث منهم قد قرب زمانه، والسين للمبالغة والإشعار بأن الفاعل يسأل ذلك عن نفسه[١]»[٢].

قال تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتْلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحْرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْۚ وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْۚ لَوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٠٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ أي: ولقد علم اليهود الذين استبدلوا السحر[٣] عن متابعة الرسل

---

(١) البيضاوي (١/ ٧٥).

(٢) منهاج التأسيس والتقديس (ص ٣٩٣-٣٩٦).

(٣) السحر في اللغة: كل ما لطف مأخذه ودق فهو سحر.
انظر: لسان العرب (سحر) (٤/ ٣٤٨).
وفي الاصطلاح: عزائم ورقى وعقد يؤثر في القلوب والأبدان ويقتل ويفرق بين المرء وزوجه.
الكافي لابن قدامة (٤/ ١٦٤)، تيسير العزيز الحميد (٣٣٣).

والإيمان بالله ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ أي: استبدل ما تتلو الشياطين بكتاب الله ومتابعة رسله ﴿مَا لَهُۥ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ مِنْ خَلَـٰقٍ﴾ قال ابن عباس: «من نصيب»[١].

قال قتادة: «وقد علم أهل الكتاب فيما عهد الله إليهم أن الساحر لا خلاق له في الآخرة»[٢].

وقال الحسن: «ليس له دين»[٣].

فدلت الآية على تحريم السحر، وهو كذلك، بل هو محرم في جميع أديان الرسل عليهم السلام كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيْثُ أَتَىٰ﴾[٤].

واستدل بها بعضهم على كفر الساحر لعموم قوله: ﴿لَمَنِ ٱشْتَرَىٰهُ﴾ يدل عليه قوله: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ﴾ وقد نصَّ أصحاب أحمد على أنه يكفر بتعلمه وتعليمه[٥].

وروى عبدالرزاق[٦] عن صفوان بن سليم[٧] قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٣١٤)، وكذا رواه ابن جرير عن مجاهد (٢/ ٤٥٢).
وانظر: الدر (١/ ٢٥١).

(٢) رواه ابن جرير (٢/ ٤٥١)، وابن أبي حاتم (٣١٥).
وانظر: ابن كثير (١/ ١٤٤).

(٣) رواه ابن جرير (٢/ ٤٥٣)، وابن أبي حاتم (١/ ٣١٤).
انظر: الدر (١/ ٢٥١).

(٤) طه: ٦٩.

(٥) انظر: الكافي (٤/ ١٦٥)، المغني (٨/ ١٥١).

(٦) عبدالرزاق بن هاشم الصنعاني، الحافظ الكبير عالم اليمن صاحب التصانيف، ولد سنة ١٢٦هـ، ولازم معمر بن راشد سبع سنين، وكان يحفظ حديث معمر، كان من أوعية العلم، توفي سنة ٢١١هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٣٦٤)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣١٠).

(٧) صفوان بن سليم أبو عبدالله، الإمام الحافظ الفقيه، مولى حميد بن عبدالرحمن بن عوف، ولد قريباً من سنة ٦٠هـ، كان مشهوراً بالعبادة وقيام الليل توفي سنة ١٣٢هـ وله ٧٢ سنة.
انظر: الجرح والتعديل (٤/ ٤٢٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٣٦٤).

«من تعلم شيئاً من السحر قليلاً كان أو كثيراً كان آخر عهده من الله»[(١)]، وهذا مرسل[(٢)].

واختلفوا هل يكفر الساحر أم لا؟ فذهب طائفة من السلف أنه يكفر، وبه قال مالك وأبو حنيفة وأحمد، قال أصحابه: إلا أن يكون سحره بأدوية وتدخين وسقي شيء يضر فلا يكفر، وقيل: لا يكفر إلا أن يكون في سحره شرك فيكفر، وهذا قول الشافعي وجماعته.

قال الشافعي رحمه الله: «إذا تعلم السحر قلنا له: صف لنا سحرك، فإن وصف ما يوجب الكفر مثل ما اعتقده أهل بابل[(٣)]، من التقرب إلى الكواكب السبعة وأنها تفعل ما يلتمس منها فهو كافر. وإن كان لا يوجب الكفر فإن اعتقد إباحته فقد كفر»[(٤)].

وعند التحقيق ليس بين القولين اختلاف، فإن من لم يكفر لظنه أنه يتأتى بدون الشرك وليس كذلك بل لا يأتي السحر الذي من قبل الشياطين إلا بالشرك وعبادة الشيطان والكواكب، ولهذا سماه الله كفراً في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾، وقوله: ﴿وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ

---

(١) رواه عبدالرزاق في المصنف باب قتل الساحر (١٠/ ١٨٤).

(٢) قال النووي -رحمه الله تعالى-: «اتفق علماء الطوائف على أن قول التابعي الكبير: قال رسول الله ﷺ: كذا، أو فعله يسمى مرسلاً. ا.هـ. تدريب الراوي (١/ ١٩٥).

(٣) بابل: اسم ناحية في العراق منه الكوفة، ينسب إليها السحر.
اختلف العلماء في سبب تسميتها بذلك، واختلفوا في أول من سكنها.
انظر: معجم البلدان (١/ ٣٠٩).

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٧).
انظر في حكم السحر: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٣١)، القرطبي (٣/ ٤٤)، الإفصاح لابن هبيرة (٢/ ٢٢٦)، المغني (٨/ ١٥١)، والجامع الوجيز لابن البزار الحنفي (٦/ ٣٢٢).

﴿وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ﴾ وفي حديث مرفوع رواه رزين[١]: «الساحر كافر»[٢].

وقال أبو العالية: «السحر من الكفر»[٣].

وقال ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾ « وذلك أنهما علماه الخير والشر والكفر والإيمان فعرفا أن السحر من الكفر»[٤].

وقال ابن جريج[٥] في الآية: «لا يجترئ على السحر إلا الكافر»[٦].

وأما سحر الأدوية والتدخين ونحوه فليس بسحر، وإن سمي سحراً فعلى سبيل المجاز كتسمية القول البليغ والنميمة سحراً[٧]، ولكنه يكون حراماً لمضرته يعزر من يفعله تعزيراً بليغاً[٨].

---

(١) رزين بن معاوية بن عمار العبدري الأندلسي، الإمام المحدث المشهور، جاور مكة دهراً، وسمع بها صحيح البخاري وصحيح مسلم وغيرهما، توفي سنة ٥٣٥هـ بمكة.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٠/ ٢٠٤)، ومعجم المؤلفين (٤/ ١٥٥).

(٢) لم أعثر عليه، وقال في النهج السديد (١٣٦): لم أقف عليه، ولا أظنه يصح، فإنه مما انفرد به رزين، وما ينفرد به واهٍ في الغالب. ا.هـ.

(٣) لم أقف عليه.

(٤) رواه ابن أبي حاتم (١/ ٣٠٩)، وانظر: ابن كثير (١/ ١٤٣).

(٥) عبدالملك بن عبدالعزيز بن جريج، الإمام الحافظ المفسر، أبو الوليد، روى عن أبيه وعطاء وغيرهما، وعنه السفيانان ووكيع وغيرهم، وكان من أوعية العلم.
قال عبدالرزاق: ما رأيت أحسن من صلاة ابن جريج، كنت إذا رأيته علمت أنه يخشى الله، مات سنة ١٥٠هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٤٠٢)، وطبقات المفسرين للداودي (١/ ٣٥٨).

(٦) رواه ابن جرير (٢/ ٤٤٣).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ١٤٧).
وقد ذكر أبو عبدالله الرازي في تفسيره (٣/ ١٨٧-١٩٣) أنواعاً ثمانية للسحر نقلها الحافظ ابن كثير في التفسير (١/ ١٤٥-١٤٧)، وتعقبه في بعضها وعلق عليها، فانظره.

(٨) تيسير العزيز الحميد (ص ٣٣٤-٣٣٥).

قال تعالـى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١١٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

قوله: ﴿فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ سـياق الآية الكريمة، يدل على أنها في شـأن القبلة، قال ابن عباس: «خرج نفر من أصحاب رسول الله ﷺ في سـفر، قبل تحويل القبلة، فأصابهم الضباب، وحضـرت الصلاة، وصلوا، وتحروا القبلة، فلما ذهب الضباب، اسـتبان لهم أنهم لم يصيبوا، فلما قدموا سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت هذه الآية»[(١)].

وقال ابن عمر: «نزلت في المســافر، يصلي التطـوع، حيثما توجهت به راحلته»[(٢)].

وقال عكرمة: «نزلت في تحويل القبلة».

وقال أبو العالية: «عيرت اليهود المؤمنين، لما صرفت القبلة، فنزلت هذه الآية».

وقال مجاهد والحسن: «نزلت في الداعي، يستقبل أي جهة كان، لأنهم قالوا لما نزلت ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[(٣)] أين ندعوه؟

(١) رواه ابن مردويه عن ابن عباس بسند ضعيف، وقال ابن كثير بعد أن ساق عدداً من الروايات: وهذه الأسانيد فيها ضعف ولعله يشد بعضها بعضاً، ابن كثير (١/ ١٥٩)، الدر المنثور (١/ ٢٦٧).
راجع: نصب الراية (١/ ٣٠٤) وما بعدها.

(٢) رواه الطبري (٢/ ٥٣٠)، وابن أبي حاتم (١/ ٣٤٤).
انظر: ابن كثير (١/ ١٥٨)، الدر المنثور (١/ ٢٦٦).

(٣) غافر: ٦٠.

قال الكلبي[(١)]: «﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ فثم الله يعلم ويرى، و(الوجه) صلة، كقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾[(٢)] أي: إلا هو».

وقال الحسن، ومجاهد، وقتادة، ومقاتل بن حيان[(٣)]: فثم قبلة الله، والوجه، والوجهة، والجهة: القبلة[(٤)].

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ ختم هذه الآية بهذين الاسمين الشريفين يشعر بما قاله الكلبي، من أنه يعلم ويرى، ومن كان له أدنى شعور، بعظمة الله وجلاله: عرف صغر المخلوقات بأجمعها، في جنب ما له تعالى، من الصفات المقدسة، ولم يختلج في قلبه ريب، ولا شك، في الإيمان بهذه النصوص كلها[(٥)][(٦)].

---

(١) الكلبي هو محمد بن السائب بن بشر أو النضر الكوفي النسابة المفسر، روى عن الشعبي وجماعة، وعنه ابنه وأبو معاوية ويزيد ويعلى بن عبيد وخلق، متهم بالكذب ورمي بالرفض، قال البخاري: تركه القطان وابن مهدي، أخرج له أبو داود في المراسيل والترمذي وابن ماجه في التفسير، مات سنة ١٤٦هـ.
انظر: طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٤٩).

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) مقاتل بن حيان النبطي مولى لبكر بن وائل بن ربيعة ويقال: مولى بني تيم الله يكنى أبا بسطام الخراز، يروي عن مجاهد وعروة والضحاك، وعنه علقمة بن مرشد وإبراهيم بن أدهم وابن المبارك، صدوق فاضل من الطبقة السادسة، مات قبيل ١٥٠هـ بأرض الهند، خرج له الجماعة إلا البخاري وله تفسير.
انظر: طبقات المفسرين للداودي(٣/ ٣٢٩) وتذكرة الحفاظ (١/ ١٧٤).

(٤) انظر: هذه الأقوال جميعاً في معالم التنزيل (١/ ١٤٠).
وانظر: ابن كثير (١/ ١٥٨)، الدر المنثور (١/ ٢٦٥).

(٥) وقد قال جمع من العلماء من أهل السنة: إن هذه الآية ليست من آيات الصفات.
وقد مال ابن القيم -رحمه الله- إلى خلاف ذلك فقال: تفسير وجه الله بقبلة الله وإن كان قاله بعض السلف كمجاهد وتبعه الشافعي فإنما قالوه في موضع واحد لا غير وهو قوله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ فَأَيْنَمَا تُوَلُّوا۟ فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ إلى أن قال: على أن الصحيح في قوله: ﴿فَثَمَّ وَجْهُ ٱللَّهِ﴾ أنه كسائر الآيات التي ذكر فيها الوجه... إلخ ما قاله رحمه الله.
مختصر الصواعق (٣٥٤).
وأشار إلى ذلك -إشارة عابرة- شيخ الإسلام في الجواب الصحيح (٤/ ٤١٤) والله أعلم.

(٦) الدرر السنية (٣/ ٣٠٥-٣٠٦).

قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ۗ قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ [البقرة: ١٢٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد[(١)]:

أخبر تعالى أن اليهود والنصارى وكذلك المشركون لا يرضون عن النبي ﷺ حتى يتبع ملتهم، ويشهد أنهم على حق، ثم قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ هُدَى ٱللَّهِ هُوَ ٱلْهُدَىٰ ۗ وَلَئِنِ ٱتَّبَعْتَ أَهْوَآءَهُم بَعْدَ ٱلَّذِى جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ ۙ مَا لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾.

فإذا كان النبي ﷺ لو يوافقهم على دينهم ظاهراً من غير عقيدة القلب لكن خوفاً من شرهم ومداهنة كان من الظالمين، فكيف بمن أظهر لعباد القبور والقباب أنهم على حق وهدى مستقيم فإنهم لا يرضون إلا بذلك[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً﴾ أي: عدلاً خياراً ﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾

---

(١) هذا النقل من رسالة الشيخ -رحمه الله- التي هي بعنوان: الدلائل على تحريم موالاة المشركين وهي تقع في الدرر السنية (٧/ ٥٧-٦٩)، فكل ما يرد من النقل عنه في هذا الموضع فهو من هذه الرسالة التي طبعت مستقلة كما أشرنا إلى ذلك في ترجمته.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٥٨).

فالخطاب للنبي ﷺ وأصحابه، وهم المعنيون بهذا، ويلحق بهم من سلك سبيلهم من المؤمنين بخلاف الكفار والمشركين، والمنافقين الذين هم أهل النار يأمرون بالمنكر وينهون عن المعروف، ويعادون أهل المعروف ويبغضونهم، ويوالون أهل المنكر ويحبونهم، وهم الذين شاقوا الله ورسوله وقد قال فيهم: ﴿ **وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا** ﴾[١]، فخص بالثناء والجزاء بالجنة لمن آمن بالله ورسوله وكتابه ووالى فيه وعادى فيه والمقت والوعيد بالغضب والعذاب لمن كفر بالله وأشرك به وحاد الله ورسوله، وهذا ظاهر بحمد الله لا يخفى إلا على من أعمى الله بصيرته وأعرض عن كتاب الله وسنة رسوله[٢].

قال تعالى: ﴿ وَلَنَبۡلُوَنَّكُم بِشَيۡءٖ مِّنَ ٱلۡخَوۡفِ وَٱلۡجُوعِ وَنَقۡصٖ مِّنَ ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَنفُسِ وَٱلثَّمَرَٰتِۗ وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٥٥﴾ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ ﴾ [البقرة: ١٥٥-١٥٧].

قال الشيخ حسن بن حسين رحمه الله[٣]:

هذه الكلمة[٤] من أبلغ علاج المصاب وأنفعه له في العاجلة

---

(١) النساء: ١١٥.

(٢) الدرر السنية (٩/ ١٤٠).

(٣) الشيخ حسن بن حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمهم الله-، تتلمذ على جمع من علماء الدرعية منهم عمه الشيخ عبدالله بن محمد ووالده الشيخ حسين وغيرهم، جمع الشيخ سليمان بن سحمان -رحمه الله- كثيراً من رسائله وفتاويه في مجموعة الرسائل والمسائل.
انظر: مجموعة الرسائل (١/ ٤٢٦)، الدرر السنية (١٢/ ٤٥).
والنص أعلاه من رسالة بعثها الشيخ إلى جمعان بن ناصر ومحمد بن مبارك ومن معهم من الإخوان، ومن الواضح أن الشيخ كان يسليهم ويعزيهم على مصاب وقع بهم.

(٤) قول: إنا لله وإنا إليه راجعون.

والآجلة، فإنها تضمنت أصلين عظيمين إذا تحقق العبد بمعرفتها تسلى عن مصيبته:

(الأول) أن العبد وأهله وماله ملك لله تعالى يتصرف فيه كيف يشاء، جعله تبارك وتعالى عند عبده عارية والمعير مالك قاهر قادر، وهو محفوف بعدمين؛ عدم قبله وعدم بعده، وملك العبد متعة معارة.

(الثاني) أن مصير العبد، ومرجعه ومرده إلى مولاه الحق الذي له الحكم والأمر، ولابد أن يخلف ما خوله في هذه الدار وراء ظهره ويأتي فرداً بلا أهل ولا مال ولا عشيرة، ولكن بالحسنات والسيئات، ومن هذه حاله لا يفرح بموجود، ولا يأسف على مفقود، وإذا علم المؤمن علم يقين أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه هانت عليه المصيبة وقد قيل:

ما قد قُضي يا نفسُ فاصطبري له ... ولكِ الأمانُ من الذي لمْ يُقدر
ولتعلمي أنَّ المقدرَ كائنٌ ... يَجري عليكِ عُذرتِ أو لمْ تُعذري[1]

ومن صفات المؤمن أنه عند الزلازل وقور، وفي الرخاء شكور.

ومما يخفف المصائب بَرْدُ التأسي فانظروا يميناً وشمالاً وأماماً ووراءً فإنكم لا تجدون إلا مَنْ قد وقع به ما هو أعظم من مصيبتكم أو مثلها أو قريب منها، ولم يبق إلا التفاوت في عوض الفائت نعوذ بالله من الخسران.

ولو أمعن البصير نظره في هذا العالم جميعه لم يرَ إلا مبتلى إما بفوات محبوب أو حصول مكروه، وإن سرور الدنيا أحلام ليلٍ أو كظل زائل، إن أضحكت قليلاً أبكت كثيراً، وإن أحسنت حيناً أساءت دهراً، جمعها إلى

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٤٨٣، ٥١٧) والمقري في نفح الطيب (٥/ ٢٩٥) دون نسبه.

انصـــداع، ووصلها إلى انقطـــاع، إقبالها خديعـــة، وإدبارها فجيعـــة، لا تدوم أحوالها، ولا يسلم نُزَّالها، حالها انتقال، وسكونها زلزال، غرَّارة خدوع، معطية منوع، ملبسة نزوع، ويكفي في هوانها على الله أنه لا يُعْصَى إلا فيها، ولا ينال ما عنده إلا بتركها، مع أن المصائب من حيث هـــي رحمة للمؤمن وزيادة في درجاته كما قال بعض السلف: «لولا مصائب الدنيا، وردنا الآخرة مفاليس»[١].

والرب سبحانه لم يرســـل البلاء لعبده ليهلكه ولا ليعذبه، ولكن امتحاناً لصبره ورضاه عنه واختباراً لإيمانه، وليراه طريحاً ببابه لائذاً بجنابه منكســـر القلب بين يديه، فهذا من حيث المصائب الدنيوية.

وأما ما جرى عليكم فأنتم به بالتهنئة أجدر من التعزية، كيف وقد نالكم من الأذى والتطريد كما نال الرسل وأتباعهم، فهذا سيد المرسلين غير خاف عليكم ما جرى عليه، وتطرق من الأذى إليه، فنسأل الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة أن يجعل لنا ولكم فيه أسوة حسنة، ولعمر الله إن من سلم له دينه فالمحن في حقه منح، والبلايا عطايا، والمكروهات له محبوبات إلى غير ذلك.

وأما المصيبة والخطب الأكبر، والكسر الذي لا يجبر والعثار[٢] الذي لا يقال فهي المصيبة في الدين كما قيل:

من كل شيء إذا ضيعته عوض   وما من الله إن ضيعته عوض[٣]

وقد مضت عادة أحكم الحاكمين لمـــن أراد به خيراً وإمامة في الدين أن

---

(١) نسبه ابن الجوزي في صفة الصفوة (٢/ ٢٥١) لأم إبراهيم العابدة، وذكره ابن القيم في عدة الصابرين (ص٩١) مبهماً.

(٢) عثر يعثر عثاراً إذا كبا وسقط. راجع: القاموس (عثر) (٥٦٠).

(٣) ذكره ابن القيم في زاد المعاد (٤/ ١٩٢) ومفتاح دار السعادة (٣/ ٣٥) والجواب الكافي (ص١٤١)، وهو دون عزو - أيضاً- في طبقات الشافعية (٨/ ٢٢٨).

يقدم له الابتــلاء بين يدي ذلك. قال تعالــى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ﴾[(١)(٢)].

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

قوله ﴿إِنَّا لِلَّهِ﴾ أي نحن عبيد له ومماليك، وهو المتصرف فينا بتدبيره، يحيى ويميت ويعز ويذل، ويغني ويفقر، ويسعد ويشقى، وهو على كل شيء قدير.

وقولــه ﴿وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ معناه: إن الخلق كلهــم يرجعون إلى ربهم، والحي منهم سوف يموت، ولا يبقى إلا الله الواحد القهار[(٣)].

قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ اللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ ۖ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ ۗ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يَرَوْنَ الْعَذَابَ أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يذكر تعالى حال المشــركين به في الدنيا، وما لهم في الآخرة من العذاب والنــكال، حيث جعلوا لله أنــداداً، أي أمثالاً ونظــراء[(٤)]، يحبونهم كحبه، ويعبدونهم معه، وهو الله الذي لا إله إلا هــو، ولا ضد له ولا ند له، ولا شريك معه»[(٥)]، وقوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ﴾ أي: يســاوونهم بالله في المحبة والتعظيم، ولهذا يقولون لأندادهم وهم في النار ﴿تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾

---

(١) السجدة: ٢٤.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل (١/ ٤٣٥).

(٣) مجموعة رسائل ابن عتيق (ص ١١٣).

(٤) انظر: معاني القرآن للزجاج (١/ ٢٣٧)، الطبري (١/ ٣٦٨).

(٥) تفسير ابن كثير (١/ ٢٠٢).

﴿إِذۡ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٩٨﴾﴾[١]، فهذا هو مساواتهم برب العالمين، وهو العدل المذكور في قوله: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾[٢]، أما مساواتهم بالله في الخلق والرزق وتدبير الأمور فما كان أحد من المشركين يساوون أصنامهم بالله في ذلك[٣]، وهذا القول رجحه شيخ الإسلام[٤].

والثاني: أن المعنى يحبون أندادهم كما يحب المؤمنون الله، ثم بين أن محبة المؤمنين لله، أشد من محبة أصحاب الأنداد لأندادهم[٥].

قال شيخ الإسلام: «وهذا متناقض، وهو باطل؛ فإن المشركين لا يحبون الأنداد مثل محبة المؤمنين الله»[٦].

ودلت الآية على أن من أحب شيئاً كحب الله، فقد اتخذه نداً لله، وذلك هو الشرك الأكبر، قاله المصنف[٧].

وعلى وجوب إفراد الله بالمحبة الخاصة، التي هي توحيد الإلهية، بل الخلق والأمر والثواب والعقاب، إنما نشأ عن المحبة؛ ولأجلها؛ فهي الحق الذي خلقت به السموات والأرض، وهي الحق الذي تضمنه الأمر والنهي،

---

(١) الشعراء: ٩٧-٩٨.

(٢) الأنعام: ١.

(٣) قال ابن أبي العز في شرح الطحاوية: وهذا التوحيد -الربوبية- لم يذهب إلى نقيضه طائفة معروفة من بني آدم بل القلوب مفطورة على الإقرار به (ص ٧٧).
وراجع: كشف الشبهات (ص ٢).

(٤) ابن تيمية -رحمه الله- انظر: الفتاوى (٧/ ١٨٨).

(٥) وهذا هو ما رجحه الطبري (٣/ ٢٨١)، وعبارة ابن كثير تدل على أنه يختار القول الأول.
وهو اختيار الزجاج وقال عن القول الثاني: إنه ليس بشيء (١/ ٢٣٧).
انظر: القرطبي (٢/ ٢٠٤)، زاد المسير (١/ ١٧٠).

(٦) الفتاوى (٧/ ١٨٨).

(٧) الشيخ: محمد بن عبدالوهاب صاحب كتاب التوحيد.
راجع: كتاب التوحيد (١١١).

وهي سـر التأله، وتوحيدها هو شـهادة أن لا إله إلا الله[١]، وليس كما زعم المنكرون، أن الإله هو الرب الخالق، فإن المشركين كانوا مقرين بأنه لا رب إلا الله، ولا خالق سـواه، ولم يكونوا مقرين بتوحيد الإلهية الذي هو حقيقة لا إله إلا الله، فإن الإله الذي تألهه القلوب حباً وذلاً وخوفاً ورجاء، وتعظيماً وطاعة، إله بمعنى مألوه، أي محبوب معبود، وأصله من التأله؛ وهو التعبد[٢]، الذي هو آخر مراتب الحب[٣]، فالمحبة حقيقة العبودية.

ودلت أيضاً على أن المشركين يعرفون الله ويحبونه، وإنما الذي أوجب كفرهم مساواتهم به الأنداد في المحبة، فكيف بمن أحب الأنداد أكبر من حب الله، فكيف بمن لا يحب الله أصلاً، ولم يحب إلا الند وحده فالله المستعان.

وقولـه: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ فيهـا قـولان[٤]: أحدهما -وهو الصحيح- أن المعنى: والذين آمنوا أشد حباً لله من محبة المشركين بالأنداد لله، فإن محبة المؤمنين خالصـة، ومحبة أصحاب الأنداد قد ذهبت أندادهم بقسط منها، والمحبة الخالصة أشد من المشتركة[٥].

---

(١) انظر: الفتاوى (١٠/ ٧٥٤).

(٢) راجع: سورة الفاتحة.

(٣) قاله ابن القيم في المدارج (٣/ ٢٦).
وقال شيخ الإسلام: آخرها -أي مراتب الحب- التتيم، يقال: تيم الله، أي عبدالله، فالمتيم: المعبود المحبوب. ا.هـ. العبودية (٤٤).
وعد ابن القيم في المدارج المراتب عشراً وجعل الثامنة: التتيم. التاسعة: التعبد. العاشرة: الخلة، وهي أعلاها.
انظر: المدارج (٣/ ٢٩)، روضة المحبين (١٥)، القاموس (التتيم) (ص ١٤٠٠) و(الخلة) (ص ١٢٨٥).

(٤) راجع: البحر المحيط (١/ ٦٤٤)، مدارج السالكين (٣/ ٢٠).

(٥) ذكر أبو حيان تسعة أقوال في مقتضى التمييز بالأشدية منها إفراد المؤمنين له بالمحبة أو لمعرفتهم بموجب الحب أو لمحبتهم إياه بالغيب أو لإقبال المؤمن على ربه في السراء والضراء والشدة والرخاء، .. إلى آخر ما ذكر ثم رجح أنه لا مانع من أن تكون جميعاً هي المقتضى. البحر المحيط (١/ ٦٤٤).

والثاني: والذين آمنوا أشد حباً لله من حب أصحاب الأنداد لأندادهم التي يحبونها من دون الله.

قال ابن القيم: «والقولان مرتبان على القولين في قوله: ﴿يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ﴾»[١].

وفي الآية دليل على أن الله لا يقبل من العمل إلا ما كان خالصاً، وأن الشرك محبط للأعمال[٢].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾﴾ [البقرة: ١٨٣-١٨٤].

قال الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب رحمه الله:

هذا نص صريح لا يحتمل التأويل: أن المريض والمسافر يفطران في رمضان، ويقضيان عدة ما أفطروا من أيام أخر.

وقد ذكر المفسرون: أن هذه الآية الكريمة، أول ما نزل في فرض الصيام[٣]، ففرض الله فيه على المؤمنين الصيام، كما فرضه على من قبلهم، وبين أن ذلك أيام معدودات، تسهيلاً على المؤمنين، بأن هذه الأيام يحصرها

(١) مدارج السالكين (٣/ ٢٠).
(٢) تيسير العزيز الحميد (ص ٤١١-٤١٣).
(٣) راجع: ابن كثير (١/ ٢١٣)، الدر المنثور (١/ ٤٢٧).

العد، ليست بالكثير التي تفوت العد[١]، ولهذا وقع الاستعمال بالمعدود كناية عن القلائل، كقوله في أيام معدودة ﴿لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةً﴾[٢]، ﴿وَشَرَوۡهُ بِثَمَنِۭ بَخۡسٍ دَرَٰهِمَ مَعۡدُودَةٍ﴾[٣]، هذا إن كان ما فرض صومه هنا رمضان، فيكون قوله هنا ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍۚ﴾ عنى به رمضان، قال أبو حيان[٤]: «وهو قول ابن أبي ليلى[٥]، وجمهور المفسرين.

وإن كان ما فرض صومه هو ثلاثة أيام من كل شهر، وقيل: هذه الثلاثة، ويوم عاشوراء، كما كان ذلك فرضاً على الذين من قبلنا، فيكون قوله: ﴿أَيَّامًا مَّعۡدُودَٰتٍ﴾ عنى بها هذه الأيام، قال: وإلى هذا ذهب ابن عباس وعطاء[٦]، قال ابن عباس وعطاء وقتادة، هي: أيام البيض»[٧].

---

(١) راجع: ابن كثير (٢/ ٢١٣).

(٢) البقرة: ٨٠.

(٣) يوسف: ٢٠.

(٤) محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي، ولد في غرناطة (٦٥٤هـ).
أقبل على العلم وتبحر فيه، برع في التفسير والنحو والقراءات وغير ذلك، رحل إلى المغرب والشام ثم استقر في مصر، له مصنفات عديدة في التفسير والقراءات واللغة والنحو أهمها تفسيره: البحر المحيط، توفي -رحمه الله- عام ٧٤٥هـ.
انظر: بغية الوعاة (١/ ٢٨٠)، وطبقات المفسرين (٢/ ٢٨٧).

(٥) عبدالرحمن بن أبي ليلى الأنصاري الكوفي، ولد لست بقين من خلافة عمر، روى عن عثمان وعلي وسعد وغيرهم، وعنه الشعبي وثابت البناني وغيرهما، ثقة عالم فاضل من كبار التابعين، توفي عام ستة وثمانين وقيل غير ذلك.
انظر: تهذيب التهذيب (٦/ ٢٦٠).
وقد روى عنه القول بأن الأيام المعدودات هي شهر رمضان. ابن جرير في التفسير (٣/ ٤١٦).

(٦) عطاء بن أبي رباح القرشي مولاهم المكي، روى عن ابن عباس وابن عمر وغيرهما، وعنه مجاهد والزهري وخلق، كان ثقة عالماً فقيهاً من كبار التابعين، انتهت إليه الفتوى بمكة، كان من أعلم أهل زمانه بالمناسك، أخرج له الستة، توفي عام ١١٤هـ وقيل غير ذلك.
انظر: الكاشف (٢/ ٢٣١)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٩٩).

(٧) البحر المحيط (٢/ ٣٧) باختصار.
راجع: الأقوال في: الطبري (٣/ ٤١٤)، زاد المسير (١/ ١٨٥)، أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٥)، الجامع للقرطبي (٢/ ٢٧٥)، الدر المنثور (١/ ٤٧٢).

قال أبو حيان: «قال أبو عبدالله، محمد بن أبي الفضل المرسي[١]، في «ري الظمآن»: احتج من قال: إنها غير رمضان بقوله ﷺ: (صوم رمضان نسخ كل صوم)[٢]، فدل على أن صوماً آخر كان قبله.

ولأنه تعالى ذكر المريض والمسافر في هذه الآية، ثم ذكر حكمهما في الآية الآتية بعد، فلو كان هذا الصوم هو صوم رمضان، لكان هذا تكراراً.

ولأن قوله تعالى: ﴿فِدْيَةٌ﴾ يدل على التخيير، وصوم رمضان واجب على التعيين، فكان غيره.

وأكثر المحققين على أن المراد بالأيام: شهر رمضان، لأن قوله ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ يحتمل يوماً ويومين وأكثر، ثم بينه بقوله ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾ وإذا أمكن حمله على رمضان، فلا وجه لحمله على غيره، وإثبات النسخ.

وأما الخبر: فيمكن أن يحمل على نسخ كل صوم وجب في الشرائع المتقدمة، أو يكون ناسخاً لصيام وجب لهذه الأمة.

وما ذكر من التكرار، فيحتمل أن يكون لبيان إفطار المسافر والمريض في رمضان في الحكم، بخلاف التخيير في المقيم، فإنه يجب عليه القضاء، فلما نسخ عن المقيم الصحيح وألزم الصوم، كان من الجائز أن يظن أن حكم الصوم،

---

(١) شرف الدين محمد بن عبدالله بن محمد بن أبي الفضل المرسي الأندلسي، الأديب النحوي المفسر المحدث الفقيه، ولد سنة ٥٧٠هـ، رحل إلى مصر وغيرها، من مؤلفاته: ري الظمآن في تفسير القرآن، قصد فيه ارتباط الآي بعضها مع بعض، توفي ٦٥٥هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ١٩٧)، وشذرات الذهب (٥/ ٢٦٩)، غية الوعاة (١/ ١٤٤). وقد وقع في الأصل: في رأيي الظلمات وهو تحريف، والصواب المثبت أعلاه. وتفسيره هذا ليس مطبوعاً. وقد أشار إليه في معجم مصنفات القرآن (٣/ ٨٩)، وقد وقع اسم المؤلف عنده محرفاً إلى: المري. والله أعلم.

(٢) رواه الدارقطني (٤/ ٢٨٠)، والبيهقي في السنن الكبرى (٩/ ٣٦١)، وضعفه الدارقطني.

لما انتقل إلى التخيير عن التضييق يعم الكل، حتى يكون المريض والمسافر فيه بمنزلة المقيم، من حيث تغير الحكم في الصوم، فبين أن حالة المريض والمسافر في الرخصة والإفطار، ووجوب القضاء كحالها أولاً، فهذه فائدة الإعادة، وهذا هو الجواب عن الثالث، وهو قولهم لأن قوله تعالى ﴿فِدْيَةٌ﴾ يدل على التخيير ...إلخ، لأن صوم رمضان كان واجباً مخيراً ثم صار معيناً.

وعلى كلا القولين: لابد من النسخ في الآية، أما على الأول فظاهر، وأما على الثاني، فلأن هذه الآية تقتضي أن يكون صوم رمضان واجباً مخيراً، والآية التي بعد تدل على التضييق، وكانت ناسخة لها، والاتصال في التلاوة لا يوجب الاتصال في النزول، انتهى كلامه»[1].

وقال في الفتح: أول كتاب الصيام، لما ذكر احتجاج البخاري بقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ الآية، قال: «أشار بذلك إلى مبدأ فرض الصيام، وكأنه لم يثبت عنده على شرطه فيه شيء، فأورد ما يشير إلى المراد، فإنه ذكر فيه ثلاثة أحاديث:

حديث طلحة الدال على أنه لا فرض إلا رمضان[2]، وحديث ابن عمر[3]،

---

(١) صاحب ري الظمآن أبو عبدالرحمن بن أبي الفضل المريسي.
انظر في كل ما سبق: البحر المحيط (٢/ ٣٦-٣٧) بتصرف واختصار.

(٢) عن طلحة بن عبيد الله «أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ ثائر الرأس فقال: يا رسول الله أخبرني ماذا فرض الله علي من الصلاة؟ فقال الصلوات الخمس إلا أن تطوع شيئاً. فقال: أخبرني بما فرض الله علي من الصيام؟ فقال: شهر رمضان إلا أن تطوع شيئاً فقال: أخبرني ما فرض الله علي من الزكاة؟ فأخبره رسول الله ﷺ بشرائع الإسلام. قال: والذي أكرمك بالحق، لا أتطوع شيئاً ولا أنقص مما فرض الله علي شيئاً. فقال رسول الله ﷺ: أفلح إن صدق أو دخل الجنة إن صدق» البخاري كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان (٤/ ١٠٢) «فتح».

(٣) عن نافع عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «صام النبي ﷺ عاشوراء وأمر بصيامه، فلما فرض رمضان ترك، وكان عبدالله لا يصومه إلا أن يوافق صومه» البخاري كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان (٤/ ١٠٢) «فتح»، ورواه مسلم كتاب الصيام باب صيام يوم عاشوراء (٨/ ٢٠٠).

وعائشة[١] المتضمن الأمر بصيام عاشوراء، وكأن المصنف أشار إلى أن الأمر في روايتهم محمول على الندب، بدليل حصر الفرض في رمضان، وهو ظاهر الآية لأنه تعالى قال: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ ثم بينه فقال: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾.

وقد اختلف السلف: هل فرض على الناس صيام قبل رمضان أو لا؟[٢] فالجمهور وهو المشهور عند الشافعية: أنه لم يجب قط صوم قبل رمضان، وفي وجه وهو قول الحنفية، أول ما فرض صيام عاشوراء، فلما نزل رمضان نسخ، فمن أدلة الشافعية، حديث معاوية مرفوعاً «لم يكتب الله عليكم صياماً»[٣]، وسيأتي في آخر الصيام.

ومن أدلة الحنفية: ظاهر حديثي ابن عمر وعائشة المذكورين في هذا الباب بلفظ الأمر، وحديث الربيع بنت معوذ[٤]، عند مسلم: «من أصبح

---

(١) عن عائشة رضي الله عنها: «أن قريشاً كانت تصوم يوم عاشوراء في الجاهلية، ثم أمر رسول الله ﷺ بصيامه حتى فرض رمضان، وقال رسول الله ﷺ: من شاء فليصمه ومن شاء أفطره».
البخاري كتاب الصوم باب وجوب صوم رمضان (٤/ ١٠٢) «فتح»، ورواه أيضاً مسلم كتاب الصوم باب صوم يوم عاشوراء (٨/ ١٩٩).

(٢) انظر: المجموع (٦/ ٢٤٨)، شرح النووي على مسلم كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء (٨/ ١٩٨)، تفسير ابن كثير (١/ ٢١٤)، نيل الأوطار (٤/ ٢٧٣)، وما سبق.

(٣) عن حميد بن عبدالرحمن أنه سمع معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما يوم عاشوراء عام حج على المنبر يقول: «يا أهل المدينة أين علماؤكم؟ سمعت رسول الله ﷺ يقول: هذا يوم عاشوراء، ولم يكتب الله عليكم صيامه وأنا صائم، فمن شاء فليصم ومن شاء فليفطر» البخاري كتاب الصوم باب صيام يوم عاشوراء (٤/ ٢٤٤) «فتح» وهو عند مسلم كتاب الصوم، باب صوم يوم عاشوراء (٨/ ٢٠٢).

(٤) الربيع بنت معوذ بن عفراء الأنصارية، ممن بايع تحت الشجرة، غزت مع رسول الله ﷺ غزوات فكانت تداوي الجرحى، روت جملة من الأحاديث، روى عنها سليمان بن يسار ونافع مولى ابن عمر وغيرهما.
انظر: أسد الغابة (٦/ ١٠٧)، الإصابة (٨/ ٨٠).

صائماً فليتم صومه» قالت: فلم نزل نصومه ونصوّم صبياننا وهم صغار، حتى فرض رمضان[١]» الحديث.

وحديث أم سلمة[٢] مرفوعاً «من أكل فليصم بقية يومه، ومن لم يكن أكل فليصم»الحديث. وبنوا على هذا الخلاف هل يشترط في صحة الصوم الواجب نية من الليل أم لا[٣]؟

انتهى[٤]، هذا ما يتعلق بقوله تعالى: ﴿أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍۢ﴾.

ثم قال تبارك وتعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ﴾ فأباح سبحانه للمريض والمسافر الفطر في رمضان، لوجود المشقة فيه غالباً، رحمة منه وتفضلاً على عباده المؤمنين، وأوجب عليهما قضاء ذلك إذا زال المرض والسفر، اللذان علق بهما جواز الفطر عند

---

(١) رواه البخاري كتاب الصيام باب يوم الصبيان (٤/ ٢٠٠) «فتح» ورواه مسلم أيضاً كتاب الصيام باب استحباب صوم يوم عاشوراء (٨/ ٢٠٦).

(٢) في الفتح «مسلمة» والصحيح سلمة والحديث في البخاري كتاب الصيام باب صيام يوم عاشوراء (٤/ ٢٤٥) «فتح»، ورواه مسلم أيضاً كتاب الصيام باب صوم عاشوراء (٨/ ٢٠٦).

(٣) اختلف العلماء في وجوب تبييت النية في الصوم على أقوال:
الأول: اشتراط تبييت النية في الفرض دون النفل وقال به الشافعي وأحمد.
الثاني: اشتراط تبييت النية في الفرض والنفل وقال به مالك.
الثالث: عدم الاشتراط في النفل والفرض جميعاً بل تجزئ النية من النهار إذا لم يأكل وقال به أبو حنيفة.
ثم اختلف من قال بإجزائها في النفل من النهار على قولين:
الأول: يشترط أن تكون قبل نصف النهار وقال به أحمد في رواية.
الثاني: أن ذلك لا يجب وبه قال الشافعي وأحمد في الرواية الأخرى.
راجع: في المسألة الكافي لابن عبدالبر (١/ ٣٣٤)، المغني (٣/ ٩١)، فتح الباري (٤/ ١٤١)، نيل الأوطار (٤/ ٢٦٩)، السلسبيل في معرفة الدليل للبليهي (١/ ٣٢٩).

(٤) فتح الباري (٤/ ١٠٣).

الجمهور، أو وجوبه عند بعض السلف والخلف[١]، وأخبر أنه عدة من أيام أخر، فدل على عدم وجوب التتابع[٢].

ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ فأباح سبحانه وتعالى للذين يطيقون الفطر، وإن كانوا صحيحين مقيمين، وأوجب عليهم فدية طعام مسكين لكل يوم، وهذا على القراءة المشهورة[٣]، وهي الموجودة في المصاحف اليوم، وهذا قول معاذ بن جبل، وغير واحد من السلف والخلف[٤]، وهكذا روى البخاري عن سلمة بن الأكوع أنها نزلت ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ كان من أراد أن يفطر يفتدي، حتى نزلت التي بعدها فنسختها»، وروى أيضاً من حديث نافع عن ابن عمر قال: «هي منسوخة»[٥].

---

(١) جواز الفطر في السفر هو مذهب الجماهير من السلف والخلف على خلاف بينهم في تفضيل الصوم أو الفطر أو هما متساويان؛ أقوال ثلاثة. ونقل وجوب الفطر عن جماعة من السلف منهم أبو هريرة وابن عمر وعبدالرحمن بن عوف وهو مذهب أهل الظاهر.
راجع: المغني (٣/ ١٤٩)، المحلى (٦/ ٢٤٣)، القرطبي (٢/ ٢٨٠)، ابن كثير (١/ ٢١٧).

(٢) اختلف العلماء في وجوب التتابع في قضاء رمضان على قولين، الراجح منهما: عدم الوجوب، وهو قول الجمهور من السلف والخلف.
راجع المسألة في: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٧٨)، ابن كثير (١/ ٢١٧)، المغني (٣/ ١٥٠).

(٣) قرأ الجمهور ﴿يُطِيقُونَهُۥ﴾ أي يستطيعون صومه، وقرأ ابن عباس (يطوقونه) أي يكلفونه، وفي الآية قراءات أخرى.
انظر: المحتسب (١/ ١١٨)، ابن العربي (١/ ٧٩)، المحرر الوجيز (١/ ٢٥٢)، القرطبي (٢/ ٢٨٦)، البحر المحيط (٢/ ٤١).

(٤) انظر: القرطبي (٢/ ٢٨٧)، ابن كثير (١/ ٢١٦)، ابن العربي (١/ ٧٩)، البحر المحيط (٢/ ٤١)، زاد المسير (١/ ١٨٦).

(٥) رواهما البخاري كتاب الصوم، باب ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ﴾ معلقاً (٤/ ١٨٧) «فتح» وقد وصلها في كتاب التفسير باب ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ (٨/ ١٨٠) «فتح» وقد ذكرا رضي الله عنهما أن الناسخ قوله تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْءَانُ﴾ الآية [البقرة: ١٨٤].

وروى البخاري عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قرأ ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدۡيَةٞ طَعَامُ مِسۡكِينٖۖ﴾ فقال ابن عباس: «ليست منسوخة، هو الشيخ الكبير، والمرأة الكبيرة، لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكيناً»[(١)].

فحاصل الأمر: أن النسخ ثابت في حق الصحيح المقيم، بإيجاب الصوم عليه، بقوله تعالى: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهۡرَ فَلۡيَصُمۡهُۖ﴾ وأما الشيخ الفاني الهرم، الذي لا يستطيع الصيام، فله أن يفطر ولا قضاء عليه، لأنه ليست له حال يصير إليها يتمكن فيها من القضاء، ولكن هل يجب عليه إذا أفطر أن يطعم عن كل يوم مسكيناً إذا كان ذا جدة أم لا؟ فيه قولان للعلماء[(٢)].

والمقصود: أن الله سبحانه وتعالى نص على جواز الفطر في رمضان للمريض والمسافر، وهذا مجمع عليه بين العلماء[(٣)] فيما علمناه، مع وجوب القضاء عليهما[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ فَلۡيَسۡتَجِيبُواْ لِي وَلۡيُؤۡمِنُواْ بِي لَعَلَّهُمۡ يَرۡشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذا قرب خاص للسائلين والداعين، وقد يقرب من عباده ومن القلوب

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير باب ﴿أَيَّامٗا مَّعۡدُودَٰتٖۚ﴾ الآية [٨/ ١٧٩] «فتح».

(٢) راجع في المسألة: المحرر الوجيز (١/ ٢٥٣)، ابن كثير (١/ ٢١٥)، المغني (٣/ ١٤١)، والكلام من قوله: ثم قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ﴾ إلى هنا من ابن كثير بتصرف واختصار (١/ ٢١٥).

(٣) انظر: مراتب الإجماع لابن حزم (٤٠).

(٤) الدرر السنية (٥/ ٣١٨-٣٢٣).

الطيبة كيف يشــاء، لكنه قرب خاص ليس كما يظنه الجهمــي[١] من أن ذاته تحل في المخلوقات، فهو ســبحانه ليس كمثله شــيء فــي صفاته وكمال عظمته وقدرته، ينزل إلى الســماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر[٢]، وهو مستو على عرشــه عال فوق خلقه، لا تحيط به المخلوقات ولا تحتوي عليه الكائنات، ويدنو عشــية عرفة فيباهي ملائكته بأهل الموقــف[٣]، ومع ذلك فصفة العلو والاســتواء ثابتة في الحال، لا يخلو العــرش منه، ولا يعلم قدر عظمته إلا هو جل ثناؤه وتقدست أسماؤه.

وقد يكون المؤمن المخلــص القريب من الله في مــكان معه من هو ملعون مطرود عن رحمة اللــه وهما في مكان واحد كما جرى لموســى وفرعون.

فالقرب الــذي وردت به الأحاديث وصرحت بــه النصوص حجة على الجهمي المعطــل[٤] القائل: بأن الله فــي كل مكان، تعالــى الله وتقدس ، فهؤلاء الجهال خاضــوا فيما قصرت عقولهم وأفهامهم عن إدراك معناه وما

(١) نسبة إلى الجهمية، وهي فرقة تنسب إلى الجهم بن صفوان الذي قتله سلم بن أحوز عام ١٢٧هـ، ولهم أقوال كثيرة تخالف ما عليه أهل السنة والجماعة منها قولهم بخلق القرآن، وأن الإيمان هو مجرد المعرفة ونفي الأسماء والصفات عن الله تعالى والقول بفناء الجنة والنار وغير ذلك.
انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٨٦)، مقالات الإسلاميين (١/ ٣٣٨).

(٢) إشارة إلى حديث النزول الذي سبق تخريجه.

(٣) رواه مسلم كتاب الحج، باب فضل يوم عرفة (٩/ ٤٧٧) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٤) المعطل من التعطيل وهو مأخوذ من العطل وهو الخلو والفراغ، والتعطيل هو نفي صفات الله أو بعضها وإنكار قيامها بذاته، وأصل التعطيل ينقسم إلى ثلاثة أقسام: تعطيل في الربوبية، تعطيل في الألوهية وتعطيل في الأسماء والصفات.
وأول من قال بالتعطيل في الإسلام الجعد بن درهم ثم تلقاها عنه الجهم بن صفوان وإليه تنسب الجهمية.
انظر: الفتاوى (١٣/ ١٧٥)، الكواشف الجلية (٨٧).

يراد به فصاروا في بحر الشبهات غرقى لا يعرفون لهم رباً ولا يستدلون بصفة من صفاته على معرفة كماله وجلاله[١].

وقال أيضاً:

هذا قرب خاص بداعيه، وفي الحديث: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[٢]، لأن حال السجود غاية في العبودية والخضوع، ولذلك صار له قرب خاص لا يشبهه سواه، وهذا مما يبين لك بطلان قول الجهمي: إنه بذاته في كل مكان، ولو كان الأمر كما قال الضال، لم يكن للمصلي والداعي خصوصية بالقرب، ولكان المصلي وعابد الصنم سواء في القرب إليه، تعالى الله عما يقول الظالمون علواً كبيراً.

وقال العلامة ابن القيم رحمه الله: «المعية: نوعان:

عامة: وهي معية العلم والإحاطة، كقوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾[٣]، وقوله: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾[٤].

وخاصة وهي: معية القرب، كقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾[٥]، ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾[٦]، ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾[٧].

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٧١).

(٢) رواه مسلم، كتاب الصلاة، باب ما يقال في الركوع والسجود (٤/ ١٤٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) الحديد: ٤.

(٤) المجادلة: ٧.

(٥) النحل: ١٢٨.

(٦) البقرة: ١٥٣.

(٧) العنكبوت: ٦٩.

الفتن ليس بحولهم ولا بقوتهم، وإنما هو فضل الله يؤتيه من يشــاء، كما قال تعالى: ﴿ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴾(١).

ثم قال تعالــى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُمْ رَٰكِعُونَ ﴾(٢)، فأخبر الله تعالى خبراً بمعنى الأمر بولاية الله ورسوله والمؤمنين وفي ضمنه النهي عن موالاة أعداء الله ورسوله والمؤمنين، ولا يخفى أي الحزبين أقرب إلى الله ورســوله وإقام الصــلاة وإيتاء الزكاة أهل الأوثان والقباب والقحاب واللواط والخمور والمنكرات؟ أم أهل الإخلاص وإقام الصلاة وإيتــاء الزكاة، فالمتــولي لضدهم واضع للولايــة في غير محلها مستبدل بولاية الله ورسوله والمؤمنين المقيمين للصلاة المؤتين للزكاة على ولاية أهل الشرك والأوثان والقباب، ثم أخبر تعــالى أن الغلبة لحزبه ومن تولاهم، فقال ﴿ وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾(٣)(٤).

---

(١) آل عمران: ٧٤.

(٢) المائدة: ٥٥.

(٣) المائدة: ٥٦.

(٤) الدرر السنية (٧/ ٦٦-٦٧).

سورة الممتحنة

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمۡ أَوۡلِيَآءَ تُلۡقُونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَقَدۡ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلۡحَقِّ يُخۡرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمۡ أَن تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمۡ إِن كُنتُمۡ خَرَجۡتُمۡ جِهَٰدٗا فِي سَبِيلِي وَٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِيۚ تُسِرُّونَ إِلَيۡهِم بِٱلۡمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعۡلَمُ بِمَآ أَخۡفَيۡتُمۡ وَمَآ أَعۡلَنتُمۡۚ وَمَن يَفۡعَلۡهُ مِنكُمۡ فَقَدۡ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ١ إِن يَثۡقَفُوكُمۡ يَكُونُواْ لَكُمۡ أَعۡدَآءٗ وَيَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ وَأَلۡسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوۡ تَكۡفُرُونَ ٢ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ قَدۡ كَانَتۡ لَكُمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ فِيٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذۡ قَالُواْ لِقَوۡمِهِمۡ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمۡ وَمِمَّا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرۡنَا بِكُمۡ وَبَدَا بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةُ وَٱلۡبَغۡضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥٓ إِلَّا قَوۡلَ إِبۡرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسۡتَغۡفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمۡلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيۡءٖۖ رَّبَّنَا عَلَيۡكَ تَوَكَّلۡنَا وَإِلَيۡكَ أَنَبۡنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ٤ رَبَّنَا لَا تَجۡعَلۡنَا فِتۡنَةٗ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغۡفِرۡ لَنَا رَبَّنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٥ لَقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِيهِمۡ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ٦ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجۡعَلَ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَ ٱلَّذِينَ عَادَيۡتُم مِّنۡهُم مَّوَدَّةٗۚ وَٱللَّهُ قَدِيرٞۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧ لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ وَتُقۡسِطُوٓاْ إِلَيۡهِمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٨ إِنَّمَا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَأَخۡرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخۡرَاجِكُمۡ أَن تَوَلَّوۡهُمۡۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۚ

وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾ [سورة الممتحنة].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ أي: أخطأ الصراط المستقيم فأخبر تعالى أن من تولى أعداء الله وإن كانوا أقرباء وأصدقاء فقد ضل سواء السبيل أي: أخطأ الصراط المستقيم وخرج عنه إلى الضلال، فأين هذا ممن يدعي أنه على الصراط المستقيم لم يخرج عنه، فإن هذا تكذيب لله ومن كذب الله فهو كافر، واستحلال لما حرم الله من ولاية الكفار ومن استحل محرماً فهو كافر.

ثم ذكر تعالى شبهة من اعتذر بالأرحام والأولاد فقال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[1].

فلم يعذر الله تعالى من اعتذر بالأرحام والأولاد[2] والخوف عليهما ومشقة مفارقتهما بل أخبر أنها لا تنفع يوم القيامة ولا تغني من عذاب الله

(١) الممتحنة: ٣.

(٢) هذه الآيات نزلت في حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه، وسيأتي لهذا مزيد بيان في كلام الشيخ حمد بن عتيق بعد هذا.

شيئاً كما قال تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾[(١)](٢).

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

ثبت في الصحاح: أن هذه السورة نزلت في رجل[(٣)] من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ عام الفتح[(٤)]، فأنزل الله هذه الآيات بخبر هذا الكتاب، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب[(٥)] في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب، فوجده في عقيصة رأسها[(٦)] فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يعتذر ويحلف أنه ما شك، ولكنه ليس له من يحمي من وراءه من أهله بمكة، وأنه أراد هذا يداً عند قريش، واستأذن بعض الصحابة في قتله، فقال النبي ﷺ: «وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم»[(٧)].

---

(١) المؤمنون: ١٠١.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٦٨).

(٣) هو حاطب بن أبي بلتعة رضي الله عنه.

(٤) في السنة الثامنة من الهجرة، وقيل: بل كتب يخبرهم بمسيره ﷺ عام الحديبية، واختار هذا القول ابن عطية وابن عاشور وغيرهما، والأول هو قول الجمهور.
انظر: المحرر الوجيز (٥/ ٢٩٣)، التحرير والتنوير (٢٨/ ١٣٠).

(٥) ومعه الزبير بن العوام رضي الله عنه، وفي رواية: ومعهم المقداد بن الأسود وفي رواية: ومعهما أبو مرثد الغنوي بدل المقداد.
انظر: البخاري (٦/ ١٩٠)، (٨/ ٦٣٣) «فتح»، ومسلم (١٦/ ٤٥-٤٦)، تفسير القرطبي (١٨/ ٥١).

(٦) العقيصة: الضفيرة. انظر: لسان العرب (عقص) (٧/ ٥٥).
قال الحافظ في هدي الساري: اسم الظعينة سارة على المشهور، وكانت مولاة عمرو بن هاشم بن المطلب، وقيل اسمها: كنود، وتكنى أم سارة. وذكر البلاذري أن المكتوب إليهم هم صفوان بن أمية وسهيل بن عمرو وعكرمة بن أبي جهل. ا.هـ. مختصراً ص: ٢٩١.

(٧) رواه البخاري في عدة مواطن منها: كتاب: الجهاد، باب: إذا احتاج الرجل إلى النظر في شعور أهل =

فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل لأجل هذا الكتاب.

ففي هذه السورة مع سبب نزولها، من الأدلة على وجوب عداوة الكفار ومقاطعتهم[(١)] أدلة كثيرة:

فنهى تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ عـدوه وعدوهم أولياء، وهذا تهييج على عداوتهم، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك له.

ولنضرب لذلك مثلاً -ولله المثل الأعلى- فقدر نفسك مملوكاً لإنسان هو سيدك، والسبب في حصول مصالحك ومنع مضارك، وسيدك له عدو من الناس فهل يصح عندك ويجوز في عقلك أن تتخذ عدو سيدك ولياً ولم ينهك عن ذلك، فكيف إذا نهاك أشـد النهي ورتب على موالاتك له أن يعذبك وأن يسخط عليك وأن يوصل إليك ما تكره ويمنع عنك ما تحب، فكيف إذا كان هذا العدو لسيدك عدواً لك أيضاً، فإن واليته مع ذلك كله إنك إذاً لمن الظالمين الجاهلين!.

ثم قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ﴾ وهذا كاف في إبطال شـبهة المشبهين، فإنه إذا أنكر عليهم موالاة المشـركين وموادتهم قالـوا: لم يصدر منا ذلك، وهم مع ذلك يعينـون أهل الباطـل بأموالهـم، ويذبون عنهم بألسـنتهم، ويكاتبونهم بعورات المسلمين.

فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السـورة؟ وقد سماه الله إلقاءً بالمودة، وهذا ظاهر جداً.

ثم قـال: ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ

= الذمة والمؤمنات إذا عصين الله وتجريدهن (٦/ ١٩٠)، ومسلم، كتاب: فضائل الصحابة، باب: فضل حاطب وأهل بدر رضي الله عنهم (١٦/ ٤٥)، والذي استأذن في قتله هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

(١) قال القرطبي -رحمه الله-: السورة أصل في النهي عن موالاة الكفار. ا.هـ. (١٨/ ٥٢).

رَبِّكُمْ ﴾ فذكر ما يدعو إلى عداوتهم وهو: كفرهم بالحق الذي جاءنا من عند الله، وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الإسلام لأجل الإيمان بالله.

ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية، وهذا تهديد شديد.

ثم قال: ﴿وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ أي: من يتول أعداء الله ويلق إليهم بالمودة ويسر إليهم فقد أخطأ الصراط المستقيم، وخرج عن طريق الحق والصواب.

ثم قال: ﴿إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُوا۟ لَكُمْ أَعْدَآءً ﴾ الآية فبين أنهم إن قدروا على المسلم، واستولوا عليه: ساموه سوء العذاب، وبسطوا إليهم أيديهم وألسنتهم بالضرب أو القتل وبالكلام الغليظ، ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم، فإنهم لا يرضون عنه ويسلمونه من شرهم، حتى يكون دينه دينهم ولهذا قال: ﴿وَوَدُّوا۟ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴾ وكما قال: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ ﴾[1].

ثم قال: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ الآية.

فبين أن كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين لا يبيح له موالاتهم، كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً فلم يعذره الله تعالى، فإنه يجب على الإنسان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ولا يحصل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من ولده ووالده والناس أجمعين.

فقوله: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ﴾ أي: لن ينجوكم من

---

(١) البقرة: ١٢٠.

عذاب الله، فكيف تقدمونهم على مراد الله؟ ولأجلهم توالون أعداء الله، والله تعالى مطلع عليكم، بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم.

ثم بين أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين ونهاهم عنه من موالاة الكافرين ليس هو أمراً لهم وحدهم بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين فقال: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ﴾ أي: من المرسلين[1] ﴿إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾.

فقوله: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ كقوله: ﴿ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾[2]، فأمرنا سبحانه وتعالى أن نتأسى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ﴾ إلى آخره، وإذا كان واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم، فكونه واجباً للكفار الأبعدين عنه المخالفين له في جميع الأمور أبين وأبين.

وههنا نكتة بديعة في قوله: ﴿إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ وهي:

أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله؛ لأن الأول أهم من الثاني، فإنه قد يتبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها، فلا يكون آتياً بالواجب عليه، وأما إذا تبرأ من المشركين، فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم.

---

(١) وقيل: من المؤمنين. انظر: زاد المسير (٨/ ٢٣٥).
(٢) النحل: ١٢٣.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّى عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّى شَقِيًّا﴾[(١)]، فقدم اعتزالهم على اعتزال معبوداتهم، وكذا قوله: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٣)]، فعليك بهذه النكتة، فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداء الله، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ولكنه لا يعادي أهله، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين.

ثم قال: ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا﴾ فقوله: ﴿وَبَدَا﴾ أي: ظهر وبان، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء؛ لأن الأولى أهم من الثانية فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء، ولابد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين أي: ظاهرتين بينتين.

واعلم أنه إن كانت البغضاء متعلقة بالقلب فإنها لا تنفع حتى تظهر آثاراً وتبين علامتها، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة فإن ذلك يدل على عدم البغضاء، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة.

ثم قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ قَٰتَلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ وَظَٰهَرُواْ عَلَىٰٓ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ فذكر سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم وترك موالاتهم، وهي:

---

(١) مريم: ٤٨.

(٢) مريم: ٤٩.

(٣) الكهف: ١٦.

أنهم يقاتلون في الدين أي: من أجله، يعني أن الذي حملهم على قتالكم ما أنتم عليه من الدين لعداوتهم له.

وأيضاً: يخرجون المؤمنين من ديارهم، ويعاونون على إخراجهم فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين.

وفي هذه الآية أعظم الدليل وأوضح البرهان على أن موالاتهم محرمة منافية للإيمان، وذلك أنه قال: ﴿إِنَّمَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ فجمع بين لفظة: (إنما) المفيدة للحصر، وبين النهي الصريح وذكر الخصال الثلاث[1] وضمير الحصر وهو لفظة (هم) ثم ذكر الظلم المعرف بأداة التعريف.

ثم قال: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ﴾ فنهى سبحانه أهل الإيمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم. فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى[2].

وسئل الشيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَـٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ﴾ الآية.

فأجاب: الذي يظهر أن هذا إخبار من الله جل ذكره لعباده المؤمنين بأنه لم ينههم عن البر والعدل والإنصاف، ومعاملة أي كافر كان من أهل الملل إذا كان لم يقاتلهم في الدين ولم يخرجهم من ديارهم، إذ العدل والإحسان والإنصاف مطلوب محبوب شرعاً، ولذا علل هذا الحكم بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

وأما قوله: ﴿أَن تَبَرُّوهُمْ﴾ فقد قال بعض العلماء المعربين: أنه من

(١) وهي: يقاتلونكم في الدين، وأخرجوكم من دياركم، وظاهروا على إخراجكم.
(٢) سبيل النجاة والفكاك، ص ٤٠-٤٦.

الموصول بدل اشـــتمال، و(أن) وما دخلت عليه في تأويل مصدر والتقدير: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ﴾ بـــر من لم يقاتل في الدين[١]، ولـــو قال هذا البعض أنه بدل بدء[٢] لكان أظهر إذ لا يظهر الاشتمال بأنواعه[٣].

هـــذا، والأظهر عنـــدي أن لا بدل مطلقـــاً، وأن الموصـــول معمول للمصدر المتأخـــر المأخوذ من أن وما دخلت عليـــه، فالموصول إذاً في محل نصب بالمصدر المســـبوك وتأخر العامل لا يضر، وأما على البدلية فهو في محل جر.

وقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾ أكد الجملة هنا لمناســـبة مقتضى الحال إذ المقام مظنة لغلط الأكثر ولتوهم خلاف المـــراد فاقتضى التأكيد والتوفية بالأداة كما يعلم من فن المعاني.

وقوله: ﴿فِى ٱلدِّينِ﴾ في سببية كما في قوله: «دخلت النار امرأة في هرة»[٤] الحديث.

وسبب النزول ما رواه الإمام أحمد في مســـنده: حدثنا أبو معاوية حدثنا

---

(١) انظر: التبيان للعكبري (٢/ ١٢١٨)، البحر المحيط (٨/ ٢٥٣)، وقد ذكر الزمخشري أنه بدل دون نوعه (٤/ ٨٨).

(٢) هكذا في الأصل، ولعل الأقرب: بدل بعض. والله أعلم.

(٣) وقع في الأصل: إذ لا يظهر الاشتمال بأنواعه التسعة. وهو في مجموعة الرسائل والمسائل (٣/ ١٩٠) كما أثبته دون لفظ: التسعة. وقال خالد الأزهري في شرح التصريح على التوضيح (٢/ ١٥٨):

بدل الاشتمال تارة يكون مصدراً وتارة يكون غيره، وإذا كان مصدراً فتارة يكون مكتسباً كالعلم وتارة يكون غير مكتسب، وغير المكتسب تارة يكون لازماً كالحسن، وتارة يكون مفارقاً كالكلام، وغير المصدر تارة يكون مشتملاً اشتمال الظرف على المظروف كالثوب وتارة لا يكون كذلك كالفرس... والضمير الرابط له بالمبدل منه تارة يكون مذكوراً وتارة يكون مقدراً، والمذكور إما متصلاً بالبدل أو بغير البدل. ا.هـ. مختصراً.

(٤) رواه البخاري، كتاب: بدء الخلق، باب: إذا وقع الذباب في شراب أحدكم فليغمسه... إلخ (٤/ ١٠٠)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: تحريم قتل الهرة بنحوه (١٥/ ٤٠٠).

هشـــام بن عروة عن فاطمة بنت المنذر[١] عن أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنهما قالت: قدمت أمي وهي مشـــركة في عهد قريش إذ عاهدوا فأتيت النبي ﷺ فقلت يا رســـول الله: إن أمي قدمت وهي راغبة أفأصلها؟ قال: «نعم صلي أمك»[٢] وهذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم، وفي بعض الطرق أنها جاءت لابنتها بهدية ضباب وأقط[٣] وســـمن، فأبت أسماء أن تقبل منها وتدخل البيت حتى سألت النبي ﷺ فأنزل الله هذه الآية[٤].

وأما قول ابن زيد[٥] وقتادة[٦]: «أنها منسوخة» فلا يظهر لوجوه:

منها: أن الجمع بينها وبين آية القتال ممكن غير متعذر، ودعوى النســـخ يصار إليها عند التعذر وعدم إمكان الجمع إن دل عليه دليل[٧].

---

(١) فاطمة بنت المنذر بن الزبير بن العوام، ولدت عام ٤٨هـ، روت عن جدتها أسماء وأم سلمة رضي الله عنهن، وروى عنها: زوجها هشام بن عروة ومحمد بن سوقة وغيرهما، قال العجلي: مدنية تابعية ثقة، قال هشام: كانت أكبر مني بثلاث عشرة سنة.
انظر: الكاشف (٣/ ٤٣٢)، تهذيب التهذيب (١٢/ ٤٤٤).

(٢) رواه الإمام أحمد (٦/ ٣٥٥) رقم (٢٧٠٣٩)، ورواه البخاري، كتاب: الهبة، باب: الهدية للمشركين (٥/ ٢٣٣) «فتح»، ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة والصدقة على الأقربين والزوج والأولاد ولو كانوا مشركين (٧/ ٧٤).

(٣) الضباب: جمع ضب وهو الحيوان المعروف.
والأقط: لبن مجفف يابس مستحجر يطبخ به. قاله في النهاية (١/ ٥٧).

(٤) رواه الإمام أحمد (٤/ ٤) رقم (١٦١٥٦)، وابن جرير (٢٨/ ٤٣)، والحاكم (٢/ ٤٨٥)، وصححه ووافقه الذهبي عن عبدالله بن الزبير، وانظر الدر المنثور (٨/ ١٣٠)، وفي الحديث أن اسم أمها: قتيلة بنت عبدالعزى.

(٥) رواه ابن جرير (٢٨/ ٤٣).

(٦) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ٢٨٧)، وابن جرير (٢٨/ ٤٣)، وعزاه السيوطي لأبي داود في التاريخ وابن المنذر (٨/ ١٣١)، وهكذا روى أبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (١٩٧) رقم (٣٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما: أنها منسوخة بصدر سورة براءة، ورواه أيضاً البيهقي في السنن (٩/ ١١).

(٧) انظر في شروط النسخ: التمهيد، لأبي الخطاب (٢/ ٣٤٠)، المسودة (٢٢٩)، شرح الكوكب (٣/ ٥٢٩).

ومنها: أن السنة متظاهرة بطلب الإحسان والعدل مطلقاً، ولا قائل بالنسخ.

لكن قد يجاب عن ابن زيد وقتادة بأن النسخ في كلاميهما بمعنى التخصيص، وهو متجه على اصطلاح بعض السلف[(١)]، ولا شك أن القتال بالسيف وتوابعه من العقوبات، والغلظة في محلها مخصوص من هذا العموم.

ووجه مناسبة الآية لما قبلها من الآي: أنه لما ذكر تعالى نهيه عباده المؤمنين عن اتخاذ عدوه وعدوهم أولياء يلقون إليهم بالمودة، ثم ذكر حال خليله ومن آمن معه في قولهم وبراءتهم من قومهم المشركين حتى يؤمنوا، وذكر أن لعباده المؤمنين أسوة حسنة خيف أن يتوهم أحد أو يظن أن البر والعدل داخلان في ضمن ما نهى عنه من الموالاة وأمر به من البراءة، فناسب أن يدفع هذه بقوله: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ﴾ الآية[(٢)].

---

(١) انظر في معنى النسخ عند السلف تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

(٢) الدرر السنية (١٠/ ١٨٣، ١٨٤).

سورة التغابن

قال تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ﴾ [التغابن: ١١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله**:**

أخبر تعالى أن ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في الأنفس إلا بإذن الله، أي: بقدره وأمره كما قال في الآية الأخرى: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾[١].

قال ابن عباس في قوله: ﴿إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ﴾: «إلا بأمر الله، يعني: من قدره ومشيئته»[٢].

﴿وَمَن يُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ يَهۡدِ قَلۡبَهُۥۚ﴾ أي ومن أصابته مصيبة فعلم أنها بقضاء الله وقدره، فصبر واحتسب واستسلم لقضاء الله جازاه الله تعالى بهداية قلبه التي هي أصل كل سعادة وخير في الدنيا والآخرة، وقد يخلف عليه أيضاً في الدنيا ما أخذه منه أو خيراً منه كما قال: ﴿وَبَشِّرِ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٥٥ ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتۡهُم مُّصِيبَةٞ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ١٥٦ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيۡهِمۡ صَلَوَٰتٞ مِّن رَّبِّهِمۡ وَرَحۡمَةٞۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُهۡتَدُونَ ١٥٧﴾[٣]، قال ابن عباس: «يهد قلبه لليقين[٤] فيعلم أن ما أصابه لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه»[٥].

وفي الحديث الصحيح: «عجباً للمؤمن لا يقضي الله له قضاء إلا كان

---

(١) الحديد: ٢٢.
(٢) ذكره ابن كثير في التفسير (٤/ ٣٧٥).
(٣) البقرة: ١٥٥-١٥٦.
(٤) في الأصل: اليقين. والصواب المثبت أعلاه.
(٥) رواه ابن جرير (٢٨/ ٨٠)، عزاه السيوطي أيضاً لابن المنذر (٨/ ١٨٤).

خيراً له، إن أصابته ضراء فصبر كان خيراً له، وإن أصابته سـراء فشـكر كان خيراً له وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن»[١].

وقولـه: ﴿وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ تنبيـه على أن ذلك صـادر عن علمه المتضمن لحكمته، وذلك يوجب الصبر والرضا[٢].

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب: الزهد، باب: في أحاديث متفرقة (١٨/ ٤١٧) من حديث صهيب بن سنان رضي الله عنه.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٥٢، ٤٥٣.

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾ [الطلاق: ١].

قال حسين وإبراهيم وعبدالله أبناء(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهم الله:

أمر تعالى من أراد أن يطلق طلاق السنة(٢) وذلك بأن تكون المرأة طاهرة طهراً لم يجامعها فيه، ونهى الزوج عن إخراجها من بيتها الذي كانت فيه قبل الطلاق، وأوجب عليها أن تعتد في بيتها ونهاها أن تخرج، فلا يجوز للزوج أن يخرجها ولا يجوز لها أن تخرج ولو تراضت هي والزوج على الخروج، فقال تعالى: **﴿لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ﴾** وقال تعالى: **﴿وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾** وكثير من الناس يتهاونون بهذا مع التغليظ الشديد فيه، وصار هذا عادة عند الأكثر متى أراد الطلاق خرجت المرأة من بيت الزوج واعتدت في بيت أهلها، فالواجب

---

(١) حسين بن محمد بن عبدالوهاب، تلقى العلم على والده، له مشاركة في الأصول والفروع والتفسير وغيره، وانتفع الناس بعلمه، وكان ذا همة وشجاعة وشهامة، تولى القضاء في الدرعية بعد والده، تلقى العلم عنه ابنه علي وسليمان بن عبدالله وعبدالرحمن بن حسن وغيرهم، توفي عام ١٢٢٤هـ.
وأما الشيخ إبراهيم فكان زاهداً ورعاً عابداً متواضعاً رحمه الله، تلقى العلم عن أبيه، قال ابن قاسم: كأن النور يخرج من وجهه، أدرك حظاً من العلوم وأفاد، وانتفع به فئام من العباد ولم أقف له على وفاة ولكنه كان موجوداً في مصر عام ١٢٥١هـ، وتوفي فيها رحمه الله. ا.هـ.
انظر: الدرر السنية (١٢/ ٤٥-٤٦).

(٢) طلاق السنة: هو أن يطلق الرجل زوجته في طهر لم يجامع فيه، أو يطلقها وهي حامل، وأما إذا طلقها وهي حائض أو في طهر جامعها فيه فهذا منهي عنه وهو خلاف سنة رسول الله ﷺ.
انظر: زاد المسير (٨/ ٢٨٨)، الجامع لأحكام القرآن (١٨/ ١٥٠).

عليكم تقوى الله تعالى بامتثال الأمر والانتهاء عما عنه زجر كما قال تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ وَٱسۡمَعُواْ وَأَطِيعُواْ﴾[1][2].

---

(١) التغابن: ١٦.

(٢) الدرر السنية (١١/ ٨).

قال تعالى: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾ [القلم: ٤].

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله:

«قال ابن عباس وغيره: «أي: على دين عظيم»[١]، وسمى الدين خلقاً؛ لأن الخلق هيئة مركبة من علوم صادقة وإرادة زاكية، وأعمال ظاهرة وباطنة موافقة للعدل والحكمة والمصلحة، وأقوال مطابقة للحق، تصدر تلك الأقوال والأعمال عن تلك العلوم والإرادات، فتكتسب النفس بها أخلاقاً هي أزكى الأخلاق وأشرفها وأفضلها، وهذه كانت أخلاقه ﷺ المقتبسة من القرآن، وهذا من أعظم آيات نبوته، وأدلة رسالته، ولما سئلت عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها عن خلق رسول الله ﷺ قالت: «كان خلقه القرآن، أما تقرأ: ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾»[٢]، فكان كلامه مطابقاً للقرآن تفصيلاً وتبييناً، وعلومه علوم القرآن، وإرادته وأعماله مما أوجبه وندب إليه القرآن وإعراضه وتركه لما منع منه القرآن، ورغبته فيما رغب فيه، وزهده فيما زهد فيه، وكراهته لما كرهه، ومحبته لما أحبه، وسعيه في تنفيذ أوامره، فترجمت أم المؤمنين لكمال معرفتها بالقرآن وبالرسول وحسن تعبيرها عن هذا كله بقولها: «كان خلقه القرآن»، وفهم السائل عنها هذا المعنى فاكتفى به واشتفى»[٣].

فهو ﷺ في جميع أموره على الطاعة والبر والاستقامة التي لم ينلها

---

(١) رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس (٢٩/ ١٢) وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٤٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٢) رواه الإمام مسلم مطولًا، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: صلاة الليل والوتر (٥/ ٣٦٩) من حديث سعد بن هشام بن عامر.

(٣) ما سبق كله من كلام الحافظ شمس الدين ابن القيم رحمه الله بتصرف في التبيان في أقسام القرآن (١٣٥-١٣٦).

بشـــر ســـواه لا من الأولين ولا من الآخريـــن، وقد خرَّج الإمـــام أحمد في مســـنده من حديث أبي هريرة أن رســـول الله ﷺ قال: «بعثت لأتمم صالح الأخلاق»[١][٢].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ٣٨١) رقم (٨٩٣٩)، والبخاري في الأدب المفرد، باب: حسن الخلق (١/ ٣٧١) رقم (٢٧٣)، وابن سعد في الطبقات (١/ ١٩٢)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٦١٣) وصححه ووافقه الذهبي وحسنه الألباني في السلسلة (١/ ٧٥) رقم (٤٥).

(٢) منحة القريب المجيب، ص ١٠٧-١٠٨.



قال تعالـــى: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٞ مِّنَ ٱلۡإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٖ مِّنَ ٱلۡجِنِّ فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ [الجن: ٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

المعنى -والله أعلم- على قول إن الإنس زادوا الجن باســتعاذتهم بهم رهقاً أي: إثماً وطغياناً وشــراً، فضمير الفاعل على هذا للعائذين من الإنس، وضمير المفعول للمستعاذ بهم من الجن.

وعلى القول الثاني بالعكس[١]، وزيادتهم للإنس رهقاً بإغوائهم وإضلالهم، وذلك أن الرجل من العرب كان إذا أمســى في واد قفر في بعض مسائره وخاف على نفسه قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من سفهاء قومه، يريد الجن وكبيرهم.

قال مجاهد: «كانــوا يقولون إذا هبطوا وادياً: نعــوذ بعظيم هذا الوادي، ﴿فَزَادُوهُمۡ رَهَقٗا﴾ قال: زادوا الكفار طغياناً» رواه عبد بن حميد وابن المنذر[٢]. والآثار بذلك عن السلف مشهورة[٣].

ووجه الاستدلال بالآية على الترجمة[٤]: أن الله حكى عن مؤمني الجن أنهم لما تبين لهم دين الرســول ﷺ وآمنوا به، ذكروا أشياء من الشرك كانوا يعتقدونها في الجاهلية، من جملتها الاستعاذة بغير الله.

وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز الاســتعاذة بغير الله، ولهذا نهوا عن

---

(١) انظر الأقوال في زاد المسير (٨/ ٣٧٩) والمراجع الآتية.
(٢) انظر: الدر المنثور (٨/ ٣٠١).
(٣) روي ذلك عن ابن عباس والحسن وقتادة والربيع بن أنس وعكرمة وغيرهم. انظر: الطبري (٢٩/ ٦٨-٦٩)، البغوي (٨/ ٢٣٨-٢٣٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٢٨-٤٢٩)، الدر المنثور (٨/ ٢٩٨-٣٠١).
(٤) باب: من الشرك الاستعاذة بغير الله، من كتاب التوحيد.

الرقى التي لا يُعرف معناها، خشـية أن يكون فيها شـيء من ذلك[١]. قال ملا علي القاري الحنفي[٢]: «ولا تجوز الاستعاذة بالجن، فقد ذم الله الكافرين على ذلك فقال: ﴿وَأَنَّهُۥ كَانَ رِجَالٌ مِّنَ ٱلْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ ٱلْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ إلى أن قال: وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ قَدِ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ۖ وَقَالَ أَوْلِيَآؤُهُم مِّنَ ٱلْإِنسِ رَبَّنَا ٱسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ﴾[٣] الآية، فاستمتاع الإنسي بالجني في قضاء حوائجه وامتثال أوامره أو إخباره بشيء من المغيبات، واستمتاع الجني بالإنسي تعظيمه إياه واستعاذته به وخضوعه له».

وفيه: أن كون الشيء يحصل به منفعة دنيوية من كف شر أو جلب نفع لا يدل على أنه ليس من الشرك[٤]. ذكره المصنف[٥].

---

(١) انظر باب: ما جاء في الرقى والتمائم، تيسير العزيز الحميد (١٣٢) فإنه مفيد جداً، وقد بيّن – رحمه الله– أن العلماء ذكروا شروطاً ثلاثة لجواز الرقية:
الأول: أن تكون بكلام الله أو بأسمائه وصفاته.
الثاني: أن تكون باللغة العربية وبما يفهم معناه لئلا يكون فيها شيء من الشرك.
الثالث: أن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

(٢) علي بن محمد بن سلطان الهروي المعروف بالقاري الحنفي نزيل مكة، ولد بهراة ورحل إلى مكة وأخذ عن علمائها، من مؤلفاته: مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح، وشرح النخبة، وشرح الشاطبية، وشرح الفقه الأكبر، توفي بمكة عام ١٠١٤هـ.
انظر: خلاصة الأثر (٣/ ١٨٥)، البدر الطالع (١/ ٤٤٥).

(٣) الأنعام: ١٢٨.

(٤) كتاب التوحيد: ٣١.
وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن الأقسام في مسألة الأسباب ثلاثة:
أن يكون السبب مباحاً.
أن لا يكون سبباً مع ظن بعض الناس أنه سبب، كما يظن اليهود والنصارى أن اتباع دينهم سبب لدخول الجنة، وكما يعتقد بعض الناس أن النذر سبب لحصول المطلوب ودفع المرهوب.
أن يكون سبباً ولكنه محظور، كالقتل والسرقة فإنه سبب لنيل كثير من الأغراض الفاسدة، وكذلك الشرك والسحر قد يكون سبباً لنيل المطالب والمقاصد، ومع ذلك فهذا سبب محظور ممنوع محرم.
انظر: الرد على البكري: ٨٧.

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص ١٧٦، ١٧٧.

قال تعالى: ﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسْلُكُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ رَصَدًا ﴿٢٧﴾﴾ [الجن: ٢٦-٢٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

هذه الآية كقوله في آية الكرسي: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾[1] فقد أطلع من شاء من أنبيائه ورسله على ما شاء من الغيب بوحيه إليهم، فمن ذلك ما جرى من الأمم السالفة وما جرى عليهم كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهَآ إِلَيْكَ ۖ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا﴾[2].

وكذلك ما تضمنه الكتاب والسنة من أخبار المعاد والجنة والنار ونحو ذلك أطلع الله عليه رسوله، والمؤمنون عرفوه من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وآمنوا به وأما إحاطة العلم بالمعلومات كلياتها وجزئياتها، وما كان منها وما لم يكن فذاك إلى الله وحده لا يضاف إلى غيره من خلقه، فمن ادعى ذلك لغير الله فقد أعظم الفرية على الله وعلى رسوله ﷺ[3].

(١) البقرة: ٢٥٥.
(٢) هود: ٤٩.
(٣) الدرر السنية (٩/ ٥٠).

سورة المدثر

قال تعالى: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾ [المدثر: ٤٢-٤٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

ذكر الله عن أصحاب النار أنهم قالوا لما قيل لهم: ﴿مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ﴿٤٢﴾ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿٤٣﴾ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ ﴿٤٥﴾﴾[١]. فوصفهم بالعتو عن طاعته، وعدم الانقياد لعبادته بقوله: ﴿قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ﴾ ووصفهم بعدم الإحسان والمعروف بقوله: ﴿وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ ووصفهم بالخوض في شأن دينهم، وما جاءت به رسلهم، وعدم وقوفهم مع ما أمروا به، وتعديهم إلى ما يرونه ويهوونه بقوله: ﴿وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ﴾.

وهذا حال أهل البدع والضلالات الذين لم يؤسسوا دينهم على ما جاءت به الرسل[٢].

(١) فائدة: استدل العلماء -رحمهم الله- بهذه الآية على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة حيث ذكروا في سبب دخولهم النار عدم أداء الصلاة وعدم إطعام المسكين وهن من الفروع ولولا أنها مؤثرة لما ذكرت.

انظر: روضة الناظر (١/ ٢٢٩)، الشرح الممتع لابن عثيمين (٢/ ١٠).

(٢) الدرر السنية (٣/ ٣٠٤-٣٠٥).

قــال تعالــى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا﴾ [الإنسان: ٩].

سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد -رحمهما الله- عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ﴾ الآية ما كان سبب نزولها؟ ومن نزلت فيه؟

فأجاب: قال البيضاوي في تفسيره: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الحسن والحسين رضي الله عنهما مرضا فعادهما رسول الله ﷺ في ناس فقالوا: يا أبا الحسن لو نذرت على ولديك، فنذر علي وفاطمة رضي الله عنهما وجاريتهما صوم ثلاث إن بريا، فشفيا وما معهم شيء، فاستقرض علي ثلاثة آصع من شعير فخبزته فاطمة رضي الله عنها خمسة أقراص فوضعوه ليفطروا فوقف عليهم مسكين فآثروه ولم يذوقوا شيئاً، وكذلك اليوم الثاني والثالث، وذكر القصة فنزل جبرائيل بهذه السورة وقال: خذها يا محمد، هنَّاك الله في أهل بيتك»(١).

والآية وإن نزلت بسبب من الأسباب فهي عامة لمن فعل ذلك من

---

(١) أنوار التنزيل (٢/ ٥٥٢-٥٥٣).

قال ابن حجر في الكافي الشاف (١٨٠): «رواه الثعلبي من رواية القاسم بن بهرام عن ليث بن أبي سليم عن مجاهد عن ابن عباس، ومن رواية الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿يُوفُونَ بِٱلنَّذْرِ﴾ الآية فذكر تمامه، وزاد في أثنائه أشعاراً لعلي وفاطمة، وقال الحكيم الترمذي: ومن الأحاديث المفتعلة التي تنكرها القلوب حديث رووه عن مجاهد عن ابن عباس فذكره بشعره. ثم قال: هذا حديث مسروق مفتعل. ورواه ابن الجوزي في الموضوعات وقال: هذا لا نشك في وضعه». ا.هـ.

وانظر ما ذكره القرطبي (١٩/ ١٣٠-١٣٥) حول هذا الحديث.

وقد أبان شيخ الإسلام -رحمه الله- بطلان هذا الحديث من ثلاثة عشر وجهاً في رده على ابن المطهر الرافضي في منهاج السنة (٧/ ١٧٤-١٨٧).

المؤمنين إلـــى يوم القيامـــة[١] كما قال العلمـــاء: العبرة بعمـــوم اللفظ لا بخصوص السبب[٢].

---

(١) قال القرطبي -رحمه الله-: والصحيح أنها نزلت في جميع الأبرار ومن فعل فعلًا حسناً فهي عامة (١٩/ ١٣٠).

(٢) الدرر السنية (١٠/ ١٨٨، ١٨٩).



قال تعالى: ﴿ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا ﴾ [النازعات: ٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

أهل التحقيق من المفسرين على أن المراد بهذه الآية هم: الملائكة[1]، فإسناد التدبير إليهم كإسناد النزع، والنشط[2]، والتقسيم[3]، والزجر[4] كما في قوله: ﴿ فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا ﴿٤﴾ ﴾[5]، وقوله: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا ﴿٣﴾ ﴾[6].

وليس في هذه الآيات الكريمات ما يدل على دعاء الملائكة وعبادتهم، فإنهم رسل مأمورون مدبرون، كما أن إبلاغ الرسالة من الرسول البشري لا يدل على دعائه، ولا يقتضيه فكذلك الملائكة، لأنهم رسل بالأوامر الكونية والشرعية. والقدرة والتدبير وتسخير المخلوقات كل ذلك لله وحده. وهو من أدلة توحيده وإلهيته، وصرف الوجوه إليه، والإعراض عما سواه.

---

(١) انظر: الطبري (٣٠/ ٢٠)، زاد المسير (٩/ ١٧)، البغوي (٨/ ٣٢٥).

(٢) المراد بالنزع: الملائكة حين تنزع أرواح الكافرين بشدة قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات: ١].

والمراد بالنشط: الملائكة حين تنشط أي: تقبض أرواح المؤمنين بسرعة وسهولة قال تعالى: ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات: ٢]. وفي الآيتين أقوال أخرى راجعها في زاد المسير (٩/ ١٤-١٥).

(٣) أي: الملائكة تقسم الأمور على ما أمر الله به قال تعالى: ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا﴾ [الذاريات: ٤].
انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٢).

(٤) قال تعالى: ﴿ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرٗا ﴾ [الصافات: ٢]، قال جمهور المفسرين: هي الملائكة تزجر السحاب، وهو المروي عن ابن عباس واختيار ابن جرير وغيره من الأئمة، وقيل: إنها زواجر القرآن، وكل ما ينهى ويزجر عنه، رواه ابن جرير عن قتادة.
انظر: الطبري (٢٣/ ٢٣)، زاد المسير (٧/ ٤٥).

(٥) الذاريات: ٤.

(٦) الصافات: ٢-٣.

قال تعالى في حق الملائكة: ﴿وَقَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَلَدًا ۗ سُبْحَٰنَهُۥ ۚ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾ إلى قوله: ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[1]، وقال في شأن جبريل وغيره من الملائكة: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ ۖ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ ۚ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾[2]، فتأمل ما في هذا القول من كمال العبودية، ومتابعة الأمر والبراءة من الملكة والحول والقوة، والاعتراف له تعالى بذلك، فاستدل بعموم الربوبية، ثم قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴿٦٤﴾﴾ ثناءً عليه تعالى بإثبات العلم ونفي ما يضاده أو ينافي كماله[3].

---

(١) الأنبياء: ٢٣-٢٦.

(٢) مريم: ٦٤.

(٣) تحفة الطالب والجليس، ص ٦١، ٦٢.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾ يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ﴿١٩﴾﴾ [الانفطار: ١٧-١٩].

قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله:

قوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ نكر النفسين وشيئاً وهذا من أبلغ صيغ العموم في النفي كما قال البيضاوي[1] فيعم جميع الأنفس وكل ما يقع عليه اسم شيء، ثم أكد ذلك بقوله: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾.

وقال ابن كثير: «﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾﴾ تهويل لشأن ذلك اليوم ولهذا قال: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: لا ينفع أحد أحداً ولا يدفع أحد عن أحد شيئاً ولهذا قال: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ كقوله: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِ﴾[2]، وقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ﴾[3]، وكقوله: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾[4]، قال قتادة: ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ قال: «والأمر -والله- لله اليوم ولكن لا ينازعه يومئذ أحد ولا يصنع أحد شيئاً إلا رب العالمين»[5].

---

(١) قال البيضاوي (١/ ٦٠) في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾ الآية [البقرة: ٤٨]: «وإيراد (شيئاً) منكراً مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي». ا.هـ.

(٢) الفرقان: ٢٦.

(٣) غافر: ١٦.

(٤) الفاتحة: ٣.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٨٣) فالنقل باختصار مع التصرف، والأثر عن قتادة مروي من وجهين:
الجزء الأول منه دون: «ولا يصنع أحدٌ شيئاً إلا رب العالمين». وهو ما ذكره ابن كثير وقد رواه ابن جرير (٣٠/ ٥٧).
الثاني: ما رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ٣٥٤)، وابن جرير (٣/ ٥٧)، وعبد بن حميد وابن المنذر كما في الدر المنثور (٨/ ٤٤٠) بلفظ: «ليس ثم أحد يقضي شيئاً، ولا يصنع شيئاً إلا رب العالمين».

وقال الزمخشري[١]: «﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٧ ثُمَّ مَآ أَدۡرَىٰكَ مَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ١٨﴾ يعني أن الأمر يوم الدين عظيم بحيث لا يدرك كنهه في الهول والشدة، وكيفما تصورت فهو فوق ذلك وعلى أضعافه، والتكرار لزيادة التهويل، ثم أجمل القول في وصفه فقال: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ أي: لا تستطيع دفاعاً عنها ولا نفعاً لها بوجه فلا أمر إلا لله وحده»[٢].

وفي تفسير الجلالين: «﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ من المنفعة ﴿وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ﴾ لا أمر لغيره معه، أي: لم يمكن لأحد من الخلق التوسط فيه بخلاف الدنيا»[٣].

وقول المعترض[٤]: إن البغوي قال في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ﴾ إن هذا في النفس الكافرة، وكذب في نسبة ذلك إلى البغوي فإن البغوي حكى ذلك عن مقاتل[٥] فيحتمل أن مقاتلاً خص بعض ما تناولته الآية لمعنى ما.

والظاهر أن مراده أن غير الكافر يشفع فيه الشافعون ويرى أن من أذن له في الشفاعة يملك ما أذن له فيه كما قال بعض المفسرين في قوله سبحانه:

---

(١) محمود بن عمر بن محمد بن عمر، أبو القاسم جار الله الزمخشري الخوارزمي، النحوي اللغوي المعتزلي المفسر، يلقب جار الله لأنه جاور بمكة زماناً، ولد عام ٤٦٧هـ، كان متظاهراً بالاعتزال داعياً إليه، من مصنفاته: الكشاف في التفسير وقد حشاه بالاعتزال، ومنها: الفائق في غريب الحديث، وأساس البلاغة وغير ذلك، توفي عام ٥٣٨هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ٢٧٩)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣١٤).

(٢) الكشاف (٤/ ١٩٣).

(٣) تفسير الجلالين (٥٠٤).

(٤) داود بن جرجيس، وقد صنف الشيخ -رحمه الله- كتابه هذا -تأسيس التقديس- في الرد عليه.

(٥) قال البغوي في العالم (٨/ ٣٥٨): قال مقاتل: يعني لنفس كافرة شيئاً من المنفعة.

﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَنِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴾[٢]، بناء على أن الاستثناء في الآيتين متصل[٣] وأن من أذن له في الشفاعة يصدق عليه أنه ملك الشفاعة فيمن أذن له فيه فقط والشفاعة المأذون فيها هي غير الأمر الذي اختص به سبحانه في قوله: ﴿وَٱلْأَمْرُ يَوْمَئِذٍ لِّلَّهِ﴾ والألف واللام في الأمر تفيد العموم عند الجميع كقوله: ﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ ٱلْأَمْرُ كُلُّهُۥ﴾[٤] ﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴾[٥] فهو سبحانه له الأمر والإذن فله الأمر كله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًا لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[٦] ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾[٧] ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴾[٨].

والعموم في قوله سبحانه وتعالى: ﴿ يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا ﴾ كالعموم

---

(١) مريم: ٨٧.

(٢) الزخرف: ٨٦.

(٣) راجع الكلام على آية الزخرف فيما سبق، وأما آية مريم فذهب بعض أهل العلم إلى أن الواو في ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ﴾ راجعة إلى المجرمين في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴿٨٦﴾﴾ [مريم: ٨٥-٨٦] أي: لا يستحقون أن يشفع فيهم أحد، ومن باب أولى ألاَّ يشفعوا في أحد، وعليه فالاستثناء منفصل. وذهب بعض أهل العلم إلى أن الواو في ﴿ لَّا يَمْلِكُونَ ﴾ راجعة إلى المجرمين والمتقين جميعاً، وعليه فالاستثناء متصل.
وفي إعراب جملة ﴿يَمْلِكُونَ ﴾ وجهان:
الأول: أنها حال.
الثاني: أنها مستأنفة للإخبار.
انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٣٢-٣٣)، البحر المحيط (٦/ ٢٠٤)، أضواء البيان (٤/ ٣٩٤).

(٤) هود: ١٢٣.

(٥) البقرة: ٢١٠.

(٦) الزمر: ٤٤.

(٧) هود: ١٠٥.

(٨) النبأ: ٣٨.

في نظائرها من الآيات كقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾[1] وقوله: ﴿لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔا﴾[2] وما رأينا أحداً من المفسرين قال في هذه الآية بالخصوص بل قرروا عمومها[3] على مقتضاه ولم يقل أحد منهم في شيء منها أنه يختص بالكفار سوى ما ذكره البغوي عن مقاتل في قوله: ﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗا﴾، وليس هو بصواب وهو مخالف لما عليه المفسرون وأهل العربية والأصوليون[4] والفقهاء في قولهم بعموم النكرة في سياق النفي فمن له نظر في كتب الجميع وجد ذلك صريحاً.

قال في شرح مختصر التحرير: «ومن صيغ العموم نكرة في نفي صرح به أهل العربية»[5].

وكذا قال العراقي في شرح جمع الجوامع أن النكرة في سياق النفي تعم[6]،

(١) البقرة: ٤٨.

(٢) لقمان: ٣٣.

(٣) انظر مع ما سبق من المراجع: تفسير القرطبي (١٩ / ٢٤٩)، روح المعاني (١٦ / ١١٧ – ١١٨).

(٤) في الأصل: الأصوليين. والصواب المثبت أعلاه.

(٥) شرح الكوكب المنير المسمى «مختصر التحرير» (٣ / ١٣٦).

(٦) لم أقف على شرح العراقي هذا مطبوعاً، وقد ذكر لي أنه طبع قديماً بمصر. وانظر هذا الموضع في مخطوطة شرح العراقي ورقة / ١١٥.
وانظر في المسألة أيضا: الأحكام للآمدي (٢/ ١٩٧)، جمع الجوامع مع حاشية العطار (٢/ ٩ – ١٠) المحصول (ج١ القسم الثاني / ٥١٨)، المسودة / ١٠١.
والمقصود بالعراقي: أحمد بن عبدالرحيم بن الحسين بن عبد الرحمن العراقي الشافعي، ولي الدين أبو زرعة، ولد عام ٧٦٢ هـ، اعتنى به والده الحافظ عبدالرحيم فأقبل على العلم وحضر مجالس الشيوخ وصنف التصانيف البديعة منها: شرح جمع الجوامع، وتمم شرح والده على ترتيب المسانيد وتقريب الأسانيد توفي عام ٨٢٦هـ.
انظر: لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ (٥ / ٢٨٤)، البدر الطالع (١ / ٧٢).
وقد وقع تأريخ ولادته في البدر الطالع عام ٧٩٢ هـ والصواب ما أثبته أعلاه والله أعلم.

ولم يذكر خلافاً، وهذا يفهمه كل أحد من مثل قوله تعالى: ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾[١] ﴿وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا﴾[٢] ﴿لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ﴾[٣] ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَخْفَىٰ عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾[٤] ﴿فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾[٥] فمن سمع هذه الآيات ونحوها لم يشك في عمومها، كيف وفي قوله سبحانه وتعالى ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ زيادة تأكيد للنفي لأنه نكر النفسين وشيئاً فهو كما قال البيضاوي في قوله ﴿لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٦] حيث قال: «وإيراده شيئاً منكراً مع تنكير النفسين للتعميم والإقناط الكلي»[٧].

ولا ريب أن الشفاعة الحاصلة بإذنه سبحانه وتعالى ليست داخلة تحت النفي حتى يقال: إن هذا مخصوص بالكافرة، وإنما المنفي نفع أحد أحداً بشفاعة أو غيرها بدون إذنه تعالى كما قال قتادة: «وليس أحد يصنع يومئذ شيئاً إلا رب العالمين»[٨].

ومما يوضح خطأ من خص الآية بالكافرة ما ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾[٩] قال رسول الله ﷺ: «يا معشر قريش أو كلمة نحوها اشتروا أنفسكم لا أغني

(١) النساء: ١٢٤. وفي الأصل: تظلمون. والصواب المثبت أعلاه.
(٢) النساء: ٤٩.
(٣) الحاقة: ١٨.
(٤) آل عمران: ٥.
(٥) طه: ١١٢.
(٦) البقرة: ٤٨.
(٧) أنوار التنزيل (١ / ٦٠).
(٨) سبق قريباً.
(٩) الشعراء: ٢١٤.

عنكم من الله شيئاً... إلى أن قال: يا فاطمة بنت محمد سليني من مالي ما شئت لا أغني عنك من الله شيئاً»[١].

وفي رواية الترمذي لحديث أبي هريرة: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أملك لكم ضراً ولا نفعاً... إلى أن قال: يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني لا أملك لك من الله شيئاً إن لك رحما سأبلها ببَلالها»[٢].

وفي صحيح مسلم من طريق آخر عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ قريشاً فعم وخص فقال: «يا معشر قريش أنقذوا أنفسكم من النار، يا معشر بني هاشم أنقذوا أنفسكم من النار، يا بني عبد المطلب أنقذوا أنفسكم من النار، يا فاطمة بنت محمد أنقذي نفسك من النار فإني والله لا أملك لكم من الله شيئاً إلا أن لكم رحما سأَبُلُّها ببلالها»[٣].

وفي صحيح مسلم عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ قام رسول الله ﷺ فقال: «يا فاطمة بنت محمد، يا صفية بنت عبد المطلب، يا بني عبد المطلب، إني لا أملك لكم من الله شيئاً سلوني من مالي ما شئتم»[٤].

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ (٨/ ٥٠١) «فتح»، مسلم، كتاب: الإيمان، باب: من مات كافراً في النار لا تناله الشفاعة (٣/ ٤٤٠).

(٢) رواه الترمذي، كتاب: التفسير، سورة الشعراء (٨/ ٣٣)، وقال: حديث حسن صحيح غريب. وصححه الألباني في صحيح الترمذي (٣/ ٨٦). ومعنى قوله: «سأبلها بِبَلالها» قال النووي -رحمه الله-: ضبطناه بفتح الباء الثانية وكسرها من بلّه يَبُلُّه، والبلال بالماء، والمعنى: سأصلها ا. هـ. مختصراً من شرح مسلم (٣/ ٤٤٠).

(٣) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: من مات كافرا في النار لا تناله الشفاعة (٣/ ٤٣٩).

(٤) رواه مسلم الموضع السابق.

وفي الصحيحين عن أبـي هريرة رضي الله عنه قال: قام فينا رسـول الله ﷺ يوماً فذكر الغلـول[١] فعظمه وعظم أمره ثـم قال: «لا ألفيـن أحدكم يجيء يوم القيامة على رقبته بعير له رُغَاء فيقول: يا رسـول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك من الله شـيئاً قد أبلغتك، لا ألفين أحدكم يجيء يـوم القيامة على رقبته فرس لها حَمحَمَة فيقول: يا رسـول الله أغثني. فأقول: لا أملك لك من الله شيئاً قد بلغتك»[٢] الحديث.

فأخبر الصـادق المصدوق أنه لا يملك لابنته سـيدة الأمة وعمه وعمته والمهاجرين والأنصـار من الله شـيئاً ولا يغني عنهم من الله شـيئاً، فهذه الأحاديث ونحوها شـاهدة للعموم في قوله سـبحانه وتعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِّنَفْسٍ شَيْـًٔا﴾ مع أن الآية صريحة في ذلك فهذه الأحاديث تزيد الواضح وضوحاً -ولله الحمد- مع أن قـول مقاتل ليس فيه حجة لهذا المبطل؛ لأننا نقطع أن مقاتلاً لم يرد أن أحداً يفعل في ذلك اليوم شـيئاً من دون الله أو أن أحداً يشفع عنده بغير إذن وإنما أراد نفي الشفاعة في الكافر[٣].

---

(١) الغلول: الأخذ من مال الغنيمة قبل القسمة.
انظر: القاموس الفقهي (٢٧٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: الغلول (٦/ ١٨٥) «فتح» ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: غلظ تحريم الغلول (١٢/ ٥٣١).
والرغاء: صوت البعير، انظر: النهاية (رغى) (٢/ ٢٤٠).
والحمحمة: صوت الفرس دون الصهيل. انظر: النهاية أيضاً (حمحم) (١/ ٤٣٦).

(٣) تأسيس التقديس، ص ٣٠-٣٤.



قال تعالى: ﴿وَٱلْعَصْرِ ﴿١﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ ﴿٢﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْحَقِّ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ ﴿٣﴾﴾ [سورة العصر].

سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد -رحمهما الله- عن تفسير سورة العصر.

فأجاب: الكلام عليها طويل لكن نذكر لك ما ذكر أهل العلم على سبيل الاختصار، ذكروا أن العصر هو: الدهر الذي خلقه الله سبحانه[1]، والله سبحانه وتعالى له أن يقسم بما شاء من خلقه؛ وأما المخلوق فلا يجوز له أن يقسم إلا بالله تبارك وتعالى كما قال النبي ﷺ: «من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت»[2].

وجواب القسم: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَفِى خُسْرٍ﴾ والإنسان: اسم جنس وهو جميع بني آدم ثم استثنى فقال: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وأيقنوا بقلوبهم وصدقوا أن ما أخبر الله به في كتابه وعلى ألسنة رسله فهو الحق الذي لا مرية فيه ولا شك فيه.

﴿وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ﴾ أي: علموا بما شرعه في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ بجوارحهم، ولابد في العمل الصالح من شرطين:

الأول: أن يكون خالصاً لوجه الله.

---

(١) قال ابن الجوزي (٩/ ٢٢٤): والعصر فيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه الدهر. قاله ابن عباس وزيد بن أسلم والفراء وابن قتيبة.
الثاني: أنه العشي، وهو: ما بين زوال الشمس وغروبها. قاله الحسن وقتادة.
الثالث: صلاة العصر. قاله مقاتل.
وقد رجح ابن جرير القول الأول (٣٠/ ١٨٧)، وكذا ابن كثير (٤/ ٥٤٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب: الأيمان، باب: لا تحلفوا بآبائكم (١١/ ٥٣٠) «فتح» ومسلم، كتاب: الأيمان، باب: النهي عن الحلف بغير الله (١١/ ٢٧٢) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

الثاني: أن يكون على شريعة رسول الله ﷺ كما قال تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾[1]، فقوله:

﴿عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ هو المشروع، وقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ هو الإخلاص الذي لوجه الله.

فهذه مرتبتان، الأولى: الإيمان بالله ورسوله، الثانية: العمل الصالح، فهذا هو العلم بما أنزل الله والعمل به، فإذا علم الإنسان ما أنزل الله فعليه أن يعمل به.

وإذا عمل العمل الصالح فعليه مرتبة ثالثة: وهي التواصي بالحق وهو: أن يوصي غيره باتباع الحق ويعلم الجهال مما علمه الله بخلاف من قال الله فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَيَشْتَرُونَ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا﴾[2].

فإذا فعل المؤمن ما أمره الله به من التواصي بالحق، وهو: الأمر بالمعروف الذي أمر الله به والنهي عن المنكر الذي نهى الله عنه فعليه مرتبة رابعة وهي: الصبر على أذى الخلق وإساءتهم إليه في ذات الله تعالى، كما صبر أنبياء الله وأهل العلم من خلقه على ذلك.

فهذه أربع مراتب إذا عمل بها الإنسان صار من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين، نسأل الله أن يرزقنا وإخواننا فهمها والعمل بها، فذكرهن الله في هذه السورة القصيرة الألفاظ الطويلة المعاني، كما قال الإمام الشافعي رحمه الله: «لو عمل الناس بهذه السورة لكفتهم»[3] وهو كما قال رحمه الله تعالى[4].

---

(١) الكهف: ١١٠.

(٢) البقرة: ١٧٤.

(٣) ذكره الحافظ ابن كثير (٤ / ٥٤٨) بلفظ: لو تدبر الناس هذه السورة لوسعتهم.

(٤) الدرر السنية (١٠/ ١٩٥).

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله:

إن الله افتتحها بالإقسام بالعصر، الذي هو زمن تحصيل الأرباح للمؤمنين، وزمن الشقاء والخسران للمعرضين الضالين، وطلب العلم ومعرفة ما قصد به العبد من الخطاب الشرعي أفضل الأرباح وعنوان الفلاح، والإعراض عن ذلك علامة الإفلاس والإبلاس، فلا ينبغي للعاقل العارف أن يضيع أوقات عمره وساعات دهره إلا في طلب العلم النافع والميراث المحمود، كما قيل في المعنى شعراً:

أليس من الخسران أن اللياليا　　　تمر بلا نفع وتحسب من عمري[١]

وفي قوله: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ﴾ تنبيه على أن الجنس كله كذلك إلا من استثنى، وهذا يوجب الهرب والفرار إلى الله بمعرفته وتوحيده والإنابة إليه، ومتى يحصل هذا للجاهل؟ وفي قوله: ﴿لَفِى خُسْرٍ﴾ تنبيه على عدم اختصاص خسره بنوع دون نوع، بل هو قد توجه إليه الخسران بحذافيره من جميع جهاته إلا من استثنى، وهذا لا يدخل في المستثنى من زهد في العلم وآثر وطنه[٢] وأهله على الميراث النبوي، وتجرع كأس الجهل طول حياته، حتى آل من أمره أنه يستدل على ترك الطلب بالدليل على وجوب الطلب.

---

(١) عزاه ياقوت في معجم الأدباء (١٠/ ٨٨)، وابن خلكان (٢/ ١٧٣) إلى الوزير أبي القاسم المغربي، وعزاه ابن العربي في قانون التأويل / ٤٤٣ لأبي الحسن التهامي، وليس في ديوانه – كما أفاد المحقق –، وعزاه في الفوات (٢ / ١٩) إلى رافع بن الحسين الأقطع.

(٢) وذلك أن رجلا كتب لأخيه: يكفيك لطلب العلم سورة العصر، وذكر قول الشافعي – رحمه الله – فيها، فوقعت في يد الشيخ عبد اللطيف –رحمه الله– فكتب في بيان الصواب في ذلك وأنه لابد من الجد في طلب العلم والرحلة فيه حتى يتخلص الإنسان من الجهل الذي هو أعظم أسباب الخسران. والله أعلم. انظر: الدرر السنية (٤/ ٣٤٠ – ٣٤١).

وفي قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ما يوجب الجد والاجتهاد في معرفة الإيمان والتزامه؛ لينجو من الخسار ويلتحق بالأبرار والأخيار.

وقد اختلف الناس في الإيمان ومسماه[١]، ولا سبيل إلى معرفة مراد الله به وما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله في ذلك إلا بطلب العلم ومعرفة ما عليه سلف الأمة وأئمتها، ثم له شعب وحقائق وأصول وفروع لا تعرف إلا بطلب العلم وبذل الجهد والتشمير عن ساق الاجتهاد، ومن آثر الوطن والرفاهية فاته الكثير من ذلك أو أكثر، بل ربما فاته كله -نعوذ بالله- ولذلك تجد من يرغب عن طلب العلم عمدته[٢] في هذه المباحث تقليد المشايخ والآباء، وما كان عليه أهل محلته، وهذا لا يمكن في باب الإيمان ومعرفته.

وفي قوله: ﴿وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ حث وحض على العلم وطلبه، لأن العامل بغير علم وبصيرة ليس من عمله على طائل، بل ربما جاءه الهلاك والآفة من جهة عمله، كالحاطب في ظلماء، والسالك في عمياء، ولا سبيل إلى العمل إلا بالعلم، ومعرفة صلاح العمل وفساده لابد منه، ولا يدرك إلا بنور العلم وبصريته.

وقوله: ﴿وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ﴾ محتاج مريده وفاعله إلى العلم حاجة وضرورة ظاهرة، لأن الحكم على الشيء بكونه حقاً يتوقف على الدليل والبرهان، وإذا كانت «ال» في (الحق) للاستغراق، فالأمر أهم وأجل وأشمل.

---

(١) انظر تفسير قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡغَيۡبِ﴾ [البقرة: ٣].

(٢) في الأصل: وعمدته، وقد حذفت الواو ليستقيم السياق. والله أعلم.

وأما الصبر فمعرفة حده وتعريفه[١]، ومعرفة حكمه وجوباً واستحباباً[٢]، ومعرفة أنواعه وأقسـامه[٣]، ومحله من الإيمان من أهم ما يجب على العبد ويلزمه[٤].

---

(١) الصبر: المنع والحبس.
فهو: منع النفس عن الجزع، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود وشق الجيوب ونحو ذلك. وأما حقيقته: فهو خلق فاضل من أخلاق النفس يمتنع به من فعل ما لا يحسن ولا يجمل، وهو قوة من قوى النفس التي بها صلاح شأنها وقوام أمرها.
انظر: عدة الصابرين / ٢٧ -٢٩.

(٢) ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أن الصبر تجري عليه الأحكام التكليفية الخمسة:
فالصبر الواجب ثلاثة أنواع: الصبر عن المحرمات، والصبر على أداء الواجبات، والصبر على المصائب التي لا صنع للعبد فيها كالأمراض ونحوها.
والصبر المندوب: فهو الصبر عن المكروهات، والصبر على المستحبات، والصبر عن مقابلة الجاني بمثل فعله. وأما المحظور فأنواع مثل: الصبر عن الطعام حتى يموت، وكذا الصبر عن الميتة ونحوها عند المخمصة إذا خشي الهلاك. وأما المكروه: فمثل أن يصبر عن جماع زوجته إذا احتاجت إلى ذلك ولم يتضرر به، وصبره عن فعل المستحب ونحو ذلك. وأما المباح: فهو الصبر عن كل فعل مستوي الطرفين خير بين فعله وتركه والصبر عليه. وبالجملة: فالصبر على الواجب واجب، وعن الواجب حرام، والصبر عن الحرام واجب، وعليه حرام، والصبر على المستحب مستحب، وعنه مكروه، والصبر عن المكروه مستحب، وعليه مكروه، والصبر عن المباح مباح، والله أعلم.
انظر: عدة الصابرين (٥٠ - ٥٢).

(٣) ينقسم الصبر إلى ثلاثة أقسام:
الأول: صبر على طاعة الله.
الثاني: صبر عن معصية الله.
الثالث: صبر على أقدار الله المؤلمة.
وقد قسمه الإمام ابن القيم باعتبار محله إلى: بدني ونفساني، اختياري واضطراري في القسمين. وقسمه أيضاً بحسب قوته وضعفه ومقاومته للهوى إلى ثلاثة أقسام: أن يغلب الهوى، أو يغلبه الهوى، أو تكون الحرب سجالاً.
انظر: عدة الصابرين (٣٨ - ٤٥).

(٤) قال ابن القيم: الإيمان نصفان: نصف صبر ونصف شكر. ا.هـ. عدة الصابرين (١٤٠) ثم ساق -رحمه الله - أقوال السلف في ذلك.

وما أحسن ما قيل:

إن العــلا حدثتنــي وهــي صادقة فيما تحــدث أن العز فــي النقل[١]

فظهــر أن معنى قول الشــافعي «كفتهم»[٢] في طلبه لا فــي تركه، وقال الإمام أحمــد ﷺ: الناس إلى العلم أحوج منهم إلى الطعام والشــراب[٣]، لأن الرجل يحتاج إلى الطعام والشــراب في اليوم مــرة أو مرتين، وحاجته إلى العلم عدد أنفاسه، وروينا عن الشافعي ﷺ أنه قال: «طلب العلم أفضل من الصلاة النافلة»[٤]، ونص على ذلك أبو حنيفة رحمه الله[٥]، ومن فارق الدليل ضل الســبيل، ولا دليل إلى الله والجنة سوى الكتاب والسنة، وكل دليل لم يصحبه دليل القرآن والسنة فهو من طريق الجحيم والشيطان، فالعلم ما قام عليه الدليل، والنافع منه ما جاء به الرسول[٦].

---

(١) البيت لأبي إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي، المتوفى عام ٥١٥ هـ. انظر: ديوانه / ٣٠٦.

(٢) في قوله: «لو عمل الناس بهذه السورة لكفتهم» انظر ابن كثير (٤ / ٥٤٧).

(٣) انظر حاشية الروض المربع لابن قاسم (٢ / ١٧٩).

(٤) رواه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وفضله (١/ ٢٥).

(٥) انظر ما ذكره الحافظ أبو عمر بن عبد البر في باب: تفضيل العلم على العبادة، من كتابه جامع بيان العلم (١/ ٢١ – ٢٧).

(٦) الدرر السنية (٤/ ٣٤١ - ٣٤٤).

سورة الكوثر

قال تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ ۝٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ ۝٣﴾ [سورة الكوثر].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنۡحَرۡ﴾ قال شيخ الإسلام: «أمره الله أن يجمع بين هاتين العبادتين وهما: الصلاة والنسك الدالتان على القرب والتواضع والافتقار وحسن الظن وقوة اليقين وطمأنينة القلب إلى الله وإلى عدته، عكس حال أهل الكبر والنفرة وأهل الغنى عن الله الذين لا حاجة لهم في صلاتهم إلى ربهم يسألونه إياها، والذين لا ينحرون له خوفاً من الفقر، ولهذا جمع بينهما في قوله: ﴿قُلۡ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي﴾[1] الآية.

والنسك: الذبيحة لله تعالى ابتغاء وجهه، فإنها أجل ما يتقرب به إلى الله، فإنه أتى فيهما بالفاء الدالة على السبب ؛ لأن فعل ذلك سبب للقيام بشكر ما أعطاه الله من الكوثر[2]، وأجل العبادات البدنية الصلاة، وأجل العبادات المالية النحر، وما يجتمع للعبد في الصلاة لا يجتمع له في غيرها، كما عرفه أرباب القلوب الحية، وما يجتمع له في النحر إذا قارنه الإيمان والإخلاص من قوة اليقين وحسن الظن أمر عجيب وكان ﷺ كثير الصلاة، كثير النحر»[3].

وقال غيره: «أي: فاعبد ربك الذي أعزك بإعطائه، وشرفك وصانك من

---

(١) الأنعام: ١٦٢.

(٢) اختلفت عبارات المفسرين في المراد بالكوثر على أقوال منها:
١- أنه نهر في الجنة.
٢- أنه حوض النبي ﷺ الذي يرده الناس.
٣- أنه الخير الكثير الذي أعطي نبينا ﷺ.
انظر: زاد المسير (٩/ ٢٤٧ - ٢٤٩)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٥٧ - ٥٥٨).

(٣) الفتاوى (١٦/ ٥٣١ - ٥٣٢) باختصار.

منن الخلق مراغماً لقومك الذين يعبدون غير الله، وانحر بوجهه وباسمه إذا نحرت مخالفاً لهم في النحر للأوثان»[١]. انتهى.

وهذا هو الصحيح في تفسيرها. وأما ما رواه الحاكم عن علي بن أبي طالب قال: لما نزلت هذه السورة على النبي ﷺ ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ۝١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ۝٢﴾ قال رسول الله ﷺ لجبريل: «ما هذه النحيرة التي أمرني بها ربي ؟ قال: إنها ليست بنحيرة، ولكن يأمرك إذا أحرمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت، وإذا ركعت وإذا رفعت رأسك من الركوع»[٢] الحديث.

فهو حديث منكر جداً وفي إسناده إسرائيل بن حاتم[٣]. ثم قال ابن حبان: «يروي عن مقاتل الموضوعات وغيره من الثقات الأوابد والطامات، يروي عن مقاتل ابن حيان ما وضعه عليه عمر بن صبح[٤]، كان[٥] يسرقها

---

(١) الكشاف (٤ / ٢٣٧).

(٢) رواه الحاكم (٢ / ٥٣٧ – ٥٣٨)، وقال الذهبي: وقلت: إسرائيل صاحب عجائب لا يعتمد عليه، وأصبغ شيعي متروك عند النسائي. ا. هـ.
وروواه ابن أبي حاتم، انظر تفسير ابن كثير (٤ / ٥٥٨).
والحديث ذكره ابن الجوزي في الموضوعات (٢ / ٩٩).
وقال ابن كثير (٤ / ٥٥٨): منكر جداً. ا. هـ.
وقال الحافظ في التلخيص ١ / ٢٧٣: إسناده ضعيف جداً. ا. هـ.
وقال الشوكاني في الفوائد المجموعة / ٤٦: موضوع لا يساوي شيئاً. ا. هـ.

(٣) إسرائيل بن حاتم المروزي، أبو عبدالله، يروي عن مقاتل بن حيان، وروى عنه وهب بن إبراهيم القاضي.
انظر: ميزان الاعتدال (١ / ٢٠٨)، لسان الميزان (١ / ٣٨٥).

(٤) عمر بن صبح التميمي العدوي أبو نعيم الخراساني، روى عن قتادة ومقاتل بن حيان وغيرهما وعنه مخلد بن زيد ومحمد بن حمير وغيرهما، قال إسحاق بن راهويه: أخرجت خراسان ثلاثة ليس لهم نظير في الدنيا في الكذب والبدعة: جهم بن صفوان، وعمر بن الصبح، ومقاتل بن سليمان. ا. هـ. كذبه غير واحد من الأئمة وتركوه.
انظر: الجرح والتعديل (٦ / ١١٦)، تهذيب التهذيب (٧ / ٤٦٣).

(٥) في المجروحين: كأنه.

منه. وروى عن مقاتل عن الأصبغ بن نباته[١] عــن علي لما نزلت: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ الحديث»[٢][٣].

---

(١) أصبغ بن نباتة التميمي ثم الحنظلي أبو القاسم الكوفي، روى عن عمر وعلي وغيرهما وعنه سعد بن طريف والأجلح وغيرهما، متروك، متهم بالكذب، قال العقيلي: كان يقول بالرجعة. انظر: الضعفاء الكبير (١ / ١٢٩)، تهذيب التهذيب (١ / ٣٦٢).

(٢) المجروحين (١ / ١٧٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ١٥٥، ١٥٦.

سورة الكافرون

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ ﴿٦﴾﴾ [سورة الكافرون].

قال الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله:

أمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار: دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه، وديني الذي أنا عليه أنتم برآء منه. والمراد: التصريح لهم بأنهم على الكفر، وأنه بريء منهم ومن دينهم.

فمن كان متبعاً للنبي ﷺ فعليه أن يقول ذلك، ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك؛ ولهذا لما عمل الصحابة بذلك وآذاهم المشركون أمرهم النبي ﷺ بالهجرة إلى الحبشة، ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين، لما أمرهم بذلك إلى بلد الغربة.

وفي السيرة: أن خالد بن الوليد لما وصل إلى العِرْض[1] في مسيرة إلى أهل اليمامة[2]، لما ارتدوا قدم مئتي فارس وقال: من أصبتم من الناس فخذوه. فأخذوا مُجّاعَة[3] في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه، فلما وصل إلى خالد قال له: يا خالد، لقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ في حياته فبايعته على

---

(١) العرض: بكسر أوله وسكون ثانيه، قال الأزهري: العرض وادي اليمامة، ويقال لكل واد فيه قرى ومياه عرض، والعرض كله لبني حنيفة إلا شيئاً منه لبني الأعرج من بني تميم.
انظر: معجم البلدان (٤ / ١٠٢).

(٢) اليمامة: منقول من اسم طائر يقال له اليمام واحدته يمامة، واليمامة في وسط الجزيرة، وأهلها هم بنو حنيفة.

(٣) مجاعة بن مرارة بن سلمى وقيل: سليم الحنفي اليمامي، وفد هو وأبوه على النبي ﷺ مسلمين، وأقطعه النبي ﷺ أرضاً وكتب له كتاباً، روى عنه ابنه سراج، ونقل الحافظ في الإصابة أنه عاش إلى خلافة معاوية رضي الله عنه. انظر: أسد الغابة (٤ / ٢٨٥)، الإصابة (٦ / ٤٢).

الإســلام، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس، فإن يك كذاباً[١] قد خرج فينا فإن الله يقول: ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾[٢]. فقـال: يا مُجاعـة، تركـت اليـوم ما كنـــت عليه أمس، وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه –وأنت أعز أهل اليمامة، وقد بلغك مســيري– إقراراً له ورضاء بما جــاء به، فهلا أبديت عذراً وتكلمت فيمن تكلم ! فقد تكلم ثمامة[٣] فرد وأنكر وتكلم اليشكري[٤].

فإن قلت: أخاف قومي، فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي رسولاً، فقال: إن رأيت يا بن المغيرة أن تعفو عن هذا كله !! فقال:قد عفوت عن دمك، ولكن في نفسي حرج من تركك[٥]. انتهى[٦].

---

(١) يعني مسيلمة الكذاب.

(٢) الإسراء: ١٥.

(٣) ثمامة بن أثال الصحابي الشهير.

(٤) لعله: سويد بن أبي كاهل واسمه: عطيف بن حارثة بن حسل بن مالك اليشكري، يكنى أبا سعد، شاعر مخضرم أدرك الجاهلية والإسلام، عمر إلى زمن الحجاج.
انظر: الإصابة (٣/ ١٧٢)، الأعلام (٣/ ١٤٦).

(٥) انظر القصة في مختصر السيرة للشيخ محمد عبدالوهاب (٢٨١).
وانظر: طرفاً من أخبار مجاعة في أيام الردة في الكامل (٢/ ٢٢٠ – ٢٢٣).

(٦) سبل النجاة والفكاك، ص ٩٣: ٩٥.



قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾ [سورة الإخلاص].

قال الشيخ حمد بن ناصر رحمه الله:

فيها توحيد الاعتقاد والمعرفة(١)، وما يجب إثباته للرب تعالى من الأحدية المنافية لمطلق الشركة، والصمدية(٢) المثبتة له جميع صفات الكمال الذي لا يلحقه نقص بوجه من الوجوه، ونفي الولد والوالد الذي هو من لوازم الصمدية، ونفي الكفؤ المتضمن لنفي التشبيه والتمثيل.

فتضمنت هذه السورة إثبات كل كمال له ونفي كل نقص عنه ونفي الشبيه والمثيل ونفي مطلق الشريك عنه.

وهذه الأصول مجامع التوحيد العلمي الاعتقادي الذي يباين صاحبه فرق الضلال والشرك، ولذلك كانت تعدل ثلث القرآن(٣)، بيان ذلك أن

---

(١) ينقسم التوحيد إلى قسمين:
الأول: توحيد المعرفة والعلم، وهو ما تضمنته سورة الصمد.
الثاني: توحيد القصد والطلب، وهو توحيد العبادة، وهو ما تضمنته سورة الكافرون
انظر: الفتاوى(٣/ ٣)، جواب أهل العلم والإيمان (٧٨).

(٢) يأتي معنى «الصمد» بالتفصيل قريباً إن شاء الله.

(٣) ثبت ذلك في الصحيحين وغيرهما، انظر: البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٩ / ٥٨) «فتح» ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ (٦/ ٤١٩)، وانظر تفسير ابن كثير (٤ / ٥٦٦ - ٥٦٨) فقد جمع طرفا صالحا من هذه الأحاديث.
ولشيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - كتاب اسمه: جواب أهل العلم و الإيمان بتحقيق ما أخبر به رسول الرحمن من أن ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ تعدل ثلث القرآن. وكان قد صنفه جواباً على سؤال ورد إليه حول هذا الموضوع. وهو مطبوع عدة طبعات مستقلة، وفي مجموع الفتاوى (١٧ / ٥ - ٢٠٦).

القرآن مداره على الخبر والإنشاء، والخبر نوعان: خبر عن الخالق وأسمائه وصفاته وأحكامه، وخبر عن خلقه، فأخلصت سورة الإخلاص للخبر عنه سبحانه وعن أسمائه وصفاته؛ فعدلت ثلث القرآن(١)، كما أخلصت سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لبيان الشرك العملي القصدي(٢)(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

في ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: توحيد العلم والعمل(٤).

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾: يعني هو الله الواحد الأحد الذي لا نظير له، ولا وزير ولا ند، بل ولا شبيه له ولا عديل، ولا يطلق هذا اللفظ في الإثبات إلا على الله عز وجل؛ لأنه الكامل في جميع صفاته وأفعاله.

وقوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ قال عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «يعني: الذي يصمد الخلائق إليه في حوائجهم، ومسائلهم»(٥).

قلت: وفي توحيد الربوبية، وتوحيد الإلهية.

---

(١) انظر أقوال العلماء في كونها ثلث القرآن في:
جواب أهل العلم والإيمان (٨٨) وما بعدها، فتح الباري (٩ / ٦١).

(٢) كلام للحافظ شمس الدين ابن قيم الجوزية في زاد المعاد (١ / ٣١٦) نقله الحافظ في الفتح (٩ / ٦١) مبهماً.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل (الجزء الثاني، القسم الثالث، ص ٦٤).

(٤) المعنى - والله أعلم - أنها دلت على توحيد العمل من باب اللزوم، ودلت على توحيد العلم من باب النص، كما أن سورة الكافرون دلت على توحيد العمل نصاً وتوحيد العلم لزوماً.
انظر: جواب أهل العلم والإيمان (٧٨).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٧٠).
وانظر الأقوال في معنى ﴿ٱلصَّمَدُ﴾ في الفتاوى (١٧/ ٢١٤)، بدائع الفوائد (١/ ١٦٠).

وقال الأعمش عن شــقيق[١] أبي وائل[٢]: «الصمد: السيد الذي قد انتهى سؤدده»[٣].

وقال الحسن أيضاً: «الصمد: الحي القيوم الذي لا زوال له»[٤].

وقال الربيع بن أنس: «هو الذي لم يلد ولــم يولد «[٥] كأنه جعل ما بعده تفسيراً له. وقال سفيان عن منصور[٦] عن مجــاهد: «الصـمد: المصمـت لا جوف له»[٧].

قال أبو القاســم الطبراني في كتاب الســنة: «وكل هــذه صحيحة وهي صفات ربنا عز وجل»[٨].

---

(١) في الأصل: عن شقيق عن أبي وائل، والصواب المثبت بحذف «عن» لأن شقيقاً هو أبو وائل.

(٢) أبو وائل: شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، ثقة، مخضرم، روى عن عمر وعثمان وعلي وجماعة، وعنه الأعمش ومنصور وغيرهم، قال في التذكرة: توفي سنة اثنتين وثمانين وقال في التقريب: مات في خلافة عمر بن عبد العزيز.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٦٠)، التقريب (٢٦٨).

(٣) رواه ابن جرير (٣٠ / ٢٢٣) ورواه عن ابن عباس أيضاً.

(٤) انظر تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٠).

(٥) رواه ابن جرير (٣٠ / ٢٢٣) عن الربيع عن أبي العالية. وهو عند ابن كثير (٤ / ٥٧٠) عن الربيع.

(٦) منصور بن المعتمر بن عبد الله السلمي، أبو عتاب، ثقة ثبت، روى عن أبي وائل ومجاهد وجماعة، وعنه شعبة والسفيانان وغيرهم، من الأعلام الزهاد، كان قد عمش من كثرة البكاء، توفي عام ١٣٢ هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١ / ١٤٢)، تقريب التهذيب (٥٤٧).

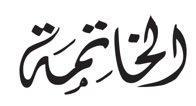
(٧) رواه ابن جرير (٣٠ / ٢٢٢)، وروى مثله عن ابن عباس وسعيد بن جبير والضحاك وغيرهم.

(٨) انظر ابن كثير (٤ / ٥٧٠)، وكتاب السنة للطبراني ذكره جمع من العلماء.
انظر: الفتاوى (١٧ / ٧٥١)، السير (١٦ / ١٢٨).

وقال مجاهد ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾: «يعني لا صاحبة له»[1] «وهذا كما قال تعالـى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾[2] أي هـو مالـك كل شـيء، وخالقه فكيف يكون له من خلقه نظير يساميه، أو قريب يدانيه تعالى وتقدس وتنزه»[3].

قلت: فتدبر هذه السـورة وما فيها مـن توحيد الإلهيـة وتنزيه الله عن الشريك والشـبيه والنظير، وما فيها من مجامع صفات كماله ونعوت جلاله، ومن له بعض تصور يدري هذا بتوفيق اللـه ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[4][5].

(١) رواه ابن جرير (٣٠/ ٢٢٤).
فائدة: قال ابن جرير: قرأ عامة قراء البصرة (كُفُواً) بضم الكاف والفاء، وقرأه بعض قراء الكوفة بتسكين الفاء وهمزها (كُفؤاً). ا. هـ.
وانظر السبعة ٧٠١، ٧٠٢.
(٢) الأنعام: ١٠١.
(٣) تفسير القرآن العظيم (٤ / ٥٧٠).
(٤) النور: ٤٠ .
(٥) الدرر السنية (٩/ ٦٩).


الخاتمة

الحمــد اللــه رب العالميــن، والصلاة والســلام على أشــرف الخلق والمرسلين نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

فبعــد أن جُلْنا مع علماء الدعــوة -رحمهم الله- في ريــاض الآيات القرآنية الكريمة مستلهمين منها العبرة، آخذين من كلامهم ما يعالج كثيراً من المعضلات، وما يرشــد إلى المخرج في كثير من الخطوب المدلهمات، إنه لحري بنا أن نولي القرآن الكريم العناية البالغة والاهتمام الكبير؛ ليقودنا -كما فعل بأســلافنا - إلى العز والســؤدد، والمجد والرفعة، فقد عرف التاريخ هذه الأمة -يوم عرفها- وهي في المقدمة مادامت معتصمة بهــذا الكتاب الخالد، أما إذا تخلت عنه ولهثت وراء تجارب البشر وآرائهم فهي الخاسرة وسيحيق بها البوار.

لقد تبين لنا من خلال هذا البحث عظم هذه المدرســة وبالغ أثر رجالها وجلالة ما خلفوه من تراث.

كما تبيــن لنا أيضاً عمق تأثرهم بالســلف ومناهجهــم، وحرصهم على اقتفاء آثارهم والاستنان بســنتهم وتلقي الدين على سبيلهم الذي هو واجب الاتباع؛ لأنه سبيل المؤمنين الذي لا يجوز مخالفته.

كما تجلى لنا -فيما يخص التفســير- اعتمادهم على التفسير بالمأثور،

والاهتمام بالكتب التي تعتمد هذا المنهج، ولذا كانت التفاسير المقدمة عندهم: تفسير ابن جرير الطبري، وتفسير البغوي، وتفسير الحافظ ابن كثير -رحمهم الله-، هذا مع أخذهم بالرأي الممدوح بحدوده وضوابطه التي وضعها العلماء.

كما اتضح لنا عظيم عنايتهم بكتب الشيخين: ابن تيمية وابن القيم -رحمهما الله- واهتمامهم بها، وتلقيهم عنها، وحرصهم على نقل أقوالهما وآرائهما في كثير من المسائل.

لقد كان من أعظم خصائص منهجهم - رحمهم الله - عنايتهم بتقرير التوحيد وبيانه من خلال القرآن؛ لأهميته من جهة، ولحاجة المجتمع من جهة أخرى.

وهذا يبين مزية أخرى وهي عنايتهم بأمر المجتمع، وحرصهم على واقع الأمة، فلم تكن حياتهم ولا دروسهم ولا تواليفهم بمعزل عنها، وكانت الموضوعات التي تناولوها هي الموضوعات التي تمس الحاجة إليها مثل بيان التوحيد وأنواعه، وتقرير الولاء والبراء، ونحو ذلك.

إنها بحق مدرسة خليق بتراثها أن يُبعث، وبرجالها أن يُعرَّف بهم، وما أجدر شباب الأمة أن يقبلوا على تراث الأئمة - رحمهم الله - وأن يستلهموا منه المنهج والطريق.

رحم الله علماء الدعوة في نجد، وجزاهم عن الأمة خير ما يجزي عباده الصالحين.

اللهم اجعل عملنا صالحاً، ولوجهك خالصاً، ولا تجعل فيه لأحد شيئاً، اللهم ارزقنا العلم النافع والعمل الصالح، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.


الفهارس

فهرس الآيات

	١٦٥	٤٤٠، ٤٥٠
	١٦٦	٢١٤، ٢٢٢
المائدة	٦	٥٤١، ٥٤٦، ٥٤٧
	٨	٢٩٠، ٣٦٣
	٢٧	٤٤٥
	٤٨	٤٧٩، ٥٨٤
	٤٩	١٢٩، ٢٧٤
	٥٢	٦٥٩
	٥٣	٦٥٩
	٥٤	٦٦٠
	٥٥	٦٦١
	٥٦	٦٦١
	٦٣	٢٦٥
	٦٤	٦٠٧
	٧٦	٥٧٧
	٧٨	٢٢٩، ٣٧٩
	١١٦	٥٦٨، ٥٩٩
	١١٧	٥٩٩
الأنعام	١	١٩٥
	١٤	٦٢٠
	٤١	٤٥٤
	٦١	١٨٣، ٥٠٨
	٧٣	٨٣، ١٦٨

	٧٣	٣٠٠
	٩٧	٣٧٧
	٩٨	٣٧٧
	١٩٤	٥٦٨
	١٢٧	١٣٨
	١٣٧	٣١٢
	١٧٩	٤٩١، ٦٢٥، ٦٣١
	١٨٠	٤٩٩
	١٨٨	٣٩١
الأنفال	٢٠	٢٧١
	٣٦	٣١٠
	٥٠	٥٠٨
	٦٢	٢٤٢
	٦٣	٢٤٢
التوبة	٢٣	٦٥٨
	٢٤	٤٠٢
	٣١	٨٤، ١٣٩، ٥٦٨
	١٠٣	٥٤٦
	١٠٧	٤١٦
	١٠٨	٨٥، ٥٤٤، ٥٤٩
	١١٧	١٣٨
يونس	٣	٣٤٥، ٥٠٩

	١٢٣	٦٦٧
	١٢٨	٢٠٦
الإسراء	١٥	٧٠٤
	١٦	٥٤١
	١٨	٤٤١
	٢٢-٣٩	٢٧٢
	٣٦	٤٥٠
	٤٥	٤٥١
	٤٦	٤٥١
	٥٦	٥١٩، ٥٦٢، ٥٦٨
	٥٧	١١٣، ٣١٩، ٥١٩، ٥٦٨
	٧٢	٤٢٧
	٨٥	٢١٤
	١٠٢	٦٠٢
	١١٠	٤٦٢
الكهف	١٦	٦٠١، ٦٦٨
	١٧	٥٢٠
	٣٥٢	٤٧٦
	٥٠	٢٥٠
	١٠٣	٤٩٢
	١٠٤	٤٩٢، ٥١٦
	١١٠	٦٩٥
مريم	٢١	٥٠٧

	٢٩	٢٣٣، ٥٠٩
	٩-	٥٨٠
	١٠٤	٣٤١
المؤمنون	٥٣	٢٦٨
	٦٣	٤٥١
	٨٤-٨٩	٣٠٦-٣٠٧
	١٠١	٦٦٤
	١١٧	٥٦٨
	١١٨	٤٣٤، ٤٣٧
الحج	٢٦	٣٠٠، ٥٩٩
	٣٠	٥٢٣، ٦٠٠
	٣١	٣١٨، ٥٢٣، ٦٠٠
	٣٤	٥٩٩
	٦٢	٢٣٤، ٤٣٧
	٧٣	٥٠٩، ٥٧٣
النور	٣٩	٣٩٩، ٤٩١
	٤٠	٤٩١، ٦٠٠، ٦١٢، ٧٠٨
	٤٧	٤١١
	٤٨	٤١١
	٤٩	٤١١
	٥٠	٤١١
	٥١	٤١١
	٥٥	٣٠٩

	٦٠	١٨٨
	٨٣	٣٥٣
فصلت	٢٣	٥٨١
	٣٣	٤٨٤
	٤٠	٥٠٧
الشورى	١٠	١٠٥، ٢٦٦، ٢٧٠
	١٣	٣٧٠
	٢٦	٥٧٨
	٣٣	٦٠٧
	٥٢	٣٠١
الزخرف	٩	٦٠٢
	٢٦	١٢٦، ٦٠٠
	٢٧	١٢٦، ٦٠٠
	٢٨	٦٠٠
	٤٦	٢٣٣
	٧٦	٤٥٠
	٨٦	٦٧٩
	٨٧	٤٦٠، ٥٩٢، ٦٠٣
الدخان	٤١	١٦٩
	٤٢	١٦٩
الجاثية	١٣	٣٠٠
الأحقاف	٤	١٥٨

البينة	٢	٥٨٤
	٥	٣٥٩، ٣٩٨، ٤٣٧
الزلزلة	٧	٣٥٠
	٨	٣٥٠
الكوثر	٣	٨٨، ٢٦٠
الكافرون	١	٤٧٨
	٣	٦٢٧

فهرس الأحاديث

يا معشر قريش اشتروا أنفسكم	أبو هريرة	٣٢١، ٦٤١
يا معشر قريش انقذوا أنفسكم	أبو هريرة	٦٩٢
يجاء صاحبها يوم القيامة فيقول الله عز وجل	ابن مسعود	٢٢١
يجيء القرآن يوم القيامة	أبو هريرة	٢٤٠
يقبض الله سمواته بيده اليمنى	أبو هريرة	٦٠٩
يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً	عبدالله بن عمرو	٢٣٩
يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة	أبو هريرة	٦٠٩
ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا	أبو هريرة	٥٧٩
اليهود مغضوب عليهم والنصارى ضالون	عدي بن حاتم	١٤٥

فهرس الآثار

بعثنا النبي ﷺ إلى إضم	عبدالله بن أبي حدرد	٢٨٤
بغت القوم أمر الله	قتادة	٣٧٧
تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون	الحسن البصري	٦٥٤
تريدون أن تمالِئوهم فيه وتركنوا إليهم	مجاهد	٦٥٢
تعلموا العلم قبل أن يقبض	ابن مسعود	٣٦٦
التفسير على أربعة أنحاء	ابن عباس	٢٧٢
جاء حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف إلى مكة	عكرمة	٢٦٠
جبلهم على الشقاء والسعادة	زيد بن أسلم	٦٣٢
جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية	وهب بن منبه	٦٣٢
جبل الله الجماعة	ابن مسعود	٢٤٣
حق تقاته أن يطاع	ابن مسعود	٢٤٣
خرج رسول الله ﷺ يوم أحد	السدي	٢٥٥
خرج نفر من أصحاب الرسول ﷺ	ابن عباس	١٨٨
خلق الله اللوح المحفوظ	ابن عباس	٥٢٤
خلقهم للعبادة ولكن العبادة عبادة تنفع	السدي	٦٣٣
ذو الألوهية والعبودية على خلقه أجمعين	ابن عباس	١٥١
الذي يصمد الخلائق إليه	ابن عباس	٧٠٦

هو الرجل يريد أن يظلم	السدي	٣٩٣
والراسخون في العلم يعرفون تأويله	مجاهد	٢١٧
وذلك أنهما علماه الخير	ابن عباس	١٨٧
وقد علم أهل الكتاب	قتادة	١٨٥
ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم	إبراهيم التيمي	٤٦٨، ٤٦٩
يا أيها الناس عليكم بالطاعة	ابن مسعود	٢٤٤
يا رب خطيئتي التي أخطأت (آدم)	عبيد بن عمير	١٧٥
يارسول الله إنما نحب ربنا حباً شديداً	الحسن البصري	٢٢٦
يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس	خالد بن الوليد	٧٠٤
يبتغون أن يعلموا ما يكون	مقاتل والسدي	٢١٦
يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه	ابن مسعود	٢٤٠
يستظهرون يقولون نحن نعين محمداً عليهم	ابن عباس	١٨١
يستنصرون بخروج محمد ﷺ	ابن عباس	١٨٣
يعني نجوم القرآن	ابن عباس	٦٤٦
يهد قلبه لليقين	ابن عباس	٦٧٣
يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة	ابن عباس	١٤١

فهرس الأعلام المترجمين

فهرس الأبيات الشعرية

فهرس المصطلحات

فهرس القبائل

فهرس الأماكن

فهرس الفرق والطوائف

المصادر والمراجع

١- أثر الدعوة الوهابيــة في الإصلاح الدينــي والعمراني، محمد حامد الفقي ١٣٥٤هـ.

٢- اجتماع الجيوش الإســلامية على غزو المعطلــة والجهمية، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٣- أحكام القرآن، لأبي بكر بن العربــي، ت: علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت.

٤- الإِحكام في أصول الأحكام، ابن حزم الأندلسي، دار الحديثة القاهرة، ط الثانية ١٤١٣هـ.

٥- الإحــكام في أصول الأحــكام، علي بــن محمد الآمــدي، تعليق: عبدالرزاق عفيفي، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٦- أخبار مكة فــي قديم الدهــر وحديثه، أبو عبدالرحمن بن إســحاق الفاكهــي، ت: عبدالملك بــن دهيــش، دار حضر لبنــان، ط الثانية ١٤١٤هـ.

٧- الأدب المفرد، للإمام البخاري مع شــرحه فضل الله الصمد تأليف: فضل الله الجيلاني، المكتبة السلفية، القاهرة، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٨- الإذاعــة لما كان ويكــون بين يدي الســاعة، محمد صديق حســن البخاري، دار الكتب العلمية، بيروت.

٩- الأذكار المنتخبة من كلام ســيد الأبرار، لأبــي زكريا النووي (وعليه شــرح وجيز من شــرح ابن علان) المكتبة الإســلامية، إســتانبول، ط الرابعة ١٣٧٥هـ.

١٠- الأربعين في دلائل التوحيد، أبو إسماعيل الهروي، ت: علي محمد الفقيهي، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

١١- إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم، أبو السعود محمد بن محمد العمادي، دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٢- إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

١٣- أساس البلاغة، محمود بن عمر الزمخشري، ت: عبدالرحيم محمود، دار المعرفة، بيروت، ١٣٩٩هـ.

١٤- أسباب نزول القرآن، لأبي الحسين علي بن أحمد الواحدي، ت: كمال بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٥- الاستقامة، أبو العباس أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٦- أسد الغابة في معرفة الصحابة، أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير، دار الفكر، بيروت، ١٤٠٩هـ.

١٧- الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، د. محمد بن محمد أبو شهبة، مكتبة السنة، القاهرة، ط الرابعة ١٤٠٨هـ.

١٨- أسماء الله الحسنى، عبدالله صالح الغصن، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٧هـ.

١٩- أسماء مؤلفات ابن تيمية، ابن قيم الجوزية، ت: صلاح الدين المنجد، بيروت، ط الثالثة ١٩٧٦م.

٢٠- الأسماء والصفات، الإمام البيهقي، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢١- الإصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٢- إصلاح الوجوه والنظائر في القرآن الكريم، الحسين بن محمد الدامغاني، ت: عبدالعزيز سيد الأهل، دار العلم للملايين، بيروت، ط الخامسة ١٩٨٥م.

٢٣- أضواء البيان في تفسير القرآن بالقرآن، محمد الأمين الشنقيطي، عالم الكتب، بيروت.

٢٤- الاعتصام، إبراهيم بن موسى الشاطبي، ت: سليم الهلالي، دار ابن عفان، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٢٥- الأعلام، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين بيروت، ط السابعة ١٩٨٦م.

٢٦- أعلام الموقعين عن رب العالمين، شمس الدين ابن القيم، تعليق: طه عبدالروؤف، دار الجيل، بيروت ط ١٩٧٣م.

٢٧- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان، ابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.

٢٨- اقتضاء الصراط المستقيم لمخالفة أصحاب الجحيم، لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت: ناصر العقل، توزيع مكتبة الرشد، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٩- الأموال، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: محمد خليل، دار الفكر القاهرة، ط الثالثة ١٤٠١هـ.

٣٠- الأنساب، أبو سعد عبدالكريم بن محمد المروزي، ت: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، الناشر: محمد أمين دمج، بيروت، ط الثانية ١٤٠٠هـ.

٣١- أنوار التنزيل وأسرار التأويل، لأبي سعيد عبدالله بن عمر البيضاوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٣٢- الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام (النشأة والأسباب)، ناصر بن عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣٣- أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك (ومعه عدة السالك)، لابن هشام، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، جامعة الإمام، الرياض، ط السادسة ١٣٩٤هـ.

٣٤- الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القزويني، شرح: د. محمد خفاجي، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط الخامسة ١٤٠٠هـ.

٣٥- إيضاح الوقف والابتداء في كتاب الله، أبو بكر محمد بن القاسم الأنباري، ت: محيي الدين عبدالرحمن رمضان، مجمع اللغة العربية بدمشق ١٣٩١هـ.

٣٦- الإيمان، أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٧- الإيمان ومعالمه وسننه واستكماله ودرجاته، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٣٨- البحر المحيط، أبو حيان محمد بن يوسف الأندلسي، ت: جماعة من العلماء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٣٩- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب، جامعة الإمام محمد بن سعود ١٤٠٣هـ

٤٠- بحـوث وتعليقات في تاريخ المملكة العربية السـعودية، عبدالله بن صالح العثيمين، مكتبة التوبة الرياض، ط الثانية ١٤١١هـ.

٤١- بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع، لأبي بكر بن مسعود الكاساني، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٤٢- بدائع الفوائد، ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي بيروت.

٤٣- البدايـة والنهاية، إسـماعيل بن كثيـر، مكتبة المعـارف بيروت، ط الخامسة ١٤٠٣هـ.

٤٤- البدر الطالع بمحاسـن من بعد القرن السابع، محمد علي الشوكاني، دار الكتاب الإسلامي القاهرة.

٤٥- البدع والنهي عنهـا، محمد بن وضاح القرطبـي، ت: محمد أحمد دهمان دار البصائر، ط الثانية ١٤٠٠هـ.

٤٦- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة، عبدالفتاح القاضي، دار الكتاب العربي، ط الأولى ١٤٠١هـ.

٤٧- البرهان في علوم القرآن، بدر الدين الزركشي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث مصر.

٤٨- بغيـة الإيضـاح، عبدالمتعال الصعيـدي، مكتبـة الآداب، القاهرة، ط ١٤١٢هـ.

٤٩- بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة، جلال الدين السيوطي، ت: محمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية بيروت.

٥٠- البلاغة فنونها وأفنانها، د. فضل حسن عياش، دار الفرقان، عمان، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

٥١- تأسيس التقديس في كشف تلبيس داود بن جرجيس، عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين، دار إحياء الكتب العربية، ١٣٤٤هـ.

٥٢- تأويل مشكل القرآن، عبدالله بن مسلم بن قتيبة، ت: السيد أحمد صقر المكتبة العلمية، المدينة المنورة، ط الثالثة ١٤٠١هـ.

٥٣- تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر بن جرير الطبري، دار سويدان بيروت.

٥٤- تاريخ الأنبياء في ضوء القرآن والسنة، محمد الطيب النجار، مكتبة المعارف الرياض، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٥٥- تاريخ البلاد العربية السعودية، د. منير العجلاني، ط الثانية ١٤١٣هـ.

٥٦- تاريخ الثقات، أحمد بن عبدالله العجلي، ت: عبدالمعطي قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٥٧- تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.

٥٨- تاريخ الشيخ أحمد المنقور، ت: عبدالعزيز الخويطر، ط الأولى، ١٣٩٠هـ.

٥٩- التاريخ الكبير، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، دار الكتب العلمية.

٦٠- تاريخ مكة، أبو الوليد الأزرقي، المكتبة التجارية مكة المكرمة، ط الأولى ١٤١٦هـ.

٦١- تاريخ المملكة العربية السعودية، عبدالله بن صالح العثيمين، ط الخامسة ١٤١٤هـ.

٦٢- تاريخ نجد، محمود شكري الألوسي المطبعة السلفية مصر ١٣٤٣هـ.

٦٣- تاريخ نجد حسين بن غنام، ت: ناصر الدين الأسد، دار الشروق بيروت، ط الرابعة ١٤١٥هـ.

٦٤- التبيان في إعراب القرآن، أبو البقاء عبدالله بن الحسين العكبري، ت: علي البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٦٥- التبيان في أقسام القرآن، شمس الدين ابن قيم الجوزية، دار الكتاب العربي.

٦٦- التحرير والتنوير، الطاهر بن عاشور.

٦٧- تحفة الأحوذي بشرح جامع الترمذي، محمد بن عبدالرحمن المباركفوري دار الفكر، ط الثالثة ١٣٩٩هـ.

٦٨- تحفة الأشراف في معرفة الأطراف، أبو الحجاج المزي، الدار القيمة.

٦٩- تحفة الطالب الجليس في كشف شبه داود بن جرجيس، ت: عبدالسلام آل عبدالكريم، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٠- تحفة المودود بأحكام المولود، لأبي عبدالله محمد بن قيم الجوزية، ت: عبدالقادر الأرناؤوط، دار البيان دمشق، ط الأولى ١٣٩١هـ.

٧١- تذكرة الحفاظ، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت.

٧٢- التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، محمد بن أحمد القرطبي، المكتبة القيمة، القاهرة.

٧٣- ترتيب تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، أبو حيان الأندلسي، ت: داود سلوم، ثوري القبسي، عالم الكتب بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

٧٤- تعجيل المنفعة بزوائد رجال الأئمة الأربعة، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

٧٥- التعريفات، الشريف علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

٧٦- تفسير ابن أبي حاتم، عبدالرحمن بن أبي حاتم الرازي، ت: أحمد الزهراني، حكمت بشير ياسين، مكتبة الدار بالمدينة المنورة، دار طيبة الرياض، دار ابن القيم بالدمام، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

٧٧- تفسير الجلالين، جلال الدين المحلي وجلال الدين السيوطي، دار الفكر بيروت.

٧٨- تفسير القرآن، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: مصطفى مسلم، مكتبة الرشد، الرياض، ط الأولى.

٧٩- تفسير القرآن العظيم، ابن كثير الدمشقي، بيروت، ط ١٣٨٨هـ.

٨٠- التفسير الكبير، فخر الدين الرازي، دارالكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٨١- التفسير والمفسرون، محمد حسين الذهبي، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٨٢- تقريب التهذيب، الحافظ أحمد بن حجر العسقلاني، ت: محمد عوامة، دار الرشيد، سوريا، ط الرابعة ١٤١٢هـ.

٨٣- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، ابن حجر العسقلاني، ت: سفيان محمد إسماعيل، مكتبة ابن تيمية القاهرة.

٨٤- تلخيص كتاب الاستغاثة (الرد على البكري) شيخ الإسلام ابن تيمية، الدار العلمية دلهي، ط الثانية ١٤٠٥هـ.

٨٥- التمهيد في أصول الفقه، أبو الخطاب الكلوذاني، ت: مفيد أبو عمشة، جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٨٦- تهذيب التهذيب، ابن حجر العسقلاني، دائرة المعارف النظامية بالهند، ط الأولى.

٨٧- تهذيب الكمال في أسماء الرجال، أبو الحجاج يوسف المزي، ت: بشار عواد معروف، الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

٨٨- تهذيب اللغة، أبو منصور محمد بن أحمد الأزهري، ت: علي حسن هلالي، مراجعة: محمد علي النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة.

٨٩- تهذيب وترتيب الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، ترتيب: محمد عمر بازمول، دار الهجرة، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٩٠- التوحيد، صالح بن فوزان الفوزان، دار التحف والنفائس الدولية الرياض.

٩١- تيسيرالعزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد، سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، المكتب الإسلامي، دمشق، ط الأولى.

٩٢- تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، عبدالرحمن بن ناصر السعدي، ت: محمد زهري النجار، المؤسسة السعدية الرياض.

٩٣- جامع أنساب قبائل العرب، سلطان السرحاني، دار الثقافة، قطر.

٩٤- جامع البيان عن تأويل القرآن، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، ت: محمود محمد شاكر، دارالمعارف، مصر، ط الثانية (وطبعة أخرى بدون تحقيق، دار المعرفة، بيروت)[1].

٩٥- جامع بيان العلم وفضله وما ينبغي في روايته وحمله، أبو عمر بن عبدالبر النمري، دار الكتب العلمية بيروت، ١٣٩٨هـ.

٩٦- جامع التحصيل في أحكام المراسيل، أبوسعيد العلائي، ت: حمدي السلفي، عالم الكتب، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٩٧- الجامع الصحيح، أبو عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية، استانبول، ط١ ١٩٨١م.

٩٨- جامع العلوم والحكم، لأبي الفرج عبدالرحمن بن رجب، ت: شعيب الأرناؤوط، إبراهيم باجس، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الأولى ١٤١٢هـ

٩٩- الجامع لأحكام القرآن، أبو عبدالله محمد بن أحمد القرطبي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط ١٩٦٧م.

١٠٠- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، الخطيب البغدادي، ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، ١٤٠٣هـ.

١٠١- الجامع الوجيز للشيخ محمد بن محمد بن شهاب المعروف بابن البزار الكردي الحنفي، دار إحياء التراث العربية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

(١) وقد كان الاعتماد في التوثيق على الطبعة الأولى إلى الآية ٢٧ من سورة إبراهيم لأنه آخر ما جاء فيها، وما بعد هذا الموضع فالاعتماد فيه على الطبعة الأخرى.

١٠٢- الجـرح والتعديل، عبدالرحمن بـن أبي حاتـم، دار الكتب العلمية بيروت.

١٠٣- جلاء الأفهام في الصلاة والسـلام على خير الأنام، ابن قيم الجوزية، ت: طه يوسف شاهين، دار الطباعة المحمدية، مصر.

١٠٤- الجواب الصحيح لمن بدل دين المسـيح، أبو العباس بن تيمية، ت: علي بن حسـن، عبدالعزيز العسكر، حمدان الحمدان، دار العاصمة، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.

١٠٥- الجواب الكافي لمن سـأل عن الدواء الشافي، ابن قيم الجوزية، دار ابن زيدون، بيروت، ط الأولى.

١٠٦- حاشية الروض المربع شرح زاد المستقنع، عبدالرحمن بن محمد بن قاسم، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

١٠٧- حاضر العالم الإسـلامي، لوثروب ستودارد، تعليق: شكيب أرسلان تعريب: عجاج نويهض، دار الفكر، ط الرابعة ١٣٩٤هـ.

١٠٨- الحاوي للفتاوي، السيوطي، السلام العالمية القاهرة.

١٠٩- الحجـة في القراءات السـبع، الحسـين بن أحمد بـن خالويه، ت: عبدالعال سالم مكرم، دارالشروق بيروت، ط الثالثة ١٣٩٩هـ.

١١٠- الحـق الواضح المبين في شـرح توحيـد الأنبياء والمرسـلين من الكافيةالشـافية، الشيخ عبدالرحمن السعدي، دارابن القيم الدمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١١١- حليــة الأولياء وطبقات الأصفياء، أبو نعيــم الأصبهاني، دار الكتاب العربي بيروت، ط الثالثة ١٤٠٠هـ.

١١٢- الخصائــص الكبرى، جلال الديــن الســيوطي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى.

١١٣- خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر، محمد المحبي.

١١٤- درء تعارض العقل والنقل، شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، ت: محمد رشاد سالم، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط الأولى.

١١٥- الدرر السنية في الأجوبة النجدية، جمع: عبدالرحمن بن قاسم، مطابع شــركة المدينة، جدة، ط الثانية ١٣٨٨ـ، ونســخة أخرى ط الخامسة ١٤١٣هـ وقد كان الاعتماد في الإحــالات عليها من المجلد الأول إلى السادس، وما عدا ذلك فعلى النسخة الأولى.

١١٦- الدر المنثور في التفســير المأثور، لعبدالرحمن السيوطي، دارالفكر بيروت، ط ١٤١٤هـ.

١١٧- الدر النضــد في ذكر أصحاب الإمام أحمــد، عبدالرحمن بن محمد العليمي، ت: عبدالرحمن العثيمين، مكتبة التوبة الرياض.

١١٨- الدعاء، أبو القاسم سليمان بن أحمد الطبراني، ت: مصطفى عبدالقادر عطا، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤١٣هـ.

١١٩- دعاوى المناوئين لدعوة الشــيخ محمد بن عبدالوهاب عرض ونقد، عبدالعزيز آل عبداللطيف، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٢٠- دعوة الشـيخ محمد بـن عبدالوهاب وأثرها في العالم الإسـلامي، محمد بن عبدالله السلمان، الرياض، ١٤٠٧هـ.

١٢١- دلائل النبوة ومعرفة أحوال صاحب الشـريعة، أبو بكر البيهقي، ت: عبدالمعطي قلعجي دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٢٢- ديوان أبي إسماعيل الحسين بن علي الطغرائي، ت: علي جواد الطاهر يحيى الجبوري، دار القلم الكويت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

١٢٣- ديوان الإمام الشافعي، أبو عبدالله محمد بن إدريس الشافعي، تعليق: محمد عفيف الزعبي، دار الجيل، بيروت، ط الثالثة ١٣٩٢هـ.

١٢٤- ديوان رؤبة بـن العجاج، صححه: وليم بن الورد، دارالآفاق الجديدة بيروت، ط الثانية ١٤٠٠هـ.

١٢٥- ديوان سلامة بن جندل، ت: فخر الدين قباوه، المكتبةالعربية، حلب، ط الأولى ١٣٨٧هـ.

١٢٦- ديـوان طرفة بـن العبد، ت: فـوزي عطوي، دار مصعـب بيروت، ١٩٨٠م.

١٢٧- رد الإمام عثمان بن سعيد علي بشر المريسي العنيد، تصحيح: محمد حامد الفقي، دار الكتب العلمية بيروت.

١٢٨- الرد على الجهميـة، للحافظ ابن منـده، ت: علي بن محمد فقيهي، مكتبة الغرباء بالمدينة، ط الثالثة ١٤١٤هـ.

١٢٩- الرد الوافر على من زعم بأن من سمى ابن تيمية شيخ الإسلام كافر، محمد بن أبي بكر بن ناصرالدين، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، ط الثالثة ١٤١١هـ.

١٣٠- الرسالة، محمد بن إدريس الشافعي، ت: أحمد محمد شاكر، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٣١- رشيد رضا ودعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، محمد بن عبدالله السلمان، مكتبة العلا الكويت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

١٣٢- الروح، ابن قيم الجوزية، مكتبة نصير، مصر.

١٣٣- روح المعاني في تفسير القرآن والسبع المثاني، أبو الفضل محمود الألوسي، قرأه وصححه: محمد حسين أيوب، دار الفكر، ط عام ١٤١٤هـ.

١٣٤- روضة المحبين ونزهة المشتاقين، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

١٣٥- روضة الناظر وجنة المناظر في أصول الفقه، عبدالله بن أحمد بن قدامة، ت: عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد، الرياض، ط الثانية ١٤١٤هـ.

١٣٦- روضة الناظرين عن مآثر علماء نجد وحوادث السنين، محمد بن عثمان القاضي، مطبعة الحلبي مصر، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

١٣٧- الروض المربع شرح زاد المستقنع (مع حاشية عبدالله العنقري)، منصور البهوتي، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض، ط ١٣٩٠هـ.

١٣٨- رياض الصالحين، أبو زكريا النووي، ت: الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤١٢هـ.

١٣٩- زاد المسير في علم التفسير، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.

١٤٠- زاد المعاد في هدي خير العباد، ابن القيم، ت: شعيب وعبدالقادر الأرناؤوط،مؤسسةالرسالة، ط السابعة.

١٤١- الزهد، الإمام أحمد بن حنبل، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٤٢- الزواجر عن اقتراف الكبائر، أحمد بن محمد بن جرير الهيثمي، دارالمعرفة، بيروت.

١٤٣- السبعة في القراءات، أبو بكر أحمد بن موسى بن مجاهد، ت: شوقي ضيف، دار المعارف مصر، ط الثالثة.

١٤٤- سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك، حمد بن عتيق، ت: الوليد بن فريان، ١٤٠٩هـ.

١٤٥- السحب الوابلة على ضرائح الحنابلة، محمد بن عبدالله بن حميد، ت: بكر بن عبدالله أبو زيد، عبدالرحمن بن سليمان العثيمين، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الأولى ١٤١٦هـ.

١٤٦- سر صناعة الإعراب، ابن جني، ت: حسن هنداوي، دار القلم دمشق، ط الثانية ١٤٠٥ـ.

١٤٧- السلسبيل في معرفة الدليل، حاشية على زاد المستقنع، صالح البليهي، مكتبة المعارف، الرياض، ط الرابعة ١٤٠٧هـ.

١٤٨- سلسلة الأحاديث الصحيحة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية.

١٤٩- سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة، محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٣٩٩هـ.

١٥٠- السنة، لأبي بكر أحمد بن محمد الخلال، ت: عطية الزهراني، دارالراية، الرياض، ط الثانية ١٤١٥هـ.

١٥١- السنة، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن أحمد بن حنبل، ت: محمد بن سعيد القحطاني، دارابن القيم، الدمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١٥٢- السنة، محمد بن نصر المروزي، دار الثقافة الإسلامية، الرياض.

١٥٣- السنن، الحافظ محمد بن يزيد القزويني ابن ماجه، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الرياض.

١٥٤- السنن، عبدالله بن عبدالرحمن الدارمي، ت: فواز زمرلي، خالد السبع دار الريان القاهرة، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

١٥٥- سنن أبي داود، أبي داود سليمان بن الأشعث السجستاني، دراسة: كمال يوسف الحوت، مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٩هـ.

١٥٦- سنن الترمذي، لأبي عيسى محمد بن سورة الترمذي، تعليق: عزت عبيد الدعاس، المكتبة الإسلامية، استنانبول.

١٥٧- سنن الدارقطني، علي بن عمر الدارقطني، عالم الكتب بيروت، ط الثالثة ١٤١٣هـ.

١٥٨- السنن الكبرى، أبوبكر أحمد بن الحسين البيهقي، دار الفكر، بيروت.

١٥٩- سنن النسائي بشرح السيوطي وحاشية السدي، ت: عبدالفتاح أبو غدة، مكتبة المطبوعات الإسلامية، حلب، ط الرابعة ١٤١٤.

١٦٠- سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، مؤسسة الرسالة، ط الرابعة ١٤٠٦هـ.

١٦١- السيرة النبوية، لابن هشام، حققها: مصطفى السقا وإبراهيم الأبياري وعبدالحفيظ شلبي، دارإحياء التراث العربي، بيروت، ط الأولى ١٤١٥هـ.

١٦٢- السيل الجرار المتدفق على حدائق الأزهار، محمد بن علي الشوكاني، ت: محمود إبراهيم زايد، دارالكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٦٣- الشجرة في أحوال الرجال، إبراهيم بن يعقوب الجوزجاني، ت: عبدالعليم البستوي، مكتبة دار الطحاوي بالرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.

١٦٤- شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة، لأبي القاسم هبة الله بن الحسن اللالكائي، ت: أحمد سعد حمدان، دار طيبة، الرياض.

١٦٥- شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، عبدالله بن عقيل العقيلي، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، ط الثانية.

١٦٦- شرح السنة، الإمام الحسين بن مسعود البغوي، ت: زهير الشاويش، شعيب الأرناؤوط، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

١٦٧- شرح سنن ابن ماجه، أبو الحسن الحنفي المعروف بالسندي، دار الجيل بيروت.

١٦٨- شرح السيوطي لسنن ابن ماجه، الطبعة الهندية (دلهي).

١٦٩- شرح العقيدة الطحاوية ابن أبي العز الحنفي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.

١٧٠- شرح العقيدة الواسطية، لشيخ الإسلام ابن تيمية، شرح: محمد صالح العثيمين، ت: أشرف عبدالمقصود، مكتبة طبرية، الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ.

١٧١- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة، الملا علي القاري، دار الكتب العلمية ١٣٩٩هـ.

١٧٢- شرح القصيدة النونية المسماة: الكافية الشافية لابن القيم، شرح: محمد خليل هراس، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

١٧٣- شرح الكوكب المنير، محمد بن أحمد الفتوحي، ت: محمد الزحيلي، نزيه حماد، جامعة الملك عبدالعزيز، ط الأولى ١٤٠٠هـ.

١٧٤- شرح لمعة الاعتقاد الهادي إلى سبيل الرشاد، لابن قدامة، شرح: محمد صالح العثيمين، مؤسسة الرسالة، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

١٧٥- شرح المعلقات السبع، أبو عبدالله الحسين بن أحمد الزوزني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

١٧٦- الشرح الممتع على زاد المستقنع، محمد بن صالح العثيمين، مؤسسة آسام، ط الأولى.

١٧٧- شرح المنهاج للبيضاوي، شرح: محمود بن عبدالرحمن الأصفهاني، ت: عبدالكريم النملة، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤١٠هـ.

١٧٨- الشعر والشعراء، عبدالله بن قتيبة الدينوري، ت: مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الثانية ١٤٠٥هـ.

١٧٩- الشفا بتعريف حقوق المصطفى، أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي، ت: علي البجاوي، مطبعة الحلبي بالقاهرة .

١٨٠- شفاء العليل في مسائل القضاء والقدر والحكمة والتعليل، لابن القيم، دار المعرفة، بيروت، ط عام ١٣٩٨هـ.

١٨١- الشفاعة، مقبل بن هادي الوادعي، دار الأرقم، الكويت، ط الأولى ١٤٠٢هـ.

١٨٢- الصارم المسلول على شاتم الرسول، لأبي العباس بن تيمية، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، دار الكتب العلمية، بيروت، ط عام ١٣٩٨هـ.

١٨٣- الصحاح، إسماعيل بن حماد الجوهري، ت: أحمد عبدالغفور عطار، دار العلم للملايين بيروت، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.

١٨٤- صحيح الإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري، شرح أبو زكريا يحيى النووي، إعداد: مجموعة من الأساتذة بإشراف: علي عبدالحميد، دار الخير بيروت، ط الأولى ١٤١٤هـ، وطبعة أخرى: دار إحياء التراث العربي، بيروت.

١٨٥- صحيح الجامع الصغير للسيوطي، تأليف: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٣٩٩هـ.

١٨٦- صحيح ابن خزيمة محمد بن إسحاق بن خزيمة، ت: محمد مصطفى الأعظمي، المكتب الإسلامي.

١٨٧- صحيح سنن الترمذي، محمد ناصر الدين الألباني، الناشر: مكتب التربية العربية لدول الخليج، ط الأولى ١٤٠٨هـ.

١٨٨- الصفا، أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني، ت: علي الفقيهي، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

١٨٩- صفوة الآثار والمفاهيم من تفسير القرآن العظيم، عبدالرحمن الدوسري، مكتبة الأرقم، الكويت، ط ١٤٠١.

١٩٠- الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، ت: علي الدخيل الله، دار العاصمة، ط الثانية ١٤١٢هـ.

١٩١- الضعفاء الكبير، محمد بن عمرو العقيلي، ت: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى.

١٩٢- ضعيف الجامع الصغير للسيوطي، محمد ناصر الدين الألباني المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٣٩٩هـ.

١٩٣- طبقات الشافعية، جمال الدين عبدالرحيم الأسنوي، ت: عبدالله الجبوري دار العلوم الرياض، ١٤٠٠هـ.

١٩٤- طبقات الشافعية الكبرى، تاج الدين السبكي، دار المعرفة، ط الثانية.

١٩٥- الطبقات الكبرى، محمد بن سعد، دار صادر، بيروت.

١٩٦- طبقات المفسرين، جلال الدين السيوطي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٧- طبقات المفسرين، محمد بن علي المودودي، دار الكتب العلمية، بيروت.

١٩٨- طريق الهجرتين وباب السعادتين، ابن قيم الجوزية، دار الحديث مصر.

١٩٩- العبر في خبر من غبر، أبو عبدالله الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٠٠- العبودية، شيخ الإسلام ابن تيمية، تقديم: عبدالرحمن الباني، المكتب الإسلامي، ط السادسة ١٤٠٧هـ.

٢٠١- عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين، ابن قيم الجوزية، دار الريان مصر ط الثالثة ١٤٠٨هـ.

٢٠٢- العقد الثمين في شرح أحاديث أصول الدين، حسين بن غنام، ت: إبراهيم يوسف الماس، إصدار وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف بدولة قطر، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٢٠٣- العقود الدرية من مناقب شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، محمد بن أحمد بن عبدالهادي ت: محمد حامد الفقي، مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦هـ.

٢٠٤- عقيدة السلف وأصحاب الحديث أو الرسالة في اعتقاد أهل السنة وأصحاب الحديث والأئمة، أبو عثمان إسماعيل الصابوني، ت: ناصر الجديع، دار العاصمة، الرياض ط الأولى ١٤١٥هـ.

٢٠٥- عقيدة الشيخ محمد بن عبدالوهاب السلفية وأثرها في العالم الإسلامي، صالح بن عبدالله العبود، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة.

٢٠٦- علماء نجد خلال ستة قرون، عبدالله بن عبدالرحمن البسام، مكتبة النهضة الحديثة مكة المكرمة.

٢٠٧- العلو للعلي الغفار في صحيح الأخبار، شمس الدين الذهبي، صححه: عبدالرحمن محمد عثمان، المكتبة السلفية، المدينة، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

٢٠٨- عنوان المجد في تاريخ نجد، عثمان بن عبدالله بن بشر، ت: عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، ط الرابعة ١٤٠٢.

٢٠٩- عون المعبود شرح سنن أبي داود، محمد شمس الحق العظيم آبادي، المكتبة السلفية المدينة المنورة، ط الثانية ١٣٨٨هـ.

٢١٠- غاية المرام في تخريج أحاديث الحلال والحرام، ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الثانية ١٤٠٢هـ.

٢١١- غاية النهاية في طبقات القراء، محمد بن محمد الجزري، ت: برجستراس، مكتبة المتنبي القاهرة.

٢١٢- غريب الحديث، لأبي الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، علق عليه: عبدالمعطي أمين قلعجي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢١٣- الفتاوى الكبرى، شيخ الإسلام ابن تيمية، دار المعرفة بيروت.

٢١٤- فتح الباري شرح صحيح البخاري، أحمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.

٢١٥- فتح القدير، محمد بن علي الشوكاني، دار الفكر، بيروت، ط١٤٠٣هـ.

٢١٦- فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، لعبدالرحمن حسن آل الشيخ، مراجعة عبدالعزيز بن باز، دار السلام الرياض، ط الأولى ١٤١٣هـ، طبعة أخرى بتحقيق: الوليد بن فريّان، دار الصميعي، الرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٢١٧- الفتن والملاحم (النهاية) لعماد الدين بن كثير، تصحيح وتعليق: إسماعيل الأنصاري، مكتبة الحرمي، الرياض، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٢١٨- الفرق بين الفرق وبيان الفرقة الناجية، عبدالقاهر البغدادي، دار الآفاق الجديدة بيروت ط الخامسة ١٤٠٢هـ.

٢١٩- فضائل القرآن، أبو عبيد القاسم بن سلام، ت: وهبي سليمان غلوجي، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٢٠- الفوائد المجموعة في الأحاديث الموضوعة، محمد بن علي الشوكاني، ت: عبدالرحمن بن يحيى المعلمي، المكتب الإسلامي، ط الثالثة.

٢٢١- فوات الوفيات، محمد شاكر الكتبي، ت: إحسان عباس، دار الثقافة بيروت.

٢٢٢- فيض القدير شرح الجامع الصغير للسيوطي، شرح: عبدالرؤوف المناوي، دار المعرفة بيروت.

٢٢٣- القاموس الفقهي لغه واصطلاحاً، سعدي أبو جيب، دار الفكر بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٢٤- القاموس المحيط، لمحمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ت: مكتب تحقيق التراث في مؤسسة الرسالة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٢٢٥- قانون التأويل، أبو بكر بن العربي، ت: محمد السليماني، دار القبلة جدة ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٢٦- قرة عيون الموحدين في تحقيق دعوة الأنبياء والمرسلين (حاشية على كتاب التوحيد) عبدالرحمن بن حسن، صححه: إسماعيل الأنصاري، دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ط الثالثة ١٤٠٤هـ.

٢٢٧- قصص الأنبياء، عبدالوهاب النجار، دار إحياء التراث العربي، بيروت ط الثالثة.

٢٢٨- القواعد المثلى في صفات الله وأسمائه الحسنى، محمد بن صالح العثيمين، مكتبة الكوثر، ١٤١٦هـ.

٢٢٩- القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبدالرحمن السخاوي، دار الريان القاهرة.

٢٣٠- القول الفصل النفيس في الرد على المفتري داود بن جرجيس، عبدالرحمن بن حسن، دار الهداية، الرياض، ١٤٠٥هـ.

٢٣١- الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، شمس الدين الذهبي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٣٢- الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف، لأحمد بن حجر العسقلاني، دار المعرفة بيروت.

٢٣٣- الكافي في فقه الإمام أحمد، ابن قدامة المقدسي، ت: زهير الشاويش، المكتب الإسلامي، بيروت، ط الخامسة ١٤٠٨هـ.

٢٣٤- الكافي في فقه أهل المدينة، أبو عمر يوسف بن عبدالله بن عبدالبر، ت: محمد محمد أحيد الموريتاني، مكتبة الرياض الحديثة، الرياض ط الثالثة ١٤٠٦هـ.

٢٣٥- الكامل في التاريخ، محمد بن محمد بن الأثير الجزري، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى.

٢٣٦- الكبائر، لشمس الدين الذهبي، دار الكتب الشعبية، بيروت.

٢٣٧- الكتاب، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٣٨- كتاب التوحيد (الذي هو حق الله على العبيد)، محمد بن عبدالوهاب، المطابع الأهلية للأوفست، الرياض، ط السابعة ١٤٠٢هـ.

٢٣٩- كتاب المجروحين عن المحدثين والضعفاء والمتروكين، محمد ابن حيان البستي، ت: محمد إبراهيم زايد، دار الوعي حلب.

٢٤٠- كشاف القناع عن متن الإقناع، منصور البهوتي، راجعه: هلال مصيلحي، عالم الكتب، بيروت، ط ١٤٠٣هـ.

٢٤١- الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل لأبي القاسم جار الله محمود الزمخشري، دار المعرفة بيروت.

٢٤٢- الكواشف الجلية عن معاني الواسطية، عبدالعزيز محمد السلطان، مكتبة الرياض الحديثة بالرياض، ط السادسة ١٣٩٨هـ.

٢٤٣- الكواكب الدرية في مناقب المجتهد ابن تيمية، مرعي بن يوسف الكرمي الحنبلي، ت: نجم عبدالرحمن خلف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٢٤٤- لباب العقول في أسباب النزول، جلال الدين السيوطي، دار الفكر، ط الثانية.

٢٤٥- لسان العرب، أبو الفضل محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت.

٢٤٦- لسان الميزان، ابن حجر العسقلاني، دار الكتاب الإسلامي القاهرة ط الأولى.

٢٤٧- مجاز القرآن، أبو عبيدة معمر بن المثنى، ت: محمد فؤاد، دار الفكر، ط الثانية ١٣٩٠هـ.

٢٤٨- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، علي بن أبي بكر الهيثمي، دار الكتاب العربي بيروت.

٢٤٩- مجموعة رسائل الشيخ حمد بن عتيق، دار الهداية، الرياض.

٢٥٠- مجموع الرسائل والمسائل النجدية لبعض علماء نجد الأعلام، دار العاصمة، ط الثانية ١٤٠٩هـ.

٢٥١- المجموع شرح المهذب، أبو زكريا النووي، دار الفكر بيروت.

٢٥٢- مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، إشراف الرئاسة العامة لشؤون الحرمين.

٢٥٣- محاسن التأويل، لمحمد عماد الدين القاسمي، علق عليه واعتنى به: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الفكر، بيروت، ط الثانية ١٣٩٨هـ.

٢٥٤- المحتسب في تبيين وجود شواذ القراءات، لأبي الفتح عثمان بن جني، ت: (ناصف، النجار، شلبي)، دار سزكين، ط الثانية ١٤٠٦هـ.

٢٥٥- المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، لأبي محمد عبدالحق بن غالب بن عطية الأندلسي، ت: عبدالسلام عبدالشافي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط الأولى ١٤١٣هـ.

٢٥٦- المحصول في علم الأصول، محمد بن عمر الرازي، ت: طه جابر العلواني، جامعة الإمام محمد بن سعود، ط الأولى ١٤٠١هـ.

٢٥٧- المحلى، لأبي محمد علي بن أحمد بن حزم، ت: أحمد شاكر، دار الفكر.

٢٥٨- محمد بن عبدالوهاب مصلح مظلوم ومفترى عليه، سعود الندوي، ترجمة: عبدالعليم البستوي، جامعة الإمام محمد بن سعود، ١٤٠٤هـ.

٢٥٩- مختصر سيرة الرسول ﷺ، محمد بن عبدالوهاب، دار الإفتاء بالمملكة العربية السعودية، ١٤٠٨هـ.

٢٦٠- مختصر شواذ القرآن، لابن خالوية، نشره: برجشتواسر، دار الجرة.

٢٦١- مختصر الصواعق المرسلة على الجهمية والمعطلة، ابن قيم الجوزية، اختصره: محمد بن الموصلي، دار الندوة الجديدة، بيروت، ط عام ١٤٠٥هـ.

٢٦٢- مختصر العلو للعلي الغفار، اختصار: ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الأولى ١٤٠١هـ.

٢٦٣- مختصر الفتاوى المصرية لشيخ الإسلام ابن تيمية، أبو عبدالله محمد بن علي البعلي، دار نشر الكتب الإسلامية.

٢٦٤- مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين، لابن القيم، ت: محمد حامد الفقي، دار الكتاب العربي، بيروت.

٢٦٥- مراتب الإجماع، ابن حزم الأندلسي، دار الكتب العلمية بيروت.

٢٦٦- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبدالله الحاكم النيسابوري، (وبذيله التلخيص) للحافظ الذهبي، بإشراف يوسف المرعشلي، دار المعرفة بيروت.

٢٦٧- المستدرك على معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ط الثانية ١٤٠٨هـ.

٢٦٨- مسند الإمام أحمد بشرح الشيخ أحمد شاكر، دار المعارف مصر ١٣٧٧هـ.

٢٦٩- المسودة في أصول الفقه، تأليف: ثلاثة من آل تيمية، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، المدني القاهرة.

٢٧٠- مشاهير علماء نجد وغيرهم، عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، دار اليمامة الرياض.

٢٧١- مشكاة المصابيح، محمد بن عبدالله الخطيب التبريزي، ت: محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٣٩٩هـ.

٢٧٢- مصباح الظلام في الرد على من كذب على الشيخ الإمام، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن، دار الهداية الرياض.

٢٧٣- المصنف، عبدالرزاق بن همام الصنعاني، ت: حبيب الرحمن الأعظمي المكتب الإسلامي، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٢٧٤- المصنف في الأحاديث والآثار، عبدالله بن محمد بن أبي شيبة، ضبط: كمال الحوت، دار التاج بيروت، ط الأولى.

٢٧٥- معالم التنزيل، لأبي محمد الحسين البغوي، ت: (النمر، ضميريه، الجرش) دار طيبة، الرياض، ط ١٤١١هـ.

٢٧٦- معالم السنن، أبو سليمان الخطابي، المكتبة العلمية بيروت، ط الثانية ١٤٠١هـ.

٢٧٧- معاني القرآن، لسعيد بن مسعدة الأخفش، ت: د. عبدالأمير الورد، عالم الكتب.

٢٧٨- معاني القرآن لأبي زكريا يحيى بن زياد، ت: عبدالفتاح إسماعيل شلبي، دار السرور،بيروت.

٢٧٩- معاني القرآن وإعرابه، أبو إسحاق إبراهيم الزجاج، ت: عبدالجليل عبده، دار الوليد، جدة، ط الأولى ١٤١٤.

٢٨٠- معجم البلدان، ياقوت الحموي، دار صادر بيروت، ١٣٧٦هـ.

٢٨١- معجم الشيوخ، شمس الدين الذهبي، ت: محمد الحبيب الهيلة، مكتبة الصديق الطائف، ط الأولى ١٤٠٨.

٢٨٢- المعجم الصغير، أبو القاسم الطبراني، مراجعة: عبدالرحمن محمد عثمان المكتبة المدينة المنورة ١٣٨٨هـ.

٢٨٣- معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر رضا كحالة، مؤسسة الرسالة ط الخامسة ١٤٠٥هـ.

٢٨٤- المعجم الكبير، أبو القاسم الطبراني، ت: حمدي عبدالمجيد، ط الأولى الدار العربيةللطباعة بغداد.

٢٨٥- معجم المؤلفين، عمر رضا كحالة، دار إحياء التراث العربي بيروت.

٢٨٦- معجم مصنفات القرآن الكريم، علي شواخ إسحاق، دار الرفاعي الرياض، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٢٨٧- معجم مقاييس اللغة، لأبي الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، ت: عبدالسلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٢٨٨- معجم المناهي اللفظية، بقلم: بكر بن عبدالله أبو زيد، دار العاصمة الرياض، ط الثالثة ١٤١٧هـ.

٩٨٢- المعجم الوسيط، أبو القاسم الطبراني، ت: محمود الطحان، مكتبة المعارف الرياض، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٩٠- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، شمس الدين الذهبي، ت: بشار معروف، شعيب الأرناؤوط، صالح مهدي عباس، مؤسسة الرسالة، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٢٩١- معنى لا إله إلا الله، بدر الدين محمد الزركشي، ت: علي محيي الدين علي القره داغي، دار البشائر الإسلامية، بيروت، ط الثالثة ١٤٠٦هـ.

٢٩٢- المغازي، محمد بن عمر الواقدي، ت: مارسون جولس، عالم الكتب بيروت.

٢٩٣- المغني، عبدالله بن أحمد بن قدامة المقدسي، مكتبة الرياض الحديثة.

٢٩٤- المغني عن حمل الأسفار في تخريج ما في الإحياء من الأخبار (ذيل على الإحياء) زين الدين عبدالرحيم العراقي، دار القلم، بيروت.

٢٩٥- مفتاح دار السعادة، ومنشور ولاية العلم والإرادة، لأبي عبدالله محمد بن القيم، دار الكتب العلمية، بيروت.

٢٩٦- مفردات ألفاظ القرآن، الراغب الأصفهاني، ت: صفوات داوود، دار القلم، دمشق، ط الأولى ١٤١٢هـ.

٢٩٧- المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات، محمد عبدالرحمن المغراوي، دار طيبة الرياض، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٢٩٨- مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين، لأبي الحسين علي بن إسماعيل الأشعري، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، المكتبة العصرية، صيدا، ط عام ١٤١١هـ.

٢٩٩- مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، ناصر عبدالكريم العقل، دار الوطن، الرياض، ط الأولى ١٤١٤هـ.

٣٠٠- المكتفى في الوقف والابتداء في كتاب الله عز وجل، أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، ت: يوسف المرعشلي، الرسالة، ط الثانية ١٤٠٧هـ.

٣٠١- الملل والنحل، لأبي الفتح محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، ت: عبدالعزيز محمد الوكيل، دار الفكر، بيروت.

٣٠٢- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب، عبدالعزيز بن حمد بن معمر، دار ثقيف، الرياض، ط الرابعة ١٤٠٩هـ.

٣٠٣- المنحة الوهبية في رد الوهابية، داود بن جرجيس، مكتبة الحقيقة، تركيا، ط الثانية ١٣٦٤هـ.

٣٠٤- منهاج التأسيس والتقديس في كشف شبهات داود بن جرجيس، عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن آل الشيخ، دار الهداية، الرياض، ط الثانية ١٤٠٧هـ

٣٠٥- منهاج السنة النبوية، أبو العباس بن تيمية، ت: د. محمد رشاد سالم، إدارة الثقافة للنشر بجامعة الإمام، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٠٦- منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب، محمد بن عثمان بن صالح القاضي، مطبعة الحلبي، القاهرة، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٣٠٧- المنهج الأحمد في تراجم أصحاب الإمام أحمد، عبدالرحمن بن محمد العليمي، ت: محمد محيي الدين عبدالحميد، عالم الكتب بيروت، ط الثانية ١٤٠٤هـ.

٣٠٨- مواد لتاريخ الوهابيين، جومان بوركهارت، ترجمة: عبدالله العثيمين، ط الثانية ١٤١٢هـ.

٣٠٩- الموافقات في أصول الشريعة، لأبي إسحاق الشاطبي، شرحه: عبدالله دراز، دار الكتب العلمية بيروت، ط الأولى ١٤١١هـ.

٣١٠- الموضوعات، عبدالرحمن بن علي بن الجوزي، دار الفكر بيروت، ط الثانية ١٤٠٣هـ.

٣١١- الموطأ، للإمام مالك بن أنس، ت: محمد فؤاد عبدالباقي، دار الحديث القاهرة.

٣١٢- موقف الإمام ابن تيمية من التصوف والصوفية، أحمد محمد بناني، جامعة أم القرى، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٣١٣- موقف ابن تيمية من الأشـاعرة، عبدالرحمن صالح المحمود، مكتبة الرشد بالرياض، ط الأولى ١٤١٥هـ.

٣١٤- ميـزان الاعتدال في نقـد الرجال، أبو عبدالله الذهبـي، دار المعرفة بيروت.

٣١٥- الناسخ والمنسـوخ في القرآن العزيز، أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي، ت: محمد بن صالح المديفر، مكتبة الرشد الرياض، ط الأولى ١٤١١هـ.

٣١٦- الناسـخ والمنسـوخ في القرآن الكريم، أبو جعفر النحاس، شـعبان محمد إسماعيل، عالم الفكر، ط الأولى ١٤٠٧هـ.

٣١٧- الناسـخ والمنسـوخ في القرآن الكريـم، ابن حزم الأندلسـي، ت: عبدالغفار البنداري، دار الكتب العلمية، ط الأولى ١٤٠٦هـ.

٣١٨- النبوات، شيخ الإسلام ابن تيمية، دراسة: محمد عبدالرحمن عوض، دار الريان مصر، ط الأولى ١٤٠٥هـ.

٣١٩- نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر، أبو الفرج عبدالرحمن بن الجوزي، ت: محمد عبدالكريم الراضي، مؤسسة الرسالة بيروت، ط الثالثة ١٤٠٧هـ.

٣٢٠- النشر في القراءات العشر، لأبي الخير محمد بن محمد (ابن الجزري)، صححه: علي الضباع، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣٢١- نصـب الراية لأحاديث الهداية مع حاشـيته بغية الألمعي، أبو محمد عبدالله بن يوسـف الزيلعي، مطبوعات المجلس العلمي، الهند، ط الثانية ١٣٩٣هـ.

٣٢٢- نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، برهان الدين البقاعي، مكتبة ابن تيمية، ط الأولى ١٤٠٣هـ.

٣٢٣- نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، القلقشندي، ت: إبراهيم الإبياري الشركة العربية للطباعة والنشر، القاهرة، ط الأولى ١٩٥٩م.

٣٢٤- النهاية في غريب الحديث والأثر، لأبي السعادات ابن الأثير الجزري، ت: طاهر أحمد الزاوي، محمود الطناجي، المكتبة العلمية، بيروت.

٣٢٥- النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد، أبو سليمان جاسم الدوسري، دار الخلفاء، الكويت، ط الأولى ١٤٠٤هـ.

٣٢٦- نور مصباح الزجاجة، علي بن سليمان الدمنتي، المطبعة الوهبية ١٢٩٩هـ.

٣٢٧- نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، محمد بن علي الشوكاني، دار الجيل بيروت، ١٩٧٣م.

٣٢٨- هداية الحيارى في أجوبة اليهود والنصارى، ابن قيم الجوزية، دار الريان مصر.

٣٢٩- الوابل الصيب من الكلم الطيب، ابن قيم الجوزية، دار الكتب العلمية بيروت ١٣٩٨هـ.

٣٣٠- وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، أحمد بن محمد بن خلكان، ت: إحسان عباس، دار صادر بيروت، ١٣٩٧هـ.

٣٣١- الوهابيون والحجاز، محمد رشيد رضا، مطبعة المدار، مصر، ط الأولى ١٣٤٤هـ.

إصدارات دارة الملك عبدالعزيز

١- فهارس كتاب عنوان المجد في تاريخ نجد، السيد أحمد مرسي عباس، ١٣٩٥هـ.
٢- لمع الشهاب في سيرة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، تحقيق الشيخ عبدالرحمن بن عبداللطيف آل الشيخ، ١٣٩٥هـ.
٣- سلسلة قادة الجزيرة - قال الجد لأحفاده، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
٤- سعود الكبير - الإمام سعود بن عبدالعزيز، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
٥- عثمان بن عبدالرحمن المضايفي - عهد سعود الكبير، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
٦- الإمام القائد عبدالعزيز بن محمد بن سعود، عبدالوهاب فتال. (د. ت).
٧- هذا هو كتاب سيرة الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب، أمين سعيد، ١٣٩٥هـ.
٨- المرأة: كيف عاملها الإسلام، الشيخ حسن بن عبدالله آل الشيخ. (د. ت).
٩- الإصلاح الاجتماعي في عهد الملك عبدالعزيز، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٦هـ.
١٠- العرب بين الإرهاص والمعجزة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
١١- بنو هلال بين الأسطورة والحقيقة، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
١٢- رحلات الأوروبيين إلى نجد وشبه الجزيرة العربية، محمد حسين زيدان، ١٣٩٧هـ.
١٣- الملك الشهيد فيصل بن عبدالعزيز ودعوة التضامن الإسلامي، مناع القطان، ١٣٩٦هـ.
١٤- انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ١٣٩٧هـ.
١٥- أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٢، ١٣٩٨هـ.
١٦- تاريخ الدولة السعودية، أمين سعيد، ١٤٠١هـ.
١٧- مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٤٠١هـ.
١٨- الأطلس التاريخي للدولة السعودية، إبراهيم جمعة، ١٣٩٩هـ.
١٩- أمجاد الرياض في حياة المغفور له جلالة الملك عبدالعزيز، شعر محمد العيد الخطراوي، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).
٢٠- محمد بن عثيمين شاعر الملك عبدالعزيز، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ١٣٩٩هـ.
٢١- مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد ابن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب، ١٣٩٩هـ.
٢٢- دليل الدوريات بالمكتبة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٢٣- دليل الوثائق العربية بدارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٢٤- دليل الوثائق التركية الخاصة بالجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٢٥- قائمة ببليوجرافية مختارة من مكتبة دارة الملك عبدالعزيز عن الجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٢٦- دليل دارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٩هـ.
٢٧- أعمال الحلقة الخامسة للمراكز والهيئات العلميّة المهتمة بدراسات الخليج والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٢٨- دراسات في الجغرافية الاقتصادية «المملكة العربية السعودية والبحرين»، د. أحمد رمضان شقلية، ١٤٠٢هـ.
٢٩- الكتاب السنوي الأول للأمانة العامة للمراكز والهيئات العلمية المهتمة بدراسات الخليج العربي والجزيرة العربية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٠١هـ.
٣٠- الأمثال العامية في نجد «٥ أجزاء»، محمد بن ناصر العبودي (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٩هـ.
٣١- حالة الأمن في عهد الملك عبدالعزيز، رابح لطفي جمعة، ١٤٠٢هـ.
٣٢- الملك فيصل والقضية الفلسطينية، د. السيد عليوة، ١٤٠٢هـ.
٣٣- علاقة ساحل عمان ببريطانيا «دراسة وثائقية»، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.
٣٤- سياسة الأمن لحكومة الهند في الخليج العربي، د. عبدالعزيز عبدالغني إبراهيم، ١٤٠٢هـ.
٣٥- عنوان المجد في تاريخ نجد (جزآن)، تأليف عثمان بن بشر، تحقيق: عبدالرحمن ابن عبداللطيف آل الشيخ، ١٤٠٢هـ.
٣٦- المرافئ الطبيعية على الساحل السعودي الغربي «دراسة مقارنة تطبيقية»، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٣هـ.
٣٧- السكان وتنمية الموانئ السعودية على البحر الأحمر، د. محمد أحمد الرويثي، ١٤٠٢هـ.
٣٨- كيف كان ظهور شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب، لمؤلف مجهول، تحقيق: أ.د. عبدالله العثيمين، ١٤٠٣هـ.
٣٩- النفوذ البرتغالي في الخليج العربي في القرن العاشر الهجري/ السادس عشر الميلادي، نوال حمزة الصيرفي (سلسلة الرسائل الجامعية -١)، ١٤٠٣هـ.
٤٠- بلاد الحجاز منذ عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية -٢)، ١٤٠٣هـ.
٤١- العلاقات بين نجد والكويت ١٣١٩-١٣٤١هـ، خالد حمود السعدون (سلسلة الرسائل الجامعية -٣)، ١٤٠٣هـ.
٤٢- السمات الحضارية في شعر الأعشى: دراسة

لغوية وحضارية، زينب عبدالعزيز العمري (سلسلة الرسائل الجامعية -٤)، ١٤٠٣هـ.

٤٣- الملك عبدالعزيز في مرآة الشعر، عبدالقدوس الأنصاري، ١٤٠٣هـ.

٤٤- انتشار دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب خارج الجزيرة العربية، محمد كمال جمعة، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٥- الصهيونية والقضية الفلسطينية في الكونجرس الأمريكي، د. عاصم الدسوقي، ١٤٠٣هـ.

٤٦- مكة في عصر ما قبل الإسلام، السيد أحمد أبو الفضل عوض الله، ط٢، ١٤٠١هـ.

٤٧- أضواء حول الإستراتيجية العسكرية للملك عبدالعزيز وحروبه، محمد إبراهيم رحمو، ط٣، ١٤٠٢هـ.

٤٨- نفح العود في سيرة دولة الشريف حمود، تأليف: عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تحقيق: محمد بن أحمد العقيلي، ١٤٠٢هـ.

٤٩- فهرس مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤١٢هـ.

٥٠- دارة الملك عبدالعزيز: الكتيب الإعلامي الأول للدارة، ١٣٩٨هـ.

٥١- مرافق الحج والخدمات المدنية للحجاج في الأراضي المقدسة، د. سليمان عبدالغني مالكي (سلسلة الرسائل الجامعية -٥)، ١٤٠٨هـ.

٥٢- النثر الأدبي في المملكة العربية السعودية ١٩٠٠- ١٩٤٥م، د. محمد عبدالرحمن الشامخ (أسهمت الدارة في طباعته)، ١٣٩٥هـ.

٥٣- مدينة الرياض: دراسة في جغرافية المدن، د. عبدالرحمن صادق الشريف، ١٣٩٩هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٤- المنهج المثالي لكتابة تاريخنا، محمد حسين زيدان، ١٣٩٨هـ.

٥٥- الدولة السعودية الثانية من ١٢٥٦-١٣٠٩هـ، د. عبدالفتاح أبو علية، ١٣٩٤هـ (أسهمت الدارة في طباعته).

٥٦- لوحة نسب آل سعود، تصميم الدكتور إبراهيم جمعة. (د.ت).

٥٧- جداول تحويل السنين الهجرية إلى ما يقابلها من التواريخ الميلادية، رتبها د. إبراهيم جمعة. (د. ت).

٥٨- الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٣٩٥- ١٤١٥هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٦هـ.

٥٩- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية ١٣٥٨هـ / ١٩٣٩م، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة سارة تاكا هاشي، ط١، ١٤١٦هـ.

٦٠- الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣-١٣٤٦هـ، يوسف ياسين، ١٤١٦هـ.

٦١- الحياة العلمية في نجد منذ قيام دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب وحتى نهاية الدولة السعودية الأولى، د. مي بنت عبدالعزيز العيسى (سلسلة الرسائل الجامعية -٦)، ١٤١٧هـ.

٦٢- مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤١٧هـ.

٦٣- يوميات رحلة في الحجاز، تأليف: غلام رسول مهر، ترجمة: د. سمير عبدالحميد إبراهيم، ١٤١٧هـ.

٦٤- معجم التراث (السلاح)، سعد بن عبدالله الجنيدل، ١٤١٧هـ.

٦٥- جدة خلال الفترة ١٢٨٦-١٣٢٦هـ: دراسة تاريخية وحضارية في المصادر المعاصرة، صابرة مؤمن إسماعيل (سلسلة الرسائل الجامعية -٧)، ١٤١٨هـ.

٦٦- بحوث ندوة الوثائق التاريخية في المملكة العربية السعودية خلال الفترة ١٣-١٥ رجب ١٤١٧هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٧هـ.

٦٧- حوليات سوق حباشة، أ.د. عبدالله بن محمد أبو داهش، ١٤١٨هـ.

٦٨- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية المرحلة الأولى ١٤١٦-١٤١٧هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٦٩- الملك عبدالعزيز في عيون شعراء صحيفة أم القرى (جزآن)، إسماعيل حسين أبو زعنونة، ١٤١٩هـ.

٧٠- رحلة الربيع، فؤاد شاكر، ١٤١٩هـ.

٧١- فجر الرياض، عبدالواحد محمد راغب، ١٤١٩هـ.

٧٢- معجم مدينة الرياض، خالد بن أحمد السليمان، ١٤١٩هـ.

٧٣- الرحلة اليابانية إلى الجزيرة العربية، تأليف إيجيرو ناكانو، ترجمة: سارة تاكاهاشي، ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٤- رحلة داخل الجزيرة العربية، يوليوس أويتنج، ١٤١٩هـ.

٧٥- الملك عبدالعزيز في مجلة الفتح (قائمة ببليوجرافية)، د. فهد بن عبدالله السماري، و د.محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٧٦- الملك ابن سعود والجزيرة العربية الناهضة، د. فان درمولين، ١٤١٩هـ.

٧٧- الرحلات الملكية: رحلات جلالة الملك عبدالعزيز - رحمه الله - إلى مكة المكرمة وجدة والمدينة المنورة والرياض، المنشورة في جريدة أم القرى ١٣٤٣- ١٣٤٦هـ، يوسف ياسين. ط٢، ١٤١٩هـ.

٧٨- خصائص التراث العمراني في المملكة العربية السعودية (منطقة نجد)، د. محمد بن عبدالله النويصر، ١٤١٩هـ.

٧٩- مختارات من الخطب الملكية (جزآن)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٠- نساء شهيرات من نجد، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤١٩هـ.

٨١- مثير الوجد في أنساب ملوك نجد، تأليف راشد بن علي الحنبلي، تحقيق: عبدالواحد محمد راغب. ط٢، ١٤١٩هـ.

٨٢- إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر، للمفترى عليه شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تحقيق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد، محمد بن عبدالله الحميد، ١٤١٩هـ.

٨٣- صفحات من تاريخ مكة المكرمة (جزآن)، تأليف ك. سنوك هورخرونيه، نقله إلى العربية د. علي عودة الشيوخ، ١٤١٩هـ.

٨٤- لماذا أحببت ابن سعود، محمد أمين التميمي، ١٤١٩هـ.

٨٥- ديوان الملاحم العربية، محمد شوقي الأيوبي، تعليق د. محمد بن عبدالرحمن الربيع، ١٤١٩هـ.

٨٦- أصدقاء وذكريات: انطباعات وذكريات أمريكية عن الحياة والعمل في المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط١، ١٤١٩هـ.

٨٧- الطريق إلى الرياض: دراسة تاريخية وجغرافية لأحداث وتحركات الملك عبدالعزيز لاسترداد الرياض ١٣١٩هـ/ ١٩٠١- ١٩٠٢م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٨- الرواد: الملك عبدالعزيز ورجاله الأوفياء الذين دخلوا الرياض في الخامس من شهر شوال سنة ١٣١٩هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٨٩- الزيارة الملكية: زيارة الملك عبدالعزيز التفقدية لشركة أرامكو، شركة أرامكو - لجنة المؤرخين، ترجمه وعلق عليه د. فهد ابن عبدالله السماري، ١٤١٩هـ.

٩٠- يوميات الرياض: من مذكرات أحمد بن

علي الكاظمـي، أحمد بن علـي الكاظمي، ١٤١٩هـ.

٩١- الملـك عبدالعزيز فـي الصحافـة العربية، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤١٩هـ.

٩٢- رحلة استكشافية في وسـط الجزيرة العربية، فيليب ليبنز، ترجمـة محمد محمد الحناش، ١٤١٩هـ.

٩٣- جوانب من سياسـة الملـك عبدالعزيز تجاه القضايـا العربية: دراسـة تحليلية من خلال أوراق نبيـه العظمـة، د. خيريـة قاسـمية، ١٤١٩هـ.

٩٤- معجـم الأمكنة الـوارد ذكرها فـي صحيح البخاري، سعد بن جنيدل، ١٤١٩هـ.

٩٥- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط١، ١٤١٩هـ.

٩٦- المملكـة العربية السـعودية في مئـة عام: معلومات موجزة، دارة الملـك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٧- عبدالعزيز (الكتاب المصـور)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤١٩هـ.

٩٨- أصدقـاء وذكريـات: انطباعـات وذكريات أمريكيـة عن الحيـاة والعمل فـي المملكة العربية السعودية ١٩٣٨م - ١٩٩٨م، تحرير د. فهد بن عبدالله السماري، جيل أ. روبيرج، ط٢، ١٤٢٠هـ.

٩٩- الكشـاف التحليلـي لصحيفـة أم القـرى: القسـم الأول ١٣٤٣هـ- ١٣٧٣هـ / ١٩٢٤م-١٩٥٣م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٠هـ.

١٠٠- الجزيرة العربية في الخرائط الأوروبية القديمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠١- بحوث ندوة الرحلات إلى شبه الجزيرة العربية (٢٩ بحثـاً) ط١، دارة الملـك عبدالعزيز، ١٤٢١هـ.

١٠٢- الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢١هـ.

١٠٣- سلسـلة وثائق المملكـة العربية السـعودية التاريخيـة - القضيـة الفلسـطينية ١٣٤٨- ١٣٧٣هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٤- الملك عبدالعزيز في الإنتاج الفكري العربي المنشور في عام ١٤١٩هـ، عبدالرحمن أحمد فراج، ١٤٢١هـ.

١٠٥- مؤتمر فلسـطين العربي البريطانـي المنعقد في مدينة لندن فـي ١٨ ذي الحجة ١٣٥٧هـ الموافـق ٧ فبرايـر ١٩٣٩م، دارة الملـك عبدالعزيز، ١٤٢٢هـ.

١٠٦- رحلة إلى بلاد العرب، تأليف أحمد مبروك، تعليق د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢١هـ.

١٠٧- محـاولات التدخل الروسـي فـي الخليج العربي، د. نادية بنت وليد الدوسري (سلسلة الرسائل الجامعية -٨). ١٤٢٢هـ.

١٠٨- مدينة الرياض عبر أطوار التاريخ، الشيخ حمد الجاسر، ١٤٢٢هـ.

١٠٩- الجيش السعودي في فلسطين، صالح جمال الحريري، ١٤٢٢هـ.

١١٠- تاريـخ البلاد السـعودية في دليـل الخليج، ج.ج. لوريمر، جمع وتعليق الدكتور محمد ابن سليمان الخضيري، ١٤٢٢هـ.

١١١- اللجان الشعبية لمساعدة مجاهدي فلسطين في المملكة العربية السعودية، عبدالرحيم محمود جاموس، ١٤٢٢هـ.

١١٢- الدولة العيونية في البحرين ٤٦٩- ٦٣٦هـ/ ١٠٧٦- ١٢٣٨م، د. عبدالرحمن بن مديرس المديرس (سلسلة الرسائل الجامعية - ٩)، ١٤٢٢هـ.

١١٣- المملكة العربية السـعودية فـي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سـعود / دليل موجز بأبـرز الإنجازات والمواقف، ط١، د. فهد بن عبدالله السماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٢٢هـ.

114- Najd Before The Salafi Reform Movement، «نجد قبل الدعوة الإصلاحية السـلفية»، د. عويضة بن متيريـك الجهني، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

115- Al-Yamama in the Early Islamic Era. «اليمامـة فـي صـدر الإسـلام»، د. عبدالله بـن إبراهيم العسـكر، ١٤٢٢هـ (باللغة الإنجليزية).

١١٦- التحليق إلـى البيت العتيـق، د. عبدالهادي التازي. (سلسلة كتاب الدارة -١)، ١٤٢٢هـ.

١١٧- الوثائق التاريخية لـوزارة المعارف في عهد وزيرهـا الأول خـادم الحرمين الشـريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود ١٣٧٣- ١٣٨٠هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١١٨- الإقناع لطالب الانتفاع (أربعـة أجزاء)، أبو النجا الحجاوي المقدسي، ١٤٢٣هـ.

١١٩- جامع العلوم والحكم (جـزآن)، ابن رجب الحنبلي، ١٤٢٣هـ.

١٢٠- خـادم الحرمين الشـريفين الملـك فهد بن عبدالعزيز آل سـعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢١- معجم ما ألف عن الحـج، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٣هـ.

١٢٢- برنامج المحافظـة على المـواد التاريخية، دارة الملك عبدالعزيز، مكتبـة الكونغرس، ١٤٢٣هـ.

١٢٣- مبادئ العناية بمـواد المكتبة والتعامل معها، جمـع وتحريـر إدوارد. ب. أدكوك، ترجمة د. عبدالعزيز بن محمد المسفر، د. فؤاد حمد فرسوني، ١٤٢٣هـ.

١٢٤- العلاقات السـعودية المصرية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات ألقيت في الندوة التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع مؤسسة الأهرام، القاهرة (١/ ١٢/ ١٤٢٢هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٣هـ.

١٢٥- علم القراءات: نشأته، أطواره، أثره في العلوم الشرعية، د. نبيل بن محمد آل إسماعيل، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٦- المملكة العربية السـعودية فـي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سـعود/ دليـل موجز بأبـرز الإنجازات والمواقـف، د. فهد بن عبدالله السـماري، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ط٢، ١٤٢٣هـ.

١٢٧- مستخلصات بحوث مجلة الدارة، دارة الملك عبدالعزيز (جزآن)، ١٤٢٣هـ.

١٢٨- الزيارات الخارجية لخادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، نايف بن علي السنيد الشراري، ١٤٢٣هـ.

١٢٩- موقف المملكة العربية السعودية من القضية الفلسـطينية (١٩٢٦-١٩٤٨م)، د. حسان حلاق (سلسلة كتاب الدارة - ٢) ١٤٢٣هـ.

١٣٠- مواقف خادم الحرمين الشريفين الملك فهد ابن عبدالعزيز آل سعود تجاه قضية فلسطين، د. عبدالفتاح حسن أبو علية، ١٤٢٣هـ.

١٣١- العلاقات السـعودية اللبنانية في عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سـعود، دارة الملك عبدالعزيز، الجامعة اللبنانية، ١٤٢٣هـ.

١٣٢- كلمات قضت «معجم بألفاظ اختفت من لغتنا الدارجة أو كادت»، محمد بن ناصر العبودي (جزآن)، ١٤٢٤هـ.

١٣٣- الرحلات إلى شـبه الجزيرة العربية: بحوث نـدوة الرحلات إلى شـبه الجزيـرة العربية المنعقدة في الريـاض في المدة من ٢٤-٢٧ رجب ١٤٢١هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ط٢، ١٤٢٤هـ.

١٣٤- موسوعة أسماء الأماكن في المملكة العربية السعودية، إعداد: دارة الملك عبدالعزيز وهيئة المساحة الجيولوجية السعودية، ١٤٢٤هـ.

١٣٥- التاريخ الشفهي، حديث عن الماضي، تأليف: د. روبرت بيركس، ترجمة د. عبدالله ابن إبراهيم العسكر، ١٤٢٤هـ.

١٣٦- الأساليب التربوية المستمدة من دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب، د. عبدالرحمن بن علي العريني، (سلسلة كتاب الدارة -٣) ١٤٢٤هـ.

١٣٧- طباعة الكتب ووقفها عند الملك عبدالعزيز، عبدالرحمن بن عبدالله الشقير، ١٤٢٤هـ.

١٣٨- مشروع خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود لترميم وتجليد مكتبة الملك عبدالعزيز آل سعود الخاصة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٣٩- المملكة العربية السعودية وحقوق الإنسان في السلم والحرب: إشارات موجزة، د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٢٤هـ.

١٤٠- الأطلس المصور لمكة المكرمة والمشاعر المقدسة، د. معراج بن نواب مرزا، د.عبدالله بن صالح شاووش، ١٤٢٤هـ.

١٤١- مختصر الأطلس التاريخي للمملكة العربية السعودية، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٤هـ.

١٤٢- المملكة العربية السعودية في مئة عام (معلومات موجزة)، إصدار خاص للمكفوفين بخط برايل، طبع بالتعاون مع وزارة المعارف، ١٤١٩هـ.

١٤٣- تغير الأنماط السكنية في مدينة الدرعية، د. بدر بن عادل الفقير، ١٤٢٦هـ.

١٤٤- رحلة الحاج من بلد الزبير بن العوام إلى البلد الحرام، تأليف: سعد بن أحمد الربيعة، أعده للنشر: سعود بن عبدالعزيزالربيعة، (سلسلة كتاب الدارة -٤)، (ط١-١٤٢٤هـ)، (ط٢-١٤٢٩هـ).

١٤٥- الصلات الحضارية بين تونس والحجاز: دراسة في النواحي الثقافية والاقتصادية والاجتماعية (١٢٥٦- ١٣٢٦هـ)، أ. نورة بنت معجب الحامد (سلسلة الرسائل الجامعية -١٠)، ١٤٢٦هـ.

١٤٦- تجارة السلاح في الخليج العربي (١٢٩٧- ١٣٣٣هـ)، أ. فاطمة بنت محمد الفريحي (سلسلة الرسائل الجامعية -١١)، ١٤٢٥هـ.

١٤٧- تجارة الجزيرة العربية خلال القرنين الثالث والرابع للهجرة، التاسع والعاشر للميلاد، د. سعيد بن عبدالله القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية -١٢)، ١٤٢٥هـ.

١٤٨- الحياة العلمية في وسط الجزيرة العربية في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين وأثر دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فيها، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام (سلسلة الرسائل الجامعية -١٣)، ١٤٢٦هـ.

١٤٩- موقف القوى المناوئة من الدولة السعودية الثانية، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية -١٤)، ١٤٢٦هـ.

١٥٠- الحياة الاجتماعية والاقتصادية في الدولة السعودية الثانية (١٢٣٨-١٣٠٩هـ)، حصة بنت جمعان الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية -١٥)، ١٤٢٥هـ.

١٥١- المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (دراسة تقويمية للوضع الراهن)، أ.د. سالم بن محمد السالم، ١٤٢٥هـ.

١٥٢- منطقة سدير في عهد الدولة السعودية الأولى، د. عبدالله بن إبراهيم التركي، (سلسلة الرسائل الجامعية -١٦)، ١٤٢٦هـ.

١٥٣- تاريخ الدولة السعودية الأولى وحملات محمد علي باشا على الجزيرة العربية، تأليف فيلكس مانجان، ترجمة د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٤- لمحات من الماضي «مذكرات الشيخ عبدالله خياط»، عبدالله عبدالغني خياط، ١٤٢٥هـ.

١٥٥- موجز لتاريخ الوهابي، تأليف هارفرد جونز بريدجز، ترجمة د. عويضة بن متيريك الجهني، ١٤٢٥هـ.

١٥٦- التذكرة في أصل الوهابيين ودولتهم، تأليف جان ريمون، ترجمة د. محمد خير البقاعي (سلسلة كتاب الدارة -٥)، ١٤٢٦هـ.

١٥٧- تاريخ الوهابيين منذ نشأتهم حتى عام ١٨٠٩م، تأليف لويس ألكسندر أوليفيه دوكورانسيه، ترجمة د. إبراهيم البلوي، د. محمد خير البقاعي، ١٤٢٦هـ.

١٥٨- الديباج الخسرواني في أخبار أعيان المخلاف السليماني، تأليف الحسن بن أحمد الضمدي، تحقيق أ.د. إسماعيل بن محمد البشري، ١٤٢٥هـ.

١٥٩- دليل المجلات السعودية المحكمة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٠- الرعاية الاجتماعية في المملكة العربية السعودية «النشأة - الواقع»، د. عبدالله بن ناصر السدحان، ١٤٢٥هـ.

١٦١- رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية (الجزء الأول)، تأليف أنطونان جوسن - رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، ١٤٢٥هـ.

١٦٢- الملك فهد قائد حركة الإسلام والعروبة في القرن الخامس عشر الهجري، أحمد بن عبدالغفور عطار، ١٤٢٥هـ.

١٦٣- الوثائق العثمانية في الأرشيفات العربية والتركية: بحوث ندوة الأرشيف العثماني المنعقدة في الرياض في المدة من ١٩-٢٢ صفر ١٤٢٢هـ، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٤- أطباء من أجل المملكة، عمل مستشفيات الإرسالية الأمريكية في المملكة العربية السعودية ١٩١٣-١٩٥٥م، تأليف د. بول أرميردينغ، ترجمة د. عبدالله بن ناصر السبيعي (سلسلة كتاب الدارة - ٦)، ١٤٢٦هـ.

١٦٥- العلاقات بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي - الواقع والمستقبل، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الأول المنعقد في تونس في المدة من ٢- ٤ ربيع الآخر ١٤٢٤هـ/ ٢-٤ يونيو ٢٠٠٣م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٥هـ.

١٦٦- الأمكنة والمياه والجبال والآثار ونحوها المذكورة في الأخبار، تأليف أبي الفتح نصر ابن عبدالرحمن الإسكندري ت ٥٦١هـ، أعده للنشر حمد الجاسر، ١٤٢٥هـ.

١٦٧- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية «المرحلة الأولى ١٤١٦- ١٤١٧هـ»، (ط٢)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٦٨- دبلوماسية الصداقة، إيطاليا والمملكة العربية السعودية ١٩٣٢- ١٩٤٢م، تأليف ماتيو بيتسيغالّو، ترجمة محمد عشماوي عثمان، ١٤٢٥هـ.

١٦٩- ديوان كوكبة السعودية من شعر زين العابدين الكويتي (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة - ٦)، تعليق د. يعقوب يوسف الغنيم، ١٤٢٥هـ.

١٧٠- في أرض البخور واللبان، أ.عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٢٦هـ.

١٧١- الجهود التربوية للجمعيات الخيرية النسائية السعودية، أ. حصة بنت محمد المنيف، (سلسلة الرسائل الجامعية -١٧) ١٤٢٦هـ.

١٧٢- الإدارة العثمانية في متصرفية الأحساء (١٢٨٨-١٣٣١هـ/ ١٨٧١-١٩١٣م)، د. محمد بن موسى القريني، (سلسلة الرسائل الجامعية -١٨)، ١٤٢٦هـ.

١٧٣- سياسة الملك عبدالعزيز تجاه فلسطين في حرب ١٣٦٧هـ/ ١٩٤٨م، د. عبداللطيف

ابن محمد الحميد، (سلسلة كتاب الدارة - ٧)، ١٤٢٦هـ.

١٧٤- كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك عبدالعزيز (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م)، أ.د. ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٦هـ.

١٧٥- معجم التراث (الكتاب الثاني - الخيل والإبل)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٦هـ.

١٧٦- المقامات، تأليف الشيخ عبدالرحمن بن حسن ابن محمد بن عبدالوهاب، دراسة وتحقيق د. عبدالله بن محمد المطوع، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -٥) ١٤٢٦هـ.

١٧٧- لمع الشهاب في سيرة محمد بن عبدالوهاب، تأليف حسن بن جمال بن أحمد الريكي، درسه وحققه وعلق عليه. أ.د عبدالله الصالح العثيمين، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة- ٤) ١٤٢٦هـ.

١٧٨- التعريف بما أنست الهجرة من معالم دار الهجرة، تأليف جمال الدين محمد بن أحمد المطري، درسه وحققه وعلق عليه أ.د. سليمان الرحيلي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة- ٧) ١٤٢٦هـ.

١٧٩- السجل العلمي للقاء العلمي لمسؤولي التحرير في المجلات العلمية المحكمة في المملكة العربية السعودية (١٩/ ٣/ ١٤٢٥هـ الموافق ٨/ ٥/ ٢٠٠٤م)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٠- أسماء الأوعية الجلدية من خلال معجم لسان العرب لابن منظور (دراسة دلالية تأصيلية)، د. محمد بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة - ٨)،١٤٢٦هـ.

١٨١- المختارات من صحيفة أم القرى (١٣٤٣-١٣٧٣هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٢- دُومة الجندل منذ ظهور الإسلام حتى نهاية الدولة الأموية «دراسة تاريخية حضارية»، نايف بن علي السنيد الشراري (سلسلة الرسائل الجامعية -١٩)، ١٤٢٦هـ.

١٨٣- رحلة الحج من صنعاء إلى مكة المكرمة للعلامة إسماعيل جغمان، تحقيق د. محمد ابن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة - ٩)،١٤٢٦هـ.

١٨٤- صحيفة أم القرى «نبذة تاريخية موجزة»، أ. محمد بن عبدالرزاق القشعمي، ١٤٢٦هـ.

١٨٥- وثائق عصر الملك عبدالعزيز المتعلقة بالأمور الداخلية المحفوظة في دارة الملك عبدالعزيز ١٣١٩- ١٣٧٣هـ، د. خولة بنت محمد الشويعر (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٠)، ١٤٢٦هـ.

١٨٦- الكشاف التحليلي لصحيفة صوت الحجاز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٦هـ.

١٨٧- أعمال الملك عبدالعزيز المعمارية في منطقة مكة المكرمة (١٣٤٣-١٣٧٣هـ/ ١٩٢٤-١٩٥٣م)، أ.د.ناصر بن علي الحارثي، ١٤٢٧هـ.

188- LORD OF ARABIA IBN SAUD «ابن سعود سيد الجزيرة العربية»، ARMSTRONG (تأليف أرمسترونج)، ١٤٢٦هـ، (باللغة الإنجليزية).

١٨٩- إمتاع السامر بتكملة متعة الناظر (القسم الثاني من الجزء الأول)، للمفترى عليه شعيب بن عبدالحميد الدوسري، تعليق عبدالرحمن بن سليمان الرويشد ومحمد بن عبدالله الحميِّد وفائز بن موسى البدراني الحربي، ١٤٢٧هـ.

١٩٠- الحياة الاقتصادية في الحجاز في عصر دولة المماليك (٦٤٨-٩٢٣هـ)، محمد محمود خلف العناقرة (سلسلة الرسائل الجامعية -٢١) ١٤٢٧هـ.

١٩١- التنظيمات الداخلية في مكة المكرمة بعد دخول الملك عبدالعزيز آل سعود (١٣٤٣-١٣٥١هـ)، منى بنت قائد آل ثابتة القحطاني (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٢- المملكة العربية السعودية وفلسطين، بحوث ودراسات، بحوث ندوة المملكة العربية السعودية وفلسطين التي نظمتها دارة الملك عبدالعزيز ٢٧- ٢٩ محرم ١٤٢٢هـ/ ٢١-٢٣ إبريل ٢٠٠١م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٧هـ.

١٩٣- النشاط العلمي في مكة والمدينة خلال مواسم الحج في العصر الأموي (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م)، د. إبراهيم بن عبدالعزيز الجميح، (سلسلة كتاب الدارة -١٠)، ١٤٢٧هـ.

١٩٤- قراءة في بعض المذكرات والرسائل الشخصية للشيخ المؤرخ والنسابة إبراهيم ابن عيسى، د. أحمد بن عبدالعزيز البسام، ١٤٢٧هـ.

١٩٥- التطور التاريخي للأسرة في الحجاز في القرنين الأول والثاني الهجريين، هدى بنت فهد بن محمد الزويد (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٣)، ١٤٢٧هـ.

١٩٦- مملكة كندة في وسط شبه الجزيرة العربية: دراسة تاريخية آثارية، د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، (سلسلة كتاب الدارة - ١١)، ١٤٢٧هـ.

١٩٧- النشاط الزراعي في الجزيرة العربية في العصر العباسي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، د. عبدالله بن محمد السيف، (سلسلة كتاب الدارة -١٢)، ١٤٢٧هـ.

١٩٨- زيارة جلالة الملك سعود بن عبدالعزيز آل فيصل آل سعود للولايات المتحدة بدعوة من الرئيس دوايت د. إيزنهاور١٣٧٦هـ/ ١٩٥٧م (أعادت الدارة طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

١٩٩- مجموعة رسوم تذكارية لزيارة صاحب السمو الملكي الأمير سعود آل سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية إلى الظهران خلال شهر يناير ١٩٥٠م (أعادت الدارة طباعته بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠٠- الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود «دراسة تاريخية حضارية معمارية»، محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠١- التعليم في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود (١٣٧٣-١٣٨٤هـ/ ١٩٥٣- ١٩٦٤م) دراسة تاريخية وثائقية، د. حصة بنت جمعان الهلالي الزهراني (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٤)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م).

٢٠٢- مكتبة الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود، ذو القعدة ١٤٢٧هـ/ نوفمبر ٢٠٠٦م)، ١٤٢٧هـ.

٢٠٣- معجم التراث (الكتاب الثالث: بيت السكن)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٤- منطقة الوشم في عهد الدولة السعودية الأولى، د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٥)، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٥- بحوث ندوة أسماء الأماكن الجغرافية في المملكة العربية السعودية: بحوث الندوة التي عقدتها الدارة في المدة من

١٠-١١/ ٣/ ١٤٢٤هـ الموافق ١١-١٢/ ٥/ ٢٠٠٣م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٠٦- دراسة تحليلية مقارنة لنقوش ثمودية من منطقة «رم» بين ثليثوات وقيعان الصنيع جنوب غرب تيماء، د. خالد بن محمد أسكوبي (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٦)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٧- موانئ البحر الأحمر وأثرها في تجارة دولة المماليك، د. خالد محمد سالم العمايرة (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٧)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٨- العلاقات السعودية الأمريكية: نشأتها وتطورها، د. سميرة أحمد سنبل (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٨)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٠٩- عشرة آلاف ميل عبر الجزيرة العربية، تأليف: أرنست وايز، ترجمة: أ. د. عمر بن عبدالله باقبص (سلسلة كتاب الدارة -١٣)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٠- كتب الرحلات في المغرب الأقصى مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين الحادي عشر والثاني عشر الهجريين: دراسة تحليلية نقدية مقارنة، د. عواطف بنت محمد يوسف نواب (سلسلة الرسائل الجامعية -٢٩)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١١- البحث عن الحصان العربي، مأمورية إلى الشرق: تركيا - سوريا - العراق - فلسطين، تأليف ل. أثبيتيا دي مورس، ترجمة د. عبدالله ابن إبراهيم العمير، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٢- معجم التراث (الكتاب الرابع: الأطعمة وآنيتها)، سعد بن عبدالله بن جنيدل، ١٤٢٨هـ / ٢٠٠٧م

٢١٣- الترويح في المجتمع السعودي في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٧٣هـ/ ١٩٠٢-١٩٥٣م، د. عبدالله بن ناصر السدحان (سلسلة كتاب الدارة -١٤)، ١٤٢٨هـ.

٢١٤- خادم الحرمين الشريفين الملك عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٥- مدينتا الجزيرة العربية المقدستان، تأليف إلدون رتّر، ترجمة د. عبدالله نصيف، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م. (طبع ضمن إصدارات مركز تاريخ مكة المكرمة).

٢١٦- العلاقات السعودية البحرينية في عهد الملك عبدالعزيز ١٣١٩-١٣٧٣هـ/ ١٩٠٣-١٩٥٣م، أ. طلال بن خالد الطريفي (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٠)، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٧- رحالة إسباني في الجزيرة العربية: رحلة علي باي العباسي إلى مكة المكرمة سنة ١٢٢١هـ/ ١٨٠٧م، تأليف دومنجو باديا، ترجمة د. صالح بن محمد السنيدي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٨- معجم ما ألف عن مكة المكرمة عبر العصور، د. عبدالعزيز بن راشد السنيدي، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢١٩- التواصل التاريخي والعلمي بين دول الخليج العربية ودول المغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثاني المنعقد في الرياض في المدة من ٢٦-٢٧ المحرم ١٤٢٧هـ/ ٢٥- ٢٦ فبراير ٢٠٠٦م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

٢٢٠- المملكة العربية السعودية في مئة عام: بحوث ودراسات، بحوث مؤتمر المملكة العربية السعودية في مئة عام المنعقد في الرياض خلال المدة ٧-١١ شوال ١٤١٩هـ الموافق ٢٤-٢٨ يناير ١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.

221- Prominent Women From Central Arabia «نساء شهيرات من نجد»، تأليف.دلال بنت مخلد الحربي ، ترجمة. د.محمد أبا حسين ، د. محمد الفريح ، ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٨م. (باللغة الإنجليزية).

٢٢٢- مكتبة الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري ، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ، مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٣- تاريخ التعليم في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، د. بصيرة بنت إبراهيم الداود (سلسلة الرسائل الجامعية -٣١)، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ، مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٤- سياسة الملك فيصل الدعوية ، د. إبراهيم بن عبدالله السماري (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٢) ، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ، مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٥- الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: رؤى وذكريات، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ، مايو ٢٠٠٨م).

٢٢٦- الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك سعود بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ٥-٧ ذي القعدة ١٤٢٧هـ الموافق ٢٦-٢٨ نوفمبر ٢٠٠٦م، دارة الملك عبدالعزيز ، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

٢٢٧- كسوة الكعبة المشرفة في عهد الملك فيصل ابن عبدالعزيز آل سعود: دراسة تاريخية حضارية، أ. محمد بن حسين الموجان ، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود ، جمادى الأولى ١٤٢٩هـ ، مايو ٢٠٠٨م).

228- Kings and camels: an american in saudi arabia «ملوك وجمال: أمريكي في المملكة العربية السعودية» ، تأليف: Grant C. Butler ، ٢٠٠٨م. (باللغة الإنجليزية).

٢٢٩- المجامر القديمة في تيماء: دراسة آثارية مقارنة، أ. محمد بن معاضة بن معيوف، (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٣) ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٢٣٠- التنافس الإنجليزي الفرنسي في شبه الجزيرة العربية في القرن الثالث عشر الهجري - التاسع عشر الميلادي، أ.د. أحمد حسين العقبي، (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٤)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣١- مكتبات الدولة السعودية الأولى المخطوطة: دراسة تحليلية لعوامل انتقالها واندثارها بعد سقوط الدرعية ، أ. حمد بن عبدالله العنقري ، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٢- يوميات حسين عبدالله باسلامة (١٣٤٤هـ/ ١٩٢٥م)، إعداد: أ.د. عبدالله بن حسين باسلامة، (سلسلة كتاب الدارة -١٦)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٣- دول الخليج والمغرب العربيين والمتغيرات الدولية: الواقع والآفاق، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الثالث المنعقد في مدينة فاس بالمملكة المغربية خلال المدة من ١٧-١٩ شوال ١٤٢٨هـ الموافق ٢٩-٣١ أكتوبر ٢٠٠٧م، بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات وجامعة سيدي محمد بن عبدالله، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م.

٢٣٤- في أرض السحر والأحقاف، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٥- مكة المكرمة في عيون رحالة نصارى، تأليف:

أغسطس رالي، تحقيق: د. معراج نواب مرزا، أ.د. محمد محمود السرياني، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٦- الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك فيصل بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ١-٣ جمادى الأولى ١٤٢٩هـ الموافق ٦-٨ مايو ٢٠٠٨م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٧- نهضة الجزيرة العربية، تأليف: د. جورج خير الله، ترجمة: أ. وديع فلسطين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٨- أمثال شعبية من الجزيرة العربية مقتبسة من نصوص شرعية، د. عبدالعزيز بن محمد السدحان، (سلسلة كتاب الدارة -١٧)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٣٩- أطلس الشواهد الأثرية على مسارات طرق القوافل القديمة في شبه الجزيرة العربية، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

٢٤٠- مآل مكتبات علماء المملكة العربية السعودية، أ. أحمد العلاونة، (سلسلة كتاب الدارة -١٨)، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م.

241- Muhammad ibn Abd al-Wahhab: The Man and his Works: «محمد بن عبدالوهاب وأعماله»، تأليف: د. عبدالله بن صالح العثيمين، ١٤٣٠هـ/ ٢٠٠٩م. (باللغة الإنجليزية).

٢٤٢- المعسكر الكشفي الأول «الجامبوري» المنعقد بجدة في شعبان ١٣٧٨هـ، اختيار وإعداد للنشر: د. فهد بن عبدالله السماري، (سلسلة الإصدارات التوثيقية -١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٣- ملامح إنسانية من سيرة الملك عبدالعزيز، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٤- حملة إبراهيم باشا على الدرعية وسقوطها ١٢٣١-١٢٣٣هـ/ ١٨١٦-١٨١٨م، أ. فاطمة بنت حسين القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٥)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٥- «A History Of The Arabian Peninsula» «تاريخ شبه الجزيرة العربية»، تحرير: د.فهد بن عبدالله السماري، ترجمة: د.سلمى الخضراء الجيوسي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م. (باللغة الإنجليزية).

٢٤٦- المقنع، موفق الدين أبي محمد عبدالله بن محمد بن قدامة (٥٤١-٦٢٠هـ)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٧- مرشد الخصائص ومبدي النقائص في الثقلاء والحمقى وغير ذلك، عثمان بن عبدالله بن عثمان الحنبلي، تحقيق وتعليق: أ.د. حمد بن ناصر الدخيل. (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -٨) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٤٨- مكتبة الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود الخاصة، د. فهد بن عبدالله السماري، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٤٩- صدى دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب في البلاد التونسية في عهد الإمام سعود ابن عبدالعزيز ١٢١٨-١٢٢٩هـ/ ١٨٠٣-١٨١٤م، د. التليلي العجيلي، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٠- الكعبة المشرفة عمارة وكسوة في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود «دراسة تاريخية حضارية»، محمد بن حسين الموجان، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الاولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥١- الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥٢- ذكريات وانطباعات عن المملكة العربية السعودية وأرامكو من ثلاثينيات القرن العشرين الميلادي إلى ثمانينياته، إعداد: كارول هيك، ترجمة: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٣- مدونة النقوش النبطية في المملكة العربية السعودية (جزأين)، أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٤- نماذج من الإنجازات التنموية في عهد الملك خالد بن عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الأولى ١٤٣١هـ، مايو ٢٠١٠م).

٢٥٥- مذكرات ناصر بن عبدالعزيز بن فهد الحميدي، دراسة وتعليق: د. ناصر بن محمد الجهيمي، (سلسلة كتاب الدارة -١٥)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٦- فهارس المخطوطات الأصلية في مدينة حائل، أ. حسان بن ابراهيم الرديعان، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٧- العلاقات بين مصر والحجاز ٩٢٣-١٠٠٣هـ/ ١٥١٧-١٥٩٤م، أ. حمساء بنت حبيش الدوسري، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٦)، (ط١) ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م، (ط٢) ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٥٨- أهل العوجا، د. فهد بن عبدالله السماري، (سلسلة مركز توثيق تاريخ الأسرة المالكة -١)، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٥٩- الأبواب والنقوش الخشبية التقليدية في عمارة المنطقة الشرقية بالمملكة العربية السعودية، أ. سعيد بن عبدالله الوايل، ١٤٣١هـ/ ٢٠١٠م.

٢٦٠- مشروع مسح وتوثيق المنشآت الحجرية في محيط عيني فرزان (جزأين)، د. عبدالعزيز بن سعود الغزي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦١- دراسة لآثار موقع عكاظ، د. خليل بن إبراهيم المعيقل، (سلسلة كتاب الدارة -١٩)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٢- نوادر المخطوطات السعودية: نماذج لمجموعة نوادر المخطوطات المحفوظة بدارة الملك عبدالعزيز، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٣- الرسوم الصخرية في سلسلة جبال ثهلان بمحافظة الدوادمي، أ. نايف بن علي القنور، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٤- رثاء الملك عبدالعزيز في الشعر السعودي: دراسة موضوعية فنية، أ. متعب بن عوض الغامدي (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٧)، ١٤٢٣هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٥- الوراقة في منطقة نجد، د. الوليد بن عبدالرحمن آل فريان، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٦- رحلة استكشافية أثرية إلى الجزيرة العربية (ثلاثة أجزاء)، تأليف أنطونان جوسن - رفائيل سافينياك، ترجمة د. صبا عبدالوهاب الفارس، مراجعة أ.د. سليمان بن عبدالرحمن الذييب، أ.د.سعيد بن فايز السعيد، (ط٢)، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٧- المرأة في نجد: وضعها ودورها ١٢٠٠-١٣٥١هـ/ ١٧٨٦-١٩٣٢م، د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٨- حركة الإنسان والأعمال بين دول الخليج والمغرب العربي، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الرابع المنعقد في دولة

الكويت في المدة من ٥-٧ ربيع الاول ١٤٣٠هـ/ ٢-٤ مارس ٢٠٠٩م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومركز دراسات الخليج والجزيرة العربية ومركز الدراسات الإستراتيجية والمستقبلية بجامعة الكويت، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

٢٦٩- نسب آل سعود، أ. فائز بن موسى البدراني، أ. راشد بن محمد بن عساكر، (سلسلة مركز توثيق تاريخ الأسرة المالكة -٢) ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٠- إمارة الأشراف الخواجيين في المخلاف السليماني في النصف الأول من القرن الحادي عشر الهجري ١٠٠٦-١٠٥٣هـ/ ١٥٩٧-١٦٤٣م: دراسة سياسية، د. علي بن حسين الصميلي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧١- طريق الأخرجة: من فيد إلى المدينة المنورة ، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٢- العلاقة بين الملك عبدالعزيز والملك الحسين ابن علي وضم الحجاز ١٣٢٨-١٣٤٤هـ / ١٩١٠-١٩٢٥م، د. أحمد بن يحيى آل فائع، (سلسلة الرسائل الجامعية -٣٨)، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٧٣- الجوانب الصحية في المملكة العربية السعودية من الأربعينيات إلى تسعينيات القرن العشرين الميلادي، (جزأين)، إعداد: كارول هيك، ترجمة: د. عبدالله بن ناصر السبيعي، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -٢)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٤- يوميات رحلة من القاهرة إلى الرياض، تأليف: جورج بيلينكن، ترجمة د. محمد منصور أباحسين، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٥- الأسس التاريخية والفكرية للدولة السعودية، صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م (ط١)، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م (ط٢).

٢٧٦- دراسة جيولوجية لمنطقة الرياض: طبقات الأرض والمياه (تقرير)، ترجمة أ. المنذر عبداللطيف سوقير، (سلسلة إصدارات وحدة توثيق تاريخ مدينة الرياض-١)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٧- ملوك وجمال: أمريكي في المملكة العربية السعودية، تأليف: غرانت سي بتلر، ترجمة: د. عاطف بن فالح يوسف، (سلسلة توثيق تاريخ الزيت في المملكة العربية السعودية -٣)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٨- سهيل فيما جاء في ذكر الخيل، تأليف: الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر، تحقيق: أ. د. عبدالله بن عبدالرحيم عسيلان، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -٩) ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٧٩- موقع العيينة الأثري: دراسة للعصر الحجري في شمال غرب المملكة العربية السعودية، أ. خالد بن فايز الأسمري، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٣٩)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٠- العلاقات السعودية المصرية في عهد الملك فيصل بن عبدالعزيز، د. فاطمة بنت محمد الفريحي، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤٠)، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨١- دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب: من الإحياء والإصلاح إلى الجهاد العالمي، تأليف: د. ناتانا دي لونج باس، ترجمة: د. عبدالله بن إبراهيم العسكر، ١٤٣٣هـ / ٢٠١٢م.

٢٨٢- العرب في ديارهم، تأليف: الطبيب بول و. هاريسون، ترجمة: د. محمد منير الأصبحي، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٣- الملك فهد في مرآة الشعر العربي، أ. قماشة بنت إبراهيم الحبيّب، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٤- خير الدين الزركلي: دراسة وتوثيق، أ. أحمد ابراهيم العلاونة، ١٤٣٣هـ/ ٢٠١٢م.

٢٨٥- صاحب السمو الملكي الأمير سلمان بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٦- نفح العود في أيام الشريف حمود، تأليف عبدالرحمن بن أحمد البهكلي، تكملة: الحسن بن أحمد عاكش، دراسة وتحقيق د. علي بن حسين الصميلي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٠) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٧- منهج عاكش الضمدي في التدوين التاريخي ١٢٢١-١٢٩٠هـ، أ. خالد بن عبدالله الكريري، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤١)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٨- التبر المسبوك في تأريخ معرفة الملوك، تأليف: عمر بن أحمد الهاشمي، تحقيق وتعليق: أ.عبدالرحمن محمد الرفاعي، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١١) ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٨٩- الرسائل الدعوية للأئمة من آل سعود في الدولة السعودية الأولى والدولة السعودية الثانية: دراسة تحليلية، أ. بشير بن عبدالله الفريح، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٠- إنسانية ملك، تأليف: د. عبدالعزيز بن عبدالرحمن الثنيان، (سلسلة كتاب الدارة -٢٠)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩١- جهود الليث بن سعد في التدوين التاريخي، تأليف: د. خالد بن عبدالكريم البكر، (سلسلة كتاب الدارة -٢١)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٢- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، (النسخة المصورة)، تأليف: عبدالله ابن محمد البسام، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٣- رحلة إلى مدائن صالح، تأليف: بيتر كرو، ترجمة: د.محمد زياد كبة، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٤- مشروع مسح المصادر التاريخية الوطنية «المرحلة الثانية ١٤٢٦-١٤٢٩هـ»، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٥- عبدالله بن خميس في مجمع الخالدين: دراسة وجمع لبحوث ابن خميس المقدمة لمجمع اللغة العربية بالقاهرة، جمع: د. محمد بن عبدالرحمن الربيّع، (طبع بمناسبة انعقاد اللقاء العلمي عن الأديب عبدالله بن محمد بن خميس، ربيع الآخر ١٤٣٤هـ/ فبراير ٢٠١٣م).

٢٩٦- الدر الثمين في ذكر المناقب والوقائع لأمير المسلمين، تأليف: حسن بن أحمد اليمني (عاكش)، تحقيق: د. أحمد بن محمد بن حميد، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٧- إعمار الهجر، آليات إنتاج العمران: تثليث - عسير، د. هند بنت حسن القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤٣)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٨- المملكة العربية السعودية في القرن التاسع عشر الميلادي، تأليف: ريتشارد بايلي وايندر، مراجعة وتعليق: د. فهد بن عبدالله السماري، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٢٩٩- غالية البقمية: حياتها ودورها في مقاومة حملة محمد علي باشا على تربة، أ.د. دلال بنت مخلد الحربي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٠- الدرعية نشأةً وتطوراً في عهد الدولة السعودية الأولى، أ.د. عبدالله الصالح العثيمين، (سلسلة كتاب الدارة -٢٢)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠١- تاريخ الوهابيين وحياة العرب الاجتماعية، تأيف: آندرو كرايتون، ترجمة: أ.د. عبدالله الصالح العثيمين، (سلسلة كتاب الدارة -٢٣)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٢- مقالات علمية في نظم المعلومات الجغرافية التاريخية، لمجموعة من

المؤلفين، ترجمة: د. حسن عبدالعزيز أحمد، المركز السعودي لنظم المعلومات الجغرافية التاريخية بدارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٣- دليل الكتابة التاريخية، تأليف: ماري لين رامبولا، ترجمة د. تركي بن فهد آل سعود، د. محمد بن عبدالله الفريح، (سلسلة كتاب الدارة -٢٤)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٤- ملاحظات عن البدو والوهابيين، تأليف: جون لويس بوركهارت، ترجمة وتعليق: أ.د. عبدالله الصالح العثيمين، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٢م.

٣٠٥- لقاء رضوى وأثره على الأوضاع السياسية في العالم العربي ١٣٦٤هـ/ ١٩٤٥م: دراسة تاريخية وثائقية، أ. د. خليفة بن عبدالرحمن المسعود، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٦- حسن الصحابة في شرح أشعار الصحابة، جابي زاده علي فهمي، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٧- أحمد بن مشرف: حياته وشعره، ليلى بنت سعد المغنم، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤٤)، ١٤٣٤هـ/ ٢٠١٣م.

٣٠٨- معجم البلدان والقبائل في شبه الجزيرة العربية والعراق وجنوبي الأردن وسيناء (١٢ مجلداً)، ترجمة وتعليق: أ. د. عبدالله بن ناصر الوليعي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣٠٩- قاموس الأدب والأدباء في المملكة العربية السعودية (ثلاثة أجزاء)، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٠- الإدارة العثمانية وأنظمتها في الحجاز في عهد السلطان عبدالحميد الثاني ١٢٩٣-١٣٢٧هـ / ١٨٧٦-١٩٠٩م، د. دايل بن علي الخالدي، (سلسلة الرسائل الجامعية -٤٥)،١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١١- الكشاف التحليلي لمجلة الدارة ١٤١٥-١٤٣٣هـ، أ. نبيل بن صامل الصامل، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٢- الملك عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود والشيخ عيسى بن علي آل خليفه ١٣٠٩-١٣٥٢هـ / ١٨٩١-١٩٣٢م، طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية عن تاريخ الشيخ عيسى بن علي آل خليفة «بين التدوين والتوثيق» بمملكة البحرين، في المدة من ١٢-١٣ رجب ١٤٣٥هـ الموافق ١١-١٣مايو ٢٠١٤م، بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز ومركز عيسى الثقافي، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٣- موضع غزوة حنين : بحث وتحقيق، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٤- كتاب الإشارة إلى معرفة منازل السبعة السيارة، تأليف: العلامة عثمان بن عبدالله بن بشر، دراسة وتحقيق: د. محمد بن سعد المقرّي. (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٣)، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٥- الأعلاق، تحقيق أ. سعد بن محمد آل عبداللطيف، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٤)، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٦- رد محمد بن ربيعة على أحمد بن منقور في مسألة الحكم على المدعى عليه غيابياً سنة ١١١٦هـ/ ١٧٠٤، مراجعة وتعليق: أ. أيمن بن عبدالرحمن الحنيحن، (سلسلة كتاب الدارة -٢٥)، ١٤٣٥هـ/ ٢٠١٤م.

٣١٧- حاشية كتاب التوحيد للامام الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب، تحقيق: د. خالد بن ابراهيم الدبيان، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٥)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣١٨- العمارة بمدينة جدة في العصر العثماني (جزآن)، د. عبدالله بن زاهر الثقفي، (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٦)، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣١٩- أثر التعليم العالي في توثيق الصلات العلمية والتربوية بين دول الخليج والمغرب العربيين، بحوث المؤتمر العلمي الخليجي المغاربي الخامس المنعقد في الجمهورية الجزائرية في المدة من ٣-٥ المحرم ١٤٣٣هـ / ٢٨-٢٩ نوفمبر ٢٠١١م بالتعاون بين دارة الملك عبدالعزيز وجامعة أبو بكر بلقايد بمدينة تلمسان، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٠- موسوعة الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود (١٠ مجلدات)، دارة الملك عبدالعزيز، (طبع بمناسبة انعقاد الندوة العلمية عن تاريخ الملك فهد بن عبدالعزيز آل سعود، جمادى الآخرة ١٤٣٦هـ، مارس ٢٠١٥م).

٣٢١- مضيف ثليم، د. ناصر بن محمد الجهيمي، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٢- دليل الطرق في شبه الجزيرة العربية (جزآن)، إعداد: الأدميرالية البريطانية ومكتب الحرب، ترجمة: أ.د. عبدالله بن محمد نصيف، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٣- الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود: بحوث ودراسات، بحوث الندوة العلمية لتاريخ الملك خالد بن عبدالعزيز آل سعود التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز في المدة ٢٥-٢٧ جمادى الأولى ١٤٣١هـ الموافقة ٩-١٠ مايو ٢٠١٠م، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٤- مخطوطات المدينة المنورة، دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٥- الأحوال الصحية العامة في الحجاز عام ١٣٠٧هـ/ ١٨٩٠، تقرير مخطوط باللغة العثمانية أعدّه القائمقام الطبيب محمد شاكر القيصري، ترجمة: د. مصطفى محمد زهران، مراجعة: د. مسعد بن سويلم الشامان، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٦- صاحب السمو الملكي الأمير نايف بن عبدالعزيز آل سعود: خطب وكلمات، دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٧- الدولة العثمانية والملك عبدالعزيز في ضوء المصادر العثمانية (١٣١٩-١٣٣٦هـ/ ١٩٠٢-١٩١٨م)، د. سعيد بن محمد القحطاني، (سلسلة الرسائل الجامعية – ٤٧)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٨- تحفة المشتاق في أخبار نجد والحجاز والعراق، تأليف: عبدالله بن محمد البسام، دراسة وتحقيق: د. أحمد بن عبدالعزيز البسام، (سلسلة مصادر تاريخ الجزيرة العربية المخطوطة -١٦)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٣٢٩- المملكة العربية السعودية وجامعة الدول العربية: مواقف ووثائق، دارة الملك عبدالعزيز، (صدر بمناسبة مرور سبعين عاماً على تأسيس جامعة الدول العربية ١٩٤٥-٢٠١٥م)، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٥م.

٣٣٠- سوق مجنة: بحث في تحقيق موضعه، أ. عبدالله بن محمد الشايع، ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣١- مكة المكرمة والمدينة المنورة: صور ومقتنيات متحف طوبقابي دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٢- السجل التوثيقي للقاء العلمي عن الأديب الشيخ عبدالله بن خميس بحوث اللقاء العلمي عن الأديب عبدالله بن خميس التي عقدتها دارة الملك عبدالعزيز بالتعاون مع النادي الأدبي بالرياض في المدة ١٩-٢٠ ربيع الآخر ١٤٣٥هـ الموافق ١٩-٢٠ فبراير ٢٠١٤م دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٣- مصطلحات التاريخ العثماني معجم موسوعي مصور اعداد: د. صالح سعداوي

صالح (سلسلة وحدة الدراسات العثمانية ١) ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٤- عبدالعزيز بن أحمد السديري ١٣٢٧ ١٣٧٥هـ د. نايف بن علي السنيد الشراري ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٤- عبدالعزيز بن أحمد السديري ١٣٢٧ - ١٣٧٥هـ د. نايف بن علي السنيد الشراري ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٥- فؤاد حمزة: مذكرات ووثائق (١٣٤٢هـ-١٣٧٢هـ/ ١٩٢٤م-١٩٥١م) (جزآن) إعداد وتعليق: د. فهد بن عبدالله السماري ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٦- الكتاتيب النسائية في إقليم الوشم خلال قرن (١٢٨١-١١٣٨١هـ) أ. عبدالله بن ناصر المجيول ١٤٣٧هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٧- مذكرات أحمد علي بن أسدالله الكاظمي ـ(جزآن) اعداد: د. فهد بن عبدالله السماري ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٨- محمد أسد من غاليسيا إلى البلاد العربية ١٩٠٠-١٩٢٧م تأليف: جونثر فندهاغر ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٣٣٩- تاريخ شبه الجزيرة العربية (باللغة الفارسية) ترجمة: دارة الملك عبدالعزيز تحرير د.فهد بن عبدالله السماري ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٣٤٠- تاريخ شبه الجزيرة العربية (باللغة الصينية) ترجمة: دارة الملك عبدالعزيز تحرير د.فهد بن عبدالله السماري ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٣٤١- تاريخ شبه الجزيرة العربية (باللغة الالمانية) ترجمة: دارة الملك عبدالعزيز تحرير د.فهد بن عبدالله السماري ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٦م.

٣٤٢- جهود المملكة العربية السعودية في خدمة الأسماء الجغرافية دارة الملك عبدالعزيز ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.

٣٤٣- الإبل: أسماؤها أوصافها طباعها فوزان بن حمد الماضي (طبع مصاحباً لتنظيم الدارة مهرجان الملك عبدالعزيز للإبل ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م).

٣٤٤- فهرس ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب تأليف: الشيخ عثمان بن عبدالله بن بشر دراسة: د. هشام بن محمد السعيد ١٤٣٨هـ ٢٠١٧م.

٣٤٥- تفسير علماء الدعوة في نجد إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري: جمع ودراسة أ.د. محمد بن سريع السريع (سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٨)، ١٤٣٨هـ/ ٢٠١٧م.



ص.ب: ٢٩٤٥ – الرياض ١١٤٦١ – المملكة العربية السعودية
هاتف: ٤٠١١٩٩٩/ ٠١١ – فاكس: ٤٠١٣٥٩٧/ ٠١١

P.O.Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A. - Tel: 011\4011999 Fax: 011\4013597
البريد الإلكتروني: info@darah.org.sa - موقع الإنترنت:www.darah.org.sa


/darahfoundation


/darahfoundation



/AddarahTube


@darahFoundation


darah.org.sa

فهذه معية قرب تتضمن الموالاة والنصر والحفظ وكلا المعيتين مصاحبة منه للعبد لكن هذه مصاحبة اطلاع وإحاطة، وهذه مصاحبة موالاة ونصر وإعانة.

فـ (مع) في لغة العرب للصحبة اللائقة، لا تشعر بامتزاج ولا اختلاط ولا مجاورة، ولا مجانبة، فمن ظن شيئاً من هذا فمن سوء فهمه أتي.

وأما القرب: فلم يقع في القرآن إلا خاصاً، وهو نوعان: قربه من داعيه بالإجابة، وقربه من عابده بالإثابة.

فالأول: كقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ ولهذا نزلت جواباً للصحابة رضي الله عنهم، وقد سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه؟» فأنزل الله عز وجل هذه الآية[١].

والثاني: كقوله صلى الله عليه وسلم: «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»[٢]، و«أقرب ما يكون العبد من ربه في جوف الليل»[٣]، فهذا قربه من أهل طاعته.

وفي الصحيح عن أبي موسى رضي الله عنه، قال: كنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم في سفر، فارتفعت أصواتنا بالتكبير، فقال: «يا أيها الناس اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم، ولا غائباً، إن الذي تدعونه سميع قريب، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته»[٤]، فهذا قرب خاص بالداعي، دعاء العبادة، والثناء، والحمد»[٥].

---

(١) رواه ابن جرير في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى﴾ (٢/ ٩٢).
وانظر: الدر المنثور (١/ ٤٦٩).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) رواه النسائي، كتاب المواقيت، باب النهي عن الصلاة بعد العصر (١/ ٢٧٩)، وابن ماجه كتاب إقامة الصلاة والسنة فيها، باب: ما جاء في الساعات التي تكره فيها الصلاة (١/ ٣٩٦) من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه وصححه الألباني. صحيح الجامع (١/ ٣٨٠).

(٤) رواه مسلم كتاب الذكر باب استحباب خفض الصوت بالذكر (١٧/ ١٩١)، ومعنى «اربعوا على أنفسكم» قال النووي في الموضع السابق: معناه ارفقوا بأنفسكم، واخفضوا أصواتكم. ا.هـ.

(٥) مختصر الصواعق المرسلة (٤٠٩-٤١٣) باختصار وتصرف.

وهذا القرب: لا ينافي كمال مباينة الرب لخلقه، واستواءه على عرشه، بل يجامعه ويلازمه، فإنه ليس كقرب الأجسام بعضها من بعض، تعالى الله علواً كبيراً، ولكنه نوع آخر، والعبد في الشاهد: يجد روحه قريبة جداً من محبوب بينه وبينه مفاوز، تنقطع فيها أعناق المطي، ويجده أقرب إليه من جليسه، كما قيل:

ألا رب من يدنو ويزعم أنه يحبك والنائي أحب وأقرب[١]

وأهل السنة أولياء رسول الله ﷺ وورثته، وأحباؤه الذي هو عندهم أولى بهم من أنفسهم وأحب إليهم منها يجدون نفوسهم أقرب إليه -وهم في الأقطار النائية عنه- من جيران حجرته في المدينة، والمحبون المشتاقون للكعبة البيت الحرام، يجدون قلوبهم وأرواحهم أقرب إليها من جيرانها ومن حولها.

هذا مع عدم تأتي القرب منها، فكيف بمن يقرب من خلقه كيف يشاء؟ وهو مستو على عرشه، وأهل الذوق لا يلتفتون في ذلك إلى شبهة مبطل بعيد عن الله، خلي من محبته ومعرفته، والقصد: أن هذا القرب يدعو صاحبه إلى ركوب المحبة، وكلما ازداد حباً ازداد قرباً، فالمحبة بين قربين: قرب قبلها، وقرب بعدها، وبين معرفتين: معرفة قبلها حملت عليها، ودعت إليها، ودلت عليها، ومعرفة بعدها هي من نتائجها وآثارها[٢].

قال تعالى: ﴿كَانَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَبَعَثَ ٱللَّهُ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۖ فَهَدَى

(١) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (٢/ ٢٥٥) دون عزو، وكذا ذكره القشيري في لطائف الإشارات باختلاف يسير (٢/ ١٥٤) دون عزو.

(٢) الدرر السنية (٣/ ٣٠٧-٣٠٩).

ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [البقرة: ٢١٣].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

روى ابن جرير بسنده عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على شريعة الحق، فاختلفوا فبعث الله النبيين مبشرين ومنذرين» قال: وكذلك في قراءة عبدالله[1]، (كان الناس أمة واحدة فاختلفوا)[2]، وكذلك كان أبي بن كعب يقرؤها[3].

والمعنى أن الناس كانوا على ملة آدم حتى عبدوا الأصنام، فبعث الله تعالى إليهم نوحاً عليه السلام وكان أول رسول إلى أهل الأرض، ولهذا قال: ﴿وَأَنزَلَ مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ فِيمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِۚ وَمَا ٱخْتَلَفَ فِيهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ أُوتُوهُ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْۖ ﴾.

أي بعد ما قامت عليهم الحجج، وما حملهم على ذلك إلا البغي من بعضهم على بعض ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦۗ ﴾.

روي عن أبي هريرة رضي الله عنه في هذه الآية قال: قال رسول الله: «نحن الآخرون الأولون يوم القيامة، نحن أول الناس دخولاً الجنة، بيد أنهم أوتوا الكتاب من قبلنا، وأوتيناه من بعدهم فهدانا الله لما اختلفوا فيه من الحق

---

(١) يعني ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) ابن جرير (٤/ ٢٧٥)، ورواه الحاكم في المستدرك كتاب التاريخ باب ذكر نوح عليه السلام (٢/ ٥٤٦)، وقال: صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، وعزاه في الدر المنثور للبزار وابن المنذر وابن أبي حاتم (١/ ٥٨٢).

(٣) روى ذلك ابن جرير عنه في تفسير الآية (٤/ ٢٧٨)، وعزاه في الدر المنثور (١/ ٥٨٢) إلى ابن أبي حاتم، وانظر: المحرر الوجيز (١/ ٢٨٦).

بإذنه، فهـذا اليوم الذي اختلفوا فيـه فهدانا الله له، فالناس لنـا فيه تبع فغداً لليهود وبعد غد للنصارى»[١].

كما روى عبدالـرزاق عن معمر[٢] عـن ابن طاووس[٣] عـن أبيه[٤] في الآية: «اختلفوا في يوم الجمعة فاتخذ اليهود يوم السـبت، واتخذ النصارى يوم الأحد، فهـدى الله أمة محمد، واختلفوا في القبلة فاسـتقبلت النصارى المشـرق، واليهود بيت المقدس، فهدى الله أمة محمد للقبلة، واختلفوا في الصلاة، فمنهم من يركع ولا يسـجد، ومنهم من يسـجد ولا يركع، ومنهم من يصلي وهو يمشـي، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في إبراهيم فقالت اليهود كان يهودياً، وقالت النصارى كان نصرانياً، وجعله الله حنيفاً مسـلماً، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك، واختلفوا في عيسـى، فكذبت به اليهود، وقالوا لأمـه بهتاناً عظيماً، وجعلته النصـارى ابناً وولداً، وجعله الله تعالى روحه وكلمته، فهدى الله أمة محمد للحق من ذلك»[٥].

---

(١) رواه البخاري كتاب الجمعة باب فرض الجمعة (١/ ٢١١)، ومسلم كتاب الجمعة باب هداية هذه الأمة ليوم الجمعة (٦/ ٤٥٦).

(٢) معمر بن راشد الأزدي مولاهم، أبو عروة البصري، رحل إلى اليمن وأخذ عنه أهلها روى عن الزهري وقتادة وجماعة، وعنه عبدالرزاق والسفيانان وغيرهم مات سنة ١٥٣هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٤٣).

(٣) عبدالله بن طاووس بن كيسان اليماني، أبو محمد روى عن أبيه وعكرمة، وعنه معمر والسفيانان، ثقة عابد فاضل توفي سنة ١٣٢هـ.
انظر: الكاشف (٢/ ٨٨)، تقريب التهذيب (٣٠٨) رقم (٣٣٩٧).

(٤) طاووس بن كيسان اليماني، أبو عبدالرحمن الحميدي مولاهم روى عن ابن عباس وعائشة وغيرهما، وعنه ابنه والزهري وجماعة.
قال الذهبي: طاووس كان شيخ أهل اليمن وفقيههم له جلالة عظيمة وكان كثير الحج فاتفق موته بمكة قبل التروية بيوم سنة ست ومئة، وصلى عليه هشام بن عبدالملك الخليفة رحمة الله عليه. ا.هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٩٠)، تهذيب التهذيب (٥/ ٨).

(٥) لم أجده فيما بين يدي من مراجع عن طاووس. ورواه الطبري عن ابن زيد (٤/ ٢٨٤) بلفظ مقارب جداً، وهو عند ابن كثير (١/ ٢٥٠)، والسيوطي في الدر (١/ ٥٨٣) عن زيد، ولم يعزه السيوطي إلا لابن أبي حاتم فقط.

وقال الربيع بن أنس في قوله تعالى: ﴿فَهَدَى ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَا ٱخْتَلَفُواْ فِيهِ مِنَ ٱلْحَقِّ بِإِذْنِهِۦ﴾: «عند الاختلاف، أنهم كانوا على ما جاءت به الرسل قبل الاختلاف، أقاموا على الإخلاص لله عز وجل وحده، وعبادته لا شريك له، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، قاموا على الأمر الأول قبل الاختلاف، واعتزلوا الاختلاف وكانوا شهداء على الناس يوم القيامة، شهداء على قوم نوح وقوم هود وقوم صالح وقوم شعيب وآل فرعون أن رسلهم قد بلغوهم، وأنهم كذبوهم»(١).

وكان أبو العالية يقول: «في هذه الآية المخرج من الشبهات والضلالات والفتن»(٢).

وقوله: ﴿بِإِذْنِهِۦ﴾ أي بعلمه بهم وبما هداهم له. ﴿وَٱللَّهُ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ من خلقه بفضله وكرمه ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ يفضي به إلى جنات النعيم، وله الحكمة التامة الباهرة، والحجة البالغة القاهرة.

وفي هذه الآية الكريمة من الدلالة على ذم الافتراق، ومدح الاجتماع والاتفاق ما لا يخفى على من له من الفهم أدنى مذاق(٣)(٤).

قال تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ يُقَٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ ٱسْتَطَٰعُواْۚ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٢١٧].

---

(١) ابن جرير (٤/ ٢٨٥).

(٢) رواه ابن جرير الموضع السابق.

(٣) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٢٥٠).

(٤) العقد الثمين (ص ٢٣٨-٢٤٠).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أخبر تعالى أن الكفار لا يزالون يقاتلون المسلمين حتى يردوهم عن دينهم إن استطاعوا، ولم يرخص في موافقتهم خوفاً على النفس والمال والحرمة، بل أخبر عمن وافقهم بعد أن قاتلوه ليدفع شرهم أنه مرتد، فإن مات على ردته بعد أن قاتله المشركون فإنه من أهل النار الخالدين فيها، فكيف بمن وافقهم من غير قتال؟

فإذا كان من وافقهم بعد أن قاتلوه لا عذر له عرفت أن الذين يأتون إليهم ويسارعون في الموافقة لهم من غير خوف ولا قتال أنهم أولى بعدم العذر وأنهم كفار مرتدون[1].

قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

سئل الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله:

عن قول من قال في قول الخضر[2] لموسى: «ما نقص علمي وعلمك

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٥٨).

(٢) الخضر بفتح أوله وكسر ثانيه أو كسر أوله وسكون ثانيه، بليا بن ملكان - وقيل غير ذلك - سمي خضراً لأنه جلس على فروة -حشيش- بيضاء فإذا هي تهتز من خلفه خضراء، وقيل: إن أكثر العلماء على أنه ليس بنبي، وعليه فأبوبكر أفضل منه، وقيل: بل الذي عليه الجمهور القول بنبوته. وهو غير معمر ولا موجود الآن، ومن قال بتعميره تمسك بروايات ضعيفة أو قصص عن الصوفية ونحوها.
انظر: البداية والنهاية (١/ ٣٢٦)، الفتاوى (٤/ ٣٣٧)، فتح الباري (٦/ ٤٣٣، ٤٣٤)، تفسير القرطبي (٢/ ٤٧٤)، (١١/ ١٦)، مدارج السالكين (٢/ ٤٧٥)، روح المعاني (١٥/ ٣٢٠).

من علم الله إلا كما نقص هذا العصفور من البحر»[١]، وقال: «إن المراد بعلم الله معلومه».

فأجاب: هذا على طريق أهل التأويل[٢] في صفات الرب سبحانه، كما يقول البيضاوي[٣] وأمثاله في قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ «أي: من معلومه[٤]، وأما مفسرو أهل السنة كابن جرير والبغوي[٥] وابن كثير فأقروه على ظاهره فقالوا: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَ﴾ أي: لا يطلع أحد من علم الله على شيء إلا بما علمه الله تعالى، وأطلعه عليه»[٦].

وقول الخضر يشهد له قول الله عز وجل: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا

---

(١) رواه البخاري كتاب العلم باب ما يستحب للعالم إذا سئل أي الناس أعلم فيكل العلم إلى الله (١/ ٢١٧) «فتح»، ومسلم، كتاب الفضائل، باب فضائل الخضر (١٥/ ٥١٨).

(٢) التأويل: حمل كلام الله وكلام رسول الله ﷺ على خلاف مادل عليه اللفظ وما يفهم منه ويزعمون أن العقل دل على هذا التأويل وهم الجهمية والمعتزلة ومن تابعهم في ذلك.
انظر: الفتاوى (٤/ ٦٧).

(٣) عبدالله بن عمر البيضاوي المفسر الأصولي، وهو في الاعتقاد على مذهب الأشاعرة في تأويل الصفات ونحوها.
انظر: المفسرون بين التأويل والإثبات في آيات الصفات (٢/ ٩٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٨٩).

(٤) قال البيضاوي في التفسير: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَىْءٍ مِّنْ عِلْمِهِۦٓ﴾ من معلوماته. أنوار التنزيل (١/ ١٣٤).

(٥) الحسين بن مسعود بن محمد البغوي أبو محمد الشافعي، يعرف بابن الفراء ويلقب محيي السنة، كان إماماً في التفسير والحديث والفقه، زاهداً ورعاً له مصنفات نافعة منها تفسيره: معالم التنزيل وشرح السنة والمصابيح وغير ذلك، وكان لا يلقي درسه إلا على طهارة. مات عام ٥١٦هـ وقد جاوز الثمانين.
انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٣٨)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٦٨).

(٦) هذه عبارة ابن كثير في التفسير (١/ ٣٠٩).
انظر: ابن جرير (٥/ ٣٩٦)، والبغوي (١/ ٣١٢).

قَلِيلًا ﴾[١]، وهل يسوغ أن يقال: وما أوتيتم من المعلوم إلا قليلاً؟! وقال تعالى: ﴿ لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾[٢].

قال ابن كثير: «﴿ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦ﴾أي فيه علمه الذي أراد أن يطلع العباد عليه، من البينات والهدى والفرقان، وما يحبه الله ويكرهه، وما فيه من العلم بالغيوب، وما فيه من ذكر صفاته المقدسة، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ ﴾[٣]، وقال الخضر لموسى: «إني على علم من علم الله لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمك إياه لا أعلمه»[٤].

فهذا كله: يبطل قول من تأول العلم بالمعلوم، وأي محذور في إجرائه على ظاهره؟![٥].

---

(١) الإسراء: ٨٥.
(٢) النساء: ١٦٦.
(٣) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٨٩) باختصار يسير.
(٤) سبق تخريج الحديث.
(٥) الدرر السنية (٣/ ٢٦٩-٢٧٠).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ [آل عمران: ٧].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يخبر تعالى أن في القرآن آيات محكمات أي: بينات واضحات الدلالة لا التباس فيها على أحد، ومنه آيات أخر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس أو بعضهم، فمن رد ما اشتبه عليه إلى الواضح منه، وحكَّم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى، ومن عكس انعكس، ولهذا قال: ﴿هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ أي: أصله الذي يرجع إليه عند الاشتباه ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٞۖ﴾ أي: تحتمل دلالتها موافقة المحكم، وقد تحتمل أشياء أخرى من حيث اللفظ والتركيب لا من حيث المراد»[1].

«ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ أي: ضلال، وخروج عن الحق إلى الباطل ﴿فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ أي: إنما يأخذون منه بالمتشابه الذي يمكنهم أن يحرفوه إلى مقاصدهم الفاسدة، وينزلوه عليها لاحتمال لفظه لما يصرفونه.

فأما المحكم فلا نصيب لهم فيه؛ لأنه دافع لهم، وحجة عليهم، ولهذا قال: ﴿ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ﴾ أي: الإضلال لأتباعهم إيهاماً لهم أنهم يحتجون على بدعتهم بالقرآن، وهو حجة عليهم لا لهم»[2]. انتهى.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤).

(٢) المرجع السابق (١/ ٣٤٥).

وقال ابن عباس: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ﴾ يعني أهل الشك؛ فيحملون المحكم على المتشابه، والمتشابه على المحكم، ويُلبسون فلبَّس الله عليهم»[١].

﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ قال: «تأويله يوم القيامة لا يعلمه إلا الله» رواه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم[٢]، وقوله: ﴿وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ تقدم كلام ابن عباس.

وقال مقاتل والسدي: «يبتغون أن يعلموا ما يكون، وما عواقب الأشياء من القرآن»[٣].

قلت: فهذا التأويل[٤] الذي انفرد الله بعلمه هو العلم بحقائق الأشياء وما تؤول إليه وعواقبها، كالإخبار بما يكون، وما في الجنة من النعيم، وما في النار من العذاب؛ فإن هذه الأمور وإن علمناها لكن العلم بحقائقها مما لا يعلمه إلا الله.

ولهذا قال ابن عباس: «ليس في الدنيا مما في الجنة إلا الأسماء»[٥].

---

(١) رواه ابن جرير (٦/ ١٨٥)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٥)، وابن المنذر.
انظر: الدر المنثور (٢/ ١٤٧).

(٢) رواه ابن جرير (٦/ ١٩٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٦٩)، وابن المنذر كما في الدر (٢/ ١٤٧).

(٣) الأثر عن السدي رواه ابن جرير (٦/ ١٩٩).
انظر: الأثرين عند ابن كثير (١/ ٣٤٥).

(٤) التأويل يأتي على معان ثلاثة:
الأول: الحقيقة التي يؤول إليها الشيء وهذا هو المعنى الذي يراد بلفظ التأويل في الكتاب والسنة، فتأويل الخبر وقوع المخبر به وتأويل الأمر فعل المأمور به.
الثاني: التفسير وهو اصطلاح كثير من المفسرين.
الثالث: صرف اللفظ عن ظاهره الذي يدل عليه إلى ما يخالف ذلك لقرينة تدل على ذلك، وتسمية هذا بالتأويل لم يكن معروفاً عند السلف، وسيأتي حديث الشيخ قريباً عن هذا المعنى.
انظر: الفتاوى (٤/ ٦٨)، (٥/ ٣٥)، أضواء البيان (١/ ٢٦٧).

(٥) رواه ابن جرير (١/ ٣٩٢)، وابن أبي حاتم (١/ ٨٩).
مراد الشيخ هنا أن الأسماء والمعاني معروفة ولكن الكيفيات مجهولة لا يعلمها إلا الله.

فعلى هذا يكون الوقف على الجلالة كما روي عن جماعة من السلف[١].

وقيل: الوقف على قوله: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ﴾ أي: ما يعلم تأويله إلا الله والراسخون في العلم، فأما أهل الزيغ فلا يعلمون تأويله، على هذا فالمراد بتأويله هو تفسيره وفهم معناه، وهذا هو المروي عن ابن عباس وجماعة من السلف.

قال ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس: «أنا من الراسخين الذين يعلمون تأويله»[٢]، وقال مجاهد: «والراسخون في العلم يعرفون تأويله، ويقولون آمنا به»[٣]، وكذا قال الربيع بن أنس[٤] وغيره[٥].

فقد تبين -ولله الحمد- أنه ليس في الآية حجة للمبطلين في جعلهم ما أخبر الله به من صفات كماله هو المتشابه[٦]، ويحتجون على باطلهم

---

(١) منهم ابن عباس في رواية وعائشة وأبيّ وعمر بن عبدالعزيز وأبو الشيخ وأبو نهيك وعروة ومالك والكسائي والفراء والأخفش وأبو عبيد واختاره ابن جرير والبغوي ورجحه ابن قدامة والشنقيطي وغيرهم.
انظر: ابن جرير (٦/ ٢٠١)، ابن كثير (١/ ٣٤٦)، الروضة (١/ ٢٨٠)، معالم التنزيل (٢/ ١٠)، فتح القدير (١/ ٣١٥)، أضواء البيان (١/ ٢٧٠).

(٢) رواه ابن جرير (٦/ ٢٠٣).

(٣) رواه ابن جرير، الموضع السابق.

(٤) رواه ابن جرير، الموضع السابق.

(٥) وقال به: محمد بن جعفر بن الزبير واختاره الزمخشري.
انظر: المكتفى للداني (١٩٥-١٩٦)، إيضاح الوقف والابتداء للأنباري (٢/ ٥٦٥)، الطبري (٦/ ٢٠٣)، الكشاف (١/ ١٧٥)، القرطبي (٤/ ١٧)، الفتاوى (١٣/ ٢٧٥).

(٦) وقد رد شيخ الإسلام ابن تيمية على من زعم ذلك في رسالته «الإكليل في المتشابه والتأويل».
انظر: المسألة في الفتاوى (١٣/ ٢٩٤).
وانظر رد الشيخ الدوسري عليهم في تفسيره (٤/ ٣٤)، وما أخبر الله به من صفات كماله هو من المحكم باعتبار معانيه ومن المتشابه باعتبار كيفيته فلا يعلمها إلا الله كما قال الإمام مالك لما سئل عن الاستواء قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول... إلخ.
راجع: الفتاوى (١٣/ ٣١٢).

بهذه الآية، فيقال: وأين في الآية ما يدل على مطلوبكم؟ وهل جاء نص عن الله أو عن رسوله ﷺ أنه جعل ما وصف به نفسه، أو وصفه به رسوله متشابهاً؟! ولكن أصل ذلك أنهم ظنوا أن التأويل المراد في الآية هو صرف اللفظ عن ظاهره إلى ما يحتمله اللفظ لدليل يقترن بذلك.

وهذا هو اصطلاح كثير من المتأخرين، وهو اصطلاح حادث، فأرادوا حمل كلام الله على هذا الاصطلاح فضلوا ضلالاً بعيداً، وظنوا أن لنصوص الصفات تأويلاً يخالف ما دلت عليه، لا يعلمه إلا الله كما يقوله أهل التجهيل[١]، أو يعلمه المتأولون كما يقوله أهل التأويل[٢].

قال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١٨ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ وَمَا ٱخۡتَلَفَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۗ وَمَن يَكۡفُرۡ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ١٩﴾ [آل عمران: ١٨-١٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

عن الزبير بن العوام رضي الله عنه قال سمعت رسول الله ﷺ وهو بعرفة يقرأ ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ فقال: «وأنا على ذلك من الشاهدين»[٣].

---

(١) وهم الذين يقولون: إن معاني النصوص مجهولة لنا فلا يعلمها أحد من السلف ولا الصحابة بل ولا رسول الله ﷺ. وقولهم من أفسد الأقوال وشرها.
انظر: الفتاوى (٤/ ٦٨).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٥١٦-٥١٨.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده (١/ ١٦٦) رقم (١٤٢١)، وابن أبي حاتم (٢/ ١٤٦)، وقال =

رواه الإمام أحمد عن أبي يحيى[١] مولى الزبير بن العوام.

ورواه ابن أبي حاتم من وجه آخر قال: حدثنا علي بن حسين[٢] حدثنا محمد ابن المتوكل العسقلاني[٣] قال: حدثنا عمر بن حفص بن ثابت[٤] حدثنا عبدالملك بن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير[٥] عن

= الشيخ أحمد شاكر في تحقيق المسند (٣/ ١٥): إسناده ضعيف.

وعرفة، ويقال: عرفات مشعر من مشاعر الحج المكانية، تقع عن مكة قريباً من أربعة عشر كيلو متراً، وهي خارج حدود الحرم، وحدودها من بطن عرنة إلى جبال عرفة من الجهة الأخرى. سميت بذلك لأن جبريل عرف إبراهيم المناسك، فلما وقفه بعرفة قال: عرفت؟ قال: نعم، فسميت عرفة.

وقيل: لأن آدم وحواء تعارفا بها بعد نزولهما من الجنة.

وقيل: لأن الناس يعترفون بذنوبهم في ذلك الموقف.

وقيل: غير ذلك والله أعلم.

انظر: تاريخ مكة للفاكهي (٥/ ٦)، تاريخ مكة للأزرقي (٢/ ٥٩٣)، معجم البلدان (٤/ ١٠٤).

(١) أبو يحيى مولى آل الزبير، روى عنه أبو سعيد الأنصاري، ذكره الحافظ في التعجيل (ص ٥٢٧)، وذكر حديثه هذا.

(٢) علي بن الحسين بن الجنيد أبو الحسن الإمام الحافظ، جمع حديث مالك رحمه الله، كان بصيراً بالرجال والعلل، توفي عام ٢٩١هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٦٧١).

(٣) محمد بن المتوكل بن عبدالرحمن الهاشمي مولاهم العسقلاني المعروف بابن أبي السري، صدوق عارف له أوهام، مات عام ٢٣٨هـ.
انظر: التقريب (٥٠٤) رقم (٦٢٦٣)، الكاشف (٣/ ٨٢).

(٤) عمر بن حفص بن ثابت بن محمد، روى عن أبيه عن النعمان بن بشير، يكنى بأبي سعيد.
انظر: التاريخ الكبير للبخاري (٦/ ١٤٩)، الجرح والتعديل (٦/ ١٠٢).

(٥) عبدالملك بن يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام الأسدي، روى عن عروة بن الزبير، وعنه الوليد بن مسلم، قدم بغداد أيام المهدي، كان يقوم بحوائج أهل العراق ويطالب بها، توفي وهو ابن ثلاث وستين.
انظر: الجرح والتعديل (٥/ ٣٧٥)، التاريخ الكبير (٥/ ٤٣٨).

أبيه[١] عن جده[٢] عن الزبير بن العوام قال: سمعت رسول الله ﷺ حين قرأ هذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ..﴾ قال: «وأنا أشهد أي رب»[٣].

وروى الطبراني[٤] في معجمه بسنده إلى غالب القطان[٥] أنه سمع الأعمش[٦] يتهجد من الليل، فمر بهذه الآية ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ ﴿١٩﴾﴾ فقال: وأنا أشهد الله بما شهد به، وأستودع الله هذه الشهادة وهي لي عند الله وديعة ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ

(١) يحيى بن عباد بن عبدالله بن الزبير بن العوام، روى عن أبيه وجده وغيرهما، وعنه: هشام بن عروة وموسى بن عقبة وغيرهما، ثقة فاضل، مات وهو ابن ست وثلاثين سنة.
انظر: الكاشف (٣/ ٢٢٨)، تهذيب التهذيب (١١/ ٢٣٤).

(٢) عباد بن عبدالله بن الزبير، روى عن أبيه وجدته أسماء وغيرهما وعنه: ابنه يحيى وابن عمه هشام، ثقة فاضل، كان قاضي مكة لأبيه، وكان يستخلفه إذا حج.
انظر: الكاشف (٢/ ٥٥)، تهذيب التهذيب (٥/ ٩٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم (٢/ ١٤٦)، وانظر: ابن كثير (١/ ٣٥٢)، والدر المنثور (٢/ ١٦٥).

(٤) الإمام أبو القاسم سليمان بن أحمد بن أيوب اللخمي الطبراني، ولد عام ٢٦٠هـ كان إماماً حافظاً حجة، له مصنفات نافعة منها: المعاجم الثلاثة الكبير والأوسط والصغير، ودلائل النبوة وغيرها، توفي عام ٣٦٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٦/ ١١٩)، البداية والنهاية (١١/ ٢٧٠).

(٥) غالب بن خطاف القطان، أبو سليمان البصري، روى عن الحسن والأعمش وغيرهما، وعنه شعبة وابن علية، وغيرهما، وثقه الإمام أحمد وابن معين والنسائي وغيرهم.
انظر: الكاشف (٢/ ٣٢١)، تهذيب التهذيب (٨/ ٢٤٢).

(٦) سليمان بن مهران الأعمش، أبو محمد الكوفي، الإمام الحافظ، ولد عام ٦١هـ، روى عن: أنس بن مالك وسعيد بن جبير ومجاهد وغيرهم، وعنه: الأوزاعي وشعبة وغالب القطان وغيرهم، قال وكيع: كان الأعمش قريباً من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى، كان ثقة حجة ومع ذلك كان مدلساً رحمه الله، توفي عام ١٤٧هـ. وقيل غير ذلك.
انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٤٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٢٦).

ٱلْإِسْلَٰمُ ﴾ قالها مراراً، وذكر أنه سأله هل سـمع فيها شيئاً؟ فقال: أو ما بلغك ما فيها؟ قال رسـول الله ﷺ: «يجاء بصاحبها يوم القيامة، فيقول الله عز وجل: عبدي عهد إلـي وأنا أحق من وفى بالعهد، أدخلوا عبدي الجنة»[١].

وفي قوله ﷺ في حديث سـؤال جبريل النبي ﷺ عن الإسلام والإيمان والإحسان المروي عن جماعة من الصحابة، وخرجاه في الصحيحين، وفي آخره: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»[٢].

ويعلم مطابقة ودلالة لما ذكرنـا أقول: هذه الآيـات المحكمات بكفر الكتابيين، والمشـركين من الأميين[٣] حاكمـة، وبراهينها القاطعة لظهورهم قاصمة، وكفى بأصدق الشـاهدين والقائلين شـهيداً، وبما تضمنته للعادلين عنها وعيداً، شهد سبحانه وتعالى أنه المتفرد بالألوهية بجميع الخليقة، وأن الموجودات علوها وسفلها جميعهم عبيده، وخلقه والفقراء إليه في الحقيقة، وأنه الغني عمن سواه، وله الغناء المطلق العام، والفضل السابغ التام كما قال

---

(١) رواه الطبراني في الكبير (١/ ٨٥)، وقال في مجمع الزوائد: رواه الطبراني في الكبير وفيه عمرو بن المختار ضعيف (٦/ ٣٢٥) وفيه: فقال: أو ما بلغك ما فيها؟ قلت: أنا عندك منذ شهر لم تحدثني، قال: فوالله لا أحدثك بها إلى سنة، فأقمت سنة، فكنت على بابه، فلما مضت السنة قلت: يا أبا محمد قد مضت السنة، قال: حدثني أبو وائل عن عبدالله قال: قال رسول الله ﷺ... الحديث.

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان باب بيان الإسلام والإيمان والإحسان (١/ ١٢٦)، وروى البخاري هذه اللفظة تعليقاً، كتاب الإيمان باب سؤال جبريل للنبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان (١/ ١٨).

(٣) الكتابيون: هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى.
والمشركون الأميون: هم عبدة الأوثان الذين لا كتاب لهم من مشركي العرب وغيرهم، قال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ ﴾ [الجمعة: ٢].

تعالى: ﴿لَّٰكِنِ ٱللَّهُ يَشۡهَدُ بِمَآ أَنزَلَ إِلَيۡكَۖ أَنزَلَهُۥ بِعِلۡمِهِۦۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَشۡهَدُونَۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾(١).

ثم قرن تعالى شهادة الملائكة والعاملين بالعلم من حملته، بشهادة ذاته العلية، وفيها للعلماء منقبة جلية(٢)، وبين وحدانيته بنصب الدلائل الدالة عليها، وكرر ذلك بقوله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ للتأكيد ومزيد الاعتناء بمعرفة أدلة التوحيد، والحكم به بعد إقامة الحجة، ﴿ٱلۡعَزِيزُ﴾ الذي لا يرام جنابه عظمة وكبرياء، ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ في أفعاله وأقواله وشرعه وقدره.

قوله: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ اتفقت كلمة أهل الحق من السلف والخلف ومن بعدهم على ما تضمنته هذه الأخبار من الله أن الدين عند الله الإسلام ولا يقبل من أحد سواه، وهو اتباع الرسل فيما بعثهم الله به في كل حين، من أولهم حتى ختمهم بأفضل النبيين محمد سيد المرسلين، فسد الله تعالى جميع الطرق إليه إلا من جهة نبينا محمد ﷺ، فمن لقي الله تعالى بعد إرساله محمداً وبعثته بدين على غير دينه وشرعه، فهو من الضالين الهالكين، كما قال تعالى: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ﴾(٣).

ثم أخبر جل جلاله أن الذين أوتوا الكتاب الأول، إنما اختلفوا بعد ما قامت الحجة عليهم بإنزال الكتب وإرسال الرسل إليهم بغى بعضهم على

---

(١) النساء: ١٦٦.
(٢) انظر: ما ذكره ابن القيم -رحمه الله- من وجوه دلالة هذه الآية على فضل العلم وأهله. مفتاح دار السعادة (١/ ٤٨-٤٩).
(٣) آل عمران: ٨٥.

بعض، وحملهم على ذلك الحسد والبغض، فاختلفوا في الحق للتدابر والتحاسد وآل بهم الحال إلى مخالفته في الأقوال والأفعال والتجاحد.

ومن جحد ما أنزله الله في الكتاب، فإن الله يجازيه على ذلك يوم الحساب ويعذبه أشد العقاب.

وقوله تعالى: ﴿فَإِنْ حَآجُّوكَ﴾ أي جادلوك في التوحيد، ﴿فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِىَ لِلَّهِ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِ﴾ أي فقل أخلصت لله العبادة بأنواعها، وتبرأت من ملة الشرك وأتباعها، وكفرت بما يعبد من أتباعها.

وقد ختم هذه الآية بقوله: ﴿فَإِنْ أَسْلَمُواْ فَقَدِ ٱهْتَدَواْ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْاْ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾ يعني أن الله يهدي من يشاء برحمته وفضله، ويضل من يشاء بإرادته وعدله، وله في ذلك الحكمة الباهرة والحجة البالغة القاهرة[١][٢].

قال تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً ۗ وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ٢٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

نهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ الكافرين أولياء وأصدقاء وأصحاباً من دون المؤمنين وإن كانوا خائفين منهم، وأخبر أن من فعل ذلك فليس من الله في شيء أي لا يكون من أولياء الله الموعودين بالنجاة في الآخرة.

---

(١) راجع: تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٣-٣٥٤).
(٢) العقد الثمين، ص ٦٨-٧١.

قال الله تعالـى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنۡهُمۡ تُقَىٰةٗ﴾[١] وهو أن يكون الإنسـان مقهوراً معهم لا يقـدر على عداوتهم[٢] فيظهر لهم المعاشـرة وقلبه مطمئن بالبغضاء والعداوة وانتظار زوال المانع، فإذا زال رجع إلى العداوة والبغضاء، فكيف بمن اتخذهم أولياء من دون المؤمنين من غير عذر إلا استحباب الدنيا على الآخرة والخوف من المشركين وعدم الخوف من الله؟[٣].

فما جعل اللـه الخوف منهم عذراً[٤] بل قـال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَٰلِكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ يُخَوِّفُ أَوۡلِيَآءَهُۥ فَلَا تَخَافُوهُمۡ وَخَافُونِ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾[٥][٦].

وقال أيضاً رحمه الله:

قال بعض المفسرين: فهو أن يوالوا الكافرين لقرابة بينهم أو صداقة قبل الإسلام أو غير ذلك من الأسباب التي يتصادق بها ويتعاشر.

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ يعني أن لكم في مـوالاة المؤمنين مندوحة عن موالاة الكفار فلا تؤثروهم عليهم.

---

(١) التقاة: مصدر: تقيته أتقيه تقاة. انظر: لسان العرب (١٥/ ٤٠٢).
قال الحافظ في الفتح: هي الحذر من إظهار ما في النفس من معتقد وغيره. الفتح (١٢/ ٣١٤)، وانظر: منهاج السنة (٣/ ٢٦٠).

(٢) وذهب بعض أهل العلم إلى أن المراد: إلا أن يكون بينكم وبينهم قرابة فصلوها.
قال ابن العربي: «وهذا وإن كان جائزاً في الدين فليس بقوي في معنى الآية» أحكام القرآن (١/ ٢٦٨)، وهذا ما رجحه الطبري (٦/ ٣١٦).

(٣) ذهب بعض أهل العلم إلى أن التقية هي في أول الإسلام فقط، والصواب أنها إلى يوم القيامة متى قام المقتضي لها. راجع: القرطبي (٤/ ٥٧)، البغوي (٢/ ٢٦).

(٤) مراد الشيخ أن الخوف بمجرده لا يعد مبيحاً لإظهار موالاة الكفار بل لابد أن يصل إلى درجة الإكراه -كما سيبينه بعد قليل- بأن يكون مقهوراً لهم أو تحت ولايتهم ونحو ذلك.
راجع: كلام البغوي فإنه مفيد (٢/ ٢٦)، وانظر: كشف الشبهات (٥٧-٥٨).

(٥) آل عمران: ١٧٥.

(٦) الدرر السنية (٧/ ٥٨-٥٩).

﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ ٱللَّهِ فِى شَىْءٍ﴾ أي ومن يتول الكفرة فليس من ولاية الله في شيء يقع عليه اسم الولاية يعني أنه منسلخ من ولاية الله رأساً، وهذا أمر معقول، فإن موالاة الولي وموالاة عدوه متنافيان.

﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾ فرخص[١] في موالاتهم إذا خافوهم فلم يحسنوا معاشرتهم إلا بذلك وكانوا مقهورين لا يستطيعون إظهار العداوة لهم، فحينئذ تجوز المعاشرة ظاهرة والقلب مطمئن بالعداوة والبغضاء[٢] ينتظر زوال المانع[٣] كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾[٤].

قال ابن عباس: «ليس التقية بالعمل إنما التقية باللسان»[٥] وقال أيضاً: «نهى الله المؤمنين أن يلاطفوا الكفار ويتخذوهم وليجة من دون المؤمنين إلا أن يكون الكفار ظاهرين، فيظهرون لهم اللطف ويخالفونهم في الدين، وذلك قوله: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً﴾» ذكره ابن جرير وابن أبي حاتم[٦][٧].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ

---

(١) مما ينبغي أن يعلم أن التقية رخصة وليست عزيمة وأن المرء إن علم من نفسه أنه يقوى على الإعلان فهو أفضل. زاد المسير (١/ ٣٧٢).

(٢) وهذا من الشروط التي ينبغي أن تلاحظ وهو أن يكون القلب مطمئناً بالإيمان ومضمراً لعداوة المشركين.

(٣) الكشاف (١/ ٥٤٤) باختصار يسير.

(٤) النحل: ١٠٦.

(٥) رواه ابن جرير (٦/ ٣١٥) من طرق ومثله عن أبي العالية والضحاك والربيع وأبي الشعثاء، راجع: ابن جرير الموضع السابق، والدر المنثور (٢/ ١٧٦)، وابن كثير (١/ ٣٥٧).

(٦) رواه ابن جرير (٦/ ٣١٣) من طريق علي، وابن أبي حاتم (٢/ ١٨٧)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ١٧٦).

(٧) الدرر السنية (٧/ ٧٠).

﴿ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝٣١ قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ ۖ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ ۝٣٢﴾ [آل عمران: ٣١-٣٢].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

هذه الآية المحكمة، لأساس أعمال أكثر الناس هادمة، وعليها بالبدع والضلال والأهواء حاكمة، فكل من ادعى محبة الله -عز وجل- وليس على طريقة نبيه المرسل، فقد بلغ -والله- الغاية القصوى في الزور والكذب والدعوى، بل هو في الخلد الأبدي، والعذاب السرمدي[١]، حتى يتبع الشرع المحمدي ويقتدي بدين نبيه ويهتدي. فيا لها من آية عظيمة الشأن والمقدار، جسيمة الفوائد والأسرار، يفضح مضمونها غالب العمال، ويفضح[٢] مكنونها برد ما لهم من الأعمال، وتنبئ بخيبة الرجاء لهم والآمال، وقطع الأسباب التي أملوا بها القرب من الله والاتصال.

وذلك أنهم لم يقم فيهم برهانها، ولم يظهر على صفحات أعمالهم سلطانها، فإن لك قول حقيقة، ومن شغف بمحبوب سلك طريقه.

قال الحسن البصري: «قال أصحاب النبي ﷺ: يا رسول الله إنا نحب ربنا حباً شديداً، فأحب الله تعالى أن يجعل لحبه علماً فأنزل الله تعالى هذه الآية»[٣].

---

(١) السرمدي: الدائم، انظر: لسان العرب (٣/ ٢١٢).

(٢) هكذا في الأصل ولعل الأقرب: ويفصح.

(٣) رواه ابن جرير من طريقين عن الحسن رحمه الله تعالى (٦/ ٣٢٢)، وروى مثله ابن أبي حاتم (٢/ ٢٠٥).

قال غيره من السلف: «زعم قوم أنهم يحبون الله تعالى فابتلاهم بهذه الآية فقال: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ﴾»[١].

أي يحصل لكم فوق ما طلبتم من محبتكم إياه هو محبته إياكم، وهو أعظم من الأول، كما قال بعض الحكماء والعلماء: «ليس الشأن أن تُحِب[٢] إنما الشأن أن تُحَب»[٣].

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ باتباعكم الرسول ﷺ والعمل على منهاجه، والأخذ بما جاءكم به، وترك ما نهاكم عنه، فهذا حقيقة الاتباع الذي رتب الله عليه لمن اتصف به المحبة التي هي غاية المطلوب للمحب من المحبوب، التي يندرج تحتها التجاوز عن الذنوب ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ﴾ لكل من لقيه لا يشرك به شيئاً ﴿رَّحِيمٌ﴾ بعباده المؤمنين.

﴿قُلْ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ﴾ أمر جل جلاله كل خاص وعام أن يطيعه في جميع ما أنزل من الأمر والنهي وسائر الأحكام، ﴿وَٱلرَّسُولَ﴾ قرن سبحانه طاعته فيما أنزل بطاعة رسوله فيما بين وفصل، ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟﴾ تخالفوا وتعرضوا على أمره المبين، ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فدل على أن مخالفته في الطريقة كفر صراح في الحقيقة، والله تعالى لا يحب من اتصف بالكفر ورجسه وإن ادعى وزعم أنه يحب الله ويتوب إليه في نفسه، حتى يتابع خاتم الرسل، ورسوله

---

(١) رواه ابن جرير بمعناه عن ابن جريج (٦/ ٣٢٣)، وذكره ابن كثير بنصه مبهماً كما ذكره المؤلف (١/ ٣٥٨).
وقد جاء في سبب نزول الآية ما رواه ابن جرير عن محمد بن جعفر بن الزبير أنها في وفد نصارى نجران ورجحه ابن جرير لاقتضاء السياق له (٦/ ٣٢٤)، وراجع: أسباب النزول للواحدي (١٠٥-١٠٦).

(٢) في العقد الثمين يحب بالياء والصواب المثبت أعلاه بالتاء كذا في تفسير ابن كثير (١/ ٣٥٨).

(٣) انظر: ابن كثير الموضع السابق، والنبوات لابن تيمية (ص ١٢٤).

إلى العالم جنه وإنســه، الذي لو كان الأنبياء، بل المرســلون بل أولو العزم المرسلون من إخوانه أحياء لما وسعهم إلا اتباعه، والدخول في طاعته واتباع شريعته في زمانه.

واتضح بما قررنــاه أن كل من ادعى محبــة الله الكريم، ولــم يتبع نبيه القويم، فهو علــى غير الصراط المســتقيم، بل هو كاذب فــي دعواه، مؤثر على الحق متابعة هواه، قد تيمم الطريق المعوج، وسلك أقبح المنهج، ومع كونه توســط من الضلال سنناً[١]، يرى سوء عمله حســناً، وأي محبة تجدي والمحب يعصي محبوبه، ولا يحصل قصــده ومطلوبه، بل يخالف ويتعدى حدوده، ويجعل من دونه حبه وإلهه ومعبوده.

وقال بعض العارفين[٢]:

تعصي الإلــه وأنــت تزعم حبه	هذا لعمري في القياس شنيع
لو كــان حبك صــادقــاً لأطعته	إن المحب لمن يحب مطيع

فهــذه الدعوى التــي زعمها الملحدون، وتســمى بهــا المبطلون، هي التي ادعاها قريش والمشــركون، فكانوا بعبادة مــن عبدوه إلى الله يتقربون، وقد حكى الله تعالى عنهم أنهم قالوا: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[٣].

---

(١) أي طريقاً. انظر: معجم مقاييس اللغة مادة: سن (٣/ ٦٠).

(٢) هذان البيتان ينسبان لأكثر من شاعر، فقد عزاهما البيهقي في الشعب (١/ ٣٨٦) لأبي العتاهية، وفي تفسير الثعلبي لقوله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ ﴾ .آل عمران/ ٣١ نسبه لابن المبارك وكذا في تاريخ دمشق. ونسبه الطاهر بن عاشور في التحرير والتنوير (١/ ١٨٣) لمحمود الوراق، أو منصور الفقيه.

(٣) الزمر: ٣.

فأذاقهم الله تعالى من بأسه هلاكاً وحتفاً، وأذهب غيظ قلب نبيه وأصحابه منهم وأشفى، واستبيحت دماؤهم وأموالهم، وساءت للكافرين منهم أحوالهم، وصار إلى الجحيم عاقبتهم ومآلهم. ﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ﴾[١].

بل ادعاها قبلهم النصارى واليهود، مع إصرارهم على قتل الأنبياء وتكذيب الرسل والجحود، فلعنهم الله وغضب عليهم، وجعل منهم الخنازير والقرود ﴿ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعْتَدُونَ﴾[٢][٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أولياء الله هم المحبوبون عند الله المتبعون للرسول ﷺ باطناً وظاهراً[٤]، ومن كان بخلاف هذا فليس بمؤمن فضلاً عن أن يكون ولياً لله تعالى، وإنما أحبهم الله تعالى لأنهم والوه، فأحبوا ما يحب، وأبغضوا ما يبغض، ورضوا بما يرضى وسخطوا ما يسخط، وأمروا بما يأمر، ونهوا عما ينهى، وأعطوا من يحب أن يعطى، ومنعوا من يحب أن يمنع، وأصل الولاية المحبة والقرب، وأصل العداوة البغض والبعد[٥].

وقال رحمه الله: فلما كثر المدعون لمحبة الله طولبوا بإقامة البينة فجاءت هذه الآية ونحوها[٦].

---

(١) الأحقاف: ٢٨.

(٢) البقرة: ٦١، آل عمران: ١١٢، المائدة: ٧٨.

(٣) العقد الثمين، (ص ١٣٠-١٣٣).

(٤) راجع في مسألة المحبة: منزلة المحبة في مدارج السالكين (٣/ ٦)، باب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ في تيسير العزيز الحميد، (ص ٤٠٩).

(٥) تيسير العزيز الحميد، (ص ٣٤٥، ٣٤٦).

(٦) تيسير العزيز الحميد، (ص ٤١٤).

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

أمره الله أن يدعو أهل الكتاب إلى أن يخلصوا العبادة لله وحده، ولا يشركوا فيها أحداً من خلقه، فإنهم كانوا يعبدون أنبياءهم كالمسيح ابن مريم، ويعبدون أحبارهم ورهبانهم[١].

وتأمل قوله: ﴿كَلِمَةٍ[٢] سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ﴾ وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسوله ﷺ إلى جميع من أرسل إليه كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُواْ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾[٣].

وقوله: ﴿وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ تعم كل شرك دق أو جل كثر أو قل[٤].

قال العماد ابن كثير في تفسيره: «هذا الخطاب مع أهل الكتاب من اليهود

---

(١) فليس الخلاف في كونهم لايعبدون الله فإنهم كانوا يعبدونه، ولكن الخلاف في أنهم يشركون مع الله آلهة أخرى، فأمروا بالتوحيد. راجع: كشف الشبهات (٢/ ٤).

(٢) والكلمة هي -كما بينها الشيخ- المفسرة بقوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وهي كما قال المفسرون: لا إله إلا الله. قال ابن الجوزي: فإن قيل: فهذه كلمات، فلم قال كلمة؟ فعنه جوابان، أحدهما: أن الكلمة تعبر عن ألفاظ وكلمات قال اللغويون: ومعنى كلمة: كلام فيه شرح قصة وإن طال. تقول العرب: قال زهير في كلمته، يراد في قصيدته. الثاني: أن المراد بالكلمة كلمات فاكتفى بالكلمة من كلمات، زاد المسير (١/ ٤٠١) باختصار، وراجع: البغوي (٢/ ٤٩)، معاني القرآن للزجاج (١/ ٤٢٥)، البحر المحيط (٢/ ٥٠٦).

(٣) الرعد: ٣٦.

(٤) وذلك لأن ﴿شَيْـًٔا﴾ نكرة في سياق النفي فتعم.

والنصارى ومن جرى مجراهم وقوله: ﴿سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـࣰٔا﴾ لا وثناً ولا صنماً، ولا صليباً ولا طاغوتاً، ولا ناراً ولا شيئاً، بل نفرد العبادة لله وحده لا شريك له». قلت: وهذا هو معنى لا إله إلا الله[1].

ثم قال: «وهذه دعوة جميع الرسل قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾﴾[2]، وقال: ﴿وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ﴾»[3]، انتهى المقصود[4].

وقال رحمه الله في تفسير قوله: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5] الآية: «قال محمد بن إسحاق: حدثنا محمد بن أبي محمد عن عكرمة أو سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: قال أبو رافع القرظي[6] -حين اجتمعت الأحبار من اليهود والنصارى من أهل نجران عند رسول الله ﷺ ودعاهم إلى الإسلام-: «أتريد يا محمد أن نعبدك كما عبدت النصارى عيسى ابن مريم» فقال رجل

---

(١) إذ كلمة التوحيد لابد فيها من النفي والإثبات، نفي استحقاق العبادة عمَّا سوى الله وإثباتها لله تعالى وحده. راجع المسألة في تيسير العزيز الحميد (٣٤).

(٢) الأنبياء: ٢٥.

(٣) النحل: ٣٦.

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ٣٧١) باختصار يسير.

(٥) آل عمران: ٧٩، والقائل هو ابن كثير رحمه الله.

(٦) أبو رافع القرظي: لم أقف له على ترجمة إلا أن يكون هو سلام بن أبي الحقيق الذي قتله الصحابة رضي الله عنهم سنة ثلاث وقيل أربع للهجرة (انظر أخباره في تاريخ الطبري (٢/ ٤٩٣) ولكن يشكل على هذا أمران: الأول: أن الحديث أعلاه في محاجة النبي ﷺ متأخر فإن صدر آل عمران وقدوم وفد نجران كان في السنة التاسعة، وابن أبي الحقيق قد قتل متقدماً. الثاني: أن ابن هشام في السيرة (٢/ ١٢٧) قد عد ابن أبي الحقيق من بني النضير والمذكور في النص قرظي، والله أعلم.

من أهل نجـران يقال له الرئيس: «أو ذاك منا يا محمـد وإليه تدعونا» أو كما قال، فقال رسول الله ﷺ: «معاذ الله أن نعبد غير الله أو نأمر بعبادة غير الله، وما بذلك بعثني ولا بذلك أمرني»[١]، أو كما قال ﷺ: فأنزل الله -عز وجل- فـي ذلـك ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾.

قوله: ﴿ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا۟ عِبَادًا لِّى مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي ما ينبغي لبشر آتاه الله الكتاب والحكم والنبوة أن يقول للناس اعبدوني من دون الله أي مع الله.

وإذا كان هذا لا يصح لنبي ولا مرسـل فلأن لا يصـح لأحد من الناس بطريق الأولى والأحرى، ولهذا قال الحسـن البصري: لا ينبغي هذا للمؤمن أن يأمر الناس بعبادته، وذلـك أن القوم كان يعبد بعضهـم بعضاً يعني أهل الكتاب.

وقوله: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ﴾ بعبادة أحد غير الله لاملك مقرب ولا نبي مرسل ﴿أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾[٢]، أي لا يفعل ذلك، لأن من دعا إلى عبادة غير الله فقد دعا إلى الكفر.

والأنبياء إنما يأمرونكم بالإيمان وعبادة الله وحده لا شـريك له كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[٣]، وقـال: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن

(١) انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٧)، ورواه ابن جرير أيضاً من طريق ابن إسحاق (٦/ ٥٣٩)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٢٥٠).
(٢) آل عمران: ٨٠.
(٣) الأنبياء: ٢٦.

﴿دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةً يُعۡبَدُونَ﴾[(١)]، وقال في حق الملائكة: ﴿وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[(٢)] انتهى[(٣)].

وهو في غاية الوضوح وبيان التوحيد وخصائص الربوبية والإلهية ونظائر هذه الآيات كثيرة في القرآن وفي السنة من الأحاديث كذلك[(٤)].

وقال أيضاً:

﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ﴾ أي: عما تدعوهم إليه من عبادة الله وحده لا شريك له، والرغبة عما كانوا يعبدونه من دون الله كالمسيح وأمه عليهما السلام.

فإن سبب نزول الآية: في نصارى نجران وكانوا يعبدون آلهة أخرى[(٥)]، فقوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ ينفي كل معبود سوى الله، ويثبت العبادة لله وحده التي لا يستحقها غيره، وهذا ظاهر جلي لا يخفى على من له أدنى بصيرة، وسبب النزول لا يمنع عموم النهي لجميع الأمة[(٦)] كما هو ظاهر في قوله ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[(٧)] فلم يستثن أحداً سواه، لا ملكاً ولا نبياً ولا من دونهما كما قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِۖ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ﴾[(٨)].

وقوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من جميع

---

(١) الزخرف: ٤٦.

(٢) الأنبياء: ٢٩.

(٣) ابن كثير (١/ ٣٧٧) باختصار.

(٤) الدرر السنية (٧/ ٤٨، ٤٩).

(٥) ذكر العلماء في سبب نزول الآية أقوالاً: أحدها ما ذكره الشيخ رحمه الله، الثاني: أنها في أهل الكتاب من اليهود، الثالث: أنها فيهم جميعاً اليهود والنصارى، وهو ما رجحه ابن جرير، انظر: الطبري (٦/ ٤٨٣-٤٨٥)، البغوي (٢/ ٤٩)، السيوطي (٢/ ٢٣٤)، زاد المسير (١/ ٤٠٠).

(٦) إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب كما هو مقرر، راجع: الفتاوى (١٣/ ٣٣٨-٣٤٠).

(٧) هود: ٢. وسورة فصلت: ١٤، والأحقاف: ٢١

(٨) النحل: ٥١.

المخلوقات من بشر وحجر وغير ذلك، لكن قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا﴾ يختص بالبشر لما تقدم من أنهم كانوا يعبدون المسيح وأمه وغيرهما من الأنبياء والصالحين، ويشمل غيرهم من باب أولى.

وقد قال تعالى: ﴿وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا﴾[(١)] و﴿أَحَدًا﴾ نكرة في سياق النهي، وهي تعم كل مدعو من دون الله من أهل السموات والأرض، وتأمل قوله: ﴿مَعَ اللَّهِ﴾.

وخبر (لا)[(٢)] التي لنفي الجنس محذوف تقديره (حق) كما دل عليه القرآن، قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ﴾[(٣)]، وهذا قول أهل السنة والجماعة اتباعاً لما دل عليه القرآن، ومن قدر الخبر المحذوف غير ذلك كقول بعضهم: إن المحذوف (أحد) فلا حجة له ولا برهان[(٤)(٥)].

---

(١) الجن: ١٨.

(٢) في كلمة التوحيد «لا إله إلا الله» إذ كلام الشيخ -رحمه الله- في تقرير معناها.

(٣) الحج: ٦٢.

(٤) وقع نزاع في معنى هذه الكلمة وتقدير المحذوف فيها، فذهب بعضهم إلى أنه لا حاجة لتقدير محذوف والمعنى «لا معبود إلا الله» وهذا خطأ؛ لأنه يوهم بأن كل معبود هو الله وهذا ضلال. وذهب آخرون ممن قدروا الخبر المحذوف تقديرات مخالفة للصواب: فقيل: «لا معبود موجود إلا الله» وهذا يرد عليه الإشكال السابق ويرد عليهما أيضاً أنه خلاف الواقع الذي يشهد بمعبودات متعددة سوى الله.
وقيل: لا خالق... أو لا قادر على الاختراع ونحو ذلك وهذه وإن كانت حقاً في نفسها إلا أنها ليست هي المراد هنا فإن كلمة التوحيد هي التي جرى عليها النزاع بين الرسل ﷺ وأقوامهم، مع إقرار المشركين بأن الله هو الخالق الرزاق المبدع ونحو ذلك فلو فهموا منها ذلك وأريد منهم لأقروا به، ولكنها لتجريد توحيد الإلهية المتضمن لتوحيد الربوبية الذي يقرون به.
فالصواب في معناها: لا معبود بحق إلا الله كما دلت على ذلك نصوص الوحيين.
راجع في المسألة: شرح الطحاوية (١١١) وتعليق سماحة الشيخ ابن باز (٥٩٨)، الدرر السنية (٢/ ٢٥٦)، تيسير العزيز الحميد (٥٥)، معنى لا إله إلا الله، للعلامة بدر الدين الزركشي (٧٤).

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل (٤/ ٣٣١-٣٣٢).

قال تعالى: ﴿وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٨٠].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

الأرباب هنا هم الآلهة المعبودة[١]، فإن الرب وضع للمعبود كما وضع للمالك والمربي والخالق[٢]، وليس هذا من المشترك[٣]، ولا من المتواطئ[٤]، بل هو من استعمال اللفظ في حقيقته اللغوية والشرعية[٥][٦].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم

(١) انظر: تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٧٧).
(٢) انظر: مفردات القرآن (٣٣٦)، البحر المحيط (١/ ١٣٠).
(٣) المشترك: اللفظ الموضوع لأكثر من معنى مثل العين يراد بها العين الباصرة والعين الجارية، انظر: التعريفات (٢١٥).
(٤) المتواطئ: هو الكلي الذي يكون حصول معناه وصدقه على أفراده بالسوية كالإنسان يصدق على كل إنسان.
انظر: التعريفات (١٩٩).
(٥) يقسم العلماء الأسماء إلى أقسام:
١-لغوية: أو وضعية أو حقيقية: وهو اللفظ المستعمل في موضوعه الأصلي في اللغة.
٢-شرعية: الأسماء المنقولة من اللغة إلى الشرع، مثل الصلاة والزكاة ونحوها.
وذهب قوم: إلى أنه لم ينقل شيء بل الاسم باق على ما هو عليه في اللغة ولكن اشترط للصحة شروط.
٣-عرفية: وهي أن يخصص عرف الاستعمال من أهل اللغة الاسم ببعض مسمياته الوضعية كتخصيص اسم الدابة بذوات الأربع مع أنها في الوضع لكل ما يدب.
والعرف قد يكون عاماً وقد يكون خاصاً فيقال: العرف عند النحويين أو الأصوليين ونحو ذلك. انظر: روضة الناظر (٢/ ٥٤٩-٥٥١)، بغية الإيضاح (٣/ ٧٩).
(٦) تحفة الطالب والجليس، ص ٩١.

مُّسۡلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَٱعۡتَصِمُواْ بِحَبۡلِ ٱللَّهِ جَمِيعٗا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا وَكُنتُمۡ عَلَىٰ شَفَا حُفۡرَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنۡهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَهۡتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخۡتَلَفُواْ مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡبَيِّنَٰتُۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٥﴾﴾ [آل عمران: ١٠٢-١٠٥].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

ذهب سعيد بن جبير، وأبو العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، ومقاتل بن حيان، وزيد بن أسلم[١]، والسدي، وغيرهم أن هذه الآية منسوخة[٢] بقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾[٣].

وعن ابن عباس أنها لم تنسخ ولكن ﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ «أن يجاهد في سبيله حق جهاده ولا تأخذهم في الله لومة لائم، ويقوموا بالقسط ولو على أنفسهم وآبائهم وأبنائهم»[٤].

---

(١) زيد بن أسلم العدوي المدني، روى عن ابن عمر وجابر وأنس وغيرهم، وعنه مالك والسفيانان وغيرهم، كان الحسين بن علي يجلس إليه فكلم في ذلك فقال: إنما يجلس الرجل إلى من ينفعه في دينه، خرج له الجماعة، توفي عام ١٣٦هـ. انظر: طبقات القراء لابن الجزري (١/ ٢٩٦)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٨٢).

(٢) انظر: الطبري (٧/ ٦٨)، ابن أبي حاتم (٢/ ٤٩)، الدر المنثور (٢/ ٢٨٣)، ابن كثير (١/ ٣٨٨).

(٣) التغابن: ١٦.

(٤) رواه ابن جرير (٧/ ٦٧)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٩)، وأبو عبيد في الناسخ والمنسوخ (٢٦٠)، والنحاس في ناسخه (١٠٧)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور أيضاً إلى ابن المنذر (٢/ ٢٨٣)، وهاهنا مسألتان:

الأولى: أخرج ابن حميد عن عكرمة قال: قال ابن عباس: أنزل الله تعالى: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ =

وفي قوله: ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ الأمر بالمحافظة على الإسلام في حال الصحة والسلامة؛ ليموتوا على ذلك؛ لأن الكريم قد أجرى عادته بكرمه أنه من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه.

وفي الحديث عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسول الله ﷺ: «من أحب أن يزحزح عن النار، ويدخل الجنة فلتدركه منيته وهو يؤمن بالله واليوم الآخر، ويأتي إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه» رواه الإمام أحمد[1].

وعنه ﷺ: «لو قطرت من الزقوم قطرة لأمرَّتْ على أهل الأرض معيشتهم، فكيف بمن ليس له طعام إلا الزقوم» هكذا رواه أصحاب السنن[2].

وقوله: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ﴾ أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن

= فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله بعد ذلك ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ الدر المنثور (٢/ ٢٨٣).
الثانية: الذي يظهر -والله أعلم- من مراد من قال بالنسخ أنه بيان المجمل وليس النسخ الاصطلاحي إذ من المعلوم أن مفهوم النسخ عند السلف أوسع منه في اصطلاح المتأخرين فهو يشمل تخصيص العام وتقييد المطلق وبيان المجمل ونحو ذلك، وخصه المتأخرون بأنه رفع الحكم الثابت بخطاب متقدم بخطاب متراخ عنه (روضة الناظر ١/ ٢٨٣). وهذا البيان لاصطلاح السلف هو ما قرره جمع من المحققين. راجع: الفتاوى (١٤/ ١٠١)، أعلام الموقعين (١/ ٣٥)، الموافقات (٣/ ٨١)، وراجع أيضاً في هذا الموضع حاشية المحقق لناسخ القرآن ومنسوخه لأبي عبيد (٢٦١).

(١) رواه الإمام أحمد (٢/ ١٩٢) رقم (٦٨٠٧)، ورواه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب الوفاء ببيعة الخليفة الأول فالأول (١٢/ ٥٤٤) بلفظ مقارب جداً.

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٠١) رقم (٢٧٣٥)، والترمذي كتاب صفة جهنم باب ما جاء في صفة شراب أهل النار وقال: هذا حديث حسن صحيح (٧/ ٣٠٧) «تحفة»، وابن ماجه كتاب الزهد باب صفة النار (٢/ ١٤٤٦) عن ابن عباس وأوله ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ ولو أن... الحديث» رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، تفسير سورة آل عمران وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢/ ٢٩٤)، ووافقه الذهبي، وراجع: ابن كثير (١/ ٣٨٨).

يعتصموا بحبلـه المتين، وهو القـرآن المبين، الذي نزل بـه الروح الأمين، وحفظه عن تحريف المبطلين، وسماه حبلاً على سبيل الاستعارة المرشحة[(١)] كما هو منصوص على ذلك عند علماء البيـان[(٢)]، ووجه ذلك أنه استعار له الحبل من حيث إن التمسـك به سبب للنجـاة من الردى، كما أن التمسك بالحبل القوي سبب للسـلامة عن التردي، ورشـح ذلك بالاعتصام لأجل الوثوق به والاعتماد عليه[(٣)].

وعن علي مرفوعاً في صفة القرآن قال: «هو حبـل الله المتين وصراطه المستقيم»[(٤)].

وقد أخرج الإمام أحمد والترمذي والنسائي من حديث النواس بن سمعان الأنصاري عن النبي ﷺ قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى باب الصراط داع يقول: يا أيهـا الناس ادخلوا الصراط جميعـاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جـوف الصراط، فإذا أراد أحد أن يفتح شـيئاً من تلك الأبواب قال:

---

(١) الاستعارة: هي نقل اللفظ من المعنى المستعمل له إلى معنى آخر يشبه معناه الأصلي، والاستعارة باعتبار الملائم تنقسم إلى ثلاثة أقسام: مرشحة ومجردة ومطلقة، والمرشحة هي: التي تقترن بما يلائم المستعار منه، والمجردة هي التي تقترن بما يلائم المستعار له، والمطلقة هي: التي لا تقترن بواحد منهما، راجع: الإيضاح للقزويني (٤٣٢)، تهذيب الإتقان (٤٦٨)، البلاغة فنونها وأفنانها (٢/ ٢٠٦).

(٢) انظر: الكشاف (١/ ٢٠٦)، البيضاوي (١/ ١٧٣)، المحرر الوجيز (١/ ٤٨٣).

(٣) انظر: البيضاوي (١/ ١٧٣).

(٤) رواه الترمذي مطولًا، كتاب ثواب القرآن باب ما جاء في فضل القرآن وقال: هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، إسناده مجهول وفي الحارث مقال، ورواه الدارمي كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٢/ ٥٢٦) وقال الألباني: هذا حديث جميل المعنى، ولكن إسناده ضعيف فيه الحارث الأعور وهو لين، بل اتهمه بعض الأئمة بالكذب، ولعل أصله موقوف على علي رضي الله عنه. ا.هـ. شرح الطحاوية تعليق الألباني (٦٨).

ويحك لا تفتحه فإنك إن فتحته تلجه، والصراط: الإسلام، والسوران: حدود الله، والأبواب المفتحة: محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط: كتاب الله تعالى، والداعي من فوقه: واعظ الله في قلب كل مسلم»[١].

وروى عمرو بن شعيب[٢] عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: «يمثل القرآن يوم القيامة رجلاً، فيؤتى بالرجل قد حمله فخالف أمره فيتمثل له خصماً فيقول: يارب حملته إياي فبئس حامل، تعدى حدودي، وضيع فرائضي، وركب معصيتي، وترك طاعتي، فما يزال يقذف عليه بالحجج حتى يقال: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يكبه على منخره في النار، ويؤتى بالرجل الصالح كان قد حمله وحفظ أمره، فيتمثل له خصماً دونه، فيقول: يارب حملته إياي فخير حامل، حفظ حدودي، وعمل بفرائضي واجتنب معصيتي، واتبع طاعتي، فما يزال يقذف له بالحجج حتى يقول: شأنك به، فيأخذه بيده فما يرسله حتى يلبسه حلة الإستبرق ويعقد عليه تاج الملك، ويسقيه كأس الخمر»[٣].

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «القرآن شافع مشفع وماحل مصدق[٤]، فمن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه قاده إلى النار»[٥].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢) رقم (١٧٦٧١) ورواه الترمذي كتاب الأمثال، باب ما جاء في مثل الله لعباده (٨/ ٧١)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وعزاه المزي في تحفة الأشراف (٩/ ٦٠) إلى النسائي في الكبرى، ورواه محمد بن نصر في السنة (٦-٧)، والحاكم في المستدرك، وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣)، وقال ابن كثير: إسناده حسن صحيح (١/ ٢٧).

(٢) تأتي ترجمته.

(٣) عزاه الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/ ١٦٠)، للبزار وقال: فيه ابن إسحاق وهو ثقة ولكنه مدلس وباقي رجاله ثقات.
والإستبرق: ما غلظ من الحرير، النهاية (١/ ٤٧).

(٤) قال ابن الأثير: أي خصم مجادل مصدق. النهاية (٤/ ٣٠٣)، وسيأتي بيانه من كلام الشيخ رحمه الله.

(٥) رواه عبدالرزاق في المصنف (٣/ ٣٧٢)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٥)، ورواه أيضاً مرفوعاً من حديث أنس.

وعنه قال: «يجيء القرآن يوم القيامة فيشفع لصاحبه فيكون قائداً إلى الجنة، ويشهد عليه فيكون سائقاً إلى النار»[١].

وقال أبو موسى الأشعري: «إن هذا القرآن كائن لكم أجراً، وكائن عليكم وزراً، فاتبعوا القرآن، ولا يتبعكم القرآن، فإنه من اتبع القرآن هبط به إلى رياض الجنة، ومن اتبعه القرآن زج في قفاه فقذفه في النار»[٢].

قلت: في صحيح مسلم عن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «الطهور شطر الإيمان» الحديث، وفيه: «والقرآن حجة لك أو عليك»[٣].

وفيه أيضاً: «إن الله يرفع بهذا الكتاب أقواماً»[٤].

وفي الحلية عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: «إن لكل شيء شرفاً يتباهون به، وبهاء أمتي وشرفها القرآن»[٥].

وخرج الترمذي عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يجيء القرآن يوم القيامة، فيقول: يارب حله، فيلبس تاج الكرامة، ثم يقول: يارب زده، فيلبس حلة الكرامة ثم يقول: ارض عنه، فيقول: «رضيت عنه» ثم يقال له: اقرأ وارق، ويعطى بكل آية حسنة»[٦].

---

(١) رواه الدارمي، فضائل من قرأ القرآن (٢/ ٤٣٣).

(٢) رواه الدارمي فضائل من قرأ القرآن (٢/ ٤٣٤)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٤)، وانظر: الآثار السابقة في جامع العلوم والحكم، ص ٢٦٤.

(٣) رواه مسلم كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء (٣/ ٤٥٥).

(٤) رواه مسلم كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب فضل من يقوم القرآن ويعلمه (٦/ ٤٢١).

(٥) الحلية (٢/ ١٧٥).

(٦) رواه الترمذي أبواب فضائل القرآن، باب ما جاء فيمن قرأ حرفاً من القرآن من الأجر وقال: هذا حديث حسن صحيح (٨/ ١١٧)، ورواه الدارمي، كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٢/ ٥٢٢)، وأبو عبيد في فضائل القرآن (٣٥-٣٦)، وحسنه الألباني. انظر: صحيح الترمذي (٣/ ٩).

وقوله في حديث ابن مسعود: «وما حل مصدق» أي خصم مجادل مصدق.

وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْۚ﴾ هذا أمر من الله تعالى لعباده بلزوم الجماعة ونهي لهم عن التفرق التي هي منشأ نبذ الدين والإضاعة، بعدما أمرهم جل جلاله بالتمسك والاعتصام بالسبب المتين، أتبعه بالنهي عن ضده؛ لأنه الحالقة للدين، وهو الداء العضال الذي أوقع الاستئصال بالأمم السابقة، ثم بعدهم في الأمم الخالفة فصارت به تاوية[1] تالفة.

وقد وردت أحاديث كثيرة بالأمر بالاجتماع والائتلاف والنهي عن التفرق والاختلاف، والآثار في ذلك كثيرة، فلا نطيل بتعدادها لكونها معلومة شهيرة.

وقوله: ﴿وَٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ كُنتُمۡ أَعۡدَآءٗ فَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِكُمۡ فَأَصۡبَحۡتُم بِنِعۡمَتِهِۦٓ إِخۡوَٰنٗا﴾.

ذكرهم جل جلاله نعمته التي أنعم بها عليهم، ومنته التي أسداها إليهم، التي هي أجل نعمة وأجزل منة؛ لأنها الهداية والتوفيق للإسلام الذي هو السبب في دخول الجنة، وأعقب النهي عن الفرقة عن الحق كما وقع لأهل الكتاب، وكما جرى بينهم في الجاهلية من المحاربة والاستلاب، بتذكيرهم بنعمته العظيمة؛ ليكون أنفع لقبول الذكرى، وأقمع عن تعاطي عادتهم القديمة، وأردع في الكفر وأحرى.

وهذه الآية نزلت في الأوس والخزرج[2]، فإنه كانت بينهم في الجاهلية حروب كثيرة وعداوة شديدة، وضغائن وأحوال طال بينهم بسببها الوقائع والقتال.

فلما جاء الإسلام ودخل فيه من دخل منهم، اضمحل ذلك كله وزال،

---

(١) قال في القاموس (١٦٣٤): «تَوِيَ، كرضي: هلك».
(٢) انظر: أسباب النزول للواحدي (١١٩-١٢١).

وصاروا متواصلين متحابين في الله إخواناً، وعلى أعدائهم من الكفار أعواناً، كما وصفهم الله تعالى بذلك في كتابه، وأفصح بـه في جليل خطابه، فقال: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِۦ وَبِٱلْمُؤْمِنِينَ ۝٦٢ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ ۚ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مَّآ أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾[1].

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ أي مشـرفين على الوقوع في السـعير لما هم فيه من الذنب الكبير، إذ لو ماتوا وهم كفار لكان مأواهم النار وبئس المصير.

وقوله: ﴿مِّنْهَا﴾ أي بسبب الهداية للإسلام والإيمان، ذكرهم جل جلاله ذلك في سـياق الامتنان، فأخبرهم أنه قد زال ما بينهم من التقاطع والعداوة والأضغان ﴿فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ﴾ فصاروا يداً واحدة على العدوان، وأنقذهم من الوقوع في مهواة النيران وهداهم إلى ما يعقبهم الخلود في الجنان.

وقولـه: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾ أي مثل ذلك التبيين يبين ﴿ٱللَّهُ﴾ لكم دلائله ﴿لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي تدومون على الهدى وتزدادون فيه.

قيـل: كان الأوس والخـزرج أخويـن لأبويـن، فوقـع بيـن أولادهم العداوة وتطاولت بينهم الحروب مئة وعشـرين سـنة حتى أطفأها الله تعالى بالإسلام[2]،[3].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

ينبغي أن نشير إلى بعض ما ورد عن السـلف -رحمهم الله تعالى- في

(١) الأنفال: ٦٢-٦٣.

(٢) رواه ابن جرير عن ابن إسحاق (٧/ ٧٨)، وانظر: السيرة النبوية لابن هشام (٢/ ١٦٨-١٦٩)، وراجع في كلام الشيخ تفسير البيضاوي (١/ ١٧٣).

(٣) العقد الثمين، ص ٢٢٦-٢٣١.

معنى هذه الوصية العظيمة المتضمنة لأصول الدين وما يقوم به من الأعمال، فعن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً وروي مرفوعاً والموقوف أشهر: «﴿حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ أن يُطاع فلا يُعصى ويُذكر فلا يُنسى ويُشكر فلا يُكفر»(١).

وأصل الإسلام وأساسه أن ينقاد العبد لله تعالى بالقلب والأركان مذعناً له بالتوحيد مفرداً له بالإلهية والربوبية دون كل ما سواه، مقدماً مراد ربه على كل ما تحبه نفسه وتهواه، وهذا معنى قول النبي ﷺ: «الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً...»(٢) الحديث.

و(حبل الله) دينه الذي أمركم به، وعهده إليكم في كتابه من الألفة والاجتماع على كلمة الحق والتسليم لأمر الله قال(٣) أبو جعفر ابن جرير رحمه الله تعالى، وهو جامع لكل ما ورد عن السلف في معناه كما روي عن ابن مسعود قال: «حبل الله الجماعة»(٤).

وعن أبي العالية: «اعتصموا بالإخلاص لله وحده»(٥).

---

(١) رواه الحاكم في المستدرك كتاب التفسير، سورة آل عمران، وقال هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه (٢/ ٢٩٤) ولم يوافقه ابن كثير رحمه الله، بل قال: والأظهر أنه موقوف والله أعلم.
(١/ ٣٨٨)، والذي رأيته في المستدرك موقوف أيضاً. والله أعلم.
وقد رواه ابن جرير رحمه الله من طرق متعددة موقوفاً على عبدالله بن مسعود (٧/ ٦٥-٦٦)، وعبدالرزاق في التفسير (١/ ١٢٩)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٤٦).
وعزاه السيوطي في الدر إلى ابن المبارك وعبد بن حميد وابن أبي حاتم والنحاس والطبراني وابن المنذر (٢/ ٢٨٢).

(٢) قطعة من حديث جبريل الطويل، وقد سبق تخريجه ص ٧٧.

(٣) كذا في الأصل، والصواب: «قاله» لأن كلام ابن جرير المثبت قبل ذلك. انظر: الطبري (٧/ ٧٠).

(٤) رواه أبو جعفر (٧/ ٧١)، وعزاه السيوطي (٢/ ٢٨٥)، لسعيد بن منصور وعبد بن حميد وابن المنذر والطبراني.

(٥) رواه ابن جرير (٧/ ٧٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٥٤).

وعن ابن زيد قال: «حبل الله الإسلام»[١].

وقيل: هو القرآن[٢]، لما روى ابن مردويه عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن هذا القرآن هو حبل الله المتين، وهو النور المبين وهو الشفاء النافع، عصمة لمن تمسك به، ونجاه لمن اتبعه»[٣].

ثم قال تعالى: ﴿وَلَا تَفَرَّقُواْ﴾ عن عبدالله بن مسعود أنه قال: «يا أيها الناس عليكم بالطاعة والجماعة فإنها حبل الله الذي أمر به وإن ما تكرهون في الطاعة والجماعة هو خير مما تحبون في الفرقة»[٤].

وأخرج محمد بن نصر المروزي[٥] وغيره من حديث عبدالله بن لحي أبي عامر[٦] أن معاوية رضي الله عنه قام حين صلى الظهر بمكة فقال: إن رسول الله ﷺ قال: «إن أهل الكتاب افترقوا في دينهم على ثنتين وسبعين فرقة

---

(١) رواه ابن جرير (٧/ ٧٣).

(٢) رواه ابن جرير (٧/ ٧٣-٧٤) عن ابن مسعود وقتادة والسدي والضحاك.
وراجع: الدر المنثور (٣/ ٢٨٤-٢٨٥).

(٣) رواه الدارمي كتاب فضائل القرآن، باب فضل من قرأ القرآن (٢/ ٥٢٣)، ورواه الحاكم في المستدرك بزيادة في كتاب فضائل القرآن (١/ ٥٥٥) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه بصالح بن عمر. وقال الذهبي: صالح بن عمر ثقة خرَّج له مسلم، لكن إبراهيم بن مسلم ضعيف.
وراجع: ابن كثير (١/ ٣٨٩).

(٤) رواه ابن جرير من طرق ثلاثة عن الشعبي عن ثابت بن قطبة المدني عن ابن مسعود (٧/ ٧٥-٧٦)، وروى ابن أبي حاتم أوله إلى قوله: الذي أمر به (٢/ ٤٥٣).

(٥) الإمام أبو عبدالله محمد بن نصر المروزي، ولد عام ٢٠٢هـ، روى عن يحيى بن يحيى وإسحاق بن راهويه وغيرهما، وعنه أبو العباس السراج وأبو حامد الشرقي، كان إماماً زاهداً خاشعاً، له كثير من التصانيف النافعة منها: السنة وتعظيم قدر الصلاة، توفي رحمه الله عام ٢٩٤هـ.
انظر: البداية والنهاية (١١/ ١٠٢)، سير أعلام النبلاء (١٤/ ٣٣).

(٦) عبدالله بن لحي أبو عامر الهوزني الحمصي، روى عن عمر ومعاذ ومعاوية وغيرهم، وعنه راشد بن سعد وأزهر الحراني وغيرهما، ثقة من كبار التابعين.
انظر: الكاشف (٢/ ١٠٩)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٧٣)، وقد تصحف اسمه في الأصل إلى عبدالله بن يحيى.

وإن هذه الأمة ستفترق على ثلاث وسبعين فرقة يعني الأهواء كلها في النار إلا واحدة وهي الجماعة، والله يا معشر العرب إن لم تقوموا بما جاء به نبيكم ﷺ لغيركم من الناس أحرى ألا يقوم به»[(١)].

وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم فكل بدعة ضلالة»[(٢)].

ثم قال تعالى: ﴿وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ أي اذكروا ما أنعم به عليكم من الألفة والاجتماع على الإسلام حيث كنتم أعداء على شرككم يقتل بعضكم بعضاً عصبية في غير طاعة الله ولا طاعة رسوله، فألف الله بين قلوبكم، تواصلوا بألفة الإسلام واجتماع كلمتكم عليه، وذكر عن قتادة: «كنتم تذابحون يأكل شديدكم ضعيفكم حتى جاء الله بالإسلام، فألف به قلوبكم، فوالله الذي لا إله إلا هو إن الألفة رحمة، وإن الفرقة عذاب»[(٣)].

وقوله: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ يقول تعالى: وكنتم على طرف جهنم بكفركم الذي كنتم عليه، فأنقذكم الله بالإيمان الذي هداكم به، وذكر عن قتادة في الآية: «كان هذا الحي من العرب أذل الناس ذلاً، وأشقاه عيشاً، وأبينه ضلالة، وأعراه جلوداً، وأجوعه بطوناً، مكفوفين على رأس حجر بين الأسد من فارس والروم لا والله ما في بلادهم يومئذ من شيء يحسدون عليه، من عاش منهم عاش شقياً، ومن مات ردِّي في

---

(١) روي هذا الحديث من طرق متعددة عن جمع من الصحابة منهم: معاوية وأبو هريرة وأنس وعبدالله بن عمرو وعوف بن مالك وغيرهم، وحديث معاوية رواه محمد بن نصر في السنة (١٤)، ورواه الإمام أحمد (٤/ ١٠٢) رقم (١٦٩٧٩)، وابن أبي عاصم (١/ ٧)، واللالكائي (١/ ١٠٢)، والآجري في الشريعة (١٨) وأبو داود كتاب السنة (٢/ ٦٠٨)، وانظر السلسلة الصحيحة للألباني (١/ ١٢-٢٥) رقم ٢٠٤.

(٢) رواه الدارمي، باب كراهية الأخذ بالرأي (١/ ٨٠)، وابن وضاح (١٠).

(٣) رواه ابن جرير (٧/ ٧٧).

النار، يؤكلون ولا يأكلون، والله ما نعلم قبيلاً يومئذ من حاضر الأرض كانوا فيها أصغر حظاً وأدق شأناً منهم حتى جاء الله بالإسلام فورثكم به الكتاب، وأحل به دار الجهاد، ووضع لكم به الرزق، وجعلكم به ملوكاً على رقاب الناس، وبالإسلام أعطى الله ما رأيتم، فاشكروا نعمه فإن ربكم منعم يحب الشاكرين، وإن أهل الشكر في مزيد من الله، فتعالى ربنا وتبارك»[١].

وقوله: ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أي: يعرفكم في كل ذلك مواقع نعمه وصنائعه فيكم، ويبين لكم حججه في تنْزيله على رسوله ﷺ؛ لتهتدوا إلى سبيل الرشاد وتسلكوها فلا تضلوا عنها[٢].

وقوله: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾... الآية، قال ابن كثير في تفسيره: «المقصود من هذه الآية أن تكون فرقة من الأمة متصدية للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من الأمة بحسبه كما ثبت في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى منكم منكراً فليغيره بيده، فمن لم يستطع فبلسانه، فمن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان»[٣] وفي المسند عن حذيفة أن النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر أو ليوشكن الله أن يبعث عليكم عقاباً من عنده ثم لتدعنه فلا يستجيب لكم»[٤] انتهى[٥].

---

(١) رواه ابن جرير (٧/ ٨٧ – ٨٨) باختلاف يسير جداً.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٧/ ٨٩).

(٣) رواه مسلم كتاب الإيمان باب وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (١/ ٢١٧).

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣٨٨) رقم ٢٣٣٤٩، ورواه الترمذي أبواب الفتن، باب ما جاء في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (٦/ ٣٣٦) وقال: هذا حديث حسن، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٢/ ٢٣٣٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٠) بتصرف.

قلت: وروى محمد بن نصر من حديث يزيد بن مرثد[١] مرسلاً قال: قال رسول الله ﷺ: «كل رجل من المسلمين على ثغرة من ثغر الإسلام، الله الله لا يؤتى الإسلام من قبلكم»[٢] وروى بسنده عن الحسن بن حي[٣]: «إنما المسلمون إخوة على الإسلام بمنزلة الحصن فإذا أحدث المسلم حدثاً ثغر في الإسلام من قِبَله، فإن أحدث المسلمون كلهم فاثبت أنت على الأمر الذي لو اجتمعوا عليه لقام الدين لله بالأمر الذي أراده من خلقه»[٤].

وقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُوا۟ وَٱخْتَلَفُوا۟ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ قال ابن عباس في الآية: «أمر الله المؤمنين بالجماعة ونهاهم عن الاختلاف والفرقة، وأخبرهم أنما هلك من كان قبلها بالمراء والخصومات في دين الله»[٥].

قلت: فتأمل كيف نهى الله سبحانه في هذه الآيات عن التفرق في موضعين، وأخبر أنه من موجبات العذاب العظيم، وأرشد إلى أسباب الاجتماع على دينه وشرعه، ومن أعظمها الاعتصام بكتابه ودينه علماً وعملاً

---

(١) يزيد بن مرثد أبو عثمان الهمداني، من كبار التابعين، يروي عن النبي ﷺ مرسلًا، وروى عن معاذ وواثلة وغيرهما، وعنه الوضين بن عطاء وحاتم بن معدان وغيرهما.
انظر: الجرح والتعديل (٩ / ٢٨٨)، جامع التحصيل / ٣٠٢، تهذيب التهذيب (١١ / ٣٥٨) وقد تصحف في الأصل إلى: يزيد بن مرشد.

(٢) رواه محمد بن نصر في السنة / ٨ وقد وقع في الأصل بلفظ: الله لا يؤتى الإسلام.. ، والمثبت من كتاب السنة.

(٣) الحسن بن صالح بن صالح بن حي ولد عام ١٠٠ هـ، روى عن أبيه وأبي إسحاق وغيرهما، وعنه: ابن المبارك ووكيع وغيرهما، وثقه جماعات منهم الإمام أحمد ويحي وأبو زرعة وغيرهم، وتكلم فيه جماعة، توفي عام ١٦٩هـ.
انظر: الكاشف (١ / ١٦٢) رقم ١٠٤٤، تهذيب التهذيب (٢ / ٢٨٥).

(٤) رواه محمد بن نصر في السنة ٩، بدون لفظ: إخوة.

(٥) رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة (٧ / ٩٣)، وابن أبي حاتم (٢/ ٤٦٢).

وأداء شكره والقيام بما فرضه على عباده، من الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

ومن هنا تعلم أن من أعظم الفساد: الإعراض عن كتاب الله، وما بعث الله به رسوله من الهدى والعلم، واتباع الأهواء والآراء المضلة -نعوذ بالله من ذلك- فإذا وقع ذلك ترتب عليه من أنواع الفساد ما لا يكاد يبلغه الوصف، فمن ذلك الاختلاف في الدين والتحاسد، والتدابر والتقاطع، فلا تكاد ترى إلا من هو معجب برأيه، متنقص لغيره مخلد إلى الأرض عن تعلم العلم وتعليمه[١].

وقال الشيخ عبد اللطيف بن عبد الرحمن رحمه الله:

ابتدأ الآية بالأمر بأن يتقى حق تقاته، وأمر بالتزام الإسلام والعض عليه بالنواجذ[٢] حتى الممات لأن قوله ﴿وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ تحضيض وحث على التزامه في جميع أوقات العمر والساعات، ومن عاش على شيء مات عليه.

وقد أمر بالاعتصام بحبله وهو دينه وكتابه أمراً عاماً لجميع المكلفين وسائر المخاطبين؛ لأن التقوى والتزام الإسلام يتوقف على ذلك، ولا يحصل المقصود منه إلا بالاعتصام بحبله الله وترك التفرق والاختلاف لما فيهما من فساد الدين وهدم أصوله وقواعده.

ثم ذكَّرهم بنعمته عليهم بتأليف قلوبهم واجتماعها بعد العداوة والبغضاء؛ فإن التفرق والاختلاف عذاب وهلاك وشقوة في العاجل والآجل، والجماعة والائتلاف رحمة وسعادة ونعيم في العاجل والآجل.

وأخبرهم أنهم كانوا على شفا حفرة من النار بما كانوا عليه من الضلالة

---

(١) الدرر السنية (١١/ ٣٩-٤٠).

(٢) النواجذ: أقصى الأسنان.. أي تمسكوا به كما يتمسك العاض بجميع أضراسه. انظر: النهاية (٥/ ٢٠) (نجذ).

والجاهلية؛ فامتن عليهم وأنقذهم، واجتباهم، وهداهم، وجمع قلوبهم وشملهم بعد الفرقة والشتات، وأعزهم، وأغناهم بعد الفقر والحاجات.

فيا لها من نعم ما أجلها، ومواهب ما أعظمها وأبرها لمن عقلها وشكرها ولذلك ختم الآية بقوله ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ فيه بيان الحكمة المقتضية لبيان الآيات والتذكير بالنعم، وأن المراد بها حصول الاهتداء وترك أسباب الشقاء والردى[١].

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تُطِيعُواْ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَٰبِكُمْ فَتَنقَلِبُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [آل عمران: ١٤٩ - ١٥٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أخبر تعالى أن المؤمنين إن أطاعوا الكفار فلا بد أن يردوهم على أعقابهم عن الإسلام، فإنهم لا يقنعون منهم بدون الكفر[٢]، وأخبر أنهم إن فعلوا ذلك صاروا من الخاسرين في الدنيا والآخرة، ولم يرخص في موافقتهم وطاعتهم خوفاً منهم، وهذا هو الواقع، فإنهم لا يقنعون ممن وافقهم إلا بالشهادة أنهم على حق وإظهار العداوة والبغضاء للمسلمين وقطع اليد منهم.

ثم قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ خَيْرُ ٱلنَّٰصِرِينَ﴾ أخبر تعالى أنه ولي المؤمنين وناصرهم وهو خير الناصرين، ففي ولايته وطاعته كفاية وغنية عن طاعة الكفار، فيا حسرة على العباد الذين عرفوا التوحيد ونشؤوا فيه ودانوا به زماناً كيف خرجوا عن ولاية رب العالمين وخير الناصرين إلى

---

(١) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثالث، ص ١٩٧.

(٢) قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾.. الآية [البقرة: ١٢٠].

ولاية القباب وأهلها ورضوا بها بدلاً من ولاية من بيده ملكوت كل شيء ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[١][٢].

قال تعالى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ ۖ وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ ۖ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ۗ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ ۖ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا ۗ قُل لَّوْ كُنتُمْ فِى بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ ٱلَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ ٱلْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ ۖ وَلِيَبْتَلِىَ ٱللَّهُ مَا فِى صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِى قُلُوبِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [آل عمران: ١٥٤].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ قال ابن القيم: «ثم أخبر عن الكلام الذي صدر عن ظنهم الباطل وهو قولهم: ﴿هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ وقولهم: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ شَىْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَٰهُنَا﴾؛ فليس مقصودهم بالكلمة الأولى والثانية إثبات القدر ورد الأمر كله لله، ولو كان مقصودهم لما ذموا عليه، ولما حسن الرد عليهم بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ ولا كان مصدر هذا الكلام ظن الجاهلية، ولهذا قال غير واحد من المفسرين: إن ظنهم الباطل ههنا هو التكذيب بالقدر[٣]، وظنهم أن الأمر لو كان إليهم لكان[٤]، رسول الله ﷺ، وأصحابه تبعاً

---

(١) الكهف: ٥٠.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٥٩).

(٣) قال ابن الجوزي: «رواه الضحاك عن ابن عباس» زاد المسير (١/ ٤٨١).
وانظر أيضاً: البحر المحيط (٣/ ٩٤).

(٤) في زاد المعاد «وكان» وهو الأقرب إلى السياق (٣/ ٢٣٦).

لهم يســمعون منهم، لما أصابهم القتل، ولكان التصرف[١] والظفر لهم، فكذبهم الله ﷻ في هــذا الظن الباطل الذي هو ظن الجاهلية، وهو الظن المنســوب إلى أهل الجهل الذيــن يزعمون بعد نفاذ القضاء والقدر الــذي لم يكن بد من نفاذه: الذي كانوا قادرين على دفعه، وأن الأمر لــو كان إليهم لما نفذ القضاء، فأكذبهم الله بقوله: ﴿قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ﴾ فلا يكون إلا ما سبق به قضاؤه وقدره، وجرى به قلمه وكتابه السابق، وما شــاء الله كان ولا بد، شاء الناس أم أبوا، وما لم يشاء لم يكن، شاءه الناس أو لم يشــاؤوه، وما جرى عليكم من الهزيمة والقتل فبأمره الكوني[٢] الذي لا ســبيل إلى دفعه، ســواء كان لكم من الأمر شيء أو لم يكن، فإنكم لو كنتم في بيوتكــم وقد كتب القتل على بعضكــم؛ لخرج من كتب عليه القتل من بيته إلى مضجعه ولابد، سواء كان له من الأمر شيء أو لم يكن.

وهذا من أظهر الأشياء إبطالاً لقول القدرية النفاة [٣]، الذين يجوزون أن يقع ما لا يشاء الله وأن يشاء ما لا يقع»[٤].

---

(١) في الزاد الموضع السابق «النصر».

(٢) أمر الله تعالى نوعان:
الأول: الكوني، وهو ما يجري في الكون فإنه بأمر الله تعالى من خير و شر قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس / ٨٢].
الثاني: الشرعي، وهو ما أمر به تعالى من الشرع في كتبه وعلى ألسنة رسله كقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تُؤَدُّوا۟ ٱلْأَمَـٰنَـٰتِ إِلَىٰٓ أَهْلِهَا﴾ [النساء / ٥٨].

(٣) سموا بالقدرية لخوضهم في القدر، وهم الذين ينفون خلق الله تعالى أفعال العباد ويزعمون أن العبد هو الذي يستقل بخلق فعله، ولذا وصفهم ابن القيم رحمه الله: بأنهم يجوزون أن يقع ما لا يشاء الله وذلك بقولهم: إن العبد هو الذي يستقل بخلق أفعاله... وقد يشاء الله تعالى شيئاً فلا يوقعه العبد، ومذهبهم هذا مخالف للنصوص ولإجماع السلف، وهذا هو مذهب المعتزلة في القدر.
ولفظ القدرية يطلقه بعض العلماء على كل من خالف في القدر فيقول: القدرية النفاة ويقصد بهم هؤلاء، ويقول القدرية الجبرية، ويقصد بهم من يقول بمذهب الجهمية وأن الإنسان مجبور على فعله لا مشيئة له ولا إرادة مطلقاً.
انظر الملل والنحل للشهرستاني / ٤٣ وَ ٥٤، شفاء العليل / ٣.

(٤) زاد المعاد (٣ / ٢٣٦ - ٢٣٧).

وقوله: ﴿وَلِيَبْتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ﴾ أي: يختبر ما فيها من الإيمان والنفاق، فالمؤمن لا يزداد بذلك إلا إيماناً وتسليماً، والمنافق ومن في قلبه مرض لابد أن يظهر ما في قلبه على جوارحه ولسانه.

قوله: ﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ «هذه حكمة أخرى، وهي تمحيص ما في قلوب المؤمنين وهو تخليصه وتنقيته وتهذيبه، فإن القلوب يخالطها تغليب الطباع وميل النفوس، وحكم العادة وتزيين الشيطان، واستيلاء الغفلة مما يضاد ما أودع فيها من الإيمان والإسلام والبر والتقوى، فلو تركت في عافية دائمة مستمرة؛ لم تتخلص من هذه المخاطر ولم تتمحص منه، فاقتضت حكمة العزيز الرحيم أن قيض لها من المحن و البلايا ما يكون كالدواء الكريه لمن عرض له داء إن لم يتداركه طبيب بإزالته وتنقيته ممن هو في جسده وإلا خيف عليه من الفساد والهلاك، فكانت نعمته سبحانه عليهم بهذه الكسرة[١] والهزيمة، وقتل من قتل منهم تعادل نعمته عليهم بنصره، وتأييدهم وظفرهم بعدوهم[٢] فله عليهم النعمة التامة في هذا وهذا»[٣].

قوله: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ «يعني أهل الإيمان واليقين والثبات والتوكل الصادق، وهم الجازمون بأن الله عز وجل سينصر رسوله، وينجز له مأموله، ولهذا قال: ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ يعني: لا يغشاهم النعاس من القلق[٤] ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ

(١) في الأصل «الكثرة» بالثاء، والصواب المثبت أعلاه من زاد المعاد (٣/ ٢٣٨).

(٢) في الأصل «بقدرتهم»، والصواب المثبت أعلاه من زاد المعاد (٣/ ٢٣٨).

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٣٧ - ٢٣٨) بتصرف يسير.

(٤) روى ابن جرير بسنده عن الزبير بن العوام رضي الله عنه: «والله إني لأسمع قول معتب بن قشير أخي بني عمرو بن عوف، والنعاس يغشاني، ما أسمعه إلا كالحلم حين قال: لو كان لنا من الأمر شيء ما قتلنا ها هنا» تفسير الطبري (٧/ ٣٢٣).

﴿ٱلْجَٰهِلِيَّةِ﴾ كما قال في الآية الأخرى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ﴾[١] الآيــة وهكــذا هــؤلاء اعتقدوا أن المشركين لما ظهروا تلك الساعة أنها الفاصلة وأن الإسلام قد باد وأهله»[٢].

قال ابن القيم: «ظن الجاهلية: هو المنســوب إلى أهل الجهل وظن غير الحق؛ لأنه غير ما يليق بأسمائه الحســنى وصفاته العلا وذاته المبرأة من كل عيب وســوء، أو خلاف ما يليق بحكمته وحمده وتفــرده بالربوبية والإلهية، وما يليق بوعده الصادق الذي لا يخلفه»[٣].

وقوله: ﴿يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَىْءٍ﴾ هذا أيضاً من حكاية مقال المنافقين، والظاهر أن المعنى: أنا خرجنا كرهاً، ولو كان الأمر إلينا ما خرجنا كما أشــار إليه ابن أبي بذلك[٤] ولفظه: اســتفهام، ومعناه: النفي، أي: ما لنا شــيء من الأمر، أي: أمر الخروج. وقيل غير ذلك[٥] فــرد الله عليهم بقوله:

---

(١) الفتح / ١٢.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤١٨) باختصار يسير. وقد وقع في الأصل: باء وأهله. والمثبت من التفسير.

(٣) زاد المعاد (٣/ ٢٢٩).
ولابن القيم رحمه الله كلام نفيس في ظن السوء بالحق تبارك وتعالى وأمثلته في حياة الناس فليراجع في الموضع السابق.

(٤) كان رأي عبدالله بن أبيّ بن سلول أن يبقى المسلمون في المدينة وألاّ يخرجوا منها، وكان هذا رأي رسول الله ﷺ أولاً، فلما أكثر عليه الناس في الخروج دخل بيته فلبس لأمته ودعا المسلمين للخروج.
السيرة النبوية لابن هشام (٣ / ٧١)، مغازي الواقدي (١/ ٢٠٩).

(٥) قيل: هو استفهام باق على حقيقته وأنهم سألوا: هل لهم نصيب من النصر والظفر ؟.
وقيل: هو نفي وليس استفهام، فقيل معناه: ليس النصر لنا بل للمشركين. وقيل معناه: ليس الرأي التدبير لنا، ولو كان لنا ما خرجنا.
ونقل أبو حيان عن المهدوي وابن فورك أن المعنى لسنا على حق في اتباع محمد ﷺ. ثم ضعف هذا القول.
=

﴿ إِنَّ ٱلۡأَمۡرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ ﴾ أي: ليس لكم من الأمر شيء ولا لغيركم، بل الأمر كله لله، فهو الذي إذا شاء فلا مرد له.

وقوله: ﴿ وَلِيَبۡتَلِيَ ٱللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمۡ ﴾ أي: قدر الله هذه الهزيمة والقتل؛ ليختبر الله ما في صدوركم بأعمالكم؛ لأنه قد علمه غيباً فيعلمه شهادة؛ لأن المجازاة إنما تقع على من يعلم مشاهدة، لا على ما هو معلوم منهم غير مغمور(١).

﴿وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمۡ﴾ أي: يطهرها من الشدة والمرض بما يريكم من عجائب آياته وباهر قدرته، وهذا خاص بالمؤمنين دون المنافقين.

﴿وَٱللَّهُ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴾ قيل معناه: إن الله لا يبتليكم ليعلم ما في صدوركم، فإنه عليم بذلك، وإنما ابتلاكم ليظهر أسراركم والله أعلم(٢).

قال تعالى: ﴿ أَفَمَنِ ٱتَّبَعَ رِضۡوَٰنَ ٱللَّهِ كَمَنۢ بَآءَ بِسَخَطٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ﴾ [آل عمران: ١٦٢].

= وبهذا يتبين معنى الأمر على كل قول من هذه الأقوال.
راجع: البحر المحيط (٣ / ٩٤)، زاد المسير (١/ ٤٨١)، التفسير الكبير (٩ / ٣٩).
فائدة: في قوله ﴿كُلَّهُۥ﴾ قراءتان:
الأولى: بالنصب وقرأ بها الأكثرون.
الثانية: بالضم وقرأ بها أبو عمرو.
قال ابن خالويه: «فالحجة لمن نصب أنه جعله تأكيداً للأمر، ولله: الخبر. والحجة لمن رفع: أنه جعله مبتدأ، و(لله) خبر. والجملة خبر إن» . الحجة في القراءات السبع ١١٥ وراجع: السبعة في القراءات لابن مجاهد ٢١٧.

(١) السياق غير واضح، والمعنى –والله أعلم– أن المجازاة إنما تقع على ما يعلم مشاهدة، لا على ما هو مغمور غير مشاهد.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٦٠٥: ٦٠٨.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أخبر تعالى أنه لا يستوي من اتبع رضوان الله ومن اتبع ما يسخطه ومأواه جهنم يوم القيامة، ولا ريب أن عبادة الرحمن وحده ونصرها وكون الإنسان من أهلها من رضوان الله، وأن عبادة القباب و الأموات ونصرها والكون من أهلها مما يسخط الله، فلا يستوي عند الله من نصر توحيده ودعوته بالإخلاص وكان مع المؤمنين، ومن نصر الشرك ودعوة الأموات وكان مع المشركين.

فإن قالوا: خفنا.

قيل لهم: كذبتم، وأيضاً فما جعل الله الخوف عذراً في اتباع ما يسخطه واجتناب ما يرضيه[1]، وكثير من أهل الباطل إنما يتركون الحق خوفاً من زوال دنياهم وإلا فيعرفون الحق ويعتقدونه ولم يكونوا بذلك مسلمين[2].

قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُوا۟ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا۟ قُلْ فَٱدْرَءُوا۟ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ [آل عمران: ١٦٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

روى ابن جرير عن السدي قال: «خرج رسول الله ﷺ يوم أحد في ألف رجل، وقد وعدهم الفتح إن صبروا، فلما خرجوا رجع عبدالله بن أبي في ثلاثمئة، فتبعهم أبو جابر السلمي يدعوهم، فلما غلبوه وقالوا له: ما نعلم

---

(١) راجع ما سبق عند قوله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾... الآية، فقد بين الشيخ أن مجرد الخوف الذي لا يبلغ درجة الإكراه لا يكون مبيحاً لإظهار موالاة الكفار.

(٢) الدرر السنية (٧/ ٥٩-٦٠).

قتالاً، ولئن أطعتنا لترجعن معنا فنزل ﴿ ٱلَّذِينَ قَالُواْ لِإِخْوَٰنِهِمْ وَقَعَدُواْ لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾»[١] الآية.

وعن ابن جريج في الآية قال: «هو عبدالله بن أبي، الذين قعدوا وقالوا لإخوانهم الذين خرجوا مع النبي ﷺ، يوم أحد». رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[٢].

فعلى هذا إخوانهم هم المسلمون المجاهدون، وسموا إخوانهم لموافقتهم في الظاهر. وقيل: إخوانهم في النسب لا في الدين[٣].

﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُواْ ﴾ قال ابن كثير: «لو سمعوا مشورتنا عليهم في القعود، وعدم الخروج ما قتلوا مع من قتل قال الله تعالى: ﴿قُلْ فَٱدْرَءُواْ عَنْ أَنفُسِكُمُ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ أي:إن كان القعود يسلم به الشخص من القتل والموت فينبغي أنكم لا تموتون، والموت لابد آت إليكم ولو كنتم في بروج مشيدة، فادفعوا عن أ نفسكم الموت إن كنتم صادقين. قال مجاهد: عن جابر بن عبدالله نزلت هذه الآية في عبدالله بن أبي[٤]»[٥].

قلت: وكان أشار على رسول الله ﷺ، يوم أحد بعدم الخروج[٦]، فلما

---

(١) رواه ابن جرير (٧/ ٣٧٩).

(٢) رواه ابن جرير (٧/ ٣٨٣). وانظر: الدر المنثور (٢/ ٣٧٠).

(٣) قال الشيخ ابن عثيمين: «ولو قيل: إنه شامل للأمرين لكان صحيحاً» ا. هـ القول المفيد(٣/ ١٢٥).

وفي الآية قول ثالث ذكره القرطبي (٤/ ٢٤٦) وابن الجوزي (١/ ٤٨٤) وهو أنهم إخوانهم في النفاق والكفر وهو ظاهر كلام ابن جرير (٧/ ٣٣٠). وراجع: تفسير الآية في البحر المحيط (٣/ ٩٩).

(٤) رواه ابن جرير (٧/ ٣٨٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٢٥).

(٦) راجع: ما سبق.

قدر الله الأمر قال ذلك تصويباً لرأيه، ورفعاً لشأنه فرد الله عليه وعلى أمثاله ﴿قُلْ فَادْرَءُوا عَنْ أَنفُسِكُمُ الْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ فلا تعذرون عن ذلك. فعلم أن ذلك بقضاء الله وقدره أي: يستوي الذي في وسط الصفوف والذي في البروج المشيدة في القتل والموت.

بل ﴿قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ﴾[(١)]، فلا ينجي حذر عــن قدر. وفي ضمن ذلــك قول لو[(٢)] ونحــوه في مثل هذا المقام، لأن ذلك لا يجدي شــيئاً، إذ المقدر قد وقع فلا سبيل إلى دفعه أبداً ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾[(٣)(٤)].

---

(١) آل عمران: ١٥٤.

(٢) لو تستعمل على ثلاثة أوجه:
الأول: المذموم وله أوجه منها:
أ- في الاعتراض على الشرع قال بعض أهل العلم: ومنه قوله تعالى عن المنافقين ﴿لَوْ أَطَاعُونَا مَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٦٨].
ب- أن تستعمل في الاعتراض على القدر كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا﴾ [آل عمران: ١٥٦].
ج- أن تستعمل للندم والتحسر كقولهم: لو أني فعلت كذا لكان كذا وكذا.
د- أن تستعمل في الشر كقولهم: لو أن عندي مالاً لصنعت مثل فلان -في أمر من أمور الشر-.
الثاني: الممدوح وذلك إذا كانت لتمني الخير وبيان محبته مثل: لو أن عندي مالاً لأنفقته في سبيل الله.
الثالث: الجائز، وذلك إذا كان خبراً محضاً، مثل: لو حضرت الدرس لا ستفدت.
انظر: الفتاوى الكبرى لابن تيمية (١/ ٣٥٠)، فتح الباري (١٣/ ٣٢٤)، القول المفيد لابن عثيمين (٣/ ١٢٢-١٢٤).

(٣) الطور: ٤٨.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٩٦، ٥٩٧.

سورة النساء

قال تعالى: ﴿وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يأمر تعالى عباده بعبادته وحده لا شريك له، فإنه الخالق الرازق المنعم المتفضل على خلقه في جميع الحالات، فهو المستحق منهم أن يوحدوه ولا يشركوا به شيئاً من مخلوقاته»[(١)].

قلت: هذا أول أمر في القرآن، وهو الأمر بعبادته وحده لا شريك له، والنهي عن الشرك، كما في قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[(٢)].

وتأمل كيف أمر تعالى بعبادته أي فعلها خالصة له، ولم يخص بذلك نوعاً من أنواع العبادة، لا دعاء ولا صلاة ولا غيرهما؛ ليعم جميع أنواع العبادة، ونهى عن الشرك به ولم يخص أيضاً نوعاً من أنواع العبادة بجواز الشرك فيه.

في هذه الآية دليل على أن العبادة هي التوحيد؛ لأن الخصومة فيه، وإلا فكان المشركون يعبدون الله ويعبدون غيره، فأمروا بالتوحيد، وهو عبادة الله وحده، وترك عبادة ما سواه.

وفيها دليل على أن التوحيد أول واجب على المكلف[(٣)]، وهو الكفر بالطاغوت، والإيمان بالله المستلزم لعبادته وحده لا شريك له.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٤٩٣).
(٢) البقرة: ٢١.
(٣) خلافاً لما عليه بعض المتكلمين من أن أول واجب هو النظر أو قصد النظر أو الشك. راجع: شرح الطحاوية (٧٥).

وأن من عبد غير الله بنوع من أنواع العبادة فقد أشرك، سواء كان المعبود ملكاً أو نبياً أو صالحاً أو صنماً[١].

قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ﴾ [النساء: ٥١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا ﴾ أي أعطوا نصيباً أي حظاً من الكتاب ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ ﴾ .

روى الإمام أحمد عن ابن عباس قال: «لما قدم كعب بن الأشرف[٢] مكة قالت قريش: ألا ترى هذا الصنبور[٣] المنتبر[٤] من قومه، يزعم أنه خير منا ونحن أهل الحجيج، وأهل السدانة وأهل السقاية قال: أنتم خير، قال فنزلت

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٤.

(٢) كعب بن الأشرف الطائي اليهودي، كانت أمه من بني النضير فدان باليهودية كان سيداً في بني النضير وله حصن قريب من المدينة، أكثر من إيذاء المسلمين وهجاء الرسول ﷺ والتشبيب بالمسلمات، خرج بعد بدر إلى مكة فندب قتلى قريش وحرض المشركين على قتال المسلمين، قتله محمد بن مسلمة وجماعة بأمر الرسول ﷺ في السنة الثالثة من الهجرة. انظر: السيرة لابن هشام (٣/ ٥٧-٦٣)، تاريخ الطبري (٢/ ٤٨٧-٤٩١)، الكامل (٢/ ٣٨).

(٣) في التيسير: الصنبر. والصواب المثبت أعلاه.
والصنبور: هو الرجل الضعيف الذي لا ولد له ولا عقب فهو ذليل وحيد.
انظر: لسان العرب (صنبر) (٤/ ٤٦٩).

(٤) المنتبر: المرتفع.
انظر: النهاية (نبر) (٥/ ٧-٨).
فإما أن يكون مقصدهم أنه منفرد وحده لا نسل له، أو أنه شذ عن قومه وخالفهم ﷺ . ولا مانع من أن يكون مقصدهم الأمرين جميعاً. والله أعلم.

فيهم ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾[١] ونزل ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ﴾ إلى قوله: ﴿نَصِيرًا﴾[٢].

وروى ابن أبي حاتم عن عكرمة قال: «جاء حيي بن أخطب[٣] وكعب بن الأشرف إلى أهل مكة فقالوا لهم: أنتم أهل الكتاب، وأهل العلم فأخبرونا عنا وعن محمد فقال: ما أنتم وما محمد؟ فقالوا: نحن نصل الأرحام، وننحر الكوماء[٤]، ونسقي الماء على اللبن، ونفك العناة، ونسقي الحجيج، ومحمد صنبور قطع أرحامنا واتّبعه سراق الحجيج من غفار، فنحن خير أم هو؟ فقالوا: أنتم خير وأهدى سبيلاً، فأنزل الله ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا﴾»[٥].

---

(١) الكوثر: ٣.

(٢) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦٦) وعزاه ابن كثير للبزار (٤/ ٥٥٦) وقد صححه ابن كثير والسيوطي في لباب النقول (٢٤٢)، ولم أجده عند الإمام أحمد قال في النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد: «وعزو المصنف الحديث لأحمد وهم، فإن أحمد لم يرو هذا الحديث ولم يعزه السيوطي (٦/ ٤٠٣) إليه لا في الدر ولا في اللباب». ص ١٢٦.
قلت: وقد عزاه ابن كثير للإمام أحمد في تفسير سورة النساء (١/ ٥١٣)، والسيوطي في السورة نفسها (٢/ ٥٦٢).

(٣) حيي بن أخطب، من يهود بني النضير، ممن طبع الله على قلبه فلم يدخل الإسلام، وكان ممن يؤذي المسلمين، وابنته هي أم المؤمنين صفية بنت حيي، قتله المسلمون يوم قريظة سنة خمس للهجرة.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٢٦٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٥٨٣).

(٤) الكوماء: الناقة عظيمة السنام طويلته، من خيار الإبل. انظر: لسان العرب (كوم) (١٢/ ٥٢٩).

(٥) انظر: ابن كثير (١/ ٥١٣)، الدر المنثور (٢/ ٥٦٢).
والعناة: جمع العاني وهو الأسير. النهاية (٣/ ٣١٤)، وغفار هم بنو مليل، بطن من كنانة من العدنانية، كانوا حول مكة، من مياههم بدر، ومن أوديتهم: ودان، دعا لهم رسول الله ﷺ بالمغفرة، منهم أبو ذر الغفاري رضي الله عنه. انظر: الأنساب (٩/ ١٦٤)، الأعلام (٥/ ٣١٣)، معجم قبائل العرب، عمر كحالة (٣/ ٩٩٦).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الجبت: السحر، والطاغوت: الشيطان»[١].

وكذلك قال ابن عباس وأبو العالية ومجاهد والحسن وغيرهم[٢].

وعن ابن عباس وعكرمة وأبي مالك: «الجبت الشيطان[٣] زاد ابن عباس بالحبشية»[٤].

وعن ابن عباس أيضاً: «الجبت الشرك»[٥].

وعنه: «الجبت الأصنام»[٦].

وعنه: « الجبت حيي بن أحطب»[٧].

وعن الشعبي: «الجبت الكاهن»[٨].

وعن مجاهد: الجبت كعب بن الأشرف»[٩].

قلت: الظاهر أن يعم ذلك كله كما قال الجوهري: «الجبت كلمة تقع على الصنم والكاهن والساحر وغير ذلك وفي الحديث: «الطيرة والعيافة

---

(١) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦٢)، وعلقه البخاري (٨/ ٢٥١) «فتح» وقال الحافظ بعد ذِكْر مَنْ وصله: وإسناده قوي. وانظر: الدر المنثور (٢/ ٥٦٤).

(٢) انظر: ابن جرير (٨/ ٤٦٢-٤٦٣)، البغوي (٢/ ٢٣٤)، ابن كثير (١/ ٥١٢)، الدر المنثور (٢/ ٥٦٤).

(٣) رواه عبد بن حميد عن عكرمة، انظر: الدر (٢/ ٥٦٤)، قال عكرمة: «الجبت الشيطان بلسان الحبش». ورواه ابن جرير عن قتادة والسدي (٨/ ٤٦٣-٤٦٤)، ولم أجد النقل عن أبي مالك.

(٤) عزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن أبي حاتم، الدر المنثور (٢/ ٥٦٤).

(٥) انظر: ابن كثير (١/ ٥١٢).

(٦) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦١)، وعزاه السيوطي (٢/ ٥٦٤) لابن أبي حاتم.

(٧) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦٤).

(٨) لم أجده معزواً للشعبي، وإنما عزاه في البحر المحيط إلى ابن عباس، وعزاه هو والبغوي لمكحول وابن سيرين. البحر (٣/ ٢٨٣)، البغوي (٢/ ٢٣٤)، ورواه ابن جرير عن أبي العالية (٨/ ٤٦٣).

(٩) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦٥).

والطرق من الجبت»[١] قال: وهذا ليس من محـض العربية لاجتماع الجيم والتاء[٢] في كلمة واحدة من غير حرف ذولقي»[٣].

قال المصنف[٤]: وفيه معرفة[٥] الإيمان بالجبت والطاغوت في الموضع[٦]، هل هو اعتقاد قلب، أو هو موافقة أصحابها مع بغضها ومعرفة بطلانها[٧][٨].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٧٧)، رقم (١٥٩٥٦)، وأبو داود كتاب الطب، باب في الخط وزجر الطير (٢/ ٤٠٩)، والبغوي في التفسير (٢/ ٢٣٤)، وشرح السنة (١٢/ ١٧٧)، وحسنه النووي في رياض الصالحين (٥٧٤).

ومعنى العيافة: زجر الطير، والتفاؤل بأسمائها وأصواتها وممرها. غريب الحديث لابن الجوزي (٢/ ١٣٩)، النهاية (٣/ ٣٣٠).

الطرق: هو الضرب بالحصى، وقيل: هو الخط بالرمل. الغريب لأبي عبيد (٢/ ٤٦)، الغريب لابن الجوزي (طرق) (٢/ ٣٢).

الطيرة: مصدر تطير، وهو التشاؤم بالأسماء والأشخاص والحيوانات ونحوها. الغريب لابن الجوزي (طير) (٢/ ٤٨)، النهاية (طير) (٣/ ١٥٢).

(٢) في الأصل: والباء، المثبت من الصحاح (١/ ٢٤٥).

(٣) الصحاح (١/ ٢٤٥) وراجع: تفسير ابن كثير (١/ ٥١٢).

والذلاقة: صفة من صفات الحروف، وحروف الذلاقة ستة هي: اللام، والراء، والنون، والفاء، والباء، والميم، وسميت بذلك: لأنه يعتمد عليها بذلق اللسان وهو صدره وطرفه قال ابن جني: وفي هذه الحروف الستة سر طريف ينتفع به في اللغة، وذلك أنك متى رأيت اسماً رباعياً أو خماسياً غير ذي زوائد فلابد فيه من حرف من هذه الستة أو حرفين، وربما كان فيه ثلاثة وذلك نحو جعفر.ا.هـ.

وفي هذا الكلام إشكال فإن «جبت» منها حرف الباء، وهو أحد الستة، ولم أجد مخرجاً لهذا الإشكال إلا أن يحمل كلام الجوهري على الحروف الثلاثة: الراء، واللام، والنون؛ لأنهم قسموها إلى قسمين: ثلاثة ذولقية وهي السابقة، وثلاثة شفوية وهي: الفاء والباء والميم، والله أعلم.

ويقابل حروف الذلاقة الحروف المصمتة وهي بقية الحروف؛ لأنه صمت عنها أن يبنى منها كلمة رباعية أو خماسية معراة من حروف الذلاقة.

انظر: سر صناعة الإعراب، لابن جني ت: حسن هنداوي (١/ ٦٤)، لسان العرب (جبت) (١٠/ ١١٠).

(٤) يعني شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

(٥) في كتاب التوحيد: الرابعة: ومن أهمها معنى الإيمان بالجبت ...، ص ٦٩.

(٦) في كتاب التوحيد: في هذا الموضع ... ، انظر: الموضع السابق.

(٧) كتاب التوحيد، باب ما جاء أن بعض هذه الأمة يعبد الأوثان (٦٩).

(٨) تيسير العزيز الحميد، ص ٣١٦، ٣١٧.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾ [النساء: ٥٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ ﴾ أي: اتبعوا كتابه الكريم الهادي إلى سبيل السلام، والصراط المستقيم، واعتصموا به، فإنه الحبل المتين، والنور الواضح المبين، والشفاء لما في الصدور والمخرج من الظلمات إلى النور، فمن ترك العمل ببراهينه وحججه، وعدل عن قيم نهجه فقد نبذه وراء ظهره واتخذه نسياً منسياً، وتوغل في علو كفره ﴿فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا﴾[١].

﴿وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ ﴾ أي: تمسكوا بسنته المضيئة الأنوار، وخذوا بطريقته الوضيئة المنار والسمحة الرافعة للأغلال والآصار، فمن لزمها فاز بالرضوان والسلامة في دار النعيم والمقامة، ومن أخطأ فقد باء بالخسران والندامة، وقد قرن الله تعالى في كتابه طاعته بطاعة نبيه المصطفى، وكفى بذلك لجنابه شرفاً، وبين في كثير من الآيات أن من أطاع رسوله فقد أطاعه ومن عصى أمره فقد عصى أمر الله وأضاعه.

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أطاعني فقد أطاع الله ومن عصاني فقد عصى الله»[٢].

---

(١) مريم: ٥٩.

(٢) رواه البخاري في أول كتاب الأحكام من صحيحه (٨/ ١٠٤)، ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢/ ٥٣٦).

قوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ المراد بهم أمراء المسلمين في عهد الرسول ﷺ وكذلك بعده؛ لأن السبب وإن كان خاصاً، فالحكم عام قطعاً، فقد روى البخاري عن ابن عباس: أنها نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس إذ بعثه النبي ﷺ في سرية[(١)].

وروى الإمام أحمد بسنده عن علي رضي الله عنه قال: بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلاً من الأنصار. فلما خرجوا وجد عليهم في شيء فقال: أليس قد أمركم رسول الله ﷺ أن تطيعوني، قالوا: بلى. قال: فاجمعوا لي حطباً، ثم دعا بنار فأضرمها فيه. ثم قال: قد عزمت عليكم لتدخلنها، قال شاب: إنما فررتم إلى رسول الله ﷺ، من النار، فلا تعجلوا حتى تلقوا رسول الله ﷺ فإن أمركم أن تدخلوها فادخلوها. قال: فرجعوا إلى النبي ﷺ فقال لهم: «لو دخلتموها ما خرجتم منها أبداً، إنما الطاعة في المعروف»[(٢)].

فقد دلت الآية على وجوب طاعة الأمراء في زمن النبي ﷺ وبعده، ويندرج في ذلك القضاة وأمراء السرايا. وفي الحديث: «من أطاع أميري فقد أطاعني، ومن عصى أميري فقد عصاني»[(٣)].

وصرح الحديث على أن وجوب طاعتهم في غير المعصية، فقوله: ﴿وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ﴾ أي: أطيعوا أولي الأمر فيما أمروكم به من طاعة الله تعالى لا في معصية الله، فإنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وفي الصحيح عن

---

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾ (٥/ ١٨٠)، كما رواه مسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢/ ٥٣٦).

(٢) رواه الإمام أحمد (١/ ٨٢) رقم (٦٢٢)، كما رواه البخاري كتاب الأحكام، باب (٨٤/ ١٠٦)، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢/ ٥٣٩)، كلاهما بلفظ مقارب جداً.

(٣) سبق تخريجه وأوله: «من أطاعني فقد أطاع الله ... الحديث».

عبدالله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «السمع والطاعة على المرء فيما أحب وكره ما لم يؤمر بمعصية، فإذا أمر بمعصية فلا سمع ولا طاعة»[١].

وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «سَيَلي عليكم بعدي ولاة، فيليكم البر ببره، ويليكم الفاجر بفجوره، فاسمعوا لهم وأطيعوا في كل ما وافق الحق، وصلُّوا وراءهم، فإن أحسنوا فلكم ولهم، وإن أساؤوا فلكم وعليهم»[٢].

وروى مسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من رأى من أميره شيئاً فكرهه ليصبر، فإنه ليس يفارق الجماعة إلا مات ميتة جاهلية»[٣].

وقيل المراد بأولي الأمر: أهل الفقه والدين، روي عن ابن عباس ومجاهد وعطاء والحسن وأبي العالية[٤].

وقال الحافظ ابن كثير: «والظاهر أنها عامة في كل من ولي أمراً كالأمراء والعلماء»[٥].

قال الله تعالى: ﴿لَوْلَا يَنْهَىٰهُمُ ٱلرَّبَّـٰنِيُّونَ وَٱلْأَحْبَارُ عَن قَوْلِهِمُ ٱلْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ ٱلسُّحْتَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾[٧].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام ما لم تكن معصية (٨/ ١٠٥)، ومسلم كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية (١٢/ ٥٣٩).

(٢) رواه ابن جرير (٨/ ٥٠٢)، وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا حديث ضعيف جداً، وقد نقله ابن كثير والسيوطي ولم ينسباه لغير الطبري. ا.هـ. راجع: ابن كثير (١/ ٥١٧)، والسيوطي (٢/ ٥٧٦).

(٣) رواه البخاري كتاب الأحكام باب السمع والطاعة للإمام (٨/ ١٠٥)، ومسلم كتاب الإمارة باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين (١٢/ ٥٤٩) بلفظ: فليصبر.

(٤) روى ذلك عنهم جميعاً ابن جرير رحمه الله وغيره.
راجع: الطبري (٨/ ٥٠٠-٥٠١)، ابن كثير (١/ ٥١٨)، الدر المنثور (٢/ ٥٧٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٨).

(٦) المائدة: ٦٣.

(٧) النحل ٤٣، الأنبياء: ٧.

وقولـه: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ قـال مجاهد وغير واحد من السلف: «أي إلى كتاب الله وسنة رسوله»[(١)].

أمر الله تعالـى عباده المؤمنين إذا اختلفوا في فـرع أو أصل الدين -أمر إلزام وإيجاب- أن يراجعوا في ذلك الأمر الكتاب وسـنة الرسـول الكاشفة لكثيف الحجاب، الجالية دياجر[(٢)] الشـك والارتياب، المسفرة بضياء الحق والصواب، فبهما يكون فصل الخطاب، فما شهدا له بالصحة فهو الحق الذي هم فيه يختلفون، وماذا بعد الحق إلا الضلال فأنّى يُصرفون، ويشـهد لذلك قوله: ﴿ وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ﴾[(٣)].

فما حكم به كتاب الله وسنة الرسول هو فصل التنازع فلا يجوز عنه العدول، فمن لم يرض بهما حكماً عند النزاع فهو كافر مباح الدم والمال بالإجماع، ولهذا قال ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فإن الإيمان يوجب ذلك.

قوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي التحاكم إلى كتاب الله وسـنة رسـوله والرجوع إليهما في فصل النزاع في فروع الدين وأصوله.

﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: أحسن مآلاً ومآباً[(٤)]، أو أحسن جزاءً وثواباً[(٥)(٦)].

---

(١) رواه ابن جرير عن مجاهد وميمون بن مهران وقتادة والسدي.
وانظر: الدر (٢/ ٥٧٩)، ابن كثير (١/ ٥١٨).

(٢) قال ابن فارس: الديجور: الظلام، والجمع دياجر ودياجير. معجم مقاييس اللغة (٢/ ٣٢٩).

(٣) الشورى: ١٠.

(٤) وهو قول قتادة والسدي وابن زيد رحمهم الله.

(٥) وهو قول مجاهد.
والمعنى متقارب في القولين وإن اختلفت العبارة.
راجع: الطبري (٨/ ٥٠٦)، ابن كثير (١/ ٥١٨)، البحر المحيط (٣/ ٢٩١).

(٦) العقد الثمين، ص ١٧٣-١٧٦.

وقال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

هذا دليل علـــى أنه يجب رد موارد النزاع في كل مـــا تنازع فيه الناس من الدين كله أصوله وفروعه إلى الله ورســـوله لا إلى غير الله ورســـوله، فمن أحال في الرد على غيرهما لقول فلان أو نص كتابـــه أو عمل فلان، وطريقة أصحابه فقد ضادَّ الله في أمره، فلا يدخل العبـــد في الإيمان حتى يرد كل ما تنازع فيه المتنازعون إلى الله ورسوله، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ﴾ وهذا شرط ينتفي المشروط بانتفائه، فدل على أنه من حكم غير الله ورسوله في موارد النزاع كان خارجاً عن مقتضى الإيمان بالله واليوم الآخر.

وقد اتفق الســـلف والخلف على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول هو الرد إلى سنته بعد وفاته[1].

قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ أي هذا الرد الذي أمرتكم به من طاعتي وطاعة رسولي وأولي الأمر ورد ما تنازعتم فيه إلى الله والرسول خير لكم في معاشكم ومعادكم وهو سعادتكم في الدارين، فهو خير لكم وأحسن عاقبـــة، فدل على أن طاعة الله ورســـوله وتحكيم الله ورســـوله هو ســـبب السعادة عاجلاً وآجلاً.

وهذه قاعدة عظيمـــة مهمة يحتاج إليهـــا كل أحد، وطالـــب العلم إليها أحوج، فإنه في غالب الأحوال يرى نصوص أهل مذهبه قد خالفت نصوص غيرهم من أهل المذاهب، فلا ينبغي له أن يهجم على كتب المذاهب، ويأخذ بعزائمها ورخصها بل الواجب عليه أن يطلب ما جاء في تلك المســـائل عن

---

(١) انظر: تفسير الطبري (٨/ ٥٠٤)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٨).
وقد نقل الإجماع على ذلك: ابن القيم في أعلام الموقعين (١/ ٤٩).

الله ورسـوله، ويعرض نصوص مذهبه ونصوص غيرهم من أهل المذاهب على ما جاء عن الله ورسـوله فما وافقها قَبِله وما خالفها رده على قائله كائناً من كان فيجعل ما جاء عن الله ورسوله هو المعيار ويدور معه حيث دار[١].

وكثير من النـاس أو أكثرهم نكس هـذا الحكم على رأسـه وجعلوا الحكم للكتب التـي صنفهـا المتأخـرون ﴿ فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم بَيۡنَهُمۡ زُبُرٗاۖ كُلُّ حِزۡبِۭ بِمَا لَدَيۡهِمۡ فَرِحُونَ ﴾[٢]، بل صرح بعضهـم في مصنفاته بأنه يجب علـى العامي أن يتمذهب بمذهب يأخذ بعزائمـه ورخصه، وإن خالف نص الكتاب أو السـنة[٣]، وهذا من أعظم حيل الشـيطان وحبائله التي صاد بها كثيراً ممن ينتسـب إلى العلم والدين فنبذوا كتاب الله وسنة رسـوله ﷺ وراء ظهورهم كأنهم لا يعلمون، وأقبلوا على الكتب التـي صنفها متأخروهم، وقالـوا هم أعلم منا[٤]، ثم لـم يكتفوا بها، ولم يعملوا بما فيها، بل إن وافق ما فيها أهواءهم قبلـوه وعملوا به، وقالوا نص عليه في الكتاب الفلاني، وإن خالف ما فيها أهواءهـم لم يعبؤوا بها، ولم يحتجوا بها بل ربما جعلوا حجتهم ما فعله إخوان الشياطين من الرعايا والسلاطين الذين بنوا القباب على القبـور وارتكبوا كل محظور، فزخرفوا القبور بالبناء وكسـوها كما يكسـى البيت الحرام وفعلوا عندها ما يفعله عباد الأصنـام حتى آل الأمر إلى أن صار فعلهم هذا حجة تعارض بها النصـوص، فيقول قائلهم: هذا موجود في كل

(١) راجع المسألة: الرسالة للشافعي (٧٩-٨١)، الأحكام لابن حزم (٩٣-٩٩)، أعلام الموقعين (١/ ٤٨-٥١)، الاعتصام للشاطبي (٢/ ٨٢١).

(٢) المؤمنون: ٥٣.

(٣) انظر: الفتاوى (١٩/ ٢٦٢)، حيث ذكر شيخ الإسلام رحمه الله تحريم هذا النوع من التقليد بالنص والإجماع.

(٤) انظر: ما ذكره الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله- في الحديث عن هذه القضايا في باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل الله أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله، ص ٣٣٧ من فتح المجيد.

عصر ومصر من غير نكير فيكون إجماعاً، هــذا مع علمه بما نص عليه الفقهاء من النهي عن ذلك، وتحريمه[١].

وقال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله:

لما كان قد سـبق في علم الله وقضائه أنه سـيقع الاختلاف بين الأمة، أمرهم وأوجب عليهم عند التنازع الرد إلى كتابه وسـنة نبيه ﷺ، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾.

قال العلماء: الــرد إلى الله الرد إلى كتابه والرد إلى رسـوله الرد إليه في حياته، والرد إلى سـنته بعد وفاتــه، ودلت الآيات على أن مــن لم يرد عند التنازع إلى كتاب الله وسـنة نبيه فليس بمؤمن لقوله تعالى: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فهذا شـرط ينتفي المشروط بانتفائه، ومحال أن يأمر الله الناس بالرد إلى ما لا يفصل النزاع لا سيما في أصول الدين التي لا يجوز فيها التقليد عند عامة العلماء[٢]، وقال اللــه تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤۡمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيۡنَهُمۡ ثُمَّ لَا يَجِدُواْ فِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَرَجٗا مِّمَّا قَضَيۡتَ وَيُسَلِّمُواْ تَسۡلِيمٗا﴾[٣][٤].

وقال أيضاً:

لم يأمر سـبحانه عباده عند الاختلاف بالرد إلى أهــل البلد، ولا إلى ما عليه

---

(١) الدرر السنية (٩/ ٣٥-٣٦).

(٢) قال أبو الخطاب -رحمه الله-: العلوم على ضربين: منها ما لا يسوغ التقليد فيه وهو: معرفة الله ووحدانيته، وصحة الرسالة ونحو ذلك، وأما التقليد في الفروع فهو جائز. ا.هـ. باختصار التمهيد (٤/ ٣٩٦)، وانظر: المسودة (٤٥٧)، الأحكام لابن حزم (٢/ ٨٦١)، روضة الناظر (٣/ ١٠١٧).

(٣) النساء: ٦٥.

(٤) الدرر السنية (٩/ ٢٥٥).

أكثر الناس، ولا إلى شخص غير الرسول، قال تعالى: ﴿فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ و﴿شَيۡءٖ﴾ نكرة في سياق الشرط فيعم كل شيء حصل فيه النزاع من أصول الدين وفروعه، ثم قال: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾ وهذا خطاب لجميع الناس إلى آخر الزمان، وأجمع العلماء على أن الرد إلى الله هو الرد إلى كتابه والرد إلى الرسول الرد إليه في حياته والرد إلى سنته بعد مماته[1].

قال ابن كثير رحمه الله في الآية: «هذا أمر من الله تعالى بأن كل شيء تنازع فيه المسلمون من أصول الدين، وفروعه أن يرد المتنازع فيه من ذلك إلى الكتاب والسنة، كما قال تعالى: ﴿وَمَا ٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِيهِ مِن شَيۡءٖ فَحُكۡمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾[2]، فما حكم به كتاب الله وسنه نبيه، وشهدا له بالصحة فهو الحق ﴿فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ﴾[3]، ولهذا قال: ﴿إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ﴾ فدل على أن من لم يتحاكم في محل النزاع إلى الكتاب والسنة، ولا يرجع إليهما في ذلك فليس بمؤمن بالله واليوم الآخر.

وقوله: ﴿ذَٰلِكَ خَيۡرٞ﴾ أي: التحاكم إلى كتاب الله وسنة نبيه والرجوع في فصل القضاء إليهما ﴿وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا﴾ أي: وأحسن عاقبة ومآلاً». انتهى[4].

ومن المحال أن يأمر الله سبحانه بالتحاكم إلى ما لا يفصل النزاع، ويحكى عن بعض الضلال أنه يقول: نحن مقلدون ولسنا داخلين تحت

(١) انظر: أعلام الموقعين (١/ ٤٩).

(٢) الشورى: ١٠.

(٣) يونس: ٣٢.

(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥١٨) باختصار يسير.

حكـــم هذه الآية ونحوها[١]، فيقال له: يلزمك هذا في جميع خطاب القرآن كقوله: ﴿أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾[٢]، ﴿ٱتَّبِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ﴾[٣]، ﴿وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ مُبَارَكٞ فَٱتَّبِعُوهُ﴾[٤]، وغير ذلك من خطـاب القرآن من الأوامر والنواهي، فمن زعم أنه ليس داخلاً في ذلك ولا معنياً به فلا شك في كفره.

ومن أعظم مكائد الشـيطان لكثير من الناس خصوصاً من ينتسـب إلى علم أن حال بينهم وبين تدبر القرآن وتفهمه خصوصـاً فيما تضمنه من أدلة التوحيد، وسـائر أصول الدين التي لا يجوز التقليد فيها عند عامة العلماء[٥]، فإذا علم أنه لا يجوز التقليد فيها تعين معرفة أدلتها من الكتاب والسنة، والله سـبحانه قد بين ذلك غاية البيـان، والنبي ﷺ بين للناس ما نُـزل إليهم من ربهم، قال الله تعالـى: ﴿وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ﴾[٦]، ثم الصحابة والتابعون لهم بإحسان وأئمة الهدى بعدهم تكلموا في ذلك بما يكفي ويشـفي، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٞ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ﴾[٧]، قال ابـن كثير رحمه الله: «يخبر سـبحانه أن في القرآن آيات محكمات أي بينات واضحات الدلالـة لا التباس فيها على أحد، ومنه

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– عن بعض رؤساء المخالفين أنهم قالوا: القرآن لا يجوز العمل به لنا، ولا أمثالنا، ولا بكلام الرسول، ولا بكلام المتقدمين، ولا نقبل إلا ما ذكر المتأخرون. ا.هـ.
الدرر السنية (١/ ٨٢)، وانظر في المسألة: الفتاوى (١٩/ ٢٧٢)، أضواء البيان (٧/ ٤٣٠)، وما بعدها فقد تكلم الشيخ –رحمه الله– على هذه المسألة بكلام نفيس، فليراجع.

(٢) الأنفال: ٢٠.

(٣) الأعراف: ٣.

(٤) الأنعام: ١٥٥.

(٥) انظر: ما سبق.

(٦) النحل: ٤٤.

(٧) آل عمران: ٧.

آيات أُخَر فيها اشتباه في الدلالة على كثير من الناس، أو بعضهم، فمن رد ما اشـتبه إلى الواضح منه، وحكم محكمه على متشابهه عنده فقد اهتدى ومن عكس انعكس». انتهى[١].

وروي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «المحكمات: قوله تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْاْ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ﴾[٢] الآيات، وقوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[٣] وآيات بعدها»[٤]، يعني أن هذه الآيات ونحوها من المحكم، وقال ابن عباس أيضاً: «التفسير على أربعة أنحاء: تفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير تعرفه العرب من لغتها، وتفسير لا يعلمه إلا الله»[٥][٦].

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُواْ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓاْ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦٠-٦١].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٤٤).

(٢) الأنعام: ١٥١-١٥٣.

(٣) الإسراء: ٢٢-٣٩.

(٤) رواه ابن جرير (٦/ ١٧٤)، وقال في الحاشية: والأثر نفسه رواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٢٨٨). ا.هـ.
والذي في المستدرك من وجه آخر ليس فيه سوى آيات الأنعام، وقد قال السيوطي في الدر المنثور (٢/ ١٤٥): وأخرج سعيد بن منصور وابن أبي حاتم والحاكم وصححه وابن مردويه عن عبدالله بن قيس: سمعت ابن عباس يقول: فذكره، والله أعلم.

(٥) رواه ابن جرير في مقدمة تفسيره (١/ ٧٥).

(٦) الدرر السنية (٩/ ٢٨١، ٢٨٢).

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

ذكر ابن القيم أن الطاغوت: «كل ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع»[١]، فكل من حاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فقد حاكم إلى الطاغوت الذي أمر الله تعالى عباده المؤمنين أن يكفروا به، فإن التحاكم ليس إلا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن كان يحكم بهما، فمن تحاكم إلى غيرها فقد تجاوز به حده، وخرج عما شرعه الله ورسوله ﷺ وأنزله منزلة لم يستحقها[٢].

وكذلك من عبد شيئاً دون الله فإنما عبد الطاغوت[٣]، فإن كان المعبود صالحاً صارت عبادة العابد له راجعة إلى الشيطان الذي أمره بها، كما قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَاؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَافِلِينَ ﴿٢٩﴾ هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ ۚ وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ ۖ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٣٠﴾﴾[٤].

وكقوله: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَٰؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ۖ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ ۖ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[٥].

---

(١) أعلام الموقعين (١/ ٥٠).

(٢) انظر: ما ذكره الإمام ابن القيم رحمه الله عن التحاكم لغير الكتاب والسنة في الموضع السابق.

(٣) قال أبو جعفر: «الصواب من القول عندي في ﴿الطَّاغُوتِ﴾ أنه كل ذي طغيان على الله فعبد دونه، إما بقهر منه لمن عبده، وإما بطاعة ممن عبده له، إنساناً كان ذلك المعبود أو شيطاناً، أو وثناً، أو صنماً أو كائناً ما كان من شيء». ا.هـ. (٥/ ٤١٩) في تفسير قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(٤) يونس: ٢٨-٣٠.

(٥) سبأ: ٤٠-٤١.

وإن كان ممن يدعو إلى عبادة نفسه أو كان شجراً أو حجراً أو قبراً أو غير ذلك مما يتخذه المشركون أصناماً على صور الصالحين والملائكة وغير ذلك فهي من الطاغوت الذي أمر الله عباده أن يكفروا بعبادته، ويتبرؤوا منه، ومن عبادة كل معبود سوى الله كائناً من كان، وهذا كله من عمل الشيطان وتسويله، فهو الذي دعا إلى كل باطل وزينه لمن فعله، وهذا ينافي التوحيد الذي هو معنى شهادة أن لا إله إلا الله.

فالتوحيد: هو الكفر بكل طاغوت عبده العابدون من دون الله كما قال تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾[1].

وكل من عبد غير الله فقد جاوز به حده وأعطاه من العبادة ما لا يستحقه. قال الإمام مالك رحمه الله: «الطاغوت ما عبد من دون الله»[2].

وكذلك من دعا إلى تحكيم غير الله ورسوله فقد ترك ما جاء به الرسول ﷺ ورغب عنه، وجعل لله شريكاً في الطاعة وخالف ما جاء به رسوله ﷺ فيما أمره الله تعالى به في قوله: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَن بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾[4].

---

(١) الممتحنة: ٤.
(٢) رواه ابن أبي حاتم، الدر المنثور (٢/ ٢٢).
(٣) المائدة: ٤٩.
(٤) النساء: ٦٥.

فمن خالف ما أمر الله به ورسوله ﷺ بأن حكم بين الناس بغير ما أنزل الله، أو طلب ذلك اتباعاً لما يهواه ويريده فقد خلع ربقة الإسلام والإيمان من عنقه وإن زعم أنه مؤمن، فإن الله تعالى أنكر على من أراد ذلك، وأكذبهم في زعمهم الإيمان لما في ضمن قوله: ﴿يَزْعُمُونَ﴾ من نفي إيمانهم، فإن ﴿يَزْعُمُونَ﴾ إنما يقال غالباً لمن ادعى دعوى هو فيها كاذب لمخالفته لموجبها وعمله بما ينافيها[1]، يحقق هذا قوله: ﴿وَقَدْ أُمِرُوٓاْ أَن يَكْفُرُواْ بِهِۦ﴾ لأن الكفر بالطاغوت ركن التوحيد، كما في آية البقرة[2] فإذا لم يحصل هذا الركن لم يكن موحداً، والتوحيد هو أساس الإيمان الذي تصلح به جميع الأعمال وتفسد بعدمه. كما أن ذلك بين في قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾[3]، وذلك أن التحاكم إلى الطاغوت إيمان به.

وقوله: ﴿وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ يبين تعالى في هذه الآية أن التحاكم إلى الطاغوت مما يأمر به الشيطان ويزينه لمن أطاعه، ويبين أن ذلك مما أضل به الشيطان من أضله؛ وأكده بالمصدر، ووصفه بالبعد، فدل على أن ذلك من أعظم الضلال وأبعده عن الهدى.

ففي هذه الآية أربعة أمور:

الأول: أنه من إرادة الشيطان.

الثاني: أنه ضلال.

---

(١) وفي الحديث: «بئس مطية الرجل زعموا» رواه أبو داود.
انظر: معالم السنن (٤/ ١٣٠)، فتح الباري (١٠/ ٥٥١)، معجم المناهي اللفظية (٢٩٠).

(٢) قوله تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٦].

(٣) البقرة: ٢٥٦.

الثالث: تأكيده بالمصدر.

الرابع: وصفه بالبعد عن سبيل الحق والهدى.

فسبحان الله ما أعظم هذا القرآن وأبلغه، وما أدله على أنه كلام رب العالمين، أوحاه إلى رسوله الكريم، وبلغه عبده الصادق الأمين صلوات الله وسلامه عليه.

قوله: ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴾ .

بين تعالى أن هذه صفة المنافقين، وأن من فعل ذلك أو طلبه، وإن زعم أنه مؤمن فإنه في غاية البعد عن الإيمان.

قال العلامة ابن القيم رحمه الله تعالى: هذا دليل على أن من دُعي إلى تحكيم الكتاب والسنة فأبى أنه من المنافقين[1].

قوله: ﴿يَصُدُّونَ ﴾ لازم[2]، وهو بمعنى يعرضون؛ لأن مصدره ﴿صُدُودًا ﴾ فما أكثر من اتصف بهذا الوصف، خصوصاً ممن يدعي العلم فإنهم صدوا عما توجبه الأدلة من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ إلى أقوال من يخطئ كثيراً ممن ينتسب إلى الأئمة الأربعة في تقليدهم من لا يجوز

---

(١) لم أجده بهذا اللفظ، وهو بمعناه في مواطن. انظر مثلًا: الصواعق المرسلة (٣/ ٨٢٨).

(٢) يقسم النحاة الأفعال إلى ثلاثة أقسام:
الأول: مالا يوصف بتعد ولا لزوم وهو «كان» وأخواتها.
الثاني: المتعدي وهو الذي ينصب المفعول به مثل أعطى علي خالداً.
الثالث: اللازم وهو الذي يكتفي برفع الفاعل ولا يتعدى للمفعول إلا بالجار مثل: مررت بالرجل.
وبعض النحاة يقسم الفعل إلى قسمين ويحذف القسم الأول.
انظر: أوضح المسالك (٢/ ١٧٥)، شرح ابن عقيل لألفية ابن مالك (١/ ٥٣٣).
وإنما قال الشيخ: إنه لازم لأن «صد» قد يكون لازماً كما هو في الآية، وقد يكون متعدياً: صد يصد صداً إذا منع غيره.

تقليده، واعتمادهم على قول من لا يجوز الاعتماد على قوله، ويجعلون قوله المخالف لنص الكتاب والسنة وقواعد الشريعة هو المعتمد عندهم الذي لا تصح الفتوى إلا به. فصار المتبع للرسول ﷺ بين أولئك غريباً، كما تقدم التنبيه على هذا في الباب الذي قبل هذا[١].

فتدبر هذه الآيات وما بعدها يتبين لك ما وقع فيه غالب الناس من الإعراض عن الحق وترك العمل به في أكثر الوقائع والله المستعان[٢].

قال تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٧٥].

قال الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق رحمه الله:

إن كثيراً من الناس -بل أكثر ممن[٣] ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان- غلطوا في معنى الاستضعاف، وما هو المراد به. وقد بين الله ذلك في كتابه بياناً شافياً، فقال: **﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾**.

فبين الله مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام؛ وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم، فدل على حرصهم على الخروج، وأنه متعذر عليهم.

---

(١) الباب من كتاب التوحيد، باب من أطاع العلماء والأمراء في تحريم ما أحل أو تحليل ما حرم الله فقد اتخذهم أرباباً من دون الله. ص ٣٣٧.

(٢) فتح المجيد، ص ٣٤٤-٣٤٦.

(٣) هكذا وردت ولعل الصواب: من، والله أعلم.

ويدل على ذلك: وصفهم أهل القرية بالظلم، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم ولياً يتولاهم ويتولونه، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين هم بين أظهرهم.

وقال تعالى: ﴿ إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴾[١]، فذكر -في هذه الآية- حالهم التي هم عليها، وهي أنهم لا يستطيعون حيلة.

قال ابن كثير: «ولا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين -ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق؛ ولهذا قال: ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً﴾. قال عكرمة: «يعني نهوضاً إلى المدينة»[٢]، ﴿وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا﴾ قال مجاهد[٣]، وعكرمة[٤]: يعني طريقاً»[٥]. ا.هـ.

والحاصل: أن المستضعفين: هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين، وهم مع ذلك يقولون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وهم مع ذلك لا يدلون الطريق، فمن كانت هذه حاله، وذلك مقاله ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾[٦].

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين، ولم يمنعه من ذلك

---

(١) النساء: ٩٨.

(٢) رواه ابن جرير (٩/ ١١١)، ورواه عبدالرزاق في التفسير بلفظ مقارب (١/ ١٧٠)، وعزاه في الدر المنثور (٢/ ٦٤٩)، لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم «لفظ عكرمة في الموضعين في رواية واحدة».

(٣) رواه ابن جرير (٩/ ١١١)، وعبد بن حميد وابن المنذر. انظر: الدر المنثور (٢/ ٦٤٩).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٢)، بتصرف يسير.

(٦) النساء: ٩٩.

إلا المشحة[١] بوطنه، أو عشيرته أو ماله، أو غير ذلك، فإن الله تعالى لم يعذر من تعذر بذلك، وسماه ظالماً لنفسه، فقال: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾[٢].

وفي تفسير الجلالين: قوله: «﴿ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بالمقام بين المشركين»[٣].

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: «فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين، وهو قادر على الهجرة، وليس متمكناً من إقامة الدين، فهو مرتكب حراماً بالإجماع، وبنص الآية، حيث يقول: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أي: بترك الهجرة ﴿قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ ۖ﴾ أي: لم مكثتم هاهنا، وتركتم الهجرة، ﴿قَالُوا۟ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ﴾ أي: لا نقدر على الخروج من البلد، ولا الذهاب في الأرض ﴿قَالُوٓا۟ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا ۚ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾.

وروى أبو داود، عن سمرة بن جندب، مرفوعاً: «من جامع المشرك وسكن معه فإنه مثله»[٤].

وقال السدي: لما أسر العباس، وعقيل، ونوفل، قال رسول الله ﷺ للعباس: «افد نفسك وابني أخيك» قال: يا رسول الله! ألم نصل إلى قبلتك، ونشهد شهادتك. قال: «يا عباس! إنكم خاصمتم فخصمتم» ثم تلا هذه

---

(١) المشحة: من الشح .. فهو يشح بترك وطنه.

(٢) النساء: ٩٧.

(٣) تفسير الجلالين (٧٨).

(٤) رواه أبو داود كتاب الجهاد، باب في الإقامة بأرض الشرك (٢/ ١٠١) وحسنه الألباني. انظر: السلسلة الصحيحة (٥/ ٤٣٤) رقم (٢٣٣٠).

الآية: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُوا۟ فِيهَا﴾ الآية، رواه ابن أبي حاتم[1]»[2]. انتهى.

والمقصود منه: بيان مسألة الاستضعاف، وأن المستضعف هو الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً، وهو مع ذلك يقول: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَٱجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾، وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله، ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً كاذب في دعواه، وعذره غير مقبول عند الله تعالى، ولا عند رسوله، ولا عند أهل العلم بشريعة الله[3].

قال تعالى: ﴿مَّآ أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ أَصَابَكَ مِن سَيِّئَةٍ فَمِن نَّفْسِكَ ۚ وَأَرْسَلْنَٰكَ لِلنَّاسِ رَسُولًا ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩].

---

(١) انظر: الدر المنثور (٢/ ٦٤٧)، ورواه ابن جرير (٩/ ١٠٦).
والعباس هو ابن عبدالمطلب.
وعقيل: هو ابن أبي طالب، ابن عم رسول الله ﷺ كان أكبر إخوته، وكان أكبر من جعفر بعشر سنين، وجعفر أكبر من علي بعشر سنين، يكنى أبا يزيد، أسلم قبل الحديبية وشهد مؤتة، كان سريع الجواب المسكت للخصم، وكان أعلم قريش بنسبها وأيامها، توفي رضي الله عنه زمن خلافة معاوية.
انظر: الطبقات (٤/ ٢٩)، أسد الغابة (٣/ ٥٦٠).
ونوفل: هو ابن الحارث بن عبدالمطلب أبو الحارث، ابن عم رسول الله ﷺ، كان من أسن إخوته ومن سائر من أسلم من بني هاشم حتى من حمزة والعباس، وكان هو والعباس رضي الله عنهما شريكين في الجاهلية متحابين وآخى الرسول ﷺ بينهما بعد الإسلام، وكان أسلم بعد بدر وقيل: أسلم وهاجر أيام الخندق، وكان قد فداه عمه العباس يوم بدر وقيل: فدى نفسه برماح كانت له، شهد الفتح وحنين والطائف، وتوفي عام ١٥هـ بالمدينة رضي الله عنه وأرضاه.
انظر: أسد الغابة (٤/ ٥٩٣)، الإصابة (٦/ ٢٥٨).
(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٤٢).
(٣) سبيل النجاة والفكاك، ص ٩٥-٩٨.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

أي ما أصابك من خصب ونصر وهدى فالله أنعم به عليك، وما أصابك من جدب وذل وشر[١] فبذنوبك وخطاياك، وكل الأشياء كائنة بمشيئة الله وقدرته وخلقه، فلا بد أن يؤمن بقضاء الله وقدره خيره وشره، وحلوه ومره، وأن يؤمن بشرع الله وأمره.

فمن نظر إلى الحقيقة القدرية وأعرض عن الأمر والنهي، والوعد والوعيد، كان مشابهاً للمشركين[٢].

ومن نظر إلى الأمر والنهي، وكذب بالقضاء والقدر، كان مشابهاً للمجوس[٣].

ومن آمن بهذا وبهذا فإذا أحسن حمد الله، وإذا أساء استغفر الله[٤]، وعلم أن ذلك كله بقضاء الله وقدره فهو من المؤمنين، فإن آدم عليه السلام لما أذنب تاب فاجتباه ربه وهدى، وإبليس أصر واحتج بالقدر فلعنه الله وأقصاه، فمن

---

(١) قال ابن الجوزي: في الحسنة والسيئة ثلاثة أقوال:
أحدها: أن الحسنة ما فتح عليه يوم بدر، والسيئة: ما أصابه يوم أحد.
الثاني: الحسنة: الطاعة، والسيئة: المعصية.
الثالث: الحسنة: النعمة، والسيئة: البلية. زاد المسير (٢/ ١٣٨). ولعل هذا من اختلاف التنوع لا التضاد، والحسنة والسيئة تشملان كل ما ذكر كما تشير إليه عبارة الشيخ رحمه الله.

(٢) الذين يقولون: ﴿لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ فزعموا أن شركهم مراد لله؛ لأنه لو لم يرده لم يقع.

(٣) وذلك أنهم قالوا: إن الله لا يخلق أفعال العباد، بل أفعالهم من خلقهم، فأثبتوا خالقاً مع الله فشابهوا المجوس الذين قالوا بإلهين.

(٤) قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله: قال أبو سليمان الداراني: إنما يعجب بفعله القدري لأنه لا يرى أنه -الله- هو الخالق لفعله، فأما أهل السنة يقرون أن الله خالق أفعالهم، وأن لله المنة عليهم في ذلك فكيف يعجبون بها؟ أو كما قال. ا.هـ.
الفتاوى (١٧/ ٦٤-٦٥).

تاب كان آدمياً، ومن أصر واحتج بالقدر كان إبليسياً، فالسعداء يتبعون أباهم آدم، والأشقياء يتبعون عدوهم إبليس[١][٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ ۚ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

قال البيضاوي: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ﴾ لمن حياكم بتحية الإسلام.

وقرأ نافع[٣] وابن عامر[٤] وحمزة[٥] (السَلَم) وفسره البيضاوي

(١) راجع: الفتاوى (١٤/ ٢٢٩)، فقد أطال شيخ الإسلام رحمه الله النفس في الحديث عن هذه الآية وبيَّن معنى الحسنة والسيئة وذكر حقيقة قول القدرية وبيِّن بطلانه، وقد طبع الكتاب مستقلاً بعنوان «الحسنة والسيئة».

(٢) مجموع الرسائل والمسائل (٢/ ٦٣).

(٣) نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم، أبو رويم وقيل: أبو نعيم الليثي مولاهم، أحد القراء السبعة، أخذ القراءة عن الأعرج وأبي جعفر وغيرهما، واشتهر بالرواية عنه قالون وورش، كان أسود اللون حسن الخلق، يباسط أصحابه، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالمدينة، توفي عام ١٦٩هـ.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ١٠٧)، غاية النهاية لابن الجزري (٢/ ٣٣٠).

(٤) عبدالله بن عامر بن يزيد اليحصبي، إمام أهل الشام ولد عام ٢١هـ، ولقي بعض الصحابة، وأخذ القراءة عن المغيرة بن أبي شهاب المخزومي عن عثمان، واشتهر بالرواية عنه هشام وابن ذكوان، توفي عام ١١٨هـ بدمشق.
انظر: معرفة القراء الكبار (١/ ٨٢)، غاية النهاية لابن الجزري (١/ ٤٢٣).

(٥) حمزة بن حبيب الزيات، أبو عمارة التيمي مولاهم الكوفي، ولد عام ٨٠هـ، أخذ القراءة عن الأعمش وطلحة بن مصرف، واشتهر بالرواية عنه خلف وخلاد، توفي عام ١٥٨هـ.
انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٣٨٥)، غاية النهاية لابن الجزري (١/ ٢٦١).

بالاستسلام والانقياد، وفسر به السلام أيضاً، وجزم بأنه استسلم وانقاد للإسلام على القراءتين[١].

وقال في قوله: ﴿لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ أي: «إنما فعلت ذلك متعوذاً»[٢]، فظهر أنه أظهر لهم الإسلام، وإنما أتوه من جهة ظنهم عدم صدقه.

وقال الإمام أحمد في مسنده: حدثنا يحيى بن أبي بكير[٣] وحسين بن محمد[٤] وخلف بن الوليد[٥] حدثنا إسرائيل[٦] عن سماك[٧] عن عكرمة عن ابن عباس قال: «مر رجل من بني سليم بنفر من أصحاب النبي ﷺ يسوق

---

(١) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٣١)، وانظر: السبعة لابن مجاهد (٢٣٦).

(٢) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٢٣١).

(٣) يحيى بن أبي بكير العبدي، أبو زكريا الكرماني روى عن شعبة وفضيل بن مرزوق وإسرائيل وغيرهم وعنه: أحمد ومحمود بن المثنى وغيرهما، ثقة فاضل، توفي عام ٢٠٨هـ.
انظر: الكاشف (٣/ ٢٢١)، تهذيب التهذيب (١١/ ١٩٠).
ورد في الأصل يحيى بن بكير والصواب المثبت أعلاه. والله أعلم.

(٤) حسين بن محمد بن بهرام التميمي أبو أحمد المؤدب، روى عن إسرائيل وابن أبي ذئب وغيرهما، وعنه: أحمد وعباس الدوري وغيرهما، قال في التقريب: ثقة، توفي عام ٢١٣هـ.
انظر: الكاشف (١/ ١٧٢)، التهذيب (٢/ ٣٦٦)، التقريب (١٦٨) رقم (١٣٤٥).

(٥) خلف بن الوليد العتكي الجوهري البغدادي أبو الوليد، نزيل مكة روى عن: شعبة وإسرائيل وشريك وغيرهم، وعنه: أحمد وأبو زرعة وآخرون، وثقه ابن معين وأبو زرعة وأبو حاتم.
انظر: تعجيل المنفعة (١١٧).

(٦) إسرائيل بن يونس بن أبي إسحاق السبيعي، أبو يوسف الهمداني الكوفي، روى عن جده وسماك بن حرب وغيرهما، وعنه: يحيى بن أبي بكير وحسين بن محمد وخلف بن الوليد وغيرهم، ثقة أخرج له الجماعة، توفي عام ١٦٢هـ.
انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٥١٥)، تذكرة الحفاظ (١/ ٢١٤).

(٧) سماك بن حرب بن أوس الذهلي البكري الكوفي، روى عن جابر بن سمرة وأنس وعكرمة وغيرهم، وعنه الأعمش وإسرائيل وغيرهما، قال الحافظ في التقريب: صدوق، وروايته عن عكرمة خاصة مضطربة. ا.هـ. توفي عام ١٢٣هـ.
انظر: تهذيب التهذيب (٤/ ٢٣٢)، تقريب التهذيب (٢٥٥) رقم (٢٦٢٤)، الكاشف (١/ ٣٢١).

غنماً. فسلم عليهم فقالوا: ما سلم علينا إلا ليتعوذ منا، فعمدوا إليه فقتلوه، وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت هذه الآية[١]، وقال أحمد: حدثنا يعقوب[٢] حدثنا أبي[٣] عن محمد بن إسحاق حدثنا يزيد بن عبدالله بن قُسَيط[٤] عن القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد[٥] قال: بعثنا النبي ﷺ إلى إضَم[٦]

(١) رواه الإمام أحمد (١/ ٢٢٩) رقم (٢٠٢٣) و(١/ ٢٧٢) رقم (٢٤٦٢)، ورواه الترمذي (٨/ ٢٠٠) كتاب تفسير القرآن، سورة النساء، وقال: هذا حديث حسن، وابن جرير في تفسيره (٩/ ٧٦)، والحاكم في المستدرك (٢/ ٢٣٥)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، والواحدي في أسباب النزول (١٧٥) كلهم من طريق إسرائيل.

(٢) يعقوب بن إبراهيم بن سعد بن إبراهيم بن عبدالرحمن بن عوف الزهري، أبو يوسف المدني روى عن أبيه وشعبة وغيرهما، وعنه أحمد وإسحاق وغيرهما، كان ثقة أميناً ورعاً توفي عام ٢٠٨هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٠٢)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٨٠).

(٣) إبراهيم بن سعد أبو إسحاق المدني، روى عن أبيه ومحمد بن إسحاق وآخرين، وعنه ابناه: يعقوب وسعد وغيرهما، وثقه أحمد وابن معين وغيرهما، مات ١٨٣هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٢/ ١٠١)، تهذيب التهذيب (١/ ١٢١).

(٤) يزيد بن عبدالله بن قسيط بن أسامة الليثي أبو عبدالله المدني الأعرج روى عن ابن عمر وأبي هريرة وآخرين، وعنه: ابن إسحاق والليث وجماعة كان أميناً فقيهاً، وثقه غير واحد، توفي عام ١٢٢هـ بالمدينة.
انظر: الجرح والتعديل (٩/ ٢٧٣)، تهذيب التهذيب (١١/ ٣٤٢).

(٥) كذا في النص وفي ابن كثير أيضاً، والصواب: عن القعقاع بن عبدالله بن أبي حدرد عن أبيه كما في المسند (٦/ ١١)، والطبري (٩/ ٧٣)، والقعقاع قد اختلف العلماء في صحبته وقد روى عن أبيه وغيره وعنه: يحيى بن سعيد ويزيد بن عبدالله بن قسيط وغيرهما.
انظر: أسد الغابة (٤/ ١٠٨)، تعجيل المنفعة (٤٣).
وعبدالله بن أبي حدرد صحابي شهد الحديبية وخيبر وما بعدهما، بعثه النبي ﷺ عيناً إلى عوف بن مالك النصري، له رواية عن النبي ﷺ وأبي بكر وعمر توفي عام واحد وسبعين وله إحدى وثمانون سنة.
انظر: أسد الغابة (٣/ ١٠٦)، تعجيل المنفعة (٢١٨).

(٦) إضم: بكسر أوله وفتح ثانيه، واد يشق الحجاز حتى يفرغ في البحر، من عند المدينة وهو واد لأشجع وجهينة وقيل غير ذلك.
انظر: معجم البلدان (١/ ٢١٤).

فخرجت في نفر فيهم أبو قتادة ومُحَلم بن جثَّامة[١]، حتى إذا كنا ببطن إضَم مر بنا عامر بن الأضْبَط[٢] على قعود[٣] له، معه مُتَيْع[٤] له ووَطَب[٥] من لبن، فسلم علينا، فأمسكنا عنه وحمل عليه مُحَلم بن جثامة فقتله، لشيء كان بينه وبينه، وأخذ بعيره ومُتيعة، فلما قدمنا على النبي ﷺ وأخبرناه نزل فينا: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبۡتُمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ ﴾ الآية»[٦].

وروى البزار عن ابن عباس قال: «بعث النبي ﷺ سرية[٧] فيها المقداد بن الأسود، فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير لم يبرح، وقال: أشهد أن لا إله إلا الله، فأهوى إليه المقداد فقتله، فقال رجل من أصحابه: أقتلت رجلاً شهد أن لا إله إلا الله؟ والله لأذكرن ذلك للنبي ﷺ

---

(١) مُحَلم بن جثامة بن يزيد بن قيس الليثي، أخو الصعب بن جثامة، قيل: إنه توفي في عهد النبي ﷺ فدفنوه فلفظته الأرض مرة بعد أخرى فأمر به فألقي بين جبلين وألقي عليه حجارة، وقيل: بل ذلك غيره. والله أعلم.
انظر: أسد الغابة (٤/ ٣٠١)، الإصابة (٦/ ٤٩).

(٢) عامر بن الأضبط الأشجعي، معدود من الصحابة، ذكره ابن الأثير في أسد الغابة وذكر قصة قتله.
انظر: أسد الغابة (٣/ ١٣).

(٣) القعود: البكر من الإبل، حين يمكن ظهره من الركوب، وذلك إذا كان له سنتان وجمعة: أقعدة وقُعُد وقعدان.
انظر: لسان العرب (قعد) (٢/ ٣٥٩).

(٤) متيع: تصغير متاع.

(٥) الوطب: الزق الذي يكون في السمن واللبن، وهو جلد الجذع فما فوقه، وجمعه: أوطاب وَوِطاب.
انظر: النهاية (وطب) (٥/ ٢٠٣).

(٦) رواه الإمام أحمد (٦/ ١١) رقم (٢٣٩٢٧)، وابن جرير (٩/ ٧٣)، والبيهقي في الدلائل (٤/ ٣٠٥).

(٧) السرية: طائفة من الجيش يبلغ أقصاها أربعمئة، وجمعها سرايا.
انظر: النهاية (سرى) (٢/ ٣٦٣).

فلما قدموا على النبي قال: ادعوا لي المقداد، يا مقداد، أقتلت رجلاً يقول لا إله إلا الله؟ فكيف لك بلا إله إلا الله غداً؟ قال: فأنزل الله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ الآية، فقال رسول الله ﷺ للمقداد: «كان رجلاً مؤمناً يخفي إيمانه مع قوم كفار فقتلته، كذلك كنت تخفي إيمانك بمكة»[١]، وهذه الجملة الأخيرة من الحديث رواها البخاري في صحيحه تعليقاً[٢][٣].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ [النساء: ٩٧].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أي في أي فريق كنتم أفي فريق المسلمين أم في فريق المشركين فاعتذروا عن كونهم لم يكونوا في فريق المسلمين بالاستضعاف فلم تعذرهم الملائكة، قال الله تعالى: ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ ۖ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ قَالُوٓاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا ۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾ .

ولا يشك عاقل أن أهل البلدان الذين خرجوا عن المسلمين وصاروا مع المشركين وفي فريقهم وجماعتهم أعظم ممن ترك الهجرة مشحة بوطنه وأهله وماله هذا مع أن الآية نزلت[٤] في أناس من أهل مكة أسلموا واحتبسوا عن الهجرة، فلما خرج المشركون إلى بدر أكرهوهم على الخروج

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير (١/ ٥٣٩).

(٢) صحيح البخاري (٦٨٦٦) بنحوه.

(٣) منهاج التأسيس، ص ٧٤-٧٥.

(٤) ورد سبب نزول هذه الآية بألفاظ مختلفة، وقد رواه البخاري كتاب التفسير، سورة النساء باب ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ ﴾ (٥/ ١٨٣)، وابن جرير (٩/ ١٠٢)، وانظر: الدر المنثور (٢/ ٦٤٦).

معهـم فخرجوا خائفين فقتلهم المسـلمون يـوم بدر، فلما علمـوا بقتلهم تأسـفوا وقالوا: قتلنا إخواننا، فأنزل الله فيهم هذه الآية فكيف بأهل البلدان الذين كانوا على الإسـلام فخلعوا ربقته من أعناقهم وأظهروا لأهل الشرك الموافقة علـى دينهم ودخلوا في طاعتهم وآووهـم ونصروهم وخذلوا أهل التوحيد وابتغوا غير سـبيلهم وخطؤوهم وظهر فيهم سبهم وشتمهم وعيبهم والاسـتهزاء بهم وتسـفيه رأيهم في ثباتهم على التوحيد والصبر عليه وعلى الجهاد فيه وعاونوهم على أهل التوحيد طوعاً لا كرهاً واختياراً لا اضطراراً، فهؤلاء أولى بالكفر والنار من الذين تركوا الهجرة شـحاً بالوطن وخوفاً من الكفار وخرجوا في جيشهم مكرهين خائفين.

فإن قال قائل: هلا كان الإكراه على الخروج عـذراً للذين قُتلوا يوم بدر.

قيل: لا يكون عذراً؛ لأنهم في أول الأمر لـم يكونوا معذورين إذ أقاموا مع الكفار فلا يعذرون بعد ذلك الإكراه[1] لأنهم السبب في ذلك حيث أقاموا معهم وتركوا الهجرة[2].

قـال تعالـى: ﴿ وَيَسۡتَفۡتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤۡتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرۡغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلۡوِلۡدَٰنِ وَأَن تَقُومُواْ لِلۡيَتَٰمَىٰ بِٱلۡقِسۡطِۚ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمٗا ﴾ [النساء: ١٢٧].

(١) هكذا في الأصل ولعل الأقرب: بالإكراه. والله أعلم.
(٢) الدرر السنية، الجزء السابع، ص ٦٠.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله[(١)]:

روي عن عائشة رضي الله عنها أن هذه الآية: «نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها، فإن كان لها مال وجمال تزوجها ولم يقسط في صداقها وإن لم يكن لها مال لم يتزوجها فنهى أن يتزوجها حتى يقسط في صداقها من أجل رغبته عن نكاحها إذا لم يكن لها مال»[(٢)]، وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِيهِنَّ وَمَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ﴾ يفتيكم ويفتيكم في المستضعفين. فقد أخبرت عائشة في هذا الحديث الصحيح الذي أخرجه البخاري ومسلم أن هذه الآية نزلت في اليتيمة تكون في حجر وليها، وأن الله أذن له في تزويجها إذا أقسط في صداقها، وقد أخبر أنها في حجره؛ فدل على أنها محجور عليها.

وأيضاً فقد ثبت في السنن من حديث أبي موسى وأبي هريرة عن النبي ﷺ أنه قال: «لا تنكح اليتيمة حتى تستأذن فإن سكتت فقد أذنت، وإن أبت فلا جواز عليها»[(٣)]، فجوز تزوجها بإذنها، ومنعه بدون إذنها، وقد قال ﷺ : «لا يتم بعد

---

(١) هذا الجزء ذكره الشيخ في أثناء جواب على سؤال: عن بنت يتيمة ليس لها أب، ولا لها ولي إلا أخوها، وسنها اثنتا عشرة سنة، ولم تبلغ الحلم، وعقد عليها أخوها بإذنها فهل يجوز ذلك أم لا؟ فأجاب الشيخ بصحة العقد وأنه لا خيار لها إذا بلغت ما دامت قد أذنت واستدل بالأدلة المذكورة.

(٢) رواه البخاري، كتاب الوصايا، باب قوله تعالى: ﴿وَءَاتُواْ ٱلۡيَتَٰمَىٰٓ أَمۡوَٰلَهُمۡ﴾ الآية (٣/ ١٩٣)، ومسلم، كتاب التفسير (١٨/ ٤٣٦).

(٣) رواه الإمام أحمد (٢/ ٢٥٩) رقم (٧٥١٩)، وأبو داود كتاب النكاح، باب قوله تعالى: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَرِثُواْ ٱلنِّسَآءَ كَرۡهٗا﴾ (١/ ٦٣٧)، والترمذي كتاب النكاح، باب ما جاء في إكراه اليتيمة على التزويج (٤/ ٢٤٥) «تحفة» وقال: وفي الباب عن أبي موسى وابن عمر، وحديث أبي هريرة حسن.
ورواه النسائي كتاب النكاح، باب البكر يزوجها أبوها وهي كارهة (٦/ ٨٧)، والدارمي كتاب النكاح باب في اليتيمة تزوج نفسها (٢/ ١٨٥).
وحسنه الألباني. انظر: الإرواء (٦/ ٢٣٢) رقم (١٨٣٤).

احتلام»[١] ولو أريد باليتم[٢] ما بعـد البلوغ فبطريق المجاز فلا بد من أن يعم ما قبل البلوغ وما بعــده، أما تخصيص لفظ يتيم بما بعـد البلوغ فلا يحتمله اللفظ بحال، ولأن الصغيــر المميز يصح لفظه مع إذن وليه كما يصح إحرامه بالحج بإذن الولي[٣]، وكمـا يصح تصرفه في البيع وغيره بـإذن وليه[٤] عند أكثر العلماء كمـا دل على ذلك القـرآن بقولـه: ﴿وَٱبْتَلُواْ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُواْ ٱلنِّكَاحَ﴾[٥]، فأمر بالابتلاء قبل البلوغ، وذلك قد لا يتأتى إلا بالبيع، وتصح[٦] وصيته وتدبيره عند الجمهور[٧]، وكذلك إسلامه، كما يصح صومه وصلاته وغير ذلك لما له في ذلك من المنفعة.

فإذا زوجها الولي بإذنها من كفؤ جـاز[٨]، وكان هذا تصرفاً بإذنها، وهو مصلحة لها، وكل واحد من هذيـن مصحح لتصرف المميز والله أعلم[٩].

---

(١) رواه أبو داود كتاب الوصايا، باب ما جاء متى ينقطع اليتم (٢/ ١٢٨) عن علي ﷺ وصححه الألباني.
انظر: صحيح الجامع (٦/ ٢١٣) رقم (٧٤٨٥).

(٢) قال في اللسان: اليتم: الانفراد، واليُتْم واليَتَم: فقدان الأب قال ابن السكيت: اليتم في الناس من قبل الأب، وفي البهائم من قبل الأم. قال: وهو يتيم حتى يبلغ الحلم والجمع أيتام ويتامى ويَتَمَة. ا.هـ. مختصراً (يتم) (١٢/ ٦٤٥).

(٣) انظر: المغني (٣/ ٢٥٣).

(٤) انظر: كشاف القناع (٣/ ١٥١).

(٥) النساء: ٦.

(٦) في الأصل: ولا تصح. ولعل الصواب المثبت أعلاه وبه يستقيم المعنى، فإن إسلام المميز وصلاته وصيامه صحيح، وكذا وصيته وتدبيره عند الجمهور.

(٧) راجع المسألة في: المغني (٦/ ١٠١).
والتدبير: تعليق عتق العبد بموت سيده. القاموس الفقهي (١٢٨).

(٨) انظر: المغني (٦/ ٤٩٠).

(٩) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثاني، ص ٥٧.

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلْقِسْطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ أَوِ ٱلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ ۚ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَٱللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا ۖ فَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلْهَوَىٰٓ أَن تَعْدِلُواْ ۚ وَإِن تَلْوُۥٓاْ أَوْ تُعْرِضُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ١٣٥].

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

أمر تعالى بالقيام بالقسط وهو العدل، وبالشهادة لله ولو على نفس الإنسان ووالديه الذين هم أكبر الناس نعمة عليه وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ لِلَّهِ شُهَدَآءَ بِٱلْقِسْطِ ۖ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ۚ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾[1].

فأمر تعالى بالقيام له وبالشهادة بالقسط، ثم نهى أهل الإيمان أن يحملهم بغض أبغضوه على ترك العدل فيه، فأوجب أن يكون عدلهم فيمن أبغضوه نظير عدلهم فيمن أحبوه، وهذا هو الواجب على عامة الخلق، وهو العدل بين الناس وعدم الميل مع الصديق والرفيق والقوي، بخلاف ما عليه أكثر الناس، فإنه إذا توجه الحق على رفيق لهم أو صاحب مال أو جاه تركوه وارتكبوا نوعاً من المعاذير، فهذا يقول: رفاقتي ما أقوم عليهم[2]، وهذا يقول: ما أقطع يدي من صديقي لأجل فلان، وهذا يقول: أخاف إذا قمت عليه يغلبني عند الولاة، وهذا خائف على موقفه ورياسته.

---

(١) المائدة: ٨.

(٢) الرُّفاقة والرُّفقة والرِّفْقة الجماعة المترافقون. ورفيقك: الذي يصاحبك وقيل: هو في السفر خاصة. انظر: اللسان (رفق) (١٠/ ١٢٠).
ومعنى ما أقوم عليهم: لا أكون ضداً لهم ولا أعين عليهم.

وهذا كله من السبل التي قال الله فيها: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾[1]، فالواجب على من تولى شيئاً من أمور المسلمين أن يخاف الله فيهم، ويجعلهم في الحق سواء فيقوم في الحق لعدوه كقيامه لصديقه، ويجعل الضعفاء كالأقوياء، والفقراء كالأغنياء والجيران كالرفاقة، كما هي سيرة المؤمنين الصالحين الموفقين، لا ما عليه الظلمة من الخائنين والمفسدين الجائرين وقد قال تعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾[2][3].

قال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْكَٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾ [النساء: ١٤٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

ذكر تعالى أنه نزل على المؤمنين في الكتاب أنهم إذا سمعوا آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها، فلا يقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره وأن من جلس مع الكافرين بآيات الله المستهزئين بها في حال كفرهم واستهزائهم فهو مثلهم ولم يفرق بين الخائف وغيره إلا المكره. هذا وهم في بلد واحد في أول الإسلام، فكيف بمن كان في سعة الإسلام وعزه

(١) الأنعام: ١٥٣.
(٢) ص: ٢٦.
وانظر في تفسير الآية: أحكام القرآن لابن العربي (١/ ٥٠٥)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٦٥).
(٣) مجموعة رسائل ابن عتيق، ص ٩١، ٩٢.

وبلاده[١]، فدعا الكافرين بآيات الله المستهزئين بها إلى بلاده واتخذهم أولياء وأصحاباً وجلساء وسمع كفرهم واستهزاءهم وأقرهم وطرد أهل التوحيد وأبعدهم[٢].

وقال رحمه الله أيضاً:

معنى الآية على ظاهرها وهو أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزأ بها فجلس عند الكافرين المستهزئين من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم[٣] حتى يخوضوا في حديث غيره فهو كافر مثلهم وإن لم يفعل فعلهم؛ لأن ذلك يتضمن الرضا بالكفر والرضا بالكفر كفر.

وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الراضي بالذنب كفاعله[٤] فإن ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه؛ لأن الحكم على الظاهر وهو قد أظهر الكفر فيكون كافراً، ولهذا بعد ما وقعت الردة بعد موت النبي ﷺ وادعى أناس أنهم كرهوا ذلك لم يقبل منهم الصحابة[٥] ذلك بل جعلوهم كلهم مرتدين إلا من أنكر بلسانه وقلبه[٦].

---

(١) راجع تفسير الآية أيضاً في: معالم التنزيل (٢/ ٣٠١)، والقرطبي (٥/ ٤١٧)، وابن كثير (١/ ٥٦٦).

(٢) الدرر السنية (٧/ ٦١).

(٣) لا يخلو المسلم في جلوسه مع المستهزئين من حالات ثلاث:
١- إما أن يكون مكرهاً على الجلوس مع هؤلاء القوم ولا يستطيع الإنكار.
٢- أن يجلس معهم وينكر عليهم.
٣- ألَّا يستطيع الإنكار ولا يكون مكرهاً فيقوم من المجلس.
وما عدا هذه الحالات الثلاث فإنه موزور غير معذور.
انظر أيضاً: الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤).

(٤) انظر: القرطبي (٥/ ٤١٨)، الفتاوى (٢٨/ ٢٠٤، ٢٢١).

(٥) انظر ذلك في تفسير سورة الكافرون.

(٦) الدرر السنية (٧/ ٧٩).

قال تعالى: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ﴿١٥٧﴾ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ﴿١٥٨﴾ وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴿١٥٩﴾ ﴾ [النساء: ١٥٧-١٥٩].

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ﴾ أي رأوا شبهه فظنوا أنه إياه ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ﴾ يعني من ادعى قتله من اليهود، ومن سلمه لهم من جهلة النصارى، كلهم في شك من ذلك، وحيرة وضلال، قال ابن أبي حاتم: حدثنا أحمد بن سنان[١] ثنا أبو معاوية[٢] عن الأعمش عن المنهال بن عمرو[٣] عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال: «لما أراد الله أن يرفع عيسى إلى السماء خرج عيسى على أصحابه وفي البيت اثنا عشر رجلاً من الحواريين، يعني فخرج عليهم من عين في البيت ورأسه يقطر ماء فقال: إن منكم من يكفر بي اثنتي عشرة مرة، ثم قال: أيكم يلقى عليه شبهي فيقتل مكاني ويكون

---

(١) أحمد بن سنان القطان، أبو جعفر الواسطي، روى عن يحيى بن سعيد وأبي معاوية وغيرهما، وعنه الشيخان وابن أبي حاتم وغيرهم، كان ثقة إماماً حافظاً، توفي عام ٢٥٨هـ.
انظر: الكاشف (١/ ١٩)، التقريب (٨٠) رقم (٤٤).

(٢) محمد بن خازم الكوفي، أبو معاوية الضرير، ثقة حافظ، روى عن الأعمش وهشام وغيرهما، وعنه أحمد بن سنان وإسحاق وابن معين وغيرهم توفي عام ١٩٥هـ.
انظر: الكاشف (٣/ ٣٣)، تهذيب التهذيب (٩/ ١٣٧).

(٣) المنهال بن عمرو الكوفي الأسدي مولاهم، روى عن أنس بن مالك وسعيد بن جبير وغيرهما وعنه الأعمش وشعبة وغيرهما، أخرج له البخاري والأربعة، توفي بعد ١١٠هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٣٥٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٨٤).

معي في درجتي؟ فقام شاب من أحدثهم سناً، فقال: أنا، فقال له: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشـــاب، فقال: أنا، فقال: اجلس، ثم أعاد عليهم، فقام الشـــاب، فقال: أنا، فقال: أنت هو ذاك، فألقي عليه شـــبه عيسى، ورفع عيسى من روزنة في البيت إلى السمـــاء، وجـاء الطـلب من اليهـــود فأخذوا الشبيه فقتلوه، ثم صلبوه فكفر به بعضهم اثنتي عشرة مرة من بعد أن آمن به، وافترقوا ثلاث فرق:

فقالت طائفة: كان الله فينا ما شاء ثم صعد إلى السماء، وهؤلاء اليعقوبية[١].

وقالت فرقة: كان عبدالله ورسوله، ثم رفعه إليه وهؤلاء المسلمون.

وقالت طائفة هو ابن الله كان فينا ما شـــاء الله، ثم رفعـــه إليه، فتظاهرت الكافرتان على المســـلمة، فقتلوها، فلم يزل الإسلام طامســـاً حتى بعث الله محمداً ﷺ»[٢]، وهذا إسناد صحيح إلى ابن عباس، قال الحافظ ابن كثير، قال: «ورواه النسائي عن أبي كريب[٣] عن أبي معاوية بنحوه وكذا ذكر غير واحد من السلف أنه قال: أيكم يُلقى عليه شبهي فيقتل مكاني وهو رفيقي في الجنة»[٤].

---

(١) اليعقوبية: أتباع يعقوب البراذعي، ونسب إليه؛ لأنه كان من أنشط الدعاة إليه وأما أول من أعلنه فهو: بطريرك الإسكندرية في منتصف القرن الخامس الميلادي، واليعقوبيون يقولون: إن المسيح ذو طبيعة واحدة امتزج فيها اللاهوت والناسوت، هذا وفرق النصارى القديمة الكبرى ثلاث: اليعقوبية، والنسطورية أتباع نسطور الحكيم، والملكانية أصحاب ملكا وهم أكثر الروم.
انظر: الملل والنحل (٢٢٣-٢٢٦)، محاضرات في النصرانية، محمد أبو زهرة (١٩١).

(٢) ورواه عبد بن حميد وابن مردويه مع اختلاف يسير، وفيه تسمية الفرقة الثانية الكافرة بالنسطورية.
انظر: الدر المنثور (٢/ ٧٢٧).

(٣) محمد بن العلاء بن كريب، أبو كريب الهمداني الكوفي، ولد عام ١٦١هـ روى عن هشيم وأبي معاوية وغيرهما، وعنه الستة وغيرهم، إمام حافظ ثقة، توفي عام ٢٤٨هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤٩٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٣٨٥).

(٤) ابن كثير (١/ ٥٧٥)، وقد رواه الطبري عن قتادة والسدي والقاسم بن أبي برزة وابن جريج (٩/ ٣٧٠-٣٧٣).
وانظر: الدر المنثور (٢/ ٧٢٨).

وللقصة طرق كثيرة[١] ملخص الصحيح منها ما قدمنا.

ثم قال تعالـــى: ﴿وَإِن مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ قَبْلَ مَوْتِهِۦ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا﴾ قال ابن عباس في قـــوله: ﴿قَبْلَ مَوْتِهِۦ﴾ قال: قبل موت عيسى[٢].

قال العوفي عنه: «عند نزول عيسى لا يبقى أحد من أهل الكتاب إلا آمن به»[٣].

وقيل: قبل موت الكتابي[٤].

والصحيح القـــول الأول[٥]، «لأن المقصود من ســياق الآية - كما قال ابن كثير- تقرير بطلان ما ادعته اليهود من قتل عيســى وصلبه، وتسليم من سلم لهم

(١) انظر: الطبري (٩/ ٣٦٧)، ابن كثير (١/ ٥٧٣)، الدر المنثور (٢/ ٧٢٩).

(٢) رواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق سعيد بن جبير، وهو قول أبي مالك والحسن وقتادة وابن زيد.
الطبري (٩/ ٣٨٠)، الدر المنثور (٢/ ٧٣٣).
قال ابن جرير (٩/ ٣٧٩): يوجه ذلك -أي هذا القول- إلى أن جميعهم يصدقون به إذا نزل لقتل الدجال، فتصير الملل كلها واحدة وهي ملة الإسلام. ا.هـ.

(٣) رواه ابن جرير (٩/ ٣٨١).

(٤) وهو قول ابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة وعكرمة وسعيد بن جبير، وقول مجاهد وعكرمة والضحاك ومحمد بن سيرين روى ذلك عنهم الطبري (٩/ ٣٨٢-٣٨٦).
وانظر: الدر المنثور (٢/ ٧٣٣) وما بعدها، ورجحه الزجاج (٢/ ١٢٩)، وقال عن القول الأول: وهذا بعيد في اللغة. واختاره الزمخشري (١/ ٣١٣) ومال إليه البيضاوي (١/ ٢٤٧)، وأبو السعود (٢/ ٢٥٢)، والألوسي (٦/ ١٩).

(٥) وهو ما رجحه ابن جرير (٩/ ٣٨٦)، وجزم به ابن كثير (١/ ٥٧٧)، وابن تيمية في الجواب الصحيح (٢/ ٣٣٧)، واستظهره الشوكاني (١/ ٥٣٥)، وصديق حسن خان في الإذاعة (١٥٩).
وفي الهاء من قوله تعالى: ﴿لَيُؤْمِنَنَّ بِهِۦ﴾ قولان آخران هما:
١-أنها كناية عن محمد ﷺ، رواه ابن جرير عن عكرمة (٩/ ٣٨٦).
٢-أنها راجعة إلى الله عز وجل.
انظر: معالم التنزيل للبغوي (٢/ ٣٠٨)، زاد المسير (٢/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٣/ ٤٠٨).

ذلك من النصارى، فأخبر الله أنه لم يكن الأمر كذلك، وإنما شُبّه لهم فقتلوا الشبيه، وأنه رفعه إليه، وأنه باق حي، وأنه سينزل قبل يوم القيامة، كما دلت عليه الأحاديث المتواترة[1]، فيقتل مسيح[2] الضلالة، ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، أي لا يقبلها من أحد، بل لا يقبل إلا الإسلام أو السيف.

وأخبرت هذه الآية الكريمة أنه يؤمن به جميع أهل الكتاب حينئذ، ولا يتخلف عن التصديق به واحد منهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ

---

(١) ذكر كثيراً منها ابن كثير في التفسير (١/ ٥٧٨).
وانظر: في نزول عيسى عليه السلام والأحاديث في ذلك: التذكرة للقرطبي (٧٥٥)، النهاية «الفتن والملاحم» لابن كثير (١/ ١٠٢)، الإذاعة (١٥٩).

(٢) يعني: المسيح الدجال.
وعيسى عليه السلام والدجال كل منهما جاءت النصوص بتسميته مسيحاً أما عيسى عليه السلام فقال أبو عبدالله الرازي في تفسيره (٨/ ٤٣): فيه قولان: الأول: أصله بالعبرانية مشيحاً، فعربته العرب وغيروا لفظه وعلى هذا القول يكون لا اشتقاق له.
القول الثاني: أنه مشتق وعليه الأكثرون ثم ذكروا فيه وجوهاً.
الأول: لأنه كان لا يمسح بيده ذا عاهة إلا برئ.
الثاني: لأنه يمسح الأرض أي يقطعها.
الثالث: لأنه كان يمسح رؤوس اليتامى لله عز وجل.
وعلى هذه الأقوال فهو فعيل بمعنى فاعل مثل رحيم بمعنى: راحم.
الرابع: أنه مُسح من الأوزار والآثام.
الخامس: لأنه كان في قدميه خمص فكان ممسوح القدمين.
السادس: لأنه كان ممسوحاً بدهن مبارك يمسح به الأنبياء دون غيرهم.
السابع: لأن جبريل مسحه بجناحه قبل ولادته صوناً له عن الشيطان.
الثامن: لأنه خرج من بطن أمه ممسوحاً بالدهن.
وعلى هذه الأقوال يكون مسيح بمعنى ممسوح، فعيل بمعنى مفعول.
وأما الدجال فسمي مسيحاً لأحد وجهين:
الأول: لأنه ممسوح أحد العينين.
الثاني: لأنه يمسح الأرض أي يقطعها في المدة اليسيرة. ا.هـ. بتصرف يسير.
وقد نقل القرطبي في التذكرة ص ٧٦٦ ثلاثة وعشرين قولاً للفظة المسيح أغلبها في المسيح ابن مريم عليه السلام، وبعضها في الدجال. والله أعلم.

عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾ أي: بأعمالهم التي شاهدها منهم قبل رفعه وبعد نزوله إلى الأرض»[١].

وفي الصحيحين وغيرهما عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل عيسى ابن مريم حكماً عدلاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويقبض المال حتى تكون السجدة خيراً من الدنيا وما فيها»، ثم قال أبو هريرة: اقرؤوا ﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ﴾[٢].

وروى الإمام أحمد في مسنده وأبو داود في سننه وغيرهما عن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: «الأنبياء إخوة لعلات[٣] أمهاتهم شتى، ودينهم واحد، وإني أولى الناس بعيسى ابن مريم؛ لأنه لم يكن نبي بيني وبينه، وإنه نازل، فإذا رأيتموه فاعرفوه، رجل مربوع إلى الحمرة والبياض، عليه ثوبان مخضران، كأن رأسه يقطر، وإن لم يصبه بلل، فيقذف الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويدعو الناس إلى الإسلام، ويهلك في زمانه المسيح الدجال، ثم تقع الأمنة في الأرض، ثم ترتع الأسود مع الإبل، والنمار مع البقر، والذئاب مع الغنم، وتلعب الصبيان بالحيات لا تضرهم، فيمكث في الأرض أربعين سنة، فيتوفى، ويصلي عليه المسلمون»[٤].

---

(١) انتهى كلام الحافظ ابن كثير (١/ ٥٧٧).

(٢) رواه البخاري كتاب البيوع، باب قتل الخنزير (٣/ ٤٠)، ومسلم كتاب الإيمان باب نزول عيسى بن مريم (١/ ٣٤٣).

(٣) هم الإخوة من أب واحد وأمهات شتى.
انظر: النهاية (٣/ ٢٩١).

(٤) رواه أحمد (٢/ ٤٠٦) رقم (٩٢٥٩) وأبو داود كتاب السنة باب في التخيير بين الأنبياء عليهم السلام (٢/ ٦٣٠) مختصراً وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند (١٨/ ٤٧).

والأحاديث في هذا المعنى والأخبار بنزول عيسى كثيرة مقطوع بها[١].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ وَرُوحٞ مِّنۡهُۖ فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۖ وَلَا تَقُولُواْ ثَلَٰثَةٌۚ ٱنتَهُواْ خَيۡرٗا لَّكُمۡۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ سُبۡحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٞۘ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلٗا﴾ [النساء: ١٧١].

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله:

معناه إنما هو عبد من عباد الله، وخلق من خلقه، قال له: ﴿كُن فَيَكُونُ﴾، فكان رسولاً من رسله.

ومعنى قوله: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلۡقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرۡيَمَ﴾ أي خلقه بالكلمة التي أرسل بها جبرائيل عليه السلام، فنفخ فيها من روحه بإذن ربه عز وجل، وكانت تلك النفخة التي نفخها في جيب درعها[٢]، فنزلت حتى ولجت الفرج، فكانت بمنزلة لقاح الأب والأم، والجميع مخلوق لله عز وجل، ولهذا قيل لعيسى: إنه كلمة الله، وروح منه، لأنه لم يكن له أب تولد منه، إنما هو ناشئ عن الكلمة التي قال الله بها: كن، فكان والروح التي أرسل بها جبرائيل، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٖ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٣].

---

(١) منحة القريب المجيب، ص ٦٠-٦٢.

(٢) درع المرأة: قميصها، والدُّرَّاعة والمِدْرَعة والمِدْرَع واحد.
انظر: النهاية (٢/ ١١٤).
وقال شيخ الإسلام: والجيب هو الطوق الذي في العنق، ليس ما يسميه بعض العامة جيباً وهو ما يكون في مقدم الثوب لوضع الدراهم ونحوها. ا.هـ. الفتاوى (١٧/ ٢٦٢).

(٣) آل عمران: ٥٩.

وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة: ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ هو قوله كن فكان[١].

وعن بعض السلف قال: «ليست الكلمة صارت عيسى ولكن بالكلمة صار عيسى»[٢].

قال ابن كثير: «وهذا أحسن مما ادعاه ابن جرير في قوله: ﴿أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ﴾ أي: علمها بها، كما زعمه في قوله: ﴿إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ﴾[٣]، أي: يعلمك بكلمة منه[٤]. ويجعل ذلك كقوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾[٥]، بل الصحيح: أنها الكلمة التي جاء بها جبرائيل إلى مريم فنفخ فيها بإذن الله. فكان عيسى عليه السلام[٦] انتهى.

فإن قيل: الكون بكلمة كن ليس مختصاً بعيسى بل هو عام في كل مخلوق كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾[٧].

أجيب: بأنه «لما كان السبب المتعارف عليه مفقوداً في حق عيسى وهو الأب كان اتصاف حدوثه بالكلمة أكمل وأتم، فجعل بهذا التأويل كأنه نفس الكلمة، كما أن من ظهر عليه الجود والكرم والإقبال يقال فيه على سبيل المبالغة: إنه نفس الجود ومحض الكرم وصريح الإقبال فكذا هاهنا»[٨].

---

(١) تفسير عبدالرزاق (١/ ١٧٧).
(٢) رواه ابن أبي حاتم عن شاذان بن يحيى.
انظر: ابن كثير (١/ ٥٩٠).
(٣) آل عمران: ٤٥.
(٤) انظر: رأي ابن جرير (٦/ ٤٤١) و(٩/ ٤١٩).
(٥) القصص: ٨٦.
(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩٠).
(٧) يس: ٨٢.
(٨) التفسير الكبير للرازي (٨/ ٤٢).

«وأما (من) في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فليست للتبعيض كما تقول النصارى[١] بل لابتداء الغاية كما في قوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾[٢]، أي: من خلقه ومن عنده، فهو مخلوق من روح مخلوق، وأضيفت الروح إلى الله عز وجل على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت كما في قوله: ﴿هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ﴾[٣]، وفي قوله: ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّآئِفِينَ﴾[٤]، وكما في الحديث الصحيح: «وأدخل على ربي في داره»[٥] أضافها إليه إضافة تشريف لها، وهذا كله من قبيل واحد، ونمط واحد» قاله ابن كثير[٦].

وقال غيره: «قد جرت عادة الناس أنهم إذا وصفوا شيئاً بغاية الطهارة والنظافة قالوا: إنه روح، فلما كان عيسى لم يتكون من نطفة الأب وإنما تكون عن نفخة جبرائيل لا جرم وصف بأنه روح»[٧].

---

(١) انظر: رد شيخ الإسلام ابن تيمية عليهم في الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٨).
(٢) الجاثية: ١٣.
فائدة: ذكر أبو حيان في البحر (٣/ ٤١٧): أن علي بن الحسين بن واقد المروزي ناظر أحد النصارى، فزعم النصراني أن في القرآن ما يشهد لمذهبه وهو قوله تعالى: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ فأجابه ابن واقد بآية الجاثية وقال: إن كان يجب بهذا أن يكون عيسى جزءاً من الله، وجب أن يكون ما في السموات وما في الأرض جزءاً منه، فانقطع النصراني وأسلم، وصنف ابن واقد إذ ذلك كتاب النظائر.
(٣) الأعراف: ٧٣.
(٤) الحج: ٢٦.
(٥) رواه أحمد (٣/ ٢٤٤)، رقم (١٣٥٨٧) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٦) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩٠).
وانظر: الجواب الصحيح (٣/ ٢٤٨).
وقد ذكر شيخ الإسلام -عليه رحمة الله- أن المضاف إلى الله تعالى نوعان:
الأول: إن كان مما لا يقوم بنفسه كالعلم والقدرة ونحو ذلك فهو صفة لله تعالى.
الثاني: إن كان مما يقوم بنفسه كالبيت والعبد والناقة ونحو ذلك فهو مخلوق مملوك لله، وهذه الإضافة تقتضي التشريف.
وانظر لمزيد من التفصيل: الفتاوى (١٧/ ١٥٠-١٥٢).
(٧) التفسير الكبير (١١/ ٩١).

وقيل: وصف بأنه روح؛ لأنه كان سـبباً لإحياء الخلق في أديانهم، ومن كان كذلك وصف بأنه روح، كما قال تعالى في صفة القرآن: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ رُوحٗا مِّنۡ أَمۡرِنَا﴾[1].

وقيـل: ﴿وَرُوحٞ مِّنۡهُ﴾ أي رحمـة منـه، كمـا في تفسـير قولـه تعالى: ﴿وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُ﴾[2]. أي: رحمة منه، وفي الحديث عن النبي ﷺ: «إنما أنا رحمة مهداة»[3]، فلما كان عيسى عليه السلام رحمة من الله على الخلق من حيث إنه كان يرشدهم إلى مصالحهم في دينهم ودنياهم لا جرم سماه روحاً منه[4].

قال ابن كثير: «والأول أظهر[5]، يعني أنه مخلوق من روح مخلوق، وأن الإضافة للتشريف، وتقدمت شواهده، فهذا مذهب الحق واعتقاد المسلمين في وصف المسيح بأنه كلمة الله وروح منه[6].

---

(١) الشورى: ٥٢.

(٢) المجادلة: ٢٢.

(٣) رواه الحاكم كتاب الإيمان (١/ ٣٥) عن أبي صالح عن أبي هريرة موصولًا وقال: صحيح على شرطهما ووافقه الذهبي، وهو عند الدارمي (١/ ٢١) مرفوع مرسل عن أبي صالح ليس فيه أبو هريرة، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة، رقم (٤٩٠).

(٤) انظر: التفسير الكبير (١١/ ٩١).
وراجع أيضاً: زاد المسير (٢/ ٢٦١)، البحر المحيط (٣/ ٤١٧)، روح المعاني (٦/ ٣٨)، محاسن التأويل (٣/ ٦٧٥).

(٥) تفسير القرآن العظيم (١/ ٥٩٠).

(٦) منحة القريب المجيب، ص ١٢٥-١٢٧.

قال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا وَءَاتَىٰكُم مَّا لَمْ يُؤْتِ أَحَدًا مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [المائدة: ٢٠].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

ذكرهم أولاً بالنعمة العظمى وهي أن جعل فيهم أنبياء يرشدونهم إلى ما فيه صلاحهم وخلاصهم وسعادتهم في الدنيا والآخرة، وقد امتن الله سبحانه على عباده في كتابه بهذه النعمة وذكرهم بها في مواضع كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[1]، وقال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّۦنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾[2].

وأخبر عن مراده فيما شرعه في تحويل القبلة إلى بيته الحرام وأن ذلك قد قصد به وأراد منه إتمام نعمته وليحصل لهم الاهتداء وذكرهم عند ذلك هذه النعم وأنه فعل ذلك كما منَّ عليهم قبل بمبعث الرسول فقال: ﴿ كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴾[3].

فَبَعْث الأنبياء وإرسال الرسل هو الذي حصل به العلم النافع والعمل الصالح كمعرفة الله بصفات كماله ونعوت جلاله، والاستدلال بآياته ومخلوقاته والقيام

---

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) الجمعة: ٢.

(٣) البقرة: ١٥١.

له بما أوجب على خلقه من العبادة والتوحيد والعمل بما يرضي الرب ويريد، فإن بهذا تحصل زكاة العبد ونموه وصلاحه وفلاحه وسعادته في الدنيا والآخرة.

وفي ضمن تعليمه الكتاب والحكمة من تفاصيل العلوم والأعمال والمعارف والأمثال الدالة على وحدانيته وقدرته ورحمته وعدله وفضله، وإعادته لخلقه وبعثه إياهم، ومجازاتهم على أعمالهم وذكر أيامه في أنبيائه وأوليائه، وما فعل ويفعل بأعدائهم وأعدائه، وإخباره بإلحاق النظير بالنظير والشبيه بالشبيه، والمثل بالمثل، ما يوجب للعبد من العلم بالله ومعرفة قدرته وحكمته في أقداره ومراده من شرعه وخلقه، وغير ذلك من الأحكام الكلية والجزئية ما لا يمكن حصره ولا استقصاؤه. فما أنعم الله على أهل الأرض من نعمة إلا وهي دون نعمة إرسال الرسل وبعث النبيين، خصوصاً رسالة محمد سيد ولد آدم ﷺ صاحب اللواء المعقود[1]، والمقام المحمود[2]،

---

(١) اللواء المعقود: لواء الحمد الذي يكون بيده يوم القيامة. قال شيخ الإسلام: لواء الحمد الذي بيد النبي ﷺ يوم القيامة صورة ومعنى: إشارة إلى سيادته لجميع الخلائق، فيكون الخلق تحت لوائه، كما يكون الأجناد تحت ألوية الملوك، وحامله المقدم الذي يكون خطيب الأنبياء إذا وفدوا، وإمامهم إذا اجتمعوا، وهو الذي يتقدم للشفاعة فيحمد ربه بمحامد لا يحمده بها غيره، وهو محمد وأحمد، وأمته الحمادون الذين يحمدون على السراء والضراء، وهو أول من يدعى إلى الجنة فلا تفتح لأحد قبل صاحب لواء الحمد ﷺ .ا.هـ.

انظر: مختصر الفتاوى المصرية (٥٧٩)، فتح الباري (٨/ ٤٠٠)، الخصائص الكبرى (٢/ ٣٧٨).

(٢) قال تعالى: ﴿أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ ٱلشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ ٱلَّيْلِ وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾ [الإسراء: ٧٨-٧٩].

وأخرج البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾ من حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «إن الناس يصيرون يوم القيامة جثاً كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ فذلك يوم يبعثه الله مقاماً محموداً» فتح (٨/ ٣٩٩). =

والحـــوض المورود[١]، فإنـــه قد حصل برســـالته من عمـــوم الرحمة لكافة العالمين، ومن الســـعادة والفلاح والتزكية والهدى والرشاد لمن اتبعه ما لم يحصل مثله ولا قريب منه ببعث غيره من الأنبياء.

فمن كان له من قبول ما جاء به والإيمان به حظ ونصيب فعليه من شـــكر الله على هذه النعمة وطاعته وإدامة ذكره والثنـــاء بنعمه ما ليس على من قلَّ حظه ونصيبه من ذلك.

وقد منَّ الله عليكـــم -رحمكم الله- فـــي هذا الزمن الـــذي غلبت فيه الجهالات وفشـــت بين أهله الضلالات والتحق بعصر الفتـــرات مَنْ يجدد لكم أمر هذا الدين ويدعو إلى ما جاء به الرســـول الأمين من الهدى الواضح المستبين وهو: شيخ الإسلام والمسلمين ومجدد ما اندرس من معالم الملة والدين الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى[٢]، فبصر العدد العديد

= وقد اختلفت عبارات العلماء في المقام المحمود.
فقيل: هو الشفاعة العظمى في الفصل بين الخلائق.
وقيل: أخذه بحلقة باب الجنة.
وقيل: إعطاؤه لواء الحمد.
وقيل: غير ذلك.
قال الشيخ ابن عثيمين: «المقام المحمود يشمل كل مواقف القيامة، وأخص ذلك الشفاعة العظمى».
انظر: زاد المسير (٥/ ٧٦)، البحر المحيط (٦/ ٧٠-٧١)، فتح الباري (٣/ ٣٣٨، ٨/ ٣٩٩، ١١/ ٤٢٦)، الشرح الممتع (٢/ ٨٠).

(١) انظر: في صفته وأخباره: «باب في الحوض، وقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ من صحيح البخاري (١١/ ٤٦٣) «فتح».

(٢) انظر: في أحوال الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- وحقيقة ما دعا إليه:
١-رسالة الشيخ عبدالرحمن بن حسن -رحمه الله- الدرر السنية (٩/ ٢١٤)، وقد طبعت مستقلة بعنوان «المقامات».
٢-الفصل الذي عقده الشيخ عبداللطيف -رحمه الله- في منهاج التأسيس ص ٥٦.
٣-بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- الجزء الأول.

من العماية، وهـــدى بما دعا إليه من الضلالة، وأغنـــى بما فتح عليكم وعليه من العالة، وحصل من العلم ما يستبعد على أمثالكم في العادة، حتى ظهرت المحجة البيضاء التي كان عليها صدر هذه الأمة وأئمتها في باب توحيد الله بإثبات صفات كماله ونعوت جلاله، والإيمان بقدره وحِكَمِه في أفعاله، فإنه قرر ذلك وتصدى -رحمه الله- للرد على من نكب عن هذا الســبيل، واتبع سبل التحريف والتعطيل، على اختلاف نحلهم وبدعهم، وتشعب مقالاتهم وطرقهم متبعاً -رحمه الله- ما مضى عليه الســلف الصالح من أهل العلم والإيمان، وما درج عليه القــرون المفضلة بنص الحديــث[١]، ولم يلتفت -رحمه الله- إلى ما عدا ذلك من قياس فلســفي أو تعطيل جهمي أو إلحاد حلولــي أو اتحادي، أو تأويل معتزلي أو أشــعري، فوضح معتقد الســلف الصالح بعد ما ســفت عليه الســوافي[٢]، وذرت عليه الذواري[٣]، وندر من يعرفه من أهل القرى والبوادي، إلا مـــا كان مع العامة من أصل الفطرة، فإنه قد يبقى ولو فـــي زمن الغربة والفترة، وتصدى أيضـــاً للدعوة إلى ما يقتضيه هذا التوحيد وما يستلزمه وهو وجوب عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأنداد والآلهة، والبراءة من عبادة كل ما عبد من دون الله.

وقد عمت في زمنه البلوى بعبـــادة الأولياء والصالحين وغيرهم، وأطبق

(١) إشارة إلى قوله ﷺ: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم ... الحديث» رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب ما يحذر من زهرة الدنيا (٧/ ١٤٧)، ومسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الصحابة ثم الذين يلونهم (١٦/ ٦٧) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه، ومثله من حديث أبي هريرة وعمران بن حصين وغيرهما.

(٢) السائفة: الرملة الدقيقة.
انظر: لسان العرب (٩/ ١٦٤)، القاموس (١٠٦٢).

(٣) الذر: مصدر ذررت الشيء أذره إذا نثرته وبددته. انظر: لسان العرب (٤/ ٣٠٣)، القاموس (٥٠٦).

على ترك الإسلام جمهور أهل البسيطة، وفي كل مصر من الأمصار وبلد من البلدان وجهة من الجهات من الآلهة والأنداد لرب العالمين ما لا يحصيه إلا الله، على اختلاف معبوداتهم وتباين اعتقاداتهم، فمنهم من يعبد الكواكب ويخاطبها بالحوائج ويبخر لها التبخيرات، ويرى أنها تفيض عليه أو على العالم وتقضي لهم الحاجات وتدفع عنهم البليات، ومنهم من لا يرى ذلك ويكفر أهله ويتبرأ منهم، لكنه قد وقع في عبادة الأنبياء والصالحين فاعتقد أنه يستغاث بهم في الشدائد والملمات وأنهم هم الواسطة في إجابة الدعوات وتفريج الكربات، فتراه يصرف وجهه إليهم ويسوي بينهم وبين الله في الحب والتعظيم والتوكل والاعتماد والدعاء والاستغاثة وغير ذلك من أنواع العبادات.

وهذا هو دين جاهلية العرب الأولى، كما أن الأول هو دين الصابئة الكنعانيين[(١)].

وقد بعث الله محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون وكانت العرب في وقته وزمن مبعثه معترفين لله بتوحيد الربوبية والأفعال، وكانوا على بقية من دين إبراهيم الخليل عليه السلام، قال تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ ۚ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾[(٢)]، وقال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾

---

(١) صبأ الرجل: إذا مال وانحرف، وسُمُّوا صابئة لانحرافهم عن التوحيد، والكنعانيون نسبة إلى كنعان بن سام بن نوح عليه السلام، ومساكنهم بالشام. انظر: الملل والنحل للشهرستاني (٢٥٩)، معجم البلدان (٤/ ٤٨٤).

(٢) يونس: ٣١.

سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ ﴾ إلى قولـه: ﴿فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴾[١]، والآيات في المعنى كثيرة ولكنهم أشـركوا في توحيد العبادة والآلهة فاتخذوا الشـفعاء والوسـطاء من الملائكة والصالحيـن وغيرهم وجعلوهم أنـداداً لله رب العالمين فيما يسـتحقه عليهم من العبادات والإرادات كالحب والخضوع والتعظيم والإنابة والخشـية وغير ذلك من أنواع العبادات والطاعات لأجل جاههم عنـد الله والتماس شـفاعتهم والاعتقاد والتدبيـر والتأثير كما ظنه بعض الجاهلين قال تعالـى: ﴿ وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ﴾ الآية[٢]، وقال: ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴾[٣]، وقال تعالـى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ الآية[٤].

فنهاهم رسـول الله ﷺ عن هذا الشـرك وكفَّـر أهله وجهَّلهم وسـفَّه أحلامهم، ودعاهم إلى شـهادة أن لا إله إلا الله، وبيـن أن مدلولها الالتزام بعبادة الله وحده لا شريك له والكفر بما يعبد من دون الله.

وهذا هو أصل الدين وقاعدته، ولهذا كانت هذه الكلمة كلمة الإسـلام ومفتاح دار السـلام والفارق بيـن الكافر والمؤمن من الأنـام، ولها جردت السيوف وشـرع الجهاد، وامتاز الخبيث من طيب العباد، وبها حقنت الدماء وعصمت الأموال.

---

(١) المؤمنون: ٨٤-٨٩.
(٢) يونس: ١٨.
(٣) الزمر: ٤٣.
(٤) الزمر: ٣.

وقد بلغ الشيطان مراده من أكثر الخلق، وصدَّق عليهم إبليس ظنَّه فاتبعه الأكثر، وتركوا ما جاءت به الرسل من دين الله الذي ارتضاه لنفسه، وتلطف الشيطان في التحيل والمكر والمكيدة حتى أدخل الشرك وعبادة الصالحين وغيرهم على كثير ممن ينتسب إلى دين الإسلام في قالب محبة الصالحين والأنبياء والتشفع بهم وأنَّ لهم جاهاً ومنزلة يشفع بها من دعاهم ولاذ بحماهم، وأن من أقر لله وحده بالتدبير واعتقد له بالتأثير والخلق والرزق فهو مسلم، ولو دعا غير الله واستعاذ بغيره ولاذ بحماه، وأن مجرد شهادة أن لا إله إلا الله تكفي مثل هذا، وإن لم يقارنها علم ولا عمل ينتفع به، وأن الدعاء والاستغاثة والاستعانة والحب والتعظيم ونحو ذلك ليس بعبادة وإنما العبادة السجود والركوع، ونحو هذه الزخرفة والمكيدة وهذا بعينه هو الذي تقدمت حكايته عن جاهلية العرب.

وذكر المفسرون وأهل التاريخ من أهل العلم في سبب حدوث الشرك في قوم نوح مثل هذه المكيدة، فإن وداً وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً أسماء رجال صالحين في قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن ينصبوا تماثيلهم ويصوروا صورهم؛ ليكون ذلك أشوق إلى العبادة وأنشط في الطاعة، فلما هلك من فعل هذا أوحى الشيطان إلى من بعدهم أن أسلافهم كانوا يعبدونهم، وبهم يُسقون المطر فعبدوهم لذلك[١].

فأصل الشرك هو تعظيم الصالحين بما لم يشرع والغلو في ذلك[٢].

---

(١) روى البخاري في صحيحه، كتاب التفسير، باب: ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا﴾ عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً، وسموهم بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد، حتى إذا هلك أولئك وتنسَّخ العلم عبدت». «فتح» (٨/ ٦٦٧).

وانظر: تفسير الطبري (٢٩/ ٦٢)، البداية والنهاية (١/ ١٠٥).

(٢) راجع باب: «ما جاء أن سبب كفر بني آدم وتركهم دينهم هو الغلو في الصالحين» من كتاب التوحيد مع شرحه تيسير العزيز الحميد ص ٢٦٤.

فأتاح الله بمنه في هذه البلاد النجدية والجهات العربية من أحبار الإسلام وعلمائه الأعلام من يكشف الشبهة ويجلو الغمة، وينصح الأمة ويدعو إلى محض الحق وصريح الدين، الذي لا يخالطه ولا يمازجه دين الجاهلية المشركين، فنافح عن دين الله ودعا إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ، وصنف الكتب والرسائل، وانتصب للرد على كل مبطل ومماحل، وعلَّم من لديه كيف يُطلب العلم وأين يُطلب؟ وبأي شيء يقهر المشبه المجادل ويغلب؟ واجتمع له من عصابة الإسلام والإيمان طائفة يأخذون عنه وينتفعون بعلمه، وينصرون الله ورسوله، حتى ظهر واستنار ما دعا إليه، وأشرقت شموس ما عنده من العلم وما لديه، وعلت كلمة الله حتى أغشى إشراقها وضوؤها كل مبطل ومماحل، وذل لها كل منافق مجادل، وحقق الله وعده لأوليائه وجنده كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾[1]، وقوله: ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الآية[2].

فزال -بحمد الله- ما كان بنجد وما يليها من القباب والمشاهد والمزارات والمغارات وقطع الأشجار التي يتبرك بها العامة، وبعث السعاة نحو آثار البدع الجاهلية، من الأوتاد والتعاليق والشركيات وألزم بإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وحج البيت بسائر الواجبات.

وحث من لديه من القضاة والمفتين على تجريد المتابعة لما صح وثبت عن سيد المرسلين، مع الاقتداء في ذلك بأئمة الدين، والسلف الصالح المهديين، ونهاهم عن ابتداع قول لم يسبقهم إليه إمام يقتدى به، أو علم يهتدى به.

---

(١) غافر: ٥١.

(٢) النور: ٥٥.

وأنكر ما كان عليه الناس في تلك البلاد وغيرها من تعظيم الموالد والأعياد الجاهلية التي لم ينزل في تعظيمها سلطان ولم يرد به حجة شرعية ولا برهان؛ لأن ذلك فيه مشابهة للنصارى الضالين في أعيادهم الزمانية والمكانية ما هو باطل مردود في شرع سيد المرسلين.

وكذلك أنكر ما أحدثه جهلة المتصوفة وضلال المبتدعة من التدين والتعبد باللهو واللعب والمكاء والتصدية[١]، والأغاني التي صدهم بها الشيطان عن سماع آيات القرآن، وصاروا بها من أشباه عباد الأوثان، الذين قال الله فيهم: ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾[٢]، وكل من عرف ما جاء به الرسول تبين له أن هؤلاء من أضل الفرق وأخبثهم نحلة وطريقة، والغالب على كثير منهم النفاق وكراهة سماع كلام الله ورسوله، وأنكر -رحمه الله- ما أحدثته العوام والطغاة من اعتقاد البركة والصلاح في أناس من الفجار والطواغيت الذين يترشحون لتأله العباد بهم وصرف قلوبهم إليهم باسم الولاية والصلاح وأن لهم كرامات ومقامات ونحو هذا من الجهالات فإن هؤلاء من أضر الناس على أديان العامة.

وأنكر -رحمه الله- ما يعتقده العامة في البله والمجاذيب وأشباههم الذين أحسن أحوال أحدهم أن يرفع عنه القلم ويلحق بالمجانين[٣].

---

(١) المكاء: الصفير، والتصدية: التصفيق.
انظر: زاد المسير (٣/ ٣٥٣).

(٢) الأنفال: ٣٦.

(٣) قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: «فالمجنون وإن كان الله لا يعاقبه ويرحمه في الآخرة، فإنه لا يكون من أولياء الله المقربين والمقتصدين الذين يرفع الله درجاتهم. ومن ظن أن أحداً من هؤلاء الذين لا يؤدون الواجبات، ولا يتركون المحرمات سواء كان عاقلاً أو مجنوناً أو مولهاً أو متولهاً، فمن اعتقد أن أحد هؤلاء من أولياء الله المتقين وحزبه المفلحين كان المعتقد لولاية مثل هذا كافراً مرتداً عن دين الإسلام» ا.هـ. الفتاوى (١٠/ ٤٣٢).

وأرشـــد -رحمه الله- إلى ما دل عليه الكتاب وسنة رسول الله ﷺ من الفرقان بين أولياء الرحمن وأولياء الشيطان، وساق الأدلة الشرعية التي يتميز بها كل فريق ويعتمدها أهـــل الإيمان والتحقيق، فـــإن الله جل ذكره وصف الأبرار ونعتهم بما يمتازون به ويعرفـــون، بحيث لا يخفى حالهم ولا يلتبس أمرهم وكذلك وصف تعالى أولياء الشـــيطان من الكفار والفجار ونعتهم بما لا يخفى معه حالهم ولا يلتبس أمرهم علـــى من له أدنى نظر في العلم وحظ من الإيمان.

وكذلك قـــام بالنكير على أجلاف البوادي وأمـــراء القرى والنواحي فيما يتجاســـرون عليه ويفعلونه، من قطع الســـبيل وسفك الدماء ونهب الأموال المعصومة حتى ظهر العدل واســـتقر، وفشـــا الدين واســـتمر، والتزمه كل من كانت عليه الولاية من البلاد النجدية وغيرها، والحمد لله على ذلك.

والتذكير بهذا يدخل فيما امتن الله به على المؤمنين وذكرهموه من بعث الأنبياء والرسل.

ومدار العبـــادة والتوحيد على ركنيـــن عظيمين هما الحـــب والتعظيم، وبمشـــاهدة النعمة يحصل ذلك ويخبـــت القلب لطاعة من أنعـــم بها عليه، وكلما ازداد العبد علماً بذلك ومعرفة لحقيقة النعمـــة ومقدارها ازداد طاعة ومحبة وإنابـــة وإخباتاً وتوكلاً، ولذلك يذكـــر تعالى عبـــاده بنعمه الخاصة والعامة، وآلائه الظاهرة والباطنة، ويحث على التفكير في ذلك والتذكر وأن يعقل العبد عن ربه فيقوم بشكره ويؤدي حقه.

ومبنى الشـــكر على ثلاثة أركان: معرفة النعمة وقدرها، والثناء بها على مسديها، واستعمالها فيما يحب موليها ومعطيها، فمن كملت له هذه الثلاث

فقد استكمل الشكر، وكلما نقص العبد منها شيئاً فهو نقص في إيمانه وشكره، وقد لا يبقى معه من الشكر ما يعتد به ويثاب عليه.

والمقصود أن الذكرى فيها من المصالح الدينية والشعب الإيمانية ما هو أصل كل فلاح وخير.

وبدأ في هذه الآية بأعظم النعم وأجلها على الإطلاق وهو جعل الأنبياء فيهم يخبرونهم عن الله بما يحصل لهم به السعادة الكبرى والمنة الجليلة العظمى، وكل خير حصل في الأرض من ذلك فأصله مأخوذ عن الرسل والأنبياء، إذ هم الأئمة الدعاة الأمناء، وأهل العلم عليهم البلاغ ونقل ذلك إلى الأمة؛ فإنهم واسطة في إبلاغ العلم ونقله.

وأما قوله ﴿وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ فهذه نعمة جليلة يجب شكرها وتتعين رعايتها، فإنها من أفضل النعم وأجلها، والشكر قيد النعمة، إن شُكرت قرت[1]، وإن كفرت فرت[2]، ولم تحصل هذه النعمة إلا باتباع الأنبياء وطاعة الرسل فإن بني إسرائيل إنما صاروا ملوك الأرض بعد فرعون وقومه باتباع موسى وطاعة الله ورسوله والصبر على ذلك قال تعالى: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا ۖ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ ٱلْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا۟﴾[3].

وقد حصل باتباع محمد ﷺ لمن آمن به من العرب الأميين وغيرهم من أجناس الآدميين من الملك وميراث الأرض فوق ما حصل لبني إسرائيل، فإنهم ملكوا الدنيا من أقصى المغرب إلى أقصى المشرق، وحملت إليهم

---

(١) قرت: قر، يقر، قراراً، أي: بقيت وأقامت.
(٢) فرت: ذهبت وزالت.
(٣) الأعراف: ١٣٧.

كنوز كسـرى[١]، وقيصر ملك الـروم[٢]، وصارت بلادهـم وبلاد المغرب والمشـرق ولاية لهم ورعية تنفذ فيهم أحكامهم، ويجـيء إليهم خراجهم، ومكثوا على ذلك ظاهرين قاهرين لمن سـواهم من الأمـم حتى وقع فيهم ما وقع في بني إسـرائيل مـن الخروج عن اتبـاع الأنبياء وترك سياسـتهم، والانهماك في أهوائهم وشهواتهم، فجاء الخلل وسلط العدو، وتشتت الناس وتفرقت الكلمة، وصارت الدول الإسلامية يسوسها في كثير من البلاد وفي أوقات كثيرة من الملوك أهـل النفاق والزندقة والكفـر والإلحاد، الذين لا يبالون بسياسات الأنبياء وما جاؤوا به من عند الله، وربما قصدوا معاكستهم فذهب الملك بذلك وضاعت الأمانة، وفشـا الظلم والخيانة، وصار بأسهم بينهم وسـلط عليهم العدو، وأخذ كثيراً من البـلاد[٣]، ولم يقنع منهم إبليس عدو الله بهـذا حتى أوقع كثيراً منهم في البدع والشـرك، وسـعى في محو الإسلام بالكلية.

وكلما بعد عهد الناس بالعلم وآثار الرسالة، ونقص تمسكهم بعهود أنبيائهم، تمكن الشيطان من مراده في أديانهم ونحلهم واعتقادهم ولكن من رحمة الله ومنته جعل في هذه الأمة بقية وطائفة على الحق ظاهرين

---

(١) كسرى: لقب لمن يلي ملك دولة فارس، وآخر ملوكهم هو يزدجر بن شهريار، قتل سنة ٣٠هـ بعد أن أبى الدخول في الإسلام، وفر من جيوش عمر رضي الله عنه.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢/ ١٠٩).

(٢) اسمه: هرقل -بكسر الهاء وفتح الراء وسكون القاف- وقيصر لقب لكل من يلي الملك على الروم. والروم هم أبناء روم بن عيص بن إسحاق عليه السلام.
انظر: فتح الباري (١/ ٣٣).

(٣) انظر: ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية في الفتاوى (١٣/ ١٧٧) وما بعدها من استعراض لتاريخ الأمة والدولة الإسلامية، مشيراً إلى أن ما أصاب الأمة من الضعف واستيلاء الأعداء إنما هو بركوب المعاصي وانتشار البدع.

لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك، وكلما حصل لهذه الطائفة قوة وسلطان في جهة أو بلد حصل من الملك والعز والظهور لهم بقدر تمسكهم بما جاء به محمد ﷺ ولذلك صار لشيخنا شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ولطائفته وأنصاره من الملك والظهور والنصر بحسب نصيبهم وحظهم من متابعة نبيهم ﷺ والتمسك بدينه[(١)]، فقهروا جمهور العرب من الشام إلى عمان، ومن الحيرة إلى اليمن، وكلما كان أتباعهم وأنصارهم أقوى تمسكاً كانوا أعز وأظهر وربما نال منهم العدو، وحصل عليهم من المصائب ما تقتضيه الذنوب والمخالفة والخروج عن متابعة نبيهم، وما يعفو الله من ذلك أكثر وأعظم.

والمقصود أن كل خير ونصر حصل، وعز وسرور اتصل، فهو بسبب متابعة الرسول ﷺ وتقديم أمره في الفروع والأصول، وقد منَّ الله عليكم في هذه الأوقات بما لم يعطه سواكم في غالب البلاد والجهات، من النعم الدينية والدنيوية والأمن في الأوطان فاذكروا الله يذكركم، واشكروه على نعمه يزدكم، وقوا أنفسكم وأهليكم ناراً وقودها الناس والحجارة بمعرفة الله ومحبته وطاعته وتعظيمه وتعظيم أصول الدين وتعظيم ما جاء به

---

(١) قال شيخ الإسلام ابن تيمية –رحمه الله–: «من وافق الرسول ﷺ في أمر خالف فيه غيره فهو من الذين اتبعوه في ذلك، وله نصيب من قوله: ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠]، فإن المعية الإلهية المتضمنة للنصر هي لما جاء به إلى يوم القيامة، وهذا قد دل عليه القرآن، وقد رأينا من ذلك وجربنا ما يطول وصفه... إلى أن قال: والذين أعلنوا ما جاء به الرسول ﷺ لهم نصيب من قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، فإن ما أكرم الله به نبيه ﷺ من سعادة الدنيا والآخرة فللمؤمنين المتابعين نصيب بقدر إيمانهم.
فما كان من خصائص النبوة والرسالة لم يشارك فيه أحد من أمته، وما كان من ثواب الإيمان والأعمال الصالحة فلكل مؤمن نصيب بقدر ذلك» ا.هـ. الفتاوى (٢٨/ ٣٧-٣٨).

الرسـول ﷺ من الأمر والنهي[١] والتزامه والمحافظة على توحيد الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج بيت الله الحرام والجهاد في سبيله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وترك الفواحش الباطنة والظاهرة وسد الوسائل التي توقع في المحذور وتُفضي إلى ارتكاب الآثام والشرور.

ويجمع ذلك قوله تعالـى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ﴾[٢].

والله المسـؤول أن يمن علينا وعليكم بسلوك سـبيله وأن يجعلنا ممن عرف الهدى بدليله وصلى الله على عبده ورسـوله محمد وعلى آله وصحبه أجمعين[٣].

قال تعالى: ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمَا ٱدۡخُلُواْ عَلَيۡهِمُ ٱلۡبَابَ فَإِذَا دَخَلۡتُمُوهُ فَإِنَّكُمۡ غَٰلِبُونَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

معنـى الآيـة المترجم لها أن موسـى عليه السلام أمـر قومه بدخـول الأرض

---

(١) قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «حقيقة التعظيم للأمر والنهي ألاَّ يعارضا بترخص جاف، ولا يعرضا لتشديد غال، ولا يحملا على علة تضعف الانقياد والتسليم لأمر الله عز وجل» ا.هـ. الوابل الصيب (٢٦-٢٧).

(٢) النحل: ٩٠.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٤/ ٤٣٥).

المقدسة[١] التي كتبها الله لهم، ولا يرتدوا على أدبارهم خوفاً من الجبارين[٢]، بل يمضوا[٣] قدماً لا يهابونهم ولا يخشونهم، متوكلين على الله في هزيمتهم، مصدقين بصحة وعده لهم إن كانوا مؤمنين.

قال ابن القيم: «فجعل التوكل على الله شرطاً في الإيمان، فدل على انتفاء الإيمان عند انتفائه وفي الآية الأخرى ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوۡمِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيۡهِ تَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّسۡلِمِينَ﴾[٤]، فجعل دليل صحة الإسلام التوكل، وقال: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾[٥]، فذكر اسم الإيمان هاهنا دون سائر أسمائهم

---

(١) اختلف العلماء في المراد بالأرض المقدسة هنا على أقوال:
الأول: أنها الطور وما حوله، وهو ما رواه مجاهد عن ابن عباس وقال به.
الثاني: أنها الشام كلها، وقال به قتادة.
الثالث: أنها دمشق وفلسطين وبعض الأردن، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح.
الرابع: أنها أريحا، وهو قول ابن عباس في رواية عكرمة وقال به السدي وابن يزيد، قال ابن كثير: وفي هذا نظر لأن أريحا ليست هي المقصودة بالفتح ولا كانت في طريقهم إلى بيت المقدس وقد قدموا من بلاد مصر حين أهلك الله عدوهم فرعون، اللهم إلا أن يكون المراد بأريحا أرض بيت المقدس كما قاله السدي فيما رواه عنه ابن جرير، لا أن المراد بها هذه البلدة المعروفة في طرف الطور شرقي بيت المقدس. ا.هـ.
انظر الأقوال في: الطبري (١٠/ ١٦٧)، زاد المسير (٢/ ٣٢٣)، ابن كثير (٢/ ٣٧).

(٢) قال ابن الجوزي: في معنى وصفه هؤلاء بالجبارين ثلاثة أقوال:
أحدها: أنهم كانوا ذوي قوة، قاله ابن عباس.
الثاني: أنهم كانوا عظام الخلق والأجسام، قاله قتادة.
الثالث: أنهم كانوا قتالين، قاله مقاتل. زاد المسير (٢/ ٣٢٤).
ولا تعارض بين هذه الأقوال. والله أعلم.
وقد قيل: إن هؤلاء الجبارين من بقايا عاد، وقيل: من الروم من ولد عيص بن إسحاق. البحر المحيط (٣/ ٤٧٠).

(٣) كذا في المصدر، والصواب (يمضون) بالرفع.

(٤) يونس: ٨٤.

(٥) إبراهيم: ١١.

دليل على استدعاء الإيمان للتوكل، وأن قوة التوكل وضعفه بحسب قوة الإيمان وضعفه، وكلما قوي إيمان العبد كان توكله أقوى، وإذا ضعف الإيمان ضعف التوكل، وإذا كان التوكل ضعيفاً فهو دليل على ضعف الإيمان ولابد[١].

والله تبارك وتعالى يجمع بين التوكل والعبادة، وبين التوكل والإيمان[٢]، وبين التوكل والتقوى[٣]، وبين التوكل والإسلام[٤]، وبين التوكل والهداية[٥]. فظهر أن التوكل أصل لجميع مقامات الإيمان والإحسان، ولجميع أعمال الإسلام، وأن منزلته منها كمنزلة الجسد من الرأس فكما لا يقوم الرأس إلا على البدن فكذلك لا يقوم الإيمان ومقوماته إلا على ساق التوكل[٦].

---

(١) قال الإمام ابن القيم -رحمه الله- في بيان اختلاف المتوكلين ودرجاتهم:
فأولياؤه -سبحانه وتعالى- وخاصته يتوكلون عليه في الإيمان ونصرة دينه وإعلاء كلمته.
ودون هؤلاء من يتوكل عليه في استقامته في نفسه، وحفظ حاله مع الله، فارغاً عن الناس.
ودون هؤلاء من يتوكل في معلوم يناله منه، من رزق أو عافية أو زوجة أو ولد.
ودون هؤلاء من يتوكل على الله في حصول الإثم والفواحش، فإن أصحاب هذه المطالب لا ينالون غالباً إلا باستعانتهم بالله وتوكلهم عليه، بل قد يكون توكلهم أقوى من توكل كثير من أصحاب الطاعات، ولهذا يلقون أنفسهم في المتالف والمهالك معتمدين على الله أن يسلمهم ويظفرهم بمطالبهم.
فأفضل التوكل: التوكل في الواجب، أعني واجب الحق وواجب الخلق وواجب النفس.ا.هـ. مدارج السالكين (٢/ ١١٣-١١٤).

(٢) في آيات كثيرة منها آية الترجمة ومنها قوله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ ٱللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ ۖ وَإِن يَخْذُلْكُمْ فَمَن ذَا ٱلَّذِى يَنصُرُكُم مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢].

(٣) في مثل قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المائدة: ١١].

(٤) قال تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا۟ إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ﴾ [يونس: ٨٤].

(٥) قال تعالى: ﴿وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا﴾ [إبراهيم: ١٢].
قال ابن القيم رحمه الله: «فالعبد آفته: إما من عدم الهداية، وإما من عدم التوكل، فإذا جمع التوكل إلى الهداية فقد جمع الإيمان كله». ا.هـ. مدارج السالكين (٢/ ١٢٧).

(٦) طريق الهجرتين وباب السعادتين (٣٢٧).

قلت: وفي الآية دليل على أن التوكل على الله عبادة، وعلى أنه فرض، وإذا كان كذلك فصرفه لغير الله شرك.

قال شيخ الإسلام: وما رجا أحد مخلوقاً أو توكل عليه إلا خاب ظنه فيه، فإنه مشرك ﴿وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ﴾[(١)].

قلت: لكن التوكل على غير الله قسمان:

أحدهما: التوكل في الأمور التي لا يقدر عليها إلا الله، كالذين يتوكلون على الأموات والطواغيت في رجاء مطالبهم من النصر والحفظ والرزق والشفاعة فهذا شرك أكبر، فإن هذه الأمور ونحوها لا يقدر عليها إلا الله تبارك وتعالى.

الثاني: التوكل في الأشياء الظاهرة العادية، كمن يتوكل على أمير أو سلطان فيما جعله الله بيده من الرزق أو دفع الأذى ونحو ذلك، فهذا نوع شرك خفي. والوكالة الجائزة هي توكل الإنسان في فعل مقدور عليه، ولكن ليس له أن يتوكل عليه وإن وكله بل يتوكل على الله ويعتمد عليه في تيسير ما وكله فيه كما قرره شيخ الإسلام[(٢)(٣)].

---

(١) الحج: ٣١.

(٢) قال شيخ الإسلام عليه رحمة الله:
والوكالة الجائزة أن يوكل إنساناً في فعل يقدر عليه، فيحصل للموكل بذلك بعض مطلوبه، فأما مطالبه كلها فلا يقدر عليها إلا الله، وذلك الذي يوكله لا يفعل شيئاً إلا بمشيئة الله عز وجل وقدرته، فليس له أن يتوكل عليه وإن وكله، بل يعتمد على الله في تيسير ما وكله فيه.
ا.هـ. رسالة في تحقيق التوكل، جامع الرسائل (١/ ٨٩).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٣٨، ٤٣٩.

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ وَجَٰهِدُواْ فِى سَبِيلِهِۦ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٣٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

الوسيلة في شرع الله الذي شرعه على ألسن جميع رسله، هي عبادته وحده لا شريك له والإيمان به وبرسله والأعمال الصالحة التي يحبها ويرضاها كما في البخاري وغيره من حديث الثلاثة الذي انطبقت عليهم الصخرة في غار فتوسلوا[١] إلى الله تعالى بأعمالهم الصالحة من البر والعفة والأمانة وكذلك ما شرع من واجب أو مستحب. قال تعالى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ ﴾[٢].

وابتغاؤها بالقيام بما أمر به وأحبه ورضيه من الأعمال الصالحة. وأما دعاء غير الله فليس وسيلة شرعية، بل هو وسيلة أهل الشرك والجاهلية من أعداء الرسل في كل زمان ومكان، والله لا يأمر بالشرك ولا يرضاه ﴿ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ ۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣]، فكيف يتوسل إليه بالشرك به الذي هو أظلم الظلم، وضد القسط، والذي يمنع من إقامة الوجوه له عند المساجد وهو -أي الشرك- حقيقة التوسل الذي قصده المشركون، قال تعالى: ﴿ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن

---

(١) رواه البخاري كتاب الحرث والمزارعة، باب إذا زرع بمال قوم بغير إذنهم (٣/ ٦٩)، ومسلم كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب قصة أصحاب الغار الثلاثة والتوسل بصالح الأعمال.

(٢) الإسراء: ٥٧.

(٣) الأعراف: ٢٩.

دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[(٢)].

فهذا قد يسمى توسلاً؛ فإن لفظ التوسل صار مشتركاً[(٣)] فيطلق شرعاً على ما يقرب إلى الله من الأعمال الصالحة التي يحبها الرب ويرضاها ويطلق على التوسل بذوات الصالحين ودعائهم واستغفارهم، ويطلق في عرف عباد القبور على التوجه إلى الصالحين ودعائهم مع الله في الحاجات والملمات، والمراد بالآية الأول عند أهل العلم والمفسرين[(٤)]، وأما التوسل بذوات الأنبياء والصالحين بدون طاعتهم وبدون استغفارهم فهذا لم يشرع ولا أصل له؛ فإن التوسل بالأنبياء مع معصيتهم ومخالفتهم في الدين والملة قد دلت آية سورة التحريم[(٥)] على المنع منه وعدم الانتفاع بالتعلق والقرابة والنسب والتوسل بذلك لمن لم يؤمن بما جاؤوا به من الهدى ودين الحق.

وكذلك في الحديث لما أنزل عليه قوله: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾[(٦)]،

---

(١) الأحقاف: ٢٨.

(٢) الزمر: ٣.

(٣) ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أن التوسل قد يراد به التوسل إلى الله تعالى بطاعته وهذا مشروع دائماً بل واجب وفرض.
الثاني: التوسل إليه بدعاء الصالحين والأنبياء وشفاعتهم في حياتهم ويكون يوم القيامة.
فهذان النوعان مشروعان صحيحان باتفاق العلماء.
الثالث: التوسل بمعنى الإقسام على الله تعالى بذات المخلوق والسؤال به فهذا غير مشروع ولا جائز ولم تكن الصحابة تفعله، وأشد منه ظلماً وتعدياً التوجه إلى الصالحين ودعاؤهم فهو الكفر الصراح.
انظر: الفتاوى (١/ ١٥٣، ١٩٩).

(٤) راجع: جامع البيان (١٠/ ٢٨٩)، البحر المحيط (٣/ ٤٨٦)، فتح القدير (٢/ ٣٨).

(٥) هي قوله تعالى: ﴿ ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴾ [التحريم: ١٠].

(٦) الشعراء: ٢١٤.

قال: «يا معشر قريش اشتروا أنفسكم من الله لا أغني عنكم من الله شيئاً»[١]. وأكبر من هذا من يدعوهم ويستغيث بهم ويتقرب إليهم بعبادتهم على أنهم وسيلة له وشفعاء فإن هذا هو عين الشرك الذي ذمه القرآن وعابه وإن سمي توسلاً[٢].

وقال أيضاً في هذه الآية وفي قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: «يقول الله تعالى آمراً عباده المؤمنين بتقواه، وهي إذا اقترنت بالطاعة كان المراد بها الانكفاف عن المحارم وترك المنهي عنه. وقد قال بعدها: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ قال سفيان الثوري عن طلحة عن عطاء عن ابن عباس أي: «القربة»[٣]، وكذا قال مجاهد وعطاء وأبو وائل[٤] والحسن وقتادة وعبدالله بن كثير[٥] والسدي وابن زيد[٦].

---

(١) رواه البخاري كتاب تفسير القرآن، باب سورة الشعراء (٦/ ١٧).

(٢) تحفة الطالب والجليس، ص ١١٩: ١٢١.

(٣) رواه ابن جرير من قول عطاء (١٠/ ٢٩١).

(٤) أبو وائل هو شقيق ابن سلمة الأسدي. تأتي ترجمته.

(٥) عبدالله بن كثير المكي، الإمام مقرئ مكة، روى عن ابن الزبير ومجاهد، وعنه ابن جريج وجرير بن حازم، ثقة فصيح وهو أحد القراء السبعة، توفي ١٢٠هـ.
انظر: الكاشف (٢/ ١٠٨)، غاية النهاية (١/ ٤٤٣).

(٦) في الأصل: أبو زيد، والصواب المثبت أعلاه كما في ابن كثير (٢/ ٥٢)، وهو عبدالرحمن بن زيد بن أسلم.
وانظر في أقوالهم جميعاً: الطبري (١٠/ ٢٩١)، الدر المنثور (٣/ ٧١).

قال قتادة: «أي تقربوا إليه بطاعته والعمل بما يرضيه»[١].

وقرأ ابن زيد: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾[٢].

وهذا الذي قاله هؤلاء الأئمة لا خلاف بين المفسرين فيه، وأنشد ابن جرير قول الشاعر:

إذا غفل الواشون عُدنا لوصلنا وعاد التصافي بيننا والوسائل[٣]

والوسيلة: هي ما يتوصل به إلى تحصيل المقصود[٤]. انتهى.

وقال البغوي: «وابتغوا، أي اطلبوا إليه الوسيلة أي القرابة، فعليه من توسل إلى فلان بكذا أي تقرب إليه، وجمعها وسائل»[٥].

وقال البيضاوي على قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ «أي: ما يتوسلون به إلى ثوابه والزلفى منه، من فعل الطاعات وترك المعاصي، من وسل إلى كذا إذا تقرب إليه»[٦].

وقال في الكلام على آية الإسراء: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ «هؤلاء الآلهة يبتغون إلى الله القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ﴾، بدل من واو، يبتغون أي: يبتغي من هو أقرب منهم إلى الله الوسيلة، فكيف بغير الأقرب»[٧].

---

(١) رواه ابن جرير (١٠/ ٢٩١)، وعزاه في الدر المنثور (٣/ ٧١) لعبد بن حميد وابن المنذر.

(٢) الأثر رواه ابن جرير (١/ ٢٩١)، قال ابن زيد: في قوله: ﴿وَٱبۡتَغُوٓاْ إِلَيۡهِ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ قال: المحبة، تحببوا إلى الله وقرأ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾.

(٣) راجع: الطبري (١٠/ ٢٩٠)، مجاز القرآن لأبي عبيدة (١/ ١٩٤)، البحر المحيط (٣/ ٤٧٥).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٢-٥٣)، وانظر: المفردات للراغب (٨٧١).

(٥) البغوي (٣/ ٥١).
وقد وقع في الأصل: فعليه، والصواب المثبت أعلاه من التفسير.

(٦) تفسير البيضاوي (١/ ٢٦٥).

(٧) المرجع السابق (١/ ٥٧٤).

وقال ابن كثير: «قولــه: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ روى البخاري من حديث سـليمان بن مهران الأعمش عــن إبراهيم[١] عن أبي معمر[٢] عــن عبدالله في قوله تعالــى: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ قال: «ناس من الجن كانوا يعبدون، فأسلموا»[٣].

وذكر رواية عن ابن مسعود: «كانوا يعبدون صنفاً من الملائكة يقال لهم الجن[٤]».

وذكر عن ابن عباس قال: «عيسى وأمه وعزير»[٥].

وعنه: «والشمس والقمر»[٦].

وقال مجاهد: «عيسى وعزير والملائكة»[٧].

---

(١) إبراهيم بن زيد بن قيس النخعي الكوفي، الإمام الفقيه، روى عن مسروق وأبي معمر وغيرهما وعنه الأعمش، وسماك بن حرب وغيرهما. ثقة فاضل حافظ أخرج له الجماعة، مات عام ٩٦هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٤/ ٥٢٠)، تهذيب التهذيب (١/ ١٧٧).

(٢) عبدالله بن سَخْبرة الأزدي، أبو معمر الكوفي، روى عن ابن مسعود وأبي موسى وجماعة وعنه: إبراهيم النخعي ومجاهد وغيرهما، ثقة أخرج له الجماعة.
انظر: الكاشف (٢/ ٨١)، تهذيب التهذيب (٥/ ٢٣٠).

(٣) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب: ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ ﴾ الآية، (٥/ ٢٢٧).

(٤) رواه ابن جرير (١٥/ ٧٣).

(٥) المرجع السابق (الموضع نفسه).
وعزاه في الدر لابن أبي شيبة ابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه (٥/ ٣٠٥).

(٦) رواه ابن جرير (١٥/ ٧٣).
وسعيد بن منصور وابن المنذر.
انظر: الدر (٥/ ٣٠٦).
كلهم بلفظ «عيسى وعزير والشمس والقمر» بدون أمه وهو في ابن كثير كذلك (٣/ ٤٧).

(٧) رواه ابن جرير (١٥/ ٧٣).

واختار ابن جرير قول ابن مسعود لقوله: ﴿يَبْتَغُونَ﴾ وهذا لا يعرب به عن الماضي، فلا يدخل فيه عيسى والعزير وقال[١]: الوسيلة هي القربة، كما قال قتادة[٢] ولهذا قال: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾[٣]، انتهى.

واختار شيخ الإسلام أن الآية تعم من ذكر وغيرهم ممن عبده المشركون من أولياء الله وعباده الصالحين[٤].

فتبين بهذا رد ما ذكره البغوي[٥]، فإن المفسرين ذكروا ابتغاء الوسيلة، وهو طلب القربة فتقدم قول البيضاوي في قوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ أنه بدل من الواو في ﴿يَبْتَغُونَ﴾[٦].

وقال أبو حفص العكبري[٧]: «﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ خبره. وهو استفهام، والجملة في موضع نصب بيدعون»[٨].

وعلى كلا القولين: لا يصح ما ذكره البغوي من توسل بعضهم ببعض.

---

(١) المرجع السابق (الموضع نفسه).

(٢) وقع في الأصل: كما قال تعالى، المثبت أعلاه في التفسير.

(٣) ابن كثير (٣/ ٤٦-٤٧).

(٤) راجع: الفتاوى (١٥/ ٢٢٦)، الرد على البكري (٢٨٢-٢٨٦)، فقد ذكر -رحمه الله- الأقوال مع الجمع بينها.

(٥) قال رحمه الله تعالى: «وقوله: ﴿أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ معناه: ينظرون أيهم أقرب إلى الله فيتوسلون به. وقال الزجاج: أيهم أقرب يبتغي الوسيلة إلى الله تعالى ويتقرب إليه بالعمل الصالح». معالم التنزيل (٥/ ١٠١).
والشيخ عبداللطيف -رحمه الله تعالى- هنا يرد على داود بن جرجيس في استدلاله بمثل هذا الكلام على تجويز التوسل بالذوات. راجع: منهاج التأسيس والتقديس (٣٤٨).

(٦) تفسير البيضاوي (١/ ٥٧٤).

(٧) عبدالله بن الحسين بن عبدالله النحوي الضرير العكبري، نسبة إلى عُكبَر -بلدة على دجلة- ولد عام ٥٣٨هـ ببغداد، لزم القاضي أبا يعلى الفراء وبرع في مذهب أحمد، له مصنفات كثيرة أكثرها في النحو، توفي عام ٦١٦هـ. انظر: بغية الوعاة (٢/ ٣٨)، وفيات الأعيان (١/ ٤٧٦).

(٨) التبيان في إعراب القرآن (٢/ ٨٢٥).

وفي الجلالين: «﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ ﴾ آلهة ﴿يَبۡتَغُونَ ﴾ يطلبون ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ القربة بالطاعة ﴿أَيُّهُمۡ ﴾ بدل واو يبتغون أي يبتغيها الذي هو أقرب إليه. فكيف بغيره؟»[١].

إذا عرف هذا تبين فساد قول البغوي في آية الإسراء، فإن التوسل في العرف الشرعي: فعل ما يتوصل به إلى الله من الإيمان به، والعمل الصالح الذي يشرعه ويرضاه كما في حديث الثلاثة الذين أووا إلى الغار، فانطبقت عليهم الصخرة[٢]. هذا هوالتوسل المعروف، كما عليه أهل الإسلام من المفسرين وغيرهم. ومر قول قتادة: «أي تقربوا إليه بطاعته، والعمل بما يرضيه»[٣]. وتقدم قول ابن كثير بعد حكاية هذا «وهذا مما لا خلاف فيه بين المفسرين»[٤]. فذكر الإجماع على أن المراد: القربة بالعمل الصالح وما يرضاه الله تعالى.

ثم لو سلم صحة ما ذكره البغوي، فليس المراد أن بعضهم يدعو من هو أقرب منه، ويسأل الشفاعة والتقرب، بل التوسل يطلق عنده على سؤال الله بجاه المقربين وبحق الصالحين، لا كما يظنه عباد القبور من أن التوسل هو دعاء الصالح نفسه، وقصده بالمسألة والطلب من دون الله، والتقرب إليه بالذبح والنذر وغيرهما من العبادات؛ فإن هذا عين الشرك الذي نزلت الآية بإبطاله، والرد على أهله فإن أهل[٥] الجاهلية من الأميين والكتابيين كانوا يدعون الملائكة وعيسى وأمه والعزير ويتوجهون إليهم في حاجاتهم وملماتهم ويتقربون إليهم بصرف الأموال ذبحاً ونذراً، فرد الله عليهم هذا الفعل من صنيعهم، وأخبرهم أن هؤلاء المدعوين لا يملكون كشف الضر

---

(١) تفسير الجلالين (٣٣٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) سبق تخريجه قريباً.

(٤) انظر: الموضع السابق.

(٥) في الأصل: دون كلمة أهل. وقد زدتها لاقتضاء السياق لها. والله أعلم.

عنكم ولا تحويله من حال إلى حال؛ لأن من عبد الأنبياء والصالحين يدعي أنه يكشف الضر بواسطتهم وعلى أيديهم، كما يقول عباد القبور، فأخبر تعالى أن هؤلاء المدعوين عبيده كما أن الداعين عبيده، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابه والخائف الراجي لا يصلح أن يكون مدعواً ومعبوداً[1].

قال تعالى: ﴿أَفَحُكْمَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَبْغُونَ ۚ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: ٥٠].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال ابن كثير رحمه الله: «ينكر تعالى على من خرج عن حكم الله تعالى المشتمل على كل خير، الناهي عن كل شر، وعدل إلى ما سواه من الآراء والأهواء والاصطلاحات التي وضعها الرجال بلا مستند من شريعة الله، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات كما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن جنكيز خان[2] الذي وضع لهم الياسق: وهو عبارة عن كتاب أحكام قد اقتبسها من شرائع شتى من اليهودية والنصرانية والملة الإسلامية، وفيها كثير من الأحكام أخذها عن مجرد نظره وهواه، فصارت في بنيه شرعاً يقدمونها على الحكم بالكتاب والسنة، فمن فعل ذلك فهو كافر يجب قتله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله، فلا يحكم بسواه في قليل ولا كثير»[3].

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس، ص ٣٤٩-٣٥١.

(٢) ملك التتار الأول، وكان اسمه تمرجين، أقام مملكة التتار وهزم جيوش الخطا واستولى على ديارهم، وكان ابتداء ملكه عام ٥٦٩هـ، وكان مشركاً سافكاً للدماء ذا عقل ودهاء وشجاعة مفرطة، مات عام ٦٢٤هـ وبقى الملك في عقبه من بعده.
والياسق: كتاب في مجلدين كان التتار يحملونه معهم، وضعه لهم جنكيز خان شرع فيه شرائع وسن فيه أحكاماً من تلقاء نفسه خلافاً لشرع الله.
انظر: سير أعلام النبلاء (٢٢/ ٢٤٣)، البداية والنهاية (١٣/ ١١٧).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٦٧).

قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ استفهام إنكار، أي: لا حكم أحسن من حكمه تعالى، وهذا من باب استعمال أفعل التفضيل فيما ليس له في الطرف الآخر مشارك، أي: ومن أعدل من الله حكماً لمن عقل عن الله شرعه وآمن وأيقن أنه تعالى أحكم الحاكمين، وأرحم بعباده من الوالدة بولدها، العليم بمصالح عباده، القادر على كل شيء، الحكيم في أقواله وأفعاله وشرعه وقدره[١].

وفي الآية: التحذير من حكم الجاهلية، واختياره على حكم الله ورسوله فمن فعل ذلك فقد أعرض عن الأحسن وهو الحق، إلى ضده من الباطل[٢].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾ فَتَرَى ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَٰرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِىَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُواْ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّواْ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَٰدِمِينَ ﴿٥٢﴾﴾ [المائدة: ٥١-٥٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد رحمه الله:

نهى سبحانه المؤمنين عن اتخاذ اليهود والنصارى أولياء، وأخبر أن من تولاهم من المؤمنين فهو منهم، وهكذا حكم من تولى الكفار من المجوس وعباد الأوثان فهو منهم، فإن جادل مجادل في أن عبادة القباب ودعاء الأموات مع الله ليس بشرك وأن أهلها ليسوا بمشركين بان أمره واتضح عناده وكفره، ولم يفرق تعالى بين الخائف وغيره، بل أخبر الله تعالى أن الذين في

---

(١) انظر ما ذكره الشيخ عبدالعزيز السلمان في الكواشف الجلية (١٢٩) عند قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ﴾.

(٢) فتح المجيد شرح كتاب التوحيد، ص ٤٧٧.

قلوبهم مرض يفعلون ذلك خوفاً من الدوائـر، وهكذا حال هؤلاء المرتدين خافوا من الدوائر، فزال ما فـي قلوبهم من الإيمان بوعد الله الصادق بالنصر لأهل التوحيد، فبادروا وسارعوا إلى الشرك خوفاً أن تصيبهم دائرة.

قال الله تعالـى: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ فَيُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَآ أَسَرُّوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ نَـٰدِمِينَ﴾[(١)].

وقال الشيخ حمد بن علي بن محمد بن عتيق رحمه الله:

نهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى، وذكر أن من تولاهم فهو منهم أي: من تولى اليهود فهو يهودي، ومن تولى النصارى فهو نصراني.

وقـد روى ابن أبي حاتم، عـن محمد بن سـيرين[(٢)] قال: قـال عبدالله بن عتبة[(٣)]: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشـعر. قال: فظنناه يريد هذه الآية: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْيَهُودَ وَٱلنَّصَـٰرَىٰٓ أَوْلِيَآءَ﴾ إلى قوله: ﴿فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ الآية[(٤)] ...

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٦١).

(٢) محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك خادم رسول الله ﷺ، كان أبوه من سبي جرجرايا، فكاتب أنس رضي الله عنه، ولد محمد قبل وفاة عمر بسنتين، سمع من ابن عباس وأنس وجماعة، وعنه قتادة وأيوب وغيرهما، كان إماماً فاضلاً من خيار التابعين، عالماً بتعبير الرؤى، مات عام ١١٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ١٩٣)، الحلية (٢/ ٢٦٣)، السير (٤/ ٦٠٦).

(٣) عبدالله بن عتبة بن مسعود الهذلي الكوفي، أدرك زمان النبي ﷺ ورآه وروى عنه، وعن عمه ابن مسعود وعمر وغيرهما، وعنه الشعبي وابن سيرين وغيرهما، حديثه عند الشيخين، توفي عام ٧٤هـ. انظر: الكاشف (٢/ ٩٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣١١).

(٤) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ٦٨).
وأخرج عبد بن حميد عن حذيفة قال: ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر وتلا هذه الآية: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ﴾ الدر المنثور (٣/ ١٠٠).
وقد ذكر ابن الجوزي ثلاثة أقوال في سبب نزول الآية:

=

ثم أخبر تعالى: أن الذين في قلوبهم مرض أي شك في الدين وشبهة يسارعون في الكفار قائلين: ﴿نَخْشَىٰٓ أَن تُصِيبَنَا دَآئِرَةٌ﴾ أي: إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين قالوا:

نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل فيتسلطوا علينا فيأخذوا أموالنا ويشردونا من بلداننا.

وهذا هو ظن السوء بالله، الذي قال الله فيه: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾[1]، ولهذا قال الله تعالى في الآية: ﴿فَعَسَى ٱللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِٱلْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِۦ﴾[2] وعسى من الله واجبة[3] فالحمد لله الذي أتى بالفتح، فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين[4].

= الأول: أنها في أبي لبابة حين قال لبني قريظة إذا رضوا بحكم سعد رضي الله عنه: إنه الذبح، وهو قول ابن عباس في رواية أبي صالح وقول عكرمة.
الثاني: أن عبادة بن الصامت قال: يا رسول الله إن لي موالي من اليهود وإني أبرأ إلى الله من ولاية يهود فقال عبدالله بن أبي: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ إلى الله من ولاية يهود. فنزلت الآية، وهو قول عطية العوفي.
الثالث: أنه لما كانت وقعة أحد خافت طائفة من الناس أن يدال عليهم الكفار فقال رجل لصاحبه: أما أنا فألحق بفلان اليهودي، فآخذ منه أماناً أو أتهود معه فنزلت، قاله السدي: زاد المسير (٢/ ٣٧٨).
وانظر: الطبري (١٠/ ٣٩٥) وما بعدها، وأسباب النزول للواحدي (٢٠٠)، وابن كثير (٢/ ٦٨).

(١) الفتح: ٦.
(٢) في المراد بالفتح أقوال:
الأول: فتح مكة. قاله ابن عباس والسدي.
الثاني: فتح قرى اليهود. قاله الضحاك.
الثالث: القضاء. قاله قتادة.
الرابع: نصر النبي صلى الله عليه وسلم على من خالفه. قاله الزجاج.
انظر: الطبري (١٠/ ٤٠٥)، معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨١)، زاد المسير (٢/ ٣٧٩)، البغوي (٣/ ٦٧)، البحر المحيط (٣/ ٥٢٠).
(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ١٨١)، البحر المحيط (٣/ ٥٢٢).
(٤) سبيل النجاة والفكاك، ص ٣٥.

قال تعالى: ﴿وَمَن يَتَوَلَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَإِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٦].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

لا غلبة إلا بهذا السبب العظيم الذي من انتظمت له هذه الثلاثة غلب من ناوأه وعاداه من قريب أو بعيد، لأنه صار مع حزب الله لهذه الثلاثة:

توليه ربه بالإخلاص وخشيته وطاعته.

وتوليه رسوله بمحبته واتباعه[1].

وتوليه المؤمنين بمحبته لهم وقربه منهم ودنوهم منه وإكرامهم والتواضع لهم بخفض الجناح وغير ذلك مما يجب لهم من الحقوق التي تجب لهم دون غيرهم[2].

قال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَۚ أُوْلَٰٓئِكَ شَرّٞ مَّكَانٗا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٦٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه محمد ﷺ: قل يا محمد لهؤلاء الذين اتخذوا دينكم هزواً ولعباً من أهل الكتاب، الطاعنين في دينكم الذي هو توحيد الله وإفراده بالعبادة، دون ما سواه ﴿قُلۡ هَلۡ أُنَبِّئُكُم بِشَرّٖ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِۚ﴾ أي هل

(١) عقد القاضي عياض في الشفا (٢/ ٥٣٧-٦٧٨) أربعة وعشرين فصلًا فيما يجب على الأنام من حقوقه ﷺ في طاعته ومحبته وتعظيم أمره والصلاة عليه ﷺ.

(٢) الدرر السنية (١١/ ٣٥، ٣٦).

أخبركم بشر جزاء عند الله يوم القيامة مما تظنونه بنا أنتم أيها المتصفون بهذه الصفات المذمومة المفسرة بقوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ﴾ أي أبعده وطرده من رحمته ﴿وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾، أي غضباً لا يرضى بعده، ﴿وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ أي مسخ منهم الذين عصوا أمره فجعلهم قردة وخنازير[١] كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمۡتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعۡتَدَوۡاْ مِنكُمۡ فِي ٱلسَّبۡتِ فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾[٢]، وذلك أن الله تعالى أخذ عليهم تعظيم السبت والقيام بأمره وترك الاصطياد فيه، وكانت الحيتان لا تأتيهم إلا يوم السبت فتحيلوا على اصطيادها فيه بما وضعوه لها من الشصوص[٣] والحبائل والبرك قبل يوم السبت، فلما جاءت الحيتان يوم السبت على عادتها نشبت تلك الحبائل، فلم تخلص منها يومها ذلك، فلما كان الليل أخذوها بعد انقضاء السبت، فلما فعلوا ذلك مسخهم الله تعالى إلى صورة القردة، وهي أشبه شيء بالأناسي في الشكل الظاهر وليست بإنسان حقيقة، فكذلك أعمال هؤلاء وحيلتهم كانت مشابهة للحق في الظاهر ومخالفة له في الباطن، فكان جزاؤهم من جنس عملهم. قال العوفي عن ابن عباس في قوله: ﴿فَقُلۡنَا لَهُمۡ كُونُواْ قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ﴾ فجعل الله منهم القردة والخنازير فزعم أن شباب القوم صاروا قردة والمشيخة صاروا خنازير[٤].

وروى مسلم في صحيحه عن ابن مسعود قال: سئل رسول الله ﷺ عن القردة والخنازير أهي مما مسخ الله؟ فقال: «إن الله لم يهلك قوماً أو قال: لم

(١) تفسير ابن كثير (٢/ ٧٣) بتصرف.

(٢) البقرة: ٦٥.

(٣) الشصوص: جمع الشَّصّ والشِّصّ، بالكسر والفتح: حديدة عقفاء يصاد بها السمك. لسان العرب (٧/ ٤٨).

(٤) تفسير ابن كثير (١/ ١٠٥) بتصرف واختصار.
وانظر قصة أصحاب السبت في الطبري (١/ ١٦٦) وما بعدها.

يمسخ قوماً فيجعل الله لهم نسلاً ولا عقباً، وأن القردة والخنازير كانت قبل ذلك»[(١)].

وفي هذه القصة دليل قاطع على تحريم الحيل التي يتوصل بها إلى تحليل الحرام وتحريم الحلال ونحو ذلك[(٢)].

وقوله: ﴿وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ قال شيخ الإسلام: «الصواب أنه معطوف على قوله: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ وَجَعَلَ مِنۡهُمُ ٱلۡقِرَدَةَ وَٱلۡخَنَازِيرَ﴾ فهو فِعْل ماض معطوف على ما قبله من الأفعال الماضية من الأفعال الماضية، أي من لعنه الله ومن غضب عليه، ومن جعل منهم القردة والخنازير، ومن عبد الطاغوت[(٣)]، لكن الأفعال المقدمة الفاعل فيها هو اسم الله مظهراً ومضمراً، وهنا الفاعل اسم من عبد الطاغوت وهو الضمير في (عبَد). ولم يُعِد سبحانه لفظ (من) لأنه جعل هذه الأفعال كلها صفة لصنف واحد وهم اليهود»[(٤)(٥)].

---

(١) رواه مسلم، كتاب القدر، باب الآجال والأرزاق لا تزيد (١٦٠/ ١٦٢)، وقد جاء في الأصل: عاقبة، والصواب المثبت أعلاه من صحيح مسلم.

(٢) الحيل جمع حيلة وهي كما قال ابن القيم رحمه الله: من التحول من حال إلى حال. قال: ثم غلب عليها بالعرف استعمالها في سلوك الطرق الخفية التي يتوصل بها الرجل إلى حصول غرضه، بحيث لا يتفطن له إلا بنوع من الذكاء والفطنة وأخص من هذا: استعمالها في التوصل إلى الغرض الممنوع منه شرعاً أو عقلاً أو عادة.

وقد ذكر رحمه الله أن الحيل بمفهومها العام تجري عليها الأحكام الخمسة: الواجب والمستحب والمباح والمكروه والمحرم. أعلام الموقعين (٣/ ٢٤٠) وما بعدها.

انظر أيضاً: إغاثة اللهفان (١/ ٣٣٨).

(٣) هذا على قراءة الجمهور بفتح الباء ونصب التاء.

وقرأ حمزة بضم الباء وجر التاء. قال ابن خالويه: والحجة لمن ضم الباء أنه جعله جمع عبد وأضافه إلى الطاغوت. ا.هـ.

انظر: السبعة (٢٤٦)، الحجة (١٣٣).

(٤) الفتاوى (١٤/ ٤٥٥).

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص ٣١٧، ٣١٨.

قال تعالــى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ [المائدة: ٧٦].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

في هاتيــن الصفتين بيان أنه تعالى هو الســميع لدعاء عبــده ومناجاته، العليم بأحوال خلقه وأعمالهم، وإراداتهم دون كل من ســواه، وتأمل ما في هذه الآية من التأكيد وهو قولــه ﴿وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾[1] ففي هذه الآيات من ظهور أنوار التوحيد ما يفوق الشــمس نوراً، وظهوراً، فكيف يسوغ بعد هذا أن يستمد ممن لا يسمع ولو سمع ما اســتجاب بخبر الخبير قال تعالى: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴾[2]، وهو القشــر الذي على النواة[3]،﴿ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ﴾[4]، أخبر أصدق القائلين أن المدعو لا يسمع مع القرب منه ولا البعد عنه، ولو ســمع على سبيل الفرض ما استجاب، فخاب ســعي من دعا مع الله من لا يســمع ولا يســتجيب، ففي الآية معتبر عظيم، وزجر عن التعلق بغير الله عميم، فانقطع أمل المســتمد[5] الداعي لغير الله

(١) من تلك المؤكدات: الابتداء بالجملة الاسمية التي تفيد الثبوت والاستمرار.
ومنها: الإتيان بالضمير المنفصل.
ومنها: الإتيان بالاسم الظاهر دون المضمر.
ومنها: تعريف الطرفين.

(٢) فاطر: ١٣.

(٣) معاني القرآن للزجاج (٤/ ٢٦٦)، تفسير البيضاوي (٢/ ٢٧٠).

(٤) فاطر: ١٤.

(٥) انظر: تفسير الآية ١١٦-١١٧ سورة المائدة ص ٢٠٠.

وخاب سعيه، ثم قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[١]، فأخبر أن هذا الاستمداد بهم في الرهبات والرغبات شرك عظيم ومرتع وخيم فانعكس على المستمد مطلوبه وفاته الفلاح، والنجاح وخسر خسراناً مبيناً[٢].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ﴾ [المائدة: ٧٧].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال العلماء: الغلو هو مجاوزة الحد في مدح الشيء أو ذمه[٣].

وضابطه: تعدي ما أمر الله به وهو الطغيان الذي نهى الله عنه في قوله: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾[٤]، وكذا قال تعالى في هذه الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ أي لا تتعدوا ما حدد الله لكم. وأهل الكتاب هنا هم اليهود والنصارى، فنهاهم عن الغلو في الدين ونحن كذلك، كما قال تعالى: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[٥].

---

(١) فاطر: ١٤.

(٢) الدرر السنية (٩/ ١٥٢).

(٣) قال ابن جرير –رحمه الله– أصل الغلو في كل شيء مجاوزة حده الذي هو حده. (٩/ ٤١٦).
قال في اللسان: غلا في الدين والأمر يغلو غلواً. جاوز حده. (١٥/ ١٣٢).
وقال في النهاية: التشدد فيه ومجاوزة الحد (٣٠/ ٣٨٢).

(٤) طه: ٨١.

(٥) هود: ١١٢.

والغلو كثير في النصارى، فإنهم غلوا في عيسى عليه السلام، فنقلوه من حيز النبوة إلى أن اتخذوه إلهاً من دون الله يعبدونه كما يعبدون الله، بل غلوا فيمن زعم أنه على دينه من أتباعه، فادعوا فيهم العصمة، فاتبعوهم في كل ما قالوه، سواء كان حقاً أو باطلاً، وناقضتهم اليهود في أمر عيسى عليه السلام، فغلوا فيه فحطوه من منزلته حتى جعلوه ولد بغي[1].

قال شيخ الإسلام: «ومن تشبه من هذه الأمة باليهود والنصارى وغلا في الدين بإفراط فيه أو تفريط وضاهاهم في ذلك فقد شابههم كالخوارج[2] المارقين من الإسلام، الذين خرجوا في خلافة علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وقاتلهم حين خرجوا على المسلمين بأمر النبي صلى الله عليه وسلم، كما ثبت ذلك من عشرة أوجه في الصحاح[3]، والمسانيد[4]،

---

(١) انظر ما ذكر شيخ الإسلام رحمه الله في الجواب الصحيح من أن اليهود والنصارى على طرفي نقيض والمسلمون وسط بينهم (٢/ ١٤٤).
وراجع أيضاً: منهاج السنة (٥/ ٢٥٩)، واقتضاء الصراط المستقيم (١/ ١٨٨).

(٢) هم الذين خرجوا على علي ومعاوية رضي الله عنهما فكفروهما والحكمين وأصحاب الجمل، ويسمون الحرورية؛ لأنهم بعد أن خرجوا من معسكر علي رضي الله عنه انحازوا إلى حروراء، ويسمون الوعيدية؛ لأنهم يقولون بكفر مرتكب الكبيرة وخلوده في النار، ويرون وجوب الخروج على الإمام الجائر بالسيف، وهم فرق وطوائف منهم الإباضية والأزارقة والنجدات وغيرهم.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ١٦٧)، الملل والنحل للشهرستاني (١١٤)، الفرق بين الفرق (٥٤).

(٣) الصحاح هي الكتب التي التزم أصحابها فيها إخراج الحديث الصحيح وهي قسمان:
الأول: قسم اشترط الصحة ووفَّى بشرطه وهما البخاري ومسلم.
الثاني: قسم اشترط الصحة وفاته ذلك فأخرج دون الصحيح مثل صحيح ابن خزيمة وابن حبان ومستدرك الحاكم.

(٤) المسانيد جمع مسند وهي ما يجمع فيها مؤلفها مرويات كل صحابي على حدة مثل مسند الإمام أحمد رحمه الله تعالى.

وغير ذلك[(١)]. وكذلك من غلا في دينه من الرافضة[(٢)]، والقدرية والجهمية والمعتزلة[(٣)]، والأشاعرة[(٤)]»[(٥)].

وقال أيضاً: «فإذا كان على عهد النبي ﷺ من انتسب إلى الإسلام وقد مرق منه مع عبادته العظيمة فليعلم أن المنتسب إلى الإسلام والسنة في هذه

---

(١) جمع ابن كثير رحمه الله في البداية والنهاية الأحاديث الواردة فيهم وفي الأمر بقتالهم (٧/ ٢٩٠).

وعقد الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن في منهاج التأسيس فصلاً في بيان معتقد الخوارج وحقيقة مذهبهم ومبدأ خروجهم.

(٢) الرافضة: وهي من فرق الشيعة، وسموا رافضة؛ لأنهم رفضوا إمامة أبي بكر وعمر، أو لأنهم حين كانوا مع زيد بن علي بن الحسين فمنع عسكره من الوقوع في أبي بكر وعمر فرفضوه فقال لهم: رفضتموني فسموا بذلك وهم يقولون: إن النبي ﷺ نص على إمامة علي وإن الصحابة ضلوا بترك ذلك، وبعضهم يكفر الصحابة إلا نفراً يسيراً ويقولون بعصمة الأئمة منهم وبالتقية، وهم فرق وطوائف، وغلاتهم لا شك في كفرهم.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٨٩)، الملل والنحل للشهرستاني (١٤٦)، الفرق بين الفرق (١٥).

(٣) المعتزلة: إحدى الفرق الكبار التي خالفت هدي السلف ودخل تحتها عدة فرق، وسموا بالمعتزلة؛ لأن رأسهم «واصل بن عطاء» كان من تلاميذ الحسن البصري فخالفه في حكم مرتكب الكبيرة وقرر بأنه في منزلة بين المنزلتين في الدنيا لا كافر ولا مؤمن، وفي الآخرة في النار ثم اعتزل مجلس الحسن فسموا معتزلة، ولهم أصول خمسة هي: التوحيد ويعنون به تعطيل الصفات، العدل: وهو التكذيب بالقدر، والمنزلة بين المنزلتين، وإنفاذ الوعيد الذي هو تخليد صاحب الكبيرة في النار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الذي هو الخروج على الأئمة بالسيف، ولهم أقوال أخرى كثيرة.

انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢٣٥)، الملل والنحل (٤٣)، الفرق بين الفرق (٩٣)، الفتاوى (١٣/ ٣٨٦).

(٤) الأشاعرة: الفرقة التي تنتسب إلى أبي الحسن الأشعري، ولهم أقوال مخالفة للسلف في الأسماء والصفات والقدر وغير ذلك، منها: أنهم يثبتون الصفات السبع التي يزعمون أن العقل دل عليها ويؤولون ما عداها، ويقولون: إن كلام الله غير مخلوق، ولكنه أزلي قائم بنفسه تعالى.

انظر: الملل والنحل (٩٤)، الفتاوى (٦/ ٥٢-٥٥)، موقف ابن تيمية من الأشاعرة، د. عبدالرحمن المحمود (٢/ ٥٠٥).

(٥) لم أقف عليه بحروفه وهو باختلاف يسير في أكثر من موطن. انظر: الفتاوى (٣/ ٢٧٩، ٣٨١).

الأزمان قد يمرق أيضاً من الإسلام وذلك بأسباب منها: الغلو الذي ذمه الله في كتابه حيث قال: ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ﴾ وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حرق الغالية من الرافضة[١]، فأمر بأخاديد[٢]، خُدَّت لهم عند باب كندة، فقذفهم فيها واتفق الصحابة رضي الله عنهم على قتلهم، لكن ابن عباس كان مذهبه أن يقتلوا بالسيف من غير تحريق[٣]، وهو قول أكثر العلماء»[٤][٥].

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ كَانُواْ يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلنَّبِيِّ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مَا ٱتَّخَذُوهُمۡ أَوۡلِيَآءَ وَلَٰكِنَّ كَثِيرٗا مِّنۡهُمۡ فَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: ٨١].

---

(١) الذين ادعوا فيه -رضي الله عنه- الألوهية.

(٢) الأخاديد: جمع أخدود وهو الشق في الأرض. انظر: النهاية (٢/ ١٣).

(٣) روى البخاري في صحيحه من حديث عكرمة قال: أتي علي رضي الله عنه بزنادقة فأحرقهم فبلغ ذلك ابن عباس رضي الله عنهما فقال: لو كنت أنا لم أحرقهم لنهي النبي صلى الله عليه وسلم: «لا تعذبوا بعذاب الله». ولقتلتهم لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من بدل دينه فاقتلوه». ا.هـ. كتاب استتابة المرتدين، باب حكم المرتد والمرتدة (٨/ ٥٠)، وانظر: قصة هؤلاء الغالية بالتفصيل في فتح الباري (١٢/ ٢٧٠).

وأما مسألة التحريق بالنار فاختلف السلف فيها، واستدل من قال بالجواز بأدلة منها: سمل النبي صلى الله عليه وسلم لأعين العرنيين بالحديد المحمي.

وفعل الصحابة كفعل علي هذا وفعل أبي بكر وخالد مع المرتدين.

وجواز تحريق الحصون والمراكب. وقد أجاب ابن المنذر على هذه الأدلة:

بأن فعل النبي صلى الله عليه وسلم إما منسوخ أو هو من قبيل القصاص.

وفعل الصحابة معارض بقول صحابة آخرين.

وجواز تحريق المراكب والحصون مقيد بالضرورة إلى ذلك إذا تعين طريقاً للظفر بالعدو، قال ابن حجر: وأما حديث الباب -حديث ابن عباس- فظاهر النهي فيه التحريم. ا.هـ. انظر: فتح الباري (٦/ ١٥٠).

(٤) الفتاوى (٣/ ٣٨٣، ٣٩٤) باختصار.

(٥) تيسير العزيز الحميد (٢٦٥- ٢٦٦).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد رحمه الله:

ذكر تعالى أن موالاة الكفار منافية للإيمان بالله والنبي وما أنزل إليه، ثم أخبر أن سبب ذلك كون كثير منهم فاسقين، ولم يفرق بين من خاف الدائرة ومن لم يخف، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين قبل ردتهم كثير منهم فاسقون، فجر ذلك إلى موالاة الكفار والردة عن الإسلام نعوذ بالله من ذلك[١].

قال تعالى: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ ۖ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ ۖ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ۚ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ ۚ وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [المائدة: ٨٩].

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَٱحْفَظُوٓا۟ أَيْمَٰنَكُمْ﴾.

قيل المعنى: لا تحلفوا، وقيل: لا تحنثوا[٢].

ولا يرد على هذا ما روي عن النبي ﷺ أنه حلف في مواضع، فاليمين تستحب إذا كان فيها مصلحة راجحة، وعلى هذا حمل العلماء ما روي

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٦١).

(٢) وهناك قول ثالث وهو: المسارعة إلى ما لزمكم من كفارة إذا حنثتم.
انظر: زاد المسير (٢/ ٤١٦)، القرطبي (٦/ ٢٥٨).

في ذلك عن النبي ﷺ فهو يحلــف لمصالح مطلوبة للأمــة كزيادة إيمانهم وطمأنينة قلوبهم[١]، كما أمره الله بذلك في ثلاثة مواضع من كتابه[٢].

وأما الحلــف لغير مصلحــة فليس مشــروعاً بل يبــاح[٣] إذا كان صادقاً[٤].

---

(١) عقد البخاري رحمه الله تعالى في كتابه الصحيح في كتاب الأيمان والنذور باباً قال فيه: باب كيف كانت يمين النبي ﷺ. وساق فيه كثيراً من الأحاديث، منها: عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «كانت يمين النبي ﷺ: لا ومُقلِّبِ القلوب».
وعن جابر بن سمرة عن النبي ﷺ قال: «إذا هلك قيصر فلا قيصر بعده، وإذا هلك كسرى فلا كسرى بعده والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله». وغير ذلك (١١/ ٥٢٢) «فتح».
ثم عقد باباً آخر قال فيه: باب من حلف على الشيء وإن لم يُحلَّف، وساق فيه حديث ابن عمر أن النبي ﷺ اصطنع خاتماً ثم طرحه ثم قال: «والله لا ألبسه أبداً».
قال ابن حجر: قال ابن المنير: مقصود الترجمة أن يخرج مثل هذا من قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلُوا۟ ٱللَّهَ عُرْضَةً لِّأَيْمَٰنِكُمْ﴾ لئلا يتخيل أن الحالف قبل أن يستحلف يرتكب النهي، فأشار إلى أن النهي يختص بمن ليس فيه مقصد صحيح. ا.هـ. (١١/ ٥٣٧) «فتح».

(٢) في سورة يونس: ٥٣ ﴿قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ﴾.
وفي سورة سبأ: ٣ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾.
وفي سورة التغابن: ٧ ﴿قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

(٣) وقد ذهب بعض العلماء من الشافعية وغيرهم إلى كراهية ذلك، وقيده في المغني: بكثرة الحلف؛ لأنه لا يكاد يسلم من الكذب فيه.
انظر: المغني (٨/ ٦٧٨)، فتح الباري (١١/ ٥٣٧).
فائدة:
ذكر الشيخ حمد بن معمر -رحمه الله- الفرق بين الحلف بغير الله ودعاء غير الله والاستغاثة به، فالأول شرك أصغر -وهو إذا لم يستحله أو يكون المحلوف به أعظم في قلبه من الله تعالى- والثاني شرك أكبر.
وذلك لأن الحلف لم نؤمر به وإنما أمرنا بحفظه.
وأما الدعاء فهو عبادة من أعظم العبادات قد أمرنا بها، بل سماه الله تعالى في كتابه ديناً والداعي راغب راهب راج متوكل، فإن هذا من لوازم الدعاء.
الدرر السنية (٩/ ١٣-١٤).

(٤) الدرر السنية (٩/ ١٤).

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ﴿٩١﴾﴾ [المائدة: ٩٠-٩١].

قال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله:

ذكر تعالى نوعين من المفسدة في الخمر:

الأول: يتعلق بالدنيا، وضرره أيضاً عائد على الدين، وهو العداوة والبغضاء، وذلك لأن الغالب على من يشرب الخمر أن يشربها مع جماعة ويكون من غرضه في ذلك الشرب أن يستأنس برفقائه ويفرح بمحادثتهم ومكالمتهم، فكان من غرضه في ذلك الاجتماع تأكيد المحبة والألفة ولكنه ينقلب في الأغلب إلى الضد؛ لأن الخمر تزيل العقل، وإذا زال العقل استولت الشهوة والغضب من غير مدافعة العقل، وعند استيلائهما تحصل المنازعة بين أولئك الأصحاب، وربما آلت إلى الضرب والقتل والمشافهة بالفحش، وذلك يورث العداوة والبغضاء[1]، والشيطان سول لهم أن الاجتماع على الشرب يوجب تأكيد المحبة والألفة، فينقلب الأمر إلى نهاية العداوة والبغضاء المفضيين غالباً إلى الهرج والمرج والفتنة وكل ذلك مضاد لصلاح العالم.

---

(١) ويدل على ذلك نصوص كثيرة ووقائع عدة منها حديث علي رضي الله عنه حين أناخ شارفيه إلى جوار حجرة رجل من الأنصار وفي الدار حمزة مع رجال على شرب وخمر ومعهم قينة تغنيهم فقالت: ألا يا حمزُ للشرف النواء، فثار إليهما حمزة فجب أسنمتهما وبقر خواصرهما ثم أخذ من أكبادهما، قال علي: فنظرت إلى منظر أفظعني فأتيت النبي صلى الله عليه وسلم وعنده زيد بن حارثة فأخبرته الخبر، فهرع ومعه زيد وانطلقت معه، فدخل على حمزة فتغيظ عليه، فرفع حمزة بصره فقال: هل أنتم إلا عبيد لآبائي، فرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقهقر حتى خرج عنهم، رواه البخاري كتاب فرض الخمس، باب فرض الخمس (٦/ ١٩٦)، ومسلم باب تحريم الخمر (١٣/ ١٢٦).

النوع الثاني: المفاسد المتعلقة بالدين، وذلك في قوله: ﴿وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَوٰةِ﴾ وكـون الخمر مانعة من ذكر الله، وعـن الصلاة ظاهر؛ لأن شرب الخمر يورث السكر واللذة والطرب في الجسم فيمنعه ذلك عن أداء العبادة. ويحول بينه وبين أسباب السعادة، وأيضاً فالنفس إذا استغرقت في اللذات الجسمانية غفلت عن ذكر الله ومالت إلى العاجلة(١).

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَـٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَـٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَـٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيَ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّـٰمُ الْغُيُوبِ (١١٦) مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ (١١٧)﴾ [المائدة: ١١٦-١١٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

في هذه الآية إبطال قول من ادعى علم الغيب لغير الله تعالى الذي اختص بعلم الغيب إلا ما أطلع عليه أنبياءه بوحيه إليهم فإن قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ﴾ هذا وعيسى عليه السلام حي في السماء فكيف بمن مات.

وأخرج البخاري في الصحيح عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ فقال: «إنكم تحشرون إلى الله عراة غرلاً، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَـٰعِلِينَ﴾(٢)، ثم إن أول من يكسى يوم القيامة إبراهيم عليه السلام، ألا إنه

(١) منحة القريب المجيب، ص ٣١٠.
(٢) الأنبياء: ١٠٤.

يؤتى برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال قال: فأقول: يارب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿شَهِيدٌ﴾»[١].

فدل على أن شهادته عليهم إنما كانت وهو بين أظهرهم، وأما بعد مفارقته لهم فأسند ذلك إلى الله تعالى بقوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

فليتأمل هذا التأكيد البليغ المفيد لاختصاص الله بعلم الغيب، وأن الميت والغائب لا يعلم شيئاً، فإذا كان الأمر كذلك فكيف يستمد بمن لا يطلع على أحوال العباد وأعمالهم، وهذا مما يبطل الاستمداد[٢] بغير الله تعالى[٣].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

تأمل ما فيها من العلوم، إن كنت من ذوي الألباب والفهوم:

منها: أن اتخاذ الأنبياء والصالحين آلهة شرك ينبغي تنزيه الرب تعالى عنه.

وفيها: براءة أولياء الله ممن أشرك بهم.

وفيها: أن الرسل ما أمرت الخلق إلا بما أرسلوا به من عبادة الله وحده.

(١) رواه البخاري كتاب التفسير، باب ﴿كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُ وَعْدًا عَلَيْنَا﴾.

(٢) الاستمداد طلب المدد، وطلب المدد من الأموات والغائبين لا يجوز، وكذا إن كان بصرف شيء من أنواع العبادة لغير الله تعالى كالدعاء ونحوه، والشيخ -رحمه الله- يرد على من زعم جواز الاستمداد من الأموات والغائبين وأن من أنكر جوازه فهو ضال.
راجع: الدرر السنية (٩/ ١٥١-١٥٢).

(٣) الدرر السنية (٩/ ١٥٦).

وفيها: برهان ما جاءت به الرسل من الأمر بالعبادة، وأن الرب الذي عمت ربوبيته جميع خلقه هو المستحق أن يعبد، وأن العبد المربوب ولو علت درجته كعيسى وغيره من الرسل أو الملائكة لا يكون شريكاً لربه ومالكه ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾[1] الآية[2].

---

(١) الروم: ٢٧.

(٢) تحفة الطالب والجليس، ص ٩٤، ٩٥.

سورة الأنعام

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴾ [الأنعام: ٥١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله**:**

الإنذار هو: الإعلام بموضع المخافة[١].

وقوله: ﴿بِهِ﴾ قال ابن عباس بالقرآن[٢]، وقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ «أي أنذر يا محمد بالقرآن الذين هم من خشية ربهم مشفقون الذين يخشون ربهم، ويخافون سوء الحساب»[٣]. وهم المؤمنون كما روي ذلك عن ابن عباس والسدي[٤].

وعن الفضيل بن عياض: ليس كل خلقه عاتب، إنما عاتب الذين يعقلون[٥] فقال: ﴿ وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ ﴾ أي: وهم المؤمنون أصحاب القلوب الواعية، فإنهم المقصودون والمنظور إليهم لا أصحاب التجمل والسيادة، فإن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم.

وقوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ ﴾ قال الزجاج: موضع ليس نصب

---

(١) وقال في المفردات (٧٩٧): الإنذار فيه تخويف، كما أن التبشير إخبار فيه سرور. ا.هـ. وقال في البحر (١/ ١٧١): الإعلام مع التخويف في مدة تسع التحفظ من الخوف، وإن لم تسع سمي إعلاماً وإشعاراً وإخباراً. ا.هـ.

(٢) وهو قول ابن جرير والزجاج والبغوي وكثير من المفسرين.
انظر: الطبري (١١/ ٣٧٣)، الزجاج (٢/ ٢٥١)، الكشاف (٢/ ١٦)، البحر المحيط (٤/ ١٣٨).

(٣) تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٤).

(٤) انظر: الدر المنثور (٣/ ٢٧٢) فقد نقل عن ابن عباس وغيره من السلف ما يدل على ذلك، ولم أقف على نقل معين للسدي.

(٥) نقل ذلك عنه ابن أبي حاتم في تفسيره، رقم (٧٣٥٩).

على الحال كأنه قال: متخلين من ولي وشـفيع والعامل فيه يخافون[١]. وقال ابن كثير: «ليس لهم من دونه يومئذ ولي ولا شـفيع من عذابـه إن أرادهم به لعلهم يتقون، فيعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به من عذابه يوم القيامة»[٢].

قلت: فنفى سـبحانه عن المؤمنين أن يكون لهم ولي أو شفيع من دون الله كما هو دين المشركين، فمن اتخذ من دون الله شفيعاً فليس من المؤمنين، ولا تحصل له الشـفاعة، وليس في الآية دليل على نفي الشفاعة لأهل الكبائر بإذن الله كما ادعته المعتزلة[٣]، بل فيها دليل على نفي اتخاذ الشـفعاء من المؤمنين، وعلى نفيها بغير إذن الله، ولهذا أثبت الشـفاعة بإذنه في مواضع كما قال: ﴿مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤][٥].

سـئل الشـيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن عن قول الشـارح[٦] الشيخ

---

(١) لم أجده في معاني القرآن، وقد ذكره جمع من المفسرين يأتي الإشارة إليهم.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٣٤).

(٣) ذهبت المعتزلة إلى نفي الشفاعة لأهل الكبائر، وذلك بناء على مذهبهم أنهم في الدنيا في منزلة بين المنزلتين -الإيمان والكفر- وفي الآخرة يخلدون في النار.
وإلى نفي الشفاعة لأهل الكبائر ذهبت الخوارج أيضاً.
راجع: شرح العقيدة الطحاوية (٢٥٨).
وقد ذكر شيخ الإسلام -رحمه الله- أن الناس في مسألة الشفاعة طرفان ووسط:
فالمشركون ومن وافقهم من مبتدعة أهل الكتاب كالنصارى ومبتدعة هذه الأمة أثبتوا الشفاعة التي نفاها القرآن.
والخوارج والمعتزلة أنكروا شفاعة نبينا ﷺ لأهل الكبائر من أمته، بل أنكر بعضهم انتفاع الإنسان بشفاعة غيره ودعائه كما أنكروا انتفاعه بصدقة غيره وصيامه عنه.
وأما سلف الأمة وأئمتها ومن تبعهم من أهل السنة والجماعة فأثبتوا ما جاءت به السنة عن النبي ﷺ من شفاعته لأهل الكبائر من أمته وغير ذلك من أنواع شفاعاته وشفاعة غيره. ا.هـ. مختصراً من اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٨٢١).

(٤) يونس: ٣.

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٣٧، ٢٣٨.

(٦) أي شارح كتاب التوحيد وهو الشيخ: سليمان بن عبدالله -رحمه الله- وقد مر كلامه قريباً.

سليمان على آية الأنعام وأن قوله: ﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ نصب على الحال.

فأجاب: هذا عليه غير واحد من المفسرين قال الجلال[(١)]: «وجملة النفي حال من ضمير ﴿يُحْشَرُوٓا۟﴾ وهي محل الخوف»[(٢)].

وقال البيضاوي: «﴿لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ في موضع الحال من يحشروا، فإن المخوف هو الحشر على هذه الحالة»[(٣)]، وقد سبقهم إلى هذا الزجاج[(٤)].

وابن كثير حل المعنى ولم يتعرض لإعرابه ويظهر مراده من تقرير كلامه، قال: «وقوله: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ الآية أي: وأنذر بهذا القرآن يا محمد ﴿ٱلَّذِينَ هُم مِّنْ خَشْيَةِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ﴾[(٥)] والذين

---

(١) تفسير الجلالين ألفه عالمان:
الأول: جلال الدين المحلي الشافعي ت ٨٦٤هـ.
الثاني: جلال الدين السيوطي ت ٩١١هـ.
وقد ابتدأ تأليفه المحلي ففسر من الكهف إلى الناس فمات قبل إتمامه فأتمه السيوطي من البقرة إلى الكهف.
انظر: التفسير والمفسرون (١/ ٢٣٤).
فالمقصود بالجلال هنا السيوطي أبو الفضل عبدالرحمن بن أبي بكر السيوطي الشافعي ولد عام ٨٥٩هـ، أقبل على العلم فبرز وفاق أقرانه، له التصانيف الكثيرة في مختلف الفنون منها: الدر المنثور في التفسير بالمأثور، الجامع الصغير في أحاديث البشير النذير، وغيرها كثير، توفي عام ٩١١هـ.
انظر: شذرات الذهب (٨/ ٥١)، الضوء اللامع (٤/ ٦٥).

(٢) انظر: تفسير الجلالين (١١٠).

(٣) أنوار التنزيل وأسرار التأويل (١/ ٣٠٢).

(٤) انظر: معاني القرآن (٢/ ٢٥١).
وراجع أيضاً: الكشاف (٢/ ١٦)، المحرر الوجيز (٢/ ٢٩٤)، البحر المحيط (٤/ ١٣٨).

(٥) المؤمنون: ٥٧.

﴿وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوٓءَ ٱلْحِسَابِ﴾[١]، ﴿ٱلَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ أي يوم القيامة ﴿لَيْسَ لَهُم﴾ أي يومئذ ﴿مِّن دُونِهِۦ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ﴾ أي في التقريب له، ولا شفيع فيهم من عذابه إن أراده بهم، ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ أي أنذر هذا اليوم الذي لا حاكم فيه إلا الله عز وجل ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ يعملون في هذه الدار عملاً ينجيهم الله به يوم القيامة من عذابه، ويضاعف لهم الجزاء من ثوابه»[٢]. انتهى.

وهو يشير إلى جواز جعلهم صفة لمخلوق دل عليه السياق، والعائد في الجملة الوصفية يكفي تقريره[٣] كقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا لَّا تَجْزِى نَفْسٌ عَن نَّفْسٍ شَيْـًٔا﴾[٤].

والبغوي لم يتعرض لتقدير شيء[٥].

وبهذا يظهر الجواب عن قولك: ما يقال في تقريره[٦]؟ فإن الله أمر رسوله أن ينذر بالقرآن عباده المؤمنين الذين يؤمنون بلقائه، ويخافون فيه سوء الحساب، في يوم لا ولي لهم فيه ولا شفيع من دونه، لعلهم يتقون ذلك بفعل ما أمروا به، وترك ما نهوا عنه، وعلى الأول يخافون الحشر وسوء الحساب؛ في حال تخليهم وانفرادهم عن الأولياء والشفعاء، وخصوا بذلك لأنهم هم

---

(١) الرعد: ٢١.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٣٤).

(٣) السياق غير واضح والظاهر أنه: صفة لمحذوف دل عليه السياق... إلخ.

(٤) البقرة: ٤٨.

(٥) معالم التنزيل (٣/ ١٤٥).

(٦) لم يرد في لفظ السؤال: السؤال عن تقريره، ولعل السؤال هنا قد أثبت مختصراً أو بالمعنى والله أعلم.

المنتفعون بالإنذار[١]، المتقون عذاب ذلك اليوم وعقابه، بخلاف من تعلق على الأولياء والشفعاء، واعتمد عليهم في نجاته، فإنه غير خائف ولا متق لسكون جأشه واطمئنان قلبه بوليه وشفيعه، والله الهادي الموفق[٢].

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال بعض الحنفية[٣] في تفسيره: هذا ابتداء.

قال ابن زيد وابن إسحاق: «هذا من الله على فصل القضاء بين إبراهيم وقومه»[٤].

قال الزجاج: «سأل إبراهيم وأجاب بنفسه»[٥].

وعن ابن مسعود قال: لما نزلت هذه الآية قالوا: فأينا لم يظلم؟ قال عليه السلام: «إن الشرك لظلم عظيم»[٦].

---

(١) انظر: المحرر الوجيز (٢/ ٢٩٤)، البحر المحيط (٤/ ١٣٨).

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٦٥).

(٣) لم أتعرف المقصود هنا، ويشير الشيخ سليمان في تفسير الآية (١٥١) من السورة نفسها إلى تفسير أبي علي الطبري الحنفي، فلعله هو المقصود، والله أعلم.

(٤) رواه عنهما ابن جرير رحمه الله (١١/ ٤٩٣) ورجحه، وهو بنصه في تفسير المراغي (٧/ ١٧٨).

(٥) قال الزجاج في المعاني (٢/ ٢٦٩): «قالوا: جائز أن يكون هذا قول الله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ﴾ غير حكاية عن إبراهيم، وجائز أن يكون إبراهيم قال ذلك». ا.هـ. ورجحه أبو حيان (٤/ ١٧٥).

(٦) رواه البخاري كتاب التفسير، سورة الأنعام، باب ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ (٥/ ١٩٣).

وكذا عن أبي بكر الصديق أنه فسره بالشرك[١]، فيكون الأمن من تأبيد العذاب.

وعن عمر أنه فسره بالذنب[٢]، فيكون الأمن من كل عذاب. وقال الحسن والكلبي: «أولئك لهم الأمن في الآخرة وهم مهتدون في الدنيا»[٣]. انتهى، وإنما ذكرته لأن فيه شاهداً لكلام شيخ الإسلام الآتي في الحديث الذي ذكره -حديث صحيح في «الصحيح» و«المسند» وغيرهما-.

وفي لفظ لأحمد عن عبدالله قال: لما نزلت ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله فأينا لا يظلم نفسه؟ قال: «إنه ليس الذي تعنون، ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح: ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ إنما هو الشرك»[٤].

قال شيخ الإسلام: «والذين شق عليهم ظنوا أن الظلم المشروط هو ظلم العبد لنفسه وأنه لا أمن ولا اهتداء إلا لمن لم يظلم نفسه، فبين لهم

---

(١) رواه ابن جرير (١١/ ٤٩٦).
والفريابي وابن أبي شيبة والحكيم الترمذي في نوادر الأصول وابن المنذر وأبو الشيخ وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٠٨).

(٢) لم أجد هذا عن عمر رضي الله عنه، وقد عزا السيوطي في الدر (٣/ ٣٠٨) لأبي الشيخ عن عمر رضي الله عنه أنه قال: ﴿وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾: بشرك.
وقد روى ابن جرير بسنده أن عمر سأل أبياً عنها فقال: هو الشرك (١١/ ٤٩٩)، الدر (٣/ ٣٠٨).
وقد روى ابن جرير التفسير بالشرك عن جمع من السلف هم: أبو بكر، وابن مسعود وأبي بن كعب، وسلمان وابن عباس وحذيفة وأبو ميسرة وإبراهيم وقتادة ومجاهد والسدي وابن زيد وأبو عبدالرحمن السلمي وابن إسحاق وعلقمة. انظر: ابن جرير (١١/ ٤٩٤-٥٠٢)، الدر المنثور (٣/ ٣٠٨-٣١٠).

(٣) لم أجده.

(٤) رواه الإمام أحمد (١/ ٣٧٨) رقم (٣٥٨٩، ١/ ٤٢٤) رقم (٤٠٣١، ١/ ٤٤٤) رقم (٤٢٤٠)، ورواه ابن جرير (١١/ ٤٩٥)، وعبدالرزاق في التفسير (١/ ٢/ ٢١٣) بلفظ مقارب جداً.

النبي ﷺ ما دلهم على أن الشـرك ظلم في كتاب اللـه، وحينئذ فلا يحصل الأمن والاهتداء إلا لمن لم يلبس إيمانهم بهذا الظلم، فمن لم يلبس إيمانه[١] به كان من أهل الأمن والاهتداء، كما كان من أهل الاصطفاء في قوله: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾[٢].

وهذا لا ينفي أن يؤاخذ أحدهم بظلمه لنفسه بذنب إذا لم يتب، كما قال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ ۝٨﴾[٣] وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾[٤]، وقد سـأل أبو بكر رضي الله عنه النبي ﷺ عن ذلك فقال: يا رسـول الله، وأينا لم يعمل سـوءاً؟ فقال: «يا أبا بكر ألسـت تنصب، ألست تحزن، أليس تصيبك اللأواء؟ فذلك ما تجزون به»[٥]. فبيـن أن المؤمن الذي إذا مات دخـل الجنة[٦] قد يجزى بسيئاته في الدنيا بالمصائب التي تصيبه[٧].

---

(١) في الأصل: إيمانهم، والصواب الموافق للسياق المثبت أعلاه من الفتاوى (٧/ ٨٠).

(٢) فاطر: ٣٢.

(٣) الزلزلة: ٧-٨.

(٤) سقط من الأصل: وقال تعالى: ﴿مَن يَعْمَلْ سُوٓءًا يُجْزَ بِهِۦ﴾ وقد أثبته من الفتاوى (٧/ ٨٠)؛ لأن حديث أبي بكر وارد عليها.

(٥) رواه الإمام أحمد (١/ ١١) الأرقام (٦٨-٧١)، والطبري (٩/ ٢٤١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٧٤)، وصححه ووافقه الذهبي، والبيهقي في السنن (٣/ ٣٧٣). وانظر: الدر المنثور (٢/ ٦٩٦).

واللأواء: هي الشدة وضيق المعيشة. النهاية (٤/ ٢٢١).

(٦) في الفتاوى (٧/ ٨٠): فبين أن المؤمن الذي إذا تاب دخل الجنة.

(٧) ذكر شيخ الإسلام أن المعاصي من المؤمنين هي سبب العذاب في الآخرة، لكن قد يندفع العذاب بنحو عشرة أسباب: ١-التوبة. ٢-الاستغفار. ٣-الأعمال الصالحة.

٤-الدعاء للمؤمنين.

٥-دعاء النبي ﷺ واستغفاره في حياته وبعد مماته كشفاعته يوم القيامة.

٦-ما يفعل بعد الموت من عملٍ صالحٍ يُهدى إليه.

٧-المصائب الدنيوية التي يكفرُ الله بها الخطايا.

=

قال: فمن سلم من أجناس الظلم الثلاثة -يعني الظلم الذي هو الشرك، وظلم العباد، وظلمه لنفسه بما دون الشرك- كان له الأمن التام والاهتداء التام، ومن لم يسلم من ظلم نفسه كان له الأمن والاهتداء مطلقاً، بمعنى أنه لابد أن يدخل الجنة، كما وعد بذلك في الآية الأخرى[١]، وقد هداه الله إلى الصراط المستقيم الذي تكون عاقبته فيه إلى الجنة، ويحصل له من نقص الأمن والاهتداء بحسب ما نقص من إيمانه بظلمه لنفسه، وليس مراد النبي ﷺ بقوله: «إنما هو الشرك»[٢] أن من لم يشرك الشرك الأكبر يكون له الأمن التام والاهتداء التام، فإن أحاديثه الكثيرة مع نصوص القرآن تبين أن أهل الكبائر[٣] معرضون للخوف، لم يحصل لهم الأمن التام والاهتداء التام الذي يكونون به مهتدين إلى الصراط المستقيم صراط الذي أنعم الله عليهم من غير عذاب يحصل لهم، بل معهم أصل الاهتداء إلى هذا الصراط ومعهم أصل نعمة الله عليهم، ولابد لهم من دخول الجنة.

= ٨-ما يبتلى به المؤمن في قبره من الضغطة وفتنة الملكين.
٩-ما يحصل له في الآخرة من كرب أهوال يوم القيامة.
١٠-ما يحصل للمؤمنين إذا عبروا الصراط، حيث يوقفون على قنطرة بين الجنة والنار فيقتص لبعضهم من بعض.
راجع: هذه الأسباب بتفصيلها مع الأدلة في منهاج السنة (٦/ ٢٠٥)، وراجعها في شرح الطحاوية (٣٦٧).

(١) لعل الشيخ يقصد قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ۖ فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ [فاطر: ٣٢-٣٣].

(٢) سبق تخريجه.

(٣) من العلماء من ضبط الكبائر بالعد، ومنهم من ضبطها بالحد، وقد اختلفوا في ذلك اختلافاً كثيراً، والتعريف الذي اختاره جمع من المحققين أن الكبيرة: كل ذنب ترتب عليه حد في الدنيا أو وعيد في الآخرة بلعنة أو غضب. والصغائر ما عدا ذلك.
راجع: تفسير الطبري (٨/ ٢٣٣)، الفتاوى (١١/ ٦٥٠)، مدارج السالكين (١/ ٣٢٠)، الكبائر للذهبي (٧)، شرح الطحاوية (٤١٧)، الزواجر عن اقتراف الكبائر (١/ ٥).

وقوله: «إنما هو الشرك» إن أراد به الأكبر فمقصوده أن من لم يكن من أهله فهو آمن مما وعد به المشركون من عذاب الدنيا والآخرة، وهو مهتد إلى ذلك، وإن كان مراده جنس الشرك فيقال: ظلم العبد نفسه، كبخله -لحب المال- ببعض الواجب هو شرك أصغر، وحبه ما يبغض الله حتى يقدم هواه على محبة الله شرك أصغر، ونحو ذلك[1]، فهذا فاته من الأمن والاهتداء بحسبه، ولهذا كان السلف يدخلون الذنوب في الظلم بهذا الاعتبار»[2]. انتهى ملخصاً[3].

وبه تظهر مطابقة الآية للترجمة[4]، فدلت على فضل التوحيد وتكفيره للذنوب؛ لأن من أتى به تاماً فله الأمن التام والاهتداء التام، ودخل الجنة بلا عذاب، ومن أتى به ناقصاً بالذنوب التي لم يتب منها، فإن كانت صغائر كفرت باجتناب الكبائر؛ لآية «النساء»[5]، و«النجم»[6]، وإن كانت كبائر فهو في حكم المشيئة، إن شاء الله غفر له، وإن شاء عذبه، ومآله إلى الجنة[7]، والله أعلم[8].

---

(١) راجع: باب ما جاء في الرياء، في تيسير العزيز الحميد ص ٤٦٤، وباب من الشرك إرادة الإنسان بعمله الدنيا، ص٤٧٣.

(٢) انظر: ما ذكره شيخ الإسلام في هذه المسألة: الفتاوى (٧/ ٦٢).

(٣) الفتاوى (٧/ ٨٠-٨٢).

(٤) الترجمة هي: باب فضل التوحيد وما يكفر من الذنوب.

(٥) قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُم مُّدْخَلًا كَرِيمًا﴾ [النساء: ٣١].

(٦) قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ﴾ [النجم: ٣١-٣٢].

(٧) خلافاً للخوارج والمعتزلة الذين يخلدون أصحاب الكبائر في النار، وخلافاً للمرجئة الذين يزعمون أن من لم يكن مشركاً فإنه لا يدخل النار مطلقاً وإن كان من أصحاب الكبائر .. فأهل السنة كما ذكر الشيخ -وسط بين الغالي والجافي.
راجع: شرح العقيدة الطحاوية (٤١٦).

(٨) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٠-٥٢.

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًا ۚ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ﴿١١٣﴾﴾ [الأنعام: ١١٢-١١٣].

قال الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله:

فأخبر تعالى أنه جعل لكل نبي شياطين الإنس والجن يلقي بعضهم إلى بعض الأقوال المزخرفة، أي المحسنة المزينة التي يحسبها الجاهل حقاً فيغتر بها كما قال تعالى في المنافقين ﴿وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾[1].

ثم أخبر أن القلوب التي لا إيمان فيها تصغي إلى هذا الباطل، أي تميل إليه وأنهم يرضونه، أي يقتنعون به عن الحق، ويؤثرونه عليه كما قال تعالى: ﴿فَرِحُوا۟ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ﴾[2]، ثم قال: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾ أي أنهم إذا مالوا إلى شبهات أهل الباطل في الأقوال والأعمال والاعتقادات وكذلك ما يترتب على ذلك من شرور الدنيا والآخرة ولهذا قال: ﴿وَلِيَقْتَرِفُوا۟ مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ﴾.

ثم كأن النفوس اشتاقت إلى ما يخلصها من هذا الباطل وما يترتب عليه فقال: ﴿أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ ٱلْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا ۚ وَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُۥ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ ۖ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ

(١) المنافقون: ٤.

(٢) غافر: ٨٣.

﴿ٱلۡمُمۡتَرِينَ ١١٤﴾[(١)]، ثم كأن قائلاً قال: وهل نحتاج إلى غير هذا الكتاب فقال: ﴿وَتَمَّتۡ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدۡقٗا وَعَدۡلٗاۚ لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ١١٥﴾[(٢)].

فلم يبق إلا أن السواد ليسوا على ذلك فقال: ﴿وَإِن تُطِعۡ أَكۡثَرَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَخۡرُصُونَ﴾[(٣)] وعلى حسب الإعراض عن الهدى والميل إلى شبهات الباطل يكون الضلال والخطأ من الأقوال والأفعال والعقائد[(٤)].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَأۡكُلُواْ مِمَّا لَمۡ يُذۡكَرِ ٱسۡمُ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ وَإِنَّهُۥ لَفِسۡقٞۗ وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡۖ وَإِنۡ أَطَعۡتُمُوهُمۡ إِنَّكُمۡ لَمُشۡرِكُونَ﴾ [الأنعام: ١٢١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

هذه الآية نزلت لما قال المشركون تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتل الله فأنزل الله هذه الآية[(٥)].

فإذا كان من أطاع المشركين في تحليل الميتة مشركاً من غير فرق بين الخائف وغيره إلا المكره فكيف بمن أطاعهم في تحليل موالاتهم والكون معهم ونصرهم والشهادة أنهم على حق واستحلال دماء المسلمين وأموالهم

---

(١) الأنعام: ١١٤.
(٢) الأنعام: ١١٥.
(٣) الأنعام: ١١٦.
(٤) مجموعة رسائل ابن عتيق، ص ٤٤، ٤٥، من رسالة الدفاع عن أهل السنة والاتباع.
(٥) انظر: أسباب النزول للواحدي (٢٢٦).

والخروج عن جماعة المسلمين إلى جماعة المشركين، فهؤلاء أولى بالكفر والشرك ممن وافقهم على أن الميتة حلال[١].

قال تعالى: ﴿قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۖ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ [الأنعام: ١٥١-١٥٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يقول الله تعالى لنبيه ورسوله محمد ﷺ: قل لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله، وحرموا ما رزقهم الله، وقتلوا أولادهم وكل ذلك فعلوا بآرائهم الفاسدة وتسويل الشيطان. ﴿تَعَالَوْا۟﴾ أي هلموا وأقبلوا ﴿أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ﴾ أي أقصص عليكم وأخبركم بما حرم ربكم عليكم حقاً لا تخرصاً ولا ظناً بل وحي منه وأمر من عنده ﴿أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ﴾ قال: وكأن في الكلام محذوفاً دل عليه السياق، وتقديره

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٦١، ٦٢).

وصاكم أن لا تشـــركوا به شـــيئاً، ولهذا قال في آخر الآية: ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ﴾»[١].

قلت: ابتدأ تعالى هذه الآيات المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه، فحرم علينا أن نشـــرك به شيئاً فشمل ذلك كل مُشـــرك به[٢] وكل مُشرك فيه[٣] من أنواع العبادة، فإن ﴿شَيْـًٔا﴾ من النكرات فيعم[٤] جميع الأشياء، وما أباح تعالى لعباده أن يشـــركوا به شـــيئاً فإن ذلك أظلم الظلم وأقبح القبيح، ولفظ الشرك يدل على أن المشركين كانوا يعبدون الله ولكن يشـــركون به غيره من الأوثان والصالحين والأصنام[٥] فكانت الدعوة واقعة على ترك عبادة ما سوى الله وإفراد الله بالعبادة وكانت لا إله إلا الله متضمنة لهذا المعنى، فدعاهم النبي ﷺ إلى الإقرار بها نطقاً وعملاً واعتقاداً، ولهذا إذا ســئلوا عما يقول لهم، قالوا: يقــول: اعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً واتركوا ما يقول آباؤكم كما قاله أبو سفيان[٦].

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا﴾ قال القرطبي[٧]: «الإحســـان إلى الوالدين

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٧).

(٢) من أنواع المعبودات كالأصنام والأشجار والأولياء وغير ذلك.

(٣) ولذا كان تعريف توحيد العبادة: إفراد الله بأفعال العباد التي يفعلونها على وجه التقرب المشروع، فلا بد من صرف كل أفعال العباد التي هي أنواع العبادات إلى الله تعالى وحده دون ما سواه.

(٤) لأنه واقع في سياق النهي.

(٥) إذ معنى الشرك: مساواة غير الله بالله فيما هو من خصائص الله.
فآفة المشرك ليست في كونه لا يعبد الله، ولكن في كونه يعبد معه غيره.

(٦) وذلك في حديثه الطويل مع هرقل، وقد روى الحديث البخاري كتاب بدء الوحي باب كيف كان بدء الوحي (١/ ٤)، ومسلم كتاب الجهاد والسير، باب كتب النبي ﷺ إلى هرقل ملك الشام يدعوه إلى الإسلام (١٢/ ٤٤٧).

(٧) محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري المالكي القرطبي، كان إماماً زاهداً عابداً له مصنفات نافعة منها: الجامع لأحكام القرآن، التذكار في أفضل الأذكار، التذكرة في أحوال الموتى وأمور الآخرة، توفي عام ٦٧١هـ.
انظر: طبقات المفسرين للسيوطي (٧٩)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٦٩).

برهما وحفظهما وصيانتها وامتثال أمرهما وإزالة الرق عنهما وترك السلطنة عليهما و﴿إِحْسَـٰنًا﴾ نصب على المصدرية، وناصبه فعل مضمر من لفظه: تقديره: وأحسنوا بالوالدين إحساناً»[١].

وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَـٰدَكُم مِّنْ إِمْلَـٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ﴾ «الإملاق الفقر[٢]، أي لا تئدوا بناتكم خشية العيلة والفقر فإني رازقكم وإياهم وكان منهم من يفعل ذلك بالإناث والذكور خشية الفقر» ذكره القرطبي[٣].

وفي الصحيحين عن ابن مسعود قال: «قلت: يا رسول الله أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: أن تجعل لله نداً وهو خلقك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك. قلت: ثم أي؟ قال: أن تزاني حليلة جارك ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾[٤]»[٥].

﴿وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ قال ابن عطية[٦]: «نهي عام عن جميع أنواع الفواحش، وهي المعاصي، وظهر وبطن: حالتان تستوفيان أقسام ما جعلت له من الأشياء»[٧].

---

(١) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٢).
(٢) وراجع أيضاً: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٠٤)، لسان العرب (ملق) (١٠/ ٣٤٨).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٢).
(٤) الفرقان: ٦٨.
(٥) رواه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب قوله: ﴿فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٥/ ١٤٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب بيان كون الشرك أقبح الذنوب (٢/ ٢٦٠).
(٦) أبو محمد عبدالحق بن غالب بن عبدالرحمن بن غالب بن عطية المحاربي، ولد عام ٤٨٠هـ، تتلمذ لوالده وجمع من علماء الأندلس، من أهم مؤلفاته: المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. توفي عام ٥٤٢ وقيل غير ذلك.
انظر: بغية الوعاة (٢/ ٧٣)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٢٦٠).
(٧) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

وفي التفسير المنسوب إلى أبي علي الطبري من الحنفية[١] -وهو تفسير عظيم: «﴿وَلَا تَقۡرَبُواْ ٱلۡفَوَٰحِشَ﴾ أي القبائح. وعن ابن عباس[٢]، والضحاك[٣]، والسدي[٤] أن من الكفار من كان لا يرى بالزنا بأساً إذا كان سراً.

وقيل: الظاهر ما بينك وبين الخلق، والباطن ما بينك وبين الله[٥]. انتهى».

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا أحد أغير من الله، من أجل ذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»[٦].

﴿وَلَا تَقۡتُلُواْ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّۚ﴾ قال ابن كثير: «هذا مما نص تعالى على النهي عنه تأكيداً، وإلا فهو داخل في النهي عن الفواحش»[٧].

---

(١) لم أقف عليه، ولعله هو من سبق أن نقل الشيخ عنه في تفسير الآية ٨٢ من السورة نفسها.

(٢) رواه ابن جرير (١٢/ ٢١٩) من طريق علي بن أبي طلحة، وعزاه في الدر المنثور (٣/ ٣٨٣) لابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه.

(٣) رواه ابن جرير (١٢/ ٢١٩) بلفظ «كان أهل الجاهلية يستسرون بالزنا، ويرون ذلك حلالًا ما كان سراً».

(٤) روى ابن جرير (١٢/ ٢١٩) بسنده عن السدي: أما ﴿مَا ظَهَرَ مِنۡهَا﴾ فزواني الحوانيت، وأما ﴿وَمَا بَطَنَ﴾ فما خفي.

(٥) وقد روي هذا عن ابن عباس والحسن وقتادة وذكره النسفي في تفسيره عنهم .. وهو قريب من القول الذي قبله كما هو ظاهر.

وفي الآية أقوال أخرى هي:

أن ما ظهر نكاح المحرمات وما بطن الزنا. رواه ابن جرير عن مجاهد، وعزاه ابن الجوزي لسعيد بن جبير أيضاً.

وقيل: ما ظهر الخمر وما بطن الزنا. رواه ابن جرير عن الضحاك.

وقيل: هو عام في الفواحش، وظاهرها: علانيتها، وباطنها: سرها. عزاه ابن الجوزي لقتادة.

انظر: الطبري (١٢/ ٢١٩-٢٢٠)، زاد المسير (٣/ ١٤٨)، الدر المنثور (٣/ ٣٨٣).

(٦) رواه البخاري، كتاب التفسير، سورة الأعراف، باب إنما حرم ربي الفواحش ما ظهر منها وما بطن (٥/ ١٩٦)، ورواه مسلم، كتاب التوبة، باب غيرة الله تعالى وتحريم الفواحش (١٧/ ٢٣٢).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٨-١٨٩).

وفي الصحيحين عن ابن مسعود مرفوعاً: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله وأني رسول الله إلا بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»[١]، وعن ابن عمر مرفوعاً: «من قتل معاهداً لم يرح رائحة الجنة، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاماً»[٢] رواه البخاري.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ قال ابن عطية: «ذلكم إشارة إلى هذه المحرمات، والوصية الأمر المؤكد المقرر، وقوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ ترج بالإضافة إلينا، أي من سمع هذه الوصية يرجى وقوع أثر العقل بعدها»[٣].

قلت: هذا غير صحيح، والصواب أن لعل هنا للتعليل، أي إن الله وصانا بهذه الوصايا لنعقلها عنه، ونعمل بها[٤]، كما قال: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ﴾[٥].

وفي تفسير الطبري الحنفي: «ذكر أولاً ﴿تَعْقِلُونَ﴾ ثم ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ ثم ﴿تَتَّقُونَ﴾ لأنهم إذا عقلوا تذكروا فإذا تذكروا خافوا واتقوا المهالك»[٦].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الديات، باب قول الله تعالى: ﴿أَنَّ ٱلنَّفْسَ بِٱلنَّفْسِ وَٱلْعَيْنَ بِٱلْعَيْنِ﴾ (٨/ ٣٨)، ومسلم، كتاب القسامة، باب ما يباح به دم المسلم (١١/ ٣١٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الجزية، باب إثم من قتل معاهداً بغير جرم (٤/ ٦٥).

(٣) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢).

(٤) قال أبو جعفر بن جرير: «وصاكم بذلك لتعقلوا ما وصاكم به ربكم» (١٢/ ٢٢١).

(٥) البينة: ٥.

(٦) قريبٌ من هذا اللفظ في تفسير النسفي عند هذه الآية. وهذا المفسر أبو علي الطبري الذي نقل عنه الشيخ لم أقف عليه ولا على تفسيره.
وقد قال د. الوليد الفريان في تحقيق فتح المجيد (١/ ٩٨): لعله أبو حامد أحمد بن الحسين المروزي المعروف بابن الطبري...إلخ) ولا يظهر لي ما ذكره الدكتور لأن هذا أبو حامد، والذي ينقل عنه الشيخ سليمان أبو علي. فلعل مما يُعين على التعرف عليه تقارب النصوص المنقولة عنه مع النصوص في تفسير النسفي.
انظر أيضاً: البحر المحيط (٤/ ٢٥٣-٢٥٤)، ونظم الدرر (٧/ ٣١٨-٣٢١)، وروح المعاني (٨/ ٨٣).

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال ابن عطية: «هذا نهي عن القرب الذي يعم وجوه التصرف، وفيه سد الذريعة[١]، ثم استثنى ما يحسن وهو التشمير[٢]، والسعي في نمائه، قال مجاهد: ﴿بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾: «التجارة فيه»[٣].

فمن كان من الناظرين له مال يعيش به فالأحسن إذا ثمر مال اليتيم أن لا يأخذ منه نفقة ولا أجرة ولا غيرهما، ومن كان من الناظرين لا مال له ولا يتفق له نظر إلا بأن ينفق على نفسه من ربح نظره، وإلا دعت الضرورة إلى ترك مال اليتيم دون نظر، فالأحسن أن ينظر ويأكل بالمعروف. قاله ابن زيد[٤]»[٥].

وقوله: ﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ قال مالك وغيره: هو الرشد وزوال السفه مع البلوغ[٦]. قال ابن عطية: «وهو أصح الأقوال وأليقها بهذا الموضع»[٧].

قلت: وقد روي نحوه عن زيد بن أسلم والشعبي وربيعة[٨] وغيرهم،

---

(١) الذريعة: الفعل الذي ظاهره أنه مباح، وهو وسيلة إلى فعل محرم.
الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ٢٥٦)، كتاب إقامة الدليل على إبطال التحليل.

(٢) في المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢) «التثمير» بالثاء. والمعنى يصح باللفظين.

(٣) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢١) وانظر: البغوي (٣/ ٢٠٣).

(٤) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٢)، وعزاه السيوطي (٣/ ٣٨٤) لابن أبي حاتم أيضاً.

(٥) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٢-٣٦٣).

(٦) رواه ابن جرير عن مالك (١٢/ ٢٢٢)، قال: «﴿حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾. يعني: الحلم.
ونقل ابن عطية والقرطبي عن مالك أنه الرشد وزوال السفه. المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٣)، القرطبي (٧/ ١٣٥) وهو ما اختاره الزجاج (٢/ ٣٦٣).

(٧) المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٣).

(٨) رواه عنهم ابن جرير بأسانيده (١٢/ ٢٢٣) بلفظ: الحلم. وقال رحمه الله تعالى في الآية: «وفي الكلام محذوف، ترك ذكره اكتفاء بدلالة ما ظهر عما حذف. وذلك أن معنى الكلام: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ﴾ فإذا بلغ أشده فآنستم منه رشداً فادفعوا إليه ماله». ا.هـ (١٢/ ٢٢٤).
وربيعة هو ربيعة بن أبي عبدالرحمن القرشي التيمي مولاهم المشهور بربيعة الرأي، روى عن =

ويدل عليه قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ﴾[1]، فاشترط تعالى للدفع إليهم ثلاثة شروط:

الأول: ابتلاؤهم، وهو اختبارهم وامتحانهم بما يظهر به معرفتهم لمصالح أنفسهم وتدبير أموالهم.

والثاني: البلوغ.

والثالث: الرشد.

﴿وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ﴾ قال ابن كثير: «يأمر تعالى بإقامة العدل في الأخذ والإعطاء، كما توعد عليه[2] في قوله: ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱكْتَالُوا۟ عَلَى ٱلنَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ۝٢ وَإِذَا كَالُوهُمْ أَو وَّزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ ۝٣﴾ إلى قوله: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٦﴾[3]، وقد أهلك الله أمة من الأمم[4] كانوا يبخسون المكيال والميزان»[5].

وقال غيره: القسط: العدل[6].

= أنس وسعيد بن المسيب وجماعة، وعنه: الأوزاعي وشعبة وغيرهما، كان من أئمة الاجتهاد وأوعية العلم، وله قصة مشهورة مع أبيه بعد عودته من الجهاد بعد غيبته الطويلة. قال عنها الذهبي: حكاية باطلة، توفي رحمه الله عام ١٣٦ بالمدينة.
انظر: صفة الصفوة (٢/ ١٤٨)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٨٩).

(١) النساء: ٦.

(٢) في تفسير ابن كثير (٢/ ١٨٩) «كما توعد على تركه».

(٣) المطففين: ١-٦.

(٤) وهم أصحاب مدين قوم نبي الله شعيب عليه السلام، وقد ذكر الله تعالى قصتهم في أكثر من سورة من ذلك: سورة الأعراف: ٨٥-٩٣، سورة هود: ٨٤-٩٥، سورة الشعراء: ١٧٦-١٩١.
انظر: البداية والنهاية (١/ ١٨٣).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٩).

(٦) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٢٤) عن مجاهد، وأبو الشيخ عن ابن جبير وقتادة. =

وقد روى الترمذي وغيره بإسناد ضعيف عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الكيل والميزان: «إنكم وليتم أمراً هلكت فيه الأمم السالفة قبلكم» وروي عن ابن عباس موقوفاً بإسناد صحيح[١].

﴿لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال ابن كثير: «أي من اجتهد في أداء الحق وأخذه، فإن أخطأ بعد استفراغ وسعه وبذل جهده فلا حرج عليه. وقد روى ابن مردويه[٢] عن سعيد بن المسيب مرفوعاً: ﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ قال: «من أوفى على يده في الكيل والميزان -والله يعلم صحة نيته بالوفاء فيهما- لم يؤاخذ وذلك تأويل وسعها». قال: هذا مرسل غريب»[٣].

قلت: وفيه رد على القائلين بجواز تكليف ما لا يطاق[٤].

= انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٨٤-٣٨٥)، القرطبي (٧/ ١٣٦)، المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٣)، البحر المحيط (٤/ ٢٥٣).

(١) رواه الترمذي، كتاب البيوع، باب ما جاء في الكيل والميزان (٤/ ٢١٣)، وقال: هذا حديث لا نعرفه مرفوعاً إلا من حديث حسين بن قيس، وحسين بن قيس يضعف في الحديث، وقد روي هذا بإسناد صحيح عن ابن عباس موقوفاً. ا.هـ. ورواه الحاكم في المستدرك (٢/ ٣١)، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وتعقبه الذهبي قال: قلت: حسين ضعفوه. ا.هـ.

(٢) الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه بن فورك الأصبهاني ولد عام ٣٢٣هـ، له كتاب التفسير الكبير، والتاريخ، والأمالي. قال الذهبي: كان من فرسان الحديث، فهماً يقظاً متقناً، كثير الحديث جداً، ومن نظر في تواليفه عرف محله من الحفظ. ا.هـ. توفي عام ٤١٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٧/ ٣٠٨)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ٩٣).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٨٩-١٩٠)، وفي الأصل: ما لم يؤاخذ. والمثبت من التفسير.

(٤) وهم الجبرية من أتباع جهم وأتباع الأشعري على خلاف بينهم في تفصيلات ذلك، وسبب قولهم بذلك أنهم قالوا: إن الله سلب قدرة العبد على ما أمر به وجبره فكان هذا -عندهم- من التكليف بما لا يطاق، فإطلاق القول بالجبر كإطلاق القول بتكليف ما لا يطاق، وهو قول حادث لم يقل به أحد من السلف والأئمة. =

﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُواْ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ﴾ هــذا أمــر بالعــدل في القول والفعل على القريب والبعيد.

قال الحنفــي: «العدل في الحق في حق الولي والعــدو لا يتغير بالرضى والغضب، بل يكون على الحــق والصدق، وإن كان ذا قربــى فلا يميل إلى الحبيب، ولا إلى القريــب ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَـَٔانُ قَوْمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعْدِلُواْ ٱعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[1]»[2]، ﴿وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُواْ﴾ قال ابن جرير: «يقول: وبوصية الله التي وصاكم بها فأوفوا وانقــادوا لذلك[3]، بأن تطيعوه فيما أمر به ونهاكم عنه، وتعملوا بكتابه وســنة رسوله، وذلك هو الوفاء بعهد الله»[4]، وكذا قال غيره[5].

قلت: وهو حســن، ولكن الظاهــر أن الآية فيما هو أخــص، كالبيعة والذمة والأمــان والنــذر ونحو ذلــك، وهــذه الآيــة كقولــه: ﴿وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ﴾[6]، فهذا هو المقصود بالآية، وإن كانت شاملة لما قالوا بطريق العموم.

﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى هذا وصاكم وأمركم به وأكد عليكم فيه لعلكم تذكرون، أي تتعظون وتنتهون عما كنتم فيه.

﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾.

= انظر في المسألة والرد عليهم: الفتاوى (٨/ ٤٦٩)، بدائع الفوائد (٤/ ١٧٥).

(١) المائدة: ٨.

(٢) سبق وأن ذكرت أن هذا التفسير المنسوب للحنفي لم أقف على تحديده.

(٣) في جامع البيان «وإيفاء ذلك» (١٢/ ٢٢٥).

(٤) جامع البيان، الموضع السابق.

(٥) انظر: زاد المسير (٣/ ١٥١)، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/ ١٣٧).

(٦) النحل: ٩١.

قال القرطبي: «هذه آيـة عظيمة عطفها الله على ما تقـدم، فإنه لما نهى وأمر حذر عن اتباع غير سبيله، وأمر فيها باتباع طريقه على ما بينته الأحاديث الصحيحة وأقاويل السـلف. ﴿وَأَنَّ﴾ في موضع نصـب، أي واتل أن هذا صراطي، عن الفراء[١] والكسائي.

قـال الفراء: «ويجـوز: أن يكـون خفضـاً، أي وصاكم بـه، وبأن هذا صراطي»[٢].

قال[٣]: والصراط: الطريق الذي هو دين الإسلام.

﴿مُسْتَقِيمًا﴾ نصب على الحال، ومعناه: مستوياً قويماً لا اعوجاج فيه، فأمر باتباع طريقه الذي طرَّقه[٤] على لسان محمد ﷺ وشرعه، ونهايته الجنة، وتشـعبت منه طرق، فمن سـلك الجادة نجا، ومن خرج إلـى تلك الطرق أفضت به إلى النار، قـال الله تعالـى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ أي تميل»[٥]. انتهى.

وروى أحمد والنسائي والدارمي وابن أبي حاتم والحاكم وصححه عن ابن مسـعود قال: «خط رسـول الله ﷺ خطاً بيده، ثم قال: «هذا سبيل الله مسـتقيماً» ثم خط خطوطاً عن يمين ذلك الخط وعن شماله، ثم قال: «وهذه

---

(١) انظر: معاني القرآن للفراء (١/ ٣٦٤).
(٢) معاني القرآن، الموضع السابق.
(٣) أي القرطبي رحمه الله تعالى.
(٤) سبيله الذي سنه على لسان رسوله ﷺ.
انظر: مادة (طرق) في اللسان (١٠/ ٢١٥).
(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٧) باختصار.

السبل ليس منها سبيل إلا عليه شيطان يدعو إليه»، ثم قرأ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦ﴾»[1].

وعن النواس بن سمعان مرفوعاً قال: «ضرب الله مثلاً صراطاً مستقيماً، وعلى جنبتي الصراط سوران فيهما أبواب مفتحة، وعلى الأبواب ستور مرخاة، وعلى الصراط داع يقول: يا أيها الناس ادخلوا الصراط جميعاً ولا تعوجوا، وداع يدعو من جوف الصراط، فإذا أراد الإنسان أن يفتح شيئاً من تلك الأبواب، قال: لا تفتحه فإنك إن تفتحه تلجه، فالصراط الإسلام، والسوران حدود الله، والأبواب المفتحة محارم الله، وذلك الداعي على رأس الصراط كتاب الله، والداعي من فوق الصراط واعظ الله في قلب كل مسلم» رواه أحمد والترمذي والنسائي وابن جرير وابن أبي حاتم[2].

وعن مجاهد في قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ﴾ قال: «البدع والشبهات». رواه ابن جرير[3]، وابن أبي حاتم[4].

وهذه السبل تعم اليهودية والنصرانية والمجوسية وعباد القبور وسائر أهل الملل والأوثان والبدع والضلالات من أهل الشذوذ والأهواء والتعمق

---

(١) سبق تخريجه في تفسير قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ﴾.

(٢) رواه الإمام أحمد (٤/ ١٨٢-١٨٣) رقم (١٧٦٧١)، والترمذي كتاب الأمثال باب ما جاء في مثل الله لعباده (٨/ ٧١)، وقال حسن غريب، والنسائي في الكبرى ذكر ذلك المزي (٩/ ٦١)، وابن أبي عاصم في السنة (١٨-١٩)، وابن جرير (١/ ١٧٦)، والحاكم وصححه على شرط مسلم ووافقه الذهبي (١/ ٧٣)، وابن أبي حاتم وصححه ابن كثير (١/ ٢٧).

(٣) الطبري (١٢/ ٢٢٩).

(٤) انظر: الدر المنثور (٣/ ٣٨٦)، ورواه الدارمي، باب كراهية أخذ الرأي (١/ ٧٩).

في الجدل والخوض في الكلام، فاتباع هذه من اتباع السبل التي تذهب بالإنسان عن الصراط المستقيم إلى موافقة أصحاب الجحيم[١]، كما قال النبي ﷺ: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردٌّ»[٢] وفي رواية: «كل عمل ليس عليه أمرنا فهو ردٌّ»[٣] حديث صحيح.

قال ابن مسعود: «تعلموا العلم قبل أن يقبض، وقبضه ذهاب أهله، ألا إياكم والتنطع والتعمق والبدع، وعليكم بالعتيق» رواه الدارمي[٤].

قلت: العتيق هو القديم، يعني ما كان عليه رسول الله ﷺ وأصحابه من الهدى، دون ما حدث بعدهم، «فالهرب الهرب، والنجاء النجاء، والتمسك بالطريق المستقيم والسنن القويم، وهو الذي كان عليه السلف الصالح، وفيه المتجر الرابح» قاله القرطبي[٥].

وقال سهل بن عبدالله[٦]: «عليكم بالأثر والسنة، فإني أخاف أنه سيأتي

---

(١) انظر أيضاً: الطبري (١٢/ ٢٢٨-٢٢٩)، والقرطبي (٧/ ١٣٨-١٣٩).
وانظر: مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، د. ناصر العقل، ص ٣٩.

(٢) رواه البخاري كتاب الصلح، باب إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود (٣/ ١٦٧)، ومسلم كتاب الأقضية باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات (١٢/ ٣٧٩) عن عائشة رضي الله عنها.

(٣) رواه البخاري تعليقاً عن عائشة كتاب الاعتصام بالسنة، باب إذا اجتهد العامل أو الحاكم فأخطأ خلاف الرسول ﷺ فحكمه مردود، ووصله مسلم، كتاب الأقضية، باب نقض الأحكام الباطلة ورد المحدثات (١٢/ ٣٨٠) كلاهما بلفظ «من عمل عملاً ليس عليه ...».

(٤) رواه الدارمي، باب من هاب الفتيا وكره التنطع والتبدع (١/ ٦٦)، ورواه عبدالرزاق في المصنف باب العلم (١١/ ٢٥٢) رقم (٢٠٤٦٥)، ومحمد بن نصر في السنة (٢٤).
المتنطع والمتعمق: المبالغ في الأمر المتشدد فيه.
انظر: النهاية (٥/ ٧٤، ٣/ ٢٩٩).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٨).

(٦) سهل بن عبدالله بن يونس التستري أبو محمد الزاهد، له كلمات نافعة ومواعظ حسنة سئل إلى متى يكتب الرجل الحديث؟ قال: حتى يموت ويصب باقي حبره في قبره، توفي عام ٢٨٣هـ. =

عن قليل زمان إذا ذكر إنسـان النبي ﷺ والاقتداء به فـي جميع أحواله ذموه ونفروا عنه وتبرؤوا منه، وأذلوه وأهانوه»[١].

قلت: رحم الله سهلاً ما أصدق فراسته، فلقد كان ذلك وأعظم، وهو أن يكفر الإنسان بتجريد التوحيد والمتابعة، والأمر بإخلاص العبادة لله، وترك عبادة ما سواه والأمر بطاعة رسول الله ﷺ، وتحكيمه في الدقيق والجليل.

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: «ولنذكر في الصراط المستقيم قولاً وجيزاً، فإن الناس قد تنوعت عباراتهم عنه، وترجمتهم عنه بحسـب صفاته ومتعلقاته، وحقيقته شـيء[٢] واحد وهو طريق الله الذي نصبه لعبـاده موصلاً لهم إليه، ولا طريق إليه سـواه، بل الطرق كلها مسدودة على الخلق إلا طريقه الذي نصبه على ألسـن رسـله، وجعله موصلاً لعباده إليه وهو إفراده بالعبودية، وإفراد رسـوله بالطاعة، فلا يشرك به أحد في عبوديته، ولا يشرك برسوله أحد في طاعته، فيجرد التوحيد، ويجرد متابعة الرسـول ﷺ، وهـذا معنى قول بعـض العارفين: «إن السعادة كلها والفلاح كله مجموع في شيئين: صدق محبة، وحسن معاملة».

وهذا كله مضمون شـهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فأي شيء فسر به الطريق المستقيم فهو داخل في هذين الأصلين. ونكتة ذلك أن تحبه بقلبك كله، وترضيه بجهدك كله، فلا يكون في قلبك موضع إلا معمور بحبه، ولا يكون لك إرادة إلا متعلقة بمرضاته.

فالأول يحصل بتحقيق شهادة أن لا إله إلا الله.

والثاني يحصل بتحقيق شهادة أن محمداً رسـول الله، وهذا هو الهدى

= انظر: الحلية (١٠/ ١٨٩)، السير (١٣/ ٣٣٠)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٢٩).

(١) انظر: الجامع لأحكام القرآن (٧/ ١٣٩).

(٢) وقع في الأصل: بشيء، والمثبت من بدائع الفوائد.

ودين الحق، وهو معرفة الحق والعمل به، وهو معرفة ما بعث الله به رسوله والقيام به، فقل ما شئت من العبارات التي هذا آخيتها وقطب رحاها»[(١)][(٢)].

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى ٱللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُوا۟ دِينَهُمْ وَكَانُوا۟ شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ ۚ﴾ أي فرقوا دينهم الذي هو الإسلام، الذي ارتضاه الله تعالى واختاره، ورفع في السموات والأرض شأنه ومناره.

﴿وَكَانُوا۟ شِيَعًا﴾ لأهويتهم الغاوية متبعون ﴿كُلُّ حِزْبٍۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾[(٣)].

﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ من إصلاح الحال، حتى يتحسن لهم المآل، وإنما عليك بلاغ الرسالة، وهذا منسوخ بآية القتال[(٤)]، لأهل الكفر والشرك والضلال.

---

(١) بدائع الفوائد (٢/ ٤٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٦-٤٤.

(٣) الروم: ٣٢.

(٤) ذهب بعض أهل العلم إلى أن هذه الآية منسوخة بآية السيف، وقد رواه ابن جرير عن السدي (١٢/ ٢٧٢)، وذكر ذلك ابن حزم في الناسخ والمنسوخ (٣٨).
وذهب آخرون إلى أن الآية محكمة وهو ما عليه الجمهور من المفسرين. قال ابن جرير رحمه الله: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن قوله: ﴿لَّسْتَ مِنْهُمْ فِى شَىْءٍ﴾ إعلام من الله نبيه محمد ﷺ أنه من مبتدعة أمته الملحدة في دينه بريء، ومن الأحزاب من مشركي قومه، ومن اليهود والنصارى، وليس في إعلامه ذلك ما يوجب أن يكون نهاه عن قتالهم؛ لأنه غير محال أن يقال في الكلام: «لست من دين اليهود والنصارى في شيء فقاتلهم ...» (١٢/ ٢٧٣).
وانظر: زاد المسير (٣/ ١٥٩)، المحرر الوجيز (٢/ ٣٦٨)، البحر المحيط (٤/ ٢٦٠).

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُمۡ إِلَى ٱللَّهِ﴾ مفوض إليــه؛ لأن بيده التوبة والعذاب فلا يصلح أن يكون ذلك إلا له.

﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ﴾ ثم يوم القيامة يرون ما يوعدون، ويجازيهم بما كانوا يعملون.

قال مجاهــد[١] والضحــاك[٢] والســدي[٣] وقتادة[٤]: هــذه الآية نزلت في اليهــود والنصارى، اختلفــوا قبل مبعث محمد ﷺ فتفرقــوا، فلما بعث محمد ﷺ نزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾ الآية[٥].

وعن أبي أمامة الباهلي -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله ﷺ : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا﴾ إنهم الخوارج[٦].

وروى ابن جرير بســنده عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ في هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمۡ وَكَانُواْ شِيَعٗا لَّسۡتَ مِنۡهُمۡ فِي شَيۡءٍ﴾ وليســوا منك، هم أهل البدع وأهل الشبهات وأهل الضلالة من هذه الأمة[٧].

---

(١) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٦٩)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن المنذر (٣/ ٤٠٣) كلهم بلفظ «يهود» فقط دون النصارى.

(٢) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٧٠).

(٣) رواه ابن جرير (١٢/ ٢٦٩)، وعزاه السيوطي لابن أبي حاتم وأبي الشيخ (٣/ ٤٠٣).

(٤) رواه عبدالرزاق في التفسير الجزء الأول، القسم الثاني: ٢٢٢، وابن جرير (١٢/ ٢٦٩)، وعزاه السيوطي (٣/ ٤٠٣)، لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٩٦).

(٦) عزاه السيوطي في الدر المنثور (٣/ ٤٠٢) لابن أبي حاتم والنحاس وابن مردويه.
وقال ابن كثير (٢/ ١٩٦) بعد أن ذكره موقوفاً على أبي أمامة رضي الله عنه: «وروي عنه مرفوعاً ولا يصح». ا.هـ.

(٧) الطبري (١٢/ ٢٧٠-٢٧١)، قال ابن كثير (٢/ ١٩٦): هذا إسناد لا يصح فإن عباد بن كثير متروك الحديث ولم يختلق هذ الحديث، ولكنه وهم في رفعه، فإنه رواه سفيان الثوري عن =

وقال شعبة[١] عن مجالد[٢] عن الشعبي[٣] عن عمر أن رسول الله ﷺ قال لعائشة: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ هم أصحاب البدع والأهواء من هذه الأمة»[٤].

«والظاهر أن الآيــة عامة في كل من فارق دين محمــد ﷺ وكان مخالفاً له، فإن الله بعث رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله، وشرعه واحد لا اختلاف فيه ولا افتراق، فمن اختلف ﴿وَكَانُواْ شِيَعًا﴾ كان كذلك[٥]

= ليث وهو ابن أبي سليم عن طاووس عن أبي هريرة في الآية أنه قال: نزلت في هذه الأمة.ا.هـ. وقال أحمد شاكر: هذا الخبر مرفوعاً لا يصح. ا.هـ. الطبري (١٢/ ٢٧١).

وخرجه الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢-٢٣)، وقال: رواه الطبراني في الأوسط، ورجاله رجال الصحيح غير معلل بن نفيل وهو ثقة. ا.هـ.

(١) شعبة بن الحجاج بن الورد، أبو بسطام الأزدي مولاهم، أمير المؤمنين في الحديث، ولد عام ٨٠هـ روى عن أنس بن سيرين ومجالد بن سعيد وغيرهما، وعنه: وكيع وهشيم والثوري وخلق غيرهم وهو أول من فتش عن الرجال بالعراق، توفي عام ١٦٠هـ. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٢٨٠)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٩٣).

(٢) مجالد بن سعيد بن عمير بن بسطام الكوفي الهمداني، روى عن الشعبي ومرة الهمداني وغيرهما، وعنه: شعبة وابن المبارك وغيرهما، توفي عام ١٤٤هـ.
انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٣)، الجرح والتعديل (٨/ ٣٦١).

(٣) عامر بن شراحيل بن عبد بن ذي كبار أبو عمرو الهمداني ثم الشعبي، ولد في خلافة عمر رضي الله عنه لست سنين خلون منها، وقيل غير ذلك، روى عن سعد وأبي موسى وعائشة وجماعة، وعنه أبو إسحاق ومجالد وغيرهما، من خيار التابعين وعلمائهم، قال أدركت خمسمئة من أصحاب النبي ﷺ، توفي عام ١٠٤هـ.
انظر: طبقات ابن سعد (٦/ ٢٤٦)، تذكرة الحفاظ (١/ ٧٤).

(٤) عزاه ابن كثير (٢/ ١٩٦) لابن مردويه وقال: «هو غريب ولايصح رفعه».
وخرجه الهيثمي في المجمع (٧/ ٢٢) بزيادة في آخره، وقال: رواه الطبراني في الصغير وإسناده جيد. ا.هـ.
وانظر: الدر المنثور (٣/ ٤٠٢).

(٥) في ابن كثير «أي فرقاً» بدل كان كذلك.

كأهل البدع والنحل والضلالة، فإن الله قد برأ رسوله مما هم فيه، وهذا كقوله: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[1] الآية»[2].

فكل متمسك بشرع بعد الرسول فجهالات وضلالات وآراء وأهواء، فالرسول بريء منه»[3].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾﴾ [الأنعام: ١٦٢-١٦٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

هذا حكم الله الشرعي[4] الذي حكم به على خلقه بأن يصرفوا أعمالهم له وحده دون كل من سواه، ولهذا قال: ﴿وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ﴾ وقال في سورة يوسف ﴿أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾[5] فالعبد وأعماله الظاهرة والباطنة كلها ملك لله لا يصلح أن يصرف منها شيء لغير الله، فإن صرف

---

(١) الشورى: ١٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ١٩٦).

(٣) العقد الثمين، ص ٢٤١-٢٤٢.

(٤) حكم الله نوعان:

الأول: الحكم الشرعي، وهو ما حكم به وقضاه في شرعه وعلى ألسنة رسله من الأمر والنهي والتحليل والتحريم ونحو ذلك، ومنه قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٠].

الثاني: الحكم القدري، وهو ما قضاه وقدره تعالى في كونه، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِۦ ۚ وَهُوَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ﴾ [الرعد: ٤٠].

وانظر: الفتاوى (٨/ ٣٢٥)، شفاء العليل (٥٨١).

(٥) يوسف: ٤٠.

منها شيء لغير الله فقد وضعه في غير موضعه، وذلك هو الظلم العظيم كما قال: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١].

وأنفع ما للعبد في معاشه ومعاده أن يوجه وجهه وقلبه إلى الله، ويجمع همته عليه في جميع مطالبه الدنيوية والأخروية، كما قال العارف بالله الذي استنار قلبه بآيات الله وحججه وبيانه[٢]:

وإذا تولاه امرؤ دون الورى   طراً تولاه العظيمُ الشانِ[٢]

فالعبد مضطر إلى الله الذي محياه ومماته له، فهو قبلة قلبه ووجهه[٤].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) هو ابن القيم -رحمه الله- في الكافية الشافية.

(٣) الكافية الشافية مع شرح هراس (٢/ ٣١٤)، وفيه: فإذا تولاه.

(٤) مجموعة الرسائل، الجزء الرابع، ص ٣٨٧.



قال تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ وَأَقِيمُواْ وُجُوهَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَٱدۡعُوهُ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَۚ كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ [الأعراف: ٢٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ قُلۡ أَمَرَ رَبِّي بِٱلۡقِسۡطِۖ ﴾ أي بالعدل، وهو الوسط من كل أمر، المتجافي عن طريق الغالي والجافي، السالم من وصمة التفريط والإفراط والبعيد عن أثلمة[1] الإفساد والانحطاط.

أمر رب العالمين عباده أجمعين بالاستقامة في العبادات، ومتابعة المرسلين المؤيدين بالمعجزات، فيما جاؤوا به من الشرائع الجامعة، وما أخبروا به من المغيبات الواقعة، وبإخلاص الدين كله لله فلا يشركوا معه في عبادته أحداً سواه، فإنه تعالى لا يقبل العمل حتى يكون للصواب مطابقاً، ولمنهاج الشريعة موافقاً.

﴿كَمَا بَدَأَكُمۡ تَعُودُونَ ﴾ يحييكم بعد موتكم.

وقيل: يحشركم حفاة عراة غرلاً[2]، والحديث يشهد لهذا[3].

وقيل: من ابتدأ خلقه على الهدى صار على الهدى، ومن ابتدأ الله

---

(١) ثلم الإناء والسيف إذا كسر حرفه، والثلمة: الموضع الذي انثلم.
انظر: اللسان مادة: (ثلم). (١٢/ ٧٨).

(٢) الغرل: جمع أغرل وهو الأقلف، والغرلة: القلفة والأقلف هو غير المختون.
انظر: النهاية مادة: (غرل) (٣/ ٦٣٢).

(٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: «أيها الناس: إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأۡنَآ أَوَّلَ خَلۡقٖ نُّعِيدُهُۥۚ وَعۡدًا عَلَيۡنَآۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ ... الحديث» رواه البخاري، كتاب التفسير، باب ﴿وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ﴾ (٥/ ١٩١)، ومسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها، باب فناء الدنيا وبيان الحشر (١٧/ ٣١٨).

خلقه على الشقاوة صار إليها[١]. والأحاديث الصحيحة دالة على ذلك، ففي البخاري: «فوالله الذي لا إله غيره، إن أحدكم يعمل بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا باع أو ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها»[٢]، «وإنما الأعمال بالخواتيم»[٣].

«ويجمع بين هذا وبين قوله: «خلقت عبادي حنفاء، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم»[٤].

وقوله تعالى: ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾[٥].

بأنه جل جلاله خلقهم ليكون منهم مؤمن ومنهم كافر في ثاني الحال، وإن كان قد فطر الخلق كلهم على معرفته وتوحيده، والعلم بأنه لا إله غيره، كما أخذ عليهم بذلك الميثاق، ومع هذا قدر أن منهم شقياً، ومنهم سعيداً. ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ﴾[٦].

وفي الحديث: «كل الناس يغدو فبائعٌ نفسه، فمعتقها أو موبقها»[٧]، وقدر

(١) راجع الأقوال في تفسير الطبري (١٢/ ٣٨٢) وما بعدها، تفسير البغوي (٣/ ٢٢٣-٢٢٤)، زاد المسير (٣/ ١٨٦-١٨٧)، البحر المحيط (٤/ ٢٩٠)، ابن كثير (٢/ ٢٠٨-٢٠٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب القدر، باب (١) (٧/ ٢١٠)، ومسلم، كتاب القدر، باب كيفية خلق الآدمي في بطن أمه (١٦/ ١٤٥) كلاهما عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) رواه البخاري، كتاب القدر، باب العمل بالخواتيم عن ابن مسعود رضي الله عنه (٧/ ٢١٣).

(٤) رواه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب الصفات التي يعرف بها في الدنيا أهل الجنة وأهل النار (١٧/ ٣٢٠) عن عياض بن حمار رضي الله عنه.

(٥) الروم: ٣٠.

(٦) التغابن: ٢.

(٧) رواه مسلم، كتاب الطهارة، باب فضل الوضوء عن أبي مالك الأشعري (٣/ ٤٥٦).

الله نافذ في بريئتــه[1]. وهو الذي قدر فهدى من أراد، وأشــقى من طرد من العباد، بمحض الفضل والعدل ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[2]»[3][4].

قــال تعالــى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤].

سئل الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله:

عن قوله تعالى: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ قال سفيان: «فرق الله بين الخلق والأمر فمن جمع بينهما فقد كفر»[5] ما صفة الجمع؟

فأجاب: أما قول ســفيان في قوله: ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ﴾ فمراده بذلك الرد على مــن يقول: إن كلام اللــه مخلوق، يقول: إن الله ســبحانه وتعالى عطف الأمر علــى الخلق، وأمره هو كلامه، فمن قــال: إن كلام الله مخلوق فقد جعل أمره مخلوقاً فجمع بين الخلق والأمر. والله سبحانه قد فرق بينهما بعطف الأمر على الخلق، فالمعطوف غير المعطوف عليه.

---

(١) البريئة: الخليقة وهي البرية قال تعالى: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٧]، وسميت برية: لكونها مبرية من البرى أي التراب.
انظر: المفردات (١٢١)، لسان العرب (١/ ٣١) مادة (برى).

(٢) الأنبياء: ٢٣.

(٣) تفسير ابن كثير باختصار وتصرف (٢/ ٢٠٩).

(٤) العقد الثمين، ص ١٠٢-١٠٤.

(٥) ذكره البيهقي في الأسماء والصفات بمعناه، ص ٢٩٣.

والمراد بسفيان هو سفيان بن عيينة الإمام المعروف رحمه الله تعالى[١].

قال تعالى: ﴿ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِنَعۡبُدَ ٱللَّهَ وَحۡدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَاۖ فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾ [الأعراف: ٧٠].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

تبين بالآية: أنهم لم يستنكفوا من عبادة الله، لكنهم أبوا أن يخلصوا العبادة لله وحده، فلم ينفوا ما نفته لا إله إلا الله، فاستوجبوا ما وقع بهم من العذاب، لعدم قبولهم ما دعاهم إليه، من إخلاص العبادة، كما قال تعالى: **﴿ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴾**[٢].

وهذا هو معنى كلمة الإخلاص الذي اجتمعت عليه الرسل.

فقوله: **﴿ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ ﴾** هو معنى: «لا إله» وقوله: **﴿ إِلَّا ٱللَّهَ ﴾** هو: المستثنى في كلمة الإخلاص[٣].

قال تعالى: ﴿ أَفَأَمِنُواْ مَكۡرَ ٱللَّهِۚ فَلَا يَأۡمَنُ مَكۡرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ﴾ [الأعراف: ٩٩].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

معنى الآية المترجم لها أن الله تبارك وتعالى لما ذكر حال أهل القرى المكذبين للرسل بيّن أن الذي حملهم على ذلك هو الأمن من عذاب الله

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ٨١).

(٢) الأحقاف: ٢١.

(٣) الدرر السنية (٢/ ٢٤٨).

وعدم الخــوف منه كمـا قــال: ﴿أَفَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَٰتًا وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴿٩٧﴾ أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٩٨﴾﴾[(١)].

ثم بيَّن أن ذلك بسـبب الجهل والغرة بالله، فأمنوا مكره فيما ابتلاهم به من السراء والضراء بأن يكون استدراجاً فقال: ﴿أَفَأَمِنُوا۟ مَكْرَ ٱللَّهِ ۚ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ﴾ أي: الهالكون، فدل على وجوب الخوف من مكر الله.

قال الحسن: «من وسع عليه فلم ير أنه يمكر به فلا رأي له، ومن قتر عليه فلم ير أنه ينظر له فلا رأي له».

وقال قتادة: «بغت القوم أمر الله وما أخذ الله قوماً قط إلا عند سـلوتهم وغرتهم ونعمتهم، فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر به إلا القوم الفاسقون» رواهما ابن أبي حاتم[(٢)].

وفي الحديث: «إذا رأيت الله يعطي العبد من الدنيا على معاصيه ما يحب فإنما هو استدراج» رواه أحمد وابن جرير وابن أبي حاتم[(٣)].

وقـال إسماعيل بن رافـع[(٤)]: «من الأمـن من مكـر الله إقامـة العبـد على الذنب، يتمنى على الله المغفرة». رواه ابن أبي حاتم[(٥)(٦)].

---

(١) الأعراف: ٩٧-٩٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير (٢/ ١٣٢).

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٤٥) برقم (١٧٣٤٩)، وفي الزهد (١٨)، وابن جرير (١١/ ٣٦١)، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً لابن أبي حاتم وابن المنذر والطبراني في الكبير وأبي الشيخ وابن مردويه والبيهقي في الشعب (الدر ٣/ ٢٧٠) كلهم عن عقبة بن عامر، وحسنه العراقي في تخريج الإحياء (٤/ ١٢٤)، وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١/ ١٥٦) رقم (٤١٤).

(٤) إسماعيل بن رافع بن عويمر المدني الأنصاري، نزيل البصرة روى عن ابن أبي مليكة وابن المنكدر وغيرهما، وعنه وكيع والوليد بن مسلم وغيرهما، مات في حدود الخمسين ومئة. انظر: تهذيب التهذيب (١/ ٢٩٤)، والتقريب (١٠٧)، رقم (٤٤٢).

(٥) انظر: الدر المنثور (٣/ ٥٠٧).

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٤٨.

قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُواْ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [الأعراف: ١٣١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

المعنى أن آل فرعون إذا أصابتهم الحسنة أي: الخصب والسعة والعافية على ما فسره مجاهد[١] وغيره[٢] ﴿قَالُواْ لَنَا هَٰذِهِۦ﴾ أي: نحن الجديرون الحقيقون به، ونحن أهله ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾ أي: بلاء وضيق وقحط ﴿يَطَّيَّرُواْ[٣] بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ فيقولون: هذا بسبب موسى وأصحابه أصابنا بشؤمه كما يقوله المتطير لمن يتطير به، فأخبر سبحانه أن طائرهم عنده، فقال: ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ قال ابن عباس: «طائرهم ما قضي عليهم وقدر لهم»[٤].

---

(١) رواه ابن جرير (١٣/ ٤٧) وغيره.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٥١٩).

(٢) انظر: زاد المسير (٣/ ٢٤٧)، البحر المحيط (٤/ ٣٦٩).

(٣) التطير مصدر: تطير يتطير تطيراً وطيرة وهو التشاؤم، وقد كانوا في الجاهلية يؤثر على حياتهم وتصرفاتهم، فإذا رأوا طائراً جاء من جهة اليمين استبشروا، وإن كان من جهة اليسار تشاءموا به، والطيرة شرك، وذلك لأنهم كانوا يعتقدون أن التطير يجلب لهم نفعاً أو يدفع عنهم ضراً.
انظر: المفردات (٥٢٨)، التمهيد (٩/ ٢٨٢-٢٨٣)، تيسير العزيز الحميد (٣٦٨).
فائدة: قال الشيخ سليمان في التيسير (٣٦٩) عن الطيرة:
واعلم أن من كان معتنياً بها قابلاً لها كانت إليه أسرع من السيل إلى منحدره، وتفتحت له أبواب الوساوس فيما يسمعه ويراه ويعطاه ويفتح له الشيطان فيها من المناسبات البعيدة والقريبة في اللفظ والمعنى ما يفسد عليه دينه، وينكد عليه عيشته، فالواجب على العبد التوكل على الله ومتابعة رسول الله ﷺ، وأن يمضي لشأنه لا يرده شيء من الطيرة عن حاجته فيدخل في الشرك. ا.هـ.

(٤) روى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس بلفظ: مصائبهم عند الله. قال الله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (١٣/ ٤٨).

وفي رواية ذكرها ابن جرير عنه قال: «الأمر من قِبَل الله»[١].

وفي رواية: «شــؤمهم عند الله، ومِن قِبَلِه»[٢] أي إنما جاءهم الشؤم من قبله بكفرهم وتكذيبهم بآياته ورسله.

وقيل المعنى: أن الشؤم العظيم هو الذي لهم عند الله من عذاب النار لا هذا الذي أصابهم في الدنيا[٣].

والظاهــر أن هذه الآية كقوله تعالــى: ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ حَسَنَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنْ عِندِكَ ۚ قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾[٤] أي أن الكل من الله لكن هذا الشــؤم الذي أجراه عليهم من عنده هو بسبب أعمالهم، لا بسبب موســى ومن معه، وكيف يكون ذلك وما جاء به خير محض، والطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير.

وقوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن أكثرهم جهال لا يدرون، ولو فهموا أو عقلوا لعلموا أنه ليس فيما جاء به موسى عليه السلام شيء يقتضي الطيرة.

وقال ابن جرير رحمه الله: «يقول تعالى ذكــره: ألا إنما طائر آل فرعون وغيرهم، وذلك أنصباؤهم من الرخاء والخصب وغير ذلك من أنصباء الخير والشــر عند الله، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ذلك كذلك، فلجهلهم بذلك كانوا يتطيرون بموسى ومن معه»[٥][٦].

---

(١) رواه ابن جرير من طريق ابن جريج (٣/ ٤٨)، وعزاه السيوطي (٣/ ٥١٩) أيضاً لابن المنذر.

(٢) لم أجده بهذا اللفظ عن ابن عباس، والله أعلم.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٣٦٨).

(٤) النساء: ٧٨.

(٥) جامع البيان (١٣/ ٤٨).

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٦٩، ٣٧٠.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِى يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ﴾ أي صدقوه وأقروا بنبوته، ﴿وَعَزَّرُوهُ﴾ أي عظموه بتقويته[١]، ﴿وَنَصَرُوهُ﴾ ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ﴾ يعني القرآن.

وقوله: ﴿مَعَهُۥٓ ۙ﴾ راجع ومتعلق بقوله: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟﴾ أي اتبعوا النور المنزل، مع اتباع النبي المرسل فيكون فيه إشارة إلى اتباع الكتاب والسنة[٢] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ الفائزون بالرحمة الأبدية في الجنة[٣].

وقال الشيخ عبدالعزيز بن حمد بن معمر رحمه الله:

في قوله تعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾: الطيب والخبيث وصف قائم بالأعيان، ليس المراد به مجرد التذاذ الأكل وعدمه، أو التذاذ طائفة من الأمم لا من العرب ولا غيرهم على القول

---

(١) قال في المفردات (عزر) (٥٦٤): التعزير: النصرة مع التعظيم قال تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح: ٩]. والتعزير: ضرب دون الحد، وذلك يرجع إلى الأول، فإن ذلك تأديب والتأديب: نصرة ما، لكن الأول نصره بقمع ما يضره عنه، والثاني: نصره بقمعه عما يضره. ا.هـ. ملخصاً وانظر: معجم مقاييس اللغة (٤/ ٣١٠) مادة: (عزر).

(٢) انظر: الكشاف (٢/ ٩٧)، أنوار التنزيل (١/ ٣٦٣)، البحر المحيط (٤/ ٤٠٣).

(٣) العقد الثمين، ص ٢٣٥.

الصحيح[١]، فالخبث القائم بالعين هو علة التحريم، فحرم الله تعالى أكل الخبائث صيانة لعباده من ملابسة الخبيث والاغتذاء به.

قال أهل العلم: لأن الغذاء يصير جزءاً من جوهر المغتذي، ولابد وأن يحصل للمغتذي أخلاق وصفات من جنس ما كان حاصلاً في الغذاء، كما حرم الله تعالى الدم المسفوح؛ لأنه مجمع قوى النفس الشهوانية الغضبية، فيكتسب به المغتذي كيفية توجب طغيان هذه القوى وهو مجرى الشيطان من البدن، كما قال النبي ﷺ: «إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»[٢]، وكما حرم النبي ﷺ: «كل ذي ناب من السباع، ومخلب من الطير»[٣]، لأنها عادية باغية فإذا أكلها الناس صار في أخلاقهم شوْب من أخلاق هذه البهائم، وهو البغي والعدوان، وهكذا سائر المحرمات[٤]، ومن ذلك الخنزير فإنه مطبوع على أخلاق ذميمة وصفات قبيحة، فحرم أكله على الإنسان صيانة وحمية له عن أن يتكيف بتلك

---

(١) اختلف العلماء رحمهم الله في بيان الطيب والخبيث على أقوال:
الأول: ما ذهب إليه الإمام مالك من أن الطيبات هي المحللات، فكأنه وصفها بالطيب، والخبائث هي المحرمات.
الثاني: وذهب الإمام الشافعي إلى أن الطيبات هي المستطابة في الطعم فهي حلال إلا ما خرج بدليل منفصل.
الثالث: الطيبات هي ما تستطيبه العرب حال رفاهيتها، والخبيث ما استقذرته.
الرابع: الطيبات هي المطاعم النافعة للعقول والأخلاق، والخبائث هي الضارة للعقول والأخلاق.
انظر في المسألة: زاد المسير (٣/ ٢٧٣)، القرطبي (٧/ ٣٠٠)، البحر المحيط (٤/ ٤٠٢-٤٠٣)، الفتاوى (١٧/ ١٧٩-١٩/ ٢٤).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتكاف، باب زيارة المرأة زوجها في اعتكافه (٢/ ٢٥٨)، ومسلم، كتاب السلام، باب بيان أنه يستحب لمن رؤي خالياً بامرأة أن يقول: هذه فلانة ليدفع ظن السوء (١٤/ ٣٣١)، عن صفية رضي الله عنها.

(٣) رواه مسلم، كتاب الصيد والذبائح، باب تحريم أكل كل ذي ناب من السباع ومخلب من الطير (١٣/ ٧٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) انظر: الفتاوى (١٧/ ١٧٩-١٨٠، ١٩/ ٢٤).

الكيفية[١]، واستحلال النصارى لها من إحداثهم في دين المسيح وتبديلهم له[٢]، وقد قال الإمام الحافظ عبدالرحمن بن أبي حاتم: حدثنا علي بن الحسن[٣] حدثنا نعيم بن حماد[٤] ثنا ابن الفضيل[٥] عن الوليد بن جُمَيع[٦] عن أبي الطفيل[٧] قال: «نزل آدم بتحريم أربعة: الميتة، والدم، ولحم الخنزير، وما أهل لغير الله به، وأن هذه الأربعة الأشياء لم تحل قط، ولم تزل حراماً منذ خلق الله السموات والأرض، فلما كانت بنو إسرائيل حرم الله عليهم طيبات أحلت لهم بذنوبهم،

(١) انظر: الفتاوى (١٩/ ٢٥).

(٢) انظر ما ذكره في ذلك ابن القيم -رحمه الله- في هداية الحيارى (٢٧٤).

(٣) علي بن الحسن الهسنجاني، روى عن يحيى بن عبدالله بن بكير وزكريا بن أبي مريم، قال ابن أبي حاتم: كتبنا عنه وهو ثقة. ا.هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٦/ ١٨١).
تنبيه: وقع في الأصل: حدثنا علي بن الحسين حدثنا نعيم وهو خطأ، ووقع في تفسير ابن كثير: علي بن الحسن السنجاني، والصواب المثبت أعلاه، والله أعلم.

(٤) نعيم بن حماد بن معاوية بن الحارث الخزاعي، روى عن ابن عيينة وابن المبارك وغيرهما، وعنه الستة إلا النسائي وأخرج له البخاري مقروناً، كان كاتباً لأبي عصمة، حمل إلى العراق في محنة خلق القرآن فأبى أن يجيب فسجن فمات في السجن عام ٢٢٨هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (١٠/ ٥٩٥)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٥٨).

(٥) محمد بن فضيل بن غزوان الضبي مولاهم، أبو عبدالرحمن، روى عن أبيه وهشام بن عروة وغيرهما، وعنه: أحمد والعطاردي وغيرهما، ثقة رمي بالتشيع توفي عام ١٩٤هـ.
انظر: الجرح والتعديل (٨/ ٥٧)، تهذيب التهذيب (٩/ ٤٠٥).

(٦) الوليد بن عبدالله بن جميع الزهري المكي الكوفي، روى عن أبي الطفيل وعكرمة ومجاهد وغيرهم عنه: وكيع وابن فضيل وغيرهما، قال الحافظ: صدوق يهم. ا.هـ. وقال الذهبي: وثقوه. ا.هـ. وقد وثقه ابن معين والعجلي أخرج له مسلم.
انظر: تهذيب التهذيب (١١/ ١٣٨)، التقريب (٧٤٢٢)، الكاشف (٣/ ٢١٠).

(٧) عامر بن واثلة بن عبدالله بن عمرو بن جحش الكناني الليثي، أبو الطفيل روى عن النبي ﷺ وعمر وعلي وغيرهم، وعنه: الزهري والوليد بن جميع، ولد عام أحد وأدرك من حياة النبي ﷺ ثماني سنين، كان يسكن الكوفة ثم انتقل إلى مكة كان من أصحاب علي المحبين له وشهد معه جميع مشاهده، توفي سنة مئة، وقيل: مئة وعشر وهو آخر من مات ممن رأى النبي ﷺ.
انظر: أسد الغابة (٣/ ٤١)، تهذيب التهذيب (٥/ ٨٣).

فلما بعث عيســى بن مريم جاء بالأمر الذي نزل به آدم عليه السلام، وأحل لهم ما سوى ذلك فكذبوه وعصوه» قال الحافظ ابن كثير: وهذا أثر غريب[(١)(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ﴾ [الأعراف: ١٧٥].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

هذه الآية نزلت في رجل عالم عابد في زمان بني إســرائيل يقال له بلعام وكان يعلم الاسم الأعظم[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٨).

(٢) منحة القريب المجيب، ص ٣٠٨، ٣٠٩.

(٣) اختلف العلماء في المقصود بالآية فذهب جمع من المفسرين إلى أنه: بلعام بن باعوراء، واختلف هؤلاء: فقال بعضهم: هو رجل من بني إسرائيل، وقال آخرون: كان من اليمن، وقال آخرون: بل كان من الكنعانيين.
وذهب جمع منهم إلى أن المقصود بالآية: أمية بن أبي الصلت، وقد روي عن ابن عمرو من أوجه صحيحة.
وقيل المقصود هو: أبو عامر الفاسق.
واختلفوا في الآيات التي أعطاه الله فقيل: الاسم الأعظم، وقيل: كتاب من كتب الله، وقيل: النبوة، وقيل: العلم ودلائل التوحيد.
قال ابن جرير: «والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله تعالى ذكره أمر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يتلو على قومه خبر رجل كان آتاه حججه وأدلته وهي «الآيات»، والآيات: الأدلة والأعلام، وجائز أن يكون الذي كان الله آتاه ذلك «بلعم» وجائز أن يكون «أمية» وكذلك الآيات إن كانت بمعنى الحجة التي هي بعض كتب الله التي أنزلها على بعض أنبيائه فتعلمها الذي ذكره الله في هذه الآية وعناه بها فجائز أن يكون الذي كان أوتيها «بلعم» وجائز أن يكون «أمية» لأن أمية كان فيما قيل قد قرأ من كتب أهل الكتاب وإن كانت بمعنى كتاب أنزله الله على مَنْ أمر نبيَّ الله عليه السلام أن يتلو على قومه نبأه، أو بمعنى الاسم الأعظم، أو بمعنى النبوة فغير جائز أن يكون معنياً به «أمية» لأن «أمية» لا تختلف الأمة في أنه لم يكن أوتي شيئاً من ذلك، ولا خبر بأي ذلك المراد، وأي الرجلين المعني يوجب الحجة، ولا في العقل دلالة على أي ذلك المعني به من =

قال ابن أبـي طلحة عن ابـن عباس: «لمـا نزل بهم موسـى عليه السلام يعني بالجبارين أتاه بنو عمه وقومه فقالوا: إن موسى رجل حديد ومعه جنود كثيرة وإنـه إن يظهر علينا يهلكنا فادع الله أن يرد موسـى ومن معـه، قال: إني إن دعوت الله ذهبت دنياي وآخرتي فلم يزالوا به حتى دعا عليهم فسـلخه الله مما كان عليه فذلك قوله تعالـى: ﴿فَٱنسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلْغَاوِينَ﴾»[1].

وقال ابن زيد: «كان هواه مع القوم»[2] يعني الذين حاربوا موسـى وقومه، فذكر تعالى أمر هذا المنسـلخ من آيات الله بعد أن أعطاه اللـه إياها وعرفها وصار من أهلها ثم انسـلخ منها أي ترك العمل بها، وذكر في انسلاخه منها ما معناه: أنه مظاهرة المشـركين ومعاونتهم برأيه والدعاء على موسـى عليه السلام ومن معه أن يردهم الله عن قومه خوفاً على قومه وشـفقة عليهـم مع كونه يعرف الحق ويقطع به ويتكلم به ويشهد به ويتعبد به ولكن صده عن العمل به متابعة قومه وعشيرته وهواه وإخلاده إلى الأرض فكان هذا انسلاخاً من آيات الله[3].

= أي. فالصواب أن يقال فيه ما قال الله، ونقر بظاهر التنزيل على ما جاء به الوحي من الله. ا.هـ. تفسير الطبري (١٣/ ٢٥٩-٢٦٠) باختصار يسير جداً.

والظاهر -والله أعلم- أن القول بأنه أوتي النبوة أو أوتي كتاباً أنزل عليه لا يصح لما في ذلك من القدح في عصمة الأنبياء.

قال ابن كثير رحمه الله: وأغرب بل أبعد بل أخطأ من قال: كان قد أوتي النبوة فانسلخ منها، حكاه ابن جرير عن بعضهم ولا يصح. ا.هـ. ابن كثير (٢/ ٢٦٥).

وانظر: زاد المسير (٣/ ٢٨٧-٢٨٨)، أسباب النزول للواحدي (٢٣٠)، فتح القدير (٢/ ٢٦٥).

(١) رواه ابن جرير (١٣/ ٢٦٠).
وانظر: ابن كثير (٢/ ٢٦٤-٢٦٥)، الدر المنثور (٣/ ٦٠٨-٦٠٩).
وقد وقع في الأصل: أتوه بنو عمه. والمثبت من التفسير.

(٢) رواه ابن جرير (١٣/ ٢٧١).

(٣) الدرر السنية (٧/ ٦٢).

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾ [الأعراف: ١٨٩-١٩٠].

سئل الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله عن قوله:

﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ﴾ قال قتادة: «شركاء في طاعته ولم تكن في عبادته»[(١)]، وفي تفسير معنى آيات العبادة يفسرونها بالطاعة وهنا فرق بينهما؟

فأجاب: اعلم أن الكلام يختلف باختلاف الأحوال والمقامات والاجتماع والافتراق، والإجمال والتفصيل فتفسير قتادة في هذه الآية أن المراد بهما على كثير من كلام المفسرين آدم وحواء فناسب تفسيرها بالطاعة؛ لأنها طاعة للشيطان في تسمية الولد بعبد الحارث[(٢)]، وهو معصية من المعاصي، والصحيح من أقوال العلماء أن المعاصي الصغار تقع من الأنبياء لكنهم يتوبون منها ولا يصرون عليها[(٣)].

---

(١) رواه ابن جرير (١٣/ ٣١٢)، وعزاه السيوطي (٣/ ٦٢٦) أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٢) انظر: الطبري (١٣/ ٣٠٤) وما بعدها، البغوي (٣/ ٣١١-٣١٤)، ابن كثير (٢/ ٢٧٤-٢٧٥)، الدر المنثور (٣/ ٦٢٣-٦٢٤).

(٣) انظر: الفتاوى (٤/ ٣١٩).

وقد تنازع العلماء في حدود عصمة الأنبياء هل هي من الكبائر أو من الكبائر والصغائر أو غير ذلك؟ انظر: الفتاوى (١٠/ ٢٩٠)، الشفا بتعريف حقوق المصطفى للقاضي عياض (٢/ ٨٠٩).

وأما تفسيرهم الآيات التي فيها العبادة بالطاعة فمعلوم أن العبادة إذا أطلقت دخلت فيها الطاعة وترك المعصية، ولأن العبادة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من القول والعمل وترك المعاصي من الكبائر والصغائر[١]، لكن المعاصي تنقسم إلى كفر وشرك وإلى كبائر دون الكفر والشرك، وإلى صغائر دون الكبائر، فإذا أطلقت العبادة دخل فيها جميع طاعة الله ورسوله، وإذا فرق بينهما فسرت العبادة بإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له، وترك عبادة ما سواه، وفسرت الطاعة بجميع الدين كله والله أعلم[٢].

وقال أيضاً في هذه الآية:

قال الإمام أحمد رحمه الله في معنى هذه الآية: حدثنا عبدالصمد[٣] حدثنا عمر بن إبراهيم[٤] حدثنا قتادة عن الحسن عن سمرة عن النبي ﷺ، قال: «لما ولدت حواء طاف بها إبليس، وكان لا يعيش لها ولد، فقال: سميه عبدالحارث فإنه يعيش، فسمته عبدالحارث فعاش، فكان ذلك من وحي الشيطان وأمره». رواه أحمد، والترمذي وحسنه، وابن جرير، والحاكم

---

(١) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٣٨).

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٩٢).

(٣) عبدالصمد بن عبدالوارث بن سعيد بن ذكوان التميمي، أبو سهل الحافظ البصري روى عن هشام الدستوائي وشعبة وغيرهما، وعنه ابنه عبدالوارث وأحمد وإسحاق، وثقه جماعة، وقال الحافظ: صدوق، توفي عام ٢٠٧هـ.
انظر: الكاشف (٢/ ١٧٣)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٢٧)، تقريب التهذيب (٣٥٦) رقم (٤٠٨٠).

(٤) عمر بن إبراهيم العبدي، أبو حفص البصري، روى عن قتادة ومطر الوراق، وعنه ابنه الخليل وعبدالصمد بن عبدالوارث، وثقه ابن معين، وقال أبو حاتم: لا يحتج به، قال الحافظ: صدوق، في حديثه عن قتادة ضعف.
انظر: الكاشف (٢/ ٢٦٤)، تهذيب التهذيب (٧/ ٤٢٥)، تقريب التهذيب (٤١٠) رقم (٤٨٦٣).

وصححه[١]، ولهذا ذكر الضمير في آخرها بصيغة الجمع استطراداً من ذكر الشخص إلى الجنس.

ومعنى الآية أنه تعالى يخبر عن مبدأ الجنس الإنساني، وما فيه لله من عجائب القدرة، فأوجد هذا الجنس على كثرته واختلاف أنواعه من نفس واحدة، وهو آدم عليه السلام.

﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا﴾ أي: وطئها ﴿حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا﴾ وذلك الحمل لا تجد المرأة له ألماً، إنما هي النطفة[٢]، ثم العلقة[٣]، ثم المضغة[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٥/ ١١) رقم (٢٠١٢٩)، والترمذي (٨/ ٢٣٥) وقال: حسن غريب لا نعرفه إلا من حديث عمر بن إبراهيم عن قتادة، ورواه بعضهم عن عبدالصمد ولم يرفعه، وابن جرير (١٣/ ٣٠٩)، وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٢/ ٥٤٥)، ورواه ابن أبي حاتم وابن مردويه.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٦٢٣) وقد أعله الحافظ ابن كثير من عدة أوجه (٢/ ٢٧٤-٢٧٥):
الأول: حال عمر بن إبراهيم، فقد قال أبو حاتم: لا يحتج به.
الثاني: أنه روي من قول سمرة نفسه وليس مرفوعاً.
الثالث: أن الحسن فسر الآية بغير هذا، ولو كان ثبت عنده مرفوعاً لما عدل عنه إلى غيره. ا.هـ. ملخصاً، وزاد بعضهم علة رابعة وهي سماع الحسن من سمرة ومال إلى تضعيفه الشيخ أحمد شاكر (١٣/ ٣٠٩-٣١٠).
وانظر: الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، محمد أبو شهبة (٢٠٩-٢١٤)، النهج السديد في تخريج أحاديث تيسير العزيز الحميد (٢٣٦).

(٢) النطفة: الماء الصافي، ويعبر بها عن ماء الرجل كما هو المقصود في السياق والجمع: نِطَاف ونُطف.
انظر: المفردات (٨١١)، مادة: (نطف).

(٣) العلقة: الدم وقيل: الدم الجامد، والعلقة هي المرحلة الثانية في خلق الإنسان، فبعد أن كان نطفة في الرحم تحول إلى الدم ثم يتحول إلى المرحلة الثالثة وهي اللحم وهي المضغة كما سيأتي.
انظر: المفردات (٥٧٩)، لسان العرب (١٠/ ٢٦٧) مادة: (علق).

(٤) المضغة: القطعة من اللحم قدر ما يمضغ، وجعل اسماً للحالة التي ينتهي إليها الجنين بعد العلقة لذلك.
انظر: المفردات (٧٧٠)، لسان العرب (٨/ ٤٥٠)، مادة: (مضغ).

وقوله: ﴿فَمَرَّتْ بِهِۦ﴾ قال مجاهد: «استمرت عليه»[(١)]، وقال ميمون بن مهران: «استخفته»[(٢)]، وقال ابن جرير: «استمرت بالماء وقامت به وقعدت»[(٣)]، ﴿فَلَمَّآ أَثْقَلَت﴾ أي: صارت ذات ثقل بحملها. قال السدي: «كبر في بطنها»[(٤)]، ﴿دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا﴾ أي: أن آدم وحواء عليهما السلام، دعوا الله ﴿لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا﴾ بشراً سوياً. قال ابن عباس: «أشفقا أن يكون بهمية»[(٥)]، ﴿لَّنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ أي: لنشكرنك على ذلك[(٦)]. انتهى ملخصاً من ابن كثير وفيه زيادة.

وقوله: ﴿فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ﴾ أي: لله شركاء فيما آتاهما أي: لم يقوما بشكر ذلك على الوجه المرضي كما وعدا بذلك، بل جعلا لي فيه شركاء فيما أعطيتهما من الولد الصالح، والبشر السوي؛ بأن سمياه عبدالحارث، فإن من تمام الشكر أن لا يعبد الاسم إلا لله»[(٧)]، وإذا تأملت

---

(١) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٠٥)، وعزاه السيوطي (٣/ ٦٢٥) لعبد بن حميد وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.
(٢) رواه ابن أبي حاتم.
انظر: الدر المنثور (٣/ ٦٢٥).
(٣) الطبري (١٣/ ٣٠٤).
(٤) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٠٥)، وعزاه السيوطي (٣/ ٦٢٦) لأبي الشيخ.
(٥) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٠٦).
(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٢٧٥).
(٧) وقد أجمع العلماء على أنه لا يجوز التعبد لغير الله تعالى، قال ابن حزم في مراتب الإجماع (١٥٤):
«اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله عز وجل كعبدالعزى وعبد هبل وعبد عمرو وعبدالكعبة، وما أشبه ذلك حاشا عبدالمطلب. ا.هـ.
قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن: وذلك أن تسميته -عبدالمطلب- بهذا الاسم لا محذور فيه لأن أصله من عبودية الرق. ا.هـ. فتح المجيد (٣٩٤).
وقال الشيخ سليمان بن عبدالله: كلام ابن حزم ليس صريحاً في حكاية الإجماع على جواز ذلك -التسمي- بعبدالمطلب، فيحتمل أن مراده حكاية الخلاف فيه، ويكون التقدير: اتفقوا على تحريم كل اسم معبد لغير الله حاشا عبدالمطلب، أي: فإنهم لم يتفقوا على تحريمه، بل =

سياق الكلام من أوله إلى آخره مع ما فسره به السلف تبين قطعاً أن ذلك في آدم وحواء عليهما السلام، فإن فيه غير موضع يدل على ذلك[١]. والعجب ممن يكذب بهذه القصة، وينسى ما جرى أول مرة[٢]، ويكابر بالتفاسير المبتدعة، ويترك تفاسير السلف وأقوالهم[٣]. وليس المحذور في هذه القصة بأعظم من المحذور في المرة الأولى.

وقوله تعالى: ﴿عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ هذا والله أعلم عائد إلى المشركين من القدرية، فاستطرد من ذكر الشخص إلى الجنس وله نظائر في القرآن[٤].

قال تعالى: ﴿أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾ [الأعراف: ١٩١-١٩٢].

= اختلفوا، ويؤيده أنه قال بعده: واتفقوا على إباحة كل اسم بعد ما ذكرنا ... إلى آخره، ويكون المراد حاشا عبدالمطلب فلا أحفظ ما قالوا فيه.

وعلى تقدير أن مراده حكاية الإجماع على جواز ذلك فليس كل من حكى إجماعاً يسلم له. ا. هـ. مختصراً تيسير العزيز الحميد (٥٦٨-٥٦٩).

(١) وهو اختيار سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز حيث قال: الآية نص في الأبوين، ومحاولة صرفها عنهما ليس بظاهر. ا.هـ. في تعليقه على ابن كثير في (١٢/ ١١/ ١٤١٦هـ).

(٢) لعل الشيخ -رحمه الله- يشير إلى ما جرى من إخراج إبليس لآدم وحواء من الجنة حين وسوس لهما فأكلا من الشجرة.

(٣) ورد عن الحسن رحمه الله أن الآية ليست في الأبوين وهو ما رجحه ابن كثير وغيره من المفسرين، واختاره الشيخ ابن عثيمين ونقض أن تكون القصة في آدم وحواء من سبعة أوجه وقال: «الآية عائدة إلى بني آدم الذين أشركوا شركاً حقيقاً». ا.هـ. واختار -رحمه الله- أن المراد بالنفس في الآية الجنس كقوله تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٦٤] أي: من جنسهم.

انظر: تفسير الطبري (١٣/ ٣١٤-٣١٥)، تفسير الفخر الرازي (١٥/ ٧٠-٧١)، تفسير ابن كثير (٢/ ٢٧٥)، القول المفيد (٣/ ٥٧-٦٨).

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٥٦٤، ٥٦٦.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴾ توبيخ وتعنيف للمشركين بأنهم يعبدون مع الله تعالى عباداً لا تخلق شيئاً وليس فيها ما تستحق به العبادة من الخلق والرزق والنصر لأنفسهم أو لمن عبدهم وهم مع ذلك مخلوقون محدثون ولهم خالق خلقهم، وإن خرج الكلام مخرج الاستفهام، فالمراد به ما ذكرناه[١].

وقوله: ﴿ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴾ أي ويشركون به، ويعبدون من هذه حاله لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه بأن يدفع عن نفسه من أراد الضر، ومن هذه حاله فهو في غاية العجز، فكيف يكون إلهاً معبوداً، وجميع الأنبياء والملائكة والصالحين وغيرهم داخلون في هذه الأوصاف[٢]، فلا يقدر أحد منهم أن يخلق شيئاً ولا يستطيعون لمن عبدهم نصراً ولا ينصرون أنفسهم، وإذا كان كذلك بطلت دعوتهم من دون الله[٣].

---

(١) ذكر علماء البلاغة أن ألفاظ الاستفهام قد تستعمل في غيره بحسب ما يناسب المقام، ومنه هذا الموضع حيث جاء الاستفهام إنكارياً للتوبيخ.
انظر: الإيضاح للقزويني (٢٣٤-٢٣٦).

(٢) يظن بعض من ضعف علمه أن في مثل هذا التعميم تنقيصاً من حق الأنبياء والأولياء وليس الأمر كما ظنوا، لأن المسألة تتعلق بتجريد التوحيد وتخليصه من شوائب الشرك، وإفراد الله تعالى بالعبادة دون ما سواه.
قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: «الكلام إذا كان في سياق توحيد الرب سبحانه ونفي خصائصه عما سواه لم يجز أن يقال: هذا سوء عبارة في حق من دون الله تعالى من الأنبياء والملائكة. فإن المقام أجل من ذلك وكل ما سوى الله تعالى يتلاشى عند تجريد توحيده، ونبي الله ﷺ كان من أعظم الناس تقريراً لما يقال على هذا الوجه وإن كان نفس المسلوب... ثم ساق جمعاً من الأمثلة والشواهد على ذلك «مختصر الاستغاثة» الرد على البكري (٣٣٧).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢١٤.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قوله: ﴿ أَيُشْرِكُونَ ﴾ أي في العبادة[١]، قال المفسرون: في هذه الآية توبيخ وتعنيف للمشركين في عبادتهم مع الله تعالى ما لا يخلق شيئاً وهو مخلوق، والمخلوق لا يكون شريكاً للخالق في العبادة التي خلقهم لها[٢]؛ وبيَّن أنهم لا يستطيعون لهم نصراً ولا أنفسهم ينصرون، فكيف يشركون به من لا يستطيع نصر عابديه ولا نصر نفسه؟ وهذا برهان ظاهر على بطلان ما كانوا يعبدونه من دون الله، وهذا وصف كل مخلوق حتى الملائكة والأنبياء والصالحين. وأشرف الخلق محمد ﷺ كان يستنصر ربه على المشركين ويقول: «اللهم أنت عضدي ونصيري، بك أحول وبك أصول وبك أقاتل»[٣].

وهذا كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ۝٣﴾[٤]، وقوله: ﴿قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝١٨٨﴾[٥]، ﴿قُلْ إِنِّى لَآ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝٢١ قُلْ إِنِّى لَن يُجِيرَنِى مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ۝٢٢ إِلَّا بَلَٰغًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِسَٰلَٰتِهِۦ﴾[٦].

---

(١) لأن المشركين لم يدعوا لآلهتهم الشركة في الخلق والتدبير، بل هم مقرون بأنها مخلوقة مربوبة كما بين الله تعالى ذلك في القرآن كثيراً.

(٢) قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٣/ ١٨٤) رقم (١٢٩٣٢)، وأبو داود في سننه، كتاب الجهاد، باب ما يدعى عند اللقاء (٢/ ٤٨)، والترمذي، أبواب الدعوات، باب في الدعاء إذا غزا (٩/ ٢١٩) وقال: حسن غريب، وصححه الألباني. صحيح الترمذي (٣/ ١٨٣).

(٤) الفرقان: ٣.

(٥) الأعراف: ١٨٨.

(٦) الجن: ٢١-٢٣.

فكفى بهذه الآيات برهاناً على بطلان دعوة غيـــر الله كائناً من كان، فإن كان نبياً أو صالحاً فقد شـــرفه الله تعالى بإخلاص العبـــادة له، والرضا به رباً ومعبوداً، فكيف يجوز أن يجعل العابد معبوداً مع توجيه الخطاب إليه بالنهي عن هذا الشـــرك كما قال تعالى ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[1].

وقـــال: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[2]، فقد أمر عباده من الأنبياء والصالحين وغيرهم بإخلاص العبادة له وحده وهو دين الإســـلام، كما روى البخاري عن أبي هريرة في سؤال جبريل عليه السلام قال: يا رسول الله ما الإسلام؟ قال الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»[3] الحديث[4].

---

(١) القصص: ٨٨.

(٢) يوسف: ٤٠.

(٣) رواه البخاري، كتاب الإيمان، باب سؤال جبريل النبي ﷺ (١/ ١١٤) «فتح»، ومسلم، كتاب الإيمان (١/ ١٣٤).

(٤) فتح المجيد، ص ١٥٧، ١٥٨.



ص.ب: ٢٩٤٥ - الرياض ١١٤٦١ - المملكة العربية السعودية
هاتف: ٠١١/٤٠١١٩٩٩ - فاكس: ٠١١/٤٠١٣٥٩٧

P.O.Box: 2945 - Riyadh 11461 - K.S.A. - Tel: 011\4011999 Fax: 011\4013597
البريد الإلكتروني: info@darah.org.sa - موقع الإنترنت:www.darah.org.sa


/darahfoundation


/darahfoundation



/AddarahTube


@darahFoundation


darah.org.sa

تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الثاني

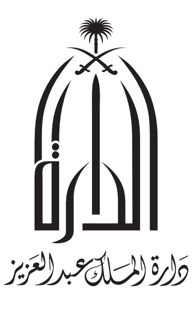
تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

أ.د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

الجزء الثاني

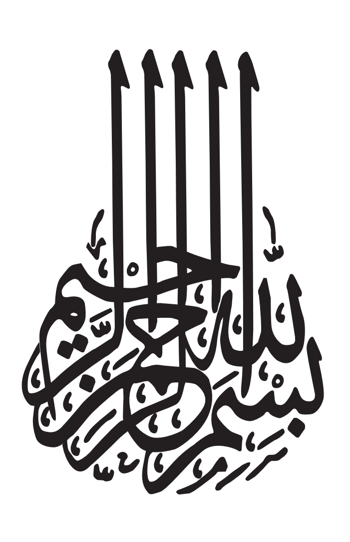


ⓒ دارة الملك عبدالعزيز، ١٤٣٨هـ/٢٠١٧م
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
السريع، محمد بن سريع
تفسير علماء الدعوة في نجد إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري جمع ودراسة. / محمد بن سريع السريع. ـ الرياض، ١٤٣٨هـ ٢مج
٤٢٠ ص؛ ١٧ × ٢٤ سم
ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة).
٨ - ٢١ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

١ - القرآن - التفسير الحديث ٢- نجد - تراجم أ. العنوان
ديوي ٢٢٧,٦ ١٤٣٨/١٩٨

رقم الإيداع: ١٤٣٧/١٩٨
ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)
٨ - ٢١ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

المؤلف: أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية- كلية أصول الدين



قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن عباس في الآية: «المنافقون لا يدخل قلوبهم شيء من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيء من آيات الله، ولا يتوكلون على الله، ولا يصلون إذا غابوا، ولا يؤدون زكاة أموالهم، فأخبر الله أنهم ليسوا بمؤمنين، ثم وصف المؤمنين فقال: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ فأدوا فرائضه». رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[1].

وهذه صفة المؤمن الذي إذا ذكر الله وجل قلبه أي: خاف من الله ففعل أوامره، وترك زواجره، فإن وجل القلب من الله يستلزم القيام بفعل المأمور، وترك المحظور كما قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾[2]، ولهذا قال السدي في قوله: ﴿إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾: «هو الرجل يريد أن يظلم أو قال: يهم بمعصية، فيقال له: اتق الله فيجل قلبه» رواه ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن أبي حاتم[3].

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ قد استدل الصحابة والتابعون ومن تبعهم بهذه الآية وأمثالها على زيادة الإيمان ونقصانه. قال

(١) من طريق علي بن أبي طلحة، الطبري (١٣/ ٣٨٦)، الدر المنثور (٤/ ١١).
(٢) النازعات: ٤٠-٤١.
(٣) رواه ابن جرير (١٣/ ٣٨٧).
وانظر: الدر المنثور (٤/ ١٢)، وعزاه أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر وأبي الشيخ والبيهقي في الشعب.

عُمَير[١] بن حبيب الصحابي: «إن الإيمان يزيـد وينقص فقيل له: وما زيادته وما نقصـانه؟ قال: إذا ذكرنا الله وخشـيناه فذلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنـا فذلك نقصانـه». رواه ابن سـعد[٢]. وقال مجاهد فـي هذه الآية: «الإيمان يزيد وينقص، وهو قول وعمل»، رواه ابن أبي حاتم[٣].

وحكى الإجماع على ذلك الشافعي وأحمد وأبو عبيد وغيرهم[٤].

وقولـه: ﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ أي: يعتمدون عليـه بقلوبهم مفوضين إليه أمورهم وحده لا شريك له، فلا يرجون سواه، ولا يقصدون إلا إياه، ولا يرغبون إلا إليه، يعلمون أن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأنه المتصرف في الملك وحده لا شريك له.

وفي الآية وصـف المؤمنين حقاً بثلاث مقامات من مقامات الإحسـان وهي الخوف، وزيادة الإيمان، والتوكل على الله وحده.

---

(١) في التيسير «عمر» والصواب المثبت أعلاه. وهو عمير بن حبيب بن حُبَاشة وقيل: خماشة بن جويبر بن عبيد الأنصاري الخطمي، جد أبي جعفر الخطمي، وقد روى أبو جعفر أن جده عمير بن حبيب كان ممن بايع تحت الشجرة.
انظر: الطبقات الكبرى (٤/ ٣٨١)، أسد الغابة (٣/ ٧٨٦).

(٢) الطبقات الكبرى (٤/ ٣٨١)، ورواه الصابوني في عقيدة السلف (٢٦٦).

(٣) الدر المنثور (٤/ ١٢) وعزاه أيضاً لأبي الشيخ.

(٤) اختلفت الأمة هل الإيمان يزيد وينقص أم لا؟
وسبب الخلاف هو الخلاف في مسمى الإيمان فمن قال: إنه المعرفة -كما قال بذلك الجهمية- أو قال: هو الإقرار باللسان والتصديق بالقلب -كما قالت المرجئة- ذهب إلى أنه لا يزيد ولا ينقص، والصحيح الذي عليه سلف الأمة من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من علماء الأمة أن الإيمان يزيد وينقص كما نطق القرآن بذلك، وهو اعتقاد وإقرار وعمل.
انظر: الإيمان لأبي عبيد (١٠) وما بعدها. السنة لعبدالله ابن الإمام أحمد (١/ ٣٠٧)، السنة للخلال (٣/ ٥٨١)، السنة لابن أبي عاصم (٤٤٧)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (٥/ ٨٩٠)، كتاب الإيمان لابن تيمية (١٩٥ و٢٦٤).

فإن قيل: إذا كان المؤمـن حقاً هو الذي فعل المأمـور وترك المحظور فلماذا لم يذكر إلا خمسة أشياء؟

قيل: لأن ما ذكر مستلزم لما ترك، فإنه ذكر وجـل قلوبهم إذا ذكر الله، وزيادة إيمانهم إذا تليت عليهم آياته، مع التوكل عليـه، وإقام الصلاة على الوجه المأمور به باطناً وظاهراً، والإنفاق من المال والمنافع فكان مستلزماً للباقي. فـإن وجل القلب عند ذكر الله يقتضي خشـيته والخوف منه؛ وذلك يدعو صاحبه إلى فعل المأمور، وترك المحظور.

وكذلك زيادة الإيمان عند تلاوة آيات الله يقتضي زيادته علماً وعملاً، ثم لابد من التوكل على الله فيما لا يقـدر عليه إلا الله ومن طاعة الله فيما يقدر عليه. وأصل ذلك الصلاة والزكاة فمن قام بهذه الخمس كما أمر لزم أن يأتي بسائر الواجبات، بل الصلاة نفسـها إذا فعلها كما أمر فهي تنهى عن الفحشاء والمنكر. ذكر ذلك شيخ الإسلام[1][2].

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ﴾ [الأنفال: ٢٩].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

أصل التقوى[3] ما يقر في القلب من خشـية الله وخوفه وهيبته وإجلاله

---

(١) ذكر ذلك شيخ الإسلام مطولًا.
انظر: الفتاوى (٧/ ١٩-٣٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٣٩-٤٤١.

(٣) التقوى: هي جعل النفس في وقاية مما يُخاف، وذلك بحفظ النفس عما يؤثم وفعل ما يجب، =

وتعظيمه، وأساس التقوى ورأسها وأساس العلم ورأسه، وبه يحصل معرفة الصواب من الخطأ[(١)]، فيقبل الحق تاماً علماً وعملاً، ويدفع الباطل دفعاً قوياً ممتنعاً عن المداهنة أبياً، والقلب الذي ليس كذلك ينقلب عن الحق انقلاباً ظاهراً يدركه أهل البصائر وهذه الفائدة من بعض فوائد هذه الآية، وقد تفاوتت مراتب الناس في هذا المعنى تفاوتاً بيناً، وهم في ذلك على طبقات في القوة والضعف وما بين ذلك، فتأمل هذه العبارة، والذكي يكفيه الإشارة والله أعلم[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ﴾ [الأنفال: ٧٣].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

وهل الفتنة إلا الشرك، والفساد الكبير هو انتثار عقد التوحيد والإسلام، وقطع ما أحكمه القرآن من الأحكام والنظام[(٣)].

= والتقوى تضاف تارة إلى اسم الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٩٦] فالمعنى اتقوا سخطه وغضبه، وتارة تضاف إلى عقابه أو مكان العقاب أو زمانه كالنار ويوم القيامة، والتقوى هي وصية الله للأولين والآخرين ﴿وَلَقَدۡ وَصَّيۡنَا ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَإِيَّاكُمۡ أَنِ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ١٣١].

انظر: المفردات (وقى) (٨٨١).

وانظر: ما ذكره ابن رجب -رحمه الله- عن السلف في معنى التقوى وحدودها. جامع العلوم والحكم (١٩٠-١٩٥).

(١) العبارة غير مستقيمة ولعل الصواب -والله أعلم- وأساس التقوى ورأسها العلم، وبه يحصل معرفة الصواب من الخطأ...

(٢) الدرر السنية (١٠/ ٩٢).

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثالث، ص٥٢.

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

في هذه الآية أخبـر أن الكفار إذا لـم يوال بعضهم بعضاً بـأن ينحازوا عن المسلمين، ويقطع المسلمون أيديهم منهم وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير[١].

فتبين أن موالاة المؤمن للكافر سـبب الافتتان فـي الدين، بترك واجباته وارتكاب محرماته والخروج عن شرائعه، وسبب للفساد في الأديان والأبدان والأموال فأيـن هذا من قول أهل الفسـاد والمجون: إن موالاة المشـركين صلاح وعافية وسلامة؟[٢].

---

(١) انظر أيضاً: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٣٠).

(٢) سبيل النجاة، ص ٣٨، ٣٩.

سورة التوبة

قال تعالى: ﴿فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ ۚ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٥].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

دلت الآية الكريمة على أن عصمة الدم والمال لا تحصل بدون هذه الثلاث لترتيبها عليها بترتيب الجزاء على الشرط، وفي الصحيح عن أبي مالك الأشجعي[١] عن أبيه أن النبي ﷺ قال: «من قال: لا إله إلا الله، وكفر بما يعبد من دون الله حرم ماله ودمه وحسابه على الله تعالى»[٢]، فلابد لتصحيحها من الإخلاص لله تعالى ونفي الشرك كما قال الله: ﴿وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾[٤][٥].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ ۖ فَعَسَىٰ أُولَٰئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ﴾ [التوبة: ١٨].

---

(١) أبو مالك الأشجعي: اسمه عمرو بن الحارث بن هانئ قاله ابن عبدالبر، قال ابن حجر: ورد عليه بأن هذا قيل في أبي مالك الأشعري. ا.هـ. ولذا اختار الحافظ أنه لا يعرف اسمه، روى عنه عطاء بن يسار.

انظر: الاستيعاب (٤/ ١٧٤٥)، أسد الغابة (٥/ ٢٧١)، الإصابة (٧/ ١٦٨).

(٢) رواه مسلم كتاب الإيمان، باب الأمر بقتال الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (١/ ١٧٣).

(٣) النساء: ٣٦.

(٤) البينة: ٥.

(٥) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثاني، ص ١٢١.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

أخبر تعالى أن مساجد الله لا يعمرها إلا أهل الإيمان بالله واليوم الآخر، الذين آمنوا بقلوبهم، وعملوا بجوارحهم، وأخلصوا له الخشية دون من سواه، فأثبت لهم عمارة المساجد بعد أن نفاها عن المشركين؛ لأن عمارة المساجد بالطاعة والعمل الصالح، والمشرك وإن عمل فعمله ﴿كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا﴾[١]، أو ﴿كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾[٢]، وما كان كذلك فالعدم خير منه، فلا تكون المساجد عامرة إلا بالإيمان الذي معظمه التوحيد مع العمل الصالح الخالص من شوائب الشرك والبدع، وذلك كله داخل في مسمى الإيمان المطلق عند أهل السنة والجماعة[٣].

قوله: ﴿وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾ قال ابن عطية: «يريد خشية التعظيم والعبادة والطاعة، ولا محالة أن الإنسان يخشى المحاذير الدنيوية وينبغي أن يخشى في ذلك كله قضاء الله وتصريفه»[٤].

وقال ابن القيم رحمه الله: الخوف عبودية القلب، فلا يصح إلا لله كالذل والإنابة والمحبة والتوكل والرجاء وغيرها من عبودية القلب[٥].

---

(١) النور: ٣٩.

(٢) إبراهيم: ١٨.

(٣) الإيمان المطلق هو الكامل الكمال المأمور به، ومطلق الإيمان أصله، ومثال ذلك: أن الرسول ﷺ نفى الإيمان المطلق عن الزاني وشارب الخمر، ولم ينف عنه مطلق الإيمان، فهو لا يدخل في قوله تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ ﴿ٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ ويدخل في قوله تعالى: ﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾ وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ فهذا نفي للإيمان المطلق لا لمطلق الإيمان. والله أعلم. راجع المسألة في: بدائع الفوائد (٤/ ١٦)، الدرر السنية (١/ ٣٣٢).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٦).

(٥) انظر بمعناه في: مدارج السالكين (١/ ١٠٩)، عبودية القلب (١/ ٥١١) منزلة الخوف.

قوله: ﴿فَعَسَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ أَن يَكُونُواْ مِنَ ٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾ قال ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما: «يقول: إن أولئك هم المهتدون، وكل (عسى) في القرآن فهي واجبة»[(١)].

وفي الحديث: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المساجد فاشهدوا له بالإيمان قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَعۡمُرُ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ﴾» رواه أحمد والترمذي والحاكم عن أبي سعيد الخدري[(٢)(٣)].

قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمۡ وَإِخۡوَٰنَكُمۡ أَوۡلِيَآءَ إِنِ ٱسۡتَحَبُّواْ ٱلۡكُفۡرَ عَلَى ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٣ قُلۡ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ وَإِخۡوَٰنُكُمۡ وَأَزۡوَٰجُكُمۡ وَعَشِيرَتُكُمۡ وَأَمۡوَٰلٌ ٱقۡتَرَفۡتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٞ تَخۡشَوۡنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرۡضَوۡنَهَآ أَحَبَّ إِلَيۡكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٖ فِي سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُواْ حَتَّىٰ يَأۡتِيَ ٱللَّهُ بِأَمۡرِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٤﴾ [التوبة: ٢٣-٢٤].

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

نهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه اللذين هما أقرب

---

(١) رواه ابن جرير (١٤/ ١٦٧-١٦٨)، وعزاه السيوطي (٤/ ١٤٠)، لابن المنذر وابن أبي حاتم وأبي الشيخ.

(٢) رواه أحمد في المسند (٣/ ٦٨) رقم (١١٦٦٩)، والترمذي (٨/ ٤٩٠) «تحفة» وقال: حسن غريب، أبواب تفسير القرآن، سورة التوبة، ورواه الحاكم في المستدرك (١/ ٢١٢) وصححه، وخالفه الذهبي فقال: «درَّاج كثير المناكير». وضعَّفه الألباني.
انظر: مشكاة المصابيح (١/ ٢٢٥) بتخريج الألباني، ضعيف الجامع الصغير (١/ ١٨٤).

(٣) فتح المجيد، ص ٣٠٢، ٣٠٣.

الناس إليه إذا كان دينهما على غير الإيمان، وبيَّن أن الذي يتولى أخاه وأباه إذا كانا كافرين فهو ظالم، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه؟! أفلا يكون هذا ظالماً؟! بلى والله إنه لمن أظلم الظالمين[١].

ثم بيَّن تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً: على أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله أو مشحة بعشيرته أو مخافة على زوجاته، فإن الله قد سد على الخلق باب الاعتذار بهذه الثمانية.

وذلك أن ما من أحد يوالي المشركين إلا وهو يعتذر بها أو ببعضها، وقد بان أن هذا ليس بعذر. فإن قيل: قد قال كثير من المفسرين: إن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد[٢].

فالجواب من وجهين:

أحدهما أن نقول: إذا كانت هذه الثمانية ليست عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية[٣]، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى.

---

(١) قال الشيخ حمد في سبيل النجاة والفكاك (٣١): فأما معاداة الكفار والمشركين، فاعلم أن الله سبحانه وتعالى أوجب ذلك وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها، حتى إنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده. ا.هـ.

(٢) انظر مثلاً: تفسير الطبري (١٤/ ١٧٧)، وابن كثير (٢/ ٣٤٢-٣٤٣).

(٣) الجهاد في أصل مشروعيته فرض على الكفاية، ومعنى ذلك: أنه إذا قام به من يكفي سقط الإثم عن الباقين، ويؤجر من قام به، وإن لم يقم به من يكفي أثم من كان قادراً ولم يقم به. ثم إن العلماء ذكروا حالات ثلاث يجب فيها الجهاد:
الأولى: إذا حضر الإنسان صف القتال وجب عليه ولم يجز له الفرار.
الثانية: إذا حضر العدو البلد وجب عليه الجهاد.
الثالثة: إذا استنفره الإمام.
انظر: كشاف القناع (٣/ ٣٢-٣٧)، الروض المربع بحاشية العنقري (٢/ ٣-٤).

الوجه الثاني: أن الآية نفسها دلت على ما ذكرنا، كما دلت على الجهاد، فإنه قال: ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ﴾ فإن محبة الله ورسـوله توجب إيثار عداوة المشـركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية وتقديمها عليها، كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها، وبالله التوفيق.

وهذا إذا سـمعه المنصف يكون عنده ظاهراً، وأما من أعمى الله بصيرته بسـبب تعصبه فكما قال تعالـى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾﴾[(١)][(٢)].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله في الآية الثانية:

هـذا أمر من الله لنبيـه محمـد ﷺ أن يتوعد من أحب أهله وعشـيرته وأمواله ومساكنه، أو أحد هذه الأشـياء على الله ورسوله، وجهاد في سبيله، «وقد خوطب بهـذا المؤمنون في آخر الأمر» كما قال شـيخ الإسـلام[(٣)]، فقيل لهـم: ﴿إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا﴾ أي: حصلتموهـا ﴿وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا﴾ أي: رخصهـا وفوات وقت نفاقها، ﴿وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا﴾ أي: لحسـنها وطيبها ﴿أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ أي: انتظروا مـاذا يحل بكم من عذاب اللـه، ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله[(٤)].

---

(١) يونس: ٩٦-٩٧.

(٢) سبيل النجاة والفكاك، ص ٣٦-٣٨.

(٣) الفتاوى (٧/ ٣٠٧).

(٤) الفسق في اللغة: الخروج، يقال فسقت التمرة: إذا خرجت من قشرتها.
وفي الاصطلاح الشرعي: الخروج من طاعة الله، وينقسم الفسق إلى قسمين:
الأول: الأكبر وهو الخروج من الإسلام بالكلية، والانسلاخ من الدين كقوله تعالى عن إبليس: =

وهو تنبيه على أن من فعل ذلك فهو من الفاسقين، فهذا تشديد ووعيد عظيم، ولا يخلص منه إلا من صح إيمانه فخلص لله سره وإعلانه.

وعلى أن المحبة الصادقة تستلزم تقديم مراضي الله على هذه الثمانية كلها، فكيف بمن آثر بعضها على الله ورسوله وجهاد في سبيله[١].

قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

الأحبار هم العلماء[٢]. والرهبان: هم العباد[٣].

وهذه الآية قد فسرها رسول الله ﷺ لعدي بن حاتم، وذلك أنه لما جاء مسلماً دخل على رسول الله ﷺ وهو يقرأ هذه الآية قال: فقلت: إنهم لم يعبدوهم، فقال: «إنهم حرموا عليهم الحلال وحللوا لهم الحرام فاتبعوهم

= ﴿فَفَسَقَ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِۦٓ﴾ [الكهف: ٥٠]، وكقوله تعالى عن المنافقين: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٦٧].

الثاني: الأصغر وهو الوقوع في بعض كبائر الذنوب التي لا تخرج من الملة كما قال تعالى ﴿وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِ﴾ [الحجرات: ١١].

انظر: المفردات (٦٣٦) (فسق)، مدارج السالكين (١/ ٣٥٩)، كتاب التوحيد، د. صالح الفوزان (٢٠).

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ٤١٣، ٤١٤.

(٢) الأحبار: جمع حَبْر وحِبْر بفتح الحاء وكسرها وهم العلماء.
انظر: الطبري (١٠/ ٥٠٢-٥٠٣)، المفردات (٢١٥)، أساس البلاغة (٧١) [حبر].

(٣) الرهبان: مفرد وجمعها رهابين ورهابنة، أو جمع ومفردها راهب وهم العباد.
انظر: الطبري (١٤/ ٢٠٨-٢٠٩)، أساس البلاغة (١٨١)، المفردات (٣٦٦) [رهب].

فذاك عبادتهم إياهم» رواه الترمذي وحسنه وعبد بن حميد وابن سعد وابن أبي حاتم وأحمد والطبراني وغيرهم من طرق[١].

وهكذا قال جميع المفسرين[٢].

«قال السدي: استنصحوا الرجال، ونبذوا كتاب الله وراء ظهورهم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ﴾ أي: الذي إذا حرم شيئاً فهو الحرام وما حلله حل، وما شرعه اتبع، سبحانه وتعالى عما يشركون، أي: تعالى وتقدس عن الشركاء والنظراء والأضداد، والأنداد، لا إله إلا هو ولا رب سواه»[٣].

ومراد المصنف -رحمه الله- بإيراد الآية هنا[٤] أن الطاعة في تحريم الحلال وتحليل الحرام من العبادة المنفية عن غير الله تعالى، ولهذا فسرت العبادة بالطاعة، وفسر الإله بالمعبود المطاع[٥]، فمن أطاع مخلوقاً في ذلك فقد عبده، إذ معنى التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله يقتضي إفراد الله بالطاعة وإفراد الرسول بالمتابعة، فإن من أطاع الرسول ﷺ فقد أطاع الله، وهذا أعظم ما يبين التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله؛ لأنها تقتضي نفي الشرك

---

(١) رواه الترمذي، تفسير القرآن، سورة براءة (٨/ ٢٤٨)، وقال حديث غريب، وابن جرير (١٤/ ٢٠٩-٢١٠)، والبيهقي (١٠/ ١١٦)، وابن عبدالبر معلقاً في جامع بيان العلم وفضله (٢/ ١٠٩).
وانظر: الدر المنثور (٤/ ١٧٤)، وقد حسن الحديث الألباني انظر: غاية المرام (١٩) رقم (٦).

(٢) انظر مثلًا: جامع البيان (١٤/ ٢٠٨)، أحكام القرآن لابن العربي (٢/ ٩٢٧)، المحرر الوجيز (٣/ ٢٥-٢٦)، زاد المسير (٣/ ٤٢٥)، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٨)، الدر المنثور (٤/ ١٧٤).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٤٩).

(٤) المصنف: هو الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، وقد أورد الآية في باب تفسير التوحيد وشهادة أن لا إله إلا الله.

(٥) انظر: أقوال المفسرين في ذلك تفسير الطبري (١٤/ ٢٠٩-٢١٣).

في الطاعة[١]، فما ظنك بشرك العبادة كالدعاء والاستغاثة والتوبة وسؤال الشفاعة وغير ذلك من أنواع الشرك في العبادة[٢].

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ﴾ [التوبة: ٦٠].

قال الشيخ عبدالله بن محمد رحمه الله:

قد قسمها سبحانه في ثمانية أصناف لا يجوز صرفها إلى غيرهم، وهذا مما لا خلاف فيه بين العلماء[٣]، لكن اختلفوا هل المراد أنها تقسم بين الأصناف الثمانية بالسوية كما يقسم الميراث بين أهله، أو أنه لابد من تعميم الأصناف

---

(١) ذكر الشيخ محمد بن عبدالوهاب أن الشرك الأكبر أربعة أنواع:
الأول: شرك الدعوة، قال تعالى: ﴿فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ﴾ [العنكبوت: ٦٥].
الثاني: شرك النية، قال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيۡهِمۡ أَعۡمَٰلَهُمۡ فِيهَا وَهُمۡ فِيهَا لَا يُبۡخَسُونَ ١٥ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].
الثالث: شرك الطاعة، قال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَحۡبَارَهُمۡ وَرُهۡبَٰنَهُمۡ أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسِيحَ ٱبۡنَ مَرۡيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُوٓاْ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗاۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۚ سُبۡحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١].
الرابع: شرك المحبة، قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادٗا يُحِبُّونَهُمۡ كَحُبِّ ٱللَّهِۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبّٗا لِّلَّهِۗ وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٥-١٦٧].
انظر: الدرر السنية (٢/ ٦٩-٧٠).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ١١٦-١١٧.

(٣) انظر: الإجماع لابن المنذر (١٤) وما سيأتي من المراجع.

الثمانية، أو المراد بذلك بيـــان المصرف وأنها لا تصرف إلى غير هؤلاء، أو أنه يجوز صرفها إلى بعض الأصناف دون بعض بحسب الحاجة والمصلحة؟.

فذهب الشافعي إلى أنه يجب استيعاب الأصناف الثمانية.

وذهب الجمهور إلى جواز عدم التعميم[١]، واحتجوا:

بفعل النبي ﷺ وخلفائه الراشدين.

وبقولـــه: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَـٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾[٢].

وبقول النبـــي ﷺ في حديث معـــاذ: «تؤخذ مـــن أغنيائهـــم فترد على فقرائهم»[٣]، فلم يذكر في الآية والخبر إلا صنفاً واحداً.

وأمـر النبي ﷺ بني زريـق[٤] أن يدفعـوا صدقتهـم إلى سلمة بن صخر[٥].

---

(١) انظر الخلاف مع بسط الأقوال والأدلة في: تفسير الطبري (١٤/ ٣٢٢) وما بعدها، الأموال لأبي عبيد، باب تفريق الصدقة في الأصناف الثمانية، وإعطائها بعضهم دون بعض (٥١٢)، الكافي لابن عبدالبر (١/ ٣٢٧)، بدائع الصنائع (٢/ ٤٤) وما بعدها، المجموع شرح المهذب (٦/ ١٨٥) وما بعدها، الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٨/ ١٦٧-١٦٨).

(٢) البقرة: ٢٧١.

(٣) رواه البخاري، كتاب الزكاة، باب وجوب الزكاة (٢/ ١٠٨)، ومسلم كتاب الإيمان، باب الدعاء إلى الشهادتين وشرائع الإسلام (١/ ١٦٠).

(٤) بنو زريق بن عامر، بطن من الخزرج. انظر: معجم قبائل العرب، عمر كحالة (٢/ ٤٧١)، نهاية الأرب (٢٧١).

(٥) سلمة بن صخر بن سلمان بن الصِّمة بن حارثة الأنصاري الخزرجي البياضي، وقيل اسمه: سلمان، جعل امرأته عليه كظهر أمه ثم واقعها في رمضان فجاء إلى النبي ﷺ يلتمس الكفارة، وحديثه مشهور رضي الله عنه وأرضاه.
انظر: أسد الغابة (٢/ ٢٧٨).
وحديثه رواه الإمام أحمد (٤/ ٣٧)، (٥/ ٤٣٦)، والترمذي، أبواب التفسير، سورة المجادلة (٩/ ٣٨)، وأبو داود، كتاب الطلاق، باب في الظهار (١/ ٦١٣) رقم (٢٢١٣)، وابن ماجه، كتاب الطلاق، باب في الظهار (١/ ٦٦٥)، رقم (٦٠٦٢)، والدارمي، باب في الظهار (٢/ ٢٢٧٨)، وابن خزيمة، باب الرخصة في إعطاء الإمام المظاهر من الصدقة (٤/ ٧٣) رقم (٢٣٧٨).

وقال لقبيصة[١]: «أقم يا قبيصة حتى تأتينا الصدقة فنأمر لك بها»[٢]، ولو وجب صرفها إلى جميع الأصناف لم يجز صرفها إلى واحد.

ولهذا قال الجمهور بجواز صرفها إلى صنف واحد، وهو مروي عن عمر وحذيفة وابن عباس، وبه يقول سعيد بن جبير والحسن وعطاء، وإليه ذهب الثوري وأبو عبيد[٣] وأصحاب الرأي، وهو مذهب الإمام أحمد[٤][٥].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ﴾ [التوبة: ٦٥].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسيره: «قال أبو معشر المدني[٦] عن محمد بن كعب القرظي وغيره قالوا: «قال رجل من المنافقين: ما أرى مثل

---

(١) قبيصة بن المخارق بن عبدالله بن شداد الهلالي، أبو بشر، روى عنه ولده قطن وأبو عثمان النهدي وغيرهما، سكن البصرة رضي الله عنه وأرضاه.
انظر: أسد الغابة (٤/ ٨٣)، الإصابة (٥/ ٢٢٧).

(٢) أخرجه الإمام مسلم كتاب الزكاة، باب من تحل له المسألة (٧/ ١٠٩).

(٣) أبو عبيد القاسم بن سلام الهروي ولد عام ١٥٤هـ بهراة، روى عن سفيان بن عيينة وأبو معاوية الضرير وغيرهما، وعنه ابن أبي الدنيا وعلي بن عبدالعزيز البغوي وغيرهما، واتصل بالشافعي وأحمد، وكان إماماً في التفسير والحديث والفقه واللغة، ومن مؤلفاته: الإيمان، والأموال، وغريب الحديث، والناسخ والمنسوخ في القرآن، توفي عام ٢٢٤هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٧)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ٣٥).

(٤) راجع ما سبق.

(٥) الدرر السنية (٥/ ٢٤٦-٢٤٧).

(٦) نجيح بن عبدالرحمن السندي، أبو معشر المدني، مولى بني هاشم، مشهور بكنيته، روى عن المقبري ونافع ومحمد بن كعب وغيرهم، وعنه ابن مهدي وسعيد بن منصور قال الحافظ: ضعيف، أسن واختلط. ا.هـ. مات سنة ١٧٠هـ.
انظر: الكاشف (٣/ ١٧٥)، تقريب التهذيب (٥٥٩) رقم (٧١٠٠).

قرائنا هؤلاء؟ أرغبنا[١] بطوناً؛ وأكذبنا ألســناً، وأجبننا عند اللقاء. فرُفِعَ ذلك إلى رســول الله ﷺ وقد ارتحل وركب ناقته، فقال: يا رســول الله إنما كنا نخوض ونلعب ونتحدث حديث الركب نقطع به عنا الطريق، فقال: ﴿أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ۝٦٦﴾ وإن رجليه ليَسْــفَعان[٢] الحجارة وما يلتفت إليه رسول الله ﷺ وهو متعلق بنِسْعَة[٣] ناقة رسول الله ﷺ »[٤].

وقال عبدالله بن وهب[٥]: أخبرني هشــام بن سعد[٦] عن زيد بن أسلم[٧]

---

(١) أرغب: أوسع وأكبر بطوناً، كناية عن كثرة الأكل وحب الطعام.
انظر: مادة «رغب» النهاية (٢/ ٢٣٦-٢٣٨).

(٢) يسفعان: وفي تفسير الطبري «المحققة»: لتنسفان، وعاب على صاحب المطبوعة إخراجها: يسفعان (١٤/ ٣٣٥)، ومعنى تنسفان: أي تطيران الحجارة من شدة العدو، وهو في ابن كثير كالمثبت أعلاه، والسفع: الضرب.
انظر: لسان العرب (سفع) (٨/ ١٥٦-١٥٨).

(٣) نسعة: بكسر النون وسكون السين: سير مضفور يجعل زماماً للبعير.
انظر: معجم مقاييس اللغة (٥/ ٤١٩)، النهاية (٥/ ٤٨) (نسع).

(٤) رواه ابن جرير (١٤/ ٣٣٥).

(٥) عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم أبو محمد الفقيه أحد الأعلام روى عن السفيانين وهشام بن سعد وجماعة، وعنه الربيع بن سليمان وابن المديني وجماعة، ثقة حافظ توفي عام ١٩٧هـ.
انظر: الكاشف (٢/ ١٢٦)، تهذيب التهذيب (٦/ ٧١).

(٦) هشام بن سعد المدني، أبو عباد وقيل: أبو سعيد، روى عن زيد بن أسلم ونافع والمقبري وغيرهم، روى عنه عبدالله بن وهب والقعنبي وابن مهدي وغيرهم، أخرج له مسلم والأربعة والبخاري تعليقاً. قال الحافظ: صدوق له أوهام توفي عام ١٦٠هـ. انظر: الكاشف (٣/ ١٩٦)، تقريب التهذيب (٥٧٢) رقم (٧٢٩٤).

(٧) زيد بن أسلم العمري أبو عبدالله، روى عن أبيه أسلم مولى عمر رضي الله عنه، وعن ابن عمر وغيرهما، وعنه: مالك والدراوردي، كان إماماً حافظاً فقيهاً أخرج له الجماعة توفي عام ١٣٦هـ.
انظر: حلية الأولياء (٣/ ٢٢١)، تذكرة الحفاظ (١/ ١٣٢).

عن عبدالله بن عمر قال: «قال رجل في غزوة تبوك في مجلس: ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً، ولا أكذب ألسناً، ولا أجبن عند اللقاء. فقال رجل في المجلس: كذبت، ولكنك منافق، لأخبرن رسول الله ﷺ. فبلغ ذلك رسول الله ﷺ ونزل القرآن. قال عبدالله بن عمر: وأنا رأيته متعلقاً بحَقَب[١] ناقة رسول الله ﷺ تَنْكُبه[٢] الحجارة، وهو يقول: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب ورسول الله ﷺ يقول: ﴿أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُواْ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴿٦٦﴾﴾»[٣].

وقد رواه الليث[٤] عن هشام بن سعد بنحو هذا[٥].

وقال ابن إسحاق: «وقد كان جماعة من المنافقين منهم وديعة بن ثابت[٦] أخو بني أمية بن زيد بن عمرو بن عوف، ورجل من أَشْجَع حليف لبني سَلِمَة

---

(١) الحقب: بفتح الحاء والقاف هو الحبل الذي يشد على حقو البعير.
انظر: النهاية (١/ ٤١١) مادة: (حقب).

(٢) تنكبه: تصيبه الحجارة وتضربه. انظر: النهاية (٥/ ١٢٢) مادة: (نكب).

(٣) رواه ابن جرير (١٤/ ٣٣٣-٣٣٤)، وصحح إسناده الشيخ أحمد شاكر، وقد عزاه السيوطي في الدر المنثور (٤/ ٢٣٠) أيضاً: لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.

(٤) الليث بن سعد بن عبدالرحمن أبو الحارث الفهمي شيخ الإسلام وعالم الديار المصرية روى عن عطاء والزهري، وعنه: ابن لهيعة وهشيم وابن المبارك وجماعة، قال الذهبي: كان الليث -رحمه الله- فقيه مصر ومحدثها ومحتشمها ورئيسها ومن يفتخر الإقليم بوجوده، بحيث إن متولي مصر وقاضيها وناظرها من تحت أوامره، ويرجعون إلى رأيه ومشورته، ولقد أراده المنصور على أن ينوب له الإقليم فاستعفى من ذلك. ا.هـ. توفي عام ١٧٥هـ. انظر: سير أعلام النبلاء (٨/ ١٣٦)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤٥٩).

(٥) رواه ابن جرير (١٤/ ٣٣٣)، وقال الشيخ أحمد شاكر: هذا إسناد صحيح.

(٦) وديعة بن ثابت أحد المنافقين كان ممن أرجف بالمسلمين في تبوك وممن شارك في بناء مسجد الضرار وكانوا اثني عشر رجلاً.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٤).

يقال له مَخْشِي بن حُمَيِّر[١]، يشيرون إلى رسول الله ﷺ وهو منطلق إلى تبوك، فقال بعضهم لبعض: أتحسبون جلاد بني الأصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً؟ والله لكأنا بكم غداً مقرنين في الحبال؛ إرجافاً وترهيباً للمؤمنين. فقال مَخشِي بن حُمَيِّر: والله لوددت أني أقاضى على أن يضرب كل رجل منا مئة جلدة وأنا ننفلت أن ينزل فينا قرآن لمقالتكم هذه، وقال رسول الله ﷺ فيما بلغني لِعمار بن ياسر: أدرك القوم فإنهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فإن أنكروا فقل: بل قلتم كذا وكذا وكذا، فانطلق إليهم عمار فقال ذلك لهم، فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون إليه فقال وديعة بن ثابت -ورسول الله ﷺ واقف على راحلته- فجعل يقول وهو آخذ بحَقَبِها: يا رسول الله إنما كنا نخوض ونلعب، فقال مَخشِي بن حُمَيِّر: يا رسول الله قعد بي اسمي واسم أبي، فكان الذي عناه أي قوله تعالى: ﴿إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً﴾ في هذه الآية: مخشي بن حمير فسُمي عبدالرحمن، وسأل الله أن يقتل شهيداً لا يعلم بمكانه، فقتل يوم اليمامة فلم يوجد له أثر»[٢].

وقال عكرمة في تفسير هذه الآية: كان رجل ممن إن شاء الله عفا عنه يقول: اللهم إني أسمع آية أنا أعنى بها تقشعر منها الجلود، وتَجِل منها القلوب، اللهم فاجعل وفاتي قتلاً في سبيلك، لا يقول أحد أنا غسلت، أنا كفنت، أنا دفنت، قال: فأصيب يوم اليمامة، فما أحد من المسلمين إلا وقد وجد غيره»[٣].

---

(١) مخشي بن حمير: بتشديد الياء المكسورة الأشجعي، حليف لبني سلمة من الأنصار، كان من المنافقين، ثم تاب وحسنت توبته، وطلب من الرسول ﷺ أن يغير اسمه فسماه عبدالله بن عبدالرحمن.
انظر: أسد الغابة (٤/ ٣٥٠)، الإصابة (٦/ ٧١).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٧٨-١٧٩).

(٣) رواه ابن جرير (١٤/ ٣٣٤).

وقولـه: ﴿ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ أي بهـذه المقالـة التـي استهزأتم بها ﴿إِن نَّعۡفُ عَن طَآئِفَةٖ مِّنكُمۡ ﴾ أي مخشي بن حمير ﴿نُعَذِّبۡ طَآئِفَةَۢ ﴾ أي لا يعفى عـن جميعكم، ولابـد من عـذاب بعضكم ﴿بِأَنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ﴾ أي بهذه المقالة الفاجرة الخاطئة»[1]. انتهى.

قال شيخ الإسـلام: «وقد أمره الله تعالى أن يقول لهـم: ﴿قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ ﴾ وقول من يقـول: إنهم كفروا بعد إيمانهم بلسـانهم مع كفرهم أولاً بقلوبهم: لا يصح لأن الإيمان باللسـان مع كفر القلب[2] قـد قارنه الكفر، فلا يقال: قد كفرتم بعد إيمانكم فإنهم لم يزالـوا كافرين في نفس الأمر، وإن أريد أنكم أظهرتم الكفر بعد إظهاركم الإيمان فهم لم يظهروا للناس إلا لخواصهم وهم مع خواصهم ما زالوا كذلك، ولا يدل اللفظ على أنهم ما زالوا منافقين»[3].

وقال رحمه الله في موضع آخر: فقد أخبر أنهـم كفروا بعد إيمانهم مع قولهم: إنما تكلمنا بالكفر من غير اعتقاد له بل إنما كنا نخوض ونلعب. وبين أن الاستهزاء بآيات الله كفر.

ولا يكون هذا إلا ممن شـرح صدراً بهذا الكلام ولـو كان الإيمان في قلبه لمنعه أن يتكلم بهذا الكلام والقرآن يبين أن إيمان القلب يسـتلزم العمل الظاهر بحسـبه كقوله تعالى: ﴿ وَيَقُولُونَ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلرَّسُولِ وَأَطَعۡنَا ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٞ مِّنۡهُم مِّنۢ بَعۡدِ ذَٰلِكَۚ ﴾ ... إلى قولـه ... ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴾[4].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٦٧) باختصار.

(٢) في الفتح دون كلمة «القلب» وقد زدتها من الفتاوى وبها يستقيم المعنى (٧/ ٢٧٢).

(٣) الفتاوى (٧/ ٢٧٢) بتصرف يسير.

(٤) النور: ٤٧-٥١.

فنفى الإيمـــان عمن تولى عن طاعة الرســـول، وأخبـــر أن المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم ســـمعوا وأطاعوا، فبين أن هذا من لوازم الإيمان، انتهى.

وفيه: بيان أن الإنسان قد يكفر بكلمة يتكلم بها أو عمل يعمل به وأشدها خطراً إرادات القلوب[١]، فهي كالبحر الذي لا ساحل له.

ويفيد الخوف من النفاق الأكبر[٢]، فإن الله تعالى أثبت لهؤلاء إيماناً قبل أن يقولوا ما قالوه، كما قال ابن أبي مليكـــة[٣]: «أدركت ثلاثين من أصحاب رسول الله ﷺ كلهم يخاف النفاق على نفسه»[٤].

نسأل الله السلامة والعفو والعافية في الدنيا والآخرة[٥].

---

(١) انظر في ذلك: طريق الهجرتين (٢٢١)، زاد المعاد (٣/ ٢٢٨-٢٣٧).

(٢) النفاق بمعناه المخصوص اسم إسلامي، لم تعرفه العرب قبل الإسلام، وإن كان أصله اللغوي معروفاً قبل ذلك. لسان العرب (١٠/ ٣٥٩) مادة: (نفق).
وقد قسم العلماء النفاق إلى قسمين:
الأول: الأكبر وهو النفاق الاعتقادي وهو إظهار الإيمان وإبطان الكفر، وصاحبه خارج من الملة ويوم القيامة في الدرك الأسفل من النار.
الثاني: الأصغر وهو النفاق العملي، وهو أن يقوم بالمرء شيء من صفات المنافقين كالكذب أو الغدر ونحو ذلك مع بقاء أصل الإيمان عنده، وصاحبه مسلم غير خارج من الملة، ولا يخلد يوم القيامة في النار.
انظر: شرح النووي على صحيح مسلم (٢/ ٢٣٥-٢٣٦)، الفتاوى (٧/ ٥٢٣)، مدارج السالكين (١/ ٣٤٧)، فتح الباري (١/ ٩٠)، تيسير اللطيف المنان في خلاصة تفسير القرآن للسعدي (٢٣٠).

(٣) عبدالله بن عبيدالله بن أبي مليكة، أبو بكر القرشي التيمي المكي الإمام الحافظ الحجة روى عن: عائشة وابن عباس وابن عمر وغيرهم، وعنه: أيوب وابن جريج والليث وغيرهم، ولي القضاء والأذان لابن الزبير، توفي عام ١١٧هـ وحديثه في الكتب الستة.
انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٤٧٣)، سير أعلام النبلاء (٥/ ٨٨).

(٤) رواه البخاري معلقاً بصيغة الجزم، كتاب الإيمان، باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله (١/ ١٧).
والخوف من النفاق هو من صفات المؤمنين الصادقين. انظر في ذلك: مدارج السالكين (١/ ٣٥٨).

(٥) فتح المجيد، ص ٣٨٤-٣٨٧.

قال تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ ٱلدَّوَآئِرَ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ وَصَلَوَٰتِ ٱلرَّسُولِ ۚ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ ۚ سَيُدْخِلُهُمُ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾ ﴾ [التوبة: ٩٧-١٠٠].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال العماد ابن كثير رحمه الله في تفسيره في معنى قوله تعالى: ﴿ ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ ﴾: «أخبر تعالى أن في الأعراب كفاراً ومنافقين ومؤمنين، وأن كفرهم ونفاقهم أعظم من غيرهم ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ أي عليم بمن يستحق أن يعلمه الإيمان والعلم. وحكيم فيما قسم بين عباده من العلم والجهل، والإيمان والكفر والنفاق ﴿لَا يُسْـَٔلُ عَمَّا يَفْعَلُ﴾[(١)] لعلمه وحكمته.

وقوله: ﴿ وَمِنَ ٱلْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ هذا هو القسم الممدوح من الأعراب»[(٢)].

قلت: وهم الموصوفون بالإيمان والإخلاص، فتبين أن الأعراب وهم من

---

(١) الأنبياء: ٢٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٨٢-٣٨٣) باختصار.

أمة محمد ﷺ[١] فيهم الكافر والمشرك والمنافق والمؤمن، وما زالوا كذلك في كل زمان إلى يومنا هذا وبعده[٢].

قال تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا ۚ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

حاصل كلام المفسرين في الآية أن الله «نهى رسوله ﷺ أن يقوم في مسجد الضرار[٣] في الصلاة فيه أبداً، والأمة تبع له في ذلك، ثم حثه على الصلاة في مسجد قباء الذي أسس من أول يوم بني فيه على التقوى، وهي طاعة الله ورسوله ﷺ، وجمعاً لكلمة المؤمنين، ومعقلاً ومنزلاً للإسلام وأهله بقوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾

---

(١) أمة محمد ﷺ تنقسم إلى قسمين:
أ-أمة الدعوة: وهم الذين توجه إليهم خطاب دعوته ﷺ، وهم جميع الثقلين بعد مبعثه ﷺ. وهؤلاء فيهم المؤمن والكافر والصادق والمنافق.
ب-أمة الإجابة: وهم الذين أجابوا دعوته ﷺ وآمنوا برسالته.

(٢) الدرر السنية (٩/ ١٤١).

(٣) مسجد الضرار: مسجد أقامه جماعة من المنافقين ليكون مكاناً لكيد الإسلام والمسلمين، ولما أتموا بناءه أتوا النبي ﷺ ليصلي فيه، فاعتذر بقرب خروجه لتبوك وقال: لو قدمنا أتيناكم فصلينا لكم فيه، فلما رجع ﷺ من تبوك جاءه الخبر من السماء بشأن هذا المسجد، فأمر جماعة من الصحابة بتحريقه.
انظر في خبره: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٣)، تاريخ الطبري (٣/ ١١٠).

والسياق إنما هو في مسجد قباء، ولهذا جاء في الحديث الصحيح أن رسول الله ﷺ قال: «صلاة في مســجد قباء كعمرة»[١]. وفي الصحيح: «أن رسول الله ﷺ كان يزور قباء راكباً وماشياً»[٢].

وقد صرح بأن المسجد المؤسس على التقوى هو مسجد قباء[٣].

ذكره جماعة من السلف، منهم ابن عباس[٤] وعروة[٥] وعطية[٦] والشعبي[٧] والحسن[٨] وغير واحد[٩].

---

(١) رواه ابن أبي شيبة في المصنف (٢/ ١٤٩) رقم (٧٥٢٩)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٢٤٥)، والترمذي كتاب الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (٢/ ٧-٨)، وقال: حسن غريب، قال: وفي الباب عن سهل بن حنيف. ا.هـ. وابن ماجه، كتاب إقامة الصلاة، باب ما جاء في الصلاة في مسجد قباء (١/ ٤٥٢)، والحاكم، كتاب المناسك وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه إلا أن أبا الأبرد مجهول (١/ ٤٨٧)، والبغوي في شرح السنة (٢/ ٣٤٤)، كلهم من طريق أبي الأبرد عن أسيد ابن ظهير، والحديث صححه ابن كثير (٢/ ٣٨٩)، وانظر طرقه وشواهده في النهج السديد (٦٩).

(٢) رواه البخاري، كتاب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب إتيان مسجد قباء راكباً وماشياً (٢/ ٥٧)، ومسلم، كتاب الحج، باب فضل مسجد قباء (٩/ ٥١٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) الكلام السابق لابن كثير رحمه الله بتصرف واختصار يسيرين (٢/ ٣٨٨-٣٨٩).

(٤) رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة (١٤/ ٤٧٨)، وعزاه السيوطي (٤/ ٢٨٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم والبيهقي في الدلائل.

(٥) رواه ابن جرير (١٤/ ٤٧٩).

وعروة هو ابن الزبير بن العوام أبو عبدالله أحد الفقهاء السبعة، روى عن أبويه وخالته عائشة وغيرهم، وعنه: ابناه عبدالله وهشام والزهري وغيرهم. توفي عام ٩٣هـ.

انظر: الكاشف (٢/ ٢٢٩)، تهذيب التهذيب (٧/ ١٨٠).

(٦) رواه ابن جرير (١٤/ ٤٧٨).

(٧) انظر: ابن كثير (٢/ ٣٨٩).

(٨) انظر: ابن كثير الموضع السابق.

(٩) روي ذلك عن ابن بريدة وعبدالرحمن بن زيد والضحاك وسعيد بن جبير وقتادة.

انظر: الطبري (١٤/ ٤٧٨-٤٧٩)، البغوي (٤/ ٩٦)، الدر المنثور (٤/ ٢٨٧-٢٨٨).

وقيل: هو مسجد رسول الله ﷺ لحديث أبي سعيد قال: تمارى رجلان في المسجد الذي أسس على التقوى من أول يوم فقال رجل: هو مسجد قباء وقال الآخر: هو مسجد رسول الله ﷺ فقال رسول الله ﷺ: «هو مسجدي هذا» رواه مسلم[١]. وهو قول عمر[٢] وابنه[٣] وزيد بن ثابت[٤] وغيرهم[٥].

قال ابن كثير: «وهذا صحيح، ولا منافاة بين الآية وبين هذا، لأنه إذا كان مسجد قباء قد أسس على التقوى من أول يوم، فمسجد رسول الله ﷺ بطريق الأولى»[٦].

وهذا بخلاف مسجد الضرار الذي أسس على معصية الله تعالى كما قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾[٧] فلهذه الأمور نهى الله نبيه ﷺ عن القيام فيه للصلاة.

وكان المنافقون الذين بنوه جاؤوا إلى النبي ﷺ قبل خروجه إلى تبوك فسألوه أن يصلي فيه ليحتجوا بصلاته فيه على تقريره، وذكروا أنهم إنما بنوه للضعفاء وأهل العلة في الليلة الشاتية، فعصمه الله من الصلاة فيه فقال: «إنا

---

(١) رواه مسلم، كتاب الحج، باب المسجد الذي أسس على التقوى (٩/ ٥١٨).
(٢) انظر: ابن كثير (٢/ ٣٩٠).
(٣) رواه ابن أبي شيبة (٢/ ١٤٨) رقم (٧٥٢٣)، وورواه ابن جرير -رحمه الله- عنه (١٤/ ٤٧٦).
(٤) رواه ابن جرير (١٤/ ٤٧٧).
(٥) وقال به أبو سعيد الخدري وسعيد بن المسيب واختاره ابن جرير.
انظر: الطبري (١٤/ ٤٧٦-٤٧٩).
(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٣٨٩).
(٧) التوبة: ١٠٧.

على سفر ولكن إذا رجعنا إن شاء الله»، فلما قفل ﷺ راجعاً إلى المدينة ولم يبق بينه وبينها إلا يوم أو بعض يوم، نزل الوحي بخبر المسجد، فبعث إليه فهدمه قبل مقدمه إلى المدينة[1].

ووجه الدلالة من الآية على الترجمة[2] من جهة القياس؛ لأنه إذا منع الله رسوله ﷺ عن القيام لله تعالى في هذا المسجد المؤسس على هذه المقاصد الخبيثة مع أنه لا يقوم فيه إلا لله، فكذلك المواضع المعدة للذبح لغير الله لا يذبح فيها الموحد لله؛ لأنها قد أسست على معصية الله والشرك به، يؤيده حديث ثابت بن الضحاك الآتي[3].

وقوله: ﴿فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟﴾ روى الإمام أحمد وابن خزيمة والطبراني والحاكم عن عويم بن ساعدة الأنصاري أن النبي ﷺ أتاهم في مسجد قباء فقال: «إن الله قد أحسن عليكم الثناء في الطهور في

---

(١) رواه ابن إسحاق.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ١٨٣-١٨٤).
وروى القصة ابن جرير (١٤/ ٤٧٠-٤٧٣) عن جماعة من الصحابة والتابعين.
وانظر: أسباب النزول للواحدي (٢٦٤).

(٢) الترجمة هي: باب لا يذبح لله بمكان يذبح فيه لغير الله.

(٣) عن ثابت بن الضحاك قال: نذر رجل أن ينحر إبلًا ببوانة فسأل النبي ﷺ فقال: «هل كان فيه وثن من أوثان الجاهلية يعبد؟ قالوا: لا. قال: فهل كان فيه عيد من أعيادهم؟ قالوا: لا، فقال رسول الله ﷺ : أوف بنذرك، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله ولا فيما لا يملك ابن آدم».
تيسير العزيز الحميد (١٥٦).
رواه أبو داود، كتاب الأيمان والنذور، باب ما يؤمر به من الوفاء بالنذر (٢/ ٢٥٧).
والبيهقي في السنن (١٠/ ٨٣).
وصححه الحافظ في التلخيص (٤/ ١٩٨)، وقال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: إسناده على شرطها.
وثابت بن الضحاك هو ابن خليفة بن ثعلبة بن عدي الأشهلي الأنصاري شهد بيعة الرضوان، وقيل: شهد بدراً، روى عنه أبو قلابة توفي عام ٦٤هـ ﷺ وأرضاه.
انظر: أسد الغابة (١/ ٢٧١)، الإصابة (١/ ٢٠١).

قصة مسـجدكم، فما هذا الطهور الذي تطهرون؟ فقالوا: والله يا رسول الله ما نعلم شـيئاً إلا أنه كان لنا جيـران من اليهود فكانوا يغسـلون أدبارهم من الغائط فغسلنا كما غسـلوا»[١]، وفي رواية عن جابر وأنس مرفوعاً «هو ذاك فعليكموه» رواه ابن ماجه وابن أبي حاتم والدارقطني والحاكم[٢].

وقوله: ﴿وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ أي: الذين يتنزهـون عن القاذورات والنجاسات بعد ما يتنزهون من أوضار الشرك وأقذاره.

قال أبـو العاليـة: «إن الطهور بالماء لحسـن ولكنهـم المتطهرون من الذنوب»[٣].

قال ابن كثير: «وفيه دليل على استحباب الصلاة مع الجماعة الصالحين المتنزهين عن ملابسة القاذورات، المحافظين على إسباغ الوضوء»[٤].

---

(١) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٤٢) رقم (١٥٥٢٤)، وابن خزيمة جماع أبواب الاستنجاء بالماء (١/ ٤٥)، وابن جرير (١٤/ ٤٨٦)، والطبراني في الكبير (١٧/ ١٤٠)، والصغير (٢/ ٢٣)، والحاكم (١/ ١٥٥) وصححه ووافقه الذهبي.
وانظر: مجمع الزوائد (١/ ٢١٢).
وعويم بن ساعدة الأوسي الأنصاري، صحابي جليل شهد العقبتين وبدراً وأحداً، توفي في زمن النبي ﷺ وقيل: في خلافة، عمر، وهو الصحيح.
انظر: أسد الغابة (٤/ ١٥)، الإصابة (٥/ ٤٥).

(٢) رواه ابن ماجه كتاب الطهارة باب الاستنجاء بالماء (١/ !٢٧).
والدارقطني (١/ ٦٢)، وقال: عتبة بن أبي حكيم ليس بقوي. ا.هـ.
وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (١/ ١٥٥)، والبيهقي (١/ ١٠٥).
وضعفه الحافظ في التلخيص (١/ ١٢٣).
وحسن إسناده الزيلعي في نصب الراية (١/ ٢١٩).
والحديث بمجموع طرقه وشواهده لا يقل عن الحسن. راجع: النهج السديد (٧١-٧٣).

(٣) انظر: ابن كثير (٢/ ٣٩٠).

(٤) المرجع السابق.

قلت: وفيه إثبات المحبة[١].

قال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾ [التوبة: ١١٣].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

أي ما ينبغي لهم ذلك. وهو خبر بمعنى النهي[٢] والظاهر أن هذه الآية نزلت في أبي طالب[٣]. فإن الإتيان بالفاء المفيدة للترتيب في قوله: «فأنزل الله» بعد قوله: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» يفيد ذلك[٤].

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ١٦٣، ١٦٤.

(٢) الخبر في الأصل يأتي لإفادة المخاطب ما كان يجهله، وقد يأتي لأغراض أخرى:
منها: الأمر، كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣].
ومنها: النهي كما في المثال أعلاه.
للاستزادة انظر: الإتقان (٥/ ١٦٨٩).

(٣) أبو طالب هو عبد مناف بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف، عم الرسول ﷺ ووالد علي رضي الله عنه، كفل النبي ﷺ وعمره تسع سنين بعد موت جده وناصره بعد بعثته ﷺ، كان النبي ﷺ حريصاً على هدايته، ولكن لم يشأ الله له الدخول في الإسلام مع علمه بصدق الرسول ﷺ وصحة ما يدعو إليه، وفي ذلك يقول:

ودعوتني وعلمتُ أنك ناصحي ... فلقد صدقتَ وكنت قبل أمينا
وعرضتَ ديناً قد علمتُ بأنه ... مِنْ خيرِ أديان البرية دينا
لولا الملامة أو حذار مسبة ... لرأيتني سمحاً بذاك مبينا

وكان قد منعه من الإسلام خشية أن يعيره قومه بترك دينه، ويزعم الرافضة أن أبا طالب كان قد أسلم، ولابن النعمان المفيد الرافضي رسالة سماها «إيمان أبي طالب». توفي قبل الهجرة بثلاث سنوات.
انظر: البداية والنهاية (٣/ ١٢٢)، الأعلام (٤/ ١٦٦).

(٤) يشير الشيخ –رحمه الله– إلى الحديث الذي ذكره الشيخ محمد بن عبدالوهاب –رحمه الله– عن ابن المسيب عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة جاءه رسول الله ﷺ، وعنده عبدالله بن أبي أمية وأبو جهل. فقال له: يا عم، قل: لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله. فقالا له: أترغب =

وقد ذكر العلماء لنزول هذه الآية أسباباً أخر[١]، فلا منافاة لأن أسباب النزول قد تتعدد[٢].

وفيه: تحريم الاستغفار للمشركين وموالاتهم ومحبتهم؛ لأنه إذا حرم الاستغفار لهم فموالاتهم ومحبتهم أولى[٣].

قال تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ﴾ هذا خطاب من الله تعالى للعرب في قول الجمهور[٤]، وهذا على جهة تعديده نعمه عليهم، إذ جاءهم بلسانهم، وبما يفهمونه من الأغراض والفصاحة، وشرفوا به أبد الآبدين.

= عن ملة عبدالمطلب؟ فأعاد عليه النبي ﷺ، فأعادا. فكان آخر ما قال: هو على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله. فقال النبي ﷺ: «لأستغفرن لك ما لم أنه عنك» فأنزل الله عز وجل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓاْ أُوْلِي قُرْبَىٰ﴾ الآية. وأنزل الله في أبي طالب: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾. كتاب التوحيد «فتح المجيد» باب: إنك لا تهدي من أحببت (١٨٤).

والحديث رواه البخاري، كتاب الجنائز، باب إذا قال المشرك عند الموت: لا إله إلا الله (٢/ ٩٨)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الدليل على صحة إسلام من حضر الموت (١/ ١٧٢).

(١) من ذلك ما ذكر ابن جرير وغيره: أنها نزلت لما أراد الرسول ﷺ أن يستغفر لأمه فنهاه الله تعالى.
وقيل: بل نزلت لما أراد بعض المؤمنين أن يستغفروا لموتاهم من المشركين.
انظر: الطبري (١٤/ ٥٠٩-٥١٣)، أسباب النزول للواحدي (٢٦٦-٢٦٨)، زاد المسير (٣/ ٥٠٧-٥٠٨)، الدر المنثور (٤/ ٣٠٠-٣٠٥).

(٢) انظر ذلك في:
الفتاوى (١٣/ ٣٣٨-٣٤٠)، البرهان في علوم القرآن (١/ ٢٩-٣٢).

(٣) فتح المجيد، ص ١٨٦.

(٤) وذهب بعض المفسرين إلى أن الخطاب للبشر جميعاً، ويكون المراد: بعثنا إليكم رسولًا من =

وقوله: ﴿رَسُولٌ﴾ أي رسول عظيم أرسله الله إليكم ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ أي ترجعون معه إلى نفس واحدة، لأنه وأنتم من أب قريب، كما قال تعالى عن إبراهيم عليه السلام أنه قال: ﴿رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[١].

وذلك أقرب وأسرع إلى فهم الحجة، وأبعد من المحك[٢] واللجاجة[٣]، «وهذا يقتضي مدحاً لنسب النبي ﷺ، وأنه من صميم العرب»[٤].

قال جعفر بن محمد[٥] في قوله: ﴿مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾ قال: «لم يصبه شيء من ولادة الجاهلية»[٦].

= البشر لأنكم لا تطيقون الأخذ عن المَلَك.
انظر: معاني القرآن للزجاج (٢/ ٤٧٧)، زاد المسير (٣/ ٥٢١)، الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح (١/ ٤٤٠). وقرأ ابن عباس وأبو العالية والضحاك وابن محيصن ومحبوب عن أبي عمرو بفتح الفاء (أنفَسكم) من النفاسة، والمعنى على هذه القراءة: أفضلكم وأشرفكم وأكثركم طاعة.
انظر: البغوي (٤/ ١١٥)، زاد المسير (٣/ ٥٢١)، البحر المحيط (٥/ ١٢١).

(١) البقرة: ١٢٩.

(٢) المحك: قال في اللسان (محك) (١٠/ ٤٨٦): «المحَك: المُشارَّة والمنازعة في الكلام، والمَحْك: التمادي في اللَّجاجة عند المساومة والغضب ونحو ذلك». ا.هـ.

(٣) أبعد من اللجاجة: أبعد عن الخصومة والتمادي فيها.
انظر: اللسان (لجج) (٢/ ٣٥٣).

(٤) المحرر الوجيز (٣/ ١٠٠).

(٥) جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، المسمى بجعفر الصادق رضي الله عنه، أمه هي أم فروة بنت القاسم بن محمد بن أبي بكر، كان يغضب من الرافضة إذا تعرضوا لجده أبي بكر رضي الله عنه، ولد سنة ٨٠هـ ورأى بعض الصحابة، روى عن أبيه محمد الباقر وعروة وعطاء وغيرهم، وعنه ابنه موسى الكاظم وأبو حنيفة وسفيان وغيرهم، من أجلة آل البيت وأفاضل التابعين، أخرج له الستة إلا البخاري ففي الأدب، توفي عام ١٤٨هـ.
انظر: التاريخ الكبير البخاري (٢/ ١٩٨)، حلية الأولياء (٣/ ١٩٢)، سير أعلام النبلاء (٦/ ٢٥٥).

(٦) رواه ابن جرير بزيادة في آخره، ورواه أيضاً عن جعفر بن محمد عن أبيه بنحوه.
انظر: (١٤/ ٥٨٥).
ومعناه: أن نسبه ﷺ إلى آدم لم يكن النسل فيه إلا من نكاح، لا من سفاح أو شيء من أنكحة =

وقولـه: ﴿عَزِيزٌ عَلَيۡهِ﴾ أي شـديد عليه جداً ما عنتم، أي عنتكم وهو لحاق الأذى الذي يضيق به الصدر، ولا يهتدي للمخرج، وهي هنا لفظ عام، أي ما شق عليكم من كفر وضلال وقتل وأسر وامتحان بسبب الحق[١].

و﴿مَا﴾ مصدرية وهي مبتدأ، ﴿عَزِيزٌ﴾ خبر مقدم، ويجوز أن يكون ﴿مَا عَنِتُّمۡ﴾ فاعلاً بـ ﴿عَزِيزٌ﴾ و(عزيز) صفة للرسول، وهذا أصوب[٢].

وقولـه: ﴿حَرِيصٌ عَلَيۡكُم﴾ أي بليـغ الحرص عليكـم، أي على نفعكم وإيمانكم وهداكم. والحرص: شدة طلب الشيء والاجتهاد فيه.

وروى الطبراني بإسـناد جيد عن أبي ذر ﵁. قال: تركنا رسول الله ﷺ وما طائر يقلب جناحيه في الهواء إلا وهو يذكر لنا منه علماً. قال: وقال: «ما بقي شيء يقرب من الجنة ويباعد من النار إلا وقد بينته لكم»[٣].

وروى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : «مثلي كمثل رجل اسـتوقد ناراً فلما أضاءت ما حولها جعل الفراش وهذه الدواب التي في النار يقعن فيها، وجعـل يحجزهن ويغلبنه فيتقحمن فيها قال: فذلك

= الجاهلية الفاسدة.
انظر: الجامع للقرطبي (٨/ ٣٠١).

(١) وخصه بعض أهل العلم بما أعنت مؤمنيكم، والصواب العموم كما رجح الشيخ رحمه الله وهو اختيار ابن جرير وابن عطية وغيرهما.
انظر: الطبري (١٤/ ٥٨٥-٥٨٦)، المحرر الوجيز (٣/ ١٠٠)، القرطبي (٨/ ٣٠٢)، البحر المحيط (٥/ ١٢١-١٢٢).

(٢) وهذا الوجه هو الذي ذكره ابن جرير، ورجحه ابن عطية، واستظهره أبو حيان.
انظر في ذلك: الطبري (١٤/ ٥٨٦)، المحرر الوجيز (٣/ ١٠٠)، البحر المحيط (٥/ ١٢١)، التبيان للعكبري (٢/ ٦٦٣).

(٣) رواه الطبراني في الكبير (١٦٤٧).
وروى أحمد الموقوف منه (٥/ ١٥٣) رقم (٢١٣٩٩).
وخرجه الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٦٣-٢٦٤)، وقال: رجال الطبراني رجال الصحيح غير محمد بن عبدالله بن يزيد المقري وهو ثقة.

مثلي ومثلكم، أنا آخذ بحجزكم عن النار هلم عن النار، هلم عن النار، فتغلبوني وتقحمون فيها»[(١)].

وقوله: ﴿بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي لا بغيرهم، كما يفيده تقديم الجار.

﴿رَءُوفٌ﴾ أي بليغ الشفقة، قال أبو عبيدة: «الرأفة أرق الرحمة»[(٢)].

﴿رَّحِيمٌ﴾ أي بليغ الرحمة، كما هو اللائق بشريف منصبه، وعظيم خلقه.

فتأمل هذه الآية وما فيها من أوصافه الكريمة ومحاسنه الجمة التي تقتضي أن ينصح لأمته، ويبلغ البلاغ المبين، ويسد الطرق الموصلة إلى الشرك، ويحمي جناب التوحيد غاية الحماية، ويبالغ أشد المبالغة في ذلك لئلا تقع الأمة في الشرك، وأعظم ذلك الفتنة بالقبور، فإن الغلو فيها هو الذي جر الناس في قديم الزمان وحديثه إلى الشرك، لا جرم فعل النبي ﷺ ذلك، وحمى جناب التوحيد حتى في قبره الذي هو أشرف القبور، حتى نهى عن جعله عيداً[(٣)]، ودعا الله أن لا يجعله وثناً يعبد[(٤)].

---

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب الانتهاء عن المعاصي (١١/ ٣١٦).
ومسلم كتاب الفضائل، باب شفقته ﷺ على أمته (٥/ ٤٤٨) واللفظ له.

(٢) مجاز القرآن (١/ ٢٧٠).

(٣) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم قبوراً ولا تجعلوا قبري عيداً، وصلوا عليّ فإن صلاتكم تبلغني حيث كنتم» رواه أحمد (٢/ ٣٦٧) رقم (٨٧٩٠)، وأبو داود، كتاب المناسك، باب زيارة القبور (١/ ٦٢٢) وصححه النووي وحسنه شيخ الإسلام ابن تيمية، والشيخ محمد بن عبدالوهاب.
انظر: الأذكار (١٥٤)، اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٦٥٤)، تيسير العزيز الحميد (٣٠٤).
ولقد زعم بعض من تكلم على الحديث: أن هذا أمر بملازمة قبره، والعكوف عليه، ونهى أن يجعل كالعيد الذي إنما يكون في العام مرة أو مرتين. هذا التأويل للحديث مراغمة ومحادة ومناقضة لما قصده رسول الله ﷺ فنعوذ بالله من الزيغ والضلال.
انظر: تيسير العزيز الحميد (٣٠٥)، الدرر السنية (١/ ٢٧٣)، القول البديع للسخاوي (١٧٠).

(٤) عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «اللهم لا تجعل قبري وثناً يعبد، اشتد غضب الله =

وفي الآية مسائل، منها: التنبيه على هذه النعمة العظيمة، وهي إرسال الرسول ﷺ فينا، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾[١].

ومنها: كونه منّا نعمة أخرى عظيمة.

ومنها: كونه بهذه الصفات نعم متعددة.

ومنها: مدح نسبه ﷺ، فهو أشرف العرب بيتاً ونسباً.

ومنها: رأفته بالمؤمنين.

ومنها: غلظته على الكفار والمنافقين[٢].

= على أقوام اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد».
رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٢٤٦) رقم (٧٣٥٢)، والحميدي رقم (١٠٢٥)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٢٨٣)، وصححه ابن عبدالبر.
انظر: التمهيد (٥/ ٤١-٤٤).

(١) آل عمران: ١٦٤.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٠٢-٣٠٤.

قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

سئل الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

عن قوله تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ ﴾ وقال السائل: والرب تبارك وتعالى لا يخفى عليه شيء وقد قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ ﴾[٣].

فأجاب: كلا الآيتين الكريمتين على عمومهما وإطلاقهما يصدق بعضها بعضاً، فأما آية يونس ففيها الإخبار بنفي ما ادعاه المشركون، وزعموه من وجود شفيع يشفع بدون إذنه تبارك وتعالى وأن هذا لا يعلم الله وجوده لا في السموات ولا في الأرض، بل مجرد زعم وافتراء، وما لا يعلم وجوده مستحيل الوجود منفي غاية النفي.

فالآية رد على المشركين الذين تعلقوا على الشركاء والأنداد بقصد الشفاعة عند الله والتقرب إليه.

وأما آية العنكبوت ففيها إثبات علمه سبحانه لكل مدعو ومعبود من أي شيء كان، ولا يخفى عليه خافية؛ ولا يعزب عنه مثقال ذرة.

ففي الأولى نفي العلم بوجود ما لا وجود له بحال.

والثانية فيها إثبات العلم بوجود ما عبدوه ودعوه مع الله من الآلهة التي لا تضر ولا تنفع.

---

(٣) العنكبوت: ٤٢.

قال ابن جرير -رحمه الله- في الكلام على آية يونس: «يقول تعالى ذكره ويعبد هؤلاء المشركون الذين وصفت صفتهم الذي لا يضرهم شيئاً ولا ينفعهم في الدنيا ولا في الآخرة، وذلك هؤلاء الآلهة والأصنام التي كانوا يعبدونها رجاء شفاعتهم عند الله، قال تعالى لنبيه محمد ﷺ: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: أتخبرون الله بما لا يشفع في السموات ولا في الأرض، وذلك أن الآلهة لا تشفع لهم عند الله في السموات ولا في الأرض، وكان المشركون يزعمون أنها تشفع لهم عند الله، فقال الله لنبيه محمد ﷺ قل لهم: أتخبرون الله بما لا يشفع في السموات ولا في الأرض يشفع لكم فيها، وذلك باطل لا يعلم حقيقته وصحته بل يعلم أن ذلك خلاف ما تقولون، وأنها لا تشفع لأحد ولا تنفع ولا تضر»[(١)]. انتهى.

وحاصله أن النفي واقع على ما اعتقدوه وظنوه من وجود شفيع يشفع وينفع ويقرب إلى الله، وذلك الظن والاعتقاد وهم وخيال باطل لا وجود له، وبنحو ذلك قال ابن كثير حيث يقول: «ينكر تعالى على المشركين الذين عبدوا مع الله غيره ظانين أن تلك الآلهة تنفعهم شفاعتها عند الله، وأخبر أنها لا تنفع ولا تضر ولا تملك شيئاً، ولا يقع شيء مما يزعمون فيها، ولا يكون هذا أبداً؛ ولهذا قال تعالى: ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾»[(٢)]، «أي أتخبرونه بما لا وجود له أصلاً، وهو كون الأصنام شفعاءهم عند الله، إذ لو كان ذلك لعلمه علام الغيوب، وفيه تقريع لهم وتهكم بهم، وبما يدعون من المحال الذي لا يكاد يدخل تحت الصحة

---

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٤٦-٤٧).

(٢) تفسير ابن كثير (٢/ ٤١١).

والإمكان؛ وقوله: ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ﴾ حال من العائد المحذوف في يعلم مؤكدة للنفي ؛لأن ما لا يوجد فيها فهو منتف عادة»[١]. انتهى.

وقال العلامة ابن القيم -رحمه الله- على هذه الآية: «هذا نفي لما ادعاه المشركون من الشفعاء بنفي[٢] علم الرب تعالى بهم المستلزم لنفي المعلوم ولا يمكن أعداء الله المكابرة، وأن يقولوا قد علم الله وجود ذلك؛ لأنه تعالى إنما يعلم وجود ما أوجده وكوَّنه ويعلم أن سيوجد ما يريد إيجاده، فهو يعلم نفسه وصفاته، ومخلوقاته التي دخلت في الوجود وانقطعت، والتي دخلت في الوجود وبقيت، والتي لم توجد بعد، وأما وجود شيء آخر غير مخلوق له ولا مربوب، فالرب تعالى لا يعلمه؛ لأنه مستحيل في نفسه، فهو سبحانه يعلمه مستحيلاً لا يعلمه واقعاً، ولو علمه واقعاً لكان العلم به عين الجهل، وذلك من أعظم المحال، فكذلك حجج الرب تبارك وتعالى على بطلان ما نسبه إليه أعداؤه المفترون[٣] التي هي كالضريع الذي لا يسمن ولا يغني من جوع، فإذا وازنت بينهما ظهرت لك المفاضلة إن كنت بصيراً، ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا﴾[٤]»[٥]. انتهى[٦].

---

(١) من كلام أبي السعود -رحمه الله- في تفسيره (٤/ ١٣٢)، وقد سقط التصريح باسم أبي السعود في الدرر، وجاء مصرحاً به في مجموعة الرسائل (٣/ ٩٦).
وانظر أيضاً: البيضاوي (١/ ٤٣١)، البحر المحيط (٥/ ١٣٨).

(٢) في الأصل: كنفي، والصواب المثبت من بدائع الفوائد (٤/ ١٥٥).

(٣) في الكلام سقط وهو في بدائع الفوائد كما يلي:
«فهذه حجج الرب تبارك وتعالى على بطلان ما نسبه إليه أعداؤه المفترون عليه فوازن بينها وبين حجج المتكلمين الطويلة العريضة التي هي كالضريع ...» (٤/ ١٥٥).

(٤) الإسراء: ٧٢.

(٥) بدائع الفوائد (٤/ ١٥٥).

(٦) الدرر السنية (١٠/ ٩٣، ٩٤).

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾﴾ [يونس: ٥٧-٥٨].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ﴾ «يعني قد جاءكم كتاب جامع للحكمة العملية والنظرية.

أما الحكمة العملية: فهي الكاشفة عن محاسن الأعمال وقبائحها، والمرغبة في المحاسن والفضائل، والزاجرة عن القبائح والرذائل.

وأما الحكمة النظرية: فهي الشفاء لما في الصدور من الشكوك وسوء الاعتقاد، وهدى إلى الحق واليقين والرشاد، ورحمة للمؤمنين نجوا بها من دركات العذاب، وفازوا بها يوم الحساب.

أو يقال: خرجوا بها من ظلمات الضلال إلى نور الإيمان، وتبدلت مقاعدهم من طبقات النيران بمصاعد من درجات الجنان»[(١)].

﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ﴾ يعني الإسلام ﴿وَبِرَحْمَتِهِ﴾ يعني القرآن، هكذا قال مقاتل بن حيان[(٢)].

---

(١) أنوار التنزيل (١/ ٤٣٩) بتصرف.

(٢) لم أجده عن مقاتل، وقد روي هذا التفسير عن جماعة من السلف منهم أبو سعيد الخدري، وابن عباس في رواية علي بن أبي طلحة وهلال بن يساف وقتادة والحسن واختاره ابن جرير وغيره.
انظر: الطبري (١٥/ ١٠٥-١٠٧)، زاد المسير (٤/ ٤٠-٤١)، الدر المنثور (٤/ ٣٦٧).

وروي عن ابن عباس[١]، وأبي سعيد الخدري[٢]، والضحاك[٣]، ومجاهد[٤]، أنهم قالوا: ﴿بِفَضْلِ ٱللَّهِ﴾ : القرآن، ﴿وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾: الإسلام.

قال غير واحد: ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أي بالقرآن والإيمان[٥]، ﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾ وما يقتنيه من الحطام كل إنسان[٦].

قال تعالى: ﴿ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ [يونس: ٦٦].

سئل الشيخ: عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله عن قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ ۚ﴾ الآية.

فأجاب: قد أشكل معناها على كثير من المفسرين، فزعموا أن المعنى

---

(١) أخرجه ابن جرير من رواية العوفي عن ابن عباس (١٥/ ١٠٨).

(٢) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٠).

(٣) رواه ابن جرير من طريق جويبر عن الضحاك (١٥/ ١٠٨).

(٤) أخرج ابن جرير عن ابن أبي نجيح عن مجاهد ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ﴾ قال: القرآن (١٥/ ١٠٧).
وقد مال جمع من المفسرين إلى عموم الآية دون تخصيصها بنوع دون آخر من أنواع الفضل والرحمة. قال ابن عطية بعد أن ذكر الأقوال: ولا وجه عندي لشيء من هذا التخصيص إلا أن يستند منه شيء إلى النبي ﷺ، وإنما الذي يقتضيه اللفظ ويلزم منه أن (الفضل) هو هداية الله تعالى إلى دينه، والتوفيق إلى اتباع الشرع، و(الرحمة) هي عفوه وسكنى جنته التي جعلها جزاء على التشرع بالإسلام والإيمان به» .ا.هـ. المحرر الوجيز (٣/ ١٢٦).
وقال أبو حيان بعد ذكر الأقوال: وهذه تخصيصات تحتاج إلى دلائل، وينبغي أن يعتقد أنها تمثيلات. ا.هـ. البحر المحيط (٥/ ١٦٩).
وقال ابن كثير رحمه الله: ﴿ قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾ أي بهذا الذي جاءهم من الله من الهدى ودين الحق فليفرحوا. ا.هـ. تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٢١).

(٥) انظر: الطبري (١٥/ ١٠٧).

(٦) العقد الثمين، ص ٢٣٥-٢٣٦.

نفي اتباعهم شركاء، فجعلوا (ما) نافية و(شركاء) مفعول (يتبع) أي لم يتبعوا في الحقيقة شـركاء بل هم عبـاد مخلوقون مربوبون، واللـه هو الإله الحق لا شـريك له[١]، وأما ابن جرير -رحمه الله- فقـرر أن (ما) في هذا المحل استفهامية لا نافية قال رحمه الله: «ومعنى الكلام أي شيء يتبع من يقول لله شركاء في سلطانه وملكه كاذباً، والله المتفرد بملك كل شيء في سماء كان أو أرض ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ يقول: مـا يتبعون في قيلهم ذلك إلا الظن يقول: إلا الشك لا اليقين ﴿وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾»[٢]. انتهى.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «ظن طائفة أن (ما) هاهنا نافية، وقالوا: ما يدعون من دون الله شـركاء في الحقيقة بل هم غير شركاء، وهذا خطأ ولكن (ما) هاهنا حرف استفهام، والمعنى وأي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شـركاء مـا ﴿يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ﴾ فـ(شـركاء) مفعول (يدعون) لا مفعـول (يتبع) فإن المشـركين يدعون من دون الله شـركاء كما أخبر عنهم بذلك في غير موضع، فالشركاء موصوفون في القـرآن بأنهم يدعون من دون الله، ولم يوصفـوا بأنهم يتبعون فإنما يتبع الأئمـة[٣] ولهذا قال بعدها: ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ ولو أراد أنهم ما يتبعون في الحقيقة شـركاء لقال: إن يتبعون إلا من ليسـوا بشـركاء، بل هو

---

(١) انظر: زاد المسير (٤/ ٤٥).
ومن المفسرين من جوز الوجهين: أن تكون (ما) نافية، أو أن تكون استفهامية كالزمخشري (٢/ ١٩٦)، والبيضاوي (١/ ٤٤١).
وأما ابن عطية (٣/ ١٣٠) فمع تصحيحه للوجهين إلا أنه قال عن الأول: وفي هذا الوجه عندي تكلف.

(٢) الطبري (١٥/ ١٤٣).

(٣) في الأصل: فإنما يتبع الأئمة الذين كانوا يدعون هذه الآية، ولهذا قال بعدها ... إلخ.
وليست هذه الجملة موجودة في كلام شيخ الإسلام رحمه الله.
انظر: الفتاوى (١٥/ ٦١).

استفهام بين أن المشركين الذين دعوا من دون الله شركاء ما اتبعوا إلا الظن، ما اتبعوا علماً، فإن المشرك لا يكون معه علم مطابق وهو فيه ما يتبع إلا الظن وهو الخرص والحزر، وهو كذب وافتراء كقوله: ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾[1]»[2][3].

قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِنْ أَعْبُدُ ٱللَّهَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٤﴾ وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ [يونس: ١٠٤-١٠٥].

قال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

أمر نبيه أن يقول للناس: إن شككتم في ديني الذي أنا عليه فأنا بريء من دينكم، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم، ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم فمن قال مثل ذلك للمشركين لم تجب عليه الهجرة، وليس المراد بإظهار الدين أن يترك الإنسان يصلي ولا يقال له: اعبد الأوثان[4] فإن اليهود والنصارى لا ينهون من صلى في بلدانهم

(١) الذاريات: ١٠.
(٢) الفتاوى (١٥/ ٦١).
(٣) الدرر السنية (١٠/ ٩٥).
(٤) انظر الدرر السنية (٩/ ٣٨٨).

ولا يكرهون الناس على أنهم يعبدون الأوثان، فعلى قول هؤلاء الجهلة[١] لا تجب الهجرة على أحد ويبطل حكمها[٢].

والمقصود أن إظهار الدين هو التصريح للكفار بالعداوة كما احتج خالد بن الوليد على مُجَّاعة بأنه سكت ولم يظهر البراءة كما أظهرها ثمامة واليشكري - والقصة معروفة في السير[٣]- فلما لم يحصل التصريح للمشركين بالبراءة منهم ومن دينهم لم يكن إظهار الدين حاصلاً[٤].

قال تعالى: ﴿وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠٦﴾ وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾﴾ [يونس: ١٠٦-١٠٧].

---

(١) يقصد الشيخ -رحمه الله- الذين يجوزون البقاء في البلد الذي يستولي عليه المشركون ويظهر فيه الشرك وهو لا يتمكن من إنكاره ولا إظهار العداوة للمشركين.
انظر: مجموعة رسائل ابن عتيق (٤٦-٤٧).

(٢) ذكر الشيخ حمد -رحمه الله- ما عليه أئمة الدعوة في مسألة الهجرة فقال:
لا يخلو من أقام في بلاد المشركين من ثلاثة أقسام:
الأول: أن يقيم عندهم رغبة واختياراً لصحبتهم فيرضى ما هم عليه من الدين أو يمدحه أو يعينهم على المسلمين أو نحو ذلك فهذا كافر.
الثاني: أن يقيم عندهم لأجل مال أو ولد، وهو لا يظهر دينه مع قدرته على الهجرة وهو لا يعين المشركين على المسلمين ولا يواليهم، فهذا لا يكفر، ولكنه عاصٍ لله ورسوله ﷺ بترك الهجرة.
الثالث: من لا حرج عليه في الإقامة بين أظهرهم، وهو نوعان:
أحدهما: أن يظهر دينه ويتبرأ من المشركين ويصرح لهم بالعداوة وأنهم ليسوا على حق.
ثانيهما: أن يقيم عندهم مستضعفاً، لا يقوى على الخروج منهم.
انظر: مجموعة رسائل ابن عتيق - رسالة الدفاع عن أهل السنة والاتباع، ص ٤٩-٥٥.

(٣) انظر: القصة مع التراجم والمراجع فيما سيأتي من أقوالهم في تفسير سورة الكافرون.

(٤) مجموعة رسائل ابن عتيق، ص ٥٤، رسالة الدفاع عن أهل السنة والاتباع.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن عطية: «معنـــاه قيل لي: ولا تدع: فهو عطــف على ﴿أَقِمْ﴾[٥]، وهذا الأمر والمخاطبة للنبـــي ﷺ إذا كانت هكذا، فأحرى أن يحذر من ذلك غيره»[٦].

وقال غيره: «فإن فعلت؛ معناه: فإن دعوت من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك، فكنَّى عنه بالفعل ﴿فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ إذاً: جزاء للشرط وجواب لسؤال مقدر، كأن سائلاً ســأل عن تبعة عبادة الأوثان، وجعل من الظالمين؛ لأنه لا ظلم أعظم من الشرك ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[٧]»[٨].

قلت: حاصل كلام المفســرين[٩] أن الله تعالى نهى رسوله ﷺ أن يدعو من دونه ما لا ينفعه ولا يضره، والمراد به كل ما ســوى الله، فإنهم لا ينفعون ولا يضرون وســواء في ذلك الأنبياء والصالحون وغيرهــم كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ ٱلْمَسَٰجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُواْ مَعَ ٱللَّهِ أَحَدًا﴾[١٠]، وقال النبي ﷺ لابن عباس: «إذا سألت فاســأل الله وإذا استعنت فاســتعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشــيء لم ينفعوك إلا بشــيء قد كتبه الله لك، وإن اجتمعوا على أن يضروك بشــيء لم يضروك إلا بشــيء قد كتبه الله عليك»[١١] رواه الترمذي، وقال: حسن صحيح.

---

(٥) في قوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يونس: ١٠٥].

(٦) المحرر الوجيز (٣/ ١٤٧).

(٧) لقمان: ١٣.

(٨) الكشاف (٢/ ٢٠٥).

(٩) انظر في ذلك مثلًا: الطبري (١٥/ ٢١٨-٢١٩)، معالم التنزيل (٤/ ١٥٥)، القرطبي (٨/ ٣٨٨).

(١٠) الجن: ١٨.

(١١) سبق تخريجه.

وفي الآية تنبيه على أن المدعو لابد أن يكون مالكاً للنفع والضرر حتى يعطي من دعاه أو يبطش بمن عصاه، وليس ذلك إلا لله وحده، فتعين أن يكون هو المدعو دون ما سواه، والآية شاملة لنوعي الدعاء[١]. وقوله: ﴿فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أي المشركين، وهذا كقوله: ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾[٣]، وقوله في الأنبياء: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾[٤]، فإذا كان هذا الأمر لو يصدر من الأنبياء -وحاشاهم من ذلك- لم يفكوا أنفسهم من عذاب الله، فما ظنك بغيرهم، فلم يبق شيء يقرب إلى الله ويباعد من سخطه إلا توحيده والعمل بما يرضاه، لا الاعتماد على شخص أو قبر أو صنم أو وثن أو مال أو غير ذلك من الأسباب ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[٥]، والآية نص في أن دعاء غير الله والاستغاثة به شرك أكبر، ولهذا قال: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا

---

(١) الدعاء نوعان:
الأول: دعاء العبادة.
الثاني: دعاء المسألة.
أما الأول: فهو التوجه إلى الله تعالى بأنواع الطاعات والقربات.
وأما الثاني: فهو سؤال الله الحاجات من غفران الذنوب وتفريج الكروب وتوسيع الأرزاق، ونحو ذلك. والنوعان متلازمان فالعابد سائل، والسائل عابد، وإجابة الأول بإثابته على عبادته، وإجابة الثاني بإعطائه سؤله.
راجع: تفسير قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾.
وانظر: الفتاوى (١/ ٦٩).

(٢) الشعراء: ٢١٣.

(٣) الزمر: ٦٥.

(٤) الأنعام: ٨٨.

(٥) المؤمنون: ١١٧.

﴿كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ لأنه المتفرد بالملك والقهر والعطاء والمنع، ولازم ذلك إفراده بتوحيد الإلهية لأنهما متلازمان، وإفراده بسؤال كشف الضر وجلب الخير؛ لأنه لا يكشف الضر إلا هو، ولا يجلب الخير إلا هو ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[1].

فتعين ألّا يدعى لذلك إلا هو، وبطل دعاء من سواه ممن لا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً فضلاً عن غيره.

وهذا ضد ما عليه عباد القبور؛ فإنهم يعتقدون أن الأولياء والطواغيت الذين يسمونهم (المجاذيب)[2] ينفعون ويضرون ويمسون بالضر ويكشفونه، وأن لهم التصرف المطلق في الملك، أي على سبيل الكرامة، وهذا فوق شرك كفار العرب، وإما على سبيل الوساطة بينهم وبين الله بالشفاعة وهذا شرك الذين قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[3].

وفي الآية دليل على أن أصلح الناس لو يفعله إرضاء لغيره صار من الظالمين. ذكره المصنف[4].

---

(١) فاطر: ٢.

(٢) المجاذيب: جمع مجذوب، وهو اصطلاح عند الصوفية، والذي يبدو أن معناه مسلوب الإرادة، والمقصود به: أولئك المعتوهون والحمقى الذين يسيرون في الطرقات دون اتزان ويغلب عليهم إهمال أنفسهم من جهة النظافة والهيئة، دون التزام وحرص على ما أمر الله به من التقوى والعبادة. وقد حشيت كتب الصوفية –مثل طبقات الشعراني– بالقصص عن مثل هؤلاء ووصفهم بالولاية.
انظر: موقف ابن تيمية من التصوف والصوفية، د. أحمد محمد بناني (٢٤١-٢٤٥).
وانظر: ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية من أحوال عباد القبور، وكيف لبس عليهم الشيطان فصرفوا أنواع العبادة إلى من يزعمون أنهم أولياء وقد يكونون خلاف ذلك في حقيقة الأمر.
انظر: ذلك في رده على ابن البكري في مسألة الاستغاثة ص ٣٠٧، وقد نقل أجزاء كثيرة منه الشيخ عبدالله بن محمد –رحمهما الله. الدرر السنية (٨/ ١٤١) وما بعدها.

(٣) الزمر: ٣.

(٤) كتاب التوحيد (٣٤).

وقوله: ﴿يُصِيبُ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ﴾ فلا يرده عنه راد؛ لأنه العزيز الذي لا يغالب ولا يمانع ولا راد لقضائه، ولا معقب لحكمه، فأي فائدة في دعاء غيره لشفاعة أو غيرها؟ فإنه تعالى فعال لما يريد، لا يغنيه عنه شفيع ولا غيره، بل لا يتكلم أحد عنده إلا بإذنه، ولا يشفع أحد إلا بإذنه: ﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِيّٖ وَلَا شَفِيعٍۚ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾[1].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ أي لمن تاب إليه وأقبل عليه حتى ولو كان من الشرك[2].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال ابن عطية: «معناه قيل لي ﴿وَلَا تَدۡعُ﴾ فهو عطف على ﴿أَقِمۡ﴾ وهذا الأمر والمخاطبة للنبي صلى الله عليه وسلم. إذا كانت هكذا فأحرى أن يحذر من ذلك غيره»[3].

والخطاب خرج مخرج الخصوص وهو عام للأمة.

قال أبو جعفر بن جرير في هذه الآية: «يقول تعالى ذكره: ولا تدع يا محمد من دون معبودك وخالقك شيئاً لا ينفعك في الدنيا ولا في الآخرة، ولا يضرك في دين ولا دنيا يعني بذلك الآلهة والأصنام، يقول: لا تعبدها راجياً نفعها أو خائفاً ضرها فإنها لا تنفع ولا تضر، فإن فعلت ذلك فدعوتها من دون الله ﴿فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يقول من المشركين بالله الظالم لنفسه»[4].

(١) السجدة: ٤.
(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٠٠-٢٠٣.
(٣) المحرر الوجيز (٣/ ١٤٧).
(٤) جامع البيان (١٥/ ٢١٨-٢١٩).

قلت: وهذه الآية لها نظائر كقوله ﴿ فَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْمُعَذَّبِينَ ﴾[١]، وقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾[٢]، ففي هذه الآيات بيان أن كل مدعو يكون إلهاً[٣]، والإلهية حق لله لا يصلح منها شيء لغيره. ولهذا قال: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ كما قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾[٤].

وهذا هو التوحيد الذي بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه؛ كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٥]، والدين: كل ما يدان الله به من العبادات الظاهرة والباطنة[٦]، وفسره ابن جرير بالدعاء، وهو فرد من أفراد العبادة[٧]، على عادة السلف في التفسير، يفسرون الآية ببعض أفراد معناها[٨].

فمن صرف منها شيئاً لقبر أو صنم أو وثن أو غير ذلك فقد اتخذه معبوداً، وجعله شريكاً لله في الإلهية التي لا يستحقها إلا هو، كما قال تعالى: ﴿ وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾[٩] فتبين بهذه الآية ونحوها أن دعوة غير الله كفر وشرك وضلال.

---

(١) الشعراء: ٢١٣.

(٢) القصص: ٨٨.

(٣) لأن الإله هو المألوه أي: المعبود، والدعاء عبادة.

(٤) الحج: ٦٢.

(٥) البينة: ٥.

(٦) انظر: العبودية لشيخ الإسلام ابن تيمية (٤٣).

(٧) انظر: الطبري (١٥/ ٥١).

(٨) للاستزادة راجع: المسألة بالتفصيل مع الأمثلة في الفتاوى – مقدمة التفسير (١٣/ ٣٣٣-٣٣٧)

(٩) المؤمنون: ١١٨

وقوله: ﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِۦ ۚ﴾ فإنه المنفرد بالملك والقهر، والعطاء والمنع، والضر والنفع، دون كل ما سواه، فيلزم من ذلك أن يكون هو المدعو وحده، المعبود وحده، فإن العبادة لا تصلح إلا لمالك الضر والنفع.

وقوله تعالى: ﴿قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾[1] وقال: ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾[2]، فهذا ما أخبر الله تعالى في كتابه من تفرده بالإلهية والربوبية، ونصب الأدلة على ذلك فاعتقد عباد القبور والمشاهد نقيض ما أخبر به الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في استجلاب المنافع ودفع المكاره، بسؤالهم والالتجاء إليهم بالرغبة والرهبة والتضرع، وغير ذلك من العبادات التي لا يستحقها إلا الله تعالى، واتخذوهم شركاء لله في ربوبيته وإلهيته.

وهذا فوق شرك كفار العرب القائلين ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾[3]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[4]، فإن أولئك يدعونهم؛ ليشفعوا لهم ويقربوهم إلى الله، وكانوا يقولون في تلبيتهم: لبيك، لا شريك لك لبيك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[5] وأما هؤلاء المشركون فاعتقدوا في أهل القبور والمشاهد ما هو أعظم من ذلك فجعلوا لهم نصيباً من التصرف

(١) الزمر: ٣٨

(٢) فاطر: ٢

(٣) الزمر: ٣.

(٤) يونس: ١٨.

(٥) رواه الإمام مسلم، كتاب الحج، باب التلبية وصفتها (٨/ ٢٦٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

والتدبير، وجعلوهم معاذاً لهم وملاذاً في الرغبات والرهبات [١] ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾[٢].

وقوله: ﴿وَهُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴾ أي لمن تاب إليه[٣].

وقال رحمه الله أيضاً:

في هذه الآية النهي عن أن يدعى أحد من دونـــه تعالى، وأخبر تعالى أن غيره لا يضر ولا ينفع.

قوله: ﴿فَإِن فَعَلۡتَ فَإِنَّكَ إِذٗا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ والظلم في الآية هو الشــرك كما قال تعالى عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾[٤].

قولـــه: ﴿وَإِن يَمۡسَسۡكَ ٱللَّهُ بِضُرّٖ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ﴾ هـــذا في حق المستغيث، أخبر تعالى أنه لا يكشف ضره إلا الله وحده دون ما سواه مطلقاً وقوله: ﴿وَإِن يُرِدۡكَ بِخَيۡرٖ فَلَا رَآدَّ لِفَضۡلِهِۦ﴾ وهذا في حق كل طالب وراغب أخبر تعالى أنه هو الذي يتفضل على من ســأله، ولا يقدر أحد أن يمنعه شيئاً من فضـــل الله عليه، فهو المعطـــي والمانع، لا مانع لمـــا أعطى، ولا معطي لما منع، وفي هذا المعنى ما في حديث ابن عبـــاس وفيه «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله عليك»[٥].

---

(١) الشرك من حيث تعلقه بأنواع التوحيد نوعان:
الأول: شرك في الربوبية بأن يجعل مع الله تعالى شريكاً في الخلق أو التدبير أو النفع أو الضر.
الثاني: شرك في الإلهية وذلك بأن يصرف نوعاً من أنواع العبادة لغير الله، وهذا شرك كفار العرب.
انظر في ذلك: اقتضاء الصراط المستقيم (٢/ ٧٠٣).

(٢) الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣.

(٣) فتح المجيد، ص ١٤٨-١٥٠

(٤) لقمان: ١٣

(٥) سبق تخريجه.

فمن تدبر هذه الآية وما في معناها علم أن ما وقع فيه الأكثر من دعوة غير الله هو الظلم العظيم، والشرك الذي لا يغفره الله، وأنهم قد أثبتوا ما نفته «لا إله إلا الله» من الشرك في الإلهية، ونفوا ما أثبتته من الإخلاص كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[1] والدين هو طاعة الله فيما أمر به وشرعه، ونهى عنه وحرمه، وأعظم ما أمر به التوحيد والإخلاص وأن لا يقصد العبد بشيء من عمله سوى الله تعالى الذي خلقه لعبادته، وأرسل بذلك رسله وأنزل به كتبه ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةُۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾[2]، وأعظم ما نهى عنه الشرك به في ربوبيته وإلهيته[3].

---

(١) الزمر: ٢-٣.

(٢) النساء: ١٦٥

(٣) قرة عيون الموحدين (٩١-٩٢).

قال تعالـى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَٰلَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ۝١٥ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُ ۖ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۝١٦﴾ [هود: ١٥-١٦].

قال الشيخ: سليمان بن عبدالله ﷫:

قال ابـن عبـاس: «﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا﴾ أي: ثوابها ﴿وَزِينَتَهَا﴾ أي: مالها ﴿نُوَفِّ إِلَيْهِمْ﴾: نوفر لهم ثواب أعمالهم بالصحة والسـرور في الأهل والمال والولد، ﴿وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ﴾ لا ينقصون، ثم نسـختها ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾[(١)] الآية» رواه النحاس في ناسخه[(٢)].

وقوله: «ثم نسـختها» أي قيدتها أو خصصتها، فإن السلف كانوا يسمون التقييد والتخصيص نسخاً[(٣)]، وإلا فالآية محكمة. وقال الضحاك: «من عمل صالحاً من أهـل الإيمان من غير تقوى؛ عجل له ثـواب عمله في الدنيا»[(٤)].

---

(١) الإسراء: ١٨

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس (٢١٠)
وانظر: الدر المنثور (٤/ ٤٠٦).

(٣) انظر: ما سبق في بيان معنى النسخ عند السلف في تفسير قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، ووجه النسخ هنا: أن الآية الثانية خصت توفية أعمال من أرادوا الحياة الدنيا بأعمالهم فيها بمن شاء الله.

(٤) لم أجد الأثر بهذا اللفظ: والذي رواه الطبري عن الضحاك قال: من أهل الشرك (١٥/ ٢٦٥)، وقد ذكر ابن الجوزي في زاد المسير (٤/ ٨٤) في المراد بها أربعة أقوال:
الأول: أنها عامة في جميع الخلق، وهو قول الأكثرين.
الثاني: أنها في أهل القبلة، قاله أبو صالح عن ابن عباس.
الثالث: أنها في اليهود والنصارى، قاله أنس.
الرابع: أنها في أهل الرياء، قاله مجاهد.
وروى عطاء عن ابن عباس: من كان يريد عاجل الدنيا ولا يؤمن بالبعث والجزاء. وقال غيره: إنما هي في الكافر؛ لأن المؤمن يريد الدنيا والآخرة. ا.هـ. =

واختاره الفراء[(١)]. قال ابن القيم: «وهذا القول أرجح»[(٢)].

ومعنى الآية على هذا: من كان يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها.

وقالت طائفة: هذه الآية في حق الكفار بدليل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَيۡسَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ إِلَّا ٱلنَّارُۖ﴾ أي: أنهم لم يعملوا إلا للحياة الدنيا وزينتها.

﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ فِيهَا﴾ قال بعض المفسرين: «أي: وحبط في الآخرة ما صنعوه أو صنيعهم يعني: لم يكن لهم ثواب؛ لأنهم لم يريدوا به الآخرة، إنما أرادوا به الدنيا، وقد وفى إليهم ما أرادوا ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾ أي كان عمله في نفسه باطلاً؛ لأنه لم يعمل لوجه صحيح، والعمل الباطل لا ثواب له»[(٣)] انتهى.

فإن قيل: الآية على القول الأول تقتضي تخليد المؤمن المريد بعمله الدنيا في النار.

قيل: «إن الله سبحانه ذكر جزاء من يريد بعمله الحياة الدنيا وزينتها، وهو النار، وأخبر بحبوط عمله وبطلانه، فإذا أحبط ما ينجو به وبطل؛ لم يبق معه ما ينجيه، فإن كان معه إيمان لم يرد به الحياة الدنيا وزينتها، بل أراد به الله

= والذي يظهر -والله أعلم- أن القول الأول هو الأولى، إذ لا دليل على التخصيص، وهذا القول هو الظاهر من كلام ابن جرير رحمه الله (١٥/ ٢٦٢) وما بعدها.
وانظر: معالم التنزيل (٤/ ١٦٥-١٦٦)، المحرر الوجيز (٣/ ١٥٦)، البحر المحيط (٥/ ٢٠٩-٢١٠)، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٣٩).

(١) معاني القرآن (٢/ ٦).

(٢) عدة الصابرين وذخيرة الشاكرين (٢٠٥).

(٣) الكشاف (٢/ ٢١٠).

والدار الآخرة، لم يدخل هذا الإيمان في العمل الذي حبط وبطل، ونجاه هذا الإيمان من الخلود في النار، وإن دخلها بحبوط عمله الذي به النجاة المطلقة. فالإيمان: إيمان يمنع دخول النار، وهو الإيمان الباعث على أن تكون الأعمال لله وحده يبتغى بها وجهه وثوابه، وإيمان يمنع الخلود في النار، فإن كان مع المرائي شيء منه، وإلا كان من أهل الخلود، فالآية لها حكم نظائرها من آيات الوعيد». ذكره ابن القيم[١].

وقد سئل شيخ الإسلام المصنف[٢] عن معنى هذه الآية فأجاب بما ملخصه:

فمن ذلك: العمل الصالح[٣] الذي يفعله كثير من الناس ابتغاء وجه الله من صدقة وصلاة وإحسان إلى الناس، وترك ظلم، ونحو ذلك مما يفعله الإنسان أو يتركه خالصاً لله، لكنه لا يريد ثوابه في الآخرة، إنما يريد أن يجازيه الله بحفظ ماله وتنميته، أو حفظ أهله وعياله، أو إدامة النعم عليهم، ولا همة له في طلب الجنة، والهرب من النار، فهذا يعطى ثواب عمله في الدنيا، وليس له في الآخرة نصيب. وهذا النوع ذكره ابن عباس[٤].

النوع الثاني: وهو أكبر من الأول وأخوف، وهو الذي ذكره مجاهد في الآية أنها نزلت فيه[٥]، وهو أن يعمل أعمالاً صالحة، ونيته رياء الناس لا طلب ثواب الآخرة.

النوع الثالث: أن يعمل أعمالاً صالحة يقصد بها مالاً مثل أن يحج لمال

---

(١) عدة الصابرين (٢٠٦-٢٠٧) بتصرف يسير.
(٢) مصنف كتاب التوحيد، الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله.
(٣) هذا هو النوع الأول كما عدها الشيخ رحمه الله.
(٤) رواه ابن جرير (١٥/ ٢٦٣)، وعزاه السيوطي (٤/ ٤٠٧) أيضاً لابن أبي حاتم.
(٥) رواه ابن جرير (١٥/ ٢٦٤)، وانظر: ابن كثير (٢/ ٤٣٩)، والدر المنثور (٤/ ٤٠٧).

يأخذه لا لله، أو يهاجر لدنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها، أو يجاهد لأجل الغنم، فقد ذُكر أيضاً هذا النوع في تفسير هذه الآية[١].

وكما يتعلم الرجل لأجل مدرسة أهله أو مكتبهم أو رياستهم، أو يتعلم القرآن ويواظب على الصلاة لأجل وظيفة المسجد، كما هو واقعٌ كثيراً، وهؤلاء أعقل من الذين قبلهم، لأنهم عملوا لمصلحة يحصلونها، والذين قبلهم عملوا من أجل المدح والجلالة في أعين الناس، ولا يحصل لهم طائل، والنوع الأول أعقل من هؤلاء لأنهم عملوا لله وحده لا شريك له، لكن لم يطلبوا منه الخير الكثير الدائم وهو الجنة، ولم يهربوا من الشر العظيم وهو النار.

النوع الرابع: أن يعمل بطاعة الله مخلصاً في ذلك لله وحده لا شريك له، ولكنه على عمل يكفره كفراً يخرجه عن الإسلام مثل اليهود والنصارى إذا عبدوا الله أو تصدقوا أو صاموا ابتغاء وجه الله والدار الآخرة، ومثل كثير من هذه الأمة الذين فيهم كفر أو شرك أكبر يخرجهم من الإسلام بالكلية إذا أطاعوا الله طاعة خالصة، يريدون بها ثواب الله في الدار الآخرة، لكنهم على أعمال تخرجهم من الإسلام وتمنع قبول أعمالهم.

فهذا النوع أيضاً ذكر في هذه الآية عن أنس بن مالك[٢] وغيره.

---

(١) وقد روي هذا عن جمع من السلف منهم: مجاهد، وقتادة، وسعيد بن جبير، وغيرهم. انظر: الطبري (١٥/ ٢٦٣-٢٦٤).

(٢) رواه ابن جرير عن أنس قال: «هم اليهود والنصارى» (١٥/ ٢٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٤٠٦) لابن أبي حاتم وأبي الشيخ وابن مردويه.
قال ابن عطية: «ومعنى هذا أن أهل الكتاب الكفرة يدخلون في هذه الآية، لا أنها ليست في غيرهم» المحرر الوجيز (٣/ ١٥٦).

وكان السلف يخافون منها، قال بعضهم: «لو أعلم أن الله تقبل مني سجدة واحدة لتمنيت الموت؛ لأن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[1]»[2]

ثم قال[3]: بقي أن يقال: إذا عمل الرجل الصلوات الخمس والزكاة والصوم والحج ابتغاء وجه الله طالباً ثواب الآخرة، ثم بعد ذلك عمل أعمالاً قاصداً بها الدنيا مثل أن يحج فرضه لله، ثم يحج بعده لأجل الدنيا، كما هو واقع؛ فهو لما غلب عليه منهما، وقد قال بعضهم: القرآن كثيراً ما يذكر أهل الجنة الخُلَّص، وأهل النار الخُلَّص، ويسكت عن صاحب الشائبتين وهو هذا وأمثاله. انتهى[4].

وفي الآية من الفوائد: أن الشرك محبط للأعمال.

وأن إرادة الدنيا وزينتها بالعمل كذلك.

وأن الله يجازي الكافر بحسناته، وكذلك طالب الدنيا، ثم يفضي إلى الآخرة وليس له حسنة.

الخامسة: شدة الوعيد على ذلك.

---

(١) المائدة: ٢٧.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم عن أبي الدرداء بلفظ: لأن أستيقن أن الله تقبل مني صلاة واحدة أحب إليَّ من الدنيا وما فيها، إن الله يقول: ﴿إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ .
انظر: ابن كثير (٢/ ٤٣)، الدر المنثور (٣/ ٥٦).

(٣) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

(٤) الدرر السنية (١٠/ ٩٨)، مجموعة مؤلفات الشيخ محمد بن عبدالوهاب «تفسيرآيات من القرآن» (١٢٠-١٢٣).

السادسة: الفرق بين الحبوط والبطلان[(١)(٢)].

قال تعالى: ﴿ وَلَا تَرۡكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ فَتَمَسَّكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنۡ أَوۡلِيَآءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾ [هود: ١١٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد رحمه الله:

ذكر تعالى أن الركون إلى الظلمة والكفار والظالمين موجب لمسيس النار، ولم يفرق بين من خاف منهم وغيره إلا المكره، فكيف بمن اتخذ الركون إليهم ديناً ورأياً حسناً وأعانهم بما قدر عليه من مال ورأي وأحب زوال التوحيد وأهله واستيلاء أهل الشرك عليهم، فإن هذا من أعظم الكفر والركون[(٣)].

وقال الشيخ حمد بن عتيق رحمه الله:

نهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظلمة، وتوعد على ذلك بمسيس النار وعدم النصر.

---

(١) الذي يظهر –والله أعلم– في الفرق بين الحبوط والبطلان:
أن الحبوط إنما يكون بعد تمام العمل لسبب من الأسباب، ولذا جاء التعبير في الآية بالماضي ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُواْ﴾ ، وهكذا جاء في النصوص الأخرى كقوله تعالى: ﴿لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] وقوله ﷺ: «من ترك صلاة العصر حبط عمله» فوقع الحبوط هنا بعد تمام العمل ونهايته إما للشرك أو لترك صلاة العصر وغير ذلك.
وأما البطلان فيكون في أثناء العمل؛ ولذا جاء في الآية بقوله: ﴿وَبَٰطِلٞ مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾، وهكذا يستخدمه الفقهاء للفساد الطارئ على العمل كقولهم فيمن انتقل بنيته في الصلاة من فرض إلى فرض آخر – كالذي يدخل في صلاة العصر ثم يذكر أنه لم يصل الظهر فحول نيته في أثناء الصلاة إلى الظهر – قال الفقهاء: بطلت الأولى ولم تنعقد الثانية، فالكفار قد حبط ما عملوا سابقاً، وكل ما يقومون به الآن فهو باطل غير مقبول، والله أعلم.
وانظر: الشرح الممتع (٢/ ٢٩٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٧٤-٤٧٧.

(٣) الدرر السنية (٧/ ٦٢-٦٣).

والشـرك هو أعظم أنواع الظلم، كما قال تعالـى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾[١].

فمن ركن إلى أهل الشرك -أي: مال إليهم- أو رضي بشيء من أعمالهم، فإنه مستحق لأن يعذبه الله بالنار، وأن يخذله في الدنيا والآخرة[٢].

قـال تعالـى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾﴾ [هود: ١١٨-١١٩].

سئل الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله عن معنى قوله تعالى: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾ فقـال: قـال أبو البقاء: «الاستثناء من ضمير الفاعل في ﴿وَلَا يَزَالُونَ﴾ وهو الواو، وقوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ أي للرحمة»[٣]، فاسم الإشارة راجع إلى الرحمة لأنه أقرب مذكور قوله: ﴿وَلِذَٰلِكَ﴾ أي: للرحمة ﴿خَلَقَهُمْ﴾ .

قلت: وهذا الذي عليه أكثر المفسرين.

قال ابن جرير ما معناه: اسم الإشارة راجع للاختلاف أي: مختلفين[٤].

---

(١) لقمان: ١٣.

(٢) سبيل النجاة والفكاك، ص ٥٠.

(٣) التبيان في إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري (٢/ ٧١٨) وما بعده ليس موجوداً في التبيان، وقد نقلت النص كما هو في الدرر نصاً، وصفاً، ومن المحتمل أن الجواب يبدأ من قوله: قال أبو البقاء، والله أعلم.

(٤) قال ابن جرير رحمه الله: وأولى القولين بالصواب قول من قال: وللاختلاف بالشقاء والسعادة خلقهم. ا.هـ. جامع البيان (١٥/ ٥٣٧).

وهو ضعيف عند المحققين من المفسرين كشـيخ الإسلام ابن تيمية[١] وأبي البقاء[٢] وغيرهما[٣].

وروي عن طـاووس أن رجلين اختصمـا إليه فأكثـروا فقال طاووس: اختلفتما وأكثرتما فقال أحـد الرجلين: لذلك خلقنا فقال طاووس: كذبت أليس يقول: ﴿وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ﴿١١٩﴾﴾ قال: لم يخلقهم ليختلفوا ولكن خلقهم للجماعة والرحمة[٤].

وقال ابن عباس: «للرحمة خلقهم ولم يخلقهم للعذاب».

وكذا قال مجاهد والضحاك وقتادة[٥].

وعلى هذا لا إشـكال[٦] فيكون كقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾[٧] قاله[٨] العماد ابن كثير رحمه الله.

---

(١) انظر: الفتاوى (٨/ ١٨٧).

(٢) انظر ما سبق: التبيان (٢/ ٧١٨).

(٣) ذكر ابن جرير -رحمه الله- أن أهل التأويل اختلفوا على قولين:
الأول: من قال: معناه وللاختلاف خلقهم، ثم رواه عن الحسن، وابن عباس من رواية علي بن أبي طلحة وعطاء والأعمش ومالك. وقد نصر هذا القول أيضاً ابن عطية. المحرر الوجيز (٣/ ٢١٥).
الثاني: من قال: معناه وللرحمة خلقهم، ثم رواه عن مجاهد وقتادة والضحاك وعكرمة وابن عباس من رواية عكرمة عنه. الطبري (١٥/ ٥٣٥-٥٣٧).
وذكر ابن كثير (٢/ ٤٦٥) قولاً ثالثاً: وهو أنه خلقهم للرحمة والاختلاف، وذكر أن ابن جرير اختار هذا القول.

(٤) انظر: ابن كثير (٢/ ٤٦٥)، وعزاه السيوطي في الدر (٤/ ٤٩٢) لأبي الشيخ.

(٥) روى ذلك ابن جرير عنهم جميعاً (١٥/ ٥٣٦-٥٣٧).

(٦) في الأصل: الإشكال. ولعل الصواب المثبت أعلاه.

(٧) الذاريات: ٥٦.

(٨) في الأصل: قال، ولم أجد الكلام الذي بعده في مظانه من ابن كثير، والموجود ما قبله حيث =

ويدل على ذلك قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾[١]، ﴿وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا﴾[٢].

وأما قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ فاللام للتعليل بلا ريب وهو قول أهل السنة والجماعة قديماً وحديثاً[٣]، فدلت الآية على أن حكمة الرب في خلقه الثقلين ليعبدوه وحده فإنه ربهم وخالقهم ومليكهم، وهم تحت قهره وقدرته، وهو المنعم عليهم وحده فوجب لذلك وغيره من صفات الله وعظمته أن يكون هو معبودهم وحده دون كل ما سواه كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ ۗ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾[٤]، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمْ﴾[٥] إلى آخر الآيات.

والمراد بالحكمة في هذه الآية الدينية الشرعية، لكن من الناس من وافق هذه الحكمة بإرادته وعلمه وعمله ومنهم من خرج عنها لعدم قبوله لما أراده الله به، وذلك بقضاء الرب وقدره لعلمه السابق في خلقه، لأنه تعالى يعلم ما هم عاملون قبل خلقه لهم، وهو الذي يهدي من يشاء بفضله وإحسانه، ويضل من يشاء بعدله وقدرته ومشيئته.

= قال رحمه الله: ويرجع معنى هذا القول إلى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ وقيل: بل المراد ... إلخ.
انظر: تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٦٥).

(١) البقرة: ١٨٥.
(٢) النساء: ٢٧.
(٣) سيأتي لذلك مزيد بيان مع بسط الأقوال في تفسير قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].
(٤) النحل: ١٧.
(٥) البقرة: ٢٠.

فالأول فضله والثاني عدله، قال الله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾[(١)].

وقد مكن عباده بأسباب يقتدر بها العبد على طاعة ربه كما قال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾[(٢)]، وأرسل الرسل مبشرين ومنذرين؛ ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ﴿فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ﴾[(٣)]، كما قال تعالى: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ﴾[(٤)].

ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾[(٥)]، فمنهم من أطاع ومنهم من عصى، فالفضل فضله تعالى، والحجة له بالبيان والفطرة والعقول والعلم الذي أنزل في كتبه وعلى ألسن الرسل وبالله التوفيق.

وعلى العبد أن يتسبب بالإقبال على ذلك، وطلب ما يحبه منه ويرضاه، ويترك ما يسخطه ويأباه، وأن يكون ذلك هو أهم الأشياء لديه ﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[(٦)(٧)].

---

(١) الزخرف: ٧٦.
(٢) الإسراء: ٣٦.
(٣) النحل: ٣٦.
(٤) النساء: ١٦٥.
(٥) النساء: ٦٤.
(٦) هود: ٨٨.
(٧) الدرر السنية (١٠/ ١٠٢، ١٠٣).

سورة يوسف

قال تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٤٠].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال تعالى: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ فالدين القيم تجريد التوحيد ونفي الشرك والتنديد، وهو الإسلام الذي لا يقبل الله ديناً سواه كما قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾[1] والعروة الوثقى هي: لا إله إلا الله[2].

والآية قد تضمنت نفي الشرك والبراءة منه، وإخلاص العبادة لله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾[3]، وأمثال هذه الآيات في القرآن كثيرة جداً لا يصد عنها إلا من كان مغموراً في بحار الشرك بالله، فإن المشرك أعمى أصم لا يعرف الحق، ولا يهتدي إلى أدلته كما قال تعالى في أمثال هذا: ﴿بَلْ قُلُوبُهُمْ فِى غَمْرَةٍ مِّنْ هَٰذَا وَلَهُمْ أَعْمَٰلٌ مِّن دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَٰمِلُونَ ﴿٦٣﴾﴾[4]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا ۚ وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى ٱلْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِمْ نُفُورًا ﴿٤٦﴾﴾[5][6].

---

(١) لقمان: ٢٢.

(٢) انظر: الطبري (٥/ ٤٢١-٤٢٢)، تفسير القرآن العظيم (١/ ٣١١).

(٣) الرعد: ٣٦.

(٤) المؤمنون: ٦٣.

(٥) الإسراء: ٤٥-٤٦.

(٦) الدرر السنية (٩/ ١٥١، ١٥٢).

قال تعالى: ﴿ وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴾ [يوسف: ١٠٦].

قال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله:

فُسر إيمانهم في هذه الآية بإقرارهم بتوحيد الربوبية، وهم أنهم إذا سئلوا من خلق السموات والأرض ومن ينزل المطر، وينبت النبات، ونحوه قالوا: الله، ومع ذلك يعبدون غيره[١].

وفُسر إيمانهم في الآية بإخلاصهم الدعاء لله في الشدائد كما في قوله سبحانه: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾[٢]، ونحو ذلك من الآيات، ويشركون في الرخاء بدعاء غيره[٣].

فهذه نصوص القرآن صريحة في أنهم يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافاً جازماً، وأنهم ما أرادوا من آلهتهم إلا الشفاعة عند الله.

وأما من ظن أن مدعوه ومسؤوله يحدث شيئاً من دون الله، ويدبر أمراً من دون الله فهذا شرك في توحيد الربوبية والألوهية معاً، ولم يَدَّع ذلك أحد من المشركين الذين بعث الله إليهم محمداً ﷺ، وإنما أرادوا من آلهتهم الشفاعة إلى الله -الذي بيده الضر والنفع- بجاههم ومنزلتهم عنده كما أخبر الله عنهم[٤] بذلك[٥].

---

(١) رواه ابن جرير -رحمه الله- عن جمع من السلف وهم: ابن عباس وعكرمة ومجاهد وقتادة والضحاك وعطاء وابن زيد، وفسر هو -ابن جرير- الآية به (١٦/ ٢٨٦-٢٨٩).

(٢) العنكبوت: ٦٥.

(٣) روي هذا عن عطاء -رحمه الله- انظر: البحر المحيط (٥/ ٣٤٥) وفي الآية أقوال أخرى، وكلها لا تنافي بينها، فالجميع داخل في عموم الآية كما سيبين الشيخ رحمه الله.

(٤) في مثل قوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ ﴾ [الزمر: ٣].

(٥) الدرر السنية (٩/ ٢٧٢).

وقال رحمه الله أيضاً:

قال ابن عباس ومجاهد وغيرهما: إيمانهم إذا قيل لهم من خلق السموات والأرض والجبال قالوا: الله وهم يعبدون معه غيره[١].

ولهذا يقولون في تلبيتهم: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك[٢].

وقال عطاء في الآية: إيمانهم: إخلاصهم الدعاء لله في الشدائد وينسون في الرخاء كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[٣] الآية.

والآية تعم ذلك كله.

فهذه نصوص القرآن صريحة في أن المشركين يعترفون بتوحيد الربوبية اعترافاً جازماً غير مترددين ولا متوقفين بل يقرون بجملة من صفات الرب سبحانه وتعالى ينكرها كثير من المسلمين المنحرفين كإقرارهم بصفة العزة والعلم ويقرون أيضاً بعلوه فوق سماواته كما في حديث حصين بن عبيد[٤] لما قال له النبي ﷺ: «كم إلهاً تعبد؟» قال: «سبعة، ستة في الأرض وواحد في السماء» قال: «فمن الذي تعد

---

(١) رواه عنهما: ابن جرير (١٦/ ٢٨٦-٢٨٨).

(٢) سبق تخريجه.

(٣) العنكبوت: ٦٥.

(٤) حصين بن عبيد بن خلف الخزاعي، والد عمران بن حصين، مختلف في صحبته وإسلامه والراجح إسلامه، روى عنه ابنه عمران.
انظر: أسد الغابة (١/ ٥٠٣)، الإصابة (٢/ ١٩).
تنبيه: وقع في الأصل حصين بن المنذر، ولعل الصواب ما أثبته.

لرغبتك ورهبتك؟» قال: «الذي في السماء»[١]. وكما في شعر أمية بن أبي الصلت[٢] وغيره[٣].

وأخبر الله عنهم أنهم ما أرادوا من آلهتهم إلا الشفاعة عند الله في أمور دنياهم، وكذا من يعترف منهم بالآخرة فإذا طلبوا من آلهتهم حاجة من حوائجهم من رزق أو نصر على عدو ونحو ذلك لم يقولوا: إن آلهتهم تحدث شيئاً من مطلوبهم من دون الله وتستقل بذلك، لم يقل هذا أحد منهم وإنما كانوا يقولون: إننا إذا طلبنا حاجتنا من هذا الوجيه عند الله حصل مطلوبنا لوجاهته عند الله، ولهذا يخلصون لله الدعاء في الشدائد وينسون الوسائط كما قال تعالى: ﴿وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ﴾[٤][٥].

قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قال جل جلاله: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي قل يا

(١) رواه الترمذي، كتاب الدعوات (٩/ ١٥٨)، وقال: حسن غريب، ورواه الدارمي في الرد على المريسي (٢٤)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٥٣٤).

(٢) راجع في ذلك: تيسير العزيز الحميد (١٧-١٩).

(٣) أمية بن عبدالله أبي الصلت الثقفي، شاعر جاهلي، أدرك النبي ﷺ، آمن شعره وكفر قلبه، كان يلبس المسوح في الجاهلية تعبداً، وقد حرم على نفسه الخمر ونبذ عبادة الأوثان، قيل: إنه المقصود بقوله تعالى: ﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱلَّذِىٓ ءَاتَيْنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنْهَا﴾ توفي في الطائف بعد بدر.
انظر: الأعلام (٢/ ٢٣).

(٤) الأنعام: ٤١.

(٥) تأسيس التقديس، ص٢٥.

محمد: هذه الدعوة التي أدعو جميع الناس إليها، والطريقة السوية التي أنا عليها ﴿سَبِيلِيٓ﴾ أي: سنتي، ومنهاجي القويم، ﴿أَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ﴾ أي: إلى توحيده الذي هو الصراط المستقيم، ﴿عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين ومعرفة أبين بها الحق والهدى، والضلال والردى، ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِيۖ﴾ أي: من آمن وصدق، وعرف الإيمان وحقق، يدعو إلى ما دعوت إليه، ويجاهد الآبين عليه، فظهر من هذا وبان أن الدعوة واجبة، وحق على كل إنسان يدعي أنه من أهل الإسلام والإيمان، وأنه متبع للسنة والقرآن، ولكن كل على حسب حاله في ذلك، إذ ليسوا سواء في المراتب والمسالك[1].

قال الحافظ العماد ابن كثير في قوله تعالى: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ وَيَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾[2]: «أي: منتصبة للقيام بأمر الله في الدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

قال أبو جعفر الباقر[3]: قرأ رسول الله ﷺ: ﴿وَلۡتَكُن مِّنكُمۡ أُمَّةٞ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ فقال: «الخير اتباع القرآن وسنتي»، رواه ابن مردويه، والمقصود

---

(١) الدعوة واجبة في الأصل، وهي فرض لكن على الكفاية، فإذا قام بها من يكفي أجروا ونالوا الفضل، وسقط الإثم عن الباقين، ووجوبها -كما بين الشيخ- يختلف، فوجوبها على العالم ليس كوجوبها على العامي ونحو ذلك، ومثلها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.
راجع في ذلك: الفتاوى (٢٨/ ٦٥-٦٦، ٨٠-٨١).

(٢) آل عمران: ١٠٤.

(٣) أبو جعفر محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ولد عام ٥٦هـ، سمي بالباقر لأنه بقر العلم أي شقه فعرف أصله وخفيه، روى عن أبيه وابن عمر وجابر وغيرهم، وعنه ابنه وعطاء والزهري وغيرهم، من أئمة التابعين وكبار آل البيت، وهو أحد الأئمة الاثني عشر الذين تجلهم الشيعة الإمامية وتغلو فيهم، توفي عام ١١٤هـ. انظر: البداية والنهاية (٩/ ٣٠٩)، سير أعلام النبلاء (٤/ ٤٠١).

من هذه الآية أن تكون فرقة من هذه الأمة متصدية لهذا الشأن وإن كان ذلك واجباً على كل فرد من هذه الأمة بحسبه»[١]. انتهى كلامه.

وهذا المقام مما ينبغي أن يتنافس فيه المتنافسون، ويعتني بشأنه الناصحون، ويرغب في تحصيل أجره الراغبون ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾[٢][٣].

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يقول تعالى لرسوله ﷺ آمراً له أن يخبر الناس أن هذه سبيله، أي طريقته وسنته، وهي الدعوة إلى شهادة أن لا إله إلا الله، يدعو إلى الله بها على بصيرة من ذلك ويقين وبرهان هو وكل من اتبعه يدعو إلى ما دعا إليه رسول الله ﷺ على بصيرة وبرهان عقلي شرعي[٤].

وقوله: ﴿وَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ﴾ أي: وأنزه الله وأجل وأعظم[٥] عن أن يكون له شريك ونديد، تبارك وتعالى عن ذلك علواً كبيراً»[٦].

قلت: فتبين وجه المطابقة بين الآية والترجمة[٧]. قيل[٨]: ويظهر ذلك إذا كان قوله: ﴿أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ﴾ عطفاً على الضمير في ﴿أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ﴾ فهو دليل على أن أتباعه هم الدعاة إلى الله تعالى، وإن كان عطفاً على الضمير

---

(١) تفسير القرآن العظيم (١/ ٣٩٠).
(٢) العنكبوت: ٤٢.
(٣) العقد الثمين، ص ٢٨٦، ٢٨٧.
(٤) في تفسير ابن كثير: عقلي وشرعي (٢/ ٤٩٦).
(٥) في تفسير ابن كثير: وأجله وأعظمه. الموضع السابق.
(٦) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٤٩٥-٤٩٦).
(٧) الترجمة في كتاب التوحيد: باب الدعاء إلى شهادة أن لا إله إلا الله.
(٨) لم أقف على القائل.

المنفصل فهـــو صريح في أن أتباعه هـــم أهل البصيرة فيما جـــاء به دون من عداهم[١].

والتحقيق أن العطف يتضمن المعنيين، فأتباعـــه هم أهل البصيرة الذين يدعون إلى الله[٢].

وفي الآية مسائل نبه عليها المصنف[٣] منها: التنبيه على الإخلاص؛ لأن كثيراً ولو دعا إلى الحق فهو يدعو إلى نفسه.

ومنها: أن البصيرة من الفرائض.

ووجه ذلك[٤]: أن اتباعه ﷺ واجب، وليس أتباعه حقاً إلا أهل البصيرة، فمن لم يكن منهم فليس من أتباعه، فتعين أن البصيرة من الفرائض.

ومنها: من دلائل حسن التوحيد أنه تنزيه الله عز وجل عن المسبة.

ومنها: أن من قبح الشرك كونه مسبة لله.

ومنها: إبعاد المسلم عن المشركين لا يصير معهم ولو لم يشرك.

وكل هذه الثلاث[٥] في قوله: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ الآية[٦].

---

(١) انظر: الكشاف (٢/ ٢٧٧)، زاد المسير (٤/ ٢٩٥)، البحر المحيط (٥/ ٣٤٦).

(٢) وهو ظاهر كلام ابن جرير -رحمه الله- (١٦/ ٢٩١)، وابن كثير (٢/ ٤٩٦).
وقال ابن القيم رحمه الله: والقولان متلازمان. ا.هـ. مفتاح دار السعادة (١/ ١٥٤).

(٣) الشيخ محمد بن عبدالوهاب -رحمه الله- في كتاب التوحيد (١٥).

(٤) التوجيه هنا من كلام الشيخ سليمان رحمه الله.

(٥) يقصد المسائل الثلاث الأخيرة.

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٩٨.

سورة الرعد

قال تعالى: ﴿وَإِن تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَءِذَا كُنَّا تُرَابًا أَءِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥].

قال الشيخ حمد بن علي بن عتيق رحمه الله:

فقد بيَّن أن من أنكر البعث بلسانه فقد كفر بربه واستحق الخلود في النار سواء اعتقد ذلك بقلبه أو لم يعتقده[١][٢].

قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ [الرعد: ١٤].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

الدعاء الذي ينازع فيه المبطلون وفيه يلحدون، وبه يشركون: هو من أشرف أنواع العبادة إذا قصر على الله الذي لا يستحقه أحد سواه، وقد قال تعالى: ﴿لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ﴾ فهي له وحده ليس لغيره منها ولا مثقال ذرة، ومدلولها الطلب والسؤال كما دل عليه بقية الآية قوله: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾ فأنكر تعالى على من صرف شيئاً من الدعاء لغيره، وأنه يكون بذلك كافراً، وهو نص في دعاء المسألة بدليل قوله: ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ﴾[٣].

---

(١) مما لا شك فيه أن هذا مقيد بما لم يكن هناك مانع كالإكراه ونحوه.

(٢) مجموعة رسائل ابن عتيق، ص ٦٤.

(٣) القول الفصل النفيس، ص ٧٨.

وقال أيضاً:

قولــه: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ قولــه: ﴿لَهُۥ دَعۡوَةُ ٱلۡحَقِّۖ﴾ يفيد الحصر؛ أي فدعوة الحق له لا لغيره،فدعوة غيره ليست من الحق في شــيء، وقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ فهذا الاسم لا يستعمل إلا في حق من يعقل كما هو معروف عند النحاة[١].

وقوله: ﴿لَا يَسۡتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيۡءٍ﴾ فيه دليل على أن المراد دعاء المسألة، فأخبر سبحانه أنهم لو دعوهم فإجابتهم لهم فيما سألوهم ممتنعة منتفية بالكلية.

وقولــه: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ لِيَبۡلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلۡكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾ لأنهم لم يجدوا ممــا طلبوه وأملوه منهم شــيئاً وبيَّن تعالى أن دعوة غيره كفر وضلال.

وهذه الآية وأمثالها تقطع شــبهة من دعا غيــر الله من ميت أو غائب؛ فإن أصل دين الإسلام ألاَّ يعبد إلا الله، وألاَّ يعبد إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع، وليس في الصحابة والتابعين وأتباعهم والأئمة من أجاز أن يسأل ميت أو غائب من دون الله؛ لأنه لا قدرة له على شيء من أمر الدنيا ولا من أمر الآخرة، مع غفلتهم وعدم استجابتهم لمن دعاهم وكراهتهم لذلك[٢].

قال تعالــى: ﴿كَذَٰلِكَ أَرۡسَلۡنَٰكَ فِيٓ أُمَّةٖ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهَآ أُمَمٞ لِّتَتۡلُوَاْ عَلَيۡهِمُ ٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَهُمۡ يَكۡفُرُونَ بِٱلرَّحۡمَٰنِۚ قُلۡ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ مَتَابِ﴾ [الرعد: ٣٠].

---

(١) انظر: شرح ابن هشام لألفية ابن مالك (١/ ١٣٧).
(٢) القول الفصل النفيس، ص ٨٨، ٨٩.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أي يجحدون هذا الاسم، لا أنهم يجحدون الله فإنهم يقرون به كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾[(١)]، والمـــراد بهذا كفار قريش أو طائفة منهم فإنهم جحدوا هذا الاسم عناداً أو جهلاً، ولهذا قال النبي ﷺ لعلي يوم الحديبية: «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا: لا نعرف الرحمن ولا الرحيم»[(٢)]، وفي بعض الروايات: «لا نعـــرف الرحمن إلا رحمن اليمامة»[(٣)] يعنون مسيلمة الكذاب، فإنه قبحه الله كان قد تسمى بهذا الاسم[(٤)]، وأما كثير من أهل الجاهلية فيقرون بهذا الاسم كما قال بعضهم:

وما يشأ الرحمن يعقد ويطلق[(٥)].

قال ابن كثير: «﴿وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ﴾ أي: لا يقرون به، لأنهم يأبون[(٦)] من وصف الله بالرحمن الرحيم»[(٧)].

ومطابقة الآية للترجمة[(٨)] ظاهرة لأن الله تعالى سمى جحود اسم من أسمائه كفراً، فدل على أن جحود شيء من أسماء الله وصفـاته كفر، فمن جحد شيئاً من أســماء الله وصفاته من الفلاســفة[(٩)]، والجهمية والمعتزلة ونحوهم فله

---

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد (٥/ ٣٢٩) «فتح».

(٣) قال في النهج السديد (٢١٧): «أخرجها ابن أبي حاتم كما في الدر المنثور (٥/ ٧٥) عن عطاء مرسلاً» ولم أتوصل إلى ذلك في الدر. والله أعلم.

(٤) انظر الروايات في ذلك في: الدر المنثور (٥/ ٣٤٩-٣٥٠).

(٥) عجز بيت لسلامة بن جندل السعدي وصدره: عجلتم علينا حجتين عليكم. انظر: ديوانه، ص ١٨٤.

(٦) في تفسير ابن كثير: يأنفون (٢/ ٥١٥).

(٧) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥١٥).

(٨) من كتاب التوحيد، باب من جحد شيئاً من الأسماء والصفات.

(٩) الفلسفة كلمة يونانية تتكون من مقطعين هما: فيلو ، سوفيا، ومعناها: محب الحكمة، =

نصيب من الكفر بقدر ما جحد من الاسم أو الصفة، فإن الجهمية والمعتزلة ونحوهم، وإن كانوا يقرون بجنس الأسماء والصفات فعند التحقيق لا يقرون بشيء؛ لأن الأسماء عندهم أعلام محضة[١]، لا تدل على صفات قائمة بالرب تبارك وتعالى وهذا نصف كفر الذي جحدوا اسم الرحمن.

وقوله: ﴿قُلْ هُوَ رَبِّي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ﴾ أي: قل يا محمد راداً عليهم في كفرهم بالرحمن تبارك وتعالى هو أي: الرحمن عز وجل ربي لا إله إلا هو أي: لا معبود سواه عليه توكلت، وإليه متاب، أي: إليه مرجعي» وأوبتي. وهو مصدر من قول القائل: تبت متاباً، وتوبة» قاله ابن جرير[٢].

وفي الآية دليل على أن التوكل عبادة، وعلى أن التوبة عبادة، وإذا كان كذلك فالتوبة إلى غيره شرك، ولما قال سارق -وقد قطعت يده- للنبي ﷺ: اللهم إني أتوب إليه ولا أتوب إلى محمد، قال النبي ﷺ: «عرف الحق لأهله»[٣] رواه أحمد[٤].

= والفلاسفة لهم آراء تخالف ما عليه المسلمون، من ذلك قولهم بقدم العالم، وإنكارهم لعلم الله بالجزئيات، وقولهم: إن البعث روحاني وليس جسماني، وأما قولهم في صفات الله فإنهم ينفون الأسماء والصفات ولا يثبتون إلا وجوداً مطلقاً.

انظر: الملل والنحل (٣١٢)، شرح الطحاوية (١٠٢)، إغاثة اللهفان (٢/ ٢٥٦).

(١) انظر: شرح الطحاوية (١٠٢)، وقال شيخ الإسلام رحمه الله: «فإذا كان اسمه » الرحمن «قد أنزل فيه ما أنزل فكيف إنكار سائر الأسماء، ومعلوم أن اللفظ إذا كان علماً محضاً لم ينكره أحد، ولو كانت أعلاماً لم يفرق بين الرحمن والعليم والقدير». ا.هـ. رسالة في الجواب عمن يقول: إن صفات الله نسب وإضافات. جامع الرسائل (١/ ١٧٢).

(٢) الطبري (١٦/ ٤٤٥).

(٣) رواه الإمام أحمد (٣/ ٤٣٥) رقم (١٥٦٢٥)، والحاكم في المستدرك (٤/ ٢٥٥) من حديث الأسود بن سريع وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وتعقبه الذهبي بقوله: قلت: ابن مصعب ضعيف.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٥١١، ٥١٢.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

سـبب نزول هذه الآية معلوم مذكور في كتب التفسير وغيرها. وهو أن مشركي قريش[١] جحدوا اسم ﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ عناداً[٢].

وقـال تعالـى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾[٣].

و﴿ٱلرَّحۡمَٰنَ﴾ اسـمه وصفته، دل هذا الاسـم علـى أن الرحمة وصفه سبحانه؛ وهي من صفات الكمال، فإذا كان المشـركون جحدوا اسماً من أسمائه تعالى، وهو من الأسـماء التي دلت على كماله سـبحانه وبحمده فجحود[٤] معنى هذا الاسم ونحوه من الأسماء يكون كذلك، فإن جهم بن صفوان[٥] ومن تبعه يزعمـون أنها لا تدل على صفة قائمـة بالله تعالى[٦]، وتبعهم على ذلك طوائف من المعتزلة والأشـاعرة وغيرهم، فلهذا كفرهم كثير من أهل السنة.

---

(١) قريش: قبيلة من أكبر قبائل العرب وأشرفهم وهم جيران البيت الحرام، أبناء النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن إلياس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان.
انظر: البداية والنهاية (٢/ ١٨٧).

(٢) راجع ما سبق.
وانظر: أسباب النزول للواحدي (٢٧٩).

(٣) الإسراء: ١١٠.

(٤) في الفتح: فجحدوا ولعل الصواب المثبت أعلاه من نسخة أخرى بتحقيق د. الوليد بن فريان (٢/ ٦٧١).

(٥) جهم بن صفوان الذي تنسب إليه الجهمية، وكان قد أخذ مقالته من الجعد بن درهم، ومن مقولاته الخبيثة: القول بخلق القرآن، وتعطيل صفات الله تبارك وتعالى، والقول بالجبر، وكان الجهم يخرج بأصحابه إلى المجذومين ويقول: انظروا أرحم الراحمين يفعل مثل هذا؟ إنكاراً منه لرحمته تعالى، قتل سنة ١٢٨هـ.

(٦) انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٠٢)، الملل والنحل للشهرستاني (٨٦).

قال العلامة ابن القيم رحمه الله:

ولقد تقلد كفرهم خمسون في ... عشر من العلماء في البلدان
واللالكائي الإمام حكاه عنـ ... ـهم بل حكاه قبله الطبراني[1]

فإن هؤلاء الجهمية ومن وافقهم على التعطيل جحدوا ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله، وبنوا هذا التعطيل على أصل باطل أصلوه من عند أنفسهم؛ فقالوا: هذه الصفات هي صفات الأجسام، فيلزم من إثباتها أن يكون الله جسماً، هذا منشأ ضلال عقولهم، لم يفهموا من صفات الله إلا ما فهموه من خصائص صفات المخلوقين، فشبهوا الله في ابتداء آرائهم الفاسدة بخلقه ثم عطلوه من صفات كماله، وشبهوه بالناقصات والجمادات والمعدومات؛ فشبهوا أولاً وعطلوا ثانياً، وشبهوه ثالثاً بكل ناقص ومعدوم، فتركوا ما دل عليه الكتاب والسنة من إثبات ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله على ما يليق بجلاله وعظمته، وهذا هو الذي عليه سلف الأمة وأئمتها، فإنهم أثبتوا لله ما أثبته لنفسه وأثبته له رسوله ﷺ إثباتاً بلا تمثيل، وتنزيهاً بلا تعطيل، فإن الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات يحتذى حذوه فكما أن هؤلاء المعطلة يثبتون لله ذاتاً لا تشبه الذوات، فأهل السنة يقولون ذلك ويثبتون ما وصف الله به نفسه ووصفه به رسوله من صفات كماله ونعوت جلاله لا تشبه صفاته صفات خلقه؛ فإنهم آمنوا بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ ولم يتناقضوا، وأولئك المعطلة كفروا بما في الكتاب

---

(١) الكافية الشافية مع شرحها لمحمد خليل هراس (١/ ١٢١).
وانظر: شرح أصول اعتقاد أهل السنة للإمام اللالكائي (٢/ ٣١٣) - حيث ذكر من قال من الأئمة والفقهاء والعلماء بكفر الجهمية القائلين بخلق القرآن -، والسنة لعبدالله ابن الإمام أحمد (٢/ ٥٢٨)، وانظر أيضاً: الفتاوى (٥/ ٢٢، ٥٣)، (١٧/ ٤٤٧)، مقدمات في الأهواء والافتراق والبدع، د. العقل (١/ ٧٤).

والسـنة من ذلك وتناقضوا، فبطل قول المعطلين بالعقل والنقل ولله الحمد والمنة، وإجماع أهل السنة من الصحابة والتابعين وتابعيهم وأئمة المسلمين.

وقد صنف العلماء -رحمهم الله تعالى- في الرد على الجهمية والمعطلة والمعتزلة والأشـاعرة وغيرهم في إبطال هذه البدع ومـا فيها من التناقض والتهافت: كالإمام أحمد -رحمه الله تعالى- في رده المشهور[١]، وكتاب السنة لابنه عبدالله[٢]، وصاحـب الحيدة عبدالعزيز الكناني[٣] في رده على بشر المريسي[٤] وكتاب السنة لأبي عبدالله المروزي[٥] ورد عثمان بن سعيد[٦] على الكافر العنيد وهو بشـر المريسـي، وكتاب التوحيد لإمام الأمة محمد بن

---

(١) كتاب «الرد على الجهمية والزنادقة» وقد طبع أكثر من مرة.

(٢) عبدالله ابن الإمام أحمد، ولد عام ٢١٣هـ أروى الناس عن أبيه، روى عنه المسند وغيره وروى عن يحيى بن معين وأبي بكر بن شيبة وغيرهما، وعنه أبو القاسم البغوي وأبو بكر الخلال وغيرهما، كان ثبتاً ثقة توفي عام ٢٩٠هـ، وكتابه مطبوع في مجلدين بتحقيق د. محمد بن سعيد القحطاني.
انظر: المنهج الأحمد (١/ ٢٩٤)، الدر المنضد (١/ ٦٨).

(٣) عبدالعزيز بن يحيى بن عبدالعزيز الكناني، روى عن ابن عيينة والشافعي وغيرهما، وعنه: أبو العيناء محمد بن القاسم والحسين بن الفضل وغيرهما. طالت صحبته للشافعي وتفقه به واشتهر بصحبته، ميزان الاعتدال (٢/ ٦٣٩)، تهذيب التهذيب (٦/ ٣٦٣).

(٤) بشر بن غياث بن أبي كريمة عبدالرحمن المريسي، أبو عبدالرحمن، من أئمة المعتزلة وإليه تنسب الطائفة المريسية القائلة بالإرجاء، كان أبوه يهودياً وينسب إلى درب المريس، توفي عام ٢١٨هـ.
انظر: ميزان الاعتدال (١/ ٣٢٢)، الأعلام (٢/ ٥٥).

(٥) محمد بن نصر المروزي، سبقت ترجمته ص ١٠٤، وكتابه مطبوع أكثر من مرة.

(٦) عثمان بن سعيد بن خالد بن سعيد الدارمي أبو سعيد، ولد قبل المئتين بيسير، سمع من نعيم بن حماد ومسدد وغيرهما، وعنه أحمد بن محمد الحيري ومؤمل بن حسين وغيرهما، قال الذهبي: كان جذعاً في أعين المبتدعة. ا.هـ. توفي عام ٢٨٠هـ.
انظر: السير (١٣/ ٣١٩)، البداية والنهاية (١١/ ٦٩)، والكتاب مطبوع بعناية الشيخ محمد حامد الفقي.

خزيمة الشافعي[١]، وكتاب السنة لأبي بكر الخلال[٢]، وأبي عثمان الصابوني الشافعي[٣]، وشيخ الإسلام الأنصاري[٤]؛ وأبي عمر بن عبدالبر النمري[٥]،

---

(١) محمد بن إسحاق بن خزيمة بن المغيرة بن صالح بن بكر، إمام الأئمة أبو بكر النيسابوري الشافعي، ولد عام ٢٢٣هـ، روى عن علي بن حجر وبشر بن معاذ وغيرهما وعنه: أبو حاتم البستي وابن عدي وغيرهما، أقبل من حداثته على العلم والحديث حتى صار يضرب به المثل في العلم والإتقان، توفي عام ٣١١هـ.
انظر: السير (١٤/ ٣٦٥)، البداية والنهاية (١١/ ١٤٩)، وكتاب «التوحيد» مطبوع في مجلدين تحقيق د. عبدالعزيز الشهوان.

(٢) أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر الخلال، شيخ الحنابلة وعالمهم، ولد عام ٢٣٤هـ، سمع من الحسن بن عرفة وأبي داود السجستاني وغيرهما، رحل إلى فارس والشام والجزيرة يتطلب فقه الإمام أحمد وفتاويه وأجوبته، وسمع من جماعة من أصحاب الإمام أحمد مسائلهم، توفي عام ٣١١هـ.
انظر: السير (١٤/ ٢٩٧)، المنهج الأحمد (٢/ ٨)، وكتابه مطبوع بتحقيق د. عطية الزهراني.

(٣) إسماعيل بن عبدالرحمن بن أحمد بن إسماعيل النيسابوري أبو عثمان الصابوني، ولد عام ٣٧٣هـ، وعقد أول مجلس للوعظ وهو ابن تسع سنين، من أبرز تلاميذ الإمام البيهقي، قال الذهبي: ولقد كان من أئمة الأثر، له مصنف في السنة واعتقاد السلف ما رآه منصف إلا واعترف له. ا.هـ. توفي عام ٤٤٩هـ.
انظر: السير (١٨/ ٤٠)، طبقات المفسرين للداودي (١/ ١٠٧).
وكتابه مطبوع باسم: عقيدة السلف وأصحاب الحديث.

(٤) عبدالله بن محمد بن علي بن محمد الأنصاري الهروي من ذرية أبي أيوب الأنصاري -رضي الله عنه- ولد عام ٣٦٩هـ، سمع من خلائق لا يحصون، وحدث عنه مثلهم، كان من أئمة الوعظ ومن كبار الحنابلة، وكان يقول:

أنا حنبلي ما حييت وإن أمت ... فوصيتي للناس أن يتحنبلوا

ومن كتبه: منازل السائرين، وذم الكلام، والفاروق في الصفات، والأربعين في التوحيد، والأربعين في السنة. توفي عام ٤٨١هـ.
انظر: السير (١٨/ ٥٠٣)، المنهج الأحمد (٢/ ١٨١).

(٥) يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالله النمري الأندلسي المالكي، ولد عام ٣٦٨هـ، كان إماماً ثقة صاحب سنة واتباع، كان أول أمره ظاهرياً ثم تحول مالكياً مع ميل إلى فقه الشافعي، ومن مؤلفاته: التمهيد، والاستذكار، والاستيعاب في أسماء الصحابة.
قال الذهبي: وكان في أصول الديانة على مذهب السلف لم يدخل في علم الكلام، بل قفا أثر مشايخه -رحمهم الله- ا.هـ. توفي عام ٤٦٣هـ.
انظر: السير (١٨/ ١٥٣)، وفيات الأعيان (٧/ ٦٦).

وخلق كثير من أصحـــاب الأئمة الأربعـــة وأتباعهم، وأهـــل الحديث ومن متأخريهم أبو محمد عبدالله بن أحمد بن قدامة[1]، وشيخ الإسلام ابن تيمية وأصحابه وغيرهم رحمهم الله تعالى.

فلله الحمد والمنة على بقاء الســـنة وأهلها مع تفرق الأهواء وتشـــعب الآراء. والله أعلم[2].

---

(١) عبدالله بن أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي أبو محمد شيخ الحنابلة موفق الدين، ولد عام ٥٤١هـ، كان من بحور العلم وأذكياء العالم، أقبل على العلم وهو صغير حتى انتهت إليه رئاسة الحنابلة، ومن مؤلفاته: المغني شرح مختصر الخرقي، والكافي، وعمدة الفقه، والروضة في أصول الفقه، والبرهان في مسألة القرآن، وكتاب القدر، ومسألة الغلو، وذم التأويل، ورسالته النافعة «لمعة الاعتقاد» وهي مطبوعة عدة طبقات، توفي عام ٦٢٠هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٩٩)، الدر المنضد (١/ ٣٤٦).

(٢) فتح المجيد، ص ٣٥٣، ٣٥٤.

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴿٢٨﴾ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا۟ فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٣٠﴾﴾ [إبراهيم: ٢٨-٣٠].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله**:**

قد أجمع العلماء على أن نعمة الله المقصودة هنا هي: بعثة محمد ﷺ بالهدى ودين الحق اللذين أصلهما وأساسهما عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الآلهة والأنداد.

والكفر بهذه النعمة هو: ردها وجحدها واختيار دعاء الصالحين، والتعلق على الأولياء والمقربين، فرحم الله امرءًا تفكر في هذا، وبحث عن كلام المفسرين من أئمة الدين[1]، وعلم أنه ملاق ربه الذي عنده الجنة والنار[2].

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ رَبِّ ٱجْعَلْ هَٰذَا ٱلْبَلَدَ ءَامِنًا وَٱجْنُبْنِى وَبَنِىَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله**:**

الصنم: ما كان منحوتاً على صورة البشر، والوثن: ما كان منحوتاً على غير ذلك. ذكره الطبري عن مجاهد[3].

---

(١) انظر في ذلك: الطبري (١٣/ ١٤٥)، معالم التنزيل (٤/ ٣٥٢)، المحرر الوجيز (٣/ ٣٣٧)، البحر المحيط (٥/ ٤١٣)، تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٣٨).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ٧٩).

(٣) رواه الطبري عن مجاهد (١٣/ ١٥١) ولفظه: «والصنم: التمثال المصور، ما لم يكن صنماً فهو وثن».

والظاهــر أن الصنم مــا كان مصوراً علــى أي صــورة، والوثن بخلافه كالحجر والبنية، وإن كان الوثن قد يطلق علــى الصنم، ذكر معناه غير واحد ويروى عن بعض السلف ما يدل عليه[1].

وقوله: ﴿وَٱجْنُبْنِي﴾ أي: اجعلني وبني في جانــب عن عبادة الأصنام، وباعد بيني وبينها. قيل[2]: وأراد بذلك بنيه وبناته من صلبه، ولم يذكر البنات لدخولهم تبعاً في البنين.

وقد اســتجاب الله دعاءه وجعل بنيه أنبياء وجنبهم عبادة الأصنام، وإنما دعا إبراهيــم عليه السلام بذلك؛ لأن كثيراً مــن الناس افتتنوا بهــا، كما قال: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾[3]، فخاف من ذلــك ودعا الله أن يعافيه وبنيه من عبادتها، فإذا كان إبراهيم عليه السلام يسأل الله أن يجنبه ويجنب بنيه عبادة الأصنام، فما ظنك بغيره؟

كما قال إبراهيم التيمي[4]: «ومن يأمن من البلاء بعد إبراهيم؟» رواه ابن جرير، وابن أبي حاتم[5].

وهــذا يوجب للقلب الحــي أن يخاف من الشــرك، لا كما يقول

---

(١) انظر: النهاية (صنم) (٣/ ٥٦)، لسان العرب (١٢/ ٣٤٩)، (١٣/ ٤٤٢) (صنم) (وثن).

(٢) لم أقف على القائل، وانظر: نظم الدرر (١٠/ ٤٢٥)، وهو دون ذكر البنات عند كثير من المفسرين. انظر مثلاً: المحرر الوجيز (٣/ ٣٤١)، (٥/ ٤٢٠).

(٣) إبراهيم: ٣٦.

(٤) إبراهيم بن يزيد بن شريك التيمي، تيم الرباب الكوفي، العالم العامل العابد، روى عن أبيه والحارث بن سويد وغيرهما، وعنه: يونس بن عبيد والأعمش وجماعة، كان من الثقات، قتله الحجاج، وقيل: بل مات في الحبس، عام ٩٢هـ رحمه الله.
انظر: تذكرة الحفاظ (١/ ٧٣)، تهذيب التهذيب (١/ ١٧٦).

(٥) تفسير الطبري (١٣/ ١٥١)، وانظر: الدر المنثور (٥/ ٤٦).

الجهال: إن الشرك لا يقع في هذه الأمة[(١)]، ولهذا أمنوا الشرك فوقعوا فيه[(٢)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

هذا مما يخيف العبد، فإذا كان الخليل إمام الحنفاء الذي جعله الله أمة وحده وابتلاه بكلمات فأتمهن[(٣)] وقال: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾[(٤)] وأمر بذبح ولده فامتثل أمر ربه، وكسر الأصنام واشتد نكيره على أهل الشرك. ومع ذلك يخاف أن يقع في الشرك الذي هو عبادة الأصنام لعلمه أنه لا يصرفه عنه إلا الله بهدايته وتوفيقه لا بحوله هو وقوته. وما أحسن ما قال إبراهيم التيمي: «ومن يأمن البلاء بعد إبراهيم؟»[(٥)]، فهذا أمر لا يؤمن الوقوع فيه وقد وقع فيه الأذكياء من هذه الأمة بعد القرون المفضلة، فاتخذت الأوثان وعبدت، فالذي خافه الخليل عليه السلام على نفسه وبنيه وقع فيه أكثر الأمة بعد القرون المفضلة فبنيت المساجد والمشاهد على القبور وصرفت لها العبادات

---

(١) ولقد كانت هذه المقولة من الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب فقالوا: إن هذا الرجل كفر بعض أمة محمد ﷺ، مع أنها معصومة عن الشرك، ولا يمكن أن يقع فيها الشرك.
وقد قال بهذا القول جماعة مثل: محمد بن عبدالرحمن بن عفالق الحنبلي (١١٠٠-١١٦٤) وسليمان بن عبدالوهاب أخو الشيخ رحمه الله: (وقد ذكر الشيخ عبداللطيف في مصباح الظلام ص ١٠٥ ما يؤكد رجوع سليمان) وعبدالله بن عيسى المعروف بالمويس صاحب حرمة (ت ١١٧٥هـ) وداود بن جرجيس وغيرهم، انظر: دعاوى المناوئين (٢١٩) وما بعدها.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٩٢، ٩٣.

(٣) قال تعالى: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَٰتٍ فَأَتَمَّهُنَّ ﴾ ... الآية [البقرة: ١٢٤].
قال ابن كثير رحمه الله: «اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي: اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ﴿فَأَتَمَّهُنَّ﴾ أي: قام بهن كلهن كما قال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ أي: وفى جميع ما شرع له فعمل به صلوات الله عليه». ا.هـ. تفسير القرآن العظيم (١/ ١٦٤).

(٤) النجم: ٣٧.

(٥) انظر ما سبق.

بأنواعها واتخذ ذلك ديناً، وهي أوثان وأصنام كأصنام قوم نوح واللات والعزى ومناة[١] وأصنام العرب وغيرهم. فما أشبه ما وقع في آخر هذه الأمة بحال أهل الجاهلية من مشركي العرب وغيرهم، بل وقع ما هو أعظم من الشرك في الآلهية من شركهم في الربوبية مما يطول عده.

فذكر عليه السلام السبب الذي أوجب الخوف عليه وعلى ذريته بقوله: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ ﴾[٢]، وقد ضلت الأمم بعبادة الأصنام في زمن الخليل وقبله وبعده، فمن تدبر القرآن عرف أحوال الخلق وما وقعوا فيه من الشرك العظيم الذي بعث الله أنبياءه ورسله بالنهي عنه، والوعيد على فعله، والثواب على تركه، وقد هلك من هلك بإعراضه عن القرآن وجهله بما أمر به ونهى عنه، نسأل الله الثبات على الإسلام والاستقامة على ذلك إلى أن نلقى الله على التوحيد إنه ولي ذلك والقادر عليه ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٣].

---

(١) انظر الحديث عن هذه الأصنام في تفسير قوله تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ﴾.

(٢) إبراهيم: ٣٦.

(٣) قرة عيون الموحدين (٤٣-٤٤).



قال تعالى: ﴿ قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ [الحجر: ٥٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْنَطُ ﴾ حكاية قول إبراهيم عليه السلام لما بشرته الملائكة بولده إسحاق عليه السلام، فقال: ﴿أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰٓ أَن مَّسَّنِيَ ٱلْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ﴾[١] استبعاداً لوقوع هذا في العادة مع كبر السن منه ومن زوجته قالوا: ﴿بَشَّرْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ ﴾[٢]، أي: الذي لا ريب فيه ولا مثنوية، بل هو أمر الذي ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾[٣] وإن بعد مثله في العادة التي أجراها فإن ذلك عليه يسير؛ إذا أراده.

﴿فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْقَٰنِطِينَ ﴾[٤]، أي لا تيأس من رحمة الله، قال إبراهيم عليه السلام: ﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ﴾ «فأجابهم بأنه ليس بقانط، ولكن يرجو من الله الولد، وإن كان قد كبر، وأسنت امرأته، فإنه يعلم من قدرة الله ورحمته ما هو أبلغ من ذلك»[٥].

قال السدي: «﴿وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ ﴾ من ييأس من رحمة ربه». رواه ابن أبي حاتم[٦].

---

(١) الحجر: ٥٤.
(٢) الحجر: ٥٥.
(٣) يس: ٨٢.
(٤) الحجر: ٥٥.
(٥) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٥٤).
(٦) انظر: الدر المنثور (٥/ ٨٨).

وقوله: ﴿إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ﴾ قال بعضهم: «إلا المخطئون طريق الصواب، أو الكافرون، كقوله: ﴿لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾[1]»[2].

وفي حديث مرفوع: «الفاجر[3] الراجي لرحمة الله أقرب منها من العابد القانط». رواه الحكيم الترمذي والحاكم في تاريخه[4][5].

---

(١) يوسف: ٨٢.

(٢) الكشاف (٢/ ٣١٥).

(٣) في الأصل: العاجز وهو تصحيف.

(٤) رواه الحكيم الترمذي في النوادر، والشيرازي في الألقاب -كما في الجامع الصغير- عن ابن مسعود. وأشار السيوطي في الجامع إلى ضعفه وكذا المناوي في الفيض (٤/ ٤٦٠-٤٦١). وقال الألباني في ضعيف الجامع الصغير: موضوع (٤/ ١٠٤).

(٥) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٤٩.

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْأَخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [النحل: ٢٠-٢٢].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْوَٰتٌ غَيْرُ أَحْيَآءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٢١﴾﴾ ليست هذه الآية في الأصنام كما يزعمه من لم يتدبر[1]، لأن (الذين) لا يخبر به إلا عن العقلاء.

ولأن الأصنام من الأخشاب والأحجار لا يحلها الموت، فإنها لم تحلها الحياة حتى يحلها الموت.

ولأنها لا تبعث يوم القيامة بعث الإنسان ليجزى بما كسبت يداه.

ولا يعقل منها شعور بهذا البعث حتى ينفيه الله عنها، وقد قال تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ فهذه الآية فيمن يموت ويبعث، كما لا يخفى

---

(١) ساق الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- هذه الآية في الرد على داود بن جرجيس الذي زعم: أن أهل الكرامات حالهم في الممات كحالهم في الحياة.
انظر كلامه -مثلاً- في: المنحة الوهبية (٢-٣).
ومراد الشيخ عبدالرحمن -رحمه الله- أن يبين أمرين:
الأول: أن الميت -كائناً من كان- لا يستطيع إيصال النفع أو الضر إلى الحي.
الثاني: أن الأنبياء والصالحين -كغيرهم- لا يجوز أن يشرك بهم مع الله تعالى وأن نصوص النهي عن الشرك تتناولهم كما تتناول غيرهم من الأصنام والأحجار. مثل قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]، وقوله: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ [يونس: ١٨].

على من تدبرها وتأمل قوله تعالى: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ وهذا إنما يستعمل فيمن يعقل كما لا يخفى على من له معرفة باللغة العربية[١].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

احتج سبحانه على بطلان دعوتهم غيره بأمور:

منها: أنهم ﴿لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ فالمخلوق لا يصلح أن يقصد بشيء من خصائص الإلهية لا دعاء ولا غيره، والدعاء مخ العبادة.

الثاني: كون الذين يدعونهم من دون الله أمواتاً غير أحياء والميت لا يقدر على شيء؛ فلا يسمع الداعي، ولا يستجيب له ففيها معنى قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا۟ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا۟ مَا ٱسْتَجَابُوا۟ لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾[٢].

وفي هذه الآية أربعة أمور تبطل دعوة غير الله[٣]، وتبين ضلالة من دعا غير الله فتدبرها.

الثالث: في هذه الآية قوله: ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ﴾ ومن لا يدري متى يبعث لا يصلح أن يدعى من دون الله لا دعاء عبادة ولا دعاء مسألة.

ثم بين تعالى ما أوجبه على عباده من إخلاص العبادة لله، وأنه هو المألوه، المعبود دون كل من سواه فقال: ﴿إِلَـٰهُكُمْ إِلَـٰهٌ وَاحِدٌ﴾ وهذا هو الذي

---

(١) القول الفصل النفيس، ص ٣٦.

(٢) فاطر: ١٣-١٤.

(٣) الأول: أنهم لا يملكون -استقلالًا- من قطمير وهي اللفافة على النواة. الجلالين (٣٦٥).
الثاني: أنهم لا يسمعون الدعاء.
الثالث: لو سمعوا الدعاء لم يملكوا الإجابة.
الرابع: أنهم يوم القيامة يكفرون وينكرون شرك من أشرك بهم. والله أعلم.

بعث الله به رسله وأنزل به كتبه كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[1].

ثم بين تعالى حال أكثر الناس مع قيام الحجة عليهم وبطلان ما هم عليه من الشرك بالله، وبيان ما افترض عليهم من توحيده فقال: ﴿فَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾ فذكر سببين حائلين بينهم وبين قبول الحق الذي دعوا إليه:

فالأول: عدم الإيمان باليوم الآخر.

والثاني: التكبر.

وهو حال الأكثرين، كما قد عرف من حال الأمم الذين بعث إليهم رسله كقوم نوح وقوم هود وقوم صالح وغيرهم، وكيف جرى منهم، وما حل بهم، وكحال كفار قريش والعرب وغيرهم مع النبي ﷺ لما بعثه الله بالتوحيد والنهي عن الشرك والتنديد، فقد روى مسلم وغيره من حديث عمرو بن عبسة أنه قال للنبي ﷺ لما قال له: «أنا نبي» قال: وما نبي؟ قال: «أرسلني الله» قال: بأي شيء أرسلك؟ قال: «بصلة الأرحام وكسر الأوثان، وأن يوحد الله، ولا يشرك به شيء» قال: فمن معك على هذا؟ قال: «حر وعبد» ومعه يومئذ أبو بكر وبلال[2].

وقد ثبت عن النبي ﷺ أنه قال: «بدأ الإسلام غريباً، وسيعود غريباً كما بدأ فطوبى للغرباء الذي يصلحون إذا فسد الناس»[3]، وفسر الغرباء بأنهم «النُّزَّاع

---

(١) الأنبياء: ٢٥.

(٢) رواه مسلم، كتاب صلاة المسافرين وقصرها، باب الأوقات التي نهي عن الصلاة فيها (٦/ ٤٣٤).

(٣) رواه الطبراني في الأوسط -كما في مجمع الزوائد (٢/ ٢٧٨)- كتاب الفتن، باب بدأ الإسلام غريباً، واللالكائي في شرح أصول اعتقاد أهل السنة (١/ ١١٢).
وفيه: أنهم سألوه عن الغرباء. وأصله في مسلم كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً (١/ ٣٣٣).
وقد ورد الحديث بألفاظ مختلفة وطرق متعددة عن جمع من الصحابة يربو على العشرين.

من القبائل»[١]، فلا يقبل الحق من القبيلـة إلا نزيعة الواحد والاثنان[٢] ولهذا قال بعض السلف: «لا تستوحش من الحق لقلة السالكين، ولا تغتر بالباطل لكثرة الهالكين»[٣]، وعـن بعضهم: «ليس العجب ممـن هلك كيف هلك، إنما العجب ممن نجا كيف نجا؟»[٤] فـإذا كان الأمر كذلك؛ فلا تعجبوا من كثرة المنحرفين الناكبين عن الحـق المجادلين في أمر الدين كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَٰنٍ أَتَىٰهُمْ ۖ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾[٥]، فأعظم منة على من رزقه الله معرفة الحق؛ الاعتصام بكتابه والتمسـك بتوحيده وشرعه، مع كثرة المخالف والمجادل بالباطل و﴿مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا﴾[٦]، وصلى الله على محمد سيد المرسلين وإمام المتقين وعلى آله وصحبه أجمعين وسلم تسـليماً كثيراً، والحمد لله رب العالمين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم[٧].

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟

---

(١) رواه الإمام أحمد ١(٣٩٨) رقم (٣٧٨٤)، والترمذي (٣/ ٣٦٣).
وابن ماجه (٢/ ١٣٢٠) رقم (٣٩٨٨).
وصححه الشيخ أحمد شاكر في المسند (٥/ ٢٩٦).

(٢) قال في النهاية (نزع) (٥/ ٤١): هم جمع نازع ونزيع، وهو الغريب الذي نزع عن أهله وعشيرته أي بَعُد وغاب.

(٣) ذكره ابن القيم في مدارج السالكين (١/ ٢٢) مبهماً، ونسبه الشيخ إسحاق بن عبدالرحمن للفضيل بن عياض. الدرر السنية (١/ ٥٤١).

(٤) يذكره الأئمة كثيراً دون تصريح بقائله، ولم أقف عليه مسنداً.

(٥) غافر: ٣٥.

(٦) الكهف: ٣٥.

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثالث، ص ٣٧٧.

﴿ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ هَدَى ٱللَّهُ وَمِنۡهُم مَّنۡ حَقَّتۡ عَلَيۡهِ ٱلضَّلَٰلَةُۚ فَسِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ﴾ [النحل: ٣٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قالوا: الطاغوت مشتق من الطغيان وهو مجاوزة الحد[١].

وقد فسره السلف ببعض أفراده.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «الطاغوت: الشيطان»[٢].

وقال جابر رضي الله عنه: «الطواغيت: كهان كانت تنزل عليهم الشياطين»[٣]. رواهما ابن أبي حاتم.

وقال مجاهد: «الطاغوت: الشيطان في صورة الإنسان، يتحاكمون إليه وهو صاحب أمرهم»[٤].

وقال مالك: «الطاغوت: كل ما عبد من دون الله»[٥].

قلت: وهو صحيح، لكن لابد فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته[٦].

---

(١) قال الراغب: الطغيان: تجاوز الحد في العصيان قال تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ﴾ [النازعات: ١٧]. إلى أن قال: والطاغوت عبارة عن كل متعد، وكل معبود من دون الله، ويستعمل في الواحد والجمع، إلى أن قال: ولما تقدم سمي الساحر والكاهن والمارد من الجن والصارف عن طريق الخير طاغوتاً. ا.هـ. المفردات (طغى) (٥٢٠-٥٢١).

(٢) رواه ابن جرير (٨/ ٤٦٢).
وانظر: الدر المنثور (٢/ ٥٦٤).

(٣) انظر: الدر المنثور (٢/ ٥٨٣).

(٤) رواه ابن المنذر.
انظر: الدر المنثور (٢/ ٨٥٢).

(٥) رواه ابن أبي حاتم.
انظر: الدر المنثور (٢/ ٢٢).

(٦) انظر: الدرر السنية (١/ ١٣٦-١٣٧).

وقال ابن القيم: «الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود أو متبوع أو مطاع.

فطاغوت كل قوم من يتحاكمون إليه[1] غير الله ورسوله، أو يعبدونه من دون الله، أو يتبعونه على غير بصيرة من الله، أو يطيعونه فيما لا يعلمون أنه طاعة الله. فهذه طواغيت العالم. إذا تأملتها وتأملت أحوال الناس معها رأيت أكثرهم ممن أعرض عن عبادة الله إلى عبادة الطاغوت ومتابعته»[2].

وأما معنى الآية: فأخبر تعالى أنه بعث في كل أمة، أي في كل طائفة وقرن من الناس رسولاً بهذه الكلمة: ﴿أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ أي: اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه، فلهذا خلقت الخليقة، وأرسلت الرسل، وأنزلت الكتب، كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ ۚ إِلَيْهِ أَدْعُوا۟ وَإِلَيْهِ مَـَٔابِ﴾[4].

وهذه الآية هي معنى: «لا إله إلا الله» فإنها تضمنت النفي والإثبات كما تضمنته «لا إله إلا الله»، ففي قوله: ﴿ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ﴾ الإثبات، وفي قوله: ﴿وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ النفي، فدلت الآية على أنه لابد في الإسلام من النفي والإثبات، فيثبت العبادة لله وحده، وينفي عبادة ما سواه وهو التوحيد الذي تضمنته سورة ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5]، وهو معنى قوله: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[6].

---

(١) في الأصل: إلى، والصواب المثبت أعلاه.

(٢) أعلام الموقعين (١/ ٥٠).

(٣) الأنبياء: ٢٥.

(٤) الرعد: ٣٦.

(٥) الكافرون: ١

(٦) البقرة: ٢٥٦.

قال ابن القيم: «وطريقة القــرآن في مثل هذا أن يقــرن النفي بالإثبات، فينفي عبادة ما ســوى الله، ويثبت عبادته، وهذا هو حقيقة التوحيد، والنفي المحض ليس بتوحيد، وكذلك الإثبات بــدون النفي، فلا يكون التوحيد إلا متضمناً للنفي والإثبات، وهذا حقيقة لا إله إلا الله»[١]. انتهى.

ويدخل في الكفر بالطاغوت بغضه وكراهته، وعدم الرضى بعبادته بوجه من الوجوه.

ودلت الآية على أن الحكمة في إرسال الرسل هو عبادة الله وحده وترك عبادة ما سواه.

وأن أصل دين الأنبياء واحد وهو الإخلاص في العبادة لله، وإن اختلفت شرائعهم، كما قال تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[٢].

وأنه لابد في الإيمان من العمل رداً على المرجئة[٣][٤].

(١) بدائع الفوائد (١/ ١٣٤).
(٢) المائدة: ٤٨.
(٣) المرجئة: من الإرجاء وهو التأخير، وذلك لأنهم أخروا الأعمال عن مسمى الإيمان وقيل غير ذلك، ومن أقوالهم: أنه لا يضر مع الإيمان ذنب، وأن الأعمال لا تدخل في مسمى الإيمان، والمرجئة ثلاث طوائف:
الأولى: من قال: الإيمان مجرد ما في القلب، ومن هؤلاء من يدخل عمل القلب ومنهم من لا يدخله كجهم وأصحابه.
الثانية: من قال: إن الإيمان الإقرار باللسان، وهم الكرامية.
الثالثة: من قال: إِن الإيمان تصديق القلب وقول اللسان، وهو المشهور عن كثير من أهل الفقه والعبادة منهم.
انظر: مقالات الإسلاميين (١/ ٢١٣)، الملل والنحل (١٣٩)، الفتاوى (٧/ ١٩٥).
(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٣، ٣٤.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِم مِّنْ أَنفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ أي: بياناً بليغا ﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾ من أمور الدين وما يتوقف عليه مصالح المؤمنين، قال مجاهد: ما سأل الناس عن شيء إلا في كتاب الله تبياناً.

قال علي بن أبي طالب -رضي الله عنه-: «كل شيء علمه في القرآن إلا أن آراء الرجال تعجز عنه».

﴿وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ للجميع وإنما حرمان المحروم من تفريطه.

﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ خاصة[1] بالجنة[2].

قال تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِاللَّهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ ﴾ [النحل: ١٠٦-١٠٧].

---

(١) انظر: تفسير البيضاوي (١/ ٥٥٤).

(٢) العقد الثمين، ص ٢٣٦.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

حكم تعالى حكماً لا يبدل أن من رجع عن دينه إلى الكفر فهو كافر سواء كان له عذر خوف على نفس أو مال أو أهل أم لا، وسواء كفر بباطنه وظاهره أم بباطنه دون ظاهره، وسواء كفر بفعاله ومقاله أو بأحدهما دون الآخر وسوا كان طامعاً في دنيا ينالها من المشركين أم لا فهو كافر على كل حال إلا المكره وهو في لغتنا «المغصوب».

فإذا أكره إنسان على الكفر أو قيل له اكفر وإلا قتلناك أو ضربناك أو أخذه المشركون فضربوه ولم يمكنه التخلص إلا بموافقتهم جاز له موافقتهم في الظاهر شرط أن يكون قلبه مطمئن بالإيمان أي ثابتاً عليه معتقداً له.

فأما إن وافقهم بقلبه فهو كافر ولو كان مكرهاً.

وظاهر كلام أحمد أنه في الصورة الأولى لا يكون مكرهاً حتى يعذبه المشركون فإنه لما دخل عليه يحيى بن معين[1] وهو مريض فسلم عليه فلم يرد عليه السلام فما زال يعتذر يقول: حديث عمار[2] وقال الله: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ

---

(١) يحيى بن معين بن عون بن زياد بن بسطام الغطفاني المري مولاهم، أبو زكريا أحد الأعلام ولد عام ١٥٨هـ، روى عن ابن المبارك وابن عيينة وغيرهما، وعنه: أحمد بن حنبل والبخاري ومسلم وغيرهم، من كبار أهل الحديث العارفين برجاله، قال يحيى القطان: ما قدم علينا البصرة مثل: أحمد ويحيى بن معين. ا.هـ. توفي عام ٢٣٣هـ بالمدينة. انظر: طبقات ابن سعد (٧/ ٣٥٤)، سير أعلام النبلاء (١١/ ٧١).

(٢) أخرجه عبدالرزاق في التفسير ج١ القسم الأول/ ٣٦٠، وابن سعد (٣/ ٢٤٩)، وابن جرير (١٤/ ١٢٢)، والحاكم وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٣٥٧)، وعزاه السيوطي في الدر (٥/ ١٧٠)، لابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الدلائل من طريق أبي عبيدة بن محمد بن عمار عن أبيه قال: أخذ المشركون عمار بن ياسر فلم يتركوه حتى سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم تركوه فلما أتى رسول الله ﷺ قال: ما وراءك شيء؟ قال: شر. ما تركت حتى نلت منك، وذكرت آلهتهم بخير. قال: كيف تجد قلبك؟ قال: مطمئن بالإيمان. قال: إن عادوا فعد. فنزلت: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.
كلهم بهذا الإسناد إلا ابن سعد فرواه دون ذكر أبيه.

وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَـٰنِ ﴾ فقلب أحمد وجهه إلى الجانب الآخر، فقال يحيى: لا يقبل عذراً، فلما خرج يحيى قال أحمد: يحتج بحديث عمار وحديث عمار مررت بهم وهو يسبونك فنهيتهم فضربوني وأنتم قيل لكم: نريد أن نضربكم. فقال يحيى: ما رأيت تحت أديم السماء أفقه في دين الله منك[(١)].

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين الشارحين صدورهم بالكفر وإن كانوا يقطعون على الحق ويقولون ما فعلنا هذا إلا خوفاً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم.

ثم أخبر تعالى أن سبب هذا الكفر والعذاب ليس بسبب الاعتقاد للشرك أو الجهل بالتوحيد أو البغض للدين أو محبة الكفر، وإنما سببه أن له في ذلك حظاً من حظوظ الدنيا فآثره على الآخرة، وعلى رضا رب العالمين فقال: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ﴾.

فكفَّرهم تعالى وأخبر أنه لا يهديهم مع كونهم يعتذرون بمحبة الدنيا.

ثم أخبر تعالى أن هؤلاء المرتدين لأجل استحباب الدنيا على الآخرة هم الذين طبع الله على قلوبهم وسمعهم وأبصارهم وأنهم الغافلون.

ثم أخبر خبراً مؤكداً محققاً أنهم في الآخرة هم الخاسرون[(٢)].

قال تعالى: ﴿ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ [النحل: ١٢٠].

---

(١) وذلك أن يحيى بن معين -رحمه الله- كان ممن أجاب في فتنة خلق القرآن تقية.
انظر: سير أعلام النبلاء (١١/ ٨٧).

(٢) الدرر السنية (٧/ ٦٣، ٦٤).

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

وصف الله تعالى إبراهيم عليه السلام في هذه الآية بهـذه الصفات الجليلة التي هي أعلى درجـات تحقيق التوحيد، ترغيباً في اتباعه فـي التوحيد، وتحقيق العبودية باتباع الأوامر، وترك النواهـي، فمن اتبعه في ذلك فإنه يدخل الجنة بغير حساب ولا عذاب كما يدخلها إبراهيم عليه السلام.

الأولى: أنه كان أمة، أي قـدوة وإماماً معلماً للخيـر، وإماماً يقتدى به، روي معناه عن ابن مسعود[1]، وما كان كذلك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين بهما تنـال الإمامة في الدين، كما قـال تعالى: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا ۖ وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾[2].

الثانية: قانتاً لله، أي خاشـعاً مطيعاً، دائماً علـى عبادته وطاعته كما قال شيخ الإسـلام: «القنوت في اللغة: دوام الطاعة[3]، والمصلي إذا طال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت في ذلك كله، قال تعالى: ﴿ أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ ﴾[4]، فجعلـه قانتـاً في حال السجود والقيام[5]. انتهى.

فوصفه في هاتين الصفتين بتحقيق العبودية في نفسـه أولاً علماً وعملاً.

---

(١) روى ابن جرير (١٤/ ١٢٨) وغيره عن ابن مسعود أنه سئل عن الأمة القانت؟ قال: الأمة معلم الخير، والقانت المطيع لله ورسوله.
انظر: الدر المنثور (٥/ ١٧٦).

(٢) السجدة: ٢٤. وانظر: في معنى «الأمة» واستعمالاتها في القرآن الكريم:
تأويل مشكل القرآن (٤٤٥)، نزهة الأعين النواظر (١٤٢)، إصلاح الوجوه والنظائر (٤٢)، تحفة الأريب (١٨).

(٣) قال الراغب: القنوت: لزوم الطاعة مع الخضوع. المفردات (قنت) (٦٨٤).

(٤) الزمر: ٩.

(٥) رسالة في قنوت الأشياء كلها لله تعالى، جامع الرسائل (١/ ٥).

وثانياً: دعوة وتعليماً واقتداء به، وما كان يقتدى به إلا لعمله به في نفسه، ووصفه في الثانية بالاستقامة على ذلك كما قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾[1]، فتضمنت العلم والعمل والاستقامة والدعوة.

الثالثة: أنه كان حنيفاً، والحنف الميل[2]، أي مائلاً منحرفاً قصداً عن الشرك كما قال تعالى حكاية عنه: ﴿وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[3]، قال تعالى: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾[4] الآية.

الرابعة: أنه ما كان من المشركين، أي هو موحد خالص من شوائب الشرك مطلقاً، فنفى عنه الشرك على أبلغ وجوه النفي، بحيث لا ينسب إليه شرك وإن قل، تكذيباً لكفار قريش في زعمهم أنهم على ملة إبراهيم عليه السلام.

وقال المصنف[5] في الكلام على هذه الآية:

«﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين.

﴿حَنِيفًا﴾ لا يميل يميناً ولا شمالاً كفعل العلماء المفتونين.

(١) فصلت: ٣٣.

(٢) انظر: معجم مقاييس اللغة (٢/ ١١٠)، لسان العرب (٩/ ٥٦) (حنف).
وقد جاء في الأصل: الدعوة الثالثة. وأظنه مكرر من الكلمة التي قبلها. والله أعلم.

(٣) الأنعام: ٧٩.

(٤) الروم: ٣٠.

(٥) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كثر سوادهم وزعم أنه من المسلمين»[١].

قلت: وهو من أحسن ما قيل في تفسير هذه الآية، لكنه ينبه بالأدنى على الأعلى.

وقوله: «لئلا يستوحش» تنبيه على بعض معنى الآية، وهو المنفرد وحده في الخير، وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾ كان على الإسلام ولم يكن في زمانه من قومه أحد على الإسلام غيره، فلذلك قال الله: ﴿كَانَ أُمَّةً قَانِتًا﴾»[٢]، ولا تنافي بينه وبين كلام ابن مسعود المتقدم[٣][٤].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

وصف الله إبراهيم عليه السلام بهذه الصفات التي هي الغاية في تحقيق التوحيد.

الأولى: أنه كان أمة، أي قدوة وإماماً معلماً للخير، وما ذاك إلا لتكميله مقام الصبر واليقين اللذين بهما تنال الإمامة في الدين.

الثانية: قوله: ﴿قَانِتًا﴾ قال شيخ الإسلام: «القنوت دوام الطاعة، والمصلي إذا أطال قيامه أو ركوعه أو سجوده فهو قانت قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾[٥]»[٦]. ا.هـ.

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ١٣٨).
(٢) انظر: الدر المنثور (٥/ ١٧٦).
(٣) راجع ص ٤٩٠.
(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٧٧-٧٨.
(٥) الزمر: ٩.
(٦) رسالة في قنوت الأشياء كلها لله، جامع الرسائل (١/ ٥).

الثالثة: أنــه كان حنيفاً قلت: قال العلامة ابن القيــم: «(الحنيف) المقبل على الله، المعرض عن كل ما سواه»[١]. ا.هـ.

الرابعة: أنه ما كان من المشــركين، أي لصحــة إخلاصه وكمال صدقه، وبعده عن الشرك.

قلت: يوضح هذا قولــه تعالــى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ﴾[٢]، أي: على دينه من إخوانه المرسلين، قاله ابن جرير رحمه الله تعالى[٣].

﴿إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾[٤].

وذكر تعالى عن خليله عليه السلام أنه قال لأبيه آزر: ﴿وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَأَدْعُواْ رَبِّي عَسَىٰٓ أَلَّآ أَكُونَ بِدُعَآءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾﴾[٥]، فهــذا تحقيــق التوحيد، وهو البراءة من الشــرك وأهله واعتزالهــم، والكفر بهم وعداوتهم وبغضهم، فالله المستعان.

قال المصنف رحمه الله في هذه الآية:

﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ لئلا يستوحش سالك الطريق من قلة السالكين.

---

(١) مفتاح دار السعادة (١/ ١٧٤)، دون قوله: المعرض عن كل ما سواه.

(٢) الممتحنة: ٤.

(٣) تفسير الطبري (٢٨/ ٤١) ولفظه: يقول تعالى ذكره للمؤمنين به من أصحاب رسول الله ﷺ قد كان لكم أيها المؤمنون أسوة حسنة يقول: قدوة حسنة في إبراهيم خليل الرحمن تقتدون به والذين معه من أنبياء الله. ا.هـ.

(٤) الممتحنة: ٤.

(٥) مريم: ٤٨-٤٩.

﴿قَانِتًا لِّلَّهِ﴾ لا للملوك ولا للتجار المترفين.

﴿حَنِيفًا﴾ لا يميل يميناً ولا شمالاً كفعل العلماء المفتونين.

﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ خلافاً لمن كثَّر سوادهم وزعم أنه من المسلمين»[١]. ا.هـ.

وقد روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله: «﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ على الإسلام. ولم يك في زمانه أحد على الإسلام غيره»[٢].

قلت: ولا منافاة بين هذا وبين ما تقدم من أنه كان إماماً يقتدى به في الخير[٣].

وقال أيضاً:

قال العماد ابن كثير -رحمه الله تعالى-: «يمدح تعالى عبده ورسوله وخليله إبراهيم إمام الحنفاء بتبرئته من المشركين ومن اليهودية والنصرانية والمجوسية.

والأمة: هو الإمام الذي يقتدى به، والقانت: هو الخاشع المطيع، والحنيف: المنحرف قصداً عن الشرك إلى التوحيد، ولهذا قال: ﴿وَلَمْ يَكُ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

وقال مجاهد: كان إبراهيم أمة أي مؤمناً وحده والناس كلهم إذ ذاك كفار»[٤].

---

(١) الدرر السنية (١٠/ ١٣٨).

(٢) انظر: الدر المنثور (٥/ ١٧٦).

(٣) فتح المجيد، ص ٥١-٥٣.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٢/ ٥٩٠-٥٩١)، والأثر عن مجاهد عزاه السيوطي في الدر (٥/ ١٧٦) لابن المنذر وابن أبي حاتم.

قلت: وكلا القولين حق فقد كان الخليل عليه السلام كذلك. وقول مجاهد -والله أعلم- لما كان الخليل كذلك في ابتداء دعوته ونبوته ورسالته عليه السلام فمدحه الله تعالى بتبرئته من المشركين كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِبۡرَٰهِيمَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صِدِّيقٗا نَّبِيًّا ۝٤١ إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعۡبُدُ مَا لَا يَسۡمَعُ وَلَا يُبۡصِرُ وَلَا يُغۡنِي عَنكَ شَيۡـٔٗا ۝٤٢﴾[1] الآيات، وقوله: ﴿وَإِنَّ مِن شِيعَتِهِۦ لَإِبۡرَٰهِيمَ ۝٨٣ إِذۡ جَآءَ رَبَّهُۥ بِقَلۡبٖ سَلِيمٍ ۝٨٤﴾[2]، فهذا -والله أعلم- كان في ابتداء دعوته عليه الصلاة والسلام ولم يكن إذ ذاك على وجه الأرض مسلم غيره، وبذلك جاء الحديث[3].

وقوله: ﴿وَلَمۡ يَكُ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ فقد فارق المشركين بالقلب واللسان والأركان، وأنكر ما كانوا عليه من الشرك بالله في عبادته، وكسَّر الأصنام، وصبر على ما أصابه في ذات الله. وهذا هو تحقيق التوحيد، وهو أساس الدين ورأسه كما قال تعالى: ﴿إِذۡ قَالَ لَهُۥ رَبُّهُۥٓ أَسۡلِمۡۖ قَالَ أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾[4]، وأنت تجد أكثر من يقول «لا إله إلا الله» ويدعي الإسلام يفعل الشرك بالله في عبادته بدعوة من لا يضر ولا ينفع من الأموات والغائبين

(١) مريم: ٤١-٤٢.

(٢) الصافات: ٨٣-٨٤.

(٣) رواه البخاري، كتاب الأنبياء، باب قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبۡرَٰهِيمَ خَلِيلٗا﴾ (٦/ ٣٨٨) «فتح»، ومسلم، كتاب الفضائل، باب من فضائل إبراهيم عليه السلام (١٥/ ٥٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه وفيه: لم يكذب إبراهيم عليه السلام إلا ثلاث كذبات، اثنتين منهن في ذات الله عز وجل، قوله: ﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٞ﴾، وقوله ﴿بَلۡ فَعَلَهُۥ كَبِيرُهُمۡ هَٰذَا﴾ وقال: بينا هو ذات يوم وسارة إذ أتى على جبار من الجبابرة، فقيل له: إن هاهنا رجلاً معه امرأة من أحسن الناس، فأرسل إليه فسأله عنها فقال: من هذه؟ قال: أختي. فأتى سارة قال: يا سارة ليس على وجه الأرض مؤمن غيري وغيرك وإن هذا سألني عنك فأخبرته أنك أختي، فلا تكذبيني... الحديث.

(٤) البقرة: ١٣١.

والطواغيت والجن وغيرهم ويحبهم ويواليهـــم ويخافهم ويرجوهم، وينكر على من دعا إلى عبادة الله وحده وترك عبادة ما ســـواه، ويزعم أن ذلك بدعة وضلالة، ويعادي من عمل به وأحبه وأنكر الشرك وأبغضه، وبعضهم لا يعد التوحيد علماً ولا يلتفت إليه لجهله به وعدم محبته فالله المستعان[1].

---

(١) قرة عيون الموحدين (٣٦).

سورة الإسراء

قال تعالى: ﴿ مَّنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيۡهَاۚ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰۗ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبۡعَثَ رَسُولٗا ﴾ [الإسراء: ١٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

مثَّل العلماءُ هذا الصنف بمن نشأ ببادية أو ولد في بلاد الكفار ولم تبلغه الحجة الرسالية ولذلك قال الشيخ[١]: «لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة في كثير من المتأخرين»[٢]، وقد صنف رسالة مستقلة في أن الشرائع لا تلزم قبل بلوغها[٣]، وأكثر العلماء يسلمون هذا في الجملة ويرتبون عليه أحكاماً كثيرة في العبادات والمعاملات وغيرها.

فمن بلغته دعوة الرسل إلى توحيد الله ووجوب الإسلام له وفقه أن الرسل جاءت بهذا لم يكن له عذر في مخالفتهم وترك عبادة الله، وهذا هو الذي يُجزم بتكفيره إذا عبد غير الله وجعل معه الأنداد والآلهة.

والشيخ وغيره من المسلمين لا يتوقفون في هذا وشيخنا رحمه الله[٤] قد قرر هذا وبيَّنه وفاقاً لعلماء الأمة واقتداء بهم، ولم يكفر إلا بعد قيام الحجة وظهور الدليل، حتى إنه رحمه الله توقف في تكفير الجاهل من عباد القبور إذا لم يتيسر له من ينبهه[٥].

---

(١) المقصود شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله.

(٢) الرد على البكري (٣٨٦).

(٣) لم أقف على هذه الرسالة بهذا الاسم، ولم أجدها في أسماء مؤلفات شيخ الإسلام لابن القيم وكلامه في هذا المعنى كثير.
انظر: فصل: الأمر والنهي مشروط بالممكن من العلم والقدرة. الفتاوى (١٠/ ٣٤٤).

(٤) المقصود: الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى.

(٥) قال الشيخ محمد بن عبدالوهاب: وإذا كنا لا نكفر من عبد الصنم الذي على عبد القادر، والصنم الذي على قبر أحمد البدوي، وأمثالها، لأجل جهلهم، وعدم من ينبههم، فكيف من لم يشرك بالله إذا لم يهاجر إلينا؟ .ا.هـ. الدرر السنية (١/ ١٠٤)، مصباح الظلام (٤٣).

وهذا هو المراد بقول الشيخ ابن تيمية رحمه الله تعالى: «حتى يُبيَّن لهم ما جاء به الرسول ﷺ»[١]، فإذا حصل البيان الذي يفهمه المخاطب ويعقله فقد تَبيَّن له وليس بين بَيَّن وتبيَّن فرق بهذا الاعتبار[٢]، لأن كل من بين له ما جاء به الرسول وأصر وعاند فهو غير مستجيب.

والحجة قائمة عليه سواء كان إصراره لشبهة عرضت كما وقع للنصارى وبعض المشركين من العرب أو كان ذلك عن عناد وجحود واستكبار، كما جرى لفرعون وقومه وكثير من مشركي العرب، فالصنفان يحكم بكفرهم إذا قامت الحجة التي يجب اتباعها، ولا يلزم أن يعرف الحق في نفس الأمر كما عرفته اليهود وأمثالهم، بل يكفي في التكفير رد الحجة وعدم قبول ما جاءت به الرسل قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعۡمَٰلُهُمۡ كَسَرَابِۭ بِقِيعَةٖ﴾ .. إلى قوله .. ﴿وَمَن لَّمۡ يَجۡعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورٗا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٣]. وقال تعالى: ﴿وَجَعَلۡنَا مِنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ سَدّٗا وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ سَدّٗا﴾[٤] الآية، وقال تعالى: ﴿أَمۡ تَحۡسَبُ أَنَّ أَكۡثَرَهُمۡ يَسۡمَعُونَ أَوۡ يَعۡقِلُونَۚ إِنۡ هُمۡ إِلَّا كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾[٥]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدۡ ذَرَأۡنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِۖ لَهُمۡ قُلُوبٞ لَّا يَفۡقَهُونَ بِهَا وَلَهُمۡ أَعۡيُنٞ لَّا يُبۡصِرُونَ بِهَا وَلَهُمۡ ءَاذَانٞ لَّا يَسۡمَعُونَ بِهَآۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَٱلۡأَنۡعَٰمِ بَلۡ هُمۡ أَضَلُّۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡغَٰفِلُونَ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿قُلۡ هَلۡ

---

(١) الرد على البكري (٣٧٦).

(٢) وذلك أن عثمان بن عبدالعزيز بن منصور التميمي (ت ١٢٨٢هـ)، والذي يرد عليه الشيخ في هذا الكتاب حين نقل هذه العبارة عن شيخ الإسلام قال إنها لفظ (يتبين).

(٣) النور: ٣٩-٤٠.

(٤) يس: ٩.

(٥) الفرقان: ٤٤.

(٦) الأعراف: ١٧٩.

نُنَبِّئُكُم بِٱلۡأَخۡسَرِينَ أَعۡمَٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ﴿١٠٤﴾﴾[1]، وقال تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنٗا﴾[2]، وقال تعالى: ﴿فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُۚ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾[3]، ونحو ذلك من الآيات.

وإذا بلغ النصراني ما جاء به الرسول ولم ينقد له لظنه أنه رسول الأميين فقط فهو كافر، وإن لم يتبين له الصواب في نفس الأمر.

وكذلك كل من بلغته دعوة الرسل بلوغاً يعرف منه المراد والمقصود، فرد ذلك لشبهة أو نحوها فهو كافر، وإن التبس عليه الأمر، وهذا لا خلاف فيه[4].

قال تعالى: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء: ٢٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال مجاهد: ﴿وَقَضَىٰ﴾ «يعني وصى»[5].

---

(١) الكهف: ١٠٣-١٠٤.

(٢) فاطر: ٨.

(٣) الأعراف: ٣٠.

(٤) مصباح الظلام، ص ٣٢٤، ومقصود الشيخ بذلك المسائل الظاهرة التي معرفة ما جاء به النبي ﷺ فيها تحصل بمجرد البلاغ وسماع النصوص الشرعية، دون المسائل الخفية التي يعذر فيها المخالف بالخطأ والتأويل وتستوجب كشف الشبهة وإقامة الحجة. انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية (٤/ ٥٤)، الدرر السنية (٩/ ٤٠٥ - ٤٠٦) (١٠/ ٧٢) (١٠/ ٣٨٨).

(٥) انظر: تفسير البغوي (٥/ ٨٥).

وكذلك قرأ أبي بن كعب[١]، وابن مسعود[٢]، وابن عباس[٣]، وغيرهم[٤].

وروى ابن جرير: عن ابن عباس في قوله: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ «يعني أمر»[٥].

وقوله: ﴿أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ أن: هي المصدرية وهي في محل جر بالباء.

والمعنى: أن تعبدوه ولا تعبــدوا غيره ممن لا يملك ضراً ولا نفعاً، بل هو إما فقير محتاج إلى رحمة ربه يرجوها كما ترجونها وإما جماد لا يستجيب لمن دعاه.

وقوله: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾ أي: وقضى أن تحســنوا بالوالدين إحساناً كما قضى بعبادته وحده لا شــريك له، وعطف حقهما علــى حق الله تعالى دليل علــى تأكد حقهما وأنه أوجــب الحقوق بعد حق اللــه، وهذا كثير في القرآن يقرن بين حقه عز وجل وبيــن حق الوالدين، كقوله: ﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ﴾[٦]، وقال: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾[٧].

---

(١) رواه ابن جرير (١٥/ ٤٧).

(٢) رواه عبدالرزاق في التفسير ج١ القسم الثاني/ ٣٧٦، وابن جرير (١٥/ ٤٧) وابن المنذر.
انظر: الدر المنثور (٥/ ٢٥٨).

(٣) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر وابن مردويه وغيرهم.
انظر: الدر المنثور (٥/ ٢٥٧).

(٤) كالضحاك بن مزاحم رواه عنه ابن جرير (١٥/ ٦٣) وابن المنذر وغيرهم.
انظر: الدر المنثور (٥/ ٢٥٨).
وقال في البحر المحيط (٦/ ٢٣): «وفي مصحف ابن مسعود وأصحابه وابن عباس وابن جبير والنخعي وميمون بن مهران من التوصية». ا.هـ.
وانظر: مختصر الشواذ لابن خالويه (٧٥).

(٥) تفسير الطبري (١٥/ ٤٧).
ورواه ابن المنذر.
انظر: الدر المنثور (٥/ ٢٥٨).

(٦) لقمان: ١٤.

(٧) البقرة: ٨٣.

ولم يخص تعالى نوعاً من أنواع الإحسان ليعم أنواع الإحسان.

وقد تواتــرت النصوص عن النبي ﷺ بالأمر ببــر الوالدين والحث على ذلك، وتحريــم عقوقهما كما في القــرآن، ففي صحيح البخــاري: عن ابن مســعود قال: «ســألت النبي ﷺ : أي الأعمال أحب إلى الله؟ قال: الصلاة على وقتها، قلت: ثم أي؟ قال: بر الوالديــن، قلت: ثم أي؟ قال: الجهاد في سبيل الله. حدثني بهن ولو استزدته لزادني»[1].

وعن أبي بكرة قال: قال رسول الله ﷺ : «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر؟ قلنا: بلى يا رسول الله. قال: الإشراك بالله، وعقوق الوالدين، وكان متكئاً فجلس فقال: ألا وقول الزور، ألا وشــهادة الزور، فما زال يكررهــا حتى قلنا: ليته سكت». رواه البخاري ومسلم[2].

وعن أبي هريرة قال: «قال رجل: يا رســول الله! من أحق الناس بحسن صحابتي؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أمك. قال: ثم من؟ قال: أبوك». أخرجه البخاري ومسلم[3][4].

قــال تعالــى: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ

---

(١) رواه البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل الصلاة لوقتها (١/ ١٣٤)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال (١/ ٢٥٧).

(٢) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر (٧/ ٧٠)، ومسلم، كتاب الإيمان، باب الكبائر وأكبرها (١/ ٢٦٢).

(٣) رواه البخاري، كتاب الأدب، باب من أحق الناس بحسن الصحبة (٧/ ٦٩)، ومسلم، كتاب البر، باب بر الوالدين وأيهما أحق به (١٦/ ٨٠).

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٥، ٣٦.

أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال ابن كثير رحمه الله: «يقول تعالى: ﴿قُلِ﴾ يا محمد للمشركين الذين عبدوا غير الله ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ من الأصنام والأنداد وارغبوا إليهم، فإنهم لا يملكون كشف الضر عنكم أي بالكلية ﴿وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ أي: ولا أن يحولوه إلى غيركم.

والمعنى: أن الذي يقدر على ذلك هو الله وحده لا شريك له، الذي له الخلق والأمر. قال العوفي عن ابن عباس في الآية: «كان أهل الشرك يقولون: نعبد الملائكة والمسيح وعزيراً، وهم الذين يدعون. يعني الملائكة والمسيح وعزيراً»[١].

وروى البخاري في الآية عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: «ناس من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا»[٢]، وفي رواية: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»[٣][٤].

وقول ابن مسعود هذا يدل على أن الوسيلة هي الإسلام، وهو كذلك على كلا القولين.

---

(١) رواه الطبري (١/ ٧٢).

(٢) رواه البخاري: كتاب التفسير «سورة الإسراء»، باب ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ الآية (٥/ ٢٢٧).

(٣) رواه البخاري كتاب التفسير «سورة الإسراء»، باب ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمۡلِكُونَ كَشۡفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمۡ وَلَا تَحۡوِيلًا﴾ (٥/ ٢٢٧).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٤٦).

وقال السدي عن أبي صالح[(١)] عن ابن عباس في الآية قال: «عيسى وأمه وعزير»[(٢)]، وقال مغيرة[(٣)] عن إبراهيم كان ابن عباس يقول في هذه الآية: «هم عيسى وعزير والشمس والقمر»[(٤)].

وقال مجاهد: «عيسى وعزير والملائكة»[(٥)].

وقوله: ﴿يَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ لا تتم العبادة إلا بالخوف والرجاء؛ فكل داع دعا دعاء عبادة أو استغاثة لابد له من ذلك: فإما أن يكون خائفاً وإما أن يكون راجياً وإما أن يجتمع فيه الوصفان.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله تعالى- في هذه الآية؛ لما ذكر أقوال المفسرين: «وهذه الأقوال كلها حق، فإن الآية تعم من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر، والسلف في تفسيرهم يذكرون جنس المراد بالآية على نوع التمثيل، كما يقول الترجمان لمن سأله: ما معنى الخبز؟ فيريه رغيفاً فيقول هذا. فالإشارة إلى نوعه لا إلى عينه، وليس مرادهم بذلك تخصيص نوع من شمول الآية، فالآية خطاب لكل من دعا من

---

(١) باذام، وقيل: باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، روى عن علي وابن عباس وغيرهما، وعنه الأعمش والسدي والكلبي وغيرهم، قال ابن معين: ليس به بأس، وإذا روى عنه الكلبي فليس بشيء. ا.هـ.
انظر: الكاشف (١/ ٩٦)، تهذيب التهذيب (١/ ٤١٦).

(٢) رواه ابن جرير (١٥/ ٧٢)، وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه. انظر: الدر المنثور (٥/ ٣٠٥).

(٣) المغيرة بن مِقسم الضبي مولاهم أبو هشام الكوفي الفقيه، روى عن إبراهيم النخعي «وهو المقصود أعلاه» وأبي وائل وجماعة، وعنه: شعبة والثوري وغيرهما، وثقه جماعة منهم النسائي وأبو حاتم، توفي عام ١٣٣هـ، وقيل غير ذلك.
انظر: الكاشف (٣/ ١٥٠)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٢٦٩).

(٤) رواه ابن جرير (١٥/ ٧٢)، وعزاه السيوطي (٥/ ٣٠٦) لسعيد بن منصور وابن المنذر.

(٥) انظر فيما سبق: ابن كثير (٣/ ٤٧).

دون الله مدعواً، وذلك المدعو يبتغي إلى الله الوسيلة ويرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين سواء كان بلفظ الاستغاثة أو غيرها فقد تناولته هذه الآية، كما تتناول من دعا الملائكة والجن؛ فقد نهى الله تعالى من دعاهم، وبيَّن أنهم لا يملكون كشف الضر عن الداعين ولا تحويله، ولا يرفعونه بالكلية ولا يحولونه من موضع إلى موضع، كتغيير صفته أو قدره، ولهذا قال: ﴿وَلَا تَحْوِيلًا﴾ فذكر نكرة تعم أنواع التحويل، فكل من دعا ميتاً أو غائباً من الأنبياء والصالحين أو دعا الملائكة فقد دعا من لا يغيثه ولا يملك كشف الضر عنه ولا تحويله»[١]. ا.هـ.

وفي هذه الآية رد على من يدعو صالحاً ويقول: أنا لا أشرك بالله شيئاً، الشرك عبادة الأصنام[٢].

وقال أيضاً:

أي أولئك الذين يدعوهم أهل الشرك ممن لا يملك كشف الضر ولا تحويله من الملائكة والأنبياء والصالحين كالمسيح وأمه والعزير فهؤلاء دينهم التوحيد، وهو بخلاف من دعاهم من دون الله ووصفهم بقوله: ﴿يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ فيطلبون القرب من الله بالإخلاص له وطاعته فيما أمر، وترك ما نهاهم عنه.

وأعظم القرب: التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله وأوجب عليهم العمل به والدعوة إليه، وهذا الذي يقربهم إلى الله أي إلى عفوه ورضاه، ووصف ذلك بقوله: ﴿وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ﴾ فلا يرجون أحداً سواه

---

(١) الرد على البكري (٢٨٤-٢٨٧) باختصار.
(٢) فتح المجيد (٨٨-٨٩).

ولا يخافون غيره، وذلك هو توحيده؛ لأن ذلك يمنعهم من الشرك ويوجب لهم الطمع في رحمة الله والهرب من عقابه، والداعي لهم -والحالة هذه- قد عكس الأمر وطلب منهم ما كانوا ينكرون من الشرك بالله في دعائهم لمن كانوا يدعونه من دون الله، ففيه معنى قوله ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾[١]، وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُوا۟ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا۟ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾[٢].

وفيه الرد على من ادعى أن شرك المشركين إنما هو بعبادة الأصنام.

وتبين بهذه الآية أن الله تعالى أنكر على من دعا معه غيره من الأنبياء والصالحين والملائكة ومن دونهم، وأن دعاء الأموات والغائبين لجلب نفع أو دفع ضر من الشرك الأكبر الذي لا يغفره الله، وأن ذلك ينافي ما دلت عليه كلمة الإخلاص.

فتدبر هذه الآية العظيمة يتبين لك التوحيد، وما ينافيه من الشرك والتنديد، فإنها نزلت فيمن يعبد الملائكة والمسيح وأمه والعزير، فهم المعنيون بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾.

ثم بين تعالى أن هؤلاء المشركين قد خالفوا من كانوا يدعونه في دينه فقال: ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ﴾ وقدم المعمول لأنه يفيد الحصر، يعني: يبتغون إلى ربهم الوسيلة لا إلى غيره، وأعظم الوسائل إلى الله تعالى التوحيد الذي بعث الله به أنبياءه ورسله، وخلق الخلق لأجله.

ومن التوسل إليه التوسل بأسمائه وصفاته كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ

---

(١) فاطر: ١٤.

(٢) الأحقاف: ٦.

ﱡﭐ ﭐﱡﭐﱡﭐﱡﭐﱡﭐﱡﭐالْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾[١]، وكما ورد في الأذكار المأثورة من التوسل بها في الدعوات كقوله: «اللهم إني أسـألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض يا ذا الجلال والإكرام»[٢]، وقوله: «اللهم إني أسـألك بأنك أنت الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»[٣]، وغير ذلك من الأعمال الصالحة الخالصة التي لم يشـبها شـرك[٤]، فالتوسل إلى الله هو بما يحبه ويرضاه، لا بما يكرهه ويأباه من الشـرك الذي نزه نفسه عنه بقوله: ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥]، وقوله: ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾[٦]، وقوله في الإنكار على من اتخذ الشـفعاء ﴿قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ ۚ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٧]، وأمثـال هـذه الآيـات فـي القـرآن كثير، يأمر عباده بإخلاص العبادة له، وينهاهم عن عبادة ما سواه، ويعظم عقوبته، كما قد جرى على الأمم المكذبة للرسـل فيمـا جاؤوهم به من التوحيد

---

(١) الأعراف: ١٨٠.

(٢) رواه الإمام أحمد (٣/ ١٢٠) رقم (١٢٢٢٦)، ص ١٥٨، رقم (١٢٦٣٢)، ص ٢٤٥، رقم (١٣٥٩٥)، وأبو داود، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٧٩)، والنسائي، كتاب السهو، باب الدعاء بعد الذكر (٣/ ٥٢)، والحاكم في مستدركه (١/ ٥٠٣)، وصححه ووافقه الذهبي من حديث أنس رضي الله عنه وفيه: أن رجلاً كان يصلي فقال: اللهم إني أسألك ... فذكره . فقال النبي صلى الله عليه وسلم : دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

(٣) رواه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ٦٥، (٩/ ١٥٤)، وقال حسن غريب، وأبو داود، كتاب الصلاة، باب الدعاء (٢/ ٧٩)، وابن ماجه، كتاب الدعاء، باب اسم الله الأعظم (٢/ ١٢٦٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب الدعاء (١/ ٥٠٤) وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، وله شاهد صحيح على شرط مسلم، ووافقه الذهبي من حديث بريدة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلاً يقول: فذكره. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «والذي نفسي بيده لقد سأل الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب، وإذا سئل به أعطى».

(٤) انظر قاعدة جليلة في التوسل والوسيلة، لشيخ الإسلام ابن تيمية، الفتاوى (١/ ٢٠٦) وما بعدها.

(٥) الطور: ٤٣، الحشر: ٢٣.

(٦) يوسف: ١٠٨.

(٧) يونس: ١٨.

والنهي عن الشـــرك فلم يقبلوا، فأوقع الله بهم ما أوقع كقوم نوح وعاد وثمود ونحوهم، فإنهم عصوا الرسل فيما أمروهم به من التوحيد وتمسكوا بالشرك وقالوا لنــوح: ﴿وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِىَ ٱلرَّأْىِ﴾[(١)]، وقــال لهــود: ﴿مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِىٓ ءَالِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ﴾[(٢)] الآيات، وقالوا لصالح: ﴿قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا﴾[(٣)]، وقالوا لشعيب: ﴿أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ﴾[(٤)]، فتدبر ما قص الله تعالى في كتابه مما دعت إليه الرسل وما أوقع بمن عصاهم، فإن الله تعالى أقام به الحجة على كل مشرك إلى يوم القيامة.

وأما ما ورد في معنى الآية عن ابن مســعود قال: «نــاس من الجن كانوا يُعبدون فأسلموا»[(٥)]، وفي رواية: «كان ناس من الإنس يعبدون ناساً من الجن فأسلم الجن وتمسك هؤلاء بدينهم»[(٦)].

قلت: وهذا لا يخالف ما تقدم؛ لأن هذه الآية حجة على كل من دعا مع الله ولياً من الأولين والآخرين كما قال شــيخ الإســلام ابن تيمية رحمه الله تعالى في هذه الآية: «وهــذه الأقوال كلها حق، فإن هــذه الآية تعم من كان معبوده عابداً لله، سواء كان من الملائكة أو من الجن أو من البشر»[(٧)(٨)].

---

(١) هود: ٢٧.
(٢) هود: ٥٣.
(٣) هود: ٦٢.
(٤) هود: ٨٧.
(٥) سبق تخريجه.
(٦) سبق تخريجه.
(٧) الرد على البكري (٢٨٤).
(٨) قرة عيون الموحدين (٥٥-٥٧).

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذه فيمن عبد الصالحين من الجن والإنس والملائكة كما فسرها بذلك غير واحد من السلف[١]، ويدل عليه قوله: ﴿ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ ﴾ وقد وصفهم بأنهم لا يملكون كشف الضر ولا تحويله من حال إلى حال وإن قل، كما يفيده النكرة في سياق النفي، فبطل دعاؤهم بما لا يقدر عليه إلا الله[٢].

وقال رحمه الله أيضاً:

القرب في هذا ونحوه أضيف إلى العبد، والقلب إذا أناب إلى الله، وأخلص في عبادته، وصدق في معاملته؛ كان له من القرب بحسب صدقه وإخلاصه ورتبته من الإيمان؛ فترتفع عنه حجب الشهوات والشبهات، وينقشع عنه ليلها وظلامها، وهذا المعنى حق لا يشك فيه.

ويضاف القرب إلى الله كما في قوله تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِۖ ﴾[٣]، فهذا قرب خاص للسائلين والداعين، وقد يقرب من عباده ومن القلوب الطيبة كيفما شاء، لكنه قرب خاص، ليس كما يظنه الجهمي من أن ذاته تحل في المخلوقات، فهو سبحانه ليس كمثله شيء في صفاته وكمال عظمته وقدرته، ينزل إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر[٤]، وهو مستو على عرشه عال فوق خلقه لا تحيط به المخلوقات ولا تحتوي عليه الكائنات، ويدنو عشية عرفة فيباهي

(١) انظر ما سبق قريباً.

(٢) تحفة الصالح والجليس، ص ٩٢.

(٣) البقرة: ١٨٦.

(٤) كما دل على ذلك الحديث المخرج في الصحيحين. راجع تفسير سورة الفاتحة.

ملائكته بأهل الموقف[(١)]، ومع ذلك فصفة العلو والاستواء ثابتة في تلك الحال، لا يخلو العرش منه ولا يعلم قدر عظمته إلا هو جل ثناؤه، وتقدست أسماؤه[(٢)].

وقد يكون المؤمن المخلص القريب من الله في مكان معه من هو ملعون مطرود عن رحمة الله، وهما في مكان واحد، كما جرى لموسى وفرعون.

فالقرب الذي وردت به الأحاديث، وصرحت به النصوص حجة على الجهمي المعطل للعلو القائل بأن الله في كل مكان تعالى وتقدس[(٣)]. فهؤلاء الجهال خاضوا فيما قصرت عقولهم وأفهامهم عن إدراك معناه وما يراد به؛ فصاروا في بحر الشبهات غرقى، لا يعرفون رباً ولا يستدلون بصفة من صفاته على معرفة كماله وجلاله.

وقد بلَّغ الرسول ما أنزل إليه من ربه قراءة على الناس، وأكثره في معرفة الرب وصفاته وربوبيته وتوحيده، سمعه منهم قرويهم وبدويهم خاصهم وعامهم عربهم وعجمهم، ولم يشكل على أحد منهم ذاك ولا شك فيه، بل آمنوا به وعرفوا المراد منه، ومضت القرون الثلاثة على إثبات ذلك والإيمان به، وتلقي معناه عن الصادق المصدوق الذي لا ينطق عن الهوى ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ**﴾[(٤)]، وإن جحد بعض المنافقين فهو مدحور مقهور حتى حدث ما حدث في آخر القرن الثالث وما بعده[(٥)(٦)].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) راجع رسالة «شرح حديث النزول» لشيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- فهي شافية في هذا الباب.

(٣) انظر أقوال الجهمية وغيرهم في مسألة العلو في الفتاوى (٢/ ٢٩٧).

(٤) النجم: ٤.

(٥) انظر في بداية نشوء الفرق وأسبابها الفتاوى (١٣/ ٣٠) وما بعدها، وكتاب الأهواء والفرق والبدع عبر تاريخ الإسلام «النشأة والأسباب» ج٢ د. ناصر العقل.

(٦) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثالث، ص ٩٠.



قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ [الكهف: ٢٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد رحمه الله:

ذكر تعالى عن أهل الكهف أنهم ذكروا عن المشركين أنهم إن قهروكم وغلبوكم فهم بين أمرين إما أن يرجموكم، أي يقتلوكم شر قتلة برجم، وإما أن يعيدوكم في ملتهم ودينهم ﴿وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا﴾ أي: وإن وافقتموهم على دينهم بعد أن غلبوكم وقهروكم فلن تفلحوا إذاً أبداً، فهذا حال من وافقهم بعد أن غلبوه، فكيف بمن وافقهم وراسلهم من بعيد وأجابهم إلى ما طلبوا من غير غلبة ولا إكراه ومع ذلك يحسبون أنهم مهتدون[1].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾ [الكهف: ٢١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

يخبر تعالى عن الذين غلبوا على أمر أصحاب الكهف أنهم قالوا هذه المقالة: ﴿لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا﴾.

وقد حكى ابن جرير في القائلين ذلك قولين، أحدهما: أنهم مسلمون، والثاني: أنهم المشركون[2].

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٦٤).

(٢) تفسير الطبري (١٥/ ١٤٩)، وانظر الرد على البكري لشيخ الإسلام ابن تيمية (٢٩٩).

وعلى القولين فهم مذمومون؛ لأن النبي ﷺ قال: «لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم وصالحيهم مساجد» يحذر ما فعلوه -رواه البخاري ومسلم[١]- ولما يفضي إليه ذلك من الإشراك بأصحابها كما هو الواقع، ولهذا لما فعلته اليهود والنصارى جرهم ذلك إلى الشرك، فدل ذلك على أن هذه الأمة تفعله كما فعلته اليهود والنصارى فيجرها ذلك إلى الشرك، لأن ما فعلته اليهود والنصارى ستفعله هذه الأمة شبراً بشبر، وذراعاً بذراع، كما أخبر بذلك الصادق المصدوق[٢] الذي ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ٤﴾[٣][٤].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ [الكهف: ١١٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

يقول تعالى لنبيه ﷺ: قل يا محمد للناس: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾ أي: في البشرية ولكن الله منّ عليّ وفضلني بالرسالة وليس لي من الربوبية ولا من الإلهية شيء بل ذلك لله وحده لا شريك له كما قال تعالى: ﴿يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ

(١) رواه البخاري، كتاب المغازي، باب كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر (٥/ ١٣٩)، ومسلم، كتاب المساجد ومواضع الصلاة، باب النهي عن اتخاذ القبور مساجد (٤/ ١٨٤)، وانظر: تفسير ابن كثير (٣/ ٧٨).

(٢) رواه البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٨/ ١٥١)، ومسلم كتاب العلم، باب النهي عن اتباع متشابه القرآن (١٦/ ١٦٥).

(٣) النجم: ٣-٤.

(٤) تيسير العزيز الحميد، ص ٣١٨، ٣١٩.

﴿إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ﴾ أي: معبودكم الذي أدعوكم إلى عبادته إله واحد لا شريك له ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ أي: من كان يخاف لقاء الله يوم القيامة.

قال شيخ الإسلام: «أما اللقاء فقد فسره طائفة من السلف والخلف بما يتضمن المعاينة والمشاهدة بعد السلوك والسير وقالوا: إن لقاء الله يتضمن رؤيته سبحانه وتعالى»(١)، وأطال في ذلك واحتج له(٢).

وقال سعيد بن جبير: «﴿فَمَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ رَبِّهِۦ﴾ قال: «من كان يخشى البعث في الآخرة» رواه ابن أبي حاتم(٣).

﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ أي: كائناً ما كان.

قال ابن القيم: «أي: كما أنه إله واحد لا إله سواه، فكذلك ينبغي أن تكون العبادة له وحده لا شريك له، فكما تفرد بالإلهية يجب أن يفرد بالعبودية، فالعمل الصالح هو الخالص من الرياء المقيد بالسنة»(٤). انتهى.

---

(١) الفتاوى (٦/ ٤٦٢).

(٢) الفتاوى (٦/ ٤٦٢-٤٧٥، ٤٨٥-٥٠٦). وقد ذكر -رحمه الله تعالى- أن أهل السنة والجماعة قد اختلفوا في معنى «اللقاء» وترتب على هذا الاختلاف: الاختلاف في مسألة رؤية الكفار لربهم على أقوال ثلاثة:
الأول: أن الكفار لا يرون ربهم بحال، لا المظهر للكفر ولا المسر له.
الثاني: أنه يراه من أظهر التوحيد من مؤمني هذه الأمة ومنافقيها، وذلك في عرصة القيامة ثم يحتجب عن المنافقين فلا يرونه بعد ذلك.
الثالث: أن الكفار يرونه رؤية تعريف وتعذيب -كاللص إذا رأى السلطان- ثم يحتجب عنهم ليعظم عذابهم ويشتد عقابهم.
وهذا مقتضى من فسر اللقاء في كتاب الله بالرؤية. ثم ذكر رحمه الله أن مثل هذه المسألة مما يسع الخلاف فيها، ولا يجوز التقاطع والتهاجر من أجلها.

(٣) انظر: الدر المنثور (٥/ ٤٦٩).

(٤) الجواب الكافي (٢٠٨).

وهذان ركنا العمل المتقبل[١] لابد أن يكون صواباً خالصاً، فالصواب أن يكون على السنة وإليه الإشارة بقوله ﴿فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ والخالص أن يخلص من الشرك الجلي والخفي[٢] وإليه الإشارة بقوله: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ روى عبدالرزاق وابن أبي الدنيا في كتاب (الإخلاص) وابن أبي حاتم والحاكم عن طاووس قال: قال رجل: يا نبي الله إني أقف المواقف أبتغي وجه الله وأحب أن يُرى موطني، فلم يرد عليه شيئاً حتى نزلت هذه الآية: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾. رواه الحاكم وصححه موصولاً عن طاووس عن ابن عباس[٣].

وفي الآية: دليل على الشهادتين، وأن الله تعالى فرض على نبينا ﷺ أن يخبرنا بتوحيد الإلهية، وإلا فتوحيد الربوبية لم ينكره الكفار الذين كذبوه وقاتلوه. ذكره المصنف[٤].

وفيها: تسمية الرياء شركاً.

وفيها: أن من شروط الإيمان بالله واليوم الآخر أن لا يشرك بعبادة ربه أحداً، ففيه التصريح بأن الشرك الواقع من المشركين إنما هو في العبادة لا في الربوبية.

وفيها: الرد على من قال: أولئك يتشفعون بالأصنام ونحن نتشفع بصالح

---

(١) انظر في ركني العمل المتقبل: رسالة في التوبة، جامع الرسائل لشيخ الإسلام (١/ ٢٥٧)، ومجموع الفتاوى (١٠/ ١٧١).

(٢) لمزيد من التفصيل انظر: الجواب الكافي (٢٠٤-٢١٨).

(٣) رواه ابن جرير (١٦/ ٣٢) والحاكم (٤/ ٣٢٩) عن طاووس مرسلًا ورواه الحاكم أيضاً موصولًا عن طاووس عن ابن عباس وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ١١١)، وانظر: الدر المنثور (٥/ ٤٦٩).

(٤) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله. الدرر السنية (١٠/ ١٤٥).
وانظر: ما ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- من الأدلة على أن الفطر مجبولة على الاعتراف بالخالق في رسالة قنوت الأشياء كلها لله تعالى، جامع الرسائل (/ ١٤-١٦).

لأنه قال: ﴿وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا﴾ فليس بعد هذا بيان. افتتح الآية بذكر براءة النبي ﷺ الذي هو أقرب الخلق إلى الله وسيلة، أي: براءته من الإلهية وختمها بقوله: ﴿أَحَدًۢا﴾[1].

واعلم رحمك الله أنه لا يعرف[2] هذه الآية المعرفة التي تنفعه إلا من ميّز بين توحيد الربوبية وبين توحيد الإلهية تمييزاً تاماً وعرف ما عليه غالب الناس، إما طواغيت ينازعون الله في توحيد الربوبية الذي لم يصل إليه شرك المشركين، وإما مصدق لهم تابع لهم، وإما شاك لا يدري ما أنزل الله على رسوله، ولا يميز بين دين الرسول ﷺ وبين دين النصارى، ذكره المصنف[3].

وفيها: أن أصل دين النبي ﷺ الذي بعث به هو الإخلاص كما في هذه الآية وقوله: ﴿الٓر ۚ كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ ۝١ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۚ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ۝٢﴾[4]، وذلك هو دعوة الرسل من أولهم إلى آخرهم كما قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِىٓ إِلَيْهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدُونِ﴾[5]، وذلك هو الحنيفية الإبراهيمية جعلنا الله من أهلها بمنه وكرمه[6].

---

(١) انظر رسالة كشف الشبهات للشيخ محمد بن عبدالوهاب حيث ذكر من شبهات المشركين قولهم: إن هؤلاء الآيات نزلت فيمن يعبد الأصنام، فكيف تجعلون الصالحين مثل الأصنام، ثم ذكر الرد على هذه الشبهة. ص ٢٥، وانظر رد الشيخ عبداللطيف على هذه الشبهة في تحفة الطالب والجليس (٨٦) وما بعدها.

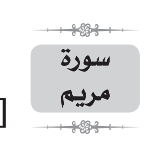
(٢) ساقط من الأصل ولا يستقيم المعنى إلا به وقد أضفته من الدرر السنية (١٠/ ١٤٥).

(٣) انظر هذه الفائدة والفوائد قبلها في الدرر السنية (١٠/ ١٤٥-١٤٦).

(٤) هود: ١-٢.

(٥) الأنبياء: ٢٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٦٥، ٤٦٦.



قال تعالى: ﴿ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا ﴾ [مريم: ١٩].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

قراءة البصريين (ليهب لك) بالياء[١] وهي تفسير للقراءة الأخرى[٢]، وعلى القراءة الأخرى نسب الهبة إليه بسبب نفخ الروح في درعها، والسبب يضاف إليه الفعل كما جزم به البيضاوي[٣] وغيره[٤] في هذه الآية، والله سبحانه وتعالى ينفذ أمره الكوني على يد من يشاء من ملائكته، وربما نسب الفعل إليهم كما قال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ﴾[٥]، وقال تعالى في موضع آخر: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ﴾[٧]، فأضافه إليهم؛ لأنهم موكلون بقبض الأرواح، ولما كانوا لا يستقلون بشيء من دونه، ولا يفعلون إلا بمشيئته وحوله وقوته صرح بهذا المعنى في الآية الأولى فقال: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا ﴾[٨]، وأبلغ

---

(١) قرأ أبو عمرو ونافع في رواية ورش والحلواني عن قالون ويعقوب بالياء. وقرأ ابن كثير وعاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ونافع في رواية غير ورش بالهمز.
انظر: السبعة (٤٠٨)، النشر (٢/ ٣١٧).

(٢) قال الحافظ ابن كثير: وكلا القراءتين لها وجه حسن ومعنى صحيح، وكل تستلزم الأخرى. ا.هـ. (٣/ ١١٥).

(٣) أنوار التنْزيل (٢/ ٢٨).

(٤) انظر مثلاً: البغوي (٥/ ٢٢٣)، التفسير الكبير (٢١/ ١٦٩)، تفسير أبي السعود (٥/ ٢٦٠).

(٥) الزمر: ٤٢.

(٦) الأنفال: ٥٠.

(٧) الأنعام: ٦١.

(٨) الزمر: ٤٢.

من هذا أنه نسب إليهم التدبير في قوله: ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾[(١)]، لأنهم رسل بأمره الكوني.

وأخبر بأنه المدبر الفاعل المختار في غير آية من كتاب الله كقوله تعالى: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ يَعۡرُجُ إِلَيۡهِ﴾[(٢)]، وقوله: ﴿يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ إِذۡنِهِۦ﴾[(٣)]، وقوله: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ﴾[(٤)] إلى غير ذلك من الآيات الدالات على اختصاصه تعالى بالتدبير والإيجاد، وفي الحديث القدسي: «ومن أظلم ممن ذهب يخلق كخلقي فليخلقوا ذرة أو ليخلقوا شعيرة»[(٥)]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُ﴾[(٦)]، وأكابر الخلق كالملائكة والأنبياء لم يدع أحد منهم أنه إله، وأنه يخلق كما قال تعالى في حق الملائكة: ﴿بَلۡ عِبَادٞ مُّكۡرَمُونَ ٢٦ لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ وَهُم بِأَمۡرِهِۦ يَعۡمَلُونَ ٢٧ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡ وَلَا يَشۡفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرۡتَضَىٰ وَهُم مِّنۡ خَشۡيَتِهِۦ مُشۡفِقُونَ ٢٨ وَمَن يَقُلۡ مِنۡهُمۡ إِنِّيٓ إِلَٰهٞ مِّن دُونِهِۦ فَذَٰلِكَ نَجۡزِيهِ جَهَنَّمَۚ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٩﴾[(٧)]، وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤۡتِيَهُ ٱللَّهُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُواْ عِبَادٗا لِّي مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩ وَلَا يَأۡمُرَكُمۡ أَن تَتَّخِذُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ

---

(١) النازعات: ٥.

(٢) السجدة: ٥.

(٣) يونس: ٣.

(٤) يونس: ٣١.

(٥) رواه البخاري، كتاب التوحيد، باب قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ﴾ (٨/ ٢١٨) عن أبي هريرة.

(٦) الحج: ٧٣.

(٧) الأنبياء: ٢٦-٢٩.

أَرْبَابًاۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾﴾[١]، فأخبر أن اتخاذهم أرباباً كفر بعد الإسلام.

وأيضاً فآخر الآية وهو قوله تعالى: ﴿قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌۖ وَلِنَجْعَلَهُۥٓ ءَايَةً﴾[٢]، وهو الذي قدره وقضاه، كل هذا يرد على المبطل[٣]، فتفطن هداك الله للأدلة على تفرده سبحانه بالخلق والإيجاد والتدبير، لا يحيط بها إلا الله سبحانه، وله في كل شيء آية تدل على أنه واحد[٤][٥].

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَٰنِي بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ مَا دُمْتُ حَيًّا﴾ [مريم: ٣١].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

كثير من العلماء يبتلى بخلطة هذا الضرب من الناس[٦] لكنه يكون مباركاً أينما كان، داعياً إلى الله، مذكراً به هادياً إليه، كما قال تعالى عن المسيح عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ أي: داعياً إلى الله، مذكراً به معلماً بحقوقه، فهذه هي البركة المشار إليها، ومن عدمها محقت بركة عمره وساعاته وخلطته ومجالسته[٧].

---

(١) آل عمران: ٧٩-٨٠.

(٢) مريم: ٢١.

(٣) وذلك أنه يزعم: أن الأولياء يقدرون على خلق ولد من غير أب واستدل لدعواه بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمًا زَكِيًّا﴾. انظر: الدرر السنية (٩/ ٣٧٢).

(٤) من بيت سبق الكلام عنه.

(٥) الدرر السنية (٩/ ٣٧٢، ٣٧٣).

(٦) يقصد رحمه الله بذلك: وجود مجالس يكون فيها أخلاط من المسلمين والمنافقين ونحوهم، كما هو واضح قبل كلامه هذا.

(٧) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٣/ ١٢٨-١٢٩).

قال تعالى: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم: ٥٢].

قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن بن أبابطين رحمه الله:

النداء لا يكون إلا بصوت، فدل على أنه كلمه بصوت، وموسى لم يسمع إلا الحرف والصوت هذا مما يعلم بالاضطرار، وقال تعالى: ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ أَيۡنَ شُرَكَآءِيَ ٱلَّذِينَ كُنتُمۡ تَزۡعُمُونَ ٦٢﴾[1]، ﴿وَيَوۡمَ يُنَادِيهِمۡ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبۡتُمُ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ٦٥﴾[2]، وقال: ﴿وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾[3][4].

(١) القصص: ٦٢.
(٢) القصص: ٦٥.
(٣) الأعراف: ٢٢.
وانظر في مسألة الكلام بصوت وحرف: الفتاوى (١٢/ ٥٢٣ وما بعدها) (١٢/ ٥٧٩)، الدرر السنية (٣/ ٢٥٠).
(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ١١١)، القسم الثالث.

سورة طه

قال تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ﴾ [طه: ٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

قد ثبت من غير طريق، عن مالك بن أنس رحمه الله[١]، وعن شيخه ربيعة بن عبدالرحمن[٢]، بل ويروى عن أم سلمة[٣] أم المؤمنين أنهم قالوا: «الاستواء معلوم، والكيف مجهول»، وفي بعض طرقه: «والكيف غير معقول، والسؤال عنه بدعة»، وزاد مالك فقال للسائل: «وما أراك إلا رجل سوء، وأمر به فأخرج»، وعلى هذا درج أهل العلم وأهل السنة من عهد رسول الله ﷺ إلى وقتنا هذا، ولم يخالف في ذلك إلا الطائفة الضالة، الملعونة؛ الجهمية، وأشياخهم من غلاة الاتحادية[٤]، والحلولية[٥].

---

(١) الأثر عن مالك رواه ابن عبدالبر في التمهيد (٧/ ١٣٨)، وأبو نعيم في الحلية (٦/ ٣٢٥)، والصابوني في عقيدة السلف (١٨٠-١٨١)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨)، واللالكائي (٣/ ٣٩٨)، وصححه الذهبي في العلو (١٠٣)، وقال ابن حجر في الفتح (١٣/ ٤٠٦-٤٠٧): إسناده جيد.

(٢) كذا في الأصل، والذي وقفت عليه في كتب التراجم: ربيعة بن أبي عبدالرحمن، المعروف بربيعة الرأي، والأثر عنه: رواه اللالكائي (٣/ ٣٩٨)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٨)، والذهبي في العلو (٩٨). قال الألباني في مختصر العلو (١٣٢): إسناده صحيح.

(٣) رواه اللالكائي (٣/ ٣٩٧)، والصابوني في عقيدة السلف (١٧٨)، وقال الذهبي في العلو (٦٥): فأما عن أم سلمة فلا يصح. ا.هـ. وقال شيخ الإسلام (٥/ ٣٦٥): وقد روي هذا الجواب عن أم سلمة رضي الله عنها موقوفاً ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه. ا.هـ.

(٤) هم القائلون باتحاد الخالق بالمخلوق، والاتحاد نوعان:
جزئي: وهو اتحاد الخالق ببعض المخلوقات كقول النصارى في المسيح عليه السلام، وقول غلاة الصوفية في بعض أقطابهم، وكلي: وهو اتحاد الخالق بجميع المخلوقات تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً.
انظر: الفتاوى (٢/ ١٧١)، الموسوعة الميسرة للأديان والمذاهب (٤٥).

(٥) الذين يزعمون أن الله تعالى قد حلَّ في المخلوقات، وهو نوعان:
الحلول الخاص: ومعناه حلول الخالق -تعالى عن ذلك- في بعض مخلوقاته كقول بعض النصارى أن الله تعالى حل في عيسى كحلول الماء في الإناء، وكقول غلاة الرافضة في آل البيت.
الحلول العام: ومعناه حلول الخالق بذاته -سبحانه وتعالى- في كل مكان كقول غلاة الجهمية.
انظر: الفتاوى (٢/ ١٧١).

وأما أهل السنة فعرفوا المراد وعقلوه، ومنعتهم الخشية والهيبة والإجلال والتعظيم من الخوض والمراء والجدال والكلام الذي لم يؤثر ولم ينقل، وقد عرفوا المراد من الاستواء، وصرح به أكابر المفسرين وأهل اللغة، فثبت عنهم تفسيره بالعلو، والارتفاع[١]، وبعض أكابرهم، صرح بأنه صعد[٢]، ولكنهم: أحجموا عن مجادلة السفهاء الجهمية تعظيماً لله وتنزيهاً لرب البرية، وإذا أخبر -جل ذكره- أنه استوى على العرش، وعلا، وارتفع، وكل المخلوقات وسائر الكائنات تحت عرشه، وهو بذاته فوق ذلك، وفي الحديث: «وأنت الظاهر فليس فوقك شيء»[٣]، فإذا عرف هذا، عرف معنى اختصاص العرش بالاستواء، وأن هذه الصفة مختصة بالعرش.

وقد ثبت أنه ﷺ قال للرجل الذي قال له: إنا نستشفع بك على الله، وبالله عليك، قال: «الله أكبر، الله أكبر، إن شأن الله أعظم من ذلك، ويحك، أتدري ما الله؟! إنه على عرشه -وأشار بيده كالقبة- وإنه ليئط به أطيط الرحل الجديد براكبه»[٤] وهذا الحديث: لا يستطيع سماعه الجهمي، ولا

---

(١) انظر أقوال السلف في تفسير الاستواء في:
الطبري (١/ ٤٢٨-٤٣٧)، البغوي (٣/ ٢٣٥-٢٣٦)، شرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي (٣/ ٣٨٧-٤٠٢)، الفتاوى (٥/ ٥١٨-٥٢٠)، اجتماع الجيوش الإسلامية (٤٥) وما بعدها.

(٢) عزاه البغوي لأبي عبيدة (٣/ ٢٣٥)، ونقله ابن القيم في اجتماع الجيوش الإسلامية (١٦٧). وانظر: الدرر السنية (٣/ ١٦٥).

(٣) رواه مسلم، كتاب الذكر والدعاء، باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع عن أبي هريرة (١٧/ ١٩٩).
وقد سقط من هذه النسخة سطر من الحديث فيه موطن الشاهد، وهو موجود في النسخ الأخرى. انظر مثلاً: ط. إحياء التراث العربي، بيروت، الثانية ١٣٩٢هـ (١٧/ ٣٦).

(٤) رواه أبو داود، كتاب السنة، باب في الجهمية والمعتزلة (٢/ ٦٤٥)، والدارمي في النقض على المريسي (٨٩)، وابن خزيمة في التوحيد (١٠٣)، والآجري في الشريعة (٢٩٣)، وابن أبي عاصم في السنة (٥٧٥)، والدارقطني في الصفات (٥٠-٥٢) رقم (٣٨-٣٩)، والبغوي في شرح السنة (١/ ١٧٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤١٧)، كلهم بلفظ التسبيح بدل التكبير.

يؤمن به إلا أهل السنة والجماعة، الذين عرفوا الله بصفات كماله، وعرفوا عظمته، وأنه لا يليق به غير ما وصف به نفسه من استوائه على عرشه، ونزهوه أن يستوي على ما لا يليق بكماله وقدسه من سائر مخلوقاته.

ومن أصول أهل السنة والجماعة: أنه سبحانه لا يوصف إلا بما وصف به نفسه، ولم يصف نفسه بأنه استوى على شيء غير العرش، وكذلك رسله وأنبياؤه وورثتهم لم يصفوه إلا بما وصف به نفسه[1].

قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

قال الشيخ حمد بن ناصر بن معمر رحمه الله:

أخبر سبحانه أنه لا يحصل يومئذ شفاعة تنفع إلا بعد رضاه قول المشفوع له وأذنه للشافع، فأما المشرك فإنه لا يرتضيه ولا يرضى قوله فلا يأذن للشفعاء أن يشفعوا فيه، فإنه سبحانه علقها بأمرين: رضاه عن المشفوع له وإذنه للشافع فما لم يوجد مجموع الأمرين لم توجد الشفاعة.

وهذه الشفاعة في الحقيقة هي منه سبحانه، فإنه الذي أذن والذي قبل والذي رضي عن المشفوع له والذي وفقه لفعل ما يستحق به الشفاعة، فالرب تبارك وتعالى «هو الذي يتفضل على أهل الإخلاص فيغفر لهم بواسطة دعاء من أذن له أن يشفع ليكرمه»[2]، فالشفاعة التي نفاها القرآن ما كان فيها شرك، ولهذا أثبتها الله سبحانه بإذنه في مواضع من كتابه،

---

(١) الدرر السنية (٣/ ٢٩٩-٣٠٠).

(٢) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية. الفتاوى (٧/ ٧٨).

وبيَّن النبي ﷺ أنها لا تكون إلا لأهل التوحيد كما في حديث أبي هريرة[١]، وعوف بن مالك[٢].

فمتخذ الشفيع لا تنفعه شفاعته، ولا يشفع فيه، ومتخذ الرب إلهه ومعبوده هو الذي يأذن للشفيع أن يشفع فيه قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا ٤٤﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ قُلۡ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعۡلَمُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾[٤].

فبين أن المتخذين شفعاء مشركون وأن الشفاعة لا تحصل باتخاذهم إنما تحصل بإذنه سبحانه للشافع ورضاه عن المشفوع له كما تقدم بيانه، والمقصود أن الكتاب والسنة دلا على أن من جعل الملائكة والأنبياء أو ابن عباس أو أبا طالب أو المحجوب[٥] وسائط بينهم وبين الله؛ ليشفعوا لهم عند

---

(١) عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ: «من أسعد الناس بشفاعتك يوم القيامة؟ فقال: لقد ظننت يا أبا هريرة ألاَّ يسألني عن هذا الحديث أحد أوَّلُ منك لما رأيت حرصك على الحديث، أسعد الناس بشفاعتي يوم القيامة من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قبل نفسه» رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة والنار (١١/ ٤١٨) «فتح».

(٢) عن عوف بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتاني آت من عند ربي فخيرني بين أن يدخل نصف أمتي الجنة، وبين الشفاعة فاخترت الشفاعة، وهي لمن مات لا يشرك بالله شيئاً» رواه الترمذي، كتاب صفة القيامة (٧/ ١٥٣)، وابن ماجه كتاب الزهد، باب ذكر الشفاعة بلفظ: هي لكل مسلم (٢/ ١٤٤٤) وقد أشار إلى طرقه وألفاظها مقبل بن هادي الوادعي في الشفاعة (٧١-٧٧).

(٣) الزمر: ٤٣-٤٤.

(٤) يونس: ١٨.

(٥) أبو طالب: أحد أشراف مكة، اسمه: أبو طالب بن حسن بن أبي نمي، ولد عام ٩٦٥هـ، توفي عام ١٠١٢هـ وجعلوا على قبره قبة. انظر: تاريخ ابن غنام ت: الأسد ص ١٦، الأعلام (٣/ ٢١٨).
والمحجوب -لعله-: الشريف عبدالرحمن بن أحمد بن محمد الشهير بالمحجوب، توفي عام ١٠٨٥ بمكة، ودفن بالشبيكة. انظر: تاريخ ابن غنام ت: الأسد ص ١٦، عنوان المجد (٢/ ٣٣٣).

الله لأجل قربهم من الله كما يفعل عند الملوك أنه كافر مشرك حلال الدم والمال وإن قال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، وصلى وصام، وزعم أنه مسلم، بل هو من الأخسرين أعمالاً ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا﴾[١].

ومن تأمل القرآن العزيز وجده مصرحاً بأن المشركين الذين قاتلهم رسول الله ﷺ مقرون بأن الله هو الخالق الرازق وأن السموات السبع ومن فيهن والأرضين السبع ومن فيهن كلهم عبيده وتحت قهره وتصرفه كما حكاه تعالى عنهم في سورة يونس[٢] وسورتي المؤمنين[٣] والعنكبوت[٤] وغيرها من السور.

ووجده مصرحاً بأن المشركين يدعون الصالحين كما ذكر تعالى ذلك عنهم في سورة سبحان[٥]، والمائدة[٦]، وغيرهما من السور، وكذلك

---

(١) الكهف: ١٠٤.

(٢) قال تعالى: ﴿قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ﴾ [يونس: ٣١].

(٣) قال تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾﴾ الآيات [المؤمنون: ٨٤-٨٩].

(٤) قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ﴾ ... الآيات [العنكبوت: ٦١-٦٣].

(٥) قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ وَيَرۡجُونَ رَحۡمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓۚ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحۡذُورٗا﴾ [الإسراء: ٥٦-٥٧].

(٦) في مثل قوله تعالى: ﴿لَقَدۡ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡمَسِيحُ ٱبۡنُ مَرۡيَمَ﴾ ... الآيات إلى قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾ [المائدة: ٧٢-٧٦].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ... الآيات [المائدة: ١١٦-١٢٠].

ذكر عنهم أنهم يعبدون الملائكة كما ذكر ذلك عنهم في سورة الفرقان[(١)]، والنجم[(٢)].

ووجده مصرحاً بأن المشركين ما أرادوا ممن عبدوا إلا الشفاعة والتقرب إلى الله كما ذكر تعالى ذلك عنهم في سورة يونس[(٣)] والزمر[(٤)] وغيرهما من السور.

فإذا تبين لكم أن القرآن قد صرح بهذه المسائل الثلاث أعني:

اعتراف المشركين بتوحيد الربوبية.

وأنهم يدعون الصالحين.

وأنهم ما أرادوا منهم إلا الشفاعة.

تبين لكم أن هذا الذي يفعل عند القبور اليوم من سؤالهم جلب الفوائد، وكشف الشدائد، أنه الشرك الأكبر الذي كفَّر الله به المشركين، فإن هؤلاء المشركين مشبهون شبهوا الخالق بالمخلوق[(٥)].

---

(١) قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَقُولُ ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ أَمْ هُمْ ضَلُّوا۟ ٱلسَّبِيلَ ﴿١٧﴾ قَالُوا۟ سُبْحَٰنَكَ مَا كَانَ يَنۢبَغِى لَنَآ أَن نَّتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَآءَ ﴾ ... الآيات [الفرقان: ١٧-١٩].

(٢) قال تعالى: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ ۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴾ [النجم: ٢٦-٢٨].

(٣) قال تعالى: ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [يونس: ١٨].

(٤) قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ [الزمر: ٣].

(٥) انظر: كلام الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب وما نقله عن الأئمة في ذلك: الدرر السنية (٨/ ١١٨ وما بعدها). وانظر أيضاً ما نقله عن شيخ الإسلام في رده على البكري، في ذكر أحوال هؤلاء القبوريين وما يفعلونه عند القبور من أنواع الشرك والفجور (٨/ ١٤١).

وفي القـرآن العزيز وكلام أهل العلم من الرد على هؤلاء ما لا يتسـع له هذا الموضع «فإن الوسـائط التي بين الملوك وبين النـاس تكون على أحد وجوه ثلاثة:

الأول: إما لإخبارهم عن أحـوال الناس ما لا يعرفونه، ومن قال: إن الله لا يعرف أحوال العباد حتى يخبره بذلك بعـض الأنبياء أو غيره من الأولياء والصالحين فهو كافر، بل هو سبحانه يعلم السر وأخفى، لا تخفى عليه خافية في الأرض ولا في السماء.

الثاني: أن يكون الملك عاجزاً عن تدبير رعيتـه ودفع أعدائه إلا بأعوان يعاونون، فلا بد له من أعوان يعاونونه، وأنصار لذله وعجزه.

والله سـبحانه ليس له ظهير ولا ولي من الـذل، وكل ما في الوجود من الأسـباب فهو سـبحانه ربه وخالقه، وهو الغني عن كل ما سـواه، وكل ما سـواه فقير إليه بخلاف الملوك المحتاجين إلى ظهرائهم، وهم في الحقيقة شركاؤهم، والله سبحانه ليس له شريك في الملك بل لا إله إلا هو وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد؛ ولهذا لا يشـفع عنده أحد إلا بإذنه لا ملك مقرب ولا نبي مرسل، فضلاً عن غيرهما، فإن من شـفع عنده بغير إذنه فهو شـريك له في حصول المطلوب، أثر فيه بشـفاعته حتى يفعل ما يطلب منه، والله تعالى لا شريك له بوجه من الوجوه.

الثالث: أنه لا يكون الملك مريداً لنفع رعيته والإحسـان إليهم إلا بمحرك يحركه مـن خارج، فإذا خاطـب الملك من ينصحه ويعظمـه أو من يدل عليه بحيث يكـون يرجوه ويخافه تحركـت إرادة الملك وهمته فـي قضاء حوائج رعيته، والله تعالى رب كل شـيء ومليكه، وهو أرحم بعباده من الوالدة بولدها وكل الأسباب إنما تكون بمشيئته، فما شـاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو

سبحانه إذا أراد إجراء نفع العباد بعضهم على يد بعض جعل هذا يحسن إلى هذا ويدعو له أو يشفع له فهو الذي خلق ذلك كله وهو الذي خلق في قلب هذا المحسن والداعي إرادة الإحسان والدعاء والشفاعة، ولا يجوز أن يكون في الوجود من يكرهه على خلاف مراده أو يعلمه ما لم يكن يعلمه، والشفعاء الذين يشفعون عنده لا يشفعون إلا بإذنه كما تقدم بيانه، بخلاف الملوك المحتاجين فإن الشافع عندهم يكون شريكاً لهم في الملك وقد يكون مظاهراً لهم معاوناً لهم على ملكهم وهم يشفعون عند الملوك بغير إذن الملوك، والملك يقبل شفاعتهم تارة لحاجته إليهم وتارة لجزاء إحسانهم ومكافأتهم، حتى إنه يقبل شفاعة ولده وزوجته لذلك فإنه محتاج إلى الزوجة والولد، حتى لو أعرض عنه ولده وزوجته لتضرر بذلك، ويقبل شفاعة مملوكه فإنه إذا لم يقبل شفاعته يخاف ألَّا يطيعه، ويقبل شفاعة أخيه مخافة أن يسعى في ضرره، وشفاعة العباد بعضهم عند بعض كلها من هذا الجنس، فلا يقبل أحد شفاعة أحد إلا لرغبة أو لرهبة، والله تعالى لا يرجو أحداً ولا يخافه ولا يحتاج إلى أحد؛ بل هو الغني سبحانه عما سواه، وكل ما سواه فقير إليه، والمشركون يتخذون شفعاء من جنس ما يعهدونه عند المخلوق، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[1].

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴿٥٧﴾﴾[2].

---

(١) يونس: ١٨.

(٢) الإسراء: ٥٦-٥٧.

فأخبر سبحانه أن ما يدعى من دون الله لا يملك كشف الضر عن الداعي ولا تحويله، وأنهم يرجون رحمته ويخافون عذابــه، ويتقربون إلى الله، فقد نفى سبحانه ما أثبتوه من توسط الملائكة والأنبياء»[1].

وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله وأما من أراد الله فتنته فلا حيلة فيه ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا﴾[2][3].

---

(١) من كلام شيخ الإسلام ابن تيمية بتصرف واختصار، من رسالة الواسطة بين الحق والخلق. الفتاوى (١/ ١٢٦-١٣٠).

(٢) الكهف: ١٧.

(٣) الدرر السنية (٨/ ١٨٤-١٨٧).



قــال تعالــى: ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا ۚ فَسُبْحَـٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنبياء: ٢٢].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

صلاح السـموات والأرض بأن يكون الله سـبحانه هو إلهها دون ما سواه، ومستغاثها الذي تفزع إليه وتلجأ إليه في مطالبها وحاجاتها.

وقـرر المتكلمون هنا تمانع وجود ربين مدبريـن، وأنه لا صلاح للعالم إلا بأن يكون الله قيومه ومدبره، وقرر غيرهـم من المحققين امتناع الصلاح بوجود آلهة تعبد[١]، وتقصد وترجى، فالأول يرجع إلى الربوبية، والثاني إلى الإلهية[٢].

---

(١) وقد ذكر ذلك شارح الطحاوية ابن أبي العز الحنفي -رحمه الله- وبين أن بعض الطوائف ظنت ذلك، وأنهم غفلوا عن مضمون الآية ثم رد عليهم من وجوه فقال: «فإنه سبحانه أخبر لو كان فيهما آلهة ولم يقل أرباب. وأيضاً فإن هذا إنما هو بعد وجودهما، وأنه لو كان فيهما وهما موجودتان آلهة سواه لفسدتا. وأيضاً فإنه قال ﴿لَفَسَدَتَا﴾ وهذا فساد بعد الوجود، ولم يقل لم يوجدا» شرح الطحاوية (٩٦-٨٧).

(٢) منهاج التأسيس والتقديس، ص ٣٢٨.

سورة الحج

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعۡبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرۡفٖۖ فَإِنۡ أَصَابَهُۥ خَيۡرٌ ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦۖ وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ خَسِرَ ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ﴾ [الحج: ١١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أخبر تعالى أن من الناس من يعبد الله على حرف، أي: على طرف[١] فإن أصابه خير أي: نصر وعز وصحة وسعة وأمن وعافية ونحو ذلك ﴿ٱطۡمَأَنَّ بِهِۦ﴾ أي: ثبت، وقال: هذا دين حسن ما رأينا فيه إلا خيراً، ﴿وَإِنۡ أَصَابَتۡهُ فِتۡنَةٌ﴾ أي خوف ومرض وفقر ونحو ذلك ﴿ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجۡهِهِۦ﴾ أي: ارتد عن دينه ورجع إلى أهل الشرك[٢][٣].

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

المراد: تطهيره عن الشرك في العبادة[٤]، ولهذا قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن

(١) انظر: مفردات ألفاظ القرآن (حرف) (٢٢٨).

(٢) روى البخاري في التفسير (٨/ ٣٣٦) عن ابن عباس رضي الله عنهما أن سبب نزول الآية: أن ناساً من العرب كانوا يأتون رسول الله ﷺ فيقولون: نحن على دينك، فإن أصابوا معيشة، ونتجت خيلهم، وولدت نساؤهم الغلمان اطمأنوا وقالوا: هذا دين حق، وإن لم يجر الأمر على ذلك قالوا: هذا دين سوء، فينقلبون عن دينهم، فنزلت هذه الآية.
وانظر: الطبري (١٧/ ٩٣)، زاد المسير (٥/ ٤١٠)، أسباب النزول للواحدي (٣١٦).

(٣) الدرر السنية (٧/ ٦٤).

(٤) قال ابن جرير رحمه الله تعالى: «وتطهيره من الآفات والريب والشرك». ا.هـ. ثم روى عن السدي قوله: «وطهر بيتي الذي بنيته من عبادة الأوثان» وعن مجاهد في قوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ =

يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[1][2].

قال تعالـى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ [الحج: ٧٠].

قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن البابطين:

قال ابن كثير في الآية: «يخبر سـبحانه وتعالى عن كمال علمه بخلقه فلا يعزب عنه مثقال ذرة وأنه سـبحانه علم الكائنات كلها قبل وجودها، وكتب ذلك في اللوح المحفوظ كما في صحيح مسـلم عن عبدالله بن عمرو قال: قال رسـول الله ﷺ: «إن الله كتب مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سـنة، وكان عرشـه على الماء»[3]، وفي السنن من حديث جماعة من الصحابة أن رسـول الله ﷺ قال: «أول ما خلق الله القلم قال له: اكتب. قال: وما أكتب؟ قال: اكتـب ما هو كائن. فجرى بما هو كائن إلى يوم القيامة»[4]، وروى ابن أبي حاتم عن سـعيد بن جبيـر قال: قال ابن

= قال: «من الشرك» وعن عبيد بن عمير قال: «من الآفات والريب» وعن قتادة ﴿وَطَهِّرْ بَيْتِىَ﴾ قال: «من الشرك وعبادة الأوثان». جامع البيان (١٧/ ١٠٥-١٠٦).

(١) الحج: ٣٠-٣١.

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل النجدية (٢/ ١٩)، القسم الثاني.

(٣) رواه مسلم، كتاب القدر، باب حجاج آدم وموسى صلى الله عليهما وسلم (١٦/ ١٥٥)، في تفسير ابن كثير بلفظ «إن الله قدر مقادير الخلائق ... الحديث».

(٤) رواه الإمام أحمد (٥/ ٣١٧) رقم (٣٢٧٥٧). =

عباس رضي الله عنهما: «خلق الله اللوح المحفوظ بمسيرة مئة عام، وقال للقلم قبل أن يخلق الخلق وهو على العرش تبارك وتعالى: اكتب قال: وما أكتب؟ قال: علمي في خلقي إلى يوم القيامة. فذلك قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾[1]»[2].

وجميع المفسرين على أن المراد بالكتاب في الآية هو اللوح المحفوظ وأن كل شيء من الكائنات مكتوب فيه[3][4].

= وأبو داود، كتاب السنة، باب في القدر (٢/ ٦٣٧).
والترمذي، أبواب القدر، باب رقم (١٦)، (٦/ ٣٦٩) «تحفة»، وقال: «هذا حديث غريب».
الثلاثة كلهم من حديث عبادة رضي الله عنه.
ورواه عبدالله ابن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٣٩٣) رقم (٨٥٤)، وابن أبي عاصم في السنة (١/ ٥٠)، وعزاه الهيثمي للبزار وقال: «رجاله ثقات» (٧/ ١٩٠). كلهم عن ابن عباس وصحح الألباني حديث ابن عباس في السلسلة الصحيحة (١/ ٤٧) رقم (١٣٣)، وفي صحيح الجامع الحديثين (٢/ ١٨٣-١٨٤).

(١) وعزاه السيوطي أيضاً لابن مردويه.
انظر: الدر المنثور (٦/ ٧٤).

(٢) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٢٣٤).

(٣) انظر: الطبري (١٧/ ١٣٩-١٤٠)، البغوي (٥/ ٣٩٩)، زاد المسير (٥/ ٤٥٠)، القرطبي (١٢/ ٩٥)، ابن كثير (٣/ ٢٣٤).

(٤) تأسيس التقديس ص ١٧.



قال تعالى: ﴿ تَاللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٩٧﴾ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ ﴾ [الشعراء: ٩٧-٩٨].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذه تسوية في المحبة والتأله، لا في الذات والأفعال والصفات[١]، فمن صرف ذلك لغير إلهه الحق؛ فقد أعرض عنه، وأبق عن مالكه وسيده؛ فاستحق مقته وبغضه وطرده عن دار كرامته ومنزل أحبابه[٢].

قال تعالى: ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء: ٢١٤].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

عشيرة الرجل: هم بنو أبيه الأدنون أو قبيلته[٣].

و﴿ الْأَقْرَبِينَ ﴾ أي: الأقرب فالأقرب؛ لأنهم أحق الناس ببرك وإحسانك الديني والدنيوي، كما قال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ ﴾[٤] الآية. وقال النبي ﷺ لمن قال له: من أبر؟ قال: «أمك» قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك، ثم أختك وأخاك»[٥].

---

(١) كذا قال المفسرون، وانظر كلام ابن القيم -رحمه الله تعالى- في مفتاح دار السعادة (٢/ ١٣٢)، جلاء الأفهام (٢٦٦)، وقال ابن كثير -رحمه الله- أيضاً: أي نجعل أمركم مطاعاً كما يطاع رب العالمين. ا.هـ. (٣٠/ ٣٤٠).

(٢) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثالث، ص ٣٢٣.

(٣) انظر: لسان العرب (٤/ ٥٧٤)، قال ابن فارس (٤/ ٣٢٦): «وإنما سميت عشيرة الرجل لمعاشرة بعضهم بعضاً». ا.هـ.

(٤) التحريم: ٦.

(٥) رواه البخاري في الأدب المفرد، باب وجوب صلة الرحم (١/ ١٢٢) رقم (٤٧) «فضل الله الصمد» وأبو داود، كتاب الأدب، باب في بر الوالدين (٢/ ٧٥٧-٧٥٨) عن كليب بن منفعة =

ولأنه إذا قام عليهم في أمر الله كان أدعى إلى غيرهم إلى الانقياد، والطاعة له.

ولئلا يأخذه ما يأخذ القريب للقريب من الرأفة والمحاباة فيحابيهم في الدعوة والتخويف، ولذلك أمر بإنذارهم خاصة، وقد أمره الله أيضاً بالنذارة العامة كما قال: ﴿لِتُبَشِّرَ بِهِ ٱلْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِۦ قَوْمًا لُّدًّا﴾[1]، وقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾[2]، ولا تنافي بينهما؛ لأن النذارة الخاصة فرد من أفراد العامة[3].

= قال: قال جدي: يا رسول الله ... الحديث، وقد أخرج مسلم عن أبي هريرة قال: قال رجل: يا رسول الله من أحق الناس بحسن الصحبة؟ قال: أمك ثم أمك ثم أبوك ثم أدناك أدناك». ا.هـ. ص: ٩٦، الحديث رواه مسلم، كتاب البر والصلة (١٦/ ٨٠)، وأصله في البخاري، كتاب الأدب (١٠/ ٤٠١) «فتح».

(١) مريم: ٧٩.

(٢) يس: ٦١.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٢٢.

قال تعالـى: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾ [النمل: ٦٠-٦٤].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

تأمل هذه الآيـات الكريمة وما تضمنته من تقرير أفعـال الربوبية التي لا يخرج عنها فرد من أفراد الكائنات، واعرف ما سـيقت لـه، ودلت عليه من وجوب محبته تعالى وعبادته وحده لا شـريك له، وترك عبـادة ما عبد من دونه من الأنداد والآلهة، والبـراءة من ذلك، وانظر هـل القوم المخاطبون بهذا زعموا الاسـتقلال لغير الكبير المتعال، أم أقروا له سبحانه بالاستقلال والتدبير والتأثير، وإنما أوتوا من جهة الواسطة والشفاعة والتوسل بدعاء غير الله وقصد سواه، فيما يحتاجه العبد وما يهواه، وهذا صريح من تلك الحجج البينات، ونص هذه الآيات المحكمات، احتج سـبحانه بمـا أقروا له به من الربوبية والاستقلال على إبطال قصد غيره بالعبادة والدعاء والاستغاثة، كما يفعله أهل الجهل والضلال.

فإذا قيل: تجوز الاستغاثة بالأنبياء والصالحين ودعاؤهم والنذر لهم على أنهم وسائط، ووسائل بين الله وبين عباده وأن الله يفعل لأجلهم انهدمت القاعدة الإيمانية، وانتقضت الأصول التوحيدية، وفتح باب الشرك الأعظم، وعادت الرغبات والرهبات والمقاصد والتوجهات إلى سكان القبور والأموات، ومن دعي مع الله من سائر المخلوقات، وهذه هي الغاية الشركية والعبادة الوثنية[1]، فنعوذ بالله من الضلال والشقاء والانحراف عن أسباب الفلاح والهدى[2].

قال تعالى: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَـٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ [النمل: ٦٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

يقرر تعالى أنه الإله الواحد الذي لا شريك له، ولا معبود سواه مما يشترك في معرفته المؤمن والكافر؛ لأن القلوب مفطورة على ذلك، فمتى جاء الاضطرار رجعت القلوب إلى الفطرة، وزال ما ينازعها، فالتجأت إليه وأنابت إليه وحده لا شريك له، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾﴾[3]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن

---

(١) وانظر تفصيل الجواب في هذه المسألة في رسالة الواسطة بين الخلق والحق لشيخ الإسلام ابن تيمية. الفتاوى (١/ ١٢١).

(٢) منهاج التأسيس والتقديس، ص ٣٢٦.

(٣) النحل: ٥٣-٥٤.

سَبِيلِهِۦۚ قُلۡ تَمَتَّعۡ بِكُفۡرِكَ قَلِيلًاۖ إِنَّكَ مِنۡ أَصۡحَٰبِ ٱلنَّارِ ﴾[١]، ومثل هذا كثير في القرآن.

يبين تعالى أنه المدعو عند الشدائد، الكاشف للسوء وحده، فيكون هو المعبود وحده.

وكذا قال في هذه الآية: ﴿ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ ﴾ أي: من هو الذي لا يلجأ المضطر إلا إليه والذي لا يكشف ضر المضطرين سواه.

ومن المعلوم أن المشركين كانوا يعلمون أنه لا يقدر على هذه الأمور إلا الله وحده، وإذا جاءتهم الشدائد أخلصوا الدعاء لله، كما قال تعالى: ﴿ فَإِذَا رَكِبُواْ فِي ٱلۡفُلۡكِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ إِذَا هُمۡ يُشۡرِكُونَ ﴾[٢]، فتبين أنه من اعتقد في غير الله أن يكشف السوء أو يجيب دعوة المضطر أو دعاه لذلك، فقد أشرك شركاً أكبر من شرك العرب كما هو الواقع من عباد القبور[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

بين تعالى أن المشركين من العرب ونحوهم قد علموا أنه لا يجيب المضطر ويكشف السوء إلا الله وحده، فذكر ذلك سبحانه محتجاً عليهم في اتخاذهم الشفعاء من دونه، ولهذا قال: ﴿أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ﴾ يعني يفعل ذلك. فإذا كانت آلهتهم لا تجيبهم في حال الاضطرار، فلا يصلح أن يجعلوها شركاء لله الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء وحده.

---

(١) الزمر: ٨.

(٢) العنكبوت: ٦٥.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٠٥.

وهذا أصح ما فسرت به الآية كسابقتها من قوله: ﴿أَمَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنۢبِتُوا۟ شَجَرَهَآ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنْهَٰرًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِىَ وَجَعَلَ بَيْنَ ٱلْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾﴾[1]، ولا حقتها إلى قوله: ﴿أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَمَن يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشْرًۢا بَيْنَ يَدَىْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾﴾[2].

فتأمل هذه الآيات يتبين لك أن الله تعالى احتج على المشركين بما أقروا به[3] على ما جحدوه: من قصر العبادة جميعها عليه، كما في فاتحة الكتاب ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾[4].

قال أبو جعفر بن جرير: «قوله: ﴿أَمَّن يُجِيبُ ٱلْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ ٱلسُّوٓءَ﴾ إلى قوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تعالى ذكره: أم ما تشركون بالله خير، أم الذي يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء النازل به عنه؟

وقوله: ﴿وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَآءَ ٱلْأَرْضِ﴾ يقول: يستخلف بعد أمواتكم[5] في الأرض منكم خلفاء أحياء يخلفونهم.

وقوله: ﴿أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ﴾ أإله سواه يفعل هذه الأشياء بكم وينعم عليكم هذه النعم؟

---

(١) النمل: ٦٠-٦١.

(٢) النمل: ٦٣-٦٤.

(٣) الذي هو توحيد الربوبية.

(٤) الفاتحة: ٤.

(٥) في تفسير الطبري «أمرائكم» (٢٠/ ٤).

وقوله: ﴿قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ﴾ يقول تذكراً قليلاً من عظمة الله وأياديه عندكم تذكرون، وتعتبرون حجج الله عليكم يسيراً. فلذلك أشركوا[1] بالله غيره في عبادته»[2][3].

قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تُسْمِعُ ٱلْمَوْتَىٰ وَلَا تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوْا۟ مُدْبِرِينَ ﴿٨٠﴾ وَمَآ أَنتَ بِهَٰدِى ٱلْعُمْىِ عَن ضَلَٰلَتِهِمْ ۖ إِن تُسْمِعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا فَهُم مُّسْلِمُونَ ﴿٨١﴾﴾ [النمل: ٨٠-٨١].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

شبَّه من لم يطلب الحق، ولم يرده في عدم انتفاعه بسماع الحجة، بالميت الذي لا يسمع بالكلية، وبالأصم إذا أدبر؛ لكونه لا يسمع مناديه لما قام به من الوصفين، وشبهه أيضاً في عدم رؤيته للحق بالذي لا يبصر؛ لأن الأعمى عَمِيَ بصره، وهذا عميت بصيرته عن معرفة الحق وقبوله، وهذا هو المعنى الصحيح[4] في هذه الآيات[5].

---

(١) في تفسير الطبري: أشركتم (٢٠/ ٤).

(٢) جامع البيان (٢٠/ ٤)، وفي النسخة التي بين يدي قد انتقلت هذه الصفحة إلى مكان الصفحة (٢٢/ ٤).

(٣) فتح المجيد، ص ١٥٣، ١٥٤.

(٤) انظر: الطبري (٢٠/ ٩)، البحر المحيط (٧/ ٩١)، ابن كثير (٣/ ٣٧٤).

(٥) الدرر السنية (٩/ ١٦١).



قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْۚ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [العنكبوت: ١٠].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

إنما حمل ضعيف البصيرة على أن جعل فتنة الناس كعذاب الله، هو الخوف منهم أن ينالوه بما يكره بسبب الإيمان بالله، وذلك من جملة الخوف من غير الله(١).

وفي الآية رد على المرجئة والكرامية(٢).

وفيها الخوف على نفسك، والاستعداد للبلاء -إذ لا بد منه- مع سؤال الله العافية(٣).

---

(١) الخوف ينقسم أربعة أقسام:
الأول: خوف وعيد الله الذي توعد به العصاة قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم: ١٤]، وهذا الخوف من أعلى مراتب الإيمان، وهذا الخوف ما حجزك عن معاصي الله، فمن زاد على ذلك فهذا غير محتاج إليه.
الثاني: خوف السر وهو أن يخاف من غير الله أن يصيبه بما يكره بمشيئته وقدرته سواء ادعى أن ذلك كرامة للمخوف بالشفاعة، أو على سبيل الاستقلال قال تعالى: ﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ [الزمر: ٣٦]، فهذا الخوف لا يجوز تعلقه بغير الله أصلاً؛ لأنه من لوازم الإلهية، ومن صرفه لغير الله فقد أشرك شركاً أكبر.
الثالث: أن يترك الإنسان ما يجب عليه من الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر خوفاً من المخلوقين فهذا محرم، وهو نوع من الشرك المنافي لكمال التوحيد.
الرابع: الخوف الطبيعي كالخوف من الغرق والهدم والسبع الضاري، فهذا لا يذم قال تعالى عن موسى عليه السلام: ﴿فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ﴾ [القصص: ٢١].

(٢) قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن في فتح المجيد (٣٠٤): «ووجهه: أنه لم ينفع هؤلاء قولهم: ﴿ءَامَنَّا بِٱللَّهِ﴾.
مع عدم صبرهم على أذى من عاداهم في الله، فلا ينفع القول والتصديق بدون عمل، فلا يصدق الإيمان الشرعي على الإنسان إلا باجتماع الثلاثة: التصديق بالقلب وعمله، والقول باللسان، والعمل بالأركان. وهذا قول أهل السنة والجماعة سلفاً وخلفاً، والله سبحانه وتعالى أعلم». ا.هـ.
وسيأتي التعريف بالكرامية.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٣٢.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًاۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [العنكبوت: ١٧].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

يأمر تعالى بابتغاء الرزق منه وحده دون ما سواه ممن لا يملك لهم رزقاً من السماوات والأرض شيئاً، فتقديم الظرف يفيد الاختصاص، وقوله: ﴿وَٱعْبُدُوهُ﴾ من عطف العام على الخاص، فإن ابتغاء الرزق عنده من العبادة التي أمر الله بها[1].

قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [العنكبوت: ٤٨-٤٩].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ﴾ أي: وما تقرأ قبل هذا القرآن الذي تسنم من قنة[2] البلاغة، وقمة الفصاحة أرفع مكان ﴿مِن كِتَٰبٍ﴾ حتى يتعلق المرتاب بعلاقة الشبهة والارتياب.

---

(١) فتح المجيد، ص ١٥٠.

(٢) قال في اللسان: وقُنَّة كل شيء أعلاه مثل القلة، وقُنَّة الجبل وقلته: أعلاه والجمع: القُنن والقلل، وقيل الجمع: قُنَن، وقِنَان، وقُنان، وقُنُون». ا. هـ. لسان العرب (قنن) (١٣/ ٣٤٨-٣٤٩).

﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ﴾ أي: ولم تكن تكتب شيئاً بيدك، وهو محو ثان للشبهة الزائفة، وتقرير للمعجزة النائفة[١]، ولكن كما قال تعالى: ﴿وَمَا تُغْنِى ٱلْآيَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾[٣].

«فإن ظهور هذا الكتاب الجامع لأنواع العلوم الشريفة على أمي لم يعرف قبله بالقراءة والخط[٤] والتعليم خارق للعادة.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾ أي ولو كنت ممن يخط ويقرأ لقالوا لعله تعلمه أو التقطه من كتب الأقدمين، وسماهم لكفرهم: مبطلين.

وقيل: لارتاب أهل الكتاب لوجدانهم نعتك على خلاف ما في كتبهم مقرر، فيكون إبطالهم باعتبار الواقع دون المقدر[٥].

---

(١) قال ابن فارس: «النون والواو والفاء أصل صحيح يدل على علو وارتفاع، وناف ينوف: طال وارتفع». ا.هـ. معجم مقاييس اللغة (نوف) (٥/ ٣٧١).

(٢) يونس: ١٠١.

(٣) النساء: ٨٢.

(٤) قال الحافظ ابن كثير عند تفسير هذه الآية (٣/ ٤١٧): وهكذا كان رسول الله –صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى يوم الدين – لا يحسن الكتابة، ولا يخط سطراً ولا حرفاً بيده، بل كان له كتّاب يكتبون بين يديه الوحي والرسائل إلى الأقاليم.
ومن زعم من متأخري الفقهاء كالقاضي أبي الوليد الباجي ومن تابعه أنه ﷺ كتب يوم الحديبية: «هذا ما قاضى عليه محمد بن عبدالله» فإنما حمله على ذلك راوية في صحيح البخاري: «ثم أخذ فكتب». وهذه محمولة على الراوية الأخرى: «ثم أمر فكتب».
ولهذا اشتد النكير من فقهاء المشرق والمغرب على من قال بقول الباجي وتبرؤوا منه، وأنشدوا في ذلك أقوالاً وخطبوا في محافلهم، وإنما أراد الرجل –أعني الباجي– فيما يظهر عنه أنه كتب ذلك على وجه المعجزة لا أنه كان يحسن الكتابة ... إلى أن قال: وما أورده بعضهم من الحديث أنه لم يمت ﷺ حتى تعلم الكتابة فضعيف لا أصل له». ا.هـ.

(٥) انظر: الطبري (٢١/ ٤-٥).
زاد المسير (٦/ ٢٧٧-٢٧٨).

﴿بَلْ هُوَ﴾ أي القرآن: ﴿ءَايَٰتُۢ﴾ دلالات، ﴿بَيِّنَٰتٞ﴾ وبراهين ساطعات، وحجج ﴿فِي صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَۚ﴾ واضحات، وعن التحريف محفوظات ﴿وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلا المتوغلون في الظلم بالمكابرة بعد وضوح دلائل الإعجاز الباهرة»[(١)][(٢)].

---

(١) أنوار التنزيل (٢/ ٢١١) باختصار يسير.

(٢) العقد الثمين، ص ٢٣٧.

قال تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾﴾ [الروم: ٣١-٣٢].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ﴾ أي مقبلين عليه بالإقلاع عن الكفر والرجوع إلى التوحيد.

﴿وَاتَّقُوهُ﴾ احذروه، كما قال: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ﴾[(١)]، فالتقوى أفضل لباس العبيد.

﴿وَأَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ﴾ بأدائها في جميع أوقاتها بإخلاصها له كما شرعت.

قوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ نهي من الله تعالى لرسوله وأمته أجمعين أن يتبعوا سنن المشركين، الذي آثروا الهوى، فآل بهم الحال إلى الافتراق في الدين.

﴿مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ﴾ أي الإسلام الذي هو دين واحد.

﴿وَكَانُوا شِيَعًا﴾ كل شيعة اختارت لها إماماً قائداً فتابعته على تأييد دينها الفاسد فسيوردهم يوم القيامة شر الموارد. ﴿يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ﴾[(٢)].

﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ كل أهل دين بما عندهم راضون مسرورون ظناً منهم أنهم إلى الحق مهتدون: ﴿وَسَيَعْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ﴾[(٣)(٤)].

---

(١) آل عمران: ٢٨، ٣٠.

(٢) هود: ٩٨.

(٣) الشعراء: ٢٢٧.

(٤) العقد الثمين، ص ٢٤٢، ٢٤٣.

قال تعالى: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ٢٢].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

إسلام الوجه هو إخلاص الأعمال الباطنة والظاهرة كلها لله، وهذا هو توحيد الإلهية وتوحيد العبادة وتوحيد القصد والإرادة، ومن كان كذلك فقد استمسك بالعروة الوثقى، وهي لا إله إلا الله، فإن مدلولها نفي الشرك وإنكاره والبراءة منه وإخلاص العبادة لله وحده. وهو معنى قول الخليل: ﴿إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا ۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾﴾[1]، وهذا هو الإخلاص الذي هو دين الله الذي لم يرض لعباده ديناً سواه كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾[2]، والدين هو العبادة، وقد فسره أبو جعفر بن جرير في تفسيره بالدعاء[3]، وهو بعض أفراد العبادة، كما في السنن من حديث أنس «الدعاء مخ العبادة»[4]،

(١) الأنعام: ٧٩.

(٢) الزمر: ٢-٣.

(٣) قال ابن جرير عند قوله تعالى: ﴿دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢]: أخلصوا الدعاء لله هناك دون أوثانهم وآلهتهم، وكان مفزعهم حينئذٍ إلى الله دونها. ا.هـ. تفسير الطبري (١٥/ ٥١) وقد فسره في مواطن أخرى بالعموم كما عند قوله تعالى: ﴿وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [الأعراف: ٢٩] قال رحمه الله: «اعملوا لربكم مخلصين له الدين والطاعة، لا تخلطوا ذلك بشرك، ولا تجعلوا في شيء مما تعملون له شريكاً» (٢١/ ٣٨١).
انظر: تفسير سورة الزمر (٢٣/ ١٢٢ و ١٣٠).

(٤) رواه الترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء (٩/ ٣١١) «تحفة»، وقال: «هذا حديث غريب من هذا الوجه لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة» والحديث ضعيف بهذا اللفظ. ذكره الألباني في ضعيف الجامع (٣/ ١٥٨) رقم (٣٠٠٣).

وحديث النعمان ابن بشير «الدعاء هو العبادة»[١]، أي معظمها، ذلك أنه يجمع من أنواع العبادة أموراً[٢][٣].

---

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (٤/ ٢٧١) رقم (١٨٤١٥) والبخاري في الأدب المفرد (٢/ ١٧٨)، والترمذي، أبواب الدعوات، باب ما جاء في فضل الدعاء (٩/ ٣١١) «تحفة» وقال: هذا حديث حسن صحيح، ورواه ابن ماجه كتاب الدعاء، باب فضل الدعاء (٢/ ١٢٥٨)، والحاكم في المستدرك وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٤٩١)، والبغوي في التفسير (٧/ ١٥٦).

(٢) كالخوف والرجاء والتوكل والإنابة والذكر وغير ذلك. والله أعلم.

(٣) مجموعة الرسائل والمسائل، الجزء الثاني، ص ١٨.

قال تعالى: ﴿ مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمْۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَآءَكُمْ أَبْنَآءَكُمْۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَٰهِكُمْۖ وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي ٱلسَّبِيلَ ﴿٤﴾ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمْۚ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَآ أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾ ﴾ [الأحزاب: ٤-٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذه الآية الكريمة: دلت على وجوب دعاء الرجل لأبيه، فإن جهل فيدعى بالأخوة الإسلامية، أو بمولى فلان، ولم يذكر قسماً رابعاً، وهو دعاؤه لأمه.

ونسبة الرجل إلى أمه تأنف منه العرب وأهل المروءة، فضلاً عن أهل العلم والدين، لما في ذلك من غمص والده، والتنويه بأمه بين الأجانب، وما ظننت عاقلاً يرضى هذا ويستحسنه، فضلاً عن أن ينكر على من كرهه ونهى عنه.

والآية الكريمة: وإن كانت نصاً في دعوى الرجل إلى من تبناه غير أبيه، فهي عامة في دعائه لأمه، لأن قوله: ﴿ ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ ﴾ نص في أنه لا يدعى لغيره، ولا شك في دخول الأم في الغير، وعلى هذا فالنص عام، ولو قيل بخصوصه أخذاً من خصوص السبب، فلا مانع من إلحاق النظير، والجمهور يرون في هذه المسألة[1]: أن عموم اللفظ مقدم في الاعتبار على

(١) المسألة هي: هل العبرة بعموم اللفظ أم بخصوص السبب؟
وقد ذهب إلى الأول جماهير العلماء والأصوليين منهم الإمام أحمد، والشافعي، وأكثر أصحابهما، وكثير من المالكية والحنفية.
وذهب إلى الثاني مالك وبعض الشافعية والحنفية.
انظر المسألة في: المحصول (١/ ٣/ ١٨٨)، الإحكام للآمدي (٢/ ٢٣٨)، التمهيد لأبي =

خصوص السبب، والأول: قال به بعض الأصوليين. وجماهير أهل العلم والتأويل: قد رجحوا الثاني.

وقوله: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾ عام في ترك دعائهم لغيرهم، وإن كان المدعو إليه أماً، فتفطن[1].

قال تعالى: ﴿وَقَرۡنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجۡنَ تَبَرُّجَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ ٱلۡأُولَىٰۖ وَأَقِمۡنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذۡهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

قال أبناء الشيخ محمد بن عبدالوهاب والشيخ حمد بن معمر رحمهم الله:

قول من قال: إن الإرادة أزلية لا تبدل، وأن ﴿إِنَّمَا﴾ للحصر، وغير ذلك.

فنقول: قد ذكر أهل العلم أن الآية لا تدل على عصمتهم من الذنوب، يدل على ذلك: أن أكابر أهل البيت كالحسن والحسين وابن عباس لم يدعوا لأنفسهم العصمة، ولا استدل أحد منهم بهذه الآية على عصمتهم.

وقد ذكر العلماء أن الإرادة في كتاب الله على نوعين[2]: إرادة قدرية، وإرادة شرعية.

= الخطاب (٢/ ١٦١)، روضة الناظر (٢/ ٦٩٢-٦٩٤)، شرح المنهاج للأصفهاني (١/ ٤٢٢)، المذكرة للشنقيطي (٢٠٨-٢٠٩).

(١) الدرر السنية (٥/ ٤١٢-٤١٣).

(٢) فرق العلماء -رحمهم الله- بين الإرادتين بعدة فروق لعل أهمها:
الأول: أن الإرادة الكونية لابد من وقوعها، والإرادة الشرعية قد تقع وقد لا تقع.
الثاني: أن الإرادة الكونية شاملة لكل ما يجري في الكون من خير وشر ونفع وضر، أما الشرعية فتكون في الخير والنفع فقط. =

فالإرادة القدرية: لا تبدل ولا تغير، والإرادة الشرعية: قد تغير، وتبدل، فمن الأول قوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَدْنَآ أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا۟ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا ٱلْقَوْلُ فَدَمَّرْنَٰهَا تَدْمِيرًا﴾[١]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ ۚ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ﴾[٢]، وقوله تعالى: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِى ٱلْأَرْضِ وَنُرِىَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾﴾[٣].

ومن الثاني قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلشَّهَوَٰتِ أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾﴾[٤].

فقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٥]، وكقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾[٦].

= الثالث: أن الإرادة الكونية ليس من لازمها المحبة، فقد يريد الله ما لا يحبه، لكن يترتب عليه ما هو محبوب له، ككفر الكافر، ودخول الألم على المؤمنين من الجهاد ونحو ذلك، أما الإرادة الشرعية فمن لازمها المحبة. والله أعلم.

انظر: الفتاوى (٨/ ١٩٧)، شفاء العليل (٢٧٨-٢٨١).

(١) الإسراء: ١٦.

(٢) الرعد: ١١.

(٣) القصص: ٥-٦.

(٤) النساء: ٢٦-٢٧.

(٥) المائدة: ٦.

(٦) البقرة: ١٨٥.

وكقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ﴾[١].

فإن إرادة الله في هذه الآية متضمنة لمحبة الله، فذكر المراد ورضاه به، وأنه شرعه للمؤمن وأمرهم به، ليس في ذلك خلف هذا المراد، لا أنه قضاؤه وقدره. والدليل على ذلك: أن النبي بعد نزول هذه الآية قال: «اللهم أهل بيتي، فأذهب عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً»[٢].

فطلب من الله: إذهاب الرجس والتطهير، فلو كانت الآية تقتضي إخبار الله بأنه أذهب عنهم الرجس وطهرهم لم يحتج إلى الطلب والدعاء، وهذا على قول القدرية: أظهر[٣]، فإن إرادة الله عندهم لا تتضمن وجوب المراد، بل قد يريد ما لا يكون، ويكون مالا يريد، فليس في قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ﴾ أنه قدر ما يدل على وقوعه.

ومن العجب أن الشيعة يحتجون بهذه الآية، على عصمة أهل البيت، ومذهبهم في القدر من جنس القدرية، الذين يقولون: إن الله قد أراد إيمان كل من على وجه الأرض، فلم يقع مراده.

وأما على قول أهل السنة والتحقيق فهو: ما تقدم، وهو أن يقال: الإرادة في كتاب الله نوعان، إرادة شرعية دينية، تتضمن محبته ورضاه، وإرادة كونية قدرية، تتضمن خلقه وتقديره.

---

(١) النساء: ٢٦.

(٢) رواه مسلم عن عائشة، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين (١٥/ ٥٦٦).

(٣) المقصود بالقدرية النفاة الذين يقولون: إن العبد يخلق فعله.
ويعني بقوله أظهر: أي أظهر بطلاناً، لأن قولهم في الآية مصادم لمذهبهم في القدر. والله أعلم.

فالأولى كقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[١].

والثانية كقوله: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ ۖ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِى ٱلسَّمَآءِ ۚ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ ٱللَّهُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِىٓ إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ ۚ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾[٣]، ومثل ذلك كثير في القرآن.

فالله تعالى أخبر: أنه يريد أن يتوب على المؤمنين ويطهرهم، وفيه من تاب، وفيه من لم يتب، وفيه من تطهر، وفيه من لم يتطهر، فإذا كانت الآية: ليس فيها دلالة على وقوع ما أراده من التطهير، وإذهاب الرجس، لم يلزم بمجرد الآية ثبوت ما ادعاه هؤلاء.

ومما يبين أن أزواج النبي ﷺ مذكورات في الآية، قوله تعالى: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِىِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾، إلى قوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾﴾[٤].

فالخطاب كله لأزواج النبي ﷺ، وفيهن الأمر والنهي، والوعد والوعيد،

---

(١) النساء: ٢٦.

(٢) الأنعام: ١٢٥.

(٣) هود: ٣٤.

(٤) الأحزاب: ٣٠-٣٤.

لكن لما كان ما ذكره سبحانه: أنه يعمهن، ويعم غيرهن، من أهل البيت، جاء لفظ التزكية[١]، فقال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ والذي يريد الله: من حصول إذهاب الرجس، وحصول التطهير، فهذا الخطاب وغيره، ليس مختصاً بأزواجه، بل هو يتناول أهل البيت كلهم، وعلي وفاطمة والحسن والحسين أخص من غيرهم بذلك، وكذلك خصهم النبي ﷺ بالدعاء لهم.

ولهذا كما أن قوله: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾[٢] نزل بسبب مسجد قباء، ولكن الحكم يتناوله ويتناول ما هو أحق منه بذلك، وهو مسجد المدينة[٣].

وفي الصحيح: أن النبي ﷺ سئل على المسجد الذي أسس على التقوى؟ فقال: «هو مسجدي هذا»[٤]، وفي الصحيح: «أنه كان يأتي قباء كل سبت، راكباً وماشياً»[٥]، وكان يقوم في مسجده يوم الجمعة، ويأتي قباء يوم السبت، وكلاهما مؤسس على التقوى.

وهكذا أزواجه، وعلي وفاطمة والحسن والحسين، كلهم من أهل البيت، لكن علي وفاطمة والحسن والحسين، أخص بذلك من أزواجه، فلهذا خصهم بالدعاء[٦][٧].

---

(١) هكذا في النسخ الموجودة ولعل الصواب: التذكير. والله أعلم.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) راجع: المسألة في تفسير سورة براءة.
وانظر: كلام الحافظ ابن كثير -رحمه الله- (٣/ ٤٨٦).

(٤) سبق تخريجه.

(٥) سبق تخريجه.

(٦) انظر: كلام شيخ الإسلام حول هذه الآية في رده على ابن المطهر الحلي الرافضي في منهاج السنة (٤/ ٢١-٢٤) فإنه نفيس جداً.

(٧) الدرر السنية (١/ ٢٠٨-٢١١).

سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عن قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ من هم أهل البيت؟

فأجاب: إن أهل البيت الذين حرمت عليهم الصدقة كما في حديث زيد بن أرقم[1].

وأولهم دخولاً في هذه الآية أهل الكساء، وهم علي وفاطمة والحسن والحسين، كما أخرج ذلك مسلم في صحيحه: «أن رسول الله ﷺ لما أدخل فاطمة وعلياً والحسن والحسين في مرط مرحل[2] عليه من شعر ثم قال: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾»[3]، وفي حديث أم سلمة أنه عليه السلام جللهم بكسائه وقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[4]، أخرجه الترمذي وقال: حديث صحيح.

والاحتجاج بذلك على عصمتهم، وتخصيص الشيعة بذلك، وكون إجماعهم حجة ضعيف بل باطل؛ لأن التخصيص بهم لا يناسب ما قبل

---

(١) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل علي رضي الله عنه (١٥/ ٥٥٤)، وفيه قال حصين: أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال زيد بن أرقم: نساؤه من أهل بيته، ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده. قال: ومن هم؟ قال: هم آل علي، وآل عقيل، وآل جعفر، وآل عباس، قال: كل هؤلاء حرم الصدقة؟ قال: نعم.

(٢) قال النووي في شرح مسلم (١٥/ ٥٦٦): «نقل القاضي أنه وقع لبعض رواة كتاب مسلم بالحاء، ولبعضهم بالجيم.
والمرحل بالحاء: هو الموشى المنقوش عليه رحال الإبل، وبالجيم: عليه صور المراجل وهي القدور. وأما المرط بكسر الميم: هو الكساء. والجمع: مروط. ا.هـ.

(٣) رواه مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب فضائل الحسن والحسين (١٥/ ٥٦٦).

(٤) رواه الترمذي، كتاب المناقب، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ (٩/ ٣٤٢) عن عمر بن أبي سلمة ربيب النبي ﷺ وقال: «وفي الباب عن أم سلمة ومعقل بن يسار وأبي الحمراء وأنس بن مالك.
انظر: ابن جرير (٢٢/ ٥-٧). وقد جمع الحافظ ابن كثير كثيراً من روايات حديث الكساء (٣/ ٤٨٣-٤٨٥).

الآية وما بعدها، والحديث يقتضي الدعاء لهم بأن يذهب الله عنهم الرجس ويطهرهم تطهيراً؛ وغاية ذلك أن يكون دعاء لهم أن يكونوا من المتقين الذين أذهب الله عنهم الرجس، واجتناب الرجس والطهارة مأمور بها كل المؤمنين، ويريدها سبحانه وتعالى، قال الله تعالى: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ﴾[(١)]، وقال تعالى: ﴿خُذۡ مِنۡ أَمۡوَٰلِهِمۡ صَدَقَةٗ تُطَهِّرُهُمۡ وَتُزَكِّيهِم بِهَا وَصَلِّ عَلَيۡهِمۡۖ إِنَّ صَلَوٰتَكَ سَكَنٞ لَّهُمۡ﴾[(٢)]، غاية هذا أن يكون دعاء لهم بفعل المأمور وترك المحظور.

وأيضاً فالسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان رضي الله عنهم ورضوا عنه، وأعد لهم جنات تجري من تحتها الأنهار، لابد أن يكونوا فعلوا المأمور وتركوا المحظور، فإن هذا الرضوان وهذا الجزاء إنما ينال بذلك، وحينئذ فيكون ذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم من الذنوب بعض صفاتهم فما دعا به النبي ﷺ لأهل الكساء هو بعض ما وصف الله به السابقين الأولين، دعا لغير أهل الكساء أن يصلي الله عليهم[(٣)]، ودعا لأقوام كثيرين بالجنة والمغفرة[(٤)]، وغير ذلك مما هو أعظم من الدعاء بذلك، ولا يلزم أن يكون من دعا له بذلك أن يكون أفضل من السابقين الأولين، ولكن

---

(١) المائدة: ٦.
وفي الأصل: زيادة «في الدين» وهو خطأ في الآية.

(٢) التوبة: ١٠٣.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب صلاة الإمام ودعائه لصاحب الصدقة (٣/ ٣٦١) «فتح» عن عبدالله بن أبي أوفى قال: «كان النبي ﷺ إذا جاء قوم بصدقتهم قال: اللهم صل على آل فلان، فأتاه أبي بصدقته فقال: اللهم صل على آل أبي أوفى» رواه مسلم، كتاب الزكاة، باب الدعاء لمن أتى بصدقته (٧/ ١٠٥).

(٤) ومنه دعاؤه لأبي سلمة رضي الله عنه: «اللهم اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديين، واخلفه في عقبه في الغابرين، واغفر لنا وله يا رب العالمين، وأفسح له في قبره ونور له فيه». رواه مسلم، كتاب الجنائز، باب ما يقال عند المريض والميت (٦/ ٥٢١).

أهل الكساء لما أوجب عليهم اجتناب الرجس، وفعل التطهير دعا النبي ﷺ لهم بأن يعينهم على فعل ما أمرهم به؛ لئلا يكونوا مستحقين للذم والعقاب ولينالوا المدح والثواب.

والآية ليس فيها إخبار بطهارة أهل البيت وذهاب الرجس عنهم، وإنما فيها الأمر لهم بما يوجب طهارتهم وذهاب الرجس عنهم، فإن قوله: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ كقوله: ﴿مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ﴾[1]، وقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾[2]، والإرادة هنا متضمنة الأمر والمحبة والرضا، ليست هي المشيئة المستلزمة لوقوع المراد، فإنه لو كان كذلك لكان قد طهر من أراد الله طهارته، وهذا على قول القدرية الشيعة أوجه، فإنه عندهم أن الله يريد ما لا يكون ويكون ما لا يريد، فقوله: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ الآية، إذا كان هذا بفعل المأمور وترك المحظور كان ذلك متعلقاً بإرادتهم وأفعالهم، فإن فعلوا ما أمروا به طهروا وإلا فلا، وهم يقولون: الله لا يخلق أفعالهم ولا يقدر على تطهيرهم وذهاب الرجس، وأما أهل السنة والجماعة المثبتون للقدر فيقولون: الله قادر على ذلك فإذا ألهمهم فعل ما أمر وترك ما حظر حصلت الطهارة وذهاب الرجس.

ومما ينبئ أن هذا مما أمروا به لا مما أخبر بوقوعه ما ثبت في الصحيح أن النبي ﷺ أدار الكساء على علي وفاطمة وحسن وحسين وقال: «اللهم

---

(١) المائدة: ٦.

وفيها زيادة: «في الدين» وهو خطأ.

(٢) النساء: ٢٦.

هؤلاء أهل بيتي أذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[١]، وهو يدل على فساد قول الشيعة من وجهين:

أحدهما: أنه دعا لهم بذلك، وهو دليل على أنه لم يخبر بوقوع ذلك، فإنه لو كان قد وقع لكان يثني على الله بوقوعه ويشكره على ذلك، لا يقتصر على مجرد الدعاء به.

الثاني: أن هذا يدل على أن الله قادر على إذهاب الرجس عنهم وتطهيرهم، وذلك يدل على أنه خالق أفعال العباد.

وأيضاً مما يدل أن الآية متضمنة الأمر والنهي قوله: في سياق الكلام: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾[٢] إلى قوله: ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ ۚ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾[٣] إلى قوله: ﴿وَأَقِمْنَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتِينَ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِعْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾[٤].

وهذا السياق يدل على أن ذلك أمر ونهي.

ويدل على أن أزواج النبي ﷺ من أهل بيته، فإن السياق إنما هو في مخاطبتهن.

ويدل على أن قوله: ﴿لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ عمت غير الزوجة لعلي وفاطمة وحسن وحسين؛ لأنه ذكره بصيغة التذكير لما اجتمع

---

(١) سبق تخريجه .
(٢) الأحزاب: ٣٠.
(٣) الأحزاب: ٣٢.
(٤) الأحزاب: ٣٣.

المذكر والمؤنث؛ وهؤلاء أخص[١] بكونهم من أهل البيت من أزواجه، فلهذا خصهم بالدعاء لما أدخلهم في الكساء، كما كان مسجد قباء أسس على التقوى، ومسجده أيضاً أسس على التقوى، وهو أكمل في ذلك؛ لأن قوله: ﴿ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى التَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ﴾[٢] بسبب مسجد قباء، فيتناول اللفظ لمسجد قباء ولمسجده بطريق أولى.

فتبين بما ذكرنا أنه ليس في الآية والحديث متعلق لأعداء الله الرافضة والزيدية[٣] فليعلم ذلك وبالله التوفيق[٤].

قال تعالى: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ ۗ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

سئل الشيخ عبدالله بن الشيخ عن قوله: ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ ﴾ هل هذه الآية قطعت كون رسول الله ﷺ والداً للحسن والحسين مع ما ورد من الأحاديث الدالة على تسميتهما ابنين له؟

فأجاب: سبب نزول الآية يزيل هذا الإشكال، وذلك أنه ذكر المفسرون أن رسول الله ﷺ لما تزوج زينب قال الناس: تزوج امرأة ابنه وأنزل الله هذه

---

(١) في الأصل: خصوا. ولعل الصواب المثبت أعلاه.

(٢) التوبة: ١٠٨.

(٣) الزيدية: من فرق الشيعة، ينتسبون إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، وقد كان زيد لا يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما فرفضه الروافض وتركوه.
والزيدية في الأصل على مذهب المعتزلة إذ إن زيداً قد تتلمذ على واصل بن عطاء، وهم فرق هي: الجارودية والصالحية والبترية والسليمانية، وقد اختلفوا هل عهد النبي ﷺ بالخلافة لعلي أم لا؟ وهل كفر الناس باختيار أبي بكر أم لا؟
انظر: الملل والنحل (١٥٤)، الفرق بين الفرق (٢٢).

(٤) الدرر السنية (١٠/ ١٦٠-١٦٢).

الآية[١] -يعني زيد بن حارثة- يعني: لم يكن أباً لرجل منكم على الحقيقة حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح.

فإن قيل: قد كان له أبناء: القاسم والطيب والطاهر وإبراهيم[٢]، وقال للحسن: «إن ابني هذا سيد»[٣]؟

فالجواب: أنهم قد خرجوا من حكم النفي بقوله: ﴿مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ وهؤلاء لم يبلغوا مبلغ الرجال[٤].

وأجاب بعضهم: «بأنه ليس المقصود أنه لم يكن له ولد فيحتاج إلى الاحتجاج في أمر بنيه بأنهم كانوا ماتوا ولا في أمر الحسن والحسين؛ لأنهما كانا طفلين.

وإضافة ﴿رِّجَالِكُمْ﴾ إلى المخاطبين يخرج من كان من بنيه لأنهم رجاله لا رجال المخاطبين»[٥][٦].

---

(١) رواه عبدالرزاق في التفسير (٣/ ١١٨) عن قتادة. وانظر: الطبري (٢٢/ ١٢-١٣) حيث رواه عن قتادة، وعلي بن الحسين.
وانظر: الدر المنثور (٦/ ٦١٧).

(٢) ذكر الإمام ابن القيم -رحمه الله- أبناءه ﷺ فقال:
«أولهم القاسم وبه يكنى ... ثم ولد له عبدالله، وهل ولد بعد النبوة أو قبلها؟ فيه اختلاف، وصحح بعضهم أنه ولد بعد النبوة، وهل هو الطيب والطاهر، أو هما غيره؟ على قولين. والصحيح: أنهما لقبان له. والله أعلم.
وهؤلاء كلهم من خديجة ولم يولد له من زوجة غيرها. ثم ولد له إبراهيم من سُرِّيته «مارية القبطية» سنة ثمان بعد الهجرة» . ا.هـ. مختصراً زاد المعاد (١/ ١٠٣).

(٣) رواه البخاري، كتاب المناقب، باب مناقب الحسن والحسين رضي الله عنهما (٤/ ٢١٦).

(٤) انظر: البيضاوي (٢/ ٢٤٧).

(٥) البحر المحيط (٧/ ٢٢٨).
وانظر أيضاً: الزمخشري (٣/ ٢٣٩)، ابن عطية (٤/ ٣٨٨)، ابن كثير (٣/ ٤٩٢-٤٩٣).

(٦) الدرر السنية (١٠/ ١٦٢).

قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾ [سبأ: ٢٢-٢٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ أي: زال الفزع عنها، قاله ابن عباس[١]، وابن عمر، وأبو عبدالرحمن السلمي، والشعبي والحسن[٢]، وغيرهم[٣].

والضمير عائد على ما عادت عليه الضمائر التي للغيبة في قوله: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾ ﴿وَمَا لَهُمْ﴾[٤]، ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم﴾[٥].

و﴿حَتَّىٰٓ﴾ تدل على الغاية، وليس في الكلام ما يدل على أن غاية له[٦]، فقال ابن عطية: «في الكلام حذف يدل عليه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تزعمون أنتم، بل هم عبدة مسلمون أبداً، يعني: منقادون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾»[٧]، والمراد الملائكة على ما اختاره ابن جرير[٨] وغيره.

---

(١) رواه ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة (٢٢/ ٦٢)، وانظر: الدر المنثور (٦/ ٦٩٦).

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٦)، الدر المنثور (٦/ ٦٩٧-٧٠١).

(٣) روي ذلك عن إبراهيم النخعي، والضحاك، وقتادة، والكلبي، وغيرهم، انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٦)، الدر المنثور (٦/ ٦٩٩-٧٠١).

(٤) في الأصل: «وفي أموالهم» وهو تحريف، والصواب المثبت أعلاه، وانظر: البحر المحيط (٧/ ٢٦٥).

(٥) هذه الضمائر في قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ [سبأ: ٢٢].

(٦) الكلام منقول عن أبي حيان في البحر (٧/ ٢٦٥) وهو في البحر كما يلي: « و﴿حَتَّىٰٓ﴾ تدل على الغاية، وليس في الكلام عائد على أن ﴿حَتَّىٰٓ﴾ غاية له فقال ابن عطية ... إلخ».

(٧) المحرر الوجيز (٤/ ٤١٨)، والكلام من قوله: والضمير عائد ... منقول من البحر المحيط (٧/ ٢٦٥) باختصار.

(٨) الطبري (٢٢/ ٦٤).

قال ابن كثير: «وهو الحق الذي لا مرية فيه، لصحة الأحاديث فيه والآثار»[١].

وقال أبو حيان: «تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ، أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ إنما هي في الملائكة، إذا سمعت الوحي إلى جبريل، يأمر الله به، سمعت كجر سلسلة الحديد على الصفوان، فتفزع عند ذلك تعظيماً وهيبة[٢].

قال: وبهذا المعنى -من ذكر الملائكة في صدر الآيات- تتسق هذه الآية على الأولى، ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها»[٣].

وقال ابن كثير: «هذا مقام رفيع في العظمة، وهو أنه تعالى إذا تكلم بالوحي فسمع أهل السموات كلامه أرعدوا من الهيبة حتى يلحقهم مثل الغشي. قاله ابن مسعود ومسروق وغيرهما»[٤].

وقوله: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾ أي قالوا: قال الله الحق، وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله وصعقوا ثم أفاقوا، أخذوا يتساءلون، فيقولون: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ فيقولون: ﴿قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ﴾.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ﴾ أي العالي، فهو فوق كل شيء، فهو تعالى على العرش الذي هو فوق السموات كما قال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٥][٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٧).

(٢) ذكر الحافظ ابن كثير -رحمه الله- طرفاً من هذه الأحاديث في التفسير (٣/ ٥٣٧).

(٣) البحر المحيط (٧/ ٢٦٥) والكلام قد نقله أبو حيان عن ابن عطية -رحمهما الله-. انظر: المحرر الوجيز (٤/ ٤١٨).

(٤) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٦)، والأثرين عن ابن مسعود ومسروق رواهما ابن جرير (٢٢/ ٦٢).

(٥) طه: ٥.

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٢٦، ٢٢٧.

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ أي زال الفزع عنها؛ قاله ابن عباس وابن عمر وأبو عبدالرحمن السلمي والشعبي والحسن وغيرهم[١].

وقال ابن جرير: «قال بعضهم: الذين فـزع عن قلوبهم: الملائكة. قالوا: وإنما فزع عن قلوبهم من غشية تصيبهم عند سماع كلام الله بالوحي»[٢].

وقال ابن عطية: «في الكلام حذف يدل عليـه الظاهر، كأنه قال: ولا هم شفعاء كما تزعمون أنتم، بل هم عبدة مسلمون لله أبداً؛ يعني منقادون ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾»[٣]. والمراد: الملائكة على ما اختاره ابن جرير وغيره[٤].

قال ابـن كثير: «وهو الحـق الذي لا مريـة فيه، لصحـة الأحاديث فيه والآثار»[٥].

وقال أبو حيان: «تظاهرت الأحاديث عن رسول الله ﷺ أن قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ﴾ إنما هي الملائكة إذا سـمعت الوحـي إلى جبريل يأمره الله به كجر سلسـلة الحديد على الصفوان، فتفزع عنـد ذلك تعظيماً وهيبة.

---

(١) انظر: ص ٤١٥.

(٢) تفسير الطبري (٢٢/ ٦٢) وقد ذكر -رحمه الله- في الآية ثلاثة أقوال، هذا أحدها.
الثاني: الموصوفون بذلك الملائكة، وإنما يفزع عن قلوبهم فزعهم من قضاء الله الذي يقضيه حذراً أن يكون ذلك قيام الساعة.
الثالث: الموصوفون بذلك الكفار، وإنما يفزع الشيطان عن قلوبهم وإنما يقولون: ماذا قال ربكم عند نزول المنية بهم.
وذكر ابن عطية (٤/ ٤١٨) قولاً رابعاً: أنها في جميع العالم.

(٣) المحرر الوجيز (٤/ ٤١٨).

(٤) انظر: اختيار ابن جرير (٢٢/ ٦٤).

(٥) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٣٧).

قال: وبهذا المعنى -من ذكر الملائكة في صدر الآية- تتسق هذه الآية على الأولى ومن لم يشعر أن الملائكة مشار إليهم من أول قوله ﴿ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ لم تتصل له هذه الآية بما قبلها»[١].

قوله: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْۖ﴾ ولم يقولوا ماذا خلق ربنا؟ ولو كان كلام الله مخلوقاً لقالوا: ماذا خلق؟ انتهى من شرح سنن ابن ماجه[٢].

ومثله الحديث: «ماذا قال ربنا يا جبريل؟»[٣]، وأمثال هذا في الكتاب والسنة كثير.

قوله: ﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّۖ﴾ أي قال الله الحق، وذلك لأنهم إذا سمعوا كلام الله صعقوا ثم إذا أفاقوا أخذوا يسألون، فيقولون: ماذا قال ربكم، فيقولون: قال الحق.

قوله: ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ علو القدر وعلو القهر وعلو الذات[٤]، فله

---

(١) البحر المحيط (٧/ ٢٦٥) والكلام -كما سبق- منقول عن المحرر الوجيز (٤/ ٤١٨).

(٢) راجعت جمعاً من الشروح والحواشي لابن ماجه فلم أجده مثل: شرح السيوطي ص ١٨، حاشية السندي (١/ ٨٤)، نور مصباح الزجاجة، علي بن سليمان الدمنتي ص ٢٢، ويوجد شرح لمغلطاي حقق جزءاً منه في قسم السنة بكلية أصول الدين بالرياض د. عبدالعزيز الماجد ـ رحمه الله-، ولكن هذا الشرح لم يتناول أبواب السنة التي فيها هذا الحديث. والله أعلم.

(٣) رواه ابن جرير (٢٢/ ٦٣)، وعزاه ابن كثير (٣/ ٥٣٧) لابن أبي حاتم ورواه ابن خزيمة في التوحيد رقم (٢٠٦)، وابن أبي عاصم رقم (٥١٥)، والآجري في الشريعة (٢٩٤)، وغيرهم، انظر: الدر المنثور (٦/ ٦٩٨).

(٤) ومعنى علو القهر: أنه قاهر لخلقه، ومن أسمائه تعالى القهار.
ومعنى علو الذات: أنه تعالى بذاته المقدسة في جهة العلو، فهو فوق سمواته مستو على عرشه بائن عن خلقه.
والنوع الأول والثاني قد أجمع عليهما المسلمون، أما الثالث فقد خالف فيه بعض المبتدعة، والأدلة من الكتاب والسنة والإجماع والعقل والفطرة متظاهرة على إثباته.
وبعض العلماء يقسم علو الله تعالى إلى قسمين:
=

العلو الكامل من جميع الوجوه، كما قال عبدالله بن المبارك لما قيل له: بم نعرف ربنا؟ قال: «بأنه على عرشه بائن من خلقه»[١] تمسكاً منه بالقرآن لقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾[٢] ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾[٣] في سبعة مواضع من القرآن[٤].

قوله: ﴿ٱلْكَبِيرُ﴾ أي: الذي لا أكبر منه ولا أعظم منه تبارك وتعالى.

وفي الصحيح[٥] عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعاناً[٦] لقوله، كأنه سلسلة على صفوان[٧]؛ ينفذهم ذلك، حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا: ماذا قال ربكم؟ قالوا: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترق السمع -ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض وصفه سفيان[٨] بكفه فحرَّفها وبدد بين أصابعه- فيسمع الكلمة فيلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى

= علو ذات وعلو صفات. انظر: شرح لمعة الاعتقاد لابن عثيمين (٣٨).
وبعضهم يقول: علو معنوي وعلو ذاتي. انظر: شرح العقيدة الواسطية لابن عثيمين (١/ ٣٤٨). والمعنى متقارب في الكل، والله أعلم.

(١) رواه الدارمي في رده على المريسي (١٠٣)، والذهبي في العلو وصححه (١٠٠)، والصابوني في عقيدة السلف (١٨٦)، وصححه ابن القيم في اجتماع الجيوش (٤٤)، والألباني في مختصر العلو (١٥٢).

(٢) طه: ٥.

(٣) الفرقان: ٥٩.

(٤) الموضعان السابقان والأعراف (٥٤)، يونس (٣)، الرعد (٢)، السجدة (٤)، الحديد (٤).

(٥) في الأصل: قوله في الصحيح. وهو من نص كتاب التوحيد، وقد أدخلته في النص لما فيه من زيادة الفائدة ولتعلقه الظاهر بالآية.

(٦) قال الحافظ في الفتح: خَضَعانا، بفتحتين من الخضوع، وفي رواية: بضم أوله وسكون ثانيه، وهو مصدر بمعنى خاضعين. فتح الباري (٨/ ٥٣٨).

(٧) الصفوان: الحجر الأملس، وجمعه: صُفِيّ، وقيل هو جمع واحده صفوانة: انظر: النهاية (٣/ ٤١).

(٨) سفيان بن عيينة رحمه الله.

يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن، فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مئة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء»[(١)][(٢)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

نفى أن يكون لهؤلاء المدعوين ملك في السموات والأرض، ولو قَلَّ كمثقال ذرة، وهذا هو الذي يعبر عنه بالاستقلال.

ونفى أن يكون لهم فيهما شرك ولو قَلَّ كما يفيده قوله: ﴿مِن شِرْكٍ﴾ فإنه يفيد استغراق النفي.

ونفي أن يكون له منهم من ظهير يعاونه ويؤازره.

وإذا بطل الملك والشركة والمعاونة لم يبق سوى الشفاعة[(٣)]، فنفاها بقوله: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ فإن هذا يفيد إبطال الشفاعة التي ظنها المشرك ودعا غير الله لأجلها، وقد دل القرآن على نفيها في مواضع، والشفاعة المثبتة التي دل عليها الاستثناء وجاءت بها الأحاديث النبوية نوع آخر غير ما ظنه المشركون.

وحقيقتها: أن الله تعالى إذا أراد رحمة عبده ونجاته أذن لمن شاء في الشفاعة رحمة للمشفوع فيه وكرامة للشافع.

وقيدت الشفاعة المثبتة بقيود، منها:

إذنه تعالى للشافع، وقيدت الشفاعة المثبتة بقيود منها إذنه تعالى

---

(١) رواه البخاري، كتاب التفسير، باب سورة سبأ (٦/ ٢٨).

(٢) فتح المجيد، ص ١٦٧-١٦٩.

(٣) انظر كلام ابن القيم -رحمه الله- حول هذه الآية في الصواعق المرسلة (٢/ ٤٦١-٤٦٢).

للشافع: ونكتة هذا القيد وسره صرف الوجوه إلى الله، وإسلامها له، وعدم التعلق على غيره لأجل الشفاعة، ولذلك يساق هذا بعد ذكر التوحيد، وما يدل على وجوب عبادة الله وحده، وهذا الموضع لم يفهمه كثير من الناس ظنوا أن الاستثناء[1] يفيد إثبات الشفاعة مطلقاً وطلبها من غير الله فعادوا إلى ما ظنه المشركون وقصدوه، قال تعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[2].

ومنها: أنه لا يشفع أحد إلا فيمن رضي الله قوله وعمله. قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾[3].

وقال تعالى: ﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾[4]، ومن الآيات الخاصة بمن يدعو الملائكة وأمثالهم قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾[5] الآية[6].

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ ۖ أَن تَقُومُوا۟ لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا۟ ۚ مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦].

---

(١) الوارد في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾ [سبأ: ٢٣]. وما شابهها من آيات.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) النجم: ٢٦.

(٤) الأنبياء: ٢٨.

(٥) سبأ: ٤٠.

(٦) تحفة الطالب والجليس، ٩٢-٩٤.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال بعض العلماء[١] في قولــه: ﴿أَن تَقُومُواْ﴾ فيه وجوب القيام لله فيما شرعه وأمر به.

وقوله: ﴿لِلَّهِ﴾ فيــه التنبيه على إخــلاص العبد في قيامــه لربه وطاعته فجمعت هذه الآيــة العمل بالتوحيــد وحقوقه ولوازمه والقيــام بذلك جداً واجتهاداً.

ويشــبه هذه الآية قوله تعالــى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ إلى قولــه: ﴿وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾[٢]، فجمع تعالى الدين كله في هاتين الكلمتين:

﴿نُّجِبْ دَعْوَتَكَ﴾ : فيه التوحيد؛ لأنه الذي دعا إليه ودعت إليه رسله.

وفي قوله: ﴿وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ﴾ العمل بكتابه واتباع رســوله ﷺ، لأن من اتبع كتابه ورسوله فقد اتبع الرسل جميعهم، فمن عمل بهاتين الكلمتين فيما كان طاعة لله ولرسوله فقد فاز ونجا وحصل ما تمناه المفرطون يوم القيامة.

فالله الله في الاهتمام بهذا الشأن والقيام به حسب الإمكان ﴿وَمَا تَوْفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[٣][٤].

---

(١) لم أقف على القائل.

(٢) إبراهيم: ٤٢-٤٤.

(٣) هود: ٨٨.

(٤) الدرر السنية (١١/ ٢٩).

قال تعالى: ﴿ يُولِجُ ٱلَّيۡلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيۡلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ كُلّٞ يَجۡرِي لِأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمۡ لَهُ ٱلۡمُلۡكُۚ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدۡعُوهُمۡ لَا يَسۡمَعُواْ دُعَآءَكُمۡ وَلَوۡ سَمِعُواْ مَا ٱسۡتَجَابُواْ لَكُمۡۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثۡلُ خَبِيرٖ ﴿١٤﴾ ﴾ [فاطر: ١٣-١٤].

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

دلت الآية الكريمة على أن أعظم شركهم إنما هو دعاء غير الله، فإنه أخبر أنهم لا يملكون من قطمير، وهو القشر الذي يكون على ظهر النواة(١) أي ليس لهم من الأمر شيء وإن قل.

ثم أخبر أنهم لا يسمعون دعاءهم وأنهم لو سمعوا ما استجابوا لهم، وهذا صريح في دعاء المسألة.

ثم أخبر أن هذا شرك يكفرون به يوم القيامة فقال: ﴿ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكۡفُرُونَ بِشِرۡكِكُمۡۚ ﴾ كقوله: ﴿ كَلَّاۚ سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴾(٢)، وكقوله: ﴿ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ﴾(٣)(٤).

وقال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ ﴾ الآية

---

(١) رواه ابن جرير عن ابن عباس -رضي الله عنهما- من طرق، ورواه عن مجاهد وقتادة وعطية. انظر: الطبري (٢٢/ ٨٢-٨٣).

(٢) مريم: ٨٢.

(٣) الأحقاف: ٦.

(٤) الدرر السنية (٩/ ٧).

حاصل كلام المفسرين كابن كثير وغيره: أنه تعالى يخبر عن حال المدعوين من دونه من الملائكة والأنبياء والأصنام وغيرها بما يدل على عجزهم وضعفهم، وأنهم قد انتفت عنهم الشروط التي لا بد أن تكون في المدعو وهي:

الملك، وسماع الدعاء، والقدرة على استجابته، فمتى عدم شرط بطل أن يكون مدعواً، فكيف إذا عدمت كلها، فنفى عنهم الملك بقوله: ﴿مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾.

قال ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وعكرمة[٣]، وعطاء [٤]، والحسن[٥]، وقتادة[٦]: القطمير: اللفافة التي تكون على نواة التمر، أي ولا يملكون من السموات والأرض شيئاً، ولا بمقدار هذا القطمير[٧]، كما قال: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾[٨]، وقال: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾[٩]، الآية، فمن كان هذا حاله فكيف يدعى من دون الله.

ونفى عنهم سماع الدعاء بقوله: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ﴾ يعني أن الآلهة التي تدعونها لا يسمعون دعاءكم؛ لأنهم أموات أو ملائكة مشغولون بأحوالهم مسخرون لما خلقوا له أو جماد.

---

(١) رواه ابن جرير (٢٢/ ٨٢-٨٣) من طرق، ورواه غيره أيضاً. انظر: الدر المنثور (٧/ ١٤).

(٢) رواه ابن جرير (٢٢/ ٨٣)، وعزاه السيوطي في الدر (٧/ ١٥) لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم.

(٣) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥١).

(٤) رواه عبد بن حميد. انظر: الدر المنثور (٧/ ١٥).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥١).

(٦) رواه ابن جرير (٢٢/ ٨٣).

(٧) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥١).

(٨) النحل: ٧٣.

(٩) سبأ: ٢٢.

فلعل المشرك يقول: هذا في الأصنام، أما الملائكة والأنبياء والصالحون فيسمعون ويستجيبون، فنفى سبحانه ذلك بقوله: ﴿وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ﴾ أي: لا يقدرون على ما تطلبون منهم، وما خص تعالى الأصنام، بل عم جميع من يدعى من دونه.

ومن المعلوم أنهم كانوا يعبدون الملائكة والأنبياء والصالحين، كما ذكر الله تعالى ذلك في كتابه[1]، فلم يرخص في دعاء أحد منهم لا استقلالاً ولا وساطة بالشفاعة.

وقوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾ كقوله: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُواْ لَهُمْ عِزًّا ﴿٨١﴾ كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[2]، وهذا نص صريح على أن من دعا غير الله فقد أشرك بشرطه[3].

وأن المدعوين يكفرون به يوم القيامة.

ويتبرؤون منهم كقوله تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُواْ وَرَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ ٱلْأَسْبَابُ﴾[4]، فهل على كلام رب العزة استدراك؟ ولهذا قال: ﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾ أي: «ولا يخبرك بعواقب الأمور ومآلها وما تصير إليه مثل خبير بها.

---

(١) انظر ما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا﴾ [طه: ١٠٩].

(٢) مريم: ٨١-٨٢.

(٣) المقصود بالشرط هنا هو: أن يكون الدعاء لغائب أو ميت، أو لحاضر ولكن فيما لا يقدر عليه إلا الله تعالى. والله أعلم. أفادني بذلك فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن ناصر البراك حفظه الله.

(٤) البقرة: ١٦٦.

قال قتادة: يعني نفسه تبارك وتعالى، فإنه أخبر بالواقع لا محال»[(١)] [(٢)].

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

الآيات التي يعبر فيها بالموصول وصلته كقوله: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمۡلِكُونَ مِن قِطۡمِيرٍ﴾ ونحوها من الآيات كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَدۡعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ﴾[(٣)]، و﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِهِۦ﴾[(٤)].

فهذه الموصولات[(٥)] في كلام الله وفي كلام رسوله واقعة على كل مدعو ومعبود نبياً أو ملكاً أو صالحاً إنسياً أو جنياً حجراً أو شجراً، متناولة لذلك بأصل الوضع. فإن الصلة كاشفة ومبينة للمراد وهي واقعة على كل مدعو من غير تخصيص. وهي أبلغ وأدل وأشمل من الأعلام الشخصية والجنسية، وهذا هو الوجه في إيثارها على الأعلام، وشرط الصلة أن تكون معهودة عند المخاطب تقول: جاء الذي قام أبوه، لمن يعهد قيام الأب ويجهل النسبة بينه وبين من جاء.

والمعهود عند كل من يعقل من أصناف بني آدم أن الأنبياء والملائكة والصالحين قد عبدوا مع الله وقصدهم المشركون بالدعاء في حاجاتهم وملماتهم كما جرى لليهود والنصارى في عبادة الأنبياء والأحبار والرهبان،

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٥١).
والأثر عن قتادة روى معناه ابن جرير (٢٢/ ٨٣). ويُنْظَر في تفسير الآية أيضاً: البغوي (٦/ ٤١٧)، ابن عطية (٤/ ٤٣٤)، أبو حيان (٧/ ٢٩٢).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٢١٤-٢١٦.

(٣) يونس: ١٠٦.

(٤) الإسراء: ٥٦.

(٥) في الأصل: الموصلات. ولعل الصواب المثبت أعلاه.

وكما جرى لقوم نوح في ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكما جرى للعرب في عبادة الملائكة واللات وهو رجل صالح كان يلت السويق للحاج[١].

وهذا أوضح من أن يحتاج لتقرير، وأظهر من أن يتوقف على كشف وتفسير، فإن العربي سليم الذوق والفطرة يعرف بعربيته وفطرته، وجميع المفسرين يقررون هذا بضروب من العبارات والتقريرات ويفهمها الذكي، ومن خص الأصنام في بعض المواضع، فهو لا يمنع أنها عبدت باعتبار من هي على صورته.

وقد ذكر هذا ابن كثير في تفسيره[٢]، وذكره غيره من أهل العلم[٣].

---

(١) انظر ما يأتي في تفسير سورة النجم في قوله: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾﴾ ... الآيات.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥).

(٣) تحفة الطالب والجليس، ص ٨٩، ٩٠.

سورة يس

قال تعالى: ﴿ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ أَئِن ذُكِّرۡتُمۚ بَلۡ أَنتُمۡ قَوۡمٞ مُّسۡرِفُونَ ﴾ [يس: ١٩].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

المعنى -والله أعلم- «أي حظكم وما نالكم من خير وشر معكم بسبب أفعالكم وكفركم ومخالفتكم الناصحين، ليس هو من أجلنا ولا بسببنا بل ببغيكم وعداوتكم، فطائر الباغي الظالم معه وهو عند الله كما قال تعالى: **﴿ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةٞ يَقُولُواْ هَٰذِهِۦ مِنۡ عِندِكَۚ قُلۡ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ ٱللَّهِۖ فَمَالِ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلۡقَوۡمِ لَا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ حَدِيثٗا ﴾**[١]، ولو فقهوا أو فهموا لما تطيروا بما جئت به؛ لأنه ليس فيما جاء به الرسول ﷺ ما يقتضي الطيرة؛ لأنه خير محض لا شر فيه، وصلاح لا فساد فيه، وحكمة لا عيب فيها، ورحمة لا جور فيها، فلو كان هؤلاء القوم من أهل الفهم والعقول السليمة لم يتطيروا من هذا؛ لأن الطيرة إنما تكون بالشر لا بالخير المحض والحكمة والرحمة، بل طائرهم معهم بسبب كفرهم وشركهم وبغيهم وهو عند الله كسائر حظوظهم وأنصبائهم التي ينالونها منه بأعمالهم.

ويحتمل أن يكون المعنى ﴿ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمۡۚ ﴾ أي: راجع عليكم، فالتطير الذي حصل لكم إنما يعود عليكم، وهذا من باب القصاص في الكلام ونظيره قوله عليه السلام: «إذا سلم عليكم أهل الكتاب فقولوا وعليكم»[٢]»[٣] ذكره ابن القيم.

---

(١) النساء: ٧٨.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاستئذان، باب: كيف يرد على أهل الذمة السلام (٧/ ١٣٤)، ومسلم، كتاب: السلام، باب: النهي عن ابتداء أهل الكتاب بالسلام وكيف يرد عليهم (١٤/ ٣٢٠).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/ ٢٣٢-٢٣٣).

وقوله: ﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾ أي من أجل أن ذكرناكم وأمرناكم بتوحيد الله، وإخلاص العبادة له قابلتمونا بهذا الكلام، وتوعدتمونا ﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

وقال قتادة: «أئن ذكرناكم بالله تطيرتم بنا»[1][2].

---

(١) رواه ابن جرير (٢٢/ ١٠٢)، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد وابن المنذر وابن أبي حاتم. انظر: الدر المنثور (٧/ ٥٠)، ورواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ١٤١) دون أوله.

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٧٠، ٣٧١.

سورة الزمر

قال تعالى: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ۝٣﴾ [الزمر: ١-٣].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ يعني استقم على التوحيد وعلى إفراده بالعبادة ممحضاً له جميع أنواعها من الشرك والرياء، فإن الله أغنى الشركاء عن الشرك[1].

وإنما خاطب النبي ﷺ بذلك، والمراد قومه، أي وحدوا الله تعالى، ولا تدعوا مع الله شريكاً في عبادته لا ملكاً ولا رسولاً، فإنهم ليسوا أهلاً لذلك.

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ﴾ يعني أنه هو الذي وجب اختصاصه بأن تخلص له الطاعة، فإنه المنفرد بصفات الألوهية والاطلاع على الأسرار والضمائر الخفية[2][3].

وقال رحمه الله أيضاً:

قال أكثر المفسرين: كانت الكفار إذا سئلوا من خلق السموات والأرض يقولون: ﴿ٱللَّهُ﴾ كما حكاه الله تعالى عنهم، فإذا سئلوا عن عبادة الأصنام

(١) روى الإمام مسلم عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «قال الله تبارك وتعالى: «أنا أغنى الشركاء عن الشرك، من عمل عملاً أشرك فيه معي غيري تركته وشركه». رواه الإمام مسلم، كتاب: الزهد، باب: تحريم الرياء (١٨/ ٤١٠).

(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٣١٩).

(٣) العقد الثمين (١٠٤).

قالوا: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي لأجل طلب شفاعتهم عند الله تعالى، وهذا كفر منهم[١].

قال الحافظ ابن كثير: «قال قتادة[٢] والسدي[٣] ومالك عن زيد بن أسلم: ﴿إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ أي ليشفعوا ويقربونا عنده.

ولهذا كانوا يقولون في تلبيتهم إذا حجوا في جاهليتهم: «لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك».

وذلك أنهم عمدوا إلى أصنام اتخذوها على صورة الملائكة المقربين في زعمهم، فعبدوا تلك الصور تنزيلاً لذلك منزلة عبادتهم الملائكة؛ ليشفعوا لهم عند الله في نصرهم ورزقهم وما ينوبهم من أمور الدنيا، فأما المعاد فكانوا جاحدين له كافرين به»[٤] انتهى.

فإذا قيل: إن الكفار إنما كانوا يعتقدون القربة ويرجونها ويطلبون الشفاعة ويسألونها من أصنام ينحتونها، ونحن إنما نتقرب إليه بأكرم الخلق عليه. فالجواب أن يقال: ما ذكرتم ممنوع، وبنص القرآن معارض مدفوع. فعقيدتهم المذكورة وطلبتهم المشهورة ليست على أصنامهم مقصورة، ولا في أوثانهم محصورة، بل عموا الملائكة والرسل والأنبياء والصالحين، والأصنام والجن والشياطين.

---

(١) انظر على سبيل المثال: الطبري (٢٣/ ١٢٢)، المحرر الوجيز (٤/ ٥١٨)، معالم التنزيل (٧/ ١٠٧-١٠٨)، البحر المحيط (٧/ ٣٩٨)، الدر المنثور (٧/ ٢١٠).

(٢) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ١٧١)، وابن جرير (٢٣/ ١٢٢)، وعزاه السيوطي أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر (٧/ ٢١٠).

(٣) رواه ابن جرير (٢٣/ ١٢٣) بلفظ: قال: هي منزلة.

(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٤٥) ومن قوله: وذلك أنهم عمدوا... ساقه الحافظ ابن كثير قبل قول قتادة والسدي ومالك عن زيد.

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[1] الآية، وقال تعالى: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ﴾[2] الآية.

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ﴿٥٦﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ ﴿٥٧﴾﴾[3].

وقال جل جلاله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ﴾[4].

فقد ظهر من صريح هذه الآيات ما ذكرناه من التعميم والمساواة، مع أنا لو فرضنا الأمر وقدرناه على خلاف الواقع، وقلنا: إنما طلبوا ذلك من الأصنام، فهل يكون هذا دافعاً للنص القاطع، والبرهان الساطع؟ فقد ساوى بين الملائكة والبشر والجن والأشجار والأصنام، وبين عباد الملائكة والرسل الكرام، وسائر الصالحين من الأنام، بل قاتلهم ﷺ واستباح الدماء والأموال، وأذاقهم الله تعالى أعظم الوبال.

ولم يزل على تلك الحال، حتى أنقذ الله تعالى من أنقذه منهم من الضلال، ومن سبقت له السعادة في المآل. قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَا بُرْهَٰنَ لَهُۥ بِهِۦ فَإِنَّمَا حِسَابُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾[5][6].

---

(١) المائدة: ١١٦.

(٢) التوبة: ٣١.

(٣) الإسراء: ٥٦-٥٧.

(٤) الأعراف: ١٩٤.

(٥) المؤمنون: ١١٧.

(٦) العقد الثمين، ص ٢٠١- ٢٠٣.

قال تعالــى: ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝١١ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۝١٢ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝١٣ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ۝١٤ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ۝١٥﴾ [الزمر: ١١-١٥].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

سبب ذلك أن كفار قريش قالوا للنبي ﷺ: ألا تنظر إلى ملة أبيك عبدالله[(١)]، وملة جدك عبدالمطلب[(٢)]، وسادة قومك يعبدون الأصنام، فنزل ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾[(٣)]، يعني أوحده وأكفر بمن سواه.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ «يعني أمرت بذلك لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة، لأن قصب السبق في الدين إنما هي بالإخلاص.

أو لأنه أول من أسلم وجهه لله من قريش ومن دان بدينهم»[(٤)].

---

(١) عبدالله بن عبدالمطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي، والد رسول الله ﷺ، ولد بمكة وهو أصغر أبناء عبدالمطلب، وكان أبوه قد نذر لئن ولد له عشرة أولاد وشبوا في حياته لينحرن أحدهم عند الكعبة، فلما شبوا ضرب بالقداح لينحر أحدهم فخرجت على عبدالله وكان أحبهم إليه ففداه بمئة من الإبل فكان يعرف بالذبيح، تزوج آمنة فحملت بالنبي ﷺ، توفي بالمدينة وقيل: بالأبواء، وعمر النبي ﷺ ثمانية عشر شهراً وقيل: وهو حمل.
انظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٨٨-١٩٥)، تاريخ الطبري (٢/ ٢٣٩-٢٤٦).

(٢) عبدالمطلب بن هاشم، أبو الحارث، زعيم قريش في الجاهلية وأحد سادات العرب، نشأ في المدينة عند أخواله، ثم قدم مع عمه المطلب فدخل مكة فرآه أهل مكة فظنوه عبداً للمطلب فقالوا: عبدالمطلب فسمي عبدالمطلب، واسمه شيبة، وهو الذي حفر بئر زمزم، وكانت له السقاية والرفادة، وكان فصيح اللسان ذا حلم وأناة، نشأ النبي ﷺ في حجره وتوفي وللنبي ﷺ تسع سنين وقيل غير ذلك.
انظر:تاريخ الطبري (٢/ ٢٤٦-٢٥١)، السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١٧٤-٢٠٥).

(٣) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير عن مقاتل (٧/ ١٦٨-١٦٩).

(٤) تفسير البيضاوي (٢/ ٣٢١)، وذكر ابن جرير الثاني فقط (٢٣/ ١٣٠).

أقول: وكلا الأمرين مجتمع فيه؛ لأنه في الدارين هو المقدم، وأول من آمن من قومه وأسلم.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى﴾ بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك والرياء. ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لعظمة ما يقع فيه من الأهوال والأنكال ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى﴾ أمره[1] الله تعالى أن يخبر عن إخلاصه، وأن يكون مخلصاً له دينه بعد ما أمره بالإخبار عن كونه مأموراً بالعبادة والإخلاص.

وذلك لأجل الخوف من العقاب على المخالفة، وفيه قطع لأطماع قومه[2].

وقوله: ﴿فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ هذا وإن كان ظاهره التخيير، فالمراد به التهديد، ويستفاد منه شدة التهديد كقوله: ﴿ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ﴾[3]، وقوله: ﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾[4][5].

قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

(١) في الأصل: أقره. والمثبت هو الصواب، الموافق للسياق وهو في البيضاوي كذلك (٢/ ٣٢٢).
(٢) انظر: تفسير البيضاوي (٢/ ٣٢٢).
(٣) فصلت: ٤٠.
(٤) الزمر: ٨.
(٥) العقد الثمين، ص ١٠٥.

قال الشيخ سليمان بن عبدالله ﵀:

قال ابن كثير في تفسيرها: «أي: لا تستطيع شيئاً من الأمر.

﴿قُلْ حَسْبِيَ ٱللَّهُ﴾ أي الله كافي من توكل عليه.

و﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ كما قال هود ﵇ حين قال له قومه: ﴿إِن نَّقُولُ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ۗ قَالَ إِنِّىٓ أُشْهِدُ ٱللَّهَ وَٱشْهَدُوٓا۟ أَنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِن دُونِهِۦ ۖ فَكِيدُونِى جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ ﴿٥٥﴾ إِنِّى تَوَكَّلْتُ عَلَى ٱللَّهِ رَبِّى وَرَبِّكُم ۚ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ﴾[1] الآية»[2].

قلت: حاصله أن الله تعالى أمر نبيه ﷺ أن يقول للمشركين: أرأيتم، أي: أخبروني عما تدعون من دون الله، أي تعبدونهم وتسألونهم من الأنداد والأصنام والآلهة المسميات بأسماء الإناث الدالة أسماؤهن على بطلانهن وعجزهن؛ لأن الأنوثة من باب اللين والرخاوة، كاللات والعزى.

﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ﴾ أي بمرض أو فقر أو بلاء أو شدة.

﴿هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ﴾ أي: لا يقدرون على ذلك أصلاً.

﴿أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ﴾ أي: صحة، وعافية، وخير، وكشف بلاء.

﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ﴾ قال مقاتل: «فسألهم النبي ﷺ فسكتوا»[3]، أي: لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها، وإنما كانوا يدعونها على معنى أنها وسائط وشفعاء عند الله لا لأنهم يكشفون الضر، ويجيبون

---

(١) هود: ٥٤-٥٦.

(٢) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤) باختصار.

(٣) ذكره البغوي (٧/ ١٢١)، والقرطبي (١٥/ ٢٥٩)، وأبو حيان (٧/ ٤١٣) وغيرهم.

دعاء المضطر، فهم يعلمون أن ذلك لله وحده، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ ٱلضُّرُّ فَإِلَيۡهِ تَجۡـَٔرُونَ ۝٥٣ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ ٱلضُّرَّ عَنكُمۡ إِذَا فَرِيقٞ مِّنكُم بِرَبِّهِمۡ يُشۡرِكُونَ ۝٥٤﴾[1]، وقد دخل في ذلك كل من دعي من دون الله من الملائكة والأنبياء والصالحين، فضلاً عن غيرهم، فلا يقدر أحد على كشف ضر ولا إمساك رحمة كما قال تعالى: ﴿مَّا يَفۡتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحۡمَةٖ فَلَا مُمۡسِكَ لَهَاۖ وَمَا يُمۡسِكۡ فَلَا مُرۡسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[2]، وإذا كان كذلك بطلت عبادتهم من دون الله، وإذا بطلت عبادتهم فبطلان دعوة الآلهة والأصنام أبطل وأبطل، ولبس الحلقة والخيط لرفع البلاء أو دفعه كذلك فهذا وجه استدلال المصنف[3] بالآية وإن كانت الترجمة في الشرك الأصغر، فإن السلف يستدلون بما نزل في الأكبر على الأصغر[4]، كما استدل حذيفة وابن عباس[5] وغيرهما[6].

---

(١) النحل: ٥٣-٥٤.

(٢) فاطر: ٢.

(٣) الشيخ: محمد بن عبدالوهاب رحمه الله مصنف كتاب التوحيد.

(٤) الترجمة: باب من الشرك لبس الحلقة والخيط ونحوهما لرفع البلاء أو دفعه.
ولبس الحلقة والخيط ونحوها لرفع البلاء أو دفعه شرك أصغر فيما إذا اعتقد أنها مجرد سبب؛ لأنه جعل ما ليس سبباً عقلاً ولا شرعاً سبباً لرفع البلاء أو دفعه. أما إذا اعتقد أنها تؤثر بذاتها فهذا شرك أكبر يخرج صاحبه من الملة والعياذ بالله.

(٥) أخرج ابن أبي حاتم عن حذيفة رضي الله عنه: أنه رأى رجلًا في يده خيط من الحمى فقطعه وتلا قوله: ﴿وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ﴾ [يوسف: ١٠٦]. انظر: ابن كثير (٢/ ٤٩٤).
وعن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير قوله تعالى: ﴿فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢] قال: «الأنداد: هو الشرك، أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن تقول: والله، وحياتك يا فلانة، وحياتي، وتقول: لولا كُلَيْبَة هذا لأتانا اللصوص، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص. وقول الرجل لصاحبه: ما شاء الله وشئت، وقول الرجل: لولا الله وفلان. لا تجعل فيها فلان، هذا كله به شرك» رواه ابن أبي حاتم وسنده جيد -كما قال الشيخ سليمان بن عبدالله ص ٥٢٣- انظر: ابن كثير (١/ ٥٧)، النهج السديد (٢٢٢).

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ١٢٤، ١٢٥.

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

قال مقاتل: فسألهم النبي ﷺ فسكتوا»[1] لأنهم لا يعتقدون ذلك فيها.

قلت: كانت آلهتهم التي يدعون من دون الله لا قدرة لها على كشف ضر أراده الله بعبده، أو إمساك رحمة أنزلها على عبده فيلزمهم بذلك أن يكون الله تعالى هو معبودهم وحده لزوماً لا محيد لهم عنه. وذكر تعالى مثل هذا السؤال عن خليله إبراهيم لمن حاجه في الله فقال: ﴿أَنَا۠ أُحۡيِۦ وَأُمِيتُۖ قَالَ إِبۡرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأۡتِي بِٱلشَّمۡسِ مِنَ ٱلۡمَشۡرِقِ فَأۡتِ بِهَا مِنَ ٱلۡمَغۡرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[2]، فأقام تعالى الحجة على المشركين بما يبطل شركهم بالله وتسويتهم غيره به في العبادة بضرب الأمثال وغير ذلك، وهذا في القرآن كثير كقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٞ فَٱسۡتَمِعُواْ لَهُۥٓۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخۡلُقُواْ ذُبَابٗا وَلَوِ ٱجۡتَمَعُواْ لَهُۥۖ وَإِن يَسۡلُبۡهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيۡـٔٗا لَّا يَسۡتَنقِذُوهُ مِنۡهُۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلۡمَطۡلُوبُ﴾[3]، وقال تعالى: ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ مَا يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيۡءٖۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٤٢ وَتِلۡكَ ٱلۡأَمۡثَٰلُ نَضۡرِبُهَا لِلنَّاسِۖ وَمَا يَعۡقِلُهَآ إِلَّا ٱلۡعَٰلِمُونَ ٤٣﴾[4]، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَخۡلُقُونَ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ٢٠ أَمۡوَٰتٌ غَيۡرُ أَحۡيَآءٖۖ وَمَا يَشۡعُرُونَ أَيَّانَ يُبۡعَثُونَ ٢١﴾[5]، ذكر العماد بن

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) البقرة: ٢٥٨.

(٣) الحج: ٧٣.

(٤) العنكبوت: ٤١-٤٣.

(٥) النحل: ٢٠-٢١.

كثير رحمه الله تعالى في هذه الآية[١] ما رواه ابن أبي حاتم عن قيس بن الحجاج[٢] عن حنش الصنعاني[٣] عن ابن عباس مرفوعاً: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك، تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة، إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله، واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يكتبه الله عليك لم يضروك، ولو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لم يكتبه الله لك لم ينفعوك، جفت الصحف ورفعت الأقلام. واعمل لله بالشكر في اليقين، واعلم أن في الصبر على ما تكره خيراً كثيراً وأن النصر مع الصبر، وأن الفرج مع الكرب، وأن مع العسر يسراً»[٤][٥].

قال تعالى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [الزمر: ٤٣-٤٤].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قوله: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ﴾ أي: بل اتخذوا، أي: المشركون، والهمزة للإنكار[٦].

---

(١) أي قوله تعالى: ﴿قُلۡ أَفَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾... الآية. تفسير القرآن العظيم (٤/ ٥٤).

(٢) قيس بن الحجاج الكلاعي السُلَفي، روى عن حنش الصنعاني وأبي عبدالرحمن الحبلي، وعنه الليث وابن لهيعة، قال أبو حاتم: صالح. مات عام ١٢٩هـ.
انظر: الكاشف (٢/ ٣٤٧)، تهذيب التهذيب (٨/ ٣٨٩).

(٣) حنش بن عبدالله بن عمرو الصنعاني، أبو رشدين، روى عن علي وابن عباس وغيرهما، وعنه قيس بن الحجاج وبكر بن سوادة. قال الحافظ: ثقة، توفي عام ١٠٠هـ.
انظر: الكاشف (١/ ١٩٥)، تقريب التهذيب ص ١٨٣، رقم (١٥٧٦).

(٤) سبق تخريج الحديث.

(٥) قرة عيون الموحدين (٦٣-٦٤).

(٦) انظر: الكشاف (٣/ ٣٤٩).

﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ﴾ أي: تشفع[١] لهم عند الله بزعمهم كما قال: ﴿وَيَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡ وَيَقُولُونَ هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِ﴾[٢] الآية، وقال: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوۡلِيَآءَ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ بَيۡنَهُمۡ فِي مَا هُمۡ فِيهِ يَخۡتَلِفُونَۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهۡدِي مَنۡ هُوَ كَٰذِبٞ كَفَّارٞ﴾[٣]، فكذبهم وكفرهم بذلك، وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرۡبَانًا ءَالِهَةَۢۖ بَلۡ ضَلُّواْ عَنۡهُمۡۚ وَذَٰلِكَ إِفۡكُهُمۡ وَمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾[٤]، فهذا هو مقصود المشركين ممن عبدوهم وهو الشفاعة لهم عند الله.

وقوله: ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ أي: من دون إذنه وأمره، والحال أنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، وأن يكون المشفوع له مرتضى، وههنا الشرطان مفقودان، فإن الله سبحانه لم يجعل اتخاذ الشفعاء ودعاءهم من دونه سبباً لإذنه ورضاه، بل ذلك سبب لمنعه وغضبه.

وقوله: ﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أي: أيشفعون ولو كانوا على هذه الصفة كما تشاهدونهم جمادات لا تقدر ولا تعلم، أو أموات كذلك، حتى ولا يملكون الشفاعة كما قال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾ أي: هو مالكها كلها فليس لمن تدعونهم منها شيء.

قال البيضاوي: «لعله ردٌ لما عسى يجيبون به، وهو أن الشفعاء أشخاص مقربون، هي تماثيلهم.

---

(١) في الأصل: أتشفع. ولعل الصواب المثبت أعلاه.

(٢) يونس: ١٨.

(٣) الزمر: ٣.

(٤) الأحقاف: ٢٨.

والمعنى: أنه مالك الشفاعة كلها لا يستطيع أحد شفاعة إلا بإذنه[١]، ولا يستقل بها، وقوله: ﴿لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ تقرير لبطلان اتخاذ الشفعاء من دونه بأنه مالك الملك كله، لا يملك أحد أن يتكلم في أمره دون إذنه ورضاه»[٢]، فاندرج في ذلك ملك الشفاعة، فإذا كان هو مالكها بطل اتخاذ الشفعاء من دونه كائناً من كان.

وقوله: ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ أي: فتعلمون أنهم لا يشفعون، ويخيب سعيكم في عبادتهم، بل يكونون عليكم ضداً، ويتبرؤون من عبادتكم، كما قال تعالى: ﴿كَلَّا ۚ سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا ﴿٨٢﴾﴾[٣]، وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ ۚ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ ۖ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿٢٩﴾﴾[٤][٥].

قال تعالى: ﴿بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٦].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

هذه الآية تشبه: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾[٦].

والمعنى بل الله فاعبد لا غيره؛ فإن تقديم المعمول يفيد الحصر[٧] وهذا

(١) في نسخة البيضاوي (٢/ ٣٢٧): بإذنه ورضاه.
(٢) تفسير البيضاوي (٢/ ٣٢٧) بتصرف يسير.
(٣) مريم: ٨٢.
(٤) يونس: ٢٨-٢٩.
(٥) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٣٩-٢٤٠.
(٦) الفاتحة: ٤.
(٧) انظر ما سبق في تفسير قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾.

هو الإخلاص وهو معنى شهادة أن لا إله إلا الله، فمن لم يفهم دين الإسلام الذي رضيه اللـه تعالى لعباده من هذه الآيات المحكمـات فأبعده الله، فإن الخصومة بين الرسـل والأمم إنما كانت في إخلاص العبادة كما قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ﴾[1].

وهذا هو الدين الذي دعا إليه شـيخنا ﵀[2] آخر الأعصار لما اندرست أعلامه وانمحت آثاره واتخذ الناس الشرك في العبادة ديناً، وأنزلوا حوائجهم بمن لا يملك لنفسـه ضراً ولا نفعاً، فكيف يملك لهم من الضر والنفع ما لا يملك لنفسه قال تعالى: ﴿قُلۡ أَتَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا نَفۡعٗاۚ وَٱللَّهُ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾[3]، والقـرآن من أولـه إلى آخره في بيان توحيد العبادة وهو أظهر شيء في القرآن وأبينه[4].

---

(١) الأحقاف: ٢١.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب -﵀- وانظر في بيان ذلك مثلًا: الدرر السنية (١/ ٩٥).
وانظر: رسالة الشيخ عبدالله بن محمد -﵀- حين دخل مكة. الدرر السنية (١/ ٢٢٢).

(٣) المائدة: ٧٦.

(٤) مجموعة الرسائل والمسائل (٢/ ٧٦)، القسم الثاني.

سورة غافر

قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

الدعاء في القرآن يتناول معنيين:

أحدهما: دعاء العبادة وهو دعاء الله لامتثال أمره في قوله: ﴿ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ الثاني: دعاء المسألة وهو دعاؤه سبحانه في جلب المنفعة ودفع المضرة وبقطع النظر عن الامتثال فقد فسر قوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ بالوجهين:

أحدهما: ما هو عام في الدعاء وغيره وهو العبادة وامتثال الأمر له سبحانه فيكون معنى قوله: ﴿أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ أثبكم كما قال في الآية الأخرى: ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾[١]، أي: يثيبهم على أحد التفسيرين[٢].

الثاني: ما هو خاص، معناه: سلوني أعطكم كما في الصحيحين

(١) الشورى: ٢٦.

(٢) انظر: معالم التنزيل (٧/ ١٩٤)، وذكر القول الأول فقال: أي ويجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات إذا دعوه. وذكر ابن الجوزي الأقوال في الآية فقال: «ويستجيب» بمعنى يجيب وفيه قولان:
أحدهما: أن الفعل فيه لله، والمعنى يجيبهم إذا سألوه وقد روى قتادة عن إبراهيم النخعي ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ قال: يشفعون في إخوانهم، ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ قال: يشفعون في إخوان إخوانهم.
الثاني: أنه للمؤمنين، فالمعنى: يجيبونه. والأول أصح. ا.هـ. زاد المسير (٧/ ٢٨٦-٢٨٧) وقد وقع في الزاد عن إبراهيم اللخمي وهو خطأ وكذا هو في الدر المنثور (٧/ ٣٥١)، والصواب المثبت أعلاه كما هو في ابن جرير الذي رواه (٢٥/ ١٩)، وابن كثير (٤/ ١١٥).

عن النبي ﷺ أنه قال: «ينزل ربنا كل ليلة إلى السماء الدنيا حين يبقى ثلث الليل الآخر فيقول: من يدعوني فأستجيب له من يسألني فأعطيه سؤاله من يستغفرني فاغفر له»[١]، فذكر أولاً لفظ الدعاء ثم السؤال ثم الاستغفار والمستغفر سائل كما أن السائل داع فعطف السؤال والاستغفار على الدعاء فهو من باب عطف الخاص على العام. وهذا المعنى الثاني أعني الخاص هو الأظهر لوجهين:

أحدهما: ما في حديث النعمان بن بشير أن رسول الله ﷺ قال: «إن الدعاء هو العبادة» ثم قرأ الآية: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[٢]، فاستدلاله عليه الصلاة والسلام بالآية على الدعاء دليل على أن المراد منها سلوني.

وخطاب الله عباده المكلفين بصيغة الأمر منصرف إلى الوجوب ما لم يقم دليل يصرفه إلى الاستحباب فيفيد قصر فعله على الله فلا يجعل لغيره؛ لأنه عبادة، ولهذا أمر الله الخلق بسؤاله فقال: ﴿وَسْـَٔلُوا۟ ٱللَّهَ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾[٣]، وفي الترمذي عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «سلوا الله من فضله فإن الله يحب أن يسأل»[٤]، وله عن أبي هريرة مرفوعاً: «من لم يسأل الله يغضب

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) سبق تخريجه، في تفسير سورة لقمان.

(٣) النساء: ٣٢.

(٤) رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: في انتظار الفرج وغير ذلك (٩/ ٢١٤) وقال: حماد بن واقد ليس بالحافظ. ا.هـ. وتمامه: «وأفضل العبادة انتظار الفرج» ورواه الطبراني في الكبير رقم (١٠٠٨٨)، وقال العراقي في تخريج أحاديث الإحياء (١/ ٢٦٨)، بعد أن نقل كلام الترمذي قلت: وضعفه ابن معين وغيره. ا.هـ. وقال الحافظ في التقريب (١٧٩) رقم (١٥٠٨): ضعيف.

عليه»[١]، وله أيضاً: «إن اللــه يحب الملحين في الدعــاء»[٢]، فتبين بهذا أن الدعاء من أفضل العبادات وأجل الطاعات.

الوجه الثاني: أنه سبحانه قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[٣]، والسائل راغب راهب، وكل راغب فهو عابد للمســؤول، وكل عابد فهو أيضاً راغب راهب يرجو رحمته ويخاف عذابه، فكل عابد ســائل وكل ســائل لله فهو عابد قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا﴾[٤]، لا يتصور أن يخلو داع لله دعاء عبادة أو دعاء مسألة من الرغب والرهب والخوف والطمع له، فدعاء العبادة ودعاء المسألة كلاهما عبادة لله لا يجوز صرفها إلى غيره. فلا يجوز أن يطلب مــن مخلوق ميت أو غائب قضاء حاجــة أو تفريج كربة ما لا يقدر عليه إلا الله، لا يجوز أن يطلب إلا من الله[٥].

---

(١) رواه الترمذي، كتاب: الدعوات، باب: ما جاء في فضل الدعاء (٩/ ٣١٣): «تحفة» وقال: لا نعرفه إلا من هذا الوجه. والحديث رواه الإمام أحمد (٢/ ٤٤٢) رقم (٩٦٩٩) و(٢/ ٤٤٣) رقم (٩٧١٧) بنحوه، والبخاري في الأدب المفرد، باب: من لم يسأل الله يغضب عليه (٢/ ١١٤)، وابن ماجه، كتاب: الدعاء باب: (١) رقم (٣٨٢٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب: الدعاء (١/ ٤٩١)، والبغوي في التفسير (٧/ ١٥٦)، وشرح السنة (٥/ ١٨٨)، والطبراني في الدعاء (٢٩)، وذكره الحافظ ابن كثير في التفسير (٤/ ٨٥)، وقال عن طريق الإمام أحمد الثانية: وهذا إسناد لا بأس به. ا.هـ. وحسنه الألباني. صحيح الترمذي (٣/ ١٣٨).

(٢) رواه الحكيم الترمذي، وابن عدي في الكامل، والبيهقي في الشعب كما في ضعيف الجامع (٢/ ١١٥)، وذكره في الضعيفة رقم (٦٣٧)، وقال: باطل. ورواه الطبراني في الدعاء (٢٨). قال ابن حجر رحمه الله: وأخرج الطبراني في الدعاء بسند رجاله ثقات إلا أن فيه عنعنة بقية عن عائشة مرفوعاً: «إن الله يحب الملحين في الدعاء». ا.هـ. فتح الباري (١١/ ٩٥).

(٣) البقرة: ١٨٦.

(٤) الأنبياء: ٩٠.

(٥) الدرر السنية (٩/ ٤-٥).

قال تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾ [فصلت: ٤٤].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟﴾ أي ولو أنزلناه بلسان العبرانية[١] لم تنفك تعنتاتهم الشيطانية، ولم تبرح أهويتهم النفسانية.

﴿لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ﴾ أي هلا بينت بلسان نفقهه، فيتبين لنا الصواب ويزول عنا الارتياب.

﴿ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ﴾ أي أكلام أعجمي ومخاطب عربي فيشتد تكذيبهم للنبي، والأعجمي من كان من العجم، وإن كان فصيحاً، ويقال أيضاً لمن لا يفهم كلامه: أعجمي وإن كان من العرب[٢]، والمقصود إبطال مقترحهم باستلزام المحذور والدلالة على أنهم لا ينفكون عما كانوا عليه من الإعراض والنفور[٣].

---

(١) العبرانية: لغة اليهود. انظر: القاموس المحيط (عبر) (٥٥٨).

(٢) العجم خلاف العرب والأعجمي من كان من العجم قال ابن فارس: «يقال: الأعجمي: الذي لا يفصح وإن كان نازلاً في البادية، وهذا عندنا غلط، وما نعلم أحداً سمّى أحدًا من سكان البادية أعجمياً كما لا يسمونه عجمياً، ولعل صاحب هذا القول أراد الأعجم فقال الأعجمي. قال الأصمعي: يقال: بعير أعجم، إذا كان لا يهدر. والعجماء: البهيمة، وسميت عجماء لأنها لا تتكلم، وكذلك كل من لم يقدر على الكلام فهو أعجم ومستعجم. ا.هـ. معجم مقاييس اللغة (عجم) (٤/ ٢٤٠)، وانظر: لسان العرب (١٢/ ٣٨٦).

(٣) القول الذي ساقه الشيخ هو قول الجمهور وهو أن المعنى: أكلام أعجمي ومخاطب عربي. وهو المروي عن ابن عباس ومجاهد وعكرمة وسعيد بن جبير والسدي وغيرهم، واختاره ابن جرير وكثير من المفسرين.
وقيل: المعنى هلا أنزل بعضها بالأعجمي وبعضها بالعربي ليفهمه هؤلاء وهؤلاء وهذا =

﴿قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى﴾ إلى الحق القويم، والصراط المستقيم، أو يقال: هدى للمتقين من الضلالة.

﴿وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ﴾ من الشك والشبهة والجهالة.

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ﴾ أي ثقل وصمم.

﴿وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾ وذلك لتصامهم عن سماعه، وتعاميهم عما يريهم من الآيات بحيث لم يكن لهم بها ارعواء ولا التفات[1].

= قول الحسن البصري، وكان يقرؤها بدون استفهام. انظر: الطبري (٢٤/ ٨٠)، زاد المسير (٧/ ٢٦٣)، وابن كثير (٤/ ١٠٣)، البيضاوي (٢/ ٣٥٥).

(١) العقد الثمين، ص ٢٣٨.

سورة الشورى

قال تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ أَنۡ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ كَبُرَ عَلَى ٱلۡمُشۡرِكِينَ مَا تَدۡعُوهُمۡ إِلَيۡهِۚ ٱللَّهُ يَجۡتَبِيٓ إِلَيۡهِ مَن يَشَآءُ وَيَهۡدِيٓ إِلَيۡهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى لَّقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿١٤﴾﴾ [الشورى: ١٣-١٤].

قال الشيخ حسين بن غنام رحمه الله:

قوله سبحانه وتعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ أي بين لكم الدين وهو الإسلام، واختاره لكم ديناً وأكرمكم به وهذا غاية الإكرام.

﴿مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾[1] يعني الذي أمر رسوله نوحاً أن يستقيم عليه وأن يدعو الناس إليه.

﴿وَٱلَّذِيٓ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ﴾ لتدعو إليه كافة العباد، وتجاهد من أبى عنه من أهل الشرك والإلحاد.

﴿وَمَا وَصَّيۡنَا بِهِۦٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓۖ﴾ أي أمرناهم به، وهؤلاء هم أرباب الشرائع وهم أولو العزم من الرسل[2].

---

(١) قال ابن الجوزي (٧/ ٢٧٦): ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا﴾ وفيه ثلاثة أقوال:
أحدها: أنه تحليل الحلال وتحريم الحرام. قاله قتادة.
الثاني: تحريم الأخوات والأمهات. قاله الحكم.
الثالث: التوحيد وترك الشرك. ا.هـ.
وقال ابن كثير (٤/ ١٠٩): «والدين الذي جاءت به الرسل كلهم هو عبادة الله وحده لا شريك له كما قال عز وجل: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]». ا.هـ.

(٢) أولو العزم: ذوو الحزم والصبر. =

﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ﴾ أي التوحيد بأن لا يشرك معه في عبادته سواه.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ﴾ لا تختلفوا، فمن اختلف فيه كانت النار مثواه، والنهي عن الاختلاف إنما هو في الأصل، وأما فروع الشرائع فمختلفة كما قال: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾[(١)].

﴿كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ أهل مكة وغيرهم[(٢)].

﴿مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ من التوحيد وإخلاص العبادة لله وحده.

﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ﴾ أي يختار لدينه من كان أهلاً لذلك.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ يرشده إلى سلوك دينه الذي هو أحسن المسالك.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓاْ﴾ «يعني الأمم السالفة، وقيل: أهل الكتاب ﴿وَمَا تَفَرَّقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ﴾[(٣)]»[(٤)].

قوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ﴾ العلم بأن التفرق ضلال متوعد

= وقد اختلف العلماء في تعيينهم على عشرة أقوال ساقها ابن الجوزي في زاد المسير (٧/ ٣٩٢)، والراجح أنهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلوات والسلام قال ابن كثير -رحمه الله-: «وقد اختلفوا في تعداد أولي العزم على أقوال، وأشهرها أنهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى وخاتم الأنبياء كلهم محمد ﷺ، وقد نص الله تعالى على أسمائهم من بين الأنبياء في آيتين من سورتي الأحزاب والشورى، وقد يحتمل أن المراد بأولي العزم جميع الرسل فتكون (من) لبيان الجنس». ا.هـ. (٤/ ١٧٢).

(١) المائدة: ٤٨.

(٢) انظر: الطبري (٢٥/ ١٠-١١).

(٣) البينة: ٢.

(٤) أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٠)، وذكر أبو حيان (٧/ ٤٩٠) قولًا ثالثاً عزاه لابن عباس رضي الله عنهما: أنهم قريش تفرقوا بعد مبعث النبي ﷺ.

عليه، وأن الاجتماع في الدين هو المدعو إليه، وقيل: العلم بمبعث الرسول فلم يجنحوا إلى التصديق والقبول[(١)].

﴿بَغۡيَۢا بَيۡنَهُمۡ﴾ حسداً وعداوة آلت بهم إلى الشقاوة ﴿وَلَوۡ شَآءَ رَبُّكَ لَأٓمَنَ مَن فِي ٱلۡأَرۡضِ كُلُّهُمۡ جَمِيعًا﴾[(٢)]، ﴿وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[(٣)].

والأمر بإقامة الدين والاجتماع عليه، والنهي عن الاختلاف فيه والتفرق المشار إليه صريح في هذه الآية والتي قبلها، فقبح الله شيع البدع والهوى ما أضلها[(٤)].

قال تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣].

سئل الشيخ عبدالله ابن الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمهما الله تعالى عن قوله تعالى: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ﴾ من هم القربى الذي أمر بمودتهم؟ وما تشتمل عليه المودة؟

فأجاب: الآية فيها أقوال للمفسرين:

أولاها[(٥)] ما قاله حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما: أن المراد بذلك أن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا له فيه قرابة، وقال:

---

(١) انظر: زاد المسير (٧/ ٢٧٧)، البحر المحيط (٧/ ٤٩٠)، أنوار التنزيل (٢/ ٣٦٠).

(٢) يونس: ٩٩.

(٣) الزمر: ٧١.

(٤) العقد الثمين، ص ٢٤٣، ٢٤٤.

(٥) هكذا في الأصل ولعل الأقرب: أولها.

«إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة» كما أخرجه البخاري وغيره عن سعيد بن جبير عن ابن عباس أنه سئل عن قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ قال ابن عباس: عجلت إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة فقال: «إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة»[(١)]، وهو قول عكرمة ومجاهد وأبي مالك[(٢)]، والشعبي[(٣)]، وغيرهم[(٤)]، فالمعنى لا أسألكم مالاً ولا رئاسة ولكن أسألكم أن ترعوا حق قرابتي، وتصدقوني فيما جئتكم به وتمسكوا عن أذيتي وأذية من تبعني.

والقول الثاني: أن المعنى إلا أن تتوددوا إلى الله بالتقرب إليه، قاله غير واحد من المفسرين عن الحسن رحمه الله عنه[(٥)].

والقول الثالث: إن المعنى إلا أن تتوددوا إلى بعضكم بعضاً وتصلوا قراباتكم، قاله عبدالله بن القاسم[(٦)].

والقول الرابع: أن المعنى يعني أن تحفظوا قرابتي وتودوني وتصلوا

---

(١) رواه البخاري، كتاب: التفسير، سورة الشورى، باب: قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ (٦/ ٣٧)، وقال الحافظ ابن كثير (٤/ ١١٢): «وهكذا روى عامر الشعبي والضحاك وعلي بن أبي طلحة والعوفي ويوسف بن مهران وغير واحد عن ابن عباس رضي الله عنهما مثله». ا.هـ.

(٢) رواه ابن جرير -رحمه الله- بأسانيده عن الثلاثة (٢٥/ ١٥-١٦).

(٣) انظر: البحر المحيط (٧/ ٤٩٣).

(٤) رواه ابن جرير أيضاً عن قتادة والسدي والضحاك وابن زيد وغيرهم. انظر: الطبري (٢٥/ ١٥-١٦)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٢).

(٥) رواه ابن جرير عن ابن عباس من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عن الحسن وقتادة.
انظر: الطبري (٢٥/ ١٧)، زاد المسير (٧/ ٢٨٥).

(٦) عبدالله بن القاسم التيمي، مولى أبي بكر رضي الله عنه، روى عن جابر وابن عباس وغيرهما، وعنه: أبو عيسى الخراساني وقرة بن خالد وغيرهما، ذكره ابن حبان في الثقات.
انظر: الكاشف (٢/ ١٠٦)، تهذيب التهذيب (٥/ ٣٥٩).

رحمي، وهي رواية عن ابن عباس[١] وهو قول علي بن الحسين استشهد بهذه الآية حين سيق إلى الشام أسيراً[٢]، وهو قول ابن جبير[٣]، والسدي[٤]، وعمرو بن شعيب[٥].

وكل هذه الأقوال تحتمل هذه الآية.

وأولاها بالصواب قول ابن عباس وعلي بن الحسين ومن معهما من المفسرين[٦].

وأما القربى الذي أمر بمودتهم فأحق الناس بذلك أهل البيت علي وفاطمة

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٤٨) لابن المنذر وابن أبي حاتم والطبراني وابن مردويه وقال: بسند ضعيف من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس. ا.هـ. وأخرج أبو نعيم والديلمي من طريق مجاهد عن ابن عباس ما يؤيد ذلك. انظر: الطبري (٢٥/ ١٦)، الدر (٧/ ٣٤٨).

(٢) رواه ابن جرير (٢٥/ ١٦).

وعلي هو: ابن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهم زين العابدين وإمام التابعين ولد عام ٣٨هـ تقريباً، روى عن أبي هريرة وعائشة وغيرهما، وعنه ابنه محمد والزهري وغيرهما، كان مع أبيه يوم كربلاء ولم يقاتل؛ لأنه كان موعوكاً ونقل أسيراً مع آله إلى الشام، كان إماماً فاضلاً خيراً ذا جلالة وفيه قال الفرزدق قصيدته ومنها:

هذا الذي تعرف البطحاء وطأته والبيت يعرفه والحل والحرم

توفي عام ٩٤هـ رحمه الله. انظر: طبقات ابن سعد (٥/ ٢١١)، الحلية (٣/ ١٣٣)، السير (٤/ ٣٨٦).

(٣) رواه ابن جرير (٢٥/ ١٦-١٧)، وهو في رواية البخاري السابقة.

(٤) انظر: زاد المسير (٧/ ٢٨٥)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ١١٢).

(٥) رواه ابن جرير (١٥/ ١٧).

وعمرو بن شعيب هو: ابن محمد بن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهم روى عن أبيه وابن المسيب، وعنه الزهري وقتادة وغيرهما، وروايته عن أبيه عن جده مما اختلف العلماء فيها والصحيح أنها من الحسن توفي عام ١١٨هـ. انظر: السير (٥/ ١٦٥)، تهذيب التهذيب (٨/ ٤١).

(٦) يعني رحمه الله القول الرابع. وقد رجح القول الأول جمع من الأئمة منهم الطبري (٢٥/ ١٧) وابن الجوزي (٧/ ٢٨٥)، وابن كثير (٤/ ١١٢)، قال رحمه الله: «والحق تفسير الآية بما فسرها به حبر الأمة وترجمان القرآن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما كما رواه عنه البخاري، ولا ننكر الوصاة بأهل البيت والأمر بالإحسان إليهم واحترامهم وإكرامهم فإنهم من ذرية طاهرة... إلخ». ا.هـ.

والحسن والحسين ﭫ، ويدخل فيهم جميع ولد عبدالمطلب كما قال زيد بن أرقم حين سأله حصين من أهل بيته؟ أليس نساؤه من أهل بيته؟ قال: «نساؤه من أهل بيته ولكن أهل بيته من حرم الصدقة بعده» قال: ومن هم؟ قال: «آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل عباس» كما ذكره مسلم في صحيحه عنه[1].

وأما ما تشتمل عليه مودتهم فتشتمل على محبتهم وتوليهم، وتوقيرهم واحترامهم وكف الأذى عنهم[2].

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَاۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾ [الشورى: ٥٢-٥٣].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن ﬞ:

تأمل قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ كيف تجد فيها من إثبات النبوات[3] وبراهينها[4] وإثبات المعاد[5] وإثبات الربوبية والإلهية[6].

---

(١) سبق تخريجه في تفسير سورة الأحزاب.

(٢) الدرر السنية، (١٠/ ١٧١).

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَاۚ﴾ وقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

(٤) من براهين صدق النبوة أنه ﷺ لم يكن يدري قبل الوحي ما الكتاب ولا الإيمان، فإتيانه بهذه المعجزات والدلائل النيرات بعد الجهل بها والغفلة عنها دليل على صدقه، وأنها ليست من اختلاقه.

(٥) في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ أي ترجع.

(٦) في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِۗ﴾ وكونه تعالى رب كل شيء ومليكه مستلزم لإلهيته وإفراده بالعبادة.

والرد على القدرية النفاة[١]، والرد على القدرية المجبرة[٢].

والرد على الجهمية القائلين بخلق القرآن[٣].

واختصاص صراطه بالاستقامة دون ما سواه وإضافته إليه[٤].

وفيها بيان أهل الهداية والنور وإضافتهم إليه[٥].

وفيها الإيمان باليوم الآخر[٦].

وفيها حكمة دخول أداة التنبيه في آخر جملة[٧].

وفيها تفسير قوله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ﴾[٨].

---

(١) في قوله تعالى: ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ فالهداية التي هي خلق الإيمان في قلب العبد بيد الله تعالى لا كما يزعمون أن العبد يخلق فعله، وأن من اهتدى فإن الله لا يضله، ومن ضل فإن الله لا يهديه تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

(٢) الذين نفوا عن العبد الإرادة والاختيار فقالوا: هو كالريشة في مهب الريح ورد سبحانه وتعالى عليهم في قوله: ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾ حيث أثبت للعبد فعلاً وإرادة وهي لا تخرج عن إرادة الله تعالى.

(٣) في قوله تعالى: ﴿أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾.

(٤) قال تعالى: ﴿صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ﴿٥٣﴾﴾.

(٥) قال تعالى: ﴿جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾.

(٦) في قوله تعالى: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾.

(٧) قال الطاهر بن عاشور: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ﴾ تذييل وتنهية للسورة بختام ما احتوت عليه من المجادلة والاحتجاج بكلام قاطع جامع، منذر بوعيد للمعرضين فاجع، ومبشر بالوعد لكل خاشع، وافتتحت الجملة بحرف التنبيه لاسترعاء أسماع الناس وتقديم المجرور لإفادة الاختصاص، أي: إلى الله لا إلى غيره. ا.هـ. التحرير والتنوير (٢٥/ ١٥٥-١٥٦).

(٨) في قوله تعالى: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ﴾.

وفيها الرد على أهل المنطق في موضعين أو ثلاثة[١] وهدم أصوله[٢].

---

(١) كقوله تعالى: ﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ...﴾.
وقوله تعالى: ﴿نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ...﴾.
وقوله: ﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ...﴾.
ففي هذه المواطن إشارة إلى أن صراط الله هو الطريق السليم المستقيم الموصل إلى الحقائق اليقينية وليس هو المنطق.
وفيه أن القرآن مشتمل على أساليب يقينية ودلائل قطعية وبراهين صادقة موصلة إلى الحق، لا كما يزعمه الفلاسفة والمتكلمون أنه مجرد أسلوب خطابي عار عن الدلائل والأمثال العقلية، بل إن فيه من البراهين اليقينية على إثبات الألوهية والربوبية والنبوات والمعاد ما يشهد به كل منصف.

(٢) الدرر السنية (١٠/ ١٧١، ١٧٢).

قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ فِي قَرۡيَةٖ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتۡرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدۡنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٖ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقۡتَدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٣].

قال الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن أبابطين رحمه الله:

استدل العلماء بهذه الآية ونحوها على أنه لا يجوز التقليد في التوحيد والرسالة وأصول الدين[(١)]، وأن فرضاً على كل مكلف أن يعرف التوحيد بدليله وكذلك الرسالة وسائر أصول الدين؛ لأن أدلة هذه الأصول ظاهرة، ولله الحمد لا يختص بمعرفتها العلماء[(٢)].

قال تعالى: ﴿وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾ [الزخرف: ٢٦-٢٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال ابن كثير: «يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وخليله إمام الحنفاء، ووالد من بعث بعده من الأنبياء، الذي تنتسب إليه قريش في نسبها ومذهبها إنه تبرأ من أبيه وقومه في عبادتهم الأوثان فقال: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ ﴿٢٨﴾﴾ أي: هذه الكلمة وهي عبادة الله وحده لا شريك له، وخلع ما سواه من الأوثان، وهي لا إله إلا الله أي: جعلها في ذريته يقتدي به فيها من هداه الله من ذرية إبراهيم عليه السلام.

---

(١) راجع: تفسير قوله تعالى من سورة النساء: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡ ...﴾ الآية.

(٢) الدرر السنية (٨/ ٢٢٦).

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أي: إليها.

قال عكرمة ومجاهد[١]، والضحاك وقتادة[٢]، والسدي[٣] وغيرهم في قوله: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾: «يعني لا إله إلا الله لا يزال في ذريته من يقولها». وقال ابن زيد: «كلمة الإسلام»[٤]، وهو يرجع إلى ما قاله الجماعة»[٥].

قلت: وروى ابن جرير عن قتادة في قوله: ﴿إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي﴾ قال: «خلقني»[٦].

وعنه: ﴿إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي ﴿٢٧﴾﴾ قال: «إنهم يقولون إن الله ربنا ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٧]، فلم يبرأ من ربه»[٨]. رواه عبد بن حميد.

قلت: يعني أن قوم إبراهيم يعبدون الله ويعبدون غيره، فتبرأ مما يعبدون إلا الله، لا كما يظن الجهال أن الكفار لا يعرفون الله، ولا يعبدونه أصلاً.

وروى ابن جرير وابن المنذر عن قتادة ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ﴾ قال: «الإخلاص والتوحيد، لا يزال في ذريتك من يوحد الله ويعبده»[٩]،

---

(١) عزاه السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٣) لعبد بن حميد وابن المنذر، وروى نحوه ابن جرير (٢٥/ ٣٨).
(٢) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٨-٣٩).
(٣) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٩).
(٤) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٩).
(٥) تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٢٦).
(٦) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٨). وقد رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ١٩٥).
(٧) الزخرف: ٨٧.
(٨) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٨)، ولم يعزه السيوطي في الدر (٧/ ٣٧٣) إلا لابن جرير.
(٩) رواه ابن جرير (٢٥/ ٣٩).

فتبين بهذا أن معنى لا إله إلا الله هو البراءة مما يعبد من دون الله، وإفراد الله بالعبادة، وذلك هو التوحيد لا مجرد الإقرار بوجود الله وملكه وقدرته وخلقه لكل شيء، فإن هذا يقر به الكفار، وذلك هو معنى قوله: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴿٢٧﴾﴾ فاستثنى من المعبودين ربه، وذكر سبحانه أن هذه البراءة وهذه الموالاة هي شهادة أن لا إله إلا الله. قاله المصنف[(١)(٢)].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

بيَّن تعالى أن ملة الخليل هذه الكلمة، وأن مدلولها البراءة من كل ما عبد من دون الله، وقصر العبادة على الله وحده بقوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ فدلت هذه الجملة على أن الإله المنفي هو المعبود، وأن العبادة لا تصلح إلا لمن فطر الخلق، وهو الله وحده لا شريك له.

قال تعالى: ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ وهي لا إله إلا الله، وعبر عنها الخليل بمعناها، وهو إفراد الله بالعبادة، ونفيه عن كل ما سواه، فدلالتها على معنى لا إله إلا الله دلالة مطابقة، وهذه ملة الخليل عليه السلام، وملة إخوانه من المرسلين قال الله تعالى: ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ﴾[(٣)] الآية.

وأخبر تعالى عن ابن ابن ابنه يوسف بن يعقوب عليهما السلام أنه قال: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِٱللَّهِ مِن شَىْءٍ ۚ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ ٱللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾[(٤)]، فبيَّن أن

(١) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله، كتاب التوحيد (١٧) بلفظ: وهذه الموالاة هي تفسير شهادة... إلخ.
(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ١١٥-١١٦.
(٣) الممتحنة: ٤.
(٤) يوسف: ٣٨، ووقع في الأصل: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

ملة آبائه نفي الشـرك والبراءة منه، وأن أكثر الناس ليسوا على تلك الملة، ثم بيَّن التوحيد الذي هو إخلاص العبادة لله وحده بقوله: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾[1] الآية[2].

قال تعالى: ﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذه الآية لأهل العلم والتأويل فيها قولان[3]:

أحدهما: أن المستثنى من تقع عليه الشفاعة ويشفع فيه الشافعون، فهو استثناء من محذوف دل عليه السياق، والتقدير: لا يملك الذين يدعون من دونه الشفاعة لأحد إلا من شهد بالحق[4].

والقول الثاني: أن الاستثناء واقع على الشافعين الذين يملكون الشفاعة فالاستثناء من الموصول الذي هو الفاعل.

وعلى كل فليس المراد المُلك المتعارف بين أهل الدنيا، بل المراد حصول ذلك ووقوعه وتمكينهم منه، وذلك مقيد بالإذن والرضى عن المشفوع فيه، فليس من جنس الأملاك الدنيوية، ثم العبد كل العبد لا يتصرف في ملكه إلا بما يحب الرب ويرضاه من التصرفات، فأين محبته تعالى وإذنه

---

(١) يوسف: ٤٠.

(٢) الدرر السنية (٩/ ١٧٨).

(٣) انظر: الطبري (٢٥/ ٦٢-٦٣)، زاد المسير (٧/ ٣٣٤)، البحر المحيط (٨/ ٢٩).

(٤) وهذا القول هو ما رجحه الشيخ.

انظر: ص ٦٠٢.

ورضاه في الشــفاعة لمن يدعو غيره، ويلوذ بســواه، ويعتمد على الشــفعاء ويعدهم لشدائده وكرباته؟[١].

وقال رحمه الله:

وأصح الأقوال في هذه الآية: أن الاســتثناء يرجع إلى المشــفوع فيهم، وأن الشــفاعة لا تكون إلا لمن كان من أهل التوحيد؛ ومن معه أصل الإيمان المنافي للشرك ودعاء غير الله.

ويســتدل على هذا بحديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: «قلت: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: أسعد الناس بشــفاعتي من قال: لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[٢].

فدعاء الله وحده وإســلام الوجه له: هو السبب الأعظم في نيل الشفاعة وحصولها، ولو كان المشــفوع فيه متلوثــاً بالذنوب والخطايا، فإن حســنة التوحيد لا يقاومها ما دون الشرك من الســيئات، ونجس الشرك لا يبقى معه شيء من الحسنات[٣].

---

(١) مصباح الظلام، ص ٢٢١.

(٢) سبق تخريجه في تفسير سورة طه الآية رقم (١٠٩).

(٣) مصباح الظلام، ص ٣٦٣.

سورة الأحقاف

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ۝٦ ﴾ [الأحقاف: ٥-٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

حاصل كلام المفسرين أن الله تعالى حكم بأنه لا أضل ممن يدعو من دون الله، لا دعاء عبادة، ولا دعاء مسألة واستغاثة من هذه حاله(١).

ومعنى الاستفهام فيه إنكار أن يكون في الضُلاَّل كلهم أبلغ ضلالاً ممن عبد غير الله ودعاه، حيث يتركون دعاء السميع المجيب القادر على تحصيل كل بغية ومرام، ويدعون من دونه من لا يستجيب لهم، ولا قدرة به على استجابة أحد منهم ما دام في الدنيا وإلى أن تقوم القيامة كما قال تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ الْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ﴾(٢).

وقوله: ﴿وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ﴾ أي لا يشعرون بدعاء من دعاهم؛ لأنهم إما عباد مسخرون مشتغلون بأحوالهم كالملائكة، وإما أموات كالأنبياء والصالحين، وإما أصنام وأوثان.

وقوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ أي: إذا قامت القيامة، وحشر الناس للحساب عادوهم، ﴿وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ﴾ الدعاء وغيره من أنواع العبادة كافرين، كما قال تعالى: ﴿وَاتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ ءَالِهَةً لِّيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا ۝٨١

(١) انظر: ما ذكره الشيخ سليمان -رحمه الله- في بيان أقسام الدعاء في تيسير العزيز الحميد، باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله أو يدعو غيره، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) الرعد: ١٤.

كَلَّا سَيَكۡفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمۡ وَيَكُونُونَ عَلَيۡهِمۡ ضِدًّا ﴿٨٢﴾ ﴾[١]، فليسوا في الدارين إلا على نكد ومضرة لا تتولاهم بالاستجابة في الدنيا، وتجحد عبادتهم في الآخرة وهم أحوج ما كانوا إليها.

وفي الآيتين مسائل نبه عليها المصنف[٢]، أحدها: أنه لا أضل ممن دعا غير الله.

الثانية: أنه غافل عن دعاء الداعي لا يدري عنه.

الثالثة: أن تلك الدعوة سبب لبغض المدعو للداعي وعداوته له.

الرابعة: تسمية تلك الدعوة عبادة للمدعو.

الخامسة: كفر المدعو بتلك العبادة.

السادسة: أن هذه الأمور هي سبب كونه أضل الناس[٣].

وقال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

في هذه الآية أمور خمسة كل واحد منها يبطل الاستمداد بغير الله:

الأول: قوله: ﴿ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾ ففيها بيان أن دعوة غير الله هي الغاية في الضلال.

الثاني: قوله: ﴿مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ ﴾ فالذي لا يستجيب له دعوته له عناء وشقاء ووبال في الحال والمآل.

الثالث: قوله: ﴿وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ﴾ فهذا المستمد بمن هو غافل عنه

(١) مريم: ٨١-٨٢.

(٢) الشيخ محمد بن عبدالوهاب رحمه الله في باب: من الشرك أن يستغيث بغير الله، من كتاب التوحيد، ص ٣٤.

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٠٣-٢٠٤.

لا أضل منه، وهذا كله يبيِّن ضلال المستمد ويحققه، ويدل على فساد عقله كيف يستمد بالغافل ويترك القريب المجيب السميع البصير العليم الخبير، ويرغب عنه إلى ما لا يضر ولا ينفع.

الرابع: قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً﴾ فأخبر تعالى أن المدعو الذي طلب منه الداعي المدد تخونه دعوته أحوج ما كان إليها فيكون المدعو عدواً له، وخصماً له بين يدي الله يوم القيامة فخاب سعيه وانقطع رجاؤه، وشقى بدعوته وصار إلى النار بشركه وضلاله.

الخامس: قوله: ﴿وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ﴾ فكل ولي لله وعبد صالح يكفر بعبادة من عبد مع الله غيره في الدنيا، ويوم يقوم الأشهاد، فهم أعداؤه في الدنيا والآخرة يستحلون دماءهم وأموالهم في الدنيا، وينكرون عليهم شركهم يوم القيامة، ويظهرون عداوتهم والبراءة منهم، فكما كفروهم في الدنيا يكفرونهم يوم القيامة ولابد؛ لأنهم دانوا بخلاف دينهم الذي من دان بخلافه نصبوا له العداوة ظاهراً وباطناً.

فتدبر القرآن، فإن نظائر هذه الآية كثير، كقوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ أَهَٰٓؤُلَآءِ إِيَّاكُمْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُواْ سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم بَلْ كَانُواْ يَعْبُدُونَ ٱلْجِنَّ أَكْثَرُهُم بِهِم مُّؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾﴾[1]، أي الشياطين الذين زينوا لهم عبادة غير الله[2]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ﴾، إلى قوله: ﴿مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِي بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُواْ

---

(١) سبأ: ٤٠-٤١.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٣/ ٥٤٢).

ٱللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْۚ وَكُنتُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا مَّا دُمۡتُ فِيهِمۡۖ فَلَمَّا تَوَفَّيۡتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيۡهِمۡۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ﴾[1][2].

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ﴾ [الأحقاف: ٢١].

قال الشيخ عبدالرحمن بن حسن رحمه الله:

دلت هذه الآية على أن الله تعالى إنما أراد من عباده أن يخلصوا له العبادة، وهي أعمالهم، ونهاهم أن يجعلوا له شريكاً في عباداتهم وإراداتهم التي لا يستحقها غيره، قال تعالى: ﴿وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗاۖ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنٗا وَبِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡجَارِ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡجَارِ ٱلۡجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلۡجَنۢبِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُمۡۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخۡتَالٗا فَخُورًا﴾[3]، قال تعالى: ﴿فَإِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞ فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾[4].

وقال تعالى: ﴿وَإِذۡ بَوَّأۡنَا لِإِبۡرَٰهِيمَ مَكَانَ ٱلۡبَيۡتِ أَن لَّا تُشۡرِكۡ بِي شَيۡـٔٗا وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلۡقَآئِمِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ﴾[5].

---

(١) المائدة: ١١٦-١١٧.
(٢) الدرر السنية (٩/ ١٥٥، ١٥٦).
(٣) النساء: ٣٦.
(٤) الحج: ٣٤.
(٥) الحج: ٢٦.

والمراد: تطهيره عن الشرك في العبادة[١]، ولهذا قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ ۗ وَأُحِلَّتْ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمُ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ ۖ فَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلرِّجْسَ مِنَ ٱلْأَوْثَٰنِ وَٱجْتَنِبُوا۟ قَوْلَ ٱلزُّورِ ﴿٣٠﴾ حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾ ﴾[٢].

وقد بيَّن الله تعالى في مواضع من القرآن معنى كلمة الإخلاص: لا إله إلا الله، ولم يكل عباده في بيان معناها إلى أحد سواه، وهو صراطه المستقيم، كما قال تعالى: ﴿ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾[٤].

فعبر عن معنى: لا إله، بقوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴾ وعبر عن معنى: إلا الله، بقوله: ﴿ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى ﴾.

فتبين أن معنى لا إله إلا الله: هو البراءة من عبادة كل ما سوى الله، وإخلاص العبادة بجميع أنواعها لله تعالى كما تقدم، وهذا واضح بين لمن جعل الله له بصيرة، ولم تتغير فطرته، ولا يخفى إلا على من عميت بصيرته بالعوائد الشركية، وتقليد من خرج من الصراط المستقيم من أهل الأهواء والبدع والضلال ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴾[٥].

---

(١) انظر: ما سبق في تفسير هذه الآية.

(٢) الحج: ٣٠-٣١.

(٣) يس: ٦١.

(٤) الزخرف: ٢٦-٢٨.

(٥) النور: ٤٠.

وقال تعالى في بيان معناها: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾[1].

والمعنى: أي بعضٍ كان من نبي أو غيره، كالمسيح ابن مريم، والعزير، ونحوهما، وفي قوله: ﴿أَلَّا نَعْبُدَ﴾ معنى لا إله، وقوله ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص.

وهذا التوحيد هو الذي دعا إليه النبي ﷺ أهل الكتاب وغيرهم من الإنس والجن، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ وَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾[2].

وقد قال تعالى في معنى هذه الكلمة عن أصحاب الكهف ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ فَأْوُۥٓاْ إِلَى ٱلْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا﴾[3].

ففي قوله: ﴿وَإِذِ ٱعْتَزَلْتُمُوهُمْ﴾ معنى: لا إله، وقوله ﴿إِلَّا ٱللَّهَ﴾ هو المستثنى في كلمة الإخلاص، وقال تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَاْ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا﴾[4].

فتقرر بهذا: أن الإلهية هي: العبادة، وأن من صرف شيئاً لغير الله فقد

(١) آل عمران: ٦٤.
(٢) يوسف: ١٠٨.
(٣) الكهف: ١٦.
(٤) الكهف: ١٤.

جعله لله نداً، والقرآن كله في تقرير معنى: لا إله إلا الله وما تقتضيه وما تستلزمه، وذكر ثواب أهل التوحيد، وعقاب أهل الشرك.

ومع هذا البيان الذي ليس فوقه بيان: كثر الغلط في المتأخرين من هذه الأمة في معنى هذه الكلمة[١]، وسببه: تقليد المتكلمين الخائضين، فظن بعضهم أن معنى لا إله إلا الله: إثبات وجود الله تعالى، ولهذا قدروا الخبر المحذوف في لا إله إلا الله وقالوا: لا إله موجود إلا الله، ووجوده تعالى قد أقر به المشركون الجاحدون لمعنى هذه الكلمة.

وطائفة ظنوا معناها: قدرته على الاختراع.

وهذا معلوم بالفطرة، وما يشاهد من عظيم مخلوقات الله تعالى، كخلق السموات والأرض وما فيها من عجائب المخلوقات، وبه استدل الكليم موسى -عليه الصلاة والسلام- على فرعون لما قال: ﴿وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُۥٓ أَلَا تَسْتَمِعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾[٢]، وفي سورة بني إسرائيل: ﴿لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ﴾[٣]، ففرعون يعرف الله ولكن جحده مكابرة وعناداً، وأما غير فرعون من أعداء الرسل من قومهم ومشركي العرب ونحوهم فأقروا بوجود الله وربوبيته، كما قال تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾[٤]،

---

(١) انظر: ص ٢٣٤.
(٢) الشعراء: ٢٣-٢٦.
(٣) الإسراء: ١٠٢.
(٤) الزخرف: ٩.

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾[١]، فلم يدخلهم ذلك في الإسلام لما جحدوا ما دلت عليه لا إله إلا الله من إخلاص العبادة بجميع أفرادها لله وحده. وفي الحديث الصحيح: «من مات وهو يدعو لله نداً دخل النار»[٢]، وقال قوم هود: ﴿أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ ٱللَّهَ وَحْدَهُۥ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴾[٣].

وهذا دليل على أنهم أقروا بوجوده وربوبيته وأنهم يعبدونه لكنهم أبوا أن يجردوا العبادة لله وحده دون آلهتهم التي كانوا يعبدونها معه.

فالخصومة بين الرسل وأممهم ليست في وجود الرب، وقدرته على الاختراع، فإن الفطر والعقول دلتهم على وجود الرب، وأنه رب كل شيء ومليكه، وخالق كل شيء والمتصرف في كل شيء، وإنما كانت الخصومة في ترك ما كانوا يعبدونه من دون الله كما قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٥﴾ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾[٤].

وقال تعالى: ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِن تُكَذِّبُوا۟ فَقَدْ كَذَّبَ أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٨﴾ ﴾[٥].

---

(١) الزخرف: ٨٧.

(٢) رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: قوله: ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا ﴾ (٥/ ١٥٣).

(٣) الأعراف: ٧٠.

(٤) هود: ٢٥-٢٦.

(٥) العنكبوت: ١٦-١٨.

فالشرك في العبادة هو الذي عمت به البلوى في الناس قديماً وحديثاً كما قال تعالى: ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ ۚ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾[١].

وقد أخبر النبي ﷺ أن هذه الأمة تأخذ مأخذ القرون قبلها شبراً بشبر وذراعاً بذراع[٢].

ولهذا أنكر كثير من أعداء الرسل في هذه الأزمنة وقبلها على من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله وحده[٣] وجحدوا ما جحدته الأمم المكذبة من التوحيد، واقتدوا بمن سلف من أعداء الرسل في مسبتهم من دعاهم إلى إخلاص العبادة لله ونسبته إلى الخطأ والضلال[٤].

---

(١) الروم: ٤٢.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الاعتصام بالكتاب والسنة، باب: قول النبي ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم» (٨/ ١٥١).

(٣) انظر ما ذكره الشيخ عبدالرحمن ؒ من موقف بعض الناس من دعوة الشيخ محمد وكيف استغربوها بل استنكروها بل حاربوها؛ لأنه ؒ دعاهم إلى خلاف ما ألفوه انظر ذلك في: رسالة المقامات. الدرر السنية (٩/ ٢١٨) وقد طبعت الرسالة مستقلة بدار الهداية بالرياض.

(٤) الدرر السنية (٢/ ٢٣١-٢٣٥).

سورة محمد

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّوا۟ عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ۙ ٱلشَّيْطَـٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَـٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ﴾ [محمد: ٢٥-٢٨].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله بن محمد رحمه الله:

ذكر تعالى عن المرتدين على أدبارهم أنهم من بعد ما تبين لهم الهدى ارتدوا على علم، فلم ينفعهم علمهم بالحق مع الردة، وغرهم الشيطان بتسويله وتزيين ما ارتكبوه من الردة، وهكذا حال هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة غرهم الشيطان فأوهمهم أن الخوف عذر لهم في الردة، وأنهم بمعرفة الحق ومحبته والشهادة به لأنفسهم لا يضرهم ما فعلوه، ونسوا أن من المشركين من يعرفون الحق ويحبونه ويشهدون به، ولكن يتركون متابعته والعمل به محبة للدنيا وخوفاً على الأنفس والأموال والمآكل والرياسات.

ثم قال تعالى: ﴿ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ ﴾.

فأخبر تعالى أن سبب ما جرى عليهم من الردة وتسويل الشيطان والإملاء لهم هو قولهم للذين كرهوا ما نزل الله سنطيعكم في بعض الأمر، فإذا كان من وعد المشركين الكارهين لما أنزل الله طاعتهم في بعض الأمر كافراً وإن لم يفعل ما وعدهم به، فكيف بمن وافق المشركين الكارهين لما أنزل الله من الأمر بعبادته وحده لا شريك له وترك عبادة ما سواه من الأنداد والطواغيت

والأموات، وأظهر أنهم على هدى، وأن أهــل التوحيد مخطؤون في قتالهم وأن الصواب في مســالمتهم والدخول في دينهم الباطل، فهؤلاء أولى بالردة من أولئك الذين وعدوا المشركين بطاعتهم في بعض الأمر.

ثم أخبر تعالــى عن حالهم الفظيع عند الموت ثــم قال: ﴿ ذَٰلِكَ ﴾ أي: الأمر الفظيع عند الوفــاة ﴿بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُواْ مَآ أَسۡخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُواْ رِضۡوَٰنَهُۥ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ﴾ ولا يســتريب المســلم أن اتباع المشركين والدخول في جملتهم والشهادة أنهم على حق ومعاونتهم على زوال التوحيد وأهله ونصرة القباب والقحاب واللواط من اتباع سخط الله وكراهة رضوانه، وإن ادعوا أن ذلك لأجل الخوف، فإن الله ما عذر أهل الردة بالخوف من المشركين بل نهى عن خوفهم، فأين هذا ممن يقول: ما جرى منا شيء ونحن على ديننا؟![1].

---

(١) الدرر السنية (٧/ ٦٤-٦٦).

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ١٠].

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

اعلم أن لفظ اليد جاء في القرآن على ثلاثة أنواع: مفرد كهذه، وكقوله: ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾[(١)].

وجاء مثنى كقوله: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾[(٢)]، وكقوله: ﴿مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾[(٣)].

وجاء مجموعاً كقوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾[(٤)].

فحيث ذكر اليد مثناه أضاف الفعل إلى نفسه بضمير الإفراد، وعدى الفعل بالباء إليها، فقال: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾.

وحيث ذكرها مجموعة[(٥)] أضاف العمل إليها ولم يُعَدِّ الفعل بالباء، فلا يحتمل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ﴾ من المجاز ما يحتمله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ فإن كل أحد يفهم من قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ ما يفهمه من قوله عملنا وخلقنا كما يفهم من قوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾[(٦)].

---

(١) الملك: ١.

(٢) المائدة: ٦٤.

(٣) ص: ٧٥.

(٤) يس: ٧١.

(٥) انظر: ما ذكره شيخ الإسلام في الحديث عن هاتين الآيتين. الفتاوى (٦/ ٣٧٠).

(٦) الشورى: ٣٠.

وأما قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾[(١)] فلو كان المراد منه مجرد الفعل لم يكن لذكر اليد -بعد نسبة الفعل إلى الفاعل- معنى، فكيف وقد دخلت الباء، فالفعل قد يضاف إلى يد ذي اليد والمراد الإضافة إليه كقوله: ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾، وأما إذا أضيف إليه الفعل ثم عدى بالباء إلى يده مفردة أو مثناة فهو ما باشرته يده، ولهذا قال عبدالله بن عمرو بن العاص: «إن الله لم يخلق بيده إلا ثلاثاً: خلق آدم بيده، وغرس جنة الفردوس بيده، وكتب التوراة بيده»[(٢)].

فلو كانت اليد هي القدرة لم يكن لها اختصاص بذلك ولا كانت لآدم فضيلة بذلك على شيء مما خلق بالقدرة.

وقد صح عنه ﷺ: «أن أهل الموقف يأتون آدم فيقولون: أنت أبو البشر، خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء»[(٣)].

فذكروا أربعة أشياء كلها خصائص.

وكذلك قال آدم لموسى عليه السلام في محاجته له: «اصطفاك الله بكلامه،

---

(١) انظر: حديث شيخ الإسلام -رحمه الله- عن هذه الآية، وتقريره لصفة اليدين. الفتاوى (٦/ ٣٦٢-٣٧٢).

(٢) سيأتي حديث عبدالله بن الحارث وهو بمعناه. وعند البيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عمر: «خلق الله تبارك وتعالى أربعة أشياء بيده: العرش، وجنات عدن، وآدم، والقلم...» الحديث، ص: ٤٠٣، ورواه الدارمي في الرد على المريسي: ٣٥.

(٣) رواه الإمام أحمد في المسند (٢/ ٤٣٥)، في حديث الشفاعة الطويل عن أبي هريرة برقم (٩٦٢١).

وقد أخرجاه في الصحيحين بنحوه، فقد رواه البخاري، كتاب: التفسير، باب: ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ﴾ (٥/ ٢٢٥)، ومسلم، كتاب: الإيمان، باب: شفاعته ﷺ.

وخط لك الألواح بيــده»[١]، وفي لفظ آخر: «كتب الله لــك التوراة بيده»[٢] وهو من أصح الأحاديث.

وكذلك في الحديث المشــهور: «إن الملائكة قالوا يــارب: خلقت بني آدم يأكلون ويشربون وينكحون ويركبون، فاجعل لهم الدنيا، ولنا الآخرة فقال الله: لا أجعل صالح من خلقت بيدي، ونفخت فيه من روحي كمن قلت له كن فكان»[٣].

وأيضاً: فإنــه لو كان قوله: ﴿خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ مثــل قوله: ﴿عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ لكان آدم والأنعام ســواء، وأهل الموقف قالوا: «أنت أبو البشر، خلقك الله بيده»[٤]، يعلمون لآدم تخصيصاً وتفضيلاً بكونه مخلوقاً باليدين.

وقد ثبت في الصحيح عن النبي ﷺ: «يقبض الله ســماواته بيده اليمنى، والأرض بيده الأخرى»[٥].

وقال ﷺ: «يمين الله ملأى لا يغيضها نفقة»[٦] الحديث.

---

(١) رواه البخاري، كتاب: القدر، باب: تحاج آدم وموسى عند الله عز وجل (٧/ ٢١٤)، ومسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (١٦/ ١٥٢)، من حديث أبي هريرة بلفظ: «وخط لك بيده».

(٢) رواه مسلم، كتاب: القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام (١٦/ ١٥٢).

(٣) رواه عبدالله بن الإمام أحمد في السنة (٢/ ٤٦٩) رقم (١٠٦٥)، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠١)، وقال الهيثمي في المجمع (١/ ٨٢): رواه الطبراني في الكبير والأوسط، وفيه إبراهيم بن عبدالله بن خالد المصيصي وهو كذاب متروك، وفي إسناد الأوسط طلحة بن زيد وهو كذاب أيضاً. ا.هـ.
وأشار إلى ضعف الحديث ابن أبي العز الحنفي في شرح الطحاوية، وكذا ضعفه الألباني، وصححه الشيخ أحمد شاكر. انظر: شرح الطحاوية (٣٤٢-٣٤٥).

(٤) سبق تخريجه في الصفحة السابقة.

(٥) رواه البخاري، كتاب: التفسير، سورة الزمر (٦/ ٣٣)، ومسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار (١٧/ ٢٧٣) بنحوه من حديث أبي هريرة.

(٦) رواه البخاري، كتاب: التوحيد، باب: قول الله عز وجل: ﴿لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ (١٣/ ٣٩٢) «فتح» ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضل النفقة (٧/ ٦٧) من حديث أبي هريرة.

وفي صحيح مسلم: في أعلى أهل الجنة منزلة: «أولئك الذين غرست كرامتهم بيدي وختمت عليها»(١).

وقال عبدالله بن الحارث: قال النبي ﷺ: «خلق الله ثلاثة أشياء بيده، خلق آدم بيده، وكتب التوراة بيده، وغرس الفردوس بيده، ثم قال: وعزتي لا يسكنها مدمن الخمر ولا ديوث»(٢).

وفي الصحيح عنه ﷺ: «تكون الأرض يوم القيامة خبزة واحدة، يتكفاها الجبار كما يتكفأ أحدكم خبزته في السفر، نزلاً لأهل الجنة»(٣).

وفي الصحيح مرفوعاً: «إن الله يبسط يده بالليل؛ ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار؛ ليتوب مسيء الليل»(٤).

وفي الصحيح أيضاً مرفوعاً: «المقسطون عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين الرحمن، وكلتا يديه يمين»(٥).

وقال عمر بن الخطاب -رضي الله تعالى عنه-: سمعت رسول الله ﷺ

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الإيمان، باب: آخر أهل النار خروجاً منها (٣/ ٤١٣).

(٢) رواه الدارقطني في الصفات رقم (٢٨) دون آخره، والبيهقي في الأسماء والصفات (٤٠٣)، وقال: هذا مرسل. ا.هـ. وقال ابن القيم في حادي الأرواح (٧٤): المحفوظ أنه موقوف. ا.هـ.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الرقاق، باب: يقبض الله الأرض (٧/ ١٩٤).
ومسلم، كتاب: صفة المنافقين، باب: في البعث والنشور (١٧/ ٢٧٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٤) رواه مسلم، كتاب: التوبة، باب: قبول التوبة من الذنوب وإن تكررت (١٧/ ٢٣١) من حديث أبي موسى رضي الله عنه.

(٥) رواه مسلم، كتاب: الإمارة، باب: فضيلة الأمير العادل (١٢/ ٥٢٧) من حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه.

يقول: «خلق الله آدم، ثم مسح ظهره بيمينه، ثم استخرج ذريته منه. قال: خلقت هؤلاء للجنة، وبعمل أهل الجنة يعملون»[١] الحديث.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «ما تصدق أحد بصدقة من كسب طيب -ولا يقبل الله إلا طيباً- إلا أخذها الرحمن بيمينه، فتربو[٢] في كف الرحمن، حتى تكون أعظم من الجبل»[٣] متفق على صحته.

وقال نافع بن عمر[٤]: «سألت ابن أبي مليكة عن يد الله أواحدة؟ أم اثنتان؟ فقال: اثنتان».

وقال عبدالله بن عباس: «ما السماوات السبع والأرضون السبع وما فيهما في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم»[٥].

وقال ابن عمر وابن عباس: «أول شيء خلق الله القلم، فأخذه بيمينه،

---

(١) رواه الإمام مالك في الموطأ، كتاب: القدر، باب: النهي عن القول بالقدر (٢/ ٨٩٨)، والإمام أحمد (١/ ٤٤) رقم (٣١١)، والترمذي، تفسير القرآن سورة الأعراف وقال: حديث حسن (٨/ ٢٣٣)، وابن جرير (٩/ ٧٧)، والحاكم في المستدرك، كتاب: التفسير، سورة الأعراف، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٣٢٥)، والبغوي في التفسير (٣/ ٢٩٨)، وشرح السنة (١/ ١٣٩).

(٢) تربو: تزيد.

(٣) رواه البخاري، كتاب: الزكاة، باب: الصدقة من كسب طيب (٢/ ١١٣).
ومسلم، كتاب: الزكاة، باب: فضيلة الإنفاق (٧/ ٨١).

(٤) في الأصل نافع عن ابن عمر والصواب المثبت أعلاه.
وهو: نافع بن عمر بن عبدالله بن جميل الجمحي المكي، روى عن ابن أبي مليكة وسعيد بن حسان وغيرهما، وعنه عبدالرحمن بن مهدي ووكيع وغيرهما، ثقة حافظ، توفي عام ١٦٩هـ بمكة.
انظر: الكاشف (٣/ ١٧٣)، تهذيب التهذيب (١٠/ ٤٠٩).
والأثر رواه الدارمي في الرد على المريسي (٣٨).

(٥) رواه ابن جرير (٢٤/ ١٧).

وكلتا يديه يميـن[١]، فكانت الدنيا ومـا فيها من عمل معمـول في بر وبحر ورطب ويابس، فأحصاه عنده»[٢].

وقال ابن وهب[٣] عن أسامة[٤] عن ابن عمر: أن النبي ﷺ قرأ على المنبر: ﴿وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾[٥]، قال: «مطوية فـي كفه يرمي بها كما يرمي الغلام بالكرة»[٦].

وهذه النصوص التي ذكرنا هي غيـض من فيض، وفيما ذكرنا كفاية لمن هداه الله ﴿وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ﴾[٧][٨].

قـال تعالـى: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن

---

(١) في الأصل: يمنى، ولعل الصواب المثبت أعلاه.

(٢) رواه الطبري بمعناه عن ابن عباس (٢٩/ ١٠).

(٣) عبدالله بن وهب بن مسلم القرشي، مولاهم أبو محمد المصري، روى عن الليث ومالك وغيرهما، وعنه: ابن مهدي وابن المديني وغيرهما، أحد الأئمة الحفاظ، توفي عام ١٩٧هـ. انظر: الكاشف (٢/ ١٢٦)، تهذيب التهذيب (٦/ ٧١).

(٤) أسامة بن زيد الليثي، مولاهم أبو زيد المدني، روى عن: الزهري وأبي حازم وغيرهما، وعنه: ابن وهب وابن مبارك وغيرهما، أخرج له الأربعة والبخاري تعليقاً ومسلم في الشواهد توفي عام ١٥٣هـ.
انظر: تهذيب الكمال (٢/ ٣٤٧)، تهذيب التهذيب (١/ ٢٠٩).

(٥) الزمر: ٦٧.

(٦) رواه ابن جرير (٢٤/ ١٧) من طريق ابن وهب عن أسامة بن زيد عن أبي حازم عن ابن عمر، وأخرج ابن منده في الرد على الجهمية نحوه (٨١) رقم (٥٧).

(٧) النور: ٤٠.

(٨) الدرر السنية (٣/ ٨٠-٨٤).

تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةُۢ بِغَيْرِ عِلْمٍۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾ [الفتح: ٢٥].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله تعقيباً على قول بعضهم:

إن الله تعالى نهى عن قتال الكفار لأجل من معهم من المستضعفين، ولولاهم لعذب الله الكفار، فوجود ذواتهم بركة وحفظ للكفار[1].

قال رحمه الله:

السياق لبيان حكم قدري في منع المؤمنين من دخول مكة عنوة عام الحديبية[2]، وأن الله لطف للمؤمنين والمؤمنات ممن كان بمكة والذين مع الرسول ﷺ، فلم يمكنه من دخول بيته الحرام في ذلك العام؛ لئلا يطؤوا من بمكة من المستضعفين من المؤمنين والمؤمنات فتصيب أصحاب الرسول ﷺ معرة بذلك الوطء والصنيع.

فهو لطف للمؤمنين والمؤمنات من الفريقين، فالدفع لهذا المعنى، ولذلك قال: ﴿لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فلطف الله للمؤمنين -لا للكفار- بواسطة المؤمنين.

---

(١) ذكر هذه الشبهة داود بن جرجيس العراقي في كتابه: صلح الإخوان.
وكتاب منهاج التأسيس والتقديس -كما سبق- رد عليه.

(٢) الحديبية: بضم الحاء وفتح الدال وسكون الياء وكسر الباء مع تشديد الياء الأخيرة أو تخفيفها -وجهان- منطقة إلى جوار مكة نزل فيها رسول الله ﷺ حين جاء للعمرة سنة ست للهجرة، وفيها بيعة الرضوان، سميت الحديبية لبئر كان هناك وقيل: لشجرة حدباء فيها، ويقع جزء منها في الحل وجزء في الحرم، والحديبية أبعد الحل عن المسجد الحرام.
انظر: معجم البلدان (٢/ ٢٢٩).
وعام الحديبية هو عام ٦ للهجرة حين جاء النبي للعمرة فصده الكفار فعقد معهم الهدنة التي تسمى صلح الحديبية.
وانظر قصة الحديبية في: السيرة النبوية لابن هشام (٣/ ٣٣٦)، المغازي للواقدي (٢/ ٥٧١)، البداية والنهاية (٤/ ١٦٤).

قال البغوي: «﴿وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَٰتٌ﴾ يعني المستضعفين بمكة، ﴿لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ﴾ أي: لم تعرفوهم، ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ بالقتل وتوقعوا بهم، ﴿فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ قال ابن زيد: إثم[١]، وقال ابن إسحاق: غرم الدية[٢]، وقيل: الكفارة[٣]؛ لأن الله عز وجل أوجب على قاتل المؤمن في دار الحرب إذا لم يعلم إيمانه الكفارة دون الدية فقال: ﴿فَإِن[٤] كَانَ مِن قَوْمٍ عَدُوٍّ لَّكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ﴾[٥]، وقيل: هؤلاء يعيبونكم ويقولون: قتلتم أهل دينكم[٦].

والمعرة: المشقة، يقول: لولا أن تطؤوا رجالاً مؤمنين ونساء مؤمنات لا تعلمونهم فتلزمكم بهم كفارة أو تلحقكم مسبة.

وجواب ﴿وَلَوْلَا﴾: محذوف، تقديره: لأذن لكم ولكنه حال بينكم وبين ذلك بغير علم منكم ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ فاللام في ﴿لِّيُدْخِلَ﴾ يتعلق بمحذوف دل عليه معنى الكلام[٧]، يعني حال بينكم وبين دخول مكة ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾ في دين الإسلام ﴿مَن يَشَآءُ﴾ من أهل مكة بعد الصلح قبل أن تدخلوها.

---

(١) رواه ابن جرير (٢٦/ ٦٥).

(٢) رواه ابن جرير (٢٦/ ٦٥).

(٣) وهذا القول هو اختيار ابن جرير -رحمه الله- وقد قوى اختياره بالتعليل الذي ساقه البغوي. انظر: الطبري (٢٦/ ٦٥)، وعزاه ابن الجوزي (٧/ ٤٤٠) لابن السائب.

(٤) جاء في الأصل: وإن. وهو خطأ والصواب المثبت أعلاه.

(٥) النساء: ٩٣.

(٦) حكاه ابن عطية (٥/ ١٣٧) عن المنذر بن سعيد، وحكى قولًا خامساً: أنه تألم النفس منه في باقي الزمن.
انظر الأقوال في: زاد المسير (٧/ ٤٤٠)، البحر المحيط (٨/ ٩٨).

(٧) انظر: تفسير الطبري (٢٦/ ٦٥).

﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ أي: لو تميزوا، أي: المؤمنين من الكافرين: ﴿لَعَذَّبۡنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡهُمۡ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ بالسبي والقتل بأيديكم.

وقال بعض أهل العلم[١]: ﴿لَعَذَّبۡنَا﴾ جواب لكل من الآيتين أحدهما: ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ﴾ والثاني: ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ ثم قال: ﴿لِّيُدۡخِلَ ٱللَّهُ فِي رَحۡمَتِهِۦ مَن يَشَآءُۚ﴾ يعني المؤمنين والمؤمنات في رحمته أي: في جنته.

ثم ذكر[٢] ذلك قتادة: «أن الله يدفع بالمؤمنين عن الكافرين، كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة[٣]»[٤].

ومراد قتادة: ما تقدم، من أن المقصود دفع المعرة والإثم عن المؤمنين ولم يرد: إن الله دفع عن الكافرين لأجل المؤمنين، كما يظنه هذا المفتري.

وعبارة ابن كثير[٥] وغيره من المفسرين متقاربة مثل ما هنا ليس فيها: إن الله دفع عن الكفار، بل فيها أن الله دفع عن المؤمنين أسباب المعرة والإثم، ودفع عن المستضعفين من المؤمنين بمكة أسباب المعرة أن يطأهم المؤمنون بالسيف وهم لا يعلمون.

وعلى كل تقدير: فالخطأ لازم للعراقي، ثم لو سلم له أن الله دفع عن الكافرين، وأنهم المقصودون بالدفع على فهمه الفاسد، فليس فيه ما يتمسك

(١) هذا من تمام كلام البغوي -رحمه الله تعالى- ولم أعثر على القائل بعينه، وقد قال الزمخشري (٣/ ٤٦٧): «ويجوز أن يكون ﴿لَوۡ تَزَيَّلُواْ﴾ كالتكرير لـ﴿وَلَوۡلَا رِجَالٞ مُّؤۡمِنُونَ﴾ لمرجعهما إلى معنى واحد ويكون لعذبنا هو الجواب». ا.هـ. وقد اعترَض أبو حيان (٨/ ٩٧) وقال: قوله: إن مرجعهما إلى معنى واحد ليس بصحيح. ا.هـ.

(٢) أي: البغوي رحمه الله.

(٣) رواه ابن جرير (٢٦/ ٦٥).

(٤) معالم التنزيل (٧/ ٣٢٠-٣٢١).

(٥) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ١٩٢).

به من أن المؤمنين يدعون مع الله ويستغاث بهم فيما لا يقدر عليه إلا الله، ويتوجه إليهم بالتعظيم والحب والخضوع والذبح والنذر والخشية والرجاء والاعتكاف عند قبورهم والطواف بها والحلف بهم تعظيماً لهم كما عليه المشركون وعباد الصليب[1].

---

(١) منهاج التأسيس والتقديس، ص ٣٨٨-٣٩٠.



قال تعالــى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ ۖ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦].

قال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

هذا القرب لا ينافي علوه على خلقه واستواءه على عرشه، وفي الحديث: «وأنت الظاهر فليس فوقك شـيء، وأنت الباطن فليس دونك شيء»[١]، ولا يعرف هذا من ضاق نطاقه عن الإيمان بما جاءت به الرسل، وإنما يعرفه رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين[٢]، ومن أسمائه: العلي الأعلى، ومن أسمائه: القريب[٣] المجيب[٤]، ومن أسمائه: الظاهر الباطن[٥][٦].

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) لمزيد من التفاصيل:
انظر: كلام شيخ الإسلام في الفتاوى (٥/ ٢٢٦) في الجمع بين علو الرب وقربه سبحانه وتعالى.

(٣) قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ﴾ [هود: ٦١].
وقربه تعالى نوعان:
الأول: قرب عام، وهو: إحاطة علمه بجميع الأشياء وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد.
الثاني: قرب خاص بالداعين والمحبين، وهو قرب يقتضي المحبة والنصر والتأييد والإجابة والإثابة ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦].
ا.هـ. من الحق الواضح المبين/ ٦٤.

(٤) فهو سبحانه المجيب لمن دعاه دعاء عبادة بالثواب ولمن دعاه دعاء مسألة بالإجابة قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠].

(٥) أحسن ما يفسر به هذان الاسمان التفسير النبوي كما في الحديث السابق فالظاهر: الذي ليس فوقه شيء، والباطن: الذي ليس دونه شيء فهذان الاسمان الكريمان لإثبات إحاطته المكانية سبحانه وتعالى.
وانظر: الفتاوى (٥/ ٢٤٤).

(٦) الدرر السنية (٣/ ٣٠٦-٣٠٧).



قال تعالى: ﴿كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الذاريات: ١٧-١٨].

قال الشيخ عبدالله أبابطين رحمه الله:

الهجوع: اسم للنوم بالليل[١].

والمشهور في معنى الآية: أنهم كانوا يهجعون قليلاً من الليل ويصلون أكثره.

وقيل المعنى: أنهم لا ينامــون كل الليل بل يصلون فيه إما في أوله أو في آخره[٢].

وأما الاستغفار فيراد به الاستغفار المعروف، وأفضله سيد الاستغفار[٣]، وقال بعض المفســرين: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ أي يصلون؛ لأن صلاتهم بالأسحار لطلب المغفرة. انتهى[٤][٥].

---

(١) انظر: معجم مقاييس اللغة (٦/ ٣٦)، مفردات القرآن (٨٣٤) (هجع).

(٢) قال الراغب (٨٣٤): ويجوز أن يكون معناه: لم يكونوا يهجعون، والقليل يعبر به عن النفي والمشارف لنفيه لقلته. ا.هـ.

وقال القرطبي: وقيل: ليس ﴿مَا﴾ صلة بل الوقف عند قوله: ﴿قَلِيلًا﴾ ثم يبتدئ ﴿مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ﴾ فـ ﴿مَا﴾ للنفي، وهو نفي النوم عنهم البتة. ا.هـ. (١٧/ ٣٦).

وانظر الأقوال في هذه الآية في: تفسير الطبري (٢٦/ ١٢١-١٢٣)، أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٧٢٩)، الكشاف (٤/ ٢٨).

(٣) روى البخاري في صحيحه، كتاب: الدعوات، باب: أفضل الاستغفار (١١/ ٩٧) «فتح» بسنده عن شداد بن أوس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «سيد الاستغفار أن يقول: اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت أبوء لك بنعمتك علي وأبوء لك بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. قال: ومن قالها من النهار موقناً بها فمات من يومه قبل أن يمسي فهو من أهل الجنة، ومن قالها من الليل وهو موقن بها فمات قبل أن يصبح فهو من أهل الجنة».

(٤) قال به جماعة من المفسرين ورواه الطبري (٢٦/ ١٢٤) عن الضحاك ومجاهد.

انظر: القرطبي (١٧/ ٣٧-٣٨)، ابن كثير (٤/ ٢٣٤)، الدر المنثور (٧/ ٦١٦).

(٥) الدرر السنية (٤/ ٣٧١).

قال تعالى: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴾ [الذاريات: ٥٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله**:**

قال شيخ الإسلام: «العبادة هي طاعة الله بامتثال ما أمر به على ألسنة الرسل».

وقال أيضاً: «العبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الباطنة والظاهرة»[(١)].

قال ابن القيم: «ومدارها على خمس عشرة قاعدة، من كملها كمل مراتب العبودية، وبيان ذلك أن العبادة منقسمة على القلب واللسان والجوارح، والأحكام التي للعبودية خمسة: واجب، ومستحب، وحرام، ومكروه، ومباح، وهن لكل واحد من القلب واللسان والجوارح»[(٢)].

وقال القرطبي: «أصل العبادة: التذلل والخضوع»[(٣)].

وسميت وظائف الشرع على المكلفين عبادات؛ لأنهم يتلزمونها ويفعلونها خاضعين متذللين لله تعالى.

وقال ابن كثير: «العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق معبد وغير معبد، أي مذلل. وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف»[(٤)]، وهكذا ذكر غيرهم من العلماء[(٥)].

---

(١) رسالة العبودية، ص٣٨، والرسالة في مجموع الفتاوى (١٠/ ١٤٩).
(٢) مدارج السالكين (١/ ١٠٩).
(٣) الجامع لأحكام القرآن (١/ ٢٢٥)، (١٧/ ٥٦).
(٤) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٥).
(٥) انظر: تفسير الطبري (١/ ١٦٠-١٦١)، المحرر الوجيز (١/ ٧٢).
وانظر ما سبق في تفسير الفاتحة.

ومعنى الآية: أن الله تعالى أخبر أنــه ما خلق الإنس والجن إلا لعبادته، فهذا هو الحكمة في خلقهم، ولم يرد منهم ما تريده السادة من عبيدها من الإعانة لهم بالرزق والإطعام، بل هو الرازق ذو القوة المتين، الذي يُطعِمُ ولا يُطْعَم، كما قال تعالى: ﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾[1] الآية.

وعبادته هي طاعته بفعل المأمور وترك المحظور، وذلك هو حقيقة دين الإســلام؛ لأن معنى الإسلام هو الاستســلام لله المتضمن غاية الانقياد في غاية الذل والخضوع.

قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الآية: «إلا لآمرهم أن يعبدوني، وأدعوهم إلى عبادتي»[2]، وقال مجاهد: «إلا لآمرهم وأنهاهم»[3].

واختاره الزجاج[4] وشـيخ الإسـلام[5]، قـال: «ويدل علـى هذا قوله: ﴿أَيَحْسَبُ ٱلْإِنسَٰنُ أَن يُتْرَكَ سُدًى﴾[6]، قال الشافعي: «لا يؤمر ولا ينهى»[7].

وقوله: ﴿قُلْ مَا يَعْبَؤُا۟ بِكُمْ رَبِّى لَوْلَا دُعَآؤُكُمْ﴾[8] أي لولا عبادتكم إياه.

وقد قال في القرآن في غير موضع: ﴿ٱعْبُدُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[9] ﴿ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمُ﴾[10].

---

(١) الأنعام: ١٤.

(٢) معالم التنزيل (٧/ ٣٨٠).

(٣) عزاه شيخ الإسلام في درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٧٦)، والفتاوى (٨/ ٥٢) لابن أبي حاتم وقال في الفتاوى: وهو المعروف عن مجاهد بالإسناد الثابت. ا.هـ.

(٤) معاني القرآن (٥/ ٥٨).

(٥) درء تعارض العقل والنقل (٨/ ٤٧٨)، الفتاوى (٨/ ٥٢).

(٦) القيامة: ٣٦.

(٧) لم أجد هذا النقل عن الشافعي ولم يذكره شيخ الإسلام عنه في الموضع المشار إليه. الفتاوى (٨/ ٥٢).

(٨) الفرقان: ٧٧.

(٩) في كثير من المواضع أولها في القرآن البقرة: ٢١.

(١٠) النساء: ١، وجاء القرآن بالأمر الصريح بالتقوى في أكثر من خمسين موضعاً، راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن مادة: (و ق ى)، (ص: ٧٥٨).

فقد أمرهم بما خلقوا له، وأرسل الرسل إلى الجن والإنس بذلك، وهذا المعنى هو الذي قصد بالآية قطعاً، وهو الذي يفهمه جماهير المسلمين ويحتجون بالآية عليه، ويقرون أن الله إنما خلقهم ليعبدوه العبادة الشرعية وهي طاعته وطاعة رسله لا ليضيعوا حقه الذي خلقهم له»[١].

قال: «وهذه الآية تشبه قوله تعالى: ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[٢]، وقوله: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٣]، ثم قد يطاع وقد يعصى. وكذلك ما خلقهم إلا للعبادة، ثم قد يعبدون وقد لا يعبدون. وهو سبحانه لم يقل: إنه فعل الأول وهو خلقهم ليفعل بهم كلهم الثاني وهو عبادته، ولكن ذكر الأول ليفعلوا هم الثاني فيكونوا هم الفاعلين له، فيحصل لهم بفعله سعادتهم، ويحصل ما يحبه ويرضاه منهم ولهم»[٤]. انتهى.

والآية دالة على وجوب اختصاص الخالق تعالى بالعبادة؛ لأنه سبحانه هو ابتدأك بخلقك والإنعام عليك بقدرته ومشيئته ورحمته من غير سبب منك أصلاً، وما فعله بك لا يقدر عليه غيره، ثم إذا احتجت إليه في جلب رزق أو دفع ضر، فهو الذي يأتي بالرزق لا يأتي به غيره، وهو الذي يدفع الضر لا يدفعه غيره.

كما قال تعالى: ﴿أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ جُندٌ لَّكُمْ يَنصُرُكُم مِّن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ۚ إِنِ

(١) الفتاوى (٨/ ٥٢-٥٣) باختصار.
(٢) البقرة: ١٨٥.
(٣) النساء: ٦٤.
(٤) الفتاوى (٨/ ٥٥-٥٦) باختصار.

ٱلْكَٰفِرُونَ إِلَّا فِى غُرُورٍ ۝٢٠ أَمَّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُۥ ۚ بَل لَّجُّوا۟ فِى عُتُوٍّ وَنُفُورٍ ۝٢١ ﴾[1]، وهو سبحانه ينعم عليك ويحســـن إليك بنفسه، فإن ذلك موجب ما تسمى به ووصف به نفســـه، إذ هو الرحمن الرحيم، الودود[2]، المجيد[3]، وهو قادر بنفسه، وقدرته من لوازم ذاته، وكذلك رحمته وعلمه وحكمته، لا يحتاج إلى خلقه بوجه من الوجوه، بل هو الغني عن العالمين ﴿وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴾[4]، فالرب سبحانه غني بنفسه، وما يســـتحقه من صفات الكمال ثابت له بنفسه، واجب له من لوازم ذاته، لا يفتقر في شيء من ذلك إلى غيره، ففعله وإحسانه وجوده من كماله، لا يفعل شيئاً لحاجة إلى غيره بوجه من الوجوه، بل كل ما يريد فعله فإنه فعال لما يريد، وهو ســـبحانه بالغ أمره فكل ما يطلبه فهو يبلغه ويناله ويصل إليـــه وحده ولا يعينه أحد، ولا يعوقه أحد، لا يحتاج في شـــيء من أموره إلى معين، وماله من المخلوقيـــن من ظهير، وليس له ولي من الذل، قاله شيخ الإسلام[5][6].

---

(١) الملك: ٢٠-٢١.

(٢) الودود: من الود وهو خالص المحبة، وهو المُحِبُّ المحبوب فالاسم يأتي على صيغة الفاعل والمفعول، فهو تعالى المُحِبُّ لأنبيائه وأوليائه وملائكته، وهو المحبوب تعالى لهم فحبهم له أعظم من حبهم لأنفسهم وأولادهم.
انظر: الحق الواضح المبين لابن سعدي (٦٩)، شرح النونية للهراس (٢/ ٩٦).

(٣) قال الشيخ عبدالرحمن السعدي في الحق الواضح المبين (٣٣): المجيد الذي له المجد العظيم، والمجد هو عظمة الصفات وسعتها، فكل وصف من أوصافه عظيم شأنه، فهو العليم الكامل في علمه الرحيم الذي وسعت رحمته كل شيء، القدير الذي لا يعجزه شيء، الحليم الكامل في حلمه الحكيم الكامل في حكمته إلى بقية أسمائه وصفاته. ا.هـ.

(٤) النمل: ٤٠، وقد وقع في الأصل: فمن شكر، وهو خطأ.

(٥) انظر: الفتاوى (١/ ٣٧-٣٨).

(٦) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٠-٣٣.

وقال الشيخ عبداللطيف بن عبدالرحمن رحمه الله:

ما ذكرت من كلام ابن العربي المالكي[(١)] في معنى قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ تأملته فوجدته قد اعتمد وعول في معنى هذه الآية على كلام القدرية المجبرة، وغلط في زعمه أن معناه لبعض أهل السنة.

وابن العربي إن لم يكن موافقاً لهم في أصل الجبر والقول به فقد يدخل عليه كلامهم وكلام نظائرهم ولا ينكره بل يأخذ به ويقرره إما جهلاً منه بأنه مخالف لقول أهل السنة، أو تقليداً لمن يحسن الظن به أو لأسباب أخر، وليس هذا خاصاً به، بل قد وقع فيه كثير من أتباع الأئمة المنتسبين إلى السنة.

فإن قوله في تفسير قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ أي: «إلا لتجري أفعالهم على مقتضى حكم المولى وإنما يخرج فعل العبد عن حكم (المولى) إذا كان مغلوباً، والغالب لا يخرج شيء عن فعله وهو الله وحده»[(٢)]. انتهى.

---

(١) محمد بن عبدالله بن العربي الأشبيلي الأندلسي، القاضي أبو بكر المالكي ولد عام ٤٦٨هـ، برع في التفسير والفقه والحديث وغيرها من العلوم، صحب الغزالي والطرطوشي وغيرهما، من مؤلفاته: أحكام القرآن، عارضة الأحوذي شرح الترمذي، العواصم من القواصم وغير ذلك، توفي عام ٥٤٣هـ.
انظر: البداية والنهاية (١٢/ ٢٢٨)، طبقات المفسرين للداودي (٢/ ١٦٧).
وقد جاء الكلام هكذا في الدرر السنية دون تقديم، والظاهر أن الشيخ -رحمه الله- سئل عن كلام ابن العربي -رحمه الله- فأجاب بذلك.

(٢) لم أجد هذا النص في مظانه من كتب ابن العربي رحمه الله والله أعلم.
وابن العربي على طريقة الأشاعرة في الاعتقاد.
انظر: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٢/ ٦٤٧)، والأشاعرة فيهم ميل إلى مذهب الجبرية في القدر، وإن لم يصلوا إلى حد موافقة جهم في أقواله وغلوه.
انظر أيضاً: موقف ابن تيمية من الأشاعرة (٣/ ١٣٠٩).

وهذا الكلام بعينه هو كلام القدرية المجبرة حكاه عنهم غير واحد، وهذا التعليل هو تعليلهم بعينه.

وهذا القول يقتضي أنه سبحانه خلق الشاكر ليشكر والفاجر ليفجر والكافر ليكفر فما خرج أحد عما خلق له على هذا القول؛ لأن القدر جاء بذلك كله.

والقدرية المجبرة دعاهم لهذا فيما يزعمون إبطال قول القدرية النفاة ومصادمتهم في قولهم: إن الإرادة هي الأمر يأمر بها الطائفتين، فهؤلاء عبدوه بأن أحدثوا إرادتهم وطاعتهم، وهؤلاء عصوه بأن أحدثوا إرادتهم ومعصيتهم، وحاصل قولهم إنكار القدر وأن الأمر أنف[1]، فقابلهم أولئك بالقول بالجبر وأنهم لا يخرجون من قدره وقضائه نظراً منهم إلى أن الأمر كائن بمشيئة الله وقدره، وأنه ما شاء كان وما لم يشأ لم يكن، وأنه تعالى خالق كل شيء وربه ومليكه، ولا يكون في ملكه شيء إلا بقدرته وخلقه ومشيئته كما قال تعالى: ﴿**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**﴾[2]، ﴿**مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[3]، ﴿**وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ**﴾[4]، ﴿**وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ**﴾[5]، ونحو ذلك من الآيات.

ولا ريب أن هذا أصل عظيم من أصول الإيمان لابد منه في حصول الإيمان، وبإنكاره ضلت القدرية النفاة، وخالفوا جميع الصحابة وأئمة الإسلام، ولكن لابد معه من الإيمان بالإرادة الشرعية الدينية التي نزلت بها الكتب السماوية ودلت عليها النصوص النبوية، وأئمة المسلمين قد أثبتوا

---

(١) أُنُف: قال النووي: أي مستأنف لم يسبق به قدر ولا علم من الله تعالى، وإنما يعلمه بعد وقوعه. ا.هـ. شرح مسلم (١/ ١٣٠).

(٢) القمر: ٤٩.

(٣) الأنعام: ١١١، وفي الأصل: وما كانوا، وهو خطأ.

(٤) الأنعام: ١١٢.

(٥) الإنسان: ٣٠.

هذه وهذه، وذكروا الجمع بينهما وآمنوا بكلا الأصلين، وفرقوا بين لام العلة الباعثة الفاعلة وبين لام الغاية والصيرورة والعاقبة[١].

والقرآن قد جاء ببيان اللامين:

فالأولى في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾[٢]، ﴿وَلِتُكْمِلُوا۟ ٱلْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ﴾[٣].

والثانية في قوله: ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾[٤]، ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا﴾[٥]، ﴿وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾[٦] على أحد القولين.

فمن نفى الإرادة الشرعية الأمرية فهو جبري ضال مبتدع.

ومن نفى الإرادة الكونية القدرية فهو قدري ضال مبتدع.

ومن قال: إن العبادة في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ بمعنى إلا لتجري أفعالهم على مقتضى إرادتي الكونية فقد أدخل جميع الخلق مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم في هذه العبادة، وجعل عابد الأصنام والشيطان والأوثان عابداً للرحمن قائماً بما خلق الله له الإنس والجان، لكن بمعنى جريان الإرادة القدرية الكونية عليهم لا بمعنى الاتحاد

(١) لام العلة: هي المتعلقة بخطاب التكليف، وقد يقع المراد وقد لا يقع، ولام العاقبة: هي المتعلقة بخطاب التكوين ولابد فيها من وقوع المراد.
انظر مع الأمثلة التي ساقها الشيخ ﷺ: ما ذكره أيضاً شيخ الإسلام ابن تيمية ﷺ في بيان معنى هاتين اللامين في الفتاوى (٨/ ١٨١)، رسالة مراتب الإرادة.

(٢) النساء: ٦٤.

(٣) البقرة: ١٨٥.

(٤) القصص: ٨.

(٥) الأعراف: ١٧٩.

(٦) هود: ١١٩.

والحلول الذي قاله صاحب الفصوص[(١)] وطائفة الاتحاد الكفار، وقال قائلون بالجبر: لا شك أن الخلق يعبدون بجريان الأقدار عليهم، يريدون أن ذلك هو المقصود بالآية كما سيأتي في حكاية هذا عن غيرهم.

والعبادة وإن كانت لغة أقصى غاية الذل والخضوع مطلقاً كما في قوله:

تُباري عتاقاً ناجياتٍ وأَتبعتْ ... وَضيفاً وَضيفاً فوقَ مورٍ معبد[(٢)]

فهي في الشرع أخص من ذلك؛ لأنها اسم للطاعة والانقياد للأوامر الشرعية الدينية التي دعت إليها الرسل ودلت عليه الكتب السماوية كما فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ﴾[(٣)] بتوحيد وإخلاص العبادة له[(٤)] نظراً منه إلى الحقيقة الشرعية لا إلى أصل الأوضاع اللغوية[(٥)].

---

(١) صاحب الفصوص هو: محمد بن علي بن محمد بن عربي الحاتمي الطائي، أبو عبدالله الأندلسي، رحل إلى مكة ودمشق والمغرب وغيرها من بلاد الإسلام، له كلام كثير في الأحوال والمقامات والتعبد والتزهد، يغلو فيه كثير من الصوفية وهو عندهم يسمى: الشيخ الأكبر. من مؤلفاته: الفتوحات المكية، صنفه بمكة في نحو عشرين مجلداً. قال ابن كثير: فيها ما يعقل وما لا يعقل، وما ينكر وما لا ينكر، وما يعرف وما لا يعرف، وله كتابه المسمى بفصوص الحكم، فيه أشياء كثيرة ظاهرها كفر صريح. ا.هـ.
وقال الذهبي: ومن أردأ تواليفه كتاب «الفصوص» فإن كان لا كفر فيه فما في الدنيا كفر نسأل الله العفو والنجاة فواغوثاه بالله. ا.هـ. وكتابه الفصوص مطبوع. توفي عام ٦٣٨هـ. انظر: السير (٢٣/ ٤٨)، البداية والنهاية (١٣/ ١٥٦).

(٢) من معلقة طرفة بن العبد يمدح ناقته أنها تسابق الإبل الجيدة المسرعة، والوضيف: ما بين الرسغ إلى الركبة، فوق مور معبد: طريق مذلل موطوء.
انظر: ديوان طرفة بن العبد (٣٥)، شرح المعلقات السبع للزوزني (٣٩)، تفسير الطبري (١/ ١٦١).

(٣) البقرة: ٢١.

(٤) قال ابن عباس رضي الله عنهما: اعبدوا ربكم أي وحدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم. ورواه ابن جرير (١/ ٣٦٣).
وانظر: تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة (٣٧٣).

(٥) انظر: الطبري (١/ ٣٦٢-٣٦٣).

وقد اعترضه ابن جرير هنا بأصل الوضع واللغة، والحق ما قاله ابن عباس خلافاً لابن جرير، بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ﴾[(١)].

وتعليلهم ما قالوه: بأن العبد لا يخرج عن فعل المولى إلا إذا كان المولى مغلوباً والله تعالى هو الغالب وحده، أو نحو هذا التعليل.

فهذا قد احتجوا به على القدرية النفاة، وهو احتجاج صحيح على من نفى القدر، وزعم أن العبد يخلق أفعال نفسه؛ لأن الله تعالى لا يعصى عنوة، بل علمه وقدرته وعزته وحكمته وربوبيته العامة وكلماته التامة التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر مانعة ومبطلة لقول القدرية النفاة، فإن الصحابة قاطبة وسائر أهل السنة والجماعة متفقون على أنه ما شاء الله كان وما لم يشأن لم يكن.

ويؤمنون بأن الله تبارك وتعالى عالم بجميع الكائنات قبل أن تكون كيف تكون، وغلاة منكري القدر قد أنكروا هذا العلم، فكفَّرهم بذلك الأئمة؛ أحمد وغيره[(٢)]. وأما من قال: بإثبات القدر خيره وشره حلوه ومره فلا يلزمه ولا يرد عليه ما ورد على القدرية النفاة من لزوم خروج العبد عن فعل المولى، وإن قال: إن العبد قد يخرج عن الإرادة الدينية الشرعية إلى ما يضادها من المعاصي والكفر والفسوق فيكون بذلك مخالفاً للأوامر

---

(١) الكافرون: ٣.

(٢) قال عبدالله بن أحمد في السنة: سمعت أبي رحمه الله -وسأله علي بن الجهم- عمن قال بالقدر يكون كافراً؟ قال: إذا جحد العلم. إذا قال: إن الله لم يكن عالماً حتى خلق علماً فعلم، فجحد علم الله عز وجل فهو كافر. ا.هـ. السنة (٢/ ٣٨٥).

وانظر: السنة للخلال (٣/ ٥٢٩).

وقال الشافعي رحمه الله: ناظروا القدرية بالعلم، فإن أقروا به خصموا وإن أنكروا كفروا. شرح العقيدة الطحاوية (٣٠٢).

الشرعية، وإن كان داخلاً تحت المشـيئة الكونية القدرية فالخروج عن القدر والمشيئة نوع والخروج عن الأوامر الشرعية نوع آخر.

فالأول غير ممكن لجميـع المخلوقات؛ لجريان الأقـدار عليهم طوعاً وكرهـاً، وأما الثانـي فيقع مـن الأكثـر ﴿وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ﴾[١]، ولله سـبحانه وتعالى في خروج الأكثر عن أمره حكمة يحبها ويرضاها لائقة بعلمه وقدره، وعدله وربوبيته يستحق أن يحمد عليها[٢].

وقد رأيت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى كلاماً حسناً في معنى قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ ذكر فيه ستة أقوال:

أحدها: قول نفاة الحِكَم، كالأشاعرة ومن وافقهم كالقاضي أبي يعلى[٣] وابن الزاغوني[٤] والجويني[٥]، والباجي[٦] وهو قول جهم بن صفوان ومن

---

(١) يوسف: ١٠٣.

(٢) عقد الإمام ابن القيم رحمه الله: في كتابه النافع شفاء العليل (١٧٨) باباً في تنْزيه القضاء الإلهي عن الشر وأوضح بجلاء أن ما يخلقه الله وإن كان في بعضه -في الظاهر- شر فإن فيه من الخير أضعاف ما فيه من الشر، حتى ما يتوهم أنه شر محض كخلق إبليس ونحوه.

(٣) محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء، القاضي الكبير أبو يعلى، إمام الحنابلة، ولد عام ٣٨٠هـ، ولي قضاء بغداد ونشر مذهب الإمام أحمد، له كتب كثيرة منها: العدة في أصول الفقه، الأحكام السلطانية وغيرها، توفي عام ٤٥٨هـ. انظر: المنهج الأحمد (٢/ ١٢٨)، الدر المنضد (١/ ١٩٨).

(٤) أبو الحسن علي بن عبدالله بن نصر بن عبيد الله الزاغوني البغدادي ولد عام ٤٥٥هـ، كان من بحور العلم وكبار الحنابلة في زمانه، صحبه ابن الجوزي زمناً وانتفع منه، توفي عام ٥٢٧هـ. انظر: السير (١٩/ ٦٠٥)، الدر المنضد (١/ ٢٤٢).

(٥) أبو المعالي عبدالملك بن عبدالله بن يوسف بن عبدالله الجويني، إمام الحرمين ولد عام ٤١٩هـ، شيخ الشافعية ورأس الأشاعرة في وقته، تفقه على أبيه وجلس للتدريس مكانه، اشتغل بعلم الكلام والمنطق. توفي عام ٤٧٨هـ. انظر: السير (١٨/ ٤٦٨)، طبقات الأسنوي (١/ ٤٠٩).

(٦) أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد التجيبي الأندلسي القرطبي الباجي -نسبة إلى باجة بلدة قرب أشبيلية- ولد عام ٤٠٣هـ رحل إلى الحجاز ودمشق وبغداد والموصل، وحصل علماً عظيماً، حدث عنه أبو عمر بن عبدالبر وأبو محمد بن حزم وغيرهما، توفي عام ٤٧٤هـ. انظر: السير (١٨/ ٥٣٥)، وفيات الأعيان (٢/ ٤٠٨).

اتبعه من المجبرة القائلين[١] بنفي الحكمة، وأنها تفضي إلى الحاجة، فنفوا أن يكون في القرآن لام كي، وقالوا: يفعل ما يشاء الله لا لحكمة، فأثبتوا القدرة والمشيئة، وهذا تعظيم، ونفوا الحكمة لظنهم أنها تستلزم الحاجة.

الثاني: قول المعتزلة ومن وافقهم، وهو أن الله تعالى يخلق ويأمر لحكمة تعود إلى العباد وهي: نفعهم والإحسان إليهم فلم يخلق ولم يأمر إلا لذلك لكن قالوا: بأنه يخلق من يتضرر بالخلق، فتناقضوا بذلك.

ثم افترقوا على قولين:

من أنكر القدر ووضع لربه شرعاً بالتجويز والتعديل، وهذا هو قول القدرية.

ومنهم: من أقر بالقدر، وقال: حكمته خفيت علينا، وهذا قول ابن عقيل[٢] وغيره من المثبتين للقدر، فهم يوافقون المعتزلة على إثبات الحكم وأنها ترجع إلى المخلوق ويقرون بالقدر.

الثالث: قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب لكن بحسب علمه، فقال: خلقهم ليعبدوه ويحمدوه، فمن وجد منه ذلك فهو مخلوق لها[٣] وهم المؤمنون، ومن لم يوجد منه ذلك فليس بمخلوق لها[٤]، قالوا: وهذه حكمة مقصودة وهي واقعة بخلاف الحكمة التي أثبتها المعتزلة، فإنهم أثبتوا حكمة هي نفع العباد، ثم قالوا: خلق من علم أنه لا ينتفع بالخلق بل يتضرر،

---

(١) في الأصل: قائلين، ولعل الأقرب المثبت أعلاه.

(٢) علي بن عقيل بن محمد بن عقيل بن أحمد البغدادي، أبو الوفاء الفقيه الأصولي ولد عام ٤٣١هـ، من أعلام مذهب الإمام أحمد، تتلمذ على القاضي أبي يعلى وأبي إسحاق الشيرازي، وبرع في الفقه والأصول وغير ذلك، له مؤلفات كثيرة منها: الفنون فيما يقرب من مئتي مجلد جمع فيه علوماً شتى، والإرشاد، والواضح وغيرها، توفي عام ٥١٣هـ.
انظر: المنهج الأحمد (٢/ ٢٥٢)، الدر المنضد (١/ ٢٣٧).

(٣) في الأصل دون: لها. وقد زدتها من الفتاوى (٨/ ٤٠)، والسياق يقتضيها.

(٤) في الأصل: له، والصواب المثبت أعلاه. وانظر: الفتاوى (٨/ ٤٠).

فتناقضوا، كما تقدم، ونحن أثبتنا حكمة علم أنها تقع فوقعت، وقد يخلق ما يتضرر بالخلق لنفع الآخرين، وفعل الشر القليل لأجل الخير الكثير حكمة كإنزال المطر لنفع العباد وإن تضرر البعض.

قالوا: وفي خلق الكفار وتعذيبهم اعتبار للمؤمنين وجهادهم ومصالحهم وهذا اختيار القاضي أبي خازم[١] ابن القاضي أبي يعلى قالوا: فقوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ هو مخصوص بمن وقعت منه العبادة، وهذا قول طائفة من السلف والخلف، وهو قول الكرامية[٢].

وعن سعيد بن المسيب في معنى الآية قال: «ما خلقت من يعبدني إلا ليعبدني»[٣]، كذلك قال الضحاك[٤] والفراء[٥] وابن قتيبة[٦]: هذا خاص بأهل طاعته. قال الضحاك: «هي للمؤمنين»[٧].

---

(١) محمد بن محمد بن الحسين بن محمد بن خلف بن أحمد بن الفراء أبو خازم القاضي ابن القاضي أبي يعلى، ولد عام ٤٥٧هـ، برع في مذهب الإمام أحمد، من مؤلفاته: شرح مختصر الخرقي، توفي عام ٥٢٧هـ.
انظر: المنهج الأحمد (٢/ ٢٧٩)، الدر المنضد (١/ ٢٤٣).

(٢) الكرامية: فرقة من فرق المرجئة ينسبون إلى محمد بن كرام السجستاني، ومذهبهم في الإيمان أنه مجرد الإقرار باللسان وأن المنافقين في عهد الرسول ﷺ كانوا مؤمنين على الحقيقة، وهم من الطوائف المثبتة للصفات إلا أن إثباتهم ينتهون فيه إلى التجسيم، ويجوزون الوضع في الحديث في الترغيب والترهيب.
انظر: الملل والنحل (١٠٨)، تدريب الراوي (١/ ٢٨٣).

(٣) نقله عنه ابن الجوزي في زاد المسير (٨/ ٤٢).

(٤) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٨).

(٥) قال الفراء في معاني القرآن (٣/ ٨٩): « ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ إلا ليوحدوني وهذه خاصة يقول: وما خلقت أهل السعادة من الفريقين إلا ليوحدوني. وقال بعضهم: خلقهم ليفعلوا ففعل بعضهم وترك بعض، وليس فيه لأهل القدر حجة». ا.هـ.

(٦) قال في تأويل مشكل القرآن (٢٨٢): قوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ يريد المؤمنين منهم، يدلك على ذلك قوله في موضع آخر: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] أي خلقنا. ا.هـ.

(٧) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٨).

وهذا اختيار أبي بكر ابن الطيب[١]، وأبي يعلى وغيرهما ممن يقول أنه لا يفعل لعلة.

قالوا: -واللفظ لأبي يعلى-: «هذا بمعنى الخصوص لا العموم؛ لأن البله والأطفال والمجانين لا يدخلون تحت الخطاب وإن كانوا من الإنس، وكذلك الكفار بدليل قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ﴾[٢] فمن خلق للشقاء لجهنم لم يخلق للعبادة»[٣].

قلت[٤]: قوله: وهذا قول طائفة من السلف والخلف يعني القول بالتخصيص في الآية لا أصل القول الثالث.

ثم قال شيخ الإسلام: قلت: قول الكرامية ومن وافقهم وإن كان أرجح من أقوال المعتزلة لما أثبتوه من حكمة الله، وقولهم في تفسير الآية وإن وافقوا فيه بعض السلف فهو قول ضعيف مخالف لقول الجمهور.

والقول الرابع: أنه على العموم، لكن المراد بالعبادة تعبيده لهم وقهرهم ونفوذ قدرته ومشيئته فيهم، وأنه أصارهم إلى ما خلقوا له من السعادة والشقاوة، وفسروا العبادة بالتعبيد القدري.

---

(١) محمد بن الطيب بن محمد بن جعفر أبو بكر الباقلاني، من كبار علماء الكلام وأحد رؤوس الأشاعرة، برع في الأصول وعلم الكلام والمنطق وغيرها، من كتبه: التمهيد، وإعجاز القرآن، وكشف أسرار الباطنية، توفي عام ٤٠٣هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٢٦٩)، سير أعلام النبلاء (١٧/ ١٩٠).

(٢) الأعراف: ١٧٩.

(٣) انظر: زاد المسير (٨/ ٤٣).

(٤) القائل: هو الشيخ: عبداللطيف رحمه الله.

وهذا يشبه قول من يقول من المتأخرين: «أنا كافر برب يعصى»[١] فإنه جعل كل ما يقع من العباد طاعة كما قال قائلهم:

أصبحتُ منفعلاً لما يختارُه منى ففعلي كلُه طاعات[٢]

وأما هؤلاء فجعلوا عبادة الله كون العباد تحت المشيئة، وكان بعض شيوخهم يقول عن إبليس: «إن كان قد عصى الأمر فقد أطاع القدر والمشيئة»[٣]، وما رواه ابن أبي حاتم عن زيد بن أسلم في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: «جبلهم على الشقاء والسعادة»[٤]، وقال وهب[٥]: جبلهم على الطاعة وجبلهم على المعصية، وقد روى أيضاً عن طائفة نحوه[٦].

وهؤلاء وإن وافقوا من قبلهم في معنى الآية فهم -أعني زيد بن أسلم

---

(١) نسبه شيخ الإسلام في الفتاوى (٨/ ٢٥٧) للحريري، وهو علي بن أبي الحسن بن منصور بن الحريري الحوراني، من غلاة الجبرية المدعين للحقيقة وشهود القدر، توفي عام ٦٤٥هـ.
انظر: منهاج السنة (٣/ ٢٥)، سير أعلام النبلاء (٢٣/ ٢٢٤)، العبر (٣/ ٢٥٢).

(٢) نسبه شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى (٨/ ٢٥٧) لابن إسرائيل، وهو محمد بن سوَّار بن إسرائيل الشيباني الدمشقي، صاحب الحديدي، المتوفى عام ٦٧٧هـ.
انظر ترجمته في: العبر (٣/ ٣٣٦)، البداية والنهاية (١٣/ ٢٨٣).

(٣) ذكره شيخ الإسلام رحمه الله في الفتاوى (٨/ ٢٥٧) عن بعض أصحاب الحريري المتقدم ذكره بلفظ: كقول الحريري: «أنا كافر برب يعصى»، وقول بعض أصحابه لما دعاه مكاس فقيل له: «هو مكاس» فقال: «إن كان عصى الأمر فقد أطاع الإرادة».

(٤) ورواه ابن جرير (٢٧/ ٨). وانظر: الدر المنثور (٧/ ٦٢٥).

(٥) وهب بن منبه بن كامل بن سيج بن ذي كبار، أبو عبدالله الصنعاني أخو همام ومعقل وغيلان، ولد عام ٣٤هـ، روى عن ابن عباس وجابر وغيرهما، وعنه عمرو بن دينار وعوف الأعرابي وغيرهما، أكثر من الإسرائيليات وكان عابداً زاهداً، له في الصحيحين حديث واحد، توفي عام ١١٤هـ.
انظر: السير (٤/ ٥٤٤)، وفيات الأعيان (٦/ ٣٧).

(٦) انظر: تفسير الطبري (٢٧/ ٨).

ووهب بن منبه- من أعظم الناس تعظيماً للأمر والنهي والوعد والوعيد، وأما من قبلهم فهم إباحية يسقطون الأمر والنهي.

والقول الخامس: قول من يقول: إلا ليخضعوا لي ويذلوا، قال: ومعنى العبادة في اللغة: الذل والانقياد، وكل مخلوق من الجن والإنس خاضع لقضاء الله ومتذلل لمشيئته لا يملك أحد لنفسه خروجاً عما خلق له.

وقد ذكر أبو الفرج[١] عن ابن عباس: «إلا ليقروا بالعبادة طوعاً وكرهاً» قال: «وبيان هذا قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾[٢]»[٣].

وهذه الآية توافق قول من قال: إلا ليعرفوني، كما سيأتي. وهؤلاء الذين أقروا بأن الله خالقهم لم يقروا بذلك كرهاً[٤] خلاف إسلامهم وخضوعهم له فإنه يكون كرهاً، وأما نفس الإقرار فهو فطري فطروا عليه وبذلوه طوعاً، وقال السدي: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم للعبادة ولكن من العبادة عبادة تنفع، ومن العبادة عبادة لا تنفع ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾[٥] الآية، هذا منهم عبادة وليس ينفعهم مع شركهم[٦].

---

(١) عبدالرحمن بن علي بن محمد بن علي الإمام أبو الفرج بن الجوزي، من ولد أبي بكر الصديق رضي الله عنه، برع في التفسير والحديث والوعظ والتاريخ، وصنف التصانيف المشهورة مثل: زاد المسير، والمنتظم، والموضوعات وغير ذلك، توفي عام ٥٩٧هـ. انظر: البداية والنهاية (١٣/ ٢٨)، طبقات المفسرين للسيوطي (٥٠).

(٢) الزمر: ٣٨.

(٣) زاد المسير (٨/ ٤٢).
والأثر رواه ابن جرير (٢٧/ ٨)، وابن أبي حاتم كما في الدر (٧/ ٦٢٤) وهذا القول هو ما رجحه ابن جرير رحمه الله. انظر: الموضع السابق.

(٤) راجع رسالة قنوت الأشياء كلها له تعالى، جامع الرسائل، الجزء الأول لشيخ الإسلام ابن تيمية.

(٥) الزمر: ٣٨.

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٣٨).

وهذا المعنى صحيح، ولكن المشــرك يعبد الشــيطان وما عدل به الله وهذا ليس مراد الآية، فإن مجــرد الإقرار بالصانع لا يســمي عبادة الله مع الشــرك به، ولكن يقال كما قال الله تعالــى: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ﴾[(١)][(٢)][(٣)].

---

(١) يوسف: ١٠٦.

(٢) انتهى كلام شيخ الإسلام. الفتاوى (٨/ ٣٧-٥٢) باختصار وتصرف.
ولم يذكر الشيخ عبداللطيف -رحمه الله- القول السادس الذي هو قول الجمهور وهو قول سلف الأمة فلعله تركه اكتفاء بتقريره له في صدر الكلام قبل ذكر الأقوال من كلام شيخ الإسلام.
ثم إن الشيخ عبداللطيف -رحمه الله- قد جمع بين الأقوال التي ذكرها شيخ الإسلام في حكمة الرب تبارك وتعالى وبين الأقوال في تفسير الآية مع اكتفائه ببعضها دون بعضها الآخر فنسوق الأقوال في الآية مرتبة كما ذكرها شيخ الإسلام رحمه الله:
الأول: قول من أثبت حكمة تعود إلى الرب بحسب علمه وقالوا: إن قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ مخصوص بمن وقعت منه العبادة (وهو القول الثالث في سياق الشيخ عبداللطيف).
الثاني: ما حكاه عن زيد بن أسلم ووهب.
الثالث: إلا ليخضعوا لي ويذلوا، وذكر قول ابن عباس.
الرابع: روى ابن أبي حاتم عن زائدة عن السدي ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ قال: خلقهم للعبادة، فمن العبادة عبادة تنفع، ومن العبادة عبادة لا تنفع... إلخ.
الخامس: ذكره ابن أبي حاتم عن ابن أبي جريج قال: ليعرفون، وروي عن قتادة وذكره البغوي عن مجاهد.
قال شيخ الإسلام: فهذه الأقوال الأربعة -الثاني والثالث والرابع والخامس- قول من عرف أن الآية عامة فأراد أن يفسرها بعبادة تعم الإنس والجن، واعتقد أنه إن فسرها بالعبادة المعروفة وهي الطاعة لله ولرسله لزم أن تكون واقعة منهم، ولم تقع، فأراد أن يفسرها بعبادة واقعة، وظن أنه إذا فسرها بعبادة لم تقع لزمه قول القدرية، وأنه خلقهم لعبادته فعصوه بغير مشيئته وغير قدرته، ففروا من قول القدرية -وهم معذورون في هذا الفرار- لكن فسروها بما لم يرد بها.
القول السادس: وهو الذي عليه جمهور المسلمين، أن الله خلقهم لعبادته وهو فعل ما أمروا به... إلخ، ثم ساق النصوص من الكتاب والسنة وأقوال سلف الأمة المؤيدة لهذا القول.

(٣) الدرر السنية (١٠/ ١٧٨-١٨٢).

قال تعالى: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّـٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢١﴾ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ ﴿٢٢﴾ إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَـٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ﴾ [النجم: ١٩-٢٣].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

قال القرطبي: «لما ذكر الوحي إلى النبي ﷺ وذكر من آثار قدرته ما ذكر، حاج المشركين إذ عبدوا ما لا يعقل وقال(١): أفرأيتم هذه الآلهة التي تعبدونها أَوْحَيْنَ إليكم شيئاً كما أوحي إلى محمد ﷺ، وكانت اللات لثقيف(٢)، والعزى لقريش وبني كنانة(٣)، ومناة لبني هلال(٤). وقال ابن هشام(٥):

(١) في الأصل: وقيل. وقد أثبت ما في التفسير؛ لأنه المناسب للسياق.

(٢) ثقيف: بطن من هوازن من عدنان نزل أكثرها في الطائف، وهي عدة بطون، زعم بعض النسابين أن ثقيفاً من بقايا ثمود، وكان الحجاج إذا سمع ذلك يقول: كذبوا، قال تعالى: ﴿وَثَمُودَا۟ فَمَآ أَبْقَىٰ﴾ [النجم: ٥١] أي: أهلكهم ولم يبق منهم أحداً.
انظر: نهاية الأرب (١٩٨)، الأنساب (٢/ ٨٥)، معجم قبائل العرب القديمة والحديثة، عمر كحالة (١/ ١٤٧).

(٣) قبيلة عظيمة من العدنانية، من سلسلة النسب النبوي، قيل: إن مساكنهم بجهات مكة وقيل: باليمن، ومن أشهر أيامهم يوم الفجار الأول والثاني والثالث.
انظر: نهاية الأرب (٤٠٨)، معجم قبائل العرب (٣/ ٩٩٦)، جامع أنساب قبائل العرب، سلطان السرحاني (٤٣).

(٤) بطن من عامر بن صعصعة من هوازن من العدنانية، كانوا يقطنون نجد والحجاز وأقاموا بالشام إلى أن ظعنوا إلى مصر والمغرب، ولرسول الله ﷺ منهم زوجتان: أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث، وأم المؤمنين زينب بنت خزيمة المعروفة بأم المساكين التي توفيت في حياته ﷺ.
انظر: نهاية الأرب (٤٤٣)، معجم قبائل العرب (٣/ ١٢٢)، الأعلام (٩/ ٩٢).

(٥) أبو محمد عبدالملك بن هشام بن أيوب الحميري، نشأ بالبصرة ورحل إلى مصر وغيرها، كان رحمه الله إماماً في النحو واللغة وأيام العرب، اختصر سيرة ابن إسحاق وهذبها، ومن مؤلفاته: التيجان لمعرفة ملوك الزمان، وهو مطبوع، توفي عام ٢١٨هـ وقيل غير ذلك. انظر: البداية والنهاية (١٠/ ٢٦٧)، سير أعلام النبلاء (١٠/ ٤٢٨).

كانت مناة لهذيل[١]، وخزاعة[٢]»[٣].

ذكر صفة هذه الأوثان:

ليعرف المؤمن كيفية الأوثان، وكيفية عبادتها، وما هو شرك العرب الذين كانوا يفعلونه حتى يفرق بين التوحيد والإخلاص وبين الشرك والكفر.

فأما اللات: فقرأ الجمهور بتخفيف التاء، وقرأ ابن عباس وابن الزبير ومجاهد وحميد وأبو صالح ورويس عن يعقوب اللات بتشديد التاء[٤].

---

(١) هذيل: بنو مدركة بن إلياس، من مضر، مساكنهم في وادي نخلة المجاور لمكة، ولهم منازل بين مكة والمدينة، ومنهم في جبال السراة، وكانوا أهل عدد وعدة، واشتهر كثير منهم في الجاهلية والإسلام. انظر: نهاية الأرب (٤٣٥)، الأعلام (٩/ ٧٣)، منهاج الطلب عن مشاهير قبائل العرب، للقاضي (١١١).

(٢) قبيلة من الأزد من القحطانية، ومن النسابين من يجعلهم من العدنانيين، والأكثر على الأول، وكانت منازلهم بالأبواء وعسفان، وكانوا حلفاء لقريش، وكانت ولاية البيت فيهم ٣٠٠ سنة. انظر: نهاية الأرب (٢٤٤)، معجم قبائل العرب (١/ ٢٣٨)، جامع أنساب قبائل العرب (٦٣).

(٣) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ٩٩). وأما النقل عن ابن هشام فلم أجده، وفي التفسير: وقال هشام والذي في السيرة لابن هشام (١/ ١٢٠): وكانت مناة للأوس والخزرج.

(٤) انظر: المحتسب (٢/ ٢٩٤)، النشر (٢/ ٣٧٩)، البدور الزاهرة (٣٠٦)، الطبري (٢٧/ ٣٥).
وحميد هو: حميد بن قيس الأعرج، أبو صفوان المكي القارىء، ثقة أخذ القراءة عن مجاهد وعرض عليه ثلاث مرات، توفي عام ١٣٠هـ.
انظر: غاية النهاية (١/ ٢٦٥).
وأبو صالح -لعله-: محمد بن عمير بن الربيع أبو صالح الهمذاني الكوفي القاضي المقرئ، عارف بحرف حمزة، طال عمره وبقي إلى حدود عشر وثلاثمئة.
انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٢٢).
أفادني بهذين فضيلة د. إبراهيم الدوسري جزاه الله خيراً.
ورويس هو: محمد بن المتوكل اللؤلؤي البصري أبو عبدالله المعروف برويس، أخذ القراءة عرضاً على يعقوب الحضرمي ورواها عنه محمد بن هارون التمار وغيره، كان إماماً مشهوراً جليلاً من أحذق أصحاب يعقوب، توفي عام ٢٣٨هـ بالبصرة. انظر: غاية النهاية (٢/ ٢٣٤).
ويعقوب هو ابن إسحاق بن زيد بن عبدالله الحضرمي، مولاهم أبو محمد البصري أحد القراء العشرة وإمام أهل البصرة ومقرئها وإمام جامعها سنين، من أعلم الناس بالحروف والاختلاف في القرآن ومذاهب النحويين، توفي عام ٢٠٥هـ. انظر: غاية النهاية (٢/ ٣٨٦)، النشر (١/ ١٨٦).

فعلى الأولى قال الأعمش: «سموا اللات من الإله والعزى من العزيز»[١]. قال ابن جرير: «وكانوا قد اشتقوا اسمها من الله تعالى، فقالوا اللات مؤنثة منه -تعالى الله عن قولهم علواً كبيراً-»[٢].

قال: «وكذا العزى من العزيز»[٣].

قال ابن كثير: «وكانت صخرة بيضاء منقوشة عليها بيت بالطائف، له أستار وسدنة، وحوله فناء معظم عند أهل الطائف، وهم ثقيف ومن تابعها، يفتخرون به على من عداهم من أحياء العرب بعد قريش»[٤].

قال ابن هشام: «وكانت في موضع مسجد[٥] الطائف اليسرى، فلم يزل كذلك إلى أن أسلمت ثقيف، فبعث رسول الله ﷺ المغيرة بن شعبة فهدمها وحرقها بالنار».

وعلى الثانية: قال ابن عباس: «كان رجلاً يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره»[٦]، ذكره البخاري، وقال ابن عباس: «كان يبيع السويق والسمن عند صخرة وَيَلُتّه عليها، فلما مات ذلك الرجل عبدت ثقيف تلك الصخرة إعظاماً لصاحب السويق»[٧]، وعن مجاهد نحوه، وقال: «فلما مات عبدوه»[٨]،

---

(١) لم أقف عليه عن الأعمش، وهو بمعناه عن كثير من السلف.
(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ٣٤).
(٣) تفسير الطبري (٢٧/ ٣٤).
(٤) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٣).
(٥) الظاهر -والله أعلم- أن الصواب: في موضع منارة مسجد الطائف اليسرى والمعنى على هذا النحو أكثر استقامة. انظر: القرطبي (١٧/ ٩٩).
(٦) رواه البخاري، كتاب: التفسير، سورة النجم، باب: ﴿ أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴾ (٦/ ٥١).
(٧) انظر: تفسير القرطبي (١٧/ ١٠٠).
(٨) الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٦٤).
انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

رواه سعيد بن منصور[١] والفاكهي[٢]، وكذا روى ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أنهم عبدوه[٣]. وقال ابن جريج: «كان رجل من ثقيف يلت السويق بالزيت، فلما توفي جعلوا إلى قبره وثناً»[٤]، وبنحو ذلك قالت جماعة من أهل العلم.

ولا تخالف بين القولين، فإن من قالوا: إنها صخرة، لم ينف أن تكون صخرة على القبر أو حواليه فعظمت وعبدت تبعاً لا قصداً، فالعبادة إنما أرادوا بها صاحب القبر، فهو الذي عبدوه بالأصالة، يدل على ذلك ما روى الفاكهي عن ابن عباس: «أن اللات لما مات قال لهم عمرو بن لحي: إنه لم يمت، ولكنه دخل الصخرة فعبدوها، وبنوا عليها بيتاً»[٥].

فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين بناء القباب على القبور، والعكوف عندها ودعائها، وجعلها ملاذاً عند الشدائد.

وأما العزى: قال ابن جرير: كانت شجرة عليها بناء وأستار بنخلة بين مكة والطائف كانت قريش يعظمونها، كما قال أبو سفيان يوم أحد: لنا العزى ولا عزى لكم، فقال رسول الله ﷺ: «قولوا الله مولانا ولا مولى لكم»[٦]، وروى

---

(١) سعيد بن منصور بن شعبة الطالقاني البلخي أو عثمان المروزي الإمام صاحب السنن سمع مالكاً والليث وغيرهما، وعنه أحمد ومسلم وغيرهما، وكان من الثقات الأثبات المتقنين مات بمكة عام ٢٢٧هـ.
انظر: تذكرة الحفاظ (٢/ ٤١٦).

(٢) أبو محمد عبدالله محمد بن العباس المكي الفاكهي الإمام صاحب كتاب أخبار مكة، سمع أبا يحيى بن أبي مسرَّة، وروى عنه الحاكم وغيره، توفي عام ٣٥٣هـ.
انظر: السير (١٦/ ٤٤).

(٣) انظر: الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

(٤) رواه ابن المنذر.
انظر: الدر (٧/ ٦٥٣).

(٥) الفاكهي في أخبار مكة (٥/ ١٦٤)، وانظر: الدر المنثور (٧/ ٦٥٣).

(٦) لم أجد هذا الكلام في تفسير الطبري. =

النسائي وابن مردويه عن أبي الطفيل قال: «لما فتح رسول الله ﷺ مكة بعث خالد بن الوليد إلى نخلة[1] وكانت بها العزى، فأتاها خالد وكانت على ثلاث سَمُرَات، فقطع السمرات[2] وهدم البيت الذي كان عليها، ثم أتى النبي ﷺ فأخبره، فقال: ارجع فإنك لم تصنع شيئاً. فرجع خالد فلما أبصرته السدنة وهم حجبتها امتنعوا في الجبل وهو يقولون: يا عزى يا عزى. فأتاها خالد فإذا امرأة عريانة ناشرة شعرها تحفن التراب على رأسها فعلاها بالسيف حتى قتلها، ثم رجع إلى رسول الله ﷺ فأخبره فقال: تلك العزى»[3].

قال ابن هشام: وكانوا يسمعون منها الصوت. وقال أبو صالح: العزى نخلة كانوا يعلقون عليها السيور والعِهن[4]. ورواه عبد بن حميد وابن جرير.

فتأمل فعل المشركين مع هذا الوثن، ووازن بينه وبين ما يفعله عباد القبور من دعائها والذبح عندها وتعليق الخيوط وإلقاء الخرق في ضرائح الأموات ونحو ذلك، فالله المستعان.

= وهو في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٥٣) بعد كلام ساقه الحافظ لابن جرير، والظاهر أنه من كلام ابن كثير والله أعلم. والحديث رواه البخاري كتاب: المغازي (٧/ ٣٤٩) عن البراء بن عازب «فتح».

(١) واد بين مكة والطائف.
انظر: معجم البلدان (٥/ ٢٧٧).

(٢) السمرات: جمع سمرة وهي شجرة الطلح.
انظر: لسان العرب [سمر] (٤/ ٣٧٩).

(٣) رواه النسائي في الكبرى كما ذكر ذلك الحافظ المزي في تحفة الأشراف (٤/ ٢٣٥).
وانظر: الدر المنثور (٧/ ٦٥٢).
وراجع خبر هدمها في: السيرة النبوية لابن هشام (٤/ ٨٦)، الطبقات (٢/ ١٤٥)، أخبار مكة للأزرقي (١/ ١٥٠-١٥٢).

(٤) ذكره السيوطي في الدر (٧/ ٦٥٣) وعزاه لعبد بن حميد وابن جرير.

وأما مناة: فكانت بالمُشَلَّل عند قُدَيد[١] بين مكة والمدينة، وكانت خزاعة والأوس والخزرج يعظمونها، ويهلون منها للحج إلى الكعبة، وأصل اشتقاقها من اسم الله المنان.

وقيل: من منى الله الشيء إذا قدره.

وقيل: سميت مناة؛ لكثرة ما يُمنَى، أي: يراق عندها من الدماء للتبرك بها[٢].

قال ابن هشام: «فبعث رسول الله ﷺ علياً فهدمها عام الفتح»[٣].

قال ابن إسحاق في (السيرة): «وقد كانت العرب اتخذت مع الكعبة طواغيت، وهي: بيوت تعظمها كتعظيم الكعبة، لها سدنة وحجاب، وتهدي لها كما يهدى للكعبة، وتطوف بها وتنحر عندها، وهي تعرف فضل الكعبة عليها؛ لأنها كانت قد عرفت أنها بيت إبراهيم عليه السلام ومسجده»[٤].

قلت: هذا الذي ذكره ابن إسحاق من شرك العرب هو بعينه الذي يفعله عباد القبور، بل زادوا على الأولين.

إذا تبين هذا فمعنى الآية كما قال القرطبي: «إن فيها حذفاً تقديره: أفرأيتم هذه الآلهة هل نفعت أو ضرت حتى تكون شركاء لله؟!»[٥].

---

(١) قديد موضع قرب مكة من جهة المدينة قيل: إنه لما رجع تُبَّع من حرب المدينة نزل قديد فهبت ريح قدت خيام أصحابه فسمي قديداً، وقيل غير ذلك.
والمُشَلَّل: جبل يهبط منه إلى قديد من جهة البحر.
انظر: معجم البلدان (٥/ ١٣٦)، (٤/ ٣١٣).

(٢) انظر الأقوال في: الجامع للقرطبي (١٧/ ١٠١)، البحر المحيط (٨/ ١٥٩)، روح المعاني (١٥/ ٨٥).

(٣) السيرة النبوية (١/ ١٢٠) ونصه: فبعث رسول الله ﷺ إليها أبا سفيان بن حرب فهدمها. ويقال: علي بن أبي طالب. ا.هـ.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام (١/ ١١٨).

(٥) الجامع لأحكام القرآن (١٧/ ١٠٢).

وقال غيره: «﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ ذم، وهي المتأخرة الوضيعة المقدار كقوله: ﴿قَالَتۡ أُخۡرَىٰهُمۡ لِأُولَىٰهُمۡ﴾[(١)] أي: وضعاؤهم لرؤسائهم»[(٢)].

وقوله: ﴿أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ﴾ قال ابن كثير: «أي: أتجعلون له ولداً وتجعلون ولده أنثى، وتختارون لكم الذكور؟!»[(٣)].

وقال غيره: «يجوز أن يراد اللات والعزى ومناة إناث، وقد جعلتموهن لله شركاء، ومن شأنكم أن تحتقروا الإناث وتستنكفوا من أن يولدن لكم، أو ينسبن إليكم، فكيف تجعلون هؤلاء الإناث أنداداً وتسمونهن آلهة؟!»[(٤)].

قلت: ما أقرب هذا القول إلى سياق الآية.

وقوله: ﴿تِلۡكَ إِذٗا قِسۡمَةٞ ضِيزَىٰٓ﴾ أي: جور وباطلة، فكيف تقاسمون ربكم هذه القسمة التي لو كانت بين مخلوقين كانت جوراً وسفهاً، فتنزهون أنفسكم عن الإناث، وتجعلونهن لله، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً؟.

وقوله: ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ قال ابن كثير: «ثم قال منكراً عليهم فيما ابتدعوه وأحدثوه من الكذب والافتراء والكفر من عبادة الأصنام وتسميتها آلهة ﴿إِنۡ هِيَ إِلَّآ أَسۡمَآءٞ سَمَّيۡتُمُوهَآ أَنتُمۡ وَءَابَآؤُكُم﴾ أي: من تلقاء أنفسكم.

---

(١) الأعراف: ٣٨، وفي الأصل ﴿وَقَالَتۡ أُولَىٰهُمۡ لِأُخۡرَىٰهُمۡ﴾ والمثبت من الكشاف، وهو الموافق للسياق.

(٢) الكشاف (٤/ ٣٩-٤٠).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٤).

(٤) الكشاف (٤/ ٤٠).

﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: من حجة، ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ﴾ أي: ليس لهم مستند إلا حسن ظنهم بآبائهم الذين سلكوا هذا المسلك الباطل قبلهم، وإلا حظ أنفسهم في رياستهم، وتعظيم آبائهم الأقدمين!»[(١)].

وقوله: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ قال ابن كثير: «ولقد أرسل الله إليهم الرسل بالحق المنير، والحجة القاطعة، ومع هذا ما تبعوا ما جاؤوهم به ولا انقادوا له»![(٢)].

قلت: في هذه الآيات من الدلائل القطعية على بطلان عبادة هذه الطواغيت، وأشباهها ما لا مزيد عليه، فسبحان من جعل كلامه شفاء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين:

منها: أنها أسماء مؤنثة دالة على اللين والرخاوة، وما كان كذلك فليس بإله.

ومنها: أنكم قاسمتم الله بزعمكم فجعلتم له هذه الأسماء المؤنثة شركاء، ودعوتم له الأولاد ثم جعلتموهم بنات واختصصتم بالذكور، فجعلتم له المكروه الناقص ولكم المحبوب الكامل ﴿لِلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ مَثَلُ ٱلسَّوۡءِۖ وَلِلَّهِ ٱلۡمَثَلُ ٱلۡأَعۡلَىٰۚ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[(٣)].

ومنا: أنها أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم، وابتدعتموها.

ومنها: ﴿مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلۡطَٰنٍ﴾ أي: حجة وبرهان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٥٤).
(٢) المرجع السابق.
(٣) النحل: ٦٠.

ومنها: أنكم لم تستندوا في تســميتها إلى علم ويقين، وإنما استندتم في ذلك إلى الظن والهوى اللذين هما أصلا الهلاك دنيا وأخرى.

ومنها: ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ أي: بإبطال عبادتها، وما كان كذلك فهو عين المحــال البين البطلان، وكل واحد من هذه الأدلة كاف شــاف في بطلان عبادتها[1].

قال تعالى: ﴿وَكَم مِّن مَّلَكٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٦].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله ﵀:

قال أبو حيــان: «﴿وَكَم﴾ خبرية ومعناها التكثيــر، وهي في موضع رفع بالابتــداء والخبر ﴿لَا تُغۡنِي﴾. والغناء:[2] جلب النفع ودفع الضرر بحســب الأمر الذي يكون فيه الغنى. و﴿وَكَم﴾: لفظها مفرد ومعناها جمع. وإذا كانت الملائكة المقربون لا تغني شفاعتهم إلا بعد إذن الله ورضاه -أن يرضاه أهلاً للشفاعة- فكيف تشفع الأصنام لمن عبدها؟![3]».

قلت: في هذه الآيات من الرد على من عبد الملائكة والصالحين لشفاعة أو غيرها ما لا يخفى؛ لأنهم إذا كانوا لا يشفعون إلا بإذن من الله ابتداء، فلأي معنى يُدعون ويُعبدون؟.

وأيضاً فإن الله لا يــأذن إلا لمن ارتضى قوله وعملــه، وهو الموحد لا

---

(١) تيسير العزيز الحميد، ص ١٤٣-١٤٨.
(٢) في البحر المحيط: والغنى (٨/ ١٦١).
(٣) البحر المحيط (٨/ ١٦١) باختصار.

المشرك كما قال: ﴿ يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ[١] أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُۥ قَوْلًا ﴾[٢] والله لا يرتضي إلا بالتوحيد كما قال: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴾[٣].

وقال النبي ﷺ: «أسعد الناس بشفاعتي من قال لا إله إلا الله خالصاً من قلبه»[٤] فلم يقل: أسعد الناس بشفاعتي من دعاني.

فإن قال المشرك: أنا أعلم أنهم لا يشفعون إلا بإذنه لكن أدعوهم ليأذن الله لهم في الشفاعة لي.

قيل: فإن الله لم يجعل الشرك به ودعاء غيره سبباً لإذنه ورضاه، بل ذلك سبب لغضبه، ولهذا نهى عن دعاء غيره في غير آية كقوله: ﴿ وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ ۖ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾[٥].

فتبين أن دعاء الصالحين من الملائكة والأنبياء وغيرهم شرك كما كان المشركون الأولون يدعونهم ليشفعوا لهم عند الله، فأنكر الله عليهم ذلك، وأخبر أنه لا يرضاه ولا يأمر به كما قال تعالى: ﴿ وَلَا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ وَٱلنَّبِيِّۦنَ أَرْبَابًا ۗ أَيَأْمُرُكُم بِٱلْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾[٦]، وقال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟ وَرَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾[٧] الآية.

---

(١) في الأصل: إلا لمن، وهو خطأ.
(٢) طه ١٠٩.
(٣) آل عمران: ٨٥.
(٤) سبق تخريجه، سورة طه الآية ١٠٩.
(٥) يونس: ١٠٦.
(٦) آل عمران: ٨٠.
(٧) البقرة: ١٦٦.

قال ابن كثير: «تبرأت منهم الملائكة الذين كانوا يزعمون أنهم يعبدونهم في الدنيا، فتقول الملائكة: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾[١]»[٢][٣].

---

(١) القصص: ٦٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم (١/ ٢٠٢).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٢٤١، ٢٤٢.

سورة الواقعة

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ٧٧ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ٧٨ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلۡمُطَهَّرُونَ ٧٩ تَنزِيلٞ مِّن رَّبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨٠ أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ ٨١ وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ ٨٢﴾ [الواقعة: ٧٧-٨٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

عن ابن عباس قال: «مطر الناس على عهد النبي ﷺ، فقال النبي صلى عليه وسلم: أصبح من الناس شاكر ومنهم كافر، قالوا: هذه رحمة الله، وقال بعضهم: لقد صدق نوء كذا وكذا، قال فنزلت هذه الآية ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ حتى بلغ ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ أَنَّكُمۡ تُكَذِّبُونَ﴾»[(١)].

قوله: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ هذا قسم من الله عز وجل يقسم بما شاء من خلقه، وهو دليل على عظمة المقسم به وتشريفه، وتقديره: أقسم بمواقع النجوم، ويكون جوابه: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ﴾، فعلى هذا تكون (لا) صلة لتأكيد النفي، فتقدير الكلام: ليس الأمر كما زعمتم في القرآن أنه سحر أو كهانة، بل هو قرآن كريم.

قال ابن جرير: «وقال بعض أهل العربية: معنى قوله: ﴿فَلَآ﴾: فليس الأمر كما تقولون، ثم استؤنف القسم بعد، فقيل: ﴿أُقۡسِمُ﴾»[(٢)].

ومواقع النجوم: قال ابن عباس: «يعني نجوم القرآن، فإنه نزل جملة ليلة القدر من السماء العليا إلى السماء الدنيا ثم نزل مفرقاً في السنين بعد»، ثم قرأ ابن عباس هذه الآية[(٣)].

---

(١) رواه الإمام مسلم، كتاب: الإيمان، باب: بيان كفر من قال: مطرنا بنوء (٢/ ٢٤٧).

(٢) تفسير الطبري (٢٧/ ١١٧).

(٣) رواه ابن جرير (٢٧/ ١١٧)،والحاكم في المستدرك كتاب: التفسير ٢/ ٤٧٧ وقال: صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي، وانظر: الدر المنثور (٨/ ٢٥).

ومواقعها: نزولها شيئاً بعد شيء.

وقيل: النجوم هي الكواكب، ومواقعها: مساقطها عند غروبها.

قال مجاهد: «مواقع النجوم يقال: مطالعها ومشارقها»[1]، واختاره ابن جرير[2].

وعلى هذا فتكون المناسبة بين ذكر النجوم في القسم وبين المقسم عليه وهو القرآن من وجوه:

أحدها: أن النجوم جعلها الله يهتدى بها في ظلمات البر والبحر، وآيات القرآن يهتدى بها في ظلمات الغي والجهل؛ فتلك هداية في الظلمات الحسية، وآيات القرآن هداية في الظلمات المعنوية؛ فجمع بين الهدايتين.

مع ما في النجوم من الزينة الظاهرة للعالم، وفي القرآن من الزينة الباطنة.

ومع ما في النجوم من الرجوم للشياطين، وفي آيات القرآن من رجوم شياطين الإنس والجن.

والنجوم آياته المشهودة العيانية، والقرآن آياته المتلوة السمعية.

مع ما في مواقعها عند الغروب من العبرة والدلالة على آياته القرآنية ومواقعها عند النزول[3]، ذكره ابن القيم.

---

(١) رواه ابن جرير (٢٧/ ١١٧) بلفظ: مطالعها ومساقطها. وهو المعنى الذي رجحه ابن جرير بقوله: «وأولى الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك فلا أقسم بمساقط النجوم ومغايبها في السماء». ا.هـ.

(٢) انظر: تفسير الطبري (٢٧/ ١١٧).

(٣) التبيان في أقسام القرآن (١٣٨).

وقوله: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوۡ تَعۡلَمُونَ عَظِيمٌ ﴾ قال ابن كثير: «أي: وإن هذا القسم الذي أقسمت به لقسم عظيم، لو تعلمون عظمته لعظمتم المقسم عليه»[١].

وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرۡءَانٞ كَرِيمٞ ﴾ هذا هو المقسم عليه هو القرآن أي: إنه وحي الله وتنزيله وكلامه، لا كما يقول الكفار: إنه سحر وكهانة أو شعر، بل هو قرآن كريم أي: عظيم كثير الخير؛ لأنه كلام الله.

قال ابن القيم: «فوصفه بما يقتضي حسنه[٢] وكثرة خيره ومنافعه وجلالته، فإن الكريم هو البهي الكثير الخير العظيم النفع، وهو من كل شيء أحسنه وأفضله، والله سبحانه وصف نفسه بالكرم ووصف به كلامه ووصف به عرشه ووصف به ما كثر خيره وحسن منظره من النبات وغيره، ولذلك فسر السلف الكريم بالحسن. قال الأزهري[٣]: «الكريم اسم جامع لما يحمد»[٤]. والله تعالى كريم جميل الفعال، وإنه لقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان، والعلم والحكمة»[٥].

وقوله: ﴿ فِي كِتَٰبٖ مَّكۡنُونٖ ﴾ قال ابن كثير: «أي: معظم، في كتاب معظم محفوظ موقر»[٦].

---

(١) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٨).

(٢) في الأصل: حسنا، والمثبت من التبيان.

(٣) أبو منصور محمد بن أحمد بن الأزهر الأزهري اللغوي الإمام المشهور، ولد عام ٢٨٢هـ بهراة، كان إماماً صالحاً فقيهاً بارعاً في اللغة، أسر أيام امتحان الأمة بفتنة القرامطة فوقع عند عرب نشؤوا في البادية يتكلمون بطباعهم لا يكاد يوجد في منطقهم لحن فأفاد منهم ألفاظاً ونوادر أودعها كتابه: تهذيب اللغة، توفي عام ٣٧٠هـ.
انظر: وفيات الأعيان (٤/ ٣٤٤)، بغية الوعاة (١/ ١٩).

(٤) تهذيب اللغة (١٠/ ٢٣٤).

(٥) التبيان في أقسام القرآن (١٤١).

(٦) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٨) ولفظه: أي معظم في كتاب محفوظ موقر. ا.هـ.

وقال ابن القيم: «اختلف المفسرون في هذا فقيل: هو اللوح المحفوظ، والصحيح: أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة وهو المذكور في قوله: ﴿فِي صُحُفٍ مُّكَرَّمَةٍ ﴿١٣﴾ مَّرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ﴿١٤﴾ بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ﴿١٥﴾ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ﴿١٦﴾﴾[1]، ويدل على أنه الكتاب الذي بأيدي الملائكة قوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ فهذا يدل على أنه بأيديهم يمسونه»[2].

وقوله: ﴿لَّا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ﴾ قال ابن عباس: «لا يمسه إلا المطهرون قال: الكتاب الذي في السماء»[3]، وفي رواية: «لا يمسه إلا المطهرون يعني: الملائكة»[4]، وقال قتادة: «لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فإنه يمسه المجوسي النجس والمنافق الرجس. قال: وفي قراءة ابن مسعود (ما يمسه إلا المطهرون)[5]. واختار هذا القول كثيرون منهم ابن القيم ورجحه[6].

وقال ابن زيد[7]: «زعمت قريش أن هذا القرآن تنزلت به الشياطين فأخبر

---

(١) عبس: ١٣-١٦.

(٢) التبيان في أقسام القرآن (١٤١).

(٣) رواه ابن جرير من طريق سعيد بن جبير (٢٧/ ١١٨)، وعزاه السيوطي في الدر أيضاً لآدم وعبد بن حميد وابن المنذر والبيهقي في المعرفة (٨/ ٢٦).

(٤) رواه ابن جرير من طريق عطية عن ابن عباس (٢٧/ ١١٨) ورواه أيضاً عن سعيد بن جبير وجابر بن زيد وأبي نهيك وعكرمة.

(٥) رواه عبدالرزاق في التفسير (٢/ ٢٧٣) دون آخره، ورواه ابن جرير (٢٧/ ١١٩) بتمامه، وعزاه السيوطي لعبد بن حميد. انظر: الدر (٨/ ٢٦).

(٦) انظر: التبيان في أقسام القرآن (١٤١).

(٧) جابر بن زيد الأزدي البصري، أبو الشعثاء، مشهور بكنيته، قال الحافظ في التقريب: ثقة فقيه، توفي عام ٩٣هـ.
انظر: التهذيب (١٣٦)، الكاشف (١/ ١٢١).

الله تعالى أنه لا يمسه إلا المطهرون كما قال: ﴿وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ ٱلشَّيَـٰطِينُ﴾ إلى قوله: ﴿لَمَعْزُولُونَ﴾[(١)]»[(٢)].

قال ابن كثير: «وهذا قول جيد وهو لا يخرج عن القول قبله»[(٣)].

وقال البخاري في (صحيحه) في هذه الآية: «لا يجد طعمه إلا من آمن به»[(٤)]. قال ابن القيم: «وهذا من إشارة الآية وتنبيهها وهو أنه لا يلتذ به وبقراءته وفهمه وتدبره إلا من يشهد أنه كلام الله تكلم به حقاً، وأنزله على رسوله وحياً، ولا ينال معانيه إلا من لم يكن في قلبه منه حرج بوجه من الوجوه»[(٥)].

وقال آخرون: لا يمسه إلا المطهرون أي: من الجنابة والحدث قالوا: ولفظ الآية خبر ومعناه الطلب. قالوا: والمراد بالقرآن ههنا المصحف كما في حديث ابن عمر مرفوعاً: «نهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو مخافة أن يناله العدو»[(٦)]، واحتجوا على ذلك بما رواه مالك في (الموطأ) عن عبدالله بن محمد بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم[(٧)] أنه في

---

(١) الشعراء: ٢١٠-٢١٢.

(٢) انظر: تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٨).

(٣) المرجع السابق والقول الذي قبله هو ما ذكره الشيخ سليمان ﷺ قبل قول جابر.

(٤) لم أجده في مظانه من الصحيح، وكذلك هو في التبيان (١٤٤) معزو للصحيح. وقد قال الحافظ ابن كثير ﷺ قال الفراء: لا يجد طعمه ونفسه إلا من آمن به. ا.هـ. (٤/ ٢٩٨)، وفي معاني القرآن للفراء (٣/ ١٣٠): لا يجد طعمه ونفعه. والله أعلم.

(٥) التبيان في أقسام القرآن (١٤٤).

(٦) رواه البخاري، كتاب: الجهاد، باب: كراهية السفر بالمصاحف إلى أرض العدو (٦/ ١٣٣) «فتح» ومسلم، كتاب: الإمارة، باب: النهي أن يسافر بالمصحف إلى أرض العدو (١٣/ ١٤).
فائدة: اختلف العلماء في اللفظة الأخيرة من الحديث «مخافة أن يناله العدو» أهي منه أم مدرجة من كلام مالك ﷺ وقد رجح الحافظ في الفتح (٦/ ١٣٤) أنها مرفوعة، والله أعلم.

(٧) عبدالله بن أبي بكر بن محمد بن عمرو بن حزم أبو محمد الأنصاري، الإمام الحافظ صاحب =

الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمرو بن حزم[١]: «ألَّا يمس القرآن إلا طاهر»[٢].

وقوله: ﴿تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ قال ابن كثير: «أي: هذا القرآن منزل من الله رب العالمين، وليس كما يقولون: إنه سحر أو كهانة أو شعر، بل هو الحق الذي لا مرية فيه وليس وراءه حق نافع»[٣].

وفي هذه الآية: إثبات أنه كلام الله تكلم به. قال ابن القيم: «ونظيره: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى﴾[٤]، وقوله: ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾[٥]»[٦]، وإثبات علو الله سبحانه على خلقه، فإن النزول والتنزيل

= المغازي وشيخ ابن إسحاق، حدث عن أنس وعروة وغيرهما، وعنه الزهري وابن جريج ومالك وغيرهم، توفي عام ١٣٠هـ.
انظر: سير أعلام النبلاء (٥/ ٣١٤)، تهذيب التهذيب (٥/ ١٦٤).

(١) عمرو بن حزم بن زيد بن لوذان بن عمرو بن عبد عوف الأنصاري الخزرجي النجاري يكنى أبا الضحاك، أول مشاهده الخندق، واستعمله الرسول ﷺ على أهل نجران وهو ابن سبع عشرة سنة، وكتب لهم كتاباً فيه الفرائض والسنن والصدقات والديات، مات عام ٥١هـ.
انظر: أسد الغابة (٣/ ٧١١)، الكاشف (٢/ ٢٨٢).

(٢) رواه مالك في الموطأ مرسلًا (١/ ١٩٩)، وعبدالرزاق في المصنف (١/ ٣٤١)، والدارقطني في السنن (١/ ١٢١)، والحاكم في المستدرك (٣/ ٤٨٥) وصححه ووافقه الذهبي، والبغوي في التفسير (٨/ ٢٣)، وفي شرح السنة (٢/ ٤٧)، والبيهقي (١/ ٨٨)، والطبراني في الكبير (١٢/ ٣١٣) وقال الدارقطني: مرسل ورواته ثقات (١/ ١٢١)، وقال ابن حجر في التلخيص (١/ ١٣١): إسناده لا بأس به، وقد حسنه جمع من الحفاظ بمجموع طرقه، وقال ابن عبدالبر: لا خلاف عن مالك في إرسال هذا الحديث، وقد روي مسنداً من وجه صالح، وهو كتاب مشهور عند أهل السير، معروف عند أهل العلم معرفة يستغنى بها في شهرتها عن الإسناد، وصححه الألباني.
انظر: صحيح الجامع الصغير (٦/ ٢٥٠)، وإرواء الغليل (١/ ١٥٨) رقم (١٢٢)، وانظر هذا القول في تفسير ابن كثير (٤/ ٢٩٨).

(٣) تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٨).

(٤) السجدة: ١٣.

(٥) النحل: ١٠٢.

(٦) التبيان في أقسام القرآن (١٤٥).

الذي تعقله العقول وتعرفه الفطر هو وصول الشيء من أعلى إلى أسفل، ولا يرد عليه قوله: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾[١] لأنا نقول: إن الذي أنزلها فوق سماواته فأنزلها لنا بأمره[٢].

قال ابن القيم: «وذكر التنزيل مضافاً إلى ربوبيته للعالمين المستلزمة لملكه لهم، وتصرفه فيهم، وحكمه عليهم، وإحسانه وإنعامه عليهم، وأن من هذا شأنه مع الخلق كيف يليق به من ربوبيته التامة أن يتركهم سدى، ويدعهم هملاً، ويخلقهم عبثاً، لا يأمرهم ولا ينهاهم، ولا يثيبهم ولا يعاقبهم؟ فمن أقر بأنه رب العالمين أقر بأن القرآن تنزيله على رسوله؟ واستدل بكونه رب العالمين على ثبوت رسالة رسوله وصحة ما جاء به، وهذا الاستدلال أقوى وأشرف من الاستدلال بالمعجزات والخوارق وإن كانت دلالتها أقرب إلى أذهان عموم الناس، وتلك إنما تكون لخواص العقلاء»[٣].

وقوله: ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ﴾ قال مجاهد: «أي: تريدون أن تمالِئوهم وتركنوا إليهم»[٤]، قال ابن القيم: «ثم وبخهم سبحانه على وضعهم الإدهان في غير موضعه وأنهم يداهنون فيما حقه أن يصدع به ويفرق به ويعض عليه بالنواجذ وتثنى عليه الخناصر وتعقد عليه القلوب والأفئدة ويحارب ويسالم لأجله ولا يلتوى عنه يمنة ولا يسرة، ولا يكون للقلب التفات إلى غيره، ولا محاكمة إلا إليه ولا مخاصمة إلا به ولا اهتداء في طرق المطالب العالية إلا بنوره ولا شفاء إلا به، فهو روح الوجود، وحياة العالم

---

(١) الزمر: ٦.

(٢) ثم إن إنزال القرآن يذكر مقيداً بأنه من عند الله تعالى وأما إنزال الأنعام فذكر مطلقاً.
انظر: شرح العقيدة الطحاوية (١٩٥-١٩٦).

(٣) التبيان (١٤٥-١٤٦).

(٤) رواه ابن جرير (٢٧/ ١١٩)، وعزاه السيوطي في الدر (٨/ ٢٨) أيضاً لعبد بن حميد وابن المنذر.

ومدار السعادة، وقائد الفلاح، وطريق النجاة، وسبيل الرشاد، ونور البصائر، فكيف تطلب المداهنة بما هذا شأنه؟! ولم ينزل للمداهنة، وإنما أنزل بالحق وللحق، والمداهنة إنما تكون في باطل قوي لا تمكن إزالته أو في حق ضعيف لا تمكن إقامته، فيحتاج المداهن إلى أن يترك بعض الحق ويلتزم بعض الباطل، فأما الحق الذي قام به كل حق فكيف يداهن فيه؟»[1][2].

وقوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ روى الإمام أحمد والترمذي وحسنه وابن جرير وابن أبي حاتم والضياء في المختارة عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ﴾ يقول: شكركم أنكم تكذبون، يقولون: مطرنا بنوء كذا وكذا وبنجم كذا وكذا»[3]، وهذا أولى ما فسرت به الآية.

وروي ذلك عن علي وابن عباس وقتادة والضحاك وعطاء الخراساني وغيرهم[4]، وهو قول جمهور المفسرين، وبه يظهر وجه استدلال المصنف بالآية على الترجمة[5]، فالمعنى على هذا: وتجعلون شكركم لله على ما أنزل إليكم من الغيث والمطر والرحمة أنكم تكذبون أي: تنسبونه إلى غيره.

وقال ابن القيم: «أي تجعلون حظكم من هذا الرزق الذي به حياتكم التكذيب

---

(١) التبيان في أقسام القرآن (١٤٧).

(٢) تيسير العزيز الحميد، ص ٤٠٥-٤٠٩.

(٣) رواه الإمام أحمد (١/ ١٠٨) رقم (٨٤٩)، وابن جرير (٢٧/ ١١٩)، والترمذي (٩/ ٣٥) وقال: حسن غريب وفي نسخة زيادة: صحيح، وضعفه الشيخ أحمد شاكر في المسند (٢/ ٨٤٨)، ورواه ابن جرير عن ابن عباس مرفوعاً (٢٧/ ١٢٠)، وصحح ابن كثير إسناده (٤/ ٢٩٩). انظر: الدر المنثور (٨/ ٢٩)، النهج السديد (١٦٩).

(٤) انظر: تفسير الطبري (٢٧/ ١١٩-١٣٠)، تفسير زاد المسير (٨/ ١٥٤)، تفسير القرآن العظيم (٤/ ٢٩٩)، الدر المنثور (٨/ ٢٨-٣٠).

(٥) باب: ما جاء في الاستسقاء بالأنواء، كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبدالوهاب ﷺ.

به، يعني: القرآن»[١]، قال الحسن: تجعلون حظكم ونصيبكم من القرآن أنكم تكذبون»[٢]، قال: وخسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به.

قلت: والآية تشمل المعنيين[٣].

---

(١) بلفظ مقارب في: التبيان في أقسام القرآن (١٤٨).

(٢) رواه عبد بن حميد كما في الدر المنثور (٨/ ٣٠).

(٣) تيسير العزيز الحميد، ص ٣٩٦، ٣٩٧.

سورة الحديد

قال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد: ٤].

قال الشيخ حمد بن معمر رحمه الله:

قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ يتضمن إبطال قول الملاحدة القائلين بقدم العالم وأنه لم يزل وأنه لم يخلقه بقدرته ومشيئته، ومن أثبت منهم وجود الرب جعله لازماً لذاته أزلاً وأبداً غير مخلوق، كما هو قول ابن سينا[(١)] وأتباعه الملاحدة.

قال تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ يتضمن إبطال قول المعطلة الذين يقولون: ليس على العرش سوى العدم، وأن الله ليس مستوياً على العرش، ولا ترفع إليه الأيدي، ولا تجوز الإشارة إليه بالأصابع إلى فوق، كما أشار النبي ﷺ في أعظم مجامعه، وجعل يرفع أصبعه إلى السماء وينكبها إلى الناس، ويقول: «اللهم اشهد»[(٢)].

فأخبر في هذه الآية الكريمة: أنه على عرشه، وأنه ﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ ثم قال: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ فأخبر أنه مع علوه على خلقه، وارتفاعه، ومباينته لهم، معهم بعلمه أينما كانوا.

---

(١) الحسين بن عبدالله بن سينا أبو علي الفيلسوف، الملقب بالرئيس، ولد عام ٣٧٠هـ، في إحدى قرى بخارى، كان من أهل دعوة الحاكم من القرامطة الباطنيين وكذلك كان أبوه، له كتب في الطب والفلسفة وغير ذلك، منها: الشفاء والإشارات، توفي عام ٤٢٨هـ.
انظر: لسان الميزان (٢/ ٢٩١)، الأعلام (٢/ ٢٤١).

(٢) رواه مسلم، كتاب: الحج، باب: حجة النبي ﷺ (٨/ ٣٢٧) من حديث جابر الطويل.

قال الإمام مالك: «الله في السماء، وعلمه في كل مكان، لا يخلو منه شيء»[(١)]، وقال نعيم بن حماد لما سئل عن معنى هذه الآية: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ «معناه: أنه لا يخفى عليه خافية بعلمه»[(٢)].

وليس معنى قوله تعالى: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ أنه: مختلط بالخلق، فإن هذا لا توجبه اللغة، وهو خلاف ما أجمع عليه سلف الأمة وأئمتها، وخلاف ما فطر الله عليه الخلق، بل القمر آية من آيات الله، من أصغر مخلوقاته، هو موضوع في السماء، وهو مع المسافر وغير المسافر أينما كان.

وهو سبحانه فوق العرش، رقيب على خلقه، مهيمن عليهم[(٣)] إلى غير ذلك من معاني ربوبيته، وأخبر تعالى أنه ذو المعارج تعرج الملائكة والروح إليه، وأنه القاهر فوق عباده، على عرشه، وأنه معنا حق على حقيقته، لا يحتاج إلى تحريف، ولكن يصان عن الظنون الكاذبة.

وهو سبحانه، قد أخبر أنه قريب من خلقه، قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾[(٤)].

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾[(٥)]، وقال النبي ﷺ: «إن الذي تدعونه أقرب إلى

---

(١) رواه الآجري في الشريعة (٢٨٩)، والذهبي في العلو، وصححه الألباني. انظر: مختصر العلو (١٤٠).

(٢) رواه الذهبي في العلو (١٢٦)، وصححه الألباني في المختصر (١٨٤).

(٣) المهيمن: المطلع على خفايا الأمور وخبايا الصدور، الذي أحاط بكل شيء علماً. تفسير السعدي (٥/ ٦٢٤).

(٤) البقرة: ١٨٦.

(٥) ق: ١٦.

أحدكم من عنق راحلته»[١]، وقال تعالى: ﴿مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾[٢]، وكل ما في الكتاب والسنة من الأدلة الدالة على قربه ومعيته لا ينافي ما ذكر من علوه وفوقيته، فإنه سبحانه علي في دنوه، قريب في علوه.

وقد أجمع سلف الأمة على أن الله -سبحانه وتعالى- فوق سماواته على عرشه، وهو مع خلقه بعلمه أينما كانوا يعلم ما هم عاملون، وقال حنبل بن إسحاق[٣]: قيل لأبي عبدالله: ما معنى ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ قال: «علمه محيط بالكل، وربنا على العرش بلا حد، ولا صفة»[٤][٥].

---

(١) رواه مسلم، كتاب: الذكر، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر (٧/ ١٩٣).

(٢) المجادلة: ٧.

(٣) حنبل بن إسحاق بن هلال بن أسد، الإمام الحافظ، ابن عم الإمام أحمد وتلميذه روى عن الحميدي وأبي الوليد الطيالسي وغيرهما، وعنه ابن صاعد وأبو بكر الخلال وغيرهم، جمع مسائل كثيرة عن الإمام أحمد، وتوفي عام ٢٥٣هـ.
انظر: طبقات الحنابلة (١/ ١٤٣)، السير (١٣/ ٥١).

(٤) شرح أصول اعتقاد أهل السنة (٣/ ٤٠٢)، والذهبي في العلو (١٣٠).

(٥) الدرر السنية (٣/ ٦٠-٦٢).



قال تعالى: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ۚ أُوْلَـٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [المجادلة: ٢٢].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

أخبر تعالى أنك ﴿لَّا تَجِدُ﴾ من كان ﴿يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾ ولو كان أقرب قريب، وأن هذا مناف للإيمان مضاد له، لا يجتمع هو والإيمان إلا كما يجتمع الماء والنار، وقد قال تعالى في موضع آخر: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُوٓاْ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّواْ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَـٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾[1]، ففي هاتين الآيتين البيان الواضح أنه لا عذر لأحد في الموافقة على الكفر خوفاً على الأموال والآباء والأبناء والإخوان والأزواج والعشائر ونحو ذلك مما يتعذر به كثير من الناس.

إذا كان لم يرخص لأحد في موالاتهم واتخاذهم أولياء بأنفسهم، خوفاً منهم وإيثاراً لمرضاتهم فكيف بمن اتخذ الكفار الأباعد أولياء وأصحاباً، وأظهر لهم الموافقة على دينهم، خوفاً على بعض هذه الأمور ومحبة لها، ومن العجب استحسانهم لذلك واستحلالهم له، فجمعوا مع الردة استحلال الحرام[2].

---

(١) التوبة: ٢٣.
(٢) الدرر السنية (٧/ ٦٧-٦٨).

قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [الحشر: ١١].

قال الشيخ سليمان بن عبدالله رحمه الله:

عقد الله تعالى الأخوة بين المنافقين والكفار، وأخبر أنهم يقولون لهم في السر: لئن أخرجتم لنخرجن معكم، أي: لئن غلبكم محمد ﷺ وأخرجكم من بلادكم ﴿لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا﴾ أي: لا نسمع من أحد فيكم قولاً ولا نعطي فيكم طاعة.

﴿وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ﴾ أي إن قاتلكم محمد ﷺ لننصرنكم ونكون معكم، ثم شهد الله أنهم لكاذبون في هذا القول.

فإذا كان وعد المشركين في السر بالدخول معهم ونصرهم والخروج معهم إن جلوا نفاقاً وكفراً وإن كان كذباً فكيف بمن أظهر ذلك صادقاً، وقدم عليهم، ودخل في طاعتهم، ودعا إليهم ونصرهم وانقاد لهم، وصار من جملتهم، وأعانهم بالمال والرأي؟ هذا مع أن المنافقين لم يفعلوا ذلك إلا خوفاً من الدوائر كما قال تعالى: ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَى أَنْ تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ﴾[1]، وهكذا حال كثير من هؤلاء المرتدين في هذه الفتنة، فإن عذر كثير منهم هو هذا[2] العذر الذي ذكره الله عن الذين في قلوبهم مرض، ولم يعذرهم الله به قال تعالى: ﴿فَعَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَى مَا أَسَرُّوا فِي أَنْفُسِهِمْ نَادِمِينَ ۝٥٢ وَيَقُولُ الَّذِينَ

(١) المائدة: ٥٢.

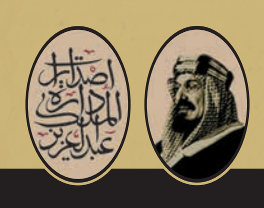
(٢) في الأصل: هذا هو. ولعل المثبت أعلاه أقرب.

ءَامَنُوٓاْ أَهَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ إِنَّهُمۡ لَمَعَكُمۡۚ حَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ فَأَصۡبَحُواْ خَٰسِرِينَ ٥٣﴾[١].

ثم قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾[٢] فأخبر تعالى أنه لابد عند وجود المرتدين من وجود المحبين المجاهدين، ووصفهم بالذلة والتواضع للمؤمنين والعزة والغلظة والقسوة على الكافرين، بضد من كان تواضعه وذله ولينه لعباد القباب وأهل القحاب واللواط وعزته وغلظته على أهل التوحيد والإخلاص، فكفى بهذا دليلاً على كفر من وافقهم، وإن ادعى أنه خائف فقد قال تعالى: ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾[٣]، وهذا بضد من يترك الصدق والجهاد خوفاً من المشركين، ثم قال تعالى: ﴿يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾[٤] أي: في توحيده صابرين على ذلك ابتغاء وجه ربهم؛ لتكون كلمة الله هي العليا ﴿وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖ﴾ أي: لا يبالون بمن لامهم وآذاهم في دينهم بل يمضون على دينهم مجاهدين فيه غير ملتفتين للوم أحد من الخلق ولا لسخطه ولا لرضاه وإنما همتهم وغاية مطلوبهم رضا سيدهم ومعبودهم والهرب من سخطه، وهذا بخلاف من كانت همته وغاية مطلوبه رضا عباد القباب وأهل القحاب واللواط ورجاءهم والهرب مما يسخطهم، فإن هذا غاية الضلال والخذلان، ثم قال تعالى: ﴿ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾[٥] فأخبر الله تعالى أن هذا الخير العظيم والصفات الحميدة لأهل الإيمان الثابتين على دينهم عند وقوع

---

(١) المائدة: ٥٢-٥٣.
(٢) المائدة: ٥٤.
(٣) المائدة: ٥٤.
(٤) المائدة: ٥٤.
(٥) المائدة: ٥٤.



تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الأول



أ.د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

أ.د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع



الجزء الأول





يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهورها إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

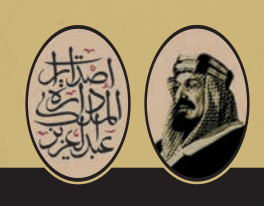
كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير والتي راوحت بين كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم والتي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.

ISBN 978-603-8128-83-1

ردمك: ٩٧٨ - ٦٠٣ - ٨١٢٨ - ٨٣ - ١ (ج١)
ردمك: ٩٧٨ - ٦٠٣ - ؟؟ - ؟ - ؟ (مجموعة)



٣؟؟



تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الثاني



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع



الجزء الثاني





يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهورها إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير والتي راوحت بين كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم والتي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.

ISBN 978-603-8128-83-1

ردمك: ١ - ٨٣ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

ردمك: ? - ? - ?? - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)



سلسلة الرسائل الجامعية – ٤٨



تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الأول



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

تفسير علماء الدعوة في نجد

الجزء الأول



هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهور الدعوة إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير التي شملت كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم التي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين. ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.



ردمك: ١ - ٢٠ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)
ردمك: ١ - ٨٣ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)





سلسلة الرسائل الجامعية – ٤٨

٣٤٥

تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الثاني



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

تفسير علماء الدعوة في نجد

الجزء الثاني



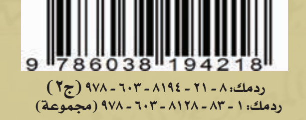
هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهور الدعوة إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير التي شملت كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم التي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين. ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.

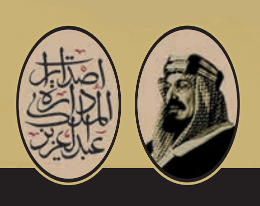


ISBN: 978-603-8194-21-8
9 786038 194218



ردمك: ٨ - ٢١ - ٨١٩٤ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)
ردمك: ١ - ٨٣ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)

دارة الملك عبدالعزيز



٣؟؟

تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الأول



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

تفسير علماء الدعوة في نجد

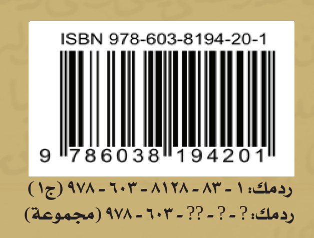
الجزء الأول



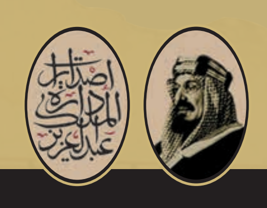
هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهورها إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختصت به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير التي راوحت بين كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفاسيرهم التي ركزت في بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب


ISBN 978-603-8194-20-1
ردمك: ١ - ٨٣ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج١)
ردمك: ? - ? - ?? - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)





تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الثاني



أ. د. محمد بن سريّع بن عبدالله السريّع

أ. د. محمد بن سريّع بن عبدالله السريّع



الجزء الثاني



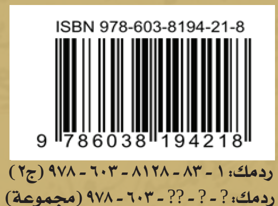
دارة الملك عبدالعزيز

هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهورها إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير والتي راوحت بين كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم والتي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.





ISBN 978-603-8194-21-8

9 786038 194218

ردمك: ١ - ٨٣ - ٨١٢٨ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (ج٢)

ردمك: ؟ - ؟ - ؟؟ - ٦٠٣ - ٩٧٨ (مجموعة)



دارة الملك عبدالعزيز



سلسلة الرسائل الجامعية - ٤٨

٣٤٥

تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الأول



أ. د. محمد بن سريع بن عبدالله السريع

أ. د. محمد بن سريّع بن عبدالله السريع

تفسير علماء الدعوة في نجد

الجزء الأول





هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهور الدعوة إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري. ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير التي شملت كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم التي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.



ISBN: 978-603-8194-20-1

ردمك: ١-٢٠-٨١٩٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج١)

ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)



دارة الملك عبدالعزيز

٣٤٥

سلسلة الرسائل الجامعية – ٤٨



تفسير علماء الدعوة في نجد

إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري

جمع ودراسة

الجزء الثاني



أ. د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

أ. د. محمد بن سريع بن عبد الله السريع

تفسير علماء الدعوة في نجد

الجزء الثاني



هذا الكتاب

يجمع جهود علماء الدعوة الإصلاحية في تفسير آيات القرآن الكريم منذ ظهور الدعوة إلى بداية القرن الرابع عشر الهجري، ويقدم تراجم موجزة لهؤلاء العلماء، موضحاً آثار الدعوة في إصلاح العقيدة وبعث الحركة العلمية وإصلاح الجوانب السياسية والاجتماعية، مبيناً منهاج أولئك العلماء في التفسير، الذي يعتمد على الأثر والرأي الممدوح، مشيراً إلى ما اختص به منهاجهم في التفسير من بيان العقيدة وربط الآيات بالواقع وسهولة التناول ووضوح الأسلوب، واحتذاء نهج السلف الصالح.

كما أشار الكتاب إلى أبرز مصادر هؤلاء العلماء في التفسير التي شملت كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها، موضحاً أبرز الموضوعات التي تناولوها في تفسيراتهم التي ركزت على بيان أنواع التوحيد والرد على المخالفين، ثم يعرض الكتاب تفاسير أولئك العلماء مرتبة حسب ترتيب السور والآيات في المصحف، مرتباً النقول عن العلماء في الآية الواحدة حسب تقدم الوفاة.



ISBN: 978-603-8194-21-8

ردمك: ٨-٢١-٨١٩٤-٦٠٣-٩٧٨ (ج٢)

ردمك: ١-٨٣-٨١٢٨-٦٠٣-٩٧٨ (مجموعة)



دارة الملك عبدالعزيز

كانت تنزل عليهم الشياطين رواهما ابن ابي حاتم وقال مجاهد الطاغوت الشيطان في صورة
الانسان يتحاكمون اليه وهو صاحب امرهم وقال مالك الطاغوت كل ما عبد من دون الله
قلت وهو صحيح لكن لا بد فيه من استثناء من لا يرضى بعبادته وقال ابن القيم الطاغوت
ما تجاوز به العبد حده من معبود او متبوع او مطاع فطاغوت كل قوم من يتحاكمون
اليه غير الله ورسوله او يعبدونه من دون الله او يتبعونه على غير بصيرة من الله او
يطيعونه فيما لا يعلمون انه طاعة لله فهذه طواغيت العالم اذا تاملتها وتاملت احوال
الناس معها رايت اكثرهم ممن اعرض عن عبادة الله الى عبادة الطاغوت وعن طاعة الله وطاعة
ومتابعة رسوله صلى الله عليه وسلم الى طاعة الطاغوت ومتابعته واما معنى الاية فاخبر
تعالى انه بعث في كل امة اي في كل طائفة وقرن من الناس رسولا بهذه الكلمة ان اعبدوا الله
واجتنبوا الطاغوت اي اعبدوا الله وحده واتركوا عبادة ما سواه فلهذا خلقت الخليقة
وارسلت الرسل وانزلت الكتب كما قال تعالى وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله
الا انا فاعبدون وقال تعالى قل انما امرت ان اعبد الله ولا اشرك به اليه ادعو واليه مآب وهذه
الاية هي معنى لا اله الا الله فانها تضمنت النفي والاثبات كما تضمنته لا اله الا الله ففي قوله
اعبدوا الله الاثبات وفي قوله اجتنبوا الطاغوت النفي فدلت الاية على انه لا بد في الاسلام
من النفي والاثبات فيثبت العبادة لله وحده وينفي عبادة ما سواه وهو التوحيد الذي
تضمنته سورة قل يا ايها الكافرون وهو معنى قوله فمن يكفر بالطاغوت ويؤمن بالله فقد استمسك
بالعروة الوثقى لا انفصام لها والله سميع عليم قال ابن القيم وطريقة القران في مثل هذا
ان يقرن النفي بالاثبات فينفي عبادة ما سوى الله ويثبت عبادته وهذا هو حقيقة التوحيد
والنفي المحض ليس بتوحيد وكذلك الاثبات بدون النفي فلا يكون التوحيد الا متضمنا للنفي
والاثبات وهذا حقيقة لا اله الا الله انتهى ودلت الاية على ان الحكمة في ارسال الرسل هو عبادة
الله وحده وترك عبادة ما سواه وان اصل دين الانبياء واحد وهو الاخلاص في العبادة
وان اختلفت شرائعهم كما قال تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وانه لا بد في الايمان من العمل ردا على المرجئة

قال وقوله وقضى ربك الا تعبدوا الا اياه وبالوالدين احسانا ۝

هكذا ثبت في بعض الاصول لم يذكر الاية بكمالها قال مجاهد وقضى يعني وصى وكذلك قرا
ابي بن كعب وابن مسعود وابن عباس وغيرهم وروى ابن جرير عن ابن عباس في قوله وقضى
ربك يعني امر وقوله الا تعبدوا الا اياه ان هي المصدرية وهي في محل جر بالباء والمعنى
ان تعبدوه ولا تعبدوا غيره ممن لا يملك لكم ضرا ولا نفعا بل هو اما فقير محتاج الى رحمة ربه

يرجوها كما ترجونها واما جماد لا يستجيب لمن دعاه وقوله وبالوالدين احسانا اي وقضى ان تحسنوا
بالوالدين احسانا كما قضى بعبادته وحده لا شريك له وعطف حقهما على حق الله تعالى دليل على
تاكد حقهما وانه اوجب الحقوق بعد حق الله وهذا كثير في القران يقرن بين حقه عز وجل وبين حق
الوالدين كقوله ان اشكر لي ولوالديك الي المصير وقال واذ اخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون
الا الله وبالوالدين احسانا ولم يخص تعالى نوعا من انواع الاحسان ليعم انواع الاحسان وقد
تواترت النصوص عن النبي صلى الله عليه وسلم بالامر ببر الوالدين والحث على ذلك وتحريم عقوقهما
كما في القران ففي صحيح البخاري عن ابن مسعود قال سالت النبي صلى الله عليه وسلم اي الاعمال احب الى الله
قال الصلاة على وقتها قال قلت ثم اي قال بر الوالدين قلت ثم اي قال الجهاد في سبيل الله
حدثني بهن ولو استزدته لزادني وعن ابي بكرة قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
الا انبئكم باكبر الكبائر قلنا بلى يا رسول الله قال الاشراك بالله وعقوق الوالدين وكان متكئا فجلس
فقال الا وقول الزور الا وشهادة الزور فما زال يكررها حتى قلنا ليته سكت رواه البخاري
ومسلم وعن ابي هريرة قال قال رجل يا رسول الله من احق الناس بحسن صحابتي قال امك قال ثم من
قال امك قال ثم من قال امك قال ثم من قال ابوك اخرجاه وعن عبد الله بن عمرو قال قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم رضى الرب في رضى الوالدين وسخطه في سخط الوالدين رواه الترمذي
وصححه ابن حبان والحاكم وعن ابي اسيد الساعدي قال بينا نحن جلوس عند النبي صلى الله عليه
وسلم اذ جاءه رجل من بني سلمة فقال يا رسول الله هل بقي من بر ابوي شيء ابرهما به بعد موتهما قال
نعم الصلاة عليهما والاستغفار لهما وانفاذ عهدهما من بعدهما وصلة الرحم التي لا توصل
الا بهما واكرام صديقهما رواه ابو داود وابن ماجه والاحاديث في هذا كثيرة وقد افردها العلماء
بالتصنيف وذكر البخاري منها شطرا صالحا في كتاب الادب المفرد قال وقوله قل تعالوا اتل
ما حرم ربكم عليكم الا تشركوا به شيئا وبالوالدين احسانا الايات ۝ قال ابن كثير يقول الله
تعالى لنبيه ورسوله محمد صلى الله عليه وسلم قل يا محمد لهؤلاء المشركين الذين عبدوا غير الله وحرموا
ما رزقهم الله وقتلوا اولادهم وكل ذلك فعلوه بارائهم الفاسدة وتسويل الشيطان لهم تعالوا
اي هلموا واقبلوا اتل ما حرم ربكم عليكم اي اقص عليكم واخبركم بما حرم ربكم عليكم حقا لا تخرصا ولا ظنا
بل وحيا منه وامرا من عنده الا تشركوا به شيئا قال وكان في الكلام محذوفا دل عليه السياق و
تقديره وصاكم الا تشركوا به شيئا ولهذا قال في اخر الاية ذلكم وصاكم به قلت ابتدا تعالى هذه
الايات المحكمات بتحريم الشرك والنهي عنه فحرم علينا ان نشرك به شيئا فشمل ذلك كل شرك به وكل مشرك
فيه من انواع العبادة فان شيئا نكرة فتعم جميع الاشياء وما اباح تعالى